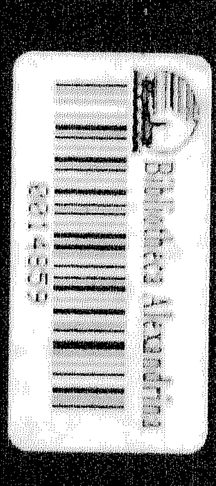
صفوة الاعتبار

بمستودع الأمصار والأقطار

تأليف

محمد بيرم الخامس التونسي



دار صادر

بيروت











صفوة الاعتبار

بمستودع الأمصار والأقطار

١-٢-٣

تأليف

محمد بيرم الخامس التونسي

دار صادر

بيروت



فهرست الجزء الاول من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

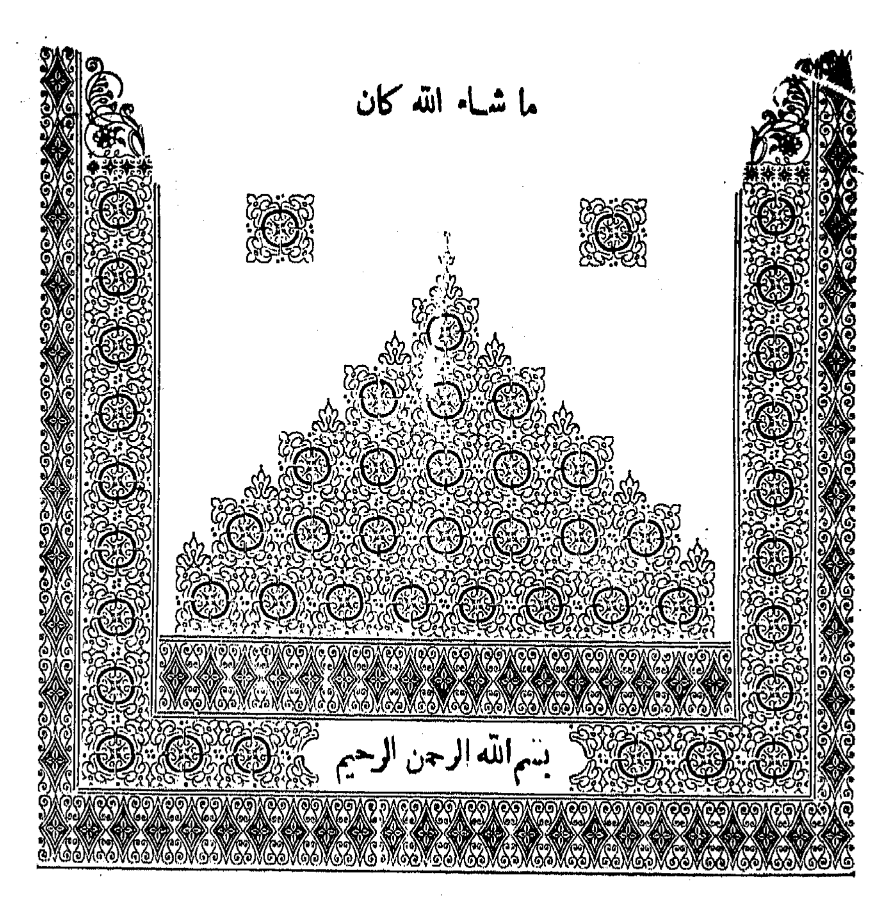
﴿تمت الفهرست﴾

هذا كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار

تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿الجزء الاول﴾

﴿طبعة أولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



❊ الحمد لله مالك الملك والممالك ❊ خالق النور والظلمة والضلال والهدى الى أقوم المسالك ❊ سبحانه الخالق الحكيم ❊ المبدع للكون ومافيه من حقير وعظيم ❊ رسم عليه دلائل وحدانيته لتدبر المتبصرين ❊ ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ❊ والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على تاج العالم المصون ❊ ومظهر الكمالات المسرى به الى المسجد الاقصى والمقام المكنون ❊ سيدنا ومولانا محمد رسول الله ❊ المطهر عنصره الجثمانى ❊ والمنزه جوهره الروحانى ❊ من الكدر والاشتباه ❊ وعلى آله الطاهرين ❊ وأصحابه ❊ الذين جابوا الارض فى هداية المخلوقين ❊(أما بعد)❊ فان الله جلت عظمته اقتضت حكمته الباهرة ❊ ان ربط فى هاته الدار الاسباب بالمسببات خفية كانت أو ظاهرة ❊ وأخفى مراده فى التكوين ❊ فكان مدار تكاليف الشرع هو اعتبار الاسباب رحمة بالمؤمنين ❊ وتفويض ماوراء ذلك الى خالق السبب يجرى على مقتضى تقديره فى الازل ومايدرك أسرار حكمته الا قليل من الكاملين ❊ وكان مما عرض للعبد

الحقير

الحقير * ان بليت بمرض اعيى علاجه أطباء قطرنا الشهير * وأشير على بالسفر لاجل ذلك الغرض * فاستخرت الله تعالى واستشرت الاصدقاء لتحصيل ذلك الحق المفترض * فجبت بحارا وقفارا * ومدنا وامصارا على حسب ما يسره المقدور * وساعفت الوسائل على الوصول الى مشاهدته من المعمور * ورأيت بعيني البصر والبصيره * امورا عجيبة خطيره * أحببت نظمها في عجالة تحفظها من الاهمال * وتطلع على منح العلماء أولى الكمال * كل سر جاوز الاثنين شاع * كل علم ليس في القرطاس ضاع * وهي وان كانت بالنسبة لمعارف الكاملين والفحول * ليست مما يلتفت اليه أو يلاحظ بالقبول * لكنها على كل حال بضاعة من علم * تلاحظها بالاغضاء أعين أهل الحلم * فلعل الله بفضله يفيد بها أهل وطننا واخواننا المسلمين * ويهدينا الى احياء معالم ديننا المتين * (وسميتها) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار * معتمدا على فضل المانح الجليل * وهو حسبي ونعم الوكيل * فنقول ان هاته الرحلة مرتبة على مقدمة ومقصد وخاتمة فالمقدمة فيها (ثلاثة) أبواب (الباب الاول) في السفر من حيث هو ويشتمل على ثلاثة فصول (الباب الثاني) في السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان (الباب الثالث) في تقسيم أحوال أهل الارض وفيه خمسة أقسام وستة وثمانون فصلا والمقصد فيه ثلاثة عشر بابا (الاول) في سبب سفري (الثاني) في مملكة تونس (الثالث) في مملكة ايطاليا (الرابع) في مملكة فرنسا (الخامس) في قطر الجزائر (السادس) في مملكة انكلترة (السابع) في جزيرة مالطه (الثامن) في قطر مصر (التاسع) في الحجاز وجزيرة العرب (العاشر) في بقية الممالك العثمانية (الحادي عشر) في مملكة اسفيدره (الثاني عشر) في مملكة النمسا (الثالث عشر) في مملكة الرومانيا وكل باب يشتمل على فصول حسبما فيه من الفروع (الخاتمة) فيما ينبغي للامة الاسلامية اتخاذه من زيادة بث المعارف وما تثمره من الخيرات

﴿المقدمة وفيها ثلاثة أبواب﴾

الباب * الاول

﴿في السفر من حيث هو﴾

الفصل * الاول

﴿ فيما جاء في ذلك من الكتاب العزيز ﴾

(اعلم) ان الله تعالى قد أمر في كتابه العزيز بالسير في الارض للاعتبار والاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال تعالى قل سيروا في الارض في آيات من الكتاب المجيد وفي بعضها قال ثم انظروا وفي أخر قال فانظروا فكان العطف تارة بالفاء وتارة بثم اشارة الى ان النظر والاعتبار كما يلزم في حالة السير يلزم بعده حتى لا يكون الزمن والعمل خاليا عن فائدة صحيحة في نظر الشرع فأولا يحصل النظر الاجمالي في حالة السير ثم يحصل النظر التفصيلي بالاعتبار عند الانفصال منه حتى يستقر في النفس بغاية التروي ولا يخفى ان القاعدة الاصولية عندنا هي ان الامر (للوجوب) وهو حقيقته ولا يصرف الى غيره الا عند القرينة الصارفة وقد اشتملت الآيات المذكورة على أمرين وهما الامر بالسير والامر بالنظر فكلاهما واجب غير ان الاول واجب لكونه وسيلة للثاني والثاني واجب مقصود لذاته وافادة ترتبه على سابقه تحصل بكل من (الفاء) و (ثم) بيد انه تحصل بكل واحدة فائدة خاصة (فالفاء) تفيد ترتب النظر على السير بغير مهلة (وثم) تفيد ترتبه عليه بعده حتى يكمل رسوخه وبهذا تبين الوجه في العطف بهما ولا نحتاج الى ان الاتيان (بثم) لافادة التفاوت بين مراتب الواجبين حيث ان أحدهما مقصود لذاته والآخر مقصود لكونه وسيلة كما ذهب اليه أبو السعود والقونوي لأن هذا لا يكون فائدة يستدعيها المقام بخلاف ما ذكرناه ثم ان كون السير واجبا كما ذكر هو ما عليه المحققون وان سبق قلم الزمخشري وتبعه القاضي البيضاوي الى ان الامر بالسير للاباحة والامر بالنظر للوجوب فقد قال غيرهم ان ذلك ينبو عنه المقام اما أولا فلأنه اخراج للأمر عن حقيقته وأما ثانيا فلا وجه لذكر اباحة السير للتجارة وغيرها في سياق الافحام للجاحدين ثم يعطف عليه ما هو واجب ولا يتم الا بسابقه وأما ثالثا فقد تقرر في الاصول أن ما لا يتم الواجب الا به يكون واجبا فكيف يكون النظر في آثار المكذبين واجبا بدون سير فان قيل انا لم نر في دواوين أصول الدين ان من واجبات الديانة السفر كما ذكر فالجواب ان معنى الوجوب معلق بما اذا لم يحصل الاعتبار المفضي للاعتقاد الا بالسفر لانه يؤدي الى رؤية الآيات بالمشاهدة التي

لها

لها من التأثير ما ليس لغيرها أما اذا حصل الاعتقاد فلا داعى حينئذ لوجوب السفر وانما هو مباح ولهذا كانت الآيات المذكورة فى سياق الحجاج للعاندين وكأن ما ذكر هو الذى أدى بعض المفسرين للقول بان الامر للاباحة وقد ذكر الغزالى فى الاحياء ان السفر تعتريه الاحكام الخمسة من الوجوب والندب والاباحة والكراهة والحرمة لانه من الوسائل فيأخذ حكم ما قصد به وأبان ذلك بيانا شافيا واذا تقرر ان السير واجب لاجل الاعتبار فنقول ان المعتبر به أشياء منها مادلت عليه الآيات المذكورة من الاعتبار بعاقبة المكذبين للرسل ومنها مادل عليه قوله تعالى ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم فان المسافر يرى من عجائب قدرة الخالق جل وعلا من اختلاف الطباع واختلاف الاشكال والهيئات واللغات والبشرة ما يقضى بوجوب وجود صانع ذلك المختار فى أفعاله اذ لو كان الامر مستندا للطبيعة لجاءت الخلق على هيئة واحدة فى جميع ما تقدم مع انا نرى الاختلاف والتباين تارة مع قرب المناخ وتارة مع بعده مع ان الارض واحدة وعناصرها واحدة وأصل البشر واحد ومزيد البسط لهذا فى كتب الكلام (ومنها) مادل عليه قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض الآية فأمر تعالى بالاعتبار بما خلق من الاجرام العلوية وكيفية وضعها وحركاتها كما أمر تعالى بالاعتبار بما خلق فى الارض من الجماد والنبات والحيوان وفى هاته الآية اجمل المنظور فيه وقد فصله فى آيات كثيرة من كتابه العزيز للاستدلال على وجوده ووحدانيته فقال فى سورة الرعد الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى (الآية) فذكر ان الاجرام العظيمة الهائلة قد بقى كل منها فى مركز مخصوص من الجو وله حيز يمتاز به عن غيره من غير اضطراب ولا تلاطم وليس لكل منها ما يعتمد عليه من الاجرام المرئية مع ان اجرامها هى فى نفسها مرئية على خلاف المعهود فلابد أن يكون جميع ذلك لموجب أوجبه فان قيل ان موجبه هو وجود أعيانها وذواتها فهذا مردود لوجهين (الاول) ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية ولو وجب حصول جسم فى حيز معين لوجب حصول كل جسم فى ذلك الحيز (والثانى) ان الخلاء لانهاية له والاحياز المعترضة فى ذلك الخلاء الصرف غير المتناهية وهى بأسرها متساوية ولو وجب حصول جسم معين فى حيز لوجب حصوله فى جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز متساوية فثبت بهذا ان وجود الاجرام الفلكية فى احيازها ليس هو لذاتها وانما هو لمدبر حكيم قادر خص كلا منها

❊ عباشاء (ثم ان) كمال الاعتبار بترتيب تلك الاجرام العلوية وكيفية أوضاعها وأشكالها الغاية تتجلى أكمل وجه بالسير في الارض فما يرى منها في جهة القطبين لا يرى من المناطق المعتدلة وكذلك ما يرى في أحد نصفي الكرة لا يرى من النصف الآخر
❊ (ثم قال تعالى) عقب الآية السابقة وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قال المفسرون انه تعالى لما قرر الدلائل العلوية أردفها بالدلائل الارضية بالاعتبار بذات الارض وما احتوت عليه من عجائب قدرة الخالق الحكيم القاضية
❊ بوجوب وجود صانعها فان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحاليل والآلات الى ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زيفوا لهم كثيرا من خرافاتهم وبينوا اخطاءهم فهؤلاء حذاقهم قد أقروا بانه لابد من خالق لما هو موجود اذ ما يعللون به كثيرا من الاشياء من قولهم الجاذبية والنواميس والطبيعية وغير ذلك قد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية والا فحقائقها أمور مجهولة تلتزم متتبعها بالاعتراف بالصانع فمن هؤلاء الحكيم المتبحر فيلكس لامروس وهو من مشاهير فحول علمائهم في القرن التاسع عشر المسيحي حتى ان كتابه في الجغرافية الطبيعية الموسوم بالدراسة الاولية عليه مدار تعاليمهم في المدارس وأختير للتعريب ليعلم ويعمل به في المدارس المصرية وقد صرح هذا في كتابه المذكور في مبحث الجو وكرة الهواء بقوله واذا فرض زوال التثاقل العمومي من الهواء فانه يتشتت في الفضاء الى أن قال لكن الحكمة الالهية اقتضت الآن حفظ الاشياء وضبطها في مواضعها الشاغلة هي لها بموجب قوة مجهولة ذاتها الا فعلها تسمى بالجذب وهي كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الآن وعلى المتولع بدراسة العلوم ان لا يأخذ بظواهر مثل هاته الكلمات العلمية التي يوضح بها سبب أو أسباب طبيعية مجهولة لحادث من الحوادث فاذا قيل هنا مثلا ان الاجرام تزن أو تثقل لانها مجذوبة لغيرها أو انها جارية على مقتضى نواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب (الخ كلامه) ثم ان الاعتبار باحوال
❊ الارض المشار اليها في الآية الكريمة هي من جهات أولها هيئة الارض وهي كونها جرما عظيما حتى ان مقدار ما يصل اليه بصر الانسان منها يراه مبسوطا مع انها هي كرة قال العلامة الرازي بما معناه انه لا ينازع في كونها كرة الا من لا تدبر له (وقد) ألف الشيخ محمد بيرم الثالث قدس سره رسالة في ذلك استدل على تكويرها بكلام الحكماء والفقهاء

واهل

وأهل الباطن وها نحن نسرد هنا نبذة من ذلك مع اختصار وزيادة فأما كلام الحكماء فنه ظهورا عالى الاشباح من بعد رمنه ارتفاع الشمس والكواكب فى جهات من الارض بخلاف جهات أخرى حسبما حرر ذلك بموازين أخذ الارتفاع وأما كلام الفقهاء فقد ذكروا فى كثير من المسائل انه لا عبرة باختلاف المطالع فى الصوم فيجب على أهل المشرق برؤية أهل المغرب للهلال لان الوجوب معلق بشهود الشهر لطائفة من الناس بخلاف الامساك والفطر فانه يكون لكل أهل قطر بحسب ما عندهم لان الوجوب معلق بدخول الوقت للمكلف وذكروا فى الصلاة ان بعض الجهات تطول فيها الاوقات و بعضها تقصر حتى يفقد بعض الاوقات كالعشاء فى بعض الجهات الضاربة الى أقاصى أحد القطبين وذكروا فى المواريث اذا مات متوارثان فى يوم واحد وزمن واحد منه لكن أحدهما فى المشرق والآخر فى المغرب فان المغربى يرث المشرقى لما ان وقت المشرقى متقدم فى الوجود على وقت المغربى كالزوال مثلا وأما كلام أهل الباطن فقد نقل عن سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه ان ساعة الاجابة من يوم الجمعة الوارد فيها الحديث بانها من عند جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة قال ان ذلك خاص بوقت صعود امام المدينة المنورة ولما كان ذلك الوقت لا يتحد فى جميع البلاد منّ الله بساعة النبى صلى الله عليه وسلم وجعلها تختلف باختلاف صعود الائمة على المنابر من ذلك اليوم وجميع ما تقدم انما يتأتى على القول بان الارض كورية ولو كانت بسيطة لما تأتى شئ من ذلك اذ الشمس اذا ظهرت تظهر على الجميع فى آن واحد ومن كلام القطب سيدى أحمد بن عروس رضى الله عنه الصريح فيما نحن بصدده وهو من أنواع النظم المسمى بالملحون قوله

وادينا مثلتها دلاعا ✻ تتكركب فى جملة أدلاع
ماذلقوها من طماعا ✻ ورماتهم فى ببرمالوقاع

وهو صريح فى تكويرها ودورانها على ماسيأتى وليس فى القرآن ما يعارض ذلك اذ مساق الآيات لما يشاهد والمشاهد البسط فى نظر العين ولما كان خطاب التكليف بهاته الشريعة المطهرة عاما لجميع طبقات الناس كان خطابهم على أسلوب يقتدر به كل على التوصل الى قدر مدركاته هذا فى مسائل التكاليف العامة كالاستدلال على وجود الخالق وصحة الرسالة والعلم بدخول أوقات الصلاة والصوم واشباه ذلك أما ما يكتفى فيه بالاستفتاء من الغير فقد خص الله به الفقهاء (فقال تعالى) فاسئلوا أهل الذكر

ان كنتم لا تعلمون وهذا أصل نافع يجري في كثير من الاشياء وقد بسطه الشاطبي في موافقاته (وثاني) الجهات المشار اليها في الآية الاستدلال بالجبال المعنون عنها بالرواسي فان عظم خلقتها واختلاف أوضاعها واختصاص كل بحد محدود قاض بوجود مدبر خصها بتلك الحالات ولو كانت بمجرد الطبيعة التي هي امم بلا مسمى لتساوت في جميع الحالات مع ان المشاهد هو اختلافها هذا بحسب الظاهر وأما اذا دق النظر فيما تختلف به مما تشتمل عليه من أنواع الصخور والتراب والطين والمعادن فذلك أمر يبهر العقول ويوقف الاذهان ومن أراد الاطلاع على أسرار ذلك فليراجع كتب الطبيعيات والكيمياء (وثالث) الجهات المشار اليها في الآية الاعتبار بالانهر واختصاصها بأحوالها التي هي عليها مما يقتضي وجود مخصص لها والاغلب في نظم القرآن قران الانهر بالجبال اشارة الى أن تكون الانهر بسبب الجبال اما من الثلوج المذابة منها أو من منابع العيون المنفجرة فيها وكأن سبب كثرة هاته المنابع في الجبال هو ان الجبال من أسباب جذب الابخرة والامطار وعلى قدر تشرب سطح الارض للمياه يكثر في باطنها اجتماعها ففي الاراضي البسيطة تتصاعد تلك المياه ابخرة لسهولة نفوذ البخار في أجسام الارض المتخلخلة بخلاف الاراضي ذوات الجبال فانها لا بتها تمنع نفوذ الماء بخارا كما تحميه من تأثير حرارة الشمس فلا يزال الماء يجتمع في طبقات الجبال الى ان يتكون منه مقدار عظيم فينفذ بقوة لانه أعلى مما حوله من الارض فتتكون منه الينابيع والعيون وتسيل جداولا ونهيرات فاذا اجتمعت في حوض تكون منها نهر و يعظم و يصغر بحسب ما يلتقي فيه من الانهر والينابيع (ورابع) الجهات المشار اليها في الآية الاعتبار بما في الارض من الثمرات وانها كلها مثل الحيوان ذكر وأنثى وهذا التفسير المبين المحمولة فيه الآية على حقيقة اللفظ من (قوله تعالى) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين انما اطلعنا عليه من ترقي العلوم الطبيعية والفلاحية فقد تبين بالتجربة والمشاهدة وقرره جميع فلاسفة المتأخرين في كتبهم ان جميع أنواع الثمرات بل حتى الزهور أيضا تشتمل على ذكر وأنثى واذا افرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة غير ان بعض الانواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على البزر الذكر وعلى البزر الانثى وتتلاقح مع بعضها بالريح وهو المشار اليه (بقوله تعالى) وأرسلنا الرياح لواقح وبعض الانواع تكون فيه شجرة الذكر مفردة عن شجرة الانثى وهذا النوع الاخير كان معلوما منه سابقا بعض افراد كالنخل والتين لكن الآن قد تحقق ان جميع الانواع لا تثمر الا بالتلاقح

بالتلاقح بين الذكر والانثى حتى اذا تتبع قطع أحد الصنفين من شجرة تشملهما وأبقى نور الآخر بحاله ولم يكن فى ذلك الموضع شجرة اخرى مثلها فان ما بقى فيها من النور لا يثمر وقد حرر ذلك وعلمت علامات الذكر وعلامات الانثى فى كل نوع بحسبه فسبحان القادر الحكيم الذى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا بأوضح المعجزات فقد أنبأ بهذا منذ أكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عندما لم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلا عن الامة الامية وهو أحدها لا يقرأ ولا يكتب فلا شك أن هذا انما هو بوحى من الخالق الذى يعلم ما خلق سبحانه وتعالى ولدقة هذا الامر وغرابته قد اعترف منصفوا أهل هذا العصر بأن الحكمة قد فازت بها الامة العربية منذ بعث فيها رسولها واستندوا لما اشتمل عليه القرآن من بديع الحكم فان معرفة كون الريح تلقح الاشجار لم تعلم عند الحكماء الا فى آخر هذا القرن والقرآن الكريم ناطق بها ولهذا قال مستر اچنيرى (حرف چ ينطق به بين التاء والشين) الانكليزى معلم اللغة العربية فى مدرسة عامة الفنون فى بلد أكسفورد الكائنة جنوبى لندرة ان أصحاب الابل قد عرفوا أن الريح تلقح الاشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرنا أقول وكذلك كون الثمار تشتمل على الزوجين وما ذلك الا بتعليم الخالق لا بواسطات ولا تعلمات ولا تجربات وتحليلات كيماوية وبذلك يعلم حقية قول من قال ان القرآن لم يفسر على حقيقته وانما كانوا يبينونه على قدر ما تصل اليه العقول وعلى قدر الحاجة فى الاحكام وبما تقدم يظهر أنه لا حاجة الى تأويلات المفسرين فى قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين حيث حملوا الزوجية على معان أخر كاختلاف الطعوم والطبائع مما ينبو عنه التأكيد باثنين فان ما ذكروه لا ينحصر فى اثنين الا بالنظر للمقابل وحيث تبينت الحقيقة فلا داعى الى التأويل ويخالف ما قالوه من التأويل ويؤيد ما حررناه من الحمل على الحقيقة أن ما أولوا به لا يستقيم على نمط واحد فى آيات القرآن العظيم الواردة فى هذا المقصد كقوله تعالى فى سورة الحج وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج فان ما قالوه من اختلاف الطعوم أو الطبائع لا يطرد فى جميع ما تنبته الارض بل فيها المتوافق فى ذلك وان كان بحسب التشخيص مختلف الانواع بخلاف ما قلناه فانه مع الحمل على الحقيقة هو مطرد أيضا (وبما تقدم) يعلم وجه طلب العلوم الرياضية على ما سيأتى فى محله ان شاء الله تعالى حيث ان التفسير المتقدم فى الجملة الشريفة انما تبين بها كما ان تمام الآية اشتمل على اشارة غريبة من ذلك القبيل وهو الجهة (الخامسة) من

✽ جهات الاعتبار المشار اليها بقوله تعالى يغشى الليل النهار فقد تقدّم أنه تعالى بعد أن
ذكر فى الآية السابقة الدلائل العلوية ذكر بعدها الدلائل الارضية ونسق فيها تعاقب
الليل والنهار فجعله من الحوادث الارضية فقال المفسرون لظهوره فيها وان كان هو من
✽ متعلقات العلويات وهو الشمس واعلم أن مسئلة حركة الارض أى هل هى التى تدور
أو أن الشمس هى التى تدور هى من المسائل الظنية أعنى ان أدلتها ظنية وكثير من
مسائل علم الهيئة هو على هذا النحو الى الآن كمسائل الابعاد بين الكواكب ومقادير
اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتى ويشهد له أنهم
كانوا متفقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة ففى سنة (١٢٩٣) كان
اقتران الشمس بالزهراء يعنى أن الزهراء تمرّ حائلة بين الارض والشمس فاعتنوا لذلك
من قبل وأرسلوا العارفين الى الجهات التى يمكن منها رؤية ذلك لتحرير الرصد بالآلات
فحرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فان البعد الذى حرروه أقل
مما كانوا يحسبون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائز أيضا ظهور الغلط فى هذا
✽ التحرير فى وقت آخر وحيث كانت المسائل فى هذا الفن ظنية اختلف علماؤه
فى أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحرّ والبرد بعد الاجماع على أن
ذلك من آثار تقابل الشمس والارض فقدماء الفلاسفة ذهبوا الى أن الارض هى
التى تدور والذين بعدهم ذهبوا الى أن الارض مركز للفلك وبدوران الفلك يحدث الليل
والنهار وأن الشمس هى التى تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء
واشتهر هذا المذهب وزاد انتشارا عندما انتشر هذا العلم وتهذب فى الامّة الاسلامية لما
استفحل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشتهر ممن أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم
أحيى المذهب الاوّل وتأكد الآن عند علماء العصر بهذا الفن وأنكره المنتسبون
للعلم من المسلمين ظنا منهم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام أو أن المذهب الآخر
مصادم للنصوص والحق أن ليس شئ من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا
وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار وأشباه ذلك واثبات
جريان للشمس وأما كيفيته فلا تعلق لها بالعقائد وسير الشمس ثابت على كلا المذهبين
لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم
حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبعها من الكواكب حول شئ مجهول كما أن هاته الدورة
مجهولة المستقرّ أيضا وكأنها هى المشار اليها بقوله (تعالى) والشمس تجرى لمستقرّ لها

ذلك

ذلك تقدير العزيز العليم وذلك أن المستقر أوتى بلفظه منكرا للابهام فيفيد أنه غير معلوم للخلق ولهذا أوتى به مضافا الى الشمس باللام فكان منكرا ولم يقل مستقرها بالاضافة المفيدة للتعريف لان ذلك المستقر غير معروف وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين مقرون بذلك فهو (حينئذ) اجماعى بيننا وبينهم ثم ان كون حدوث الليل والنهار هو من آثار دوران الارض ربما كانت آيات عزيزة تشير اليه فمنها الآية المتقدمة فانه (تعالى) بعد أن ذكر الدلائل على وجوده من السماء ذكر الدلائل الارضية وخلط فيها الليل والنهار فيشير ذلك الى انهما من آثار الارض لان وجودهما وان كان يستلزم الشمس والارض معا لكن تخصيصه بالانخراط فى الدلائل الارضية يدل على تعلق خاص وهو كون دورانها هو السبب على أن منطوق الآية فيه تدعيم لهذا حيث قال يغشى الليل النهار فجعل الليل الذى هو ظلمة الارض يغشى به النهار الذى هو ضوء الشمس ففيه تلميحة الى أن الارض هى التى تحدث ذلك بفعل الله ومن الآيات المشيرة الى ذلك أيضا (قوله تعالى) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشيها فجعل النهار الذى هو مقابلة وجه الارض للشمس مجليا لها والليل الذى هو الظلمة الاصلية للارض مغشيا لها فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس بل لفاعل آخر وهو الليل والنهار الذى هو من آثار الارض واذا كان هذا ثابتا فما يدل من الآيات على طلوع الشمس وغروبها وغير ذلك يمكن تأويله باعتبار الابصار والعرف الجارى فى اللسان

(ثم اعلم) انه لا يلزم من دوران الارض نفى السماء على ما يتوهمه غير العارف لان السموات لا شك فى وجودها للنصوص القطعية عليها غير أن جرمها غير معلوم لنا وانما نعتقد أنها اجرام شداد هى بالنسبة لكل من على الارض فوقه كما هو المفهوم اللغوى للفظ سماء وأما ماهية اجرامها فالله أعلم بها ونعتقد أنها سبع طبقات شداد ثم طبقة أخرى تسمى بالكرسى ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها شدادا أن لا تخترقها الكواكب بسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما أنه لا يلزم من سير الكواكب انعدامها حتى يقولون ان الكواكب ملقاة فى الفضاء لان ذلك متوقف على معرفة كنهها وهو فوق عقولنا لان العقول انما تتوصل الى المعهودات للحواس وما لا تعهده الحواس يعسر ادراكه على حقيقته ولهذا كان علينا ان نصدق الصادق ونكل معرفة ذلك الى خالقها فقد قال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه عند قراءته (لقوله تعالى) وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة ما معناه ان القوارير الزجاج الذى لا يحجب ما وراءه

والفضة اذا ما رققت ما عساها ان تطرق لا تكون الا كثيفة فهاته الفضة هى نوع آخر لا نعلمه ونكل علمه الى الله بل الاغرب أن مثل هاته المسائل أقر بها الحكماء الذين لا يعتقدون الشرع فقد قال أحد حكماء الفرنساويين المتأخرين ما ترجمته ان للعقل حدا محدودا لا يتجاوزه كما أن للبصر حدا محدودا لا يتجاوزه فاتعاب العقل فى التوصل الى معرفة كنه الاجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر فى أن يرى ما فوق السقف من أسفله فهب أنك أعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف حتى يرى ما فوقه (اه) ويمكن لنا أن نقرب لاولئك المنكرين للسماء فهم وجودها على مقتضى علم الهيئة الذى هم عليه الآن بأنهم يسلمون وجود كرة الهواء محيطة بالارض وأنها عظيمة شديدة حتى قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة وحاملة لاكثر من ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك فان هاته الكرة العظيمة الشديدة تخترق كيفما أراد المخترق لها فلم لا يجوز أن تخترق الكواكب السيارة السموات على هذا النحو ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية ارتفاع سطحها الاعلا عن سطح الارض نحو ستة عشر فرسخا وهى فى ذاتها تختلف طبقاتها وما فوقها ليس بخلو لانه لا يوجد فى الكون خلو مطلق كما هو رأى قدماء الفلاسفة ومتأخريهم كما قرره الحكيم لامروس فى كتابه السابق ذكره فلم لا يجوز أن يسمى الشئ المعبر بحد محدود من الفضاء بالسماء وما فوقه من حد آخر بسماء آخر وهكذا وان كنا نجهل حقائقها لكنا نقول انها لا تمنع من سير الكواكب فى مناطقها ومن ذلك الارض فالارض التى يقع بها الاعتبار بالاوجه المتقدمة لا يكمل مزيد الاعتبار بما فيها من اختلاف أقطارها حرا وبردا وثمارا وأنهارا وجبالا وسكانا الا بالسفر ومشاهدة عجائب خلق الله فيها

الفصل * الثانى

فيما ورد فى السفر من السنة روى السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن السنى وأبى نعيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم) أنه قال سافروا تصحوا وتغنموا فأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن فى السفر ثمرتين راجعتين الى الجسم زيادة على ما تقدم من الثمرات الروحية (الاولى) هى الصحة لما يشتمل عليه السفر من الرياضات البدنية اذ لا يخلو غالبا عن مشقة ولهذا رخص فيه من الرخص ما هو معلوم

فى

فى الفروع بقطع النظر عن العلة الباعثة عليه كما هو المذهب الحنفى واتعاب البدن يضر صحته وأيضا الاستنشاق المسافر الهواء السليم الذى هو أنفع للجسم من الاكل والشرب لان الانسان لاغنى له عن التنفس فى كل لحظة بخلاف الاكل والشرب لامكان الصبر عليهما مدة ما (وبيان وجه احتياج الانسان الى الهواء فى كل لحظة للتنفس) هو أن الله قدر بحكمته تركب الجسم الانسانى على أبدع وجه وجعل سبب قوامه هو الدم المصفى من الغذاء فبعد هضم الغذاء فى المعدة تمتص صفوه فى قناتين توصلانه الى القلب بعد اجتماعهما فى قناة واحدة وهو اذ ذاك فى لون البياض وقبيل الوصول الى القلب يصب ذلك فى قناة دم الدورة الراجع الى القلب أيضا وللقلب شكل صنوبرى منقسم داخله الى قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم الى قسم علوى وقسم سفلى وبينهما حاجز فيه منفذ يوصل بينهما له غطاء ينفتح وينطبق فالقناة المتقدمة تصب فى الطبقة العليا من القسم الايسر ومن هناك ينفتح له الغطاء فيصب نقطة فى الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء بسرعة ثم نقطة أخرى وهكذا وكلما انطبق الغطاء اضطربت جميع الانباض التى فى البدن فحركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعفا سرعة وبطئا ثم يخرج الدم من القسم الايسر السفلى فى عرق عظيم هو مجتمع عروق الانباض فيصعد الى أعلا ثم يتفرع منه فروع وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخر أقل منها حجما وهكذا الى أن يعم جميع أجزاء البدن وهى عروق الانباض وكلما انتهى نبض الى حده يتلقى الدم منه عرق من عروق الشرايين التى لا تتحرك وهاته وظيفتها ارجاع الدم الى القلب فتكون عند اتصالها بالانباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم الى أن تصير عرقا واحدا فيصب فى القسم الايمن من القلب الذى هو مقسوم أيضا مثل الايسر وحركته مثل حركته غير أن الدم يخرج من الطبقة السفلى منه فى عرقين يوصلانه الى الرئة ولا يخفى أنه أى الدم اذ ذاك قد دار فى جميع البدن ونقص من أصل كميته بما ترشحه العروق الى اللحم والعظم وقد تغيرت عناصره فقل منه الاكسوجين وزاد فيه الحامض الفحمى حتى يتغير لونه فيصير مسودا بعد أن كان أحمر فلو بقى على حالته لضر بقاؤه فى البدن لكن حكمة الله تداركت هذا الالم بالالطف فجعلت الرئة تجذب الهواء الذى هو مركب فى حالة سلامته الاصلية من الازوت وهو أكثر أجزائه ولا يضر ولا ينفع الحيوان ذا الدم اذا كان مخلوطا مع بقية الاجزاء ومن الاكسوجين الذى هو الجزء النافع للحيوان ذى الدم وأقل منه كمية الحامض الفحمى الضار للحيوان المذكور ومن شئ يسير من الماء حالة كونه بخارا فاذا

دخل الهواء الرئة استرجع الدم منه الاكسوجين الذى فقده ودفع فيه ما عنده من الحامض الفحمى المضر ثم أخرجته الرئة بالتنفس وأخذت هواء آخر لما ورد اليها من الدم أيضا وهكذا فى كل لحظة وعندما يصفو الدم فى الرئة برجوعه الى اعتداله ينبعث منها فى عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى على نحو ما قدمناه وهكذا (فسبحان القادر الحكيم اللطيف) وبهذا البيان ظهر وجه احتياج الانسان للهواء أكثر من الغذاء واذا علم ذلك علم وجه كون السفر مثمرا للصحة لان الهواء فى الاماكن المسكونة يكثر فيه الجزء الحامض الفحمى المدفوع بتنفس السكان بخلاف الاماكن الغير المسكونة فان هواءها يكون أصفى وأنقى من غيرها والمسافر لابد له من قطع مفاوز وبحار فيستنشق ذلك الهواء الحسن فيصفو دمه ويصح بسببه بدنه كما قال (عليه الصلاة والسلام) وبما قررناه فى التنفس والهواء يعلم وجه كراهة النفخ على الماء والطعام شرعا لان الهواء المنفوخ به يكون حاملا لجزء كثير من الحامض الفحمى الذى هو مضر بالصحة واعلم أن ما قررناه فى حسن الهواء وسلامته للمسافر هو بالنظر الى الغالب الكثير فلا يعترض عليه بأن هناك أماكن خالية عن السكان ومع ذلك هى وخمة لما يعرض لها من تعفن أو غيره فلا يكون هواؤها سليما لان ذلك قليل والحكم على الغالب (وهكذا) القول فى الغنيمة أى الربح المالى اذ شأن المسافر الاطلاع على أحوال التجارة والسعى فيها فيربح اذا سعى لها ولا يعترض بكون المسافر لا يربح اذا سافر لقصد سياسى أو تنزهى أو بدنى أو غير ذلك اذ مدار حصول الشئ على السعى فى اسبابه

الفصل * الثالث

فيما ورد فى السفر من كلام الحكماء والادباء اعلم أنه قد ورد فى مدح السفر كثير من كلام البلغاء والحكماء فلا نطيل بجلبه هنا ونقتصر على كلام الامام الشافعى رضى الله عنه حيث قال

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فقد جمع من فوائد السفر ما تتشوق النفوس الى اكتسابه

الباب

الباب * الثانى

﴿فى السفر لغير أرض الاسلام وفيه فصلان﴾

الفصل * الاول

﴿فى النصوص الدالة على الجواز﴾

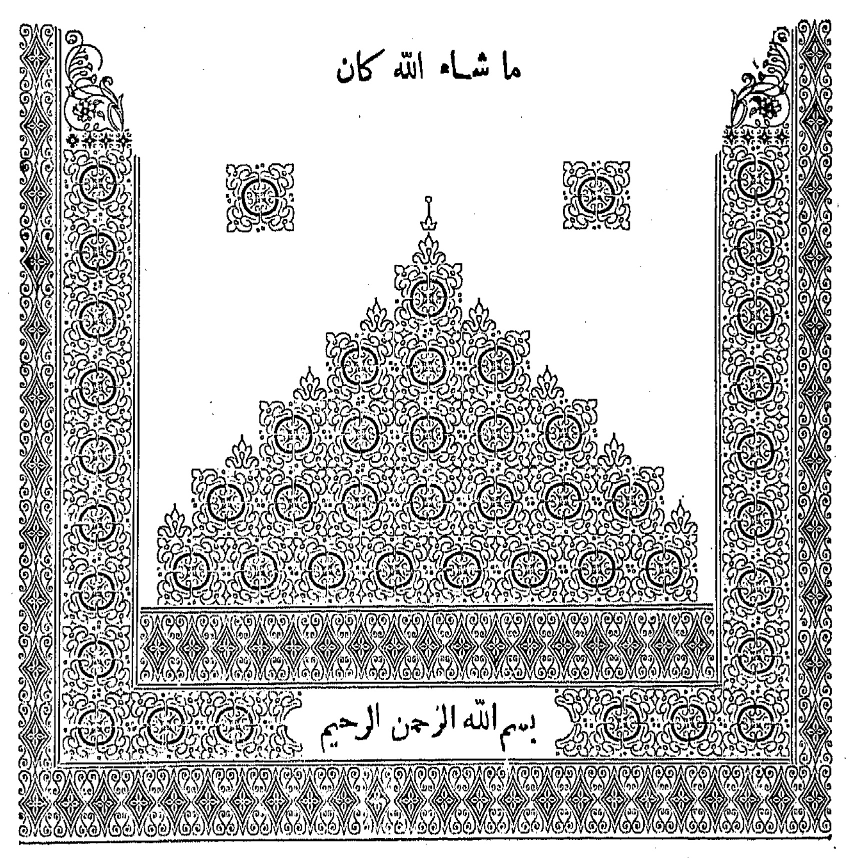
لاخفاء أنّ الاعمال بمقاصدها فاما أن يكون السفر لقصد صحيح شرعا كقصد مصلحة عامّة أو مصلحة خاصة لامندوحة عنها او يكون لمجرّد توسع فى المال وتنزه وعلى كلا الوجهين فالسفر جائز غير انه يختلف حكمه بالنسبة للمروءة وحفظها حتى تبقى العدالة أولا تبقى بانعدام المروءة وها نحن ننقل ما اطلعنا عليه فى المسئلة ففى الفتاوى البيرمية نقلا عن خط الشيخ محمد بيرم الرابع ما نصه سئل جدى رحمه الله عن ركوب البحر والذهاب لدار الحرب هل يسقطان العدالة أم لا فأجاب بما نصه أما نفس ركوب البحر فانه لايمنع قبول الشهادة الا عند ظن الهلاك وأما الذهاب الى دار الكفر فينظر فيه للسبب الحامل عليه فان كان مصلحة اما عامة للمسلمين أو خاصة بالذاهب كما اذا كان به مرض يعجز عن علاجه هنا فهذا لا بأس به ولا تسقط العدالة بسببه واذا كان الغرض التجارة والاستكثار من حطام الدنيا فهذا هو الذى تسقط به العدالة هذا ملخص ما فهم من كلام أصحابنا كما فى الوهبانية وشروحها والله تعالى أعلم انتهى وفى الفتاوى الهندية من كتاب السير بعد أن ذكر أن الرجل لايخرج للجهاد الا اذا رضى أبواه أو من يقوم مقامهما على التفصيل المقرر هناك قال وان أراد الخروج للتجارة الى أرض العدو وكرها خروجه (أى الابوان) فاذا كان أميرا لا يخاف عليه منه أو كانوا قوما يوفون بالعهد يعرفون بذلك وله فى ذلك منفعة فلا بأس بان يعصاهما ثم ذكر مسائل تحوم على أن المدار فى الجواز وعدمه على غلبة الظن بالامن فاذا حصل ذلك جاز له السفر ولو بغير رضى الوالدين فتلخص مما تقدم أن السفر الى أرض غير المسلمين جائز كيفما كان المقصد على شرط الامن وانما يختلف الحكم بالنسبة للعدالة ولا يخفى أن العدالة مدارها على حفظ المروءة والتنزه عن الرذائل وسفاسف الامور فاذا كان يقتحم الاخطار من السفر المذكور لمجرّد الزيادة فى التحسينات كالتنعم بالنظر أو بزيادة المال كان ذلك قادحا فى العدالة وان لم يكن محرّما وأما اذا كان

السفر المذكور لغرض صحيح ولو لتجارة محتاج اليه سالة خاصة أوله ولغيره فهو مع كونه مباحا لا يسقط العدالة أيضا بل له الاجر الاخروى اذا صحح النية واخلصها التى هى أساس العبادة وقد علم مما مر أن شرط الجواز هو الامن وهذا الشرط لا يختص بأرض غير الاسلام بل هو شرط أيضا فى أى أرض كانت كما فى حواشى الشيخ مبارة على لامية الزقاق حيث قال أثناء الكلام على الامامة ما مفاده ان الانسان ان لم يستطع كف الظلم والمعاصى تجب عليه الهجرة فاذا كانت تجب الهجرة منها فكيف يجوز الاقدام على الدخول اليها والله تعالى يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان الامن يعلم حصوله وعدمه من الباب الآتى اذ أهل الارض الآن مختلفوا الصفات والاحوال

الفصل * الثانى

فى تطبيق الحكم على سفر العبد الضعيف الى ممالك أوروبا سيعلم من المقصد الوجه
الحامل لى على السفر الى ممالك أوروبا وهو اما التداوى بعد العجز عن
علاج المرض فى بلادنا أو مصلحة أو ضرورة وكل الوجوه الثلاثة
مما يسوغ السفر بلا سقوط العدالة واذا اعتبرنا ما حصل
من ثمراته وأوله الحمل على جميع هاته الخلاصة فانى
أرجو من كرم الله تعالى أن يعفو عن زلاتى
و يعاملنى بمحض جوده وفضله سيما
والبلاد التى قصدناها من
بلاد الاجانب هى تامة
الامن كما يعلم
من الباب
الآتى

القسم الثانى من
الجزء الاول
من صفوة
الاعتبار



❀(الباب * الثالث)❀

❀ فى تقسيم أحوال أهل الارض الآن ❀

❀ وفيه سبعة وثمانون فصلا ❀

اعلم ان الله جلت قدرته قد قسم الخلائق فى هاته الارض وخالف بين عوائدهم واصطلاحاتهم ولغاتهم وان اتحد الجميع فى أصول الاحتياجات كالطعام والملبس والوازع وقد قرب الجغرافيون سكان كرة الارض من اثنى عشرة مائة مليون الى ثلاثة عشرة مائة مليون وقسموا الارض الى أقسام خمسة وهى (آسيا) و (أوروبا) و (أفريقيا) و (أمريكا) و (استراليا) وهى أقسام اعتباريه اذ الارض واحدة وما فيها متقارب متماثل

❀ القسم

﴿ القسم الاول آسيا ﴾

اعلم ان القسم الاقدم عمرانا والاكثر سكانا والاشرف معنى لما حواه من كونه مصدرا للديانات الالهية ودارا للرسل (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ومنبع سطوع النور العظيم الحاوى للذات الشريفة المحمدية (عليها أفضل الصلاة وأزكى التحية) هو قسم (آسيا) الشامل لمكة والمدينة والقدس وهو يحده شرقا خليج برنغ والمحيط الشرقى وجنوبا بالمحيط الهندى وخليج فارس والبحر الاحمر وغربا البحر الاحمر والبحر الابيض وبحر مرمرا والبحر الاسود ونهر ردون وجبال أورال وشمالا المجمد الشمالى وهذا القسم يشتمل على عشرين مملكة

الفصل * الاول

﴿ فى المملكة العثمانية ﴾

اعلم ان أعظم الممالك الاسلامية فى هذا القسم هو المملكة العثمانية لاستيلائها على أغلب الممالك الاسلامية التى كانت تقسمت واتحادها تحت سلطنتها ولاشتمالها على الحرمين الشريفين ولان سلطانها هو صاحب الحرمين الشريفين ولامتدادها على ممالك وسيعة اسلامية فى أفريقية كما ان لها فى أوروبا ممالك واسعة فتألف من المجموع مملكة عظيمة تختها القسطنطينية وتسمى فاروقا لفرقها بين أرض آسيا وأرض أوروبا ولفرقها بين البحر الابيض والبحر الاسود فكان لها بهذا الموقع عظيم الاعتبار وسكان هاته القاعدة زهاء مليون ونصف وأقسام هاته المملكة هى الاناضولى وفيه آسيا الصغرى والشام والعراق وديار بكر وأرمينية والجزيرة والحجاز واليمن ولها فى أوروبا قسم الروملى ولها فيه ولايات ممتازة وهى ايالة البلغار والروملى الشرقية وفيه جزائر البحر الابيض التى منها ما له امتياز كجزيرة كريد وسيواس ولها فى أفريقيا ممالك أيضا وهى طرابلس ومصر وتونس وهاتان الاخيرتان لهما امتيازات خاصة فى الادارة وتشتمل المملكة الآن فى الاقسام الثلاثة من الارض على نحو اثنين وعشرين مليونا عدى الممالك التى لها امتيازات فاذا انضم ذلك كان الجميع يناهز الاربعين مليونا والذى يخص قسم آسيا فقط من السكان نحو ستة عشر مليونا وقد ابتدأ تأليف هاته المملكة من سنة ٦٩٩ تحت سلطنة السلطان عثمان فى أرمينية ولا

زالت تعظم الى ان بلغت نهاية السطوة على جميع ممالك المعمور ثم ابتدأت الروسيا فى حروبها وتداخلت الدول الاوروباويه تارة بالدفاع عنها وأخرى للرجع منها ولا زالت بين الدول لها اعتبار وحكومتها شورويه فى الرسم لكنها الآن تحت الحكم العرفى ولم تزل سلاطينها يحضون على الامن فى جميع انحاء المملكة وفى جميع انواع السكان الذين أغلبهم مسلمون وهم نحو ستة عشر مليونا وباقيهم أغلبهم نصارى على مذاهب شتى والباقى من ديانات مختلفة ولزيادة توطيد الامن واجراء العدل أسس المقدس السلطان عبد المجيد التنظيمات الخيريه فى سنة ١٢٥٧ ثم أكدها ولده السلطان المعظم عبد الحميد بالقانون الاساسى الذى أصدره فى سنة ١٢٩٣ وفقه الله لما يرضاه وبقية التفاصيل المتعلقة بهذه المملكة تأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد وقوتها المالية والحربية تأتى فى آخر المقدمة فى جدول قوات الدول بحول الله وارادته

الفصل * الثانى

﴿ المملكة الثانية هى مملكة فارس ﴾

وهى مملكة اسلامية قاعدتها ايران وعدد سكانها من الخمسة ملايين الى سبعة مابين سنيه وشيعيه ولها تقدم فى الحضارة وبعض رجال دولتها مهذبون لهم معارف كافية فى السياسة ورئيس الدولة يلقب بالشاه وهو الآن الشاه ناصر الدين من آل البيت المطهر وقد التفت الى الاصلاحات التى يقتضيها الحال لما شاهده فى أوروبا وغيرها عند أسفاره لها منذ استدعته الدولة النمساويه (فى سنة ١٢٩٠) للحضور للعرض الذى فتحته فأجاب دعوتها كما أجاب السلطان عبد العزيز العثمانى دعوة دولة فرانسا لمعرضها (فى سنة ١٢٨٧) والشاه المشار اليه زار فى سفرته المذكورة الدولة العلية فانه بعد ان وصل الى لندره على طريق الروسيا والمانيا رجع على طريق فرانسا ثم النمسا المدعو اليها ومن هنالك توجه للاستانة ولما علم السلطان بقصده لزيارته أرسل له باخرة جليلة سلطانية لركوبه وجفنين مدرعين يحفانه وأرسل له فيها وزير البحر فركب الشاه الباخرة من احدى فرض ايطاليا بعد زيارته لملكها فوصل الى جناق قلعة فى يوم الاحد (٢٢) من جمادى الثانية (سنة ١٢٩٠) فأطلقت له المدافع من القلعة واصطفت له العساكر واقتبله هنالك الصدر رشيد باشا فى باخرة سلطانية ومعه سفير الشاه فى الاستانة ووالى جزائر البحر

الابيض

الابيض وفى يوم الاثنين لاقاه فى بحر مرمرا سفراء الدول فى بواخرهم الرسمية ووجوه تجار الفرس فى سفينة بواخر أخر ولاقاه هنالك أيضا فرقة من الاسطول العثمانى فوصل فى موكبه البهى الى الاستانة من يومه وأرسى قبالة قصر بكار بيك المعد لنزوله فأطلقت له المدافع وتوجه السلطان للقائه فى الباخرة ورحب به وآنسه وابتنا مليا والمترجم بينهما ميرزا حسين خان صدر دولة الشاه ثم نزلا معا الى القصر وأطلقت المدافع من جميع الاسطول العثمانى ثم رجع السلطان الى قصره بباشكطاش ثم زاره الشاه بعد الاستراحة وآنسه وكان كل منهما متقلدا بنيشان صاحبه وزينت له سائر الدواوين الملكية ومنازل تجار الفرس وحصل له من العناية ما أكد له مزيد الالفة بين السلطنتين ثم عاد الى بلاده وأخذ فى فتح الطرق للتقدم لكن السير فيها بطئ ثم عاد الى أوروبا سنة (١٢٩٥) لزيارة معرض باريس على وجه غير رسمى وزاد استبصارا فيما ينبغى اتخاذه وشرع فى شئ من التنظيم سنة (١٢٩٦) تداركا لما يحيط به سياج الحفظ لامته ومملكته التى أخذت منها الروسيا اقساما عظيما فى أواسط القرن الحالى وهاته المملكة حكمها الآن استبدادى مطلق غير ان ما لا باعث عليه من الجزئيات يجرى فيه الحكم الشرعى الاسلامى والغرباء لهم الامن من جهة الحكم اذا دخلوا المدن العظيمة منها وحلوا فيها ﴿أما غيرها﴾ فلا اطمئنان فيها الا اذا أخذ المسافر وصيات من رؤساء الحكام أو خفراء له ودخل هاته الدولة وخروجها يأتى ان شاء الله تعالى

الفصل * الثالث

﴿ المملكة الثالثة هى مملكة أفغانستان ﴾

وموقعها شرقى فارس وقاعدتها كابل وقد كانت هاته المملكة مقر المملكة الغزنوية ثم السلجوقيه ثم استقلت بولاية أحمد شاه فى القرن الثانى عشر ثم دخلت تحت السابقة الذكر ثم استقلت فى عشرة السبعين بعد الالف والمائتين باعانة الانكليز وسكانها نحو الستة ملايين وقيل ثمانية والاول أقرب اكثرهم أهل بادية وسكان جبال والديانة العامة هى الاسلامية السنية والحكم استبدادى مطلق ولا راحة تستقر فيها لكثرة الثورات وعدم انقياد القبائل ثم تعارض سياستى الروسيا والانكليز فيها حتى اغتر أميرها وحارب الانكليز فوقعت المملكة فى قبضتهم وخذلته الروسيا حيث تم لها جل

قصدها من حرب سنة ١٢٩٤ بتسليم الانكليز لها ومن عادات هاته المملكة أن يكون نحو عشر السكان عساكر دفاعية عن الوطن وفيهم المشاة والخيالة وهم غير منتظمين ولا يبقون في الخدمة العسكرية الا نوبا والاهالي تقوم بهم فان كل مقاطعة أو ولاية عليها مقدار معلوم من العساكر بما يلزمهم ثم هم يقسمون اللوازم على ما يقتضيه الحال فأصحاب الاملاك يقومون بالخيالة وغيرهم يقومون بالمشاة ﴿وأما الطوبجية﴾ فمنهم خيالة ومنهم مشاة وكلهم ملازمون للخدمة والدولة تقوم بهم وتجرى لهم مرتبات وحدث في جندهم بعض تنظيم على النوع الجديد منذ مدة قريبة وتقدير دخلها مجهول

الفصل * الرابع

﴿المملكة الرابعة هي مملكة بلوجستان﴾

وتسمى سابقا بالسند أي داخلة فيه وموقعها جنوبي المملكة السابقة وعدد سكانها نحو المليونين وهم متفرقون تحت رؤساء شتى وأعظمهم الآن خان كيلات والديانة الغالبة هي الاسلام على مذهب أهل السنة لكن كأنها بالنظر للغالب اسم بلا مسمى حيث كانت الغارات مستمرة بينهم وسفك الدماء يفتخر به سيما في الاقوام المشركين الذين بقوا في الجبال فهم لا يبقون هذا للسلمين وحيث كانت أراضي هاته المملكة رديئة وهواؤها ردئ وتجارتها قليلة لم يرغب فيها الانكليز ورضوا باستمالة رؤساء القبائل اليهم بعضهم بالارهاب وبعضهم بالارغاب وبما تقدم يعلم حال هاته المملكة

الفصل * الخامس

﴿المملكة الخامسة هي مملكة الهند الانكليزية﴾

وموقعها على شاطئ البحر المحيط الجنوبي الهندي وتتوغل في داخل القارة الى جبال هملاي وهي محاذية للمملكتين الاخيرتين في الذكر من شرقيهما وهي مملكة عظيمة جدا تشتمل على ما ينوف عن المائة والتسعين مليونا من النفوس منهم مسلمون نحو أربعين مليونا وازدادوا في السنين الاخيرة نحو خمسة عشر مليونا بدخول الاهالي في دين الاسلام طوعا عند وقوع المناظرات الآتي ذكرها والجميع تحت الاستيلاء الانكليزي غير ان بعضهم لهم استقلال في ادارتهم الداخلية وهم عدة ملوك وأمراء وعدد هاته الممالك

الممتازه

الممتازة ثمانية عشرة مملكة وسبب استيلاء الانكليز على هاتيك الممالك الرحيبة على وجه الاجمال ان هاتيك الممالك كانت فى القرون الاخيرة انقسمت الى امارات وملوك طوائف يتناصرون على مدى الزمان سيما بعد ضعف المملكة الاسلامية هنالك عند انقراض دولة السلطان محمد شاه فى أواسط المائة الثامنة هجرية الموافقة للمائة الرابعة عشر مسيحية فمن ذلك الوقت تزايدت المناقشات بين ملوك تلك الاقطار وزاد انقسامهم الى طوائف صغار مع ان نفس أجسامهم وخلقتهم ليست بمستعدة للحروب والاتعاب لانهم أناس نحاف الاجسام فيميلون الى الراحة والتنعم بالملابس الرائقة والمآكل الخفيفة والاستكثار من المال والجوهرات لاسيما أهل الاقطار الجنوبية لحرارة أقاليمهم بقربها من خط الاستواء ولهذا من قديم كانت سلطة الافغانستان متوالية عليهم من غربيهم وشمالهم فداموا على تلك الحالات التى سئمت منها نفوسهم وضجروا أشد الضجر لمباينتها لطباعهم وقد كان أهل البرتغال من الاوروباويين فتحوا السير على طريق رأس الرجاء الصالح من أوروبا الى الهند وتملكوا بعض مراكز فى تلك الجهات سنة (٩٠٣ ﻫ و ١٤٩٧ م) ثم قلدهم فى التجارة غيرهم من الاوروباويين حتى عقدت شركة انكليزيه للتجارة فى الهند وعينت أولا سفينتين عظيمتين شراعيتين ومحتويتين على قوات دفاعية للخوف مما عساه يطرأ عليها من تحرى أهل تلك الاقطار الذين كانوا يجهلون تفصيل أحوالهم لبعد المسافة وطول الطريق الذى هو رأس الرجاء الصالح وكان هذا فى سنة (١٠٥٣ ﻫ و ١٦٤٠ م) فنفقت التجارة الانكليزيه هنالك وكثرة خلطة الانكليز بالاهالى وتعرفوا أحوالهم بما سهل لهم التداخل فى سياستهم وتداخلوا فيها واليد لتلك الجمعية التجارية الى أن وقعت الحرب بين فرنسا وانكلترا فى سنة (١١٥٩ ﻫ و ١٧٤٦ م) فحينئذ ابتدأ النفوذ السياسى وأبطلت الشركة وتسلط الانكليز على بعض الشطوط الهندية مع النفوذ والوجاهة فى غيرها حتى ان بنباى أعطيت من الهنود مهر الكاترينة زوجة كارلوا الثانى ملك الانكليز فى عشرة الستين وسبعمائة والف أى حدود سنة ١١٧٥ والممالك التى استولت عليها دولة الانكليز بدون واسطة الشركة التجارية هى الممالك المعروفة بحكومة الخلجان ومنها جزيرة سيلان التى هى فى الجنوب الغربى من الهند وسكانها نحو ٢٣٧٥٠٠٠ وكذلك جهات الخلجان فالجميع استولت عليها دولة الانكليز بلا واسطة ولهذا كانت ادارتها هناك مخالفة لبقية ممالك الهند فلحكومة الخلجان ادارة منفردة تحت حاكم عام له

مجالس شورى ومجالس نواب للنظر في مصالحهم وتأليف ما يصلح بهم من القوانين وأعضاء هم كل ذي وظيفة في تلك الحكومة من الاهالي وأعضاء أخر من الانكليز بين توظفهم الدولة ثم الرئيس العام هناك يرجع نظره لوزير المستعمرات لا لوزير الهند ويخاطبه بدون واسطة الحاكم العام في الهند (وأما بقية) الممالك الاخر فقد أخذتها الدولة من الشركة المبارذ كرها ولم تزل سلطة الانكليز تتقدم هناك حتى استولوا على بنغالة في سنة (١٢٧١ هـ و ١٨٥٧ م) وازدادت حينئذ السلطة تقويا ونفوذا وامتدت في تلك الممالك حتى دخلت في حوزتها جميعها من غير كبير مشقة الى أن حدثت ثورة عامة شديدة هائلة من الاهالي وأوقعوا بالانكليز بين الذين هناك أشد وقعة في سنة (١٢٧٤ هـ و ١٨٥٧ م) حتى آيس الانكليز من تلك المملكة وأيقنوا بتقاص ظلهم منها لولا اغترار الافغانستان ومعاضدتهم للانكليز على قهر الهنود فقهروهم وقتلوا منهم خلائق لا تحصى ومثلوا بهم شر مثلة وعادت السلطة الانكليزية سلطة تامة ولم يحصل للافغانستان الا التسلط على سياسته ومملكته بما لم يستقر معه قرارا الى الآن ثم ان الانكليز لقبوا ملكة انكلترا بامبراطورية الهند في سنة (١٢٩٣ هـ و ١٨٧٦ م) وعقدوا له في الهند موكبا حافلا لم يسمع بنظيره وحضره كل ملوك الهند الذين تحت ولاية الانكليز وحيث كان من العجائب بمكان رأينا أن نثبت هنا ما ذكره أحد مراسلي الصحف العربية في شأن ذلك الموكب ونصه بينما الناس في فترة واذا بالانكليز اخترعوا طريقة أنتجت جملة فوائد لهم ولرعيتهم وهاك بيانها تفصيلا وهي تلقيب ملكة الانكليز بامبراطورة الهند فاهذا أجمعت جمعية عمومية من ملوك الهند ومن أمرائها في بلدة دهلي التي كانت قبلا تخت ملك ملوك الهند فبعد ان حضر جميع هؤلاء الملوك والامراء وأهل الثروة العظمى ونصبوا خيامهم الفاخرة خارج البلدة كثرت الناس من كل فج عميق الى دهلي ما بين متفرج وتابع وما بين تاجر وصانع وعامل الى أن غصت المدينة بالناس وصار المحل الذي أجرته عادة في الشهر خمس روبيات مائة روبية والعجلة التي تكرى عادة بربع روبية بعشرة روبيات فكأن السماء أمطرت والارض أنبتت بني آدم فان شارع دهلي عرضه أربعين مترا وكان المار فيه يخشى على نفسه من شدة الازدحام وجل هؤلاء الناس وصل الى دهلي بواسطة سكة الحديد فانها متشعبة في جميع أقطار الهند كتشعب عروق الجسد وهذه الجمعية الكبرى تسمى بلغة أهل الهند بالدربار فجميع ما شاهدته في هذا الدربار يعجز لساني عن بيانه وقلمي عن حسابه

وانما أشرح لك فصلين (أحدهما) في كيفية دخول حكدار الهند الى دهلى وكيف استقبلته ملوك الهند وأمراؤها وكيف مشوا في صحبته وانقادوا في موكبه وخلف ركابه ﴿والفصل الثاني﴾ في صورة الجلسة أي هيئة اجتماع الملوك وكيف ألقي عليهم خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالاحتفال والقبول ﴿أما الفصل الاول﴾ فهو أنه في السادس من ذي الحجة سنة (١٢٩٣) بعد الظهر بساعتين اصطفت العساكر الانكليزية البيض وهم في أحسن الملابس وبغاية النظام في الطول والاستواء من محطة سكة الحديد الى محل قيام الحكدار وهو مسافة ثمانية أميال وارتصوا من طرفي السوق الكبير من الجانبين فبعد الساعة الثامنة سمعنا صوت المدافع ايذانا بوصول الحكدار وشرع أول الموكب في المرور وكان أولهم فرقة من خيالة على خيل حمر بغاية الجسامة على لون واحد وسروج بلون واحد ولباس فرسانها بلون واحد وعددهم نحو الخمسمائة ثم تلتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بيض جسام كنظام ماقبلها ثم تبعتها فرقة أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل شهب في غاية الضخامة كنظام ماقبلها ثم أعقبتها سرية أخرى خيالة نحو الخمسمائة على خيل بلق كنظام ماقبلها ثم جملة أخرى على خيل شقر ثم أخرى على خيل صفر ثم وثم وثم الى أن مر نحو خمسة آلاف خيال جميعهم بغاية الأبهة ثم أقبلت الطوبجية ومعهم مائة مدفع خلف بعضها في غاية الضخامة وحسن النظام وحسن الآلات والعدد مع كبر الخيل وحسن هيئتها ثم أقبلت سرية الفيلة وأولها فيل عجيب الشكل أظنه أعلا فيل في أرض الهند ونابابه بارزان عن شدقيه نحو ذراعين وعليهما أطواق من الذهب حلية له وعليه تخت جسيم جميعه من الفضة الخالصة ورخت طويل الى الارض مرصع وعلى ذلك التخت اللورد ليتون حكدار الهند وهو رجل ضخم الجسم أحمر اللحية وكان على يساره زوجته وخلفه فيل مثله في الحلية عليه بنتان صغيرتان وخلفهم نحو عشرة أفيال أقل من الفيل الاول في الحلية وعليهم أتباع ذلك الحكدار وخدامه ثم أقبلت أفيال أخر نحو العشرة وجميعها بالحلى الفاخر وعليهم حكدار مدراس وأتباعه ثم جملة أفيال أخر نحو العشرة وعليهم حكدار بمباى وأتباعه ثم سرب أفيال أخر نحو العشرة عليهم حكدار لاهور ثم أفيال أخر عليهم حكدار السند ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرين وهي مركوب سلطان حيدر أباد وأتباعه ورخت الفيل الاول منها مرصع بالجواهر ثم فرقة أفيال أخر نحو العشرة عليها راجا جيت برا وزراؤه (وهكذا) ثم أقبلت أفيال خلف أخر عليها

ملوك الهند والراجات وعدد هم نحو التسعين وكانوا كلهم خلف الحكمدار بغاية الوقار والرزانة والخضوع والتؤدة ويقال ان عدد الافيال فى ذلك الموكب نحو ألف ومائتى فيل وليس فيها كلها اعلا من فيل الحكمدار (وهكذا) انتهى الموكب الذى لم يسمع بمثله منذ نزل (آدم عليه السلام) على جبل سرنديب ولا أظن أنه يحصل مثله وكان مبدؤ مروره من الساعة الثانية افرنجية الى الساعة الرابعة وانما قلت ان هذا الموكب لم يسمع بمثله لانا ما سمعنا أن ملكا من ملوك الهند المتقدمين أطاعه جميع النواب وجميع الراجات بدون توقف ولا مخالفة ولا توان أو أنهم مشوا خلفه فى موكبه وتحت ركابه وهو جالس بالتعاظم على فيل أعلا من جميع أفيال الدنيا وجميع الملوك ينقادون خلفه مع الادب والتؤدة واذا أمكن لاحد قياصرة أوروبا العظام وملوكها الفخام أن يحشر اليوم عسكرا مثل هذا العسكر ومدافع مثل هاته المدافع فمن أين له ألف ومائتا فيل تنقاد خلفه وعليها تسعون ملكا فوالله لو لم يكن للانكليز فى الشرق فخر الا هذا الموكب لكفاهم (الفصل الثانى) فى صورة الجلسة أى كيفية اجتماع الملوك وكيف ألقى عليهم الحكمدار خطاب امبراطورتهم وكيف تلقوه بالقبول والاحترام وكان ذلك يوم (١٤) ذى الحجة سنة (١٢٩٣) وهيئته نصف دائرة جنوبى ونصف دائرة شمالى وجميعه مسقف بالقماش وبين الشطرين طريق فاصل للمرور فالنصف الجنوبى عليه ملوك الهند أرباب التيجان وهو عبارة عن دكة مرتفعة بدرجتين عرضها نحو أربعة أذرع وطولها نحو مائة ذراع وعليها كراسى الملوك مصطفة بحسب رتبتهم والنصف الشمالى هو قسمان بينهما طريق فاصل وارتفاع الربعين نحو أربعة أذرع وله درجات للجلوس وفى وسط الدائرة دكة مرتفعة نحو أربعة أذرع مساحتها خمسة فى خمسة ولها مرقاة للصعود عليها فهذه الدكة الوسطى جلس عليها حكمدار الهند ووجهه الى جهة الجنوب جهة الملوك والربع الذى على يمينه جلس عليه الانكليز المتفرجون أرباب المناصب والربع الذى على يساره جلس عليه أعيان أهل الهند وأمراؤها غير أرباب التيجان وهم المدعوون للحضور وقطر هذه الدائرة نحو مائة ذراع وحولها دائرة أخرى كبيرة خالية عن الناس لها حاجز من درابزين خشب فاصل بين المتفرجين العوام وبين مجالس الامراء والمسافة بين الدائرة الداخلة والدائرة الخارجة نحو مائة ذراع ومن حول الدائرة الخارجة عسكر الانكليز نظاما وخيالة مرتصين فى ذلك الفضاء وعددهم بالتقريب نحو العشرين ألفا وأكثرهم من الانكليز البيض ومسافة ما بين المجالس

وما

وما بين دهلى ستة أميال فى صحراء واسعة بقرب جبل صغير يسمى جبل الفتح فاز الانكليز فتحوا دهلى من هذا الجبل سنة (١٢٧٤) ثم اجتمع الناس المتفرجون من كل فج عميق ما بين ماش وراكب حتى ملؤا ذلك الفضاء فصار من بيده تذكرة العزيمة يدخل فى الدائرة الداخلية ومن ليس بيده تذكرة يقف خارج الدرابزين الخشب ففى الساعة الثانية عشرة أقبل حكمدار الهند وهو لابس من فوق السترة والبنطلون جبة واسعة الاكمام وطويلة الذيل وهى أشبه بالفرجية التى تلبسها كبار العلماء بمصر ولونها رمادى وجميع أطرافها مطرزة بالذهب ومع الحكمدار زوجته ومن خلفه ابن السلطان لكهنؤ وابن أخى سلطان بنبال فى صورة خادمين فلما صعد على درج التخت رفع الغلامان أذيال جبته عن التراب الى أن استقر فوق التخت بجلساهما على كرسيين صغيرين خلفه وجلس هو على كرسى مذهب وزوجته على يساره ثم أخرج الحكمدار من جيبه ورقتين أعطاهما لرجل انكليزى جهورى الصوت فقرأ الاولى وهى باللغة الانكليزية ومضمونها ان الملكة لقبت بامبراطورة لهند وان جميع الامم ارتضوا بذلك ثم قرأ الورقة الثانية وهى باللغة الهندية ومضمونها مثل الاولى فعند ختامها قام جميع ملوك الهند وصاحوا بارك الله لها فى هذا اللقب ونحن أيضا جميعا راضون بذلك فأطلقت المدافع من طرف عساكر الانكليز ومن طرف ملوك الهند واشتغلت آلات الموسيقى بأحسن الالحان وانفض المجلس فى الساعة الواحدة فكانت مدة جلوس الملوك نحو ساعة ومدة جلوس الحكمدار وقراءة الورقة نحو ربع ساعة ثم نورت جميع البلدة ليلتين جرى فيهما من ألعاب البارود ما يعجز عن تصوره وكيفية وصول ملوك الهند ※ الى الدربار أن كل ملك قدم بعساكره من أبناء جنسه وبمدافعه فلما وصلوا الى محل الجلوس دخلت الملوك وجلسوا على كراسيهم تجاه الحكمدار ووقفت عساكرهم وأفيالهم خارج الدائرة وعددهم نحو التسعين ملكا وهم مرتبون بحسب العدد (وهكذا) المدافع التى كانت تقابلهم بالسلام عند قدومهم أعنى انه عند قدوم ملك حيدر أباد على قلاع الانكليز أطلقوا له واحدا وعشرين مدفعا ولراجا برودة كذلك ومثلها لراجا جيتمور وتسعة عشر لراجا كشمير وثلاثة عشر لنواب رامبور غالب على خان لان رتبته بالنسبة لاقرانه هى العدد الثانى والخمسون (وهكذا) يتقهقر العدد فى مدافعهم الى آخرهم وهم نواب دجانة اذ لم يطلق له سوى ستة مدافع فكانت كثرة الاطلاق باعتبار كبر دولتهم وكثرة ايرادهم واتساع دائرتهم بالحرية والتصرف المطلق

❁ وأكثر ملوك الهند من الوثنيين أما المسلمون فاهم خمسة عشر ملكا ثم ان الانكليز
❁ استفادوا من هذا الدربار ثلاث فوائد (احداها) انهم جعلوا أهل الهند وملوكها رعية لهم برضاهم واختيارهم لا بالسيف وطريق التغلب كما مر في الازمان السابقة (الفائدة الثانية) انهم جمعوهم ليختبروا حالهم من جهة المال والقوة العسكرية وهل عندهم أسلحة جديدة يخشى بأسها أولا فوجدوهم على الحالة الهمجية القديمة في الاسلحة وآلات الحرب حتى ان بعضهم كان لعساكرهم البنادق والفتيلي أي المشادلي وبعضهم يحمل القوس والنشاب والرمح وبعضهم يلبسون الدروع والخود على العادة الجاهلية فاطلعوا على قوتهم وعرفوا انهم ماداموا يجهلون الاسلحة الاوروباوية فلا يمكن للخناس الذي وسوس للصرب ان يوسوس لهم (الفائدة الثالثة) أن تجار الانكليز ربحوا من هذا الدربار عشرة ملايين ليرة لما حصل عنه من رواج التجارة ونفاق السلع حتى فاق على معرض باريس في زمن نابليون حيث جلب اليه من كل غريبة ونادرة وعجيبة فان عدد تذاكر سكة الحديد التي بيعت الى السفر الى دهلي بلغت نحو مليونى تذاكرة وبعض الوفود رحل من محل بعيد عن دهلي مثل أهل كلكوته وأهل مدراس وأهل السند وأهل عباى وأهل بشاور وكان بعضهم يركب في الدرجة (الاولى) وبعضهم (في الثانية) وبعضهم (في الثالثة) فالدرجة (الاولى) أجرتها نحو (عشرين) جنيها والدرجة (الثانية) أجرتها نحو (عشرة) جنيهات والدرجة (الثالثة) نحو (ثلاثة) فاذا ضربت القليل في الكثير والقريب في البعيد كان المدفوع من مليونى نفس ثمانية ملايين ليرة وجميع ملوك الهند حضروا ذلك الدربار امتثالا لاوامر الحكمدار ماعدى ملكة تجاور فانها اعتذرت بأنها في حالة الولادة ونواب وأمير وغالب على خان فانه تعالل بأنه مريض بداء البرص وأنه لا يمكنه الحضور في مجمع الملوك
❁ لئلا تنفر طباعهم منه (انتهى) ثم زار تلك الممالك ولى عهد مملكة انكلترا واحتفلوا به وهادوه بهدايا نفيسة ملوكية يأتي الكلام عليها في الكلام على معرض باريس من المقصد ثم ان استيلاء الانكليز كما تقدم كان شيئا فشيئا فبعض الملوك والامراء سلموا اليه السيادة وابقاهم على ولايتهم عند قصده لهم بالحرب وأبقى لهم ما يكون من المال والجوهرات في خاصة ذاتهم وبعض التصرفات والتصرف الحقيقي بيد الانكليز سواء كان في الادارة المالية أو السياسية (وأما العسكرية فالكل عساكر تحت أمره وكثيرا ما تأتى

العساكر

العساكر الانكليزية لارهاب الولاة والملوك واخضاعهم فالتصرف حقيقة للانكليز
لكن للملوك الابهة والاسم بحيث ان التصرفات تنسب اليهم بالاسم كما ان بعض
الملوك والامراء طلب الدخول لما رأى العواقب آيلة اليه فلذلك لم تزل الى الآن
ممالك مستقلة بارادتها تحت ولايته فمنها ما يؤدى له خراجا ومنها ما يأخذ الملك وحكومته
مقدار ما يكفى للقيام بمصالحهم وما بقى يرجع الى حكومة الهند العامة وتصرفهم على نحو
ما سبق وقد قسم الانكليز تلك الممالك الهندية عدى حكومة الحلمان المتقدمة الى
(ثلاثة) أقسام كبيرة فالقسم (الاول) مملكة بنغالة وقاعدتها كلكوته وهى مقر
الحاكم العام ويتبع هذا القسم من الممالك الممتازة بالادارة (احدى عشرة مملكة
فأولها) مملكة نيزام وهى واقعة فى وسط أرض دكين بين مملكة بنباى من غربها وبين
مملكة مدراس من شرقها وتخت هاته المملكة مدينة حيدر اباد التى سكانها نحو
أربعمائة ألف نفس والانكليز ساكنون فى بلدة صغيرة من غربها تسمى سكندر اباد
وبهاته المملكة بلد تسمى أهور بها معابد عجيبة تحت الارض دالة على مهارة مهندسى
ذلك العصر عندهم وسكان هاته المملكة نحو عشرة ملايين وملكها من الهنود وله
زيادة استقلال فى ادارته على الممالك التابعة للانكليز ويؤدى لهم خراجا معينا سنويا
وهى مملكة اسلامية (وثانيها) بوندلكندو بها عدة خانات كل خان يحكم على
قبائل وجهات خاصة وعدد سكان هاته المملكة الموزعة على الخانات نحو ستة ملايين
ولكل خان مركزه وتخت حكومته (وثالثها) مملكة بوبول ولها ملك أيضا وسكانها نحو
سبعمائة ألف وسبعين ألفا وتختها بوبول (ورابعها) مملكة شنديا ولها ملك أيضا وسكانها
نحو مليونين ونصف وفى هاته المملكة بلدة أوجين التى تعبرها الهنود مبدأ خط الطول
وتختها كواليور (وخامسها) مملكة هلكار ولها ملك أيضا وسكانها نحو ستمائة
ألف وتختها اندور وهاته الممالك الاربعة الاخيرة فى الذكر كانت هى مملكة
المهرجات سابقا (وسادسها) مملكة راجابوتان ولها ملك وسكانها نحو سبعة ملايين
وتختها أوديبور (وسابعها) مملكة بهوبال ولها سلطانة اسلامية بالوراثة للملك من
آبائها وزوجها مباشر للتصرفات بالنيابة عنها وهو رجل عالم كما ذكرنا فى غير هذا
المحل وسكانها نحو ستمائة ألف وتختها بهوبال (وثامنها) مملكة لادك ولها أمير
وسكانها نحو مائة ألف وسبعين ألفا من الانفس وتختها لادك (وتاسعها) مملكة
بلتستان ولها ملك له زيادة امتياز فى الادارة وسكانها من المسلمين وقاعدتها على نهر

السند تسمى اسكر ودو وتسمى هاته المملكة أيضا ببلاد البلتسى (وعاشرها) مملكة
كاوودو وهى صغيرة وعدد سكانها قليل ولها أمير (وحادى عشرها) مملكة سيرمور مثل
❋ المتقدمة عليها وتختها نحمين (والقسم الثانى) من الاقسام الكبرى هو ممالك بونباى
ويتبعه من الممالك الممتازة خمس ممالك (فأولها) مملكة كاش وتختها بوهيج
(وثانيها) مملكة كانى وتختها كانباى (وثالثها) مملكة كوى كووا وسكانها
نحو مليون وثمانمائة ألف نسمة وتختها باردوه (ورابعها) مملكة ساوندوارى وتختها
❋ ساوندوارى (وخامسها) مملكة كولابور وتختها مدينة كولابور (والقسم
الثالث) من الاقسام الكبرى هو ممالك مدراس ويتبعه من الممالك الممتازة اثنان
(فأولها) ميسورا وتختها ميسورا وسكانها نحو ثلاثة ملايين (وثانيها) مملكة
اتراونكور وعدد سكان هاته المملكة مليون وثلاثمائة ألف نسمة وتختها بالداتريفان
ديرام ولكل حاكم مستقل بامتياز فى الادارة على نحو ما تقدم ذكره فما تقدم هى الاقسام
الكبرى التى لكل منها أقسام صغرى تحتها وممالك ممتازة ترجع اليها كما انه يوجد
أربعة أقسام صغرى ليست داخلة تحت الاقسام الاولى وانما لها ادارة منفردة تحت
نظر الحاكم العام الانكليزى وهى أقسام أربعة داخلة بتا تحت الانكليز وادارتها
بيدهم مثل الاقسام الكبرى وهاته الاربعة أقسام (أولها) المسماة بولاية الشمال
الغربى (وثانيها) المسماة اود (وثالثها) المسماة بنجاب (ورابعها) المسماة
بالولاية الوسطى كما تتبع ممالك الهند الانكليزى مملكة كشمير لكنها لما
كان لها زيادة امتياز ذكرناها منفردة وسيأتى الكلام عليها والممالك الممتازة ان كانت
اسلامية فرئيسها يلقب بنائب لانهم فى السابق كانوا نواب السلطان المسلمين الذى تحته
بالدهلى وان كانت الممالك غير اسلامية فرئيسها يلقب براجا هذا (واما كيفية)
❋ الادارة السياسية والعسكرية فى جميع الممالك الهندية فان جميع الاقسام ترجع الى
حاكم عام انكليزى يرتبط مع دولة انكلترا بواسطة وزارة الهند فى لوندره ثم هو فى نفسه
قد وظفته دولته بهذا الاسم فى (سنة ١٢٧٥) هـ و (١٨٥٨ م) ورتبت للهند
قانونا خاصا فمن مهمات كلياته أن الحاكم العام له النظر العمومى على أقسام المملكة كلها
وما يتبعها وتصرفه مقيد بمجلس شورى مركب من أعيان الانكليز المقيمين فى الهند ومن
أحد كبراء الاهالى وهذا المجلس والرئيس عليه الذى هو الحاكم العام تحت احتساب
مجلس الندوة فى لندرة ومسؤول له والواسطة بين الدولة والحاكم العام هو وزير الهند

فى

في لندره وله في الوزارة مجلس عدد أعضائه خمسة عشر وكاتبان ومن حقوق مجلس الهند المذكور انشاء القوانين العامة في الهند وتنظيم الادارة السياسة والعسكرية وانشاء الاحكام العامة وما ينشؤه هذا المجلس اذا وافق عليه مجلس الندوة في لندره يصير معمولا به في ممالك الهند ثم لكل من الاقسام الثلاثة الكبرى المذكورة حاكم خاص ومجلس شورى مركب من أعيان الاهالي وأعيان الانكليز تحت رياسة الحاكم ومن وظائف هاته المجالس انشاء قوانين الاحكام الخاصة بقسمهم وعرضها على الحاكم العام وبعد نظره هو ومجلسه فيها والتصديق عليها يرفعها الى الندوة بلندره كما تقدم كما أن للمجالس الثلاثة المذكورة الاحتساب على سيرة الحكام في قسمهم والنظر على الضابطية المكلفة بالامور السياسية والاحوال العرفية ولهم النظر على الملوك والامراء الراجعين الى قسمهم كما أن لحكام هاته الاقسام المقيد تصرفهم بالمجالس قوة على التنفيذ بواسطة القوة العسكرية ثم لكل قسم ولايات فرعية ومنها الممالك والامارات المستقلة وكل من هاته الولايات لها مجالس ادارة تحت رياسة الوالي أو الامير أو الملك ويتصرف بمشاركة نظر المجالس في الادارة السياسية والمالية والعسكرية والمتوظفون يكونون بحسب أهالي الولاية اما من مسلمين فقط أو هنديين فقط أو مختلطين والتصرفات الصادرة من هؤلاء سواء كانت حكمية أو سياسية أو مالية يمكن رفعها لمجلس القسم الراجعة الولاية اليه وله تحقيق النظر في النازلة على قواعد عندهم في ذلك وهكذا الاحكام الشخصية في كل ولاية لها مجالس وقوانين يتصرفون بمقتضاها وهاته القوانين قواعدها الكلية هي قواعد أحكام الانكليز غير أن لكل ولاية قوانين خاصة مطابقة للعوائد والعرف المتعارف فيها أما ما يرجع الى الزواج والارث والملك فان الاهالي تجرى عليهم أحكام دياناتهم بواسطة مجالس من أهل الديانة ويمكن رفع أحكامهم الى مجلس الولاية ومنه الى غيره الى ان ينتهي الى المجلس العام والديانات التي لها متوظفون هنالك من الدولة هي الديانة الاسلامية والبرهمية وما أشبههما من الديانات المجوسية والوثنية ولهم خرافات مبسوطة في كتب الكلام والسكان الآن مختلطون من عرب وفرس وأوروباويين وهنود أصليين والمعارف عندهم الآن في تقدم سيما العلوم الكيماوية والحكمية لفتح الانكليز هنالك المدارس مشتملة على ما في أوروبا من المعارف واقتدت بهم الاهالي حتى ضعفت تجارة الانكليز بما ينتج من مصنوعات البلاد والعلوم الاسلامية نافقة السوق ولها فحول مؤلفون منهم سلطان بهوبال الذي طبع الآن

من تأليفه فى مطبعته ومطابع الممالك العثمانية كثير من تأليفه فمنها تفسير للقرآن سماه فتح البيان فى مقاصد القرآن نحا فيه التوسط بين المنقول والمعقول ومنها المحصول فى علم الاصول ومنها القطة العجلان فيما تمس الى معرفته حاجة الانسان وهو كتاب بديع فيه تحرير كثير من المسائل الاصولية والكلامية والفرعية وله عدة تآليف أخرى وهذا العالم الملك هو من نوادر هذا العصر فانه مع اشتغاله بمهام السياسة التى تقلدها بالنيابة عن زوجته سلطانة تلك المملكة قد تبحر فى الفنون العلمية سيما الشرعية وآلاتها وفصاحته فى نسج تآليفه يحمده عليها أهل اللغة العربية وعلى الخصوص فى هذا الزمن الذى كادت أن تتلاشى فيه اللغة والعلوم من الامة الاسلامية ومن فحول علمائهم فى هذا العصر الشيخ العلامة رحمة الله صاحب تأليف اظهار الحق الذى ألفه بسبب مجادلات دينية فتح بابها قسيسوا البروتستانت راغبين دعوة أهل الهند المسلمين الى ديانتهم فأفضى الحال الى مناظرتهم مع الشيخ المذكور وآل الحال الى مناظرتهم بالتأليف فأفحمهم بتأليفه المذكور مستندا فى الرد الى كتبهم وأقوال علمائهم بما ينبئ عن اتساع باعه واطلاعه وهذا التأليف قد ترجم الى الفرنساوية وغيرها من اللغات وهو بديع فى بابه وقد صار الآن عزيز الوجود مع انه طبع مرتين وشاعت منه آلاف من النسخ وفى هاته المملكة علماء أخر (ولله الحمد) كما أن لاهاليها تقدما فى الحذق والصناعات سيما النقش والترصيع فى الخشب والعاج من قديم الزمان ومنسوجاتها وطرازها شائع فى أغلب الاقطار كما ان أهاليها هم الذين اخترعوا الارقام الحسابية ولذلك تسمى بالارقام الهندية الى الآن وهو اختراع عجيب شمل جميع الاعداد فى تسعة أشكال ويكفى دلالة على ما كان عندهم من الحذق فى الصنائع المعابد التى فى جزيرتى الفيلة وسالسيت الكائنتين قرب بنباى فان تلك المعابد منحوتة فى الصخر نحتا عجيبا فى الصناعة والاتقان كما أنه فى ايالة بجابور فى جبل نحات مدينة فيزيابور التى كانت تخت الملك المسلمين هنالك وفيها بناآت بديعة والآن خربت وهاته المملكة لما كانت متسعة جدا فهواؤها مختلف ولكن تغلب فيها أمراض تقل فى غيرها وتشتمل على أغلب النباتات المعروفة فى غيرها ولها نباتات تختص بها كالقمارى والجوز الطيبى وغيرها وقد امتدت فيها الآن طرق الحديد تخترقها فى أغلب الجهات كما أن المواصلات فى أنهرها العظيمة متوفرة بالسفن كما أن الطريق الحديدى اخترق أهم جهاتها ودونك أهم ما وصل اليه ... فرع من كلكوته الى دكة ومنها الى ميرزابول ومنها أيضا الى دهلى ومنه الى أباد الى

بنباى

بنباى ومنها الى كوراتشى ومنها أيضا الى مدراس ومن هاته الى بيهول ومنها الى نيهفاباتام ومن مدراس الى كلكوته ومن كوراتشى الى حيدرأباد ومن ملتان الى لاهور ومنها الى بيشاور ولازالوا يمدونها فى أغلب الجهات حتى قربت الى حدود الافغانستان ويمكن ان تصل الى الصين والممالك العثمانية اذ التفكر فى ذلك مستقر بحيث ان السفر الآن فى الهند مع الامن فى غاية سهولة الموصلة بالطرق الحديدية والعادية والانهر والترع كما ان السلك الكهربائى واصل بعضها ببعض كما وصلها بأوروبا بحيث ان انكلترا تصل لها الاخبار من الهند على ثلاثة طرق (فاولها) من الهند الى خليج فارس الى الممالك العثمانية الى بقية أوروبا (والثانى) من لندره الى جبل طارق الى مالطه الى السويس الى عدن الى الهند (والثالث) من لندره الى فرنسا الى الجزائر الى مالطه الى البقية مما تقدم ولا يبعد أنه يصل أيضا على طريق رأس الرجاء الصالح فانه وصل من لندره الى هنالك ومنه الى زنجبار فلم يبق الا منها الى الهند ومن أخشابها المنفردة بها عود القمارى وأما قوة هاته المملكة الحربية والمالية فستأتى ان شاء الله فى جدول الدول

الفصل * السادس

(المملكة السادسة)

هى مملكة بورما وهى الى الشمال الشرقى من المملكة السابقة وعدد أهلها نحو ثلاثة ملايين ونصف وديانتهم بوذية مشركون وحكمهم استبدادى مطلق وهم اهل مكر وخديعة وليس لهم ولوع الا بعلم النجوم والارصاد والسحر وأكثرهم يعلم القراءة والكتابة ولاراضيهم نتج حسنة وتجارة واسعة مع مجاوريهم من الهند والصين وقاعدة المملكة مدينة آفا فى القديم والآن مدينة منللاى والداخل اليهم يكون فى قبضة البخت من حكامهم وان كان الانكليز فى هاته الازمنة مرشدا اليهم بعد أن أخذ منهم قسما فى سنة (١٨٢٥) وقد صار يأمرهم بالعدل حتى انكر على ملكهم فى سنة (١٢٩٦) قتله لثمانين نفسا من الرجال والنساء والاطفال شرقتلة وهم من عائلات الملك وكاد ان يقدم معه حربا لاجل استتباب الامن جوار الهند ودخل هاته الدولة ونحوها مجهول وقوتها من النوع الهمجى وكأنها لاتلبث ان تدخل فى حكم الانكليز

الفصل السابع

﴿المملكة السابعة﴾

مملكة سيام او صيام وهى جنوبى المملكة السابقة وشرقى بقية المملكة الهندية الانكليزية وعدد أهاليها مع ما يتبعها فى جزيرة ما لقا وغيرها نحو ستة ملايين ونصف وديانتهم وحكمهم مثل المملكة السابقة ومعارفهم أقل من سابقيهم لكنهم يوصفون بالامانة وتجارتهم من معادن بلادهم الغنية مع الهند والصين والاوروباويين وقاعدة المملكة صيام فى القديم والآن مدينة بانجوك والدخل والخرج والقوة كلها مجهولة وهى فى القوة على غير نظام

الفصل الثامن

﴿المملكة الثامنة﴾

هى مملكة كوشين الصين أو أنام وهى شرقى المملكة السابقة وعدد أهاليها قبل استيلاء الفرنسيس على قسم منها ما بين اثنى عشر مليونا الى ستة عشر مليونا لكنها الآن نحو تسعة ملايين وقاعدتها مدينة اووى و بلسان الهنود فوشواش وقيل وهو الاصل مدينة هو يفوو وهى مربعة الشكل يحيط بها نهر وهو من جانبين وترعة من الجانبين الآخرين عرض هذه الترعة سبعون ذراعا وكل ذكر عندهم ملزوم بالدفاع عن الوطن من سن العشرين الى الستين ولهم خلق بشوش ولبس النساء والرجال سواء وهو سراويل وجبة الى الكعب والرجال لا يزيلون شيأ من شعورهم واظافير بطونها ومن عاداتهم اباحة السكر ولا ديانة عندهم وانما يعتقدون خرافات كثيرة والنسوة لا يحتجبن و يتعاطين الاشغال مثل الرجال وملكهم له اعتناء بتعليم الاهالى العلوم الرياضية و يرسل خمسة عشر تلميذا من أبناء أعيانهم الى فرانسا للتعلم فى مدارسها وعند رجوعهم يعوضهم بغيرهم وهم يبثون علومهم فى الاهالى و بعد استيلاء الفرنسيس على قسم من مملكته صار محافظا على موالاتهم وحفظ عهودهم حتى ارسل سفيرا مخصوصا لباريس مدة ولاية الرجل الشهير تيارس رياسة الجمهورية الفرانساوية كما رتب هذا الملك جيوشه

على

على الطراز الاوروباوى وستأتى قوّته العسكرية فى جدول الدول وأما المالية فمجهولة ✽
وأما العادات الحكمية فلا تخرج عن عادات الممالك السابقة

الفصل ✽ التاسع ✽

✽ المملكة التاسعة ✽

مملكة كمبوديا وهى غربى بعض المملكة السابقة وجنوبى بعض صيام وعدد أهاليها نحو ✽
مليون وقاعدتها مدينة سايكون فى القديم والآن مدينة بنوم بنه ويقال فى دياناتهم
وحكمهم وقوّتهم ماهو واقع فى الممالك المجاورة لهم وقد استولى الفرنسيس على قسم
من هاته المملكة عند مصب نهر كمبوديا وقد صارت هاته المملكة تحت حماية فرانسا منذ
سنة (١٢٨٠ هـ و ١٨٦٣ م)

الفصل ✽ العاشر ✽

✽ المملكة العاشرة ✽

هى مملكة ملقا وهى شبه جزيرة الى الجنوب من مملكة صيام ويحيط بها البحر من جميع
بقية الجهات وعدد أهاليها نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألف نسمة والديانة الغالبة فيها ✽
هى الاسلام وحكمهم الصورى ملك مستقل مستبد لكنه قليل النفوذ وأغلب القبائل
تعيش بحرّيتها تحت رياسة كبرائها وكل قبيلة تدافع عن نفسها ولذلك بعدها
الجغرافيون منقسمة الى أربعة قواعد (الاولى) براك (والثانية) سلنكور
(والثالثة) جوهر (والرابعة) باهنك وأراضيهم غير مخصبة لكنها فيها معادن غنية
وأشجار الافيون كثيرة فتجارتهم فيه مع الصين واسعة وقد استولى الانكليز على جهات
من هاته المملكة منها مدينة ملقا

الفصل ✽ الحادى عشر ✽

✽ المملكة الحادية عشرة ✽

هى مملكة الصين وهاته المملكة هى أكثر ممالك العالم سكانا وأغناهم لاحتوائها

على أقاليم مختلفة ففيها جميع أنواع النبات والمعادن وتجارتها متسعة مع جميع الاقطار ولاهلها شهرة قديمة فى الصنائع وأهمها صناعة الخزف فانها اشتهرت باتقانه على جميع النواحى فيتنافس الناس فى اقتناء أوانى الخزف الصينى تنافسا كليا وبعضهم يبلغ به درجة خارقة للعادة وللاعتدال سيما فى أوروبا حتى تجد الواحد منهم يزين بيته بترصيف تلك الاوانى التى تتكلف عليه بمئات الالوف وكذلك ملوك الهند وماوالاه يتنافسون فى اقتناء الرفيع من أوانى ذلك الخزف وقد يبلغ ببعض الناس اشتراء صحن واحد بالف فرنك فما فوق وعلى وجه العموم كل الناس يرون رقته وحسنه غير أن هاته الصناعة الآن انحطت فى هاته المملكة عما كانت عليه بكثير لعدم الاتقان السابق فالتنافس والتغالى انما هو فى الخزف القديم وله صفات كثيرة تميزه عن غيره فمنها انه هو وان كان كثيفا لكن النور يظهر من ورائه ومنها أنه اذا ضرب عليه يكون حسن طنينه كانه طنين معدن مطرق من المعادن العزيزة ومنها حسن الالوان فيه كما أنهم لهم اتقان فى صناعة النقش والتصوير فى سن الفيل وغيره (واما المعارف والعلوم) فالظن انهم كانت لهم فى القديم فنون كثيرة وبقيت فيهم الدعوى فقط بحيث يرون انفسهم أعلم أهل الارض لكن فى الواقع ليس لهم الاشئ من الحكميات والنجوم مغرمون باستخدامه فى علم الغيب وأشباهه مما لا طائل تحته وحدث فيهم أخذ بعض الطبيعيات من الاوروباويين واستخدموها فى منافعهم كالبخار والكهرباء لكن لم يتجاوزوا الى الآن المقدار الذى أخذوه ولم يخترعوا شيأ فيه وقد كانوا اكتشفوا بيت الابرة وقد أثبت بعض المؤرخين أنها من اختراع العرب كما أن أهل الصين اخترعوا البارود ولم يعرف انهم استعملوه فى حرب قبل استعماله فيها عند غيرهم وانما كانوا يستعملونه للاصلاح كدك التلال وغيره وان وجد من آثار سلاحهم قديما مايدل على أنهم كانوا يستعملونه فيه وأول ماعرف البارود فى جهاتنا من العرب سنة (٧٣٧) هجرية وموقع هاته المملكة من مبدأ الشطوط الشرقية من آسيا على المحيط الشرقى الى ان تتصل بأملاك الروسيا ومن الجهة الجنوبية تبتدئ من جبال هملاى الى سيبريا من جهة الشمال فهى حينئذ تحاد الهند من شماليه وماوالاه من الممالك الشرقية منه وعدد سكان هاته المملكة نحو الثلث من سكان العالم كله وهم على ماتحرر فى سنة (١٢٨٦ هـ و١٨٦٩ م) قريبا من خمسمائة وسبعة وثلاثين مليونا من النفوس وهذا المقدار يساوى نحو الضعف من سكان أوروبا كلها ومع هاته الكثرة التى

هم عليها كانوا فى السالف لا تكاد تجد منهم خارج مملكتهم الا النادر القليل لاعجابهم بأنفسهم ولان اصطلاحات أحكامهم تمنع الخروج من الوطن الا باذن خصوصى مع التشدد فيه حتى يتبين وجه أكيد لمريد السفر ثم مع ذلك اذا غاب المسافر عن وطنه مدة ثلاث سنين يمنع من العود اليه والدخول فيه كما ان من احكامهم منع دخول أجنبى الى أرضهم الا برخصة مخصوصة فاذا نالها كان أين ما حل مكرما محروسا (وأما) اذا دخل بغير رخصة فلا يأمن على نفسه سيما من الحكم وقد بقوا على هاته العوائد الى أواسط هذا القرن ثم اطلق الاذن لمن يريد السفر فصار يخرج منهم الكثير الى الهند وجزائره والى امريكا والخارجون لهم براعة فى التجارة وتكاثر الخارجون لضيق الارض بهم حتى انهم فى وطنهم يضطرون الى السكنى على الالواح فى الشطوط بل انهم يجعلون على الالواح بساتين لان الارض لا تكفيهم لكثرتهم واتقانهم لتعميرها بالفلاحة حتى انهم يعملون من أنواع السرقين ما لا يعلمه غيرهم الى الآن وهذه المملكة تنقسم الى ثمانى عشرة ولاية تسمى كل واحدة منها بلغتهم سنقا (وأولها) المحتوية على تخت السلطنة تسمى باكنغ أو باوتاشى أو بى و يبلغ عدد سكانها أربعين مليونا ثم ان كل ولاية تنقسم الى أوطان يقال للواحد منها بلغتهم فو وكل وطن من هاته ينقسم الى أجزاء يسمى كل واحد منها تشيو ثم كل جزء ينقسم الى أقسام متعددة صغار تسمى هيان وكانوا يمنعون اقامة نواب الدول الاجانب فى مملكتهم فضلا عن قاعدتها وحيث كانت دول أوربا فى هاته القرون الاخيرة لهم مزيد الاعتناء باتساع تجارتهم طلبوا من تلك الدولة الاذن لتجارهم بالاشتغال فى المملكة والاقامة بها كما يقيمون سفراء لهم عندها وبعد مشقات شديدة حصلوا على الرخصة فى وفود تجارهم لكن بخصوص مراسى معلومة على البحر وكذلك السفراء على شرط أن لا يبيت أحد منهم فى البلد أو فى البر وانما يبيتون فى سفن حول الشاطئ ثم فى أواسط هذا القرن أرادت الدول زيادة اتساع الخلطة والتقدم فى الالتحام بأن يكون لتجارهم الدخول الى دواخل المملكة مع التعهد من الدولة بحمايتهم وأن يكون سفراؤهم يقيمون فى قاعدة المملكة وحيث كان أهل الصين أشد الناس محافظة على عوائدهم امتنعوا من ذلك وجرت من تجاسر الاوروباويين مهاوش قتل فيها منهم كثير ممن وجد فى مراسى المملكة مخالفا لما أذن له فيه فتعصبت حينئذ دولتا انكلترا وفرنسا على محاربة الصين وحاربوهم فما كانت بضع أشهر حتى وصلت عساكر أوروبا الى قاعدة المملكة وعقدوا صلحا على نحو ما طلبوا وبهذا يتبين للمطالع حالة أهل المملكة فى

الشجاعة والفنون الحربية لانهم مع كثرتهم المفرطة قهرتهم دولة الانكليز والفرنسيس بعساكر قليلة لما لا يخفى من كثرة البعد بين أوروبا والصين سيما وقد كان ذلك قبل فتح خليج السويس الذى سيأتى الكلام عليه فى المقصد ان شاء الله تعالى فكان طريق الوصول انما هو رأس الرجاء الصالح نعم ان لكل من الدولتين مراكز حربية فى الهند لاسيما دولة الانكليز التى مملكتها فى الهند أعظم من مملكتها فى أوروبا لكن هم بلغوا ما بلغوا فلو كانت دولة الصين على كثرة سكانها لها الاستعداد الحربى مع الرجولية فى السكان لامكن لهم الفيضان على جميع العالم فضلا عن المدافعة عن نفسها وكان السبب فى عدم اقتدارهم كثرة استعمال الافيون الذى هو مصيبة عامة فيهم وتبالغ بعضهم مبالغ نسئل الله تعالى منها اللطف والحماية غير ان هاتيك الخلة لا تعم جميع

* أقسام المملكة وذلك ان هاته المملكة الرحيبة تنقسم الى ثلاثة أقسام كبرى (الاول) منشورية وهو الجهة الشمالية الشرقية من المملكة (الثانى) المقاطعات الثمانى عشرة وهو الجهة الشرقية والوسطى من المملكة وهو الصين الاصلية وتغلب عليه أهل القسم الاول ثم تغلبوا على القسم (الثالث) وهو الاملاك الاضافية مثل المنغول والتبت وغيرها وصار الجميع مملكة واحدة معروفة بالصين فأهالى الصين الاصليون هم الذى تغلب فيهم الصفة المتقدم ذكرها وأما المنشورية والمنغول وغيرهم فانهم أقوياء وأشداء لاسيما التتر المنغولى (ولهذا) كانت السلطنة لغير الصينيين الاصليين ولما تفطنوا فى السنين الاخيرة لما لحقهم من قهر الاروباويين لهم مثل ما تقدم من جهة انكلترا وفرنسا ومن جهة أخرى قهر الروسيا لهم من جهة الغرب الشمالى وحمايتها البعض ممالك التتر المنغول منهم جددوا الآن فى الاستحضارات الحربية حتى روى بعض الاوروباويين عنهم انهم احدثوا ترتيبا فى القوات الحربية يمكنهم من احضار خمسة ملايين من العساكر تحت السلاح وشرعوا فى الاستكثار من الآلات الحربية وجلبها من أوروبا على الطراز الجديد كما فتحوا معامل فى ممالكهم لاجل ذلك وكذلك القوات البحرية استحضروا منها فى ممالكهم معامل لاجل السفن والمدرعات والتربيد واستصنعوا فى أوروبا كثيرا منها فان تم استحضارهم على نحو ما تقدم يمكن ان يصيروا

* على حالة الهجوم بقوات مهجمة (واما الديانة) فانهم ليسوا على دين واحد بل على (ثلاثة أقسام) كبرى ﴿أولها﴾ وأقدمها الدين الذى أسسه حكيمهم المسمى عندهم بوو وقيل انه كان أول سلطان فى عائلة هيا وذلك قبل هذا التاريخ بنحو أربعة

آلاف

آلاف سنة وعقائد هذا القسم وفروع عباداته لهم فيها تآليف يعتبرونها كأنها كتب سماوية وفي القرن السادس عشر قبل التاريخ المسيحي هذب لهم تلك الديانة حكيمهم المسمى كنفوتسي ومضمون هاته العقائد الاقرار بالخالق سبحانه وتعالى وبالحشر ومن أخلاقهم السماحة ولا يغصبون على ديانتهم أحدا ولا يحتقرون ديانة من خالفهم ✻القسم الثاني✻ هو الدين الذي أسسه حكيمهم لاوتسو ومضمون عقائدهم القول بالتناسخ وعدد أتباع هذا الدين نحو مائة مليون ✻القسم الثالث✻ الدين الذي أسسه حكيمهم المسمى فواوصا كما أو بدهة ويعرف بالمذهب البدهي وكان أول ظهوره أواسط القرن السابع قبل الميلاد وعندهم من الكتب تآليف عديدة منقسمة الى مجموعين (احدهما) يقال له عندجور وهو مائة وثمانية مجلدات والثاني يسمى دندجور وهو مائتان وأربعون مجلدا ويوجد من كل منها نسخة تامة بمكتبة باريس الكبرى قيل ان المجموع (الثاني) اشترته دولة الفرنسيس بأربعين ألف فرنك كما أنه يوجد أقسام أخرى من الديانات كالبراهمة وغيرهم من عبدة الاصنام أو النصارى واليهود والديانة الغالبة فيهم هي البوذية وهي نوع من الوثنيين كما أن فيهم تسماعظيما من المسلمين يبلغ الى ما ينيف عن الستين مليونا فمن هؤلاء نحو أربعين مليونا متفرقين في الممالك أصلهم من الاهالي ومن العساكر المسلمين الذين جاءوا ملك الصين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه فاستنجد بالخليفة على ان يؤدّي اليه معلوما اذا أنجده فأرسل له أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه وجازاهم عن ذلك بجواز الاقامة في مملكته مع جواز التزوج ببنات الاهالي ومصاهرة الاعيان واعطائهم ما يحتاجون اليه فأقاموا على شروط وهي استقلالهم في ادارتهم الخصوصية وعبادتهم واشهارها فأجازهم مطالبهم لكن فرقهم على المدن العظيمة في مملكته وصار في كل مدينة مدينة مستقلة بالمسلمين على حسب كثرتهم وقلتهم مستقلين في أحكامهم الخصوصية مشهرين لشعائر الدين ولهم قضاة وأئمة بحيث لا يتداخل فيهم الحكم الصيني الا في عموم السياسة ومنهم في مدينة باكين قاعدة المملكة نحو عشرين ألفا ولهم جامع ضخم قديم حسن جدا ويسمونه بلغتهم هوي هوي ومساجد أخرى نحو العشرين منها اثنان لاهل الشيعة حيث حدث فيهم هذا المذهب في القرون الاخيرة وأغلبهم أهل سنة على مذهب أبي حنيفة وكذلك بقية المسلمين في الصين مثل ما ذكر من القسمين ومن عادات هؤلاء المسلمين أن ينشروا في رأس كل سنة تقارير تشتمل على بيان أوقات الصلاة مكتوبا

بأعلاها من أركان الاسلام الخمس كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والصوم ولا يذكرون الركن الخامس وهو الحج قال بعضهم ان علماءهم أسقطوا ذلك لعدم تحمل مشقة الطريق لبعد مسافة الحج عندهم وأظن أن علة منع الخروج من ممالكهم هي الباعث على ذلك والافايست مملكة الصين بأشق في السفر من أهالى سمطرا وأقصى الغرب ودواخل السودان فجرت على ذلك عادتهم ولو بعد انتفاء المانع وسهولة السفر بحرا في البوانر ومن عاداتهم أيضا أن يكتبوا على أبواب الجوامع خواى خوى ثانغ أى محل الجماعة الاسلامية وأن يكتبوا تسين جسن سواى معبد الاله الحقيقي ويسمون علماءهم لاوجوفو أى المعلم الاكبر وأما أهل الصين فيسمون جوامع المسلمين ليطاسواى محل العبادة الاسبوعية وحيث كان الدين الاسلامى لا يجوز مناكحة المشركين أسلم كثير من نسائهم بل وعائلات النساء وتزوج بهن المسلمون وتناسلوا الى أن بلغ عددهم نحو الاربعين مليونا في هذا العصر ولم يزالوا على الاستقلال الادارى حتى حكى طرفا منه ابن بطوطه وهم عليه الى الآن ومن المسلمين أيضا أقسام في الجهة الغربية والغربية الشمالية من المملكة فهم المجتمع والمفترق وتسلطت على ممالكهم دولة الصين ولا يزالون ينتهزون الفرص للخروج عنها فتارة يتمكنون من ذلك وتارة تعود للاستيلاء عليهم مثل مملكة كاشغار في الجهة الشمالية الغربية فقد استقلت تحت ملك في عشرة الثمانين ومائتين وألف وهو الامير يعقوب خان الذى ولد في جوار تشقند وحصل العلوم في سمرقند واشتهر في أعظم مدارس بخارى مع مهارة في السياسة أهلته لان يكون مشيرا مطاعا عند أمير خوقند وأرسله حاميا لهاجمات الروس على قلعة أكمتشيت ثم توجه الى كاشغار للحرب مع الصينيين وحصل على انتصار عظيم أورثه شهرة وثقة من المسلمين به هنالك وطمع في تعويض مملكة سلطنة الصين بمملكة اسلامية وكسرهم وحشد فيه أزيد من مائة ألف مقاتل واستولى على جهات معتبرة حتى ارتعدت منه مملكة الصين في سنة (١٢٩٣) وحيث كان بين عدوين مال الى مسالمة الروسيا وعقد معها معاهدة تجارية ورام احكام وحدة الاسلام فبايع بالخلافة للسلطان العثمانى وتلقته الدولة العثمانية بالامير ادبا مع الخليفة وجلب هو من قاعدة الخلافة معلمين للفنون الحربية والصناعات الهندسية ونظم الجيوش فاخترمته المنية قبل رسوخ المملكة وتناحر بنوه وقسموا المملكة فانتهزت دولة الصين الفرصة واستولت على الجميع والى الآن أحوالها مضطربة (وهكذا) أنشأت دولة اسلامية في أواسط الصين بميل الى الغرب تحت

سلطنة

سلطنة رجل يسمى السلطان سليمان فى حدود السنين المذكورة وجعل قاعدة مملكته مدينة طاليفة وانشاء السلاح فى ممالكه وطلب التعرف به من الدول وانه متسلطن على نحو الستين مليونا من مسلمين وغيرهم فلم يكن الا حلما وانتزعت منه السلطنة ❊ (ومن عجائب) مملكة الصين السور العظيم الذى يبتدئ من الشطوط الشرقية ويمر ممتدا بوسط المملكة الى حيث العرض أربعين درجة شمالية والطول تسعة وتسعين شرقيا فمجموع طوله نحو ألف ومائتين وخمسين ميلا وسمكه من الاسفل نحو خمسة وعشرين قدما ومن أعلا نحو خمسة عشر قدما وارتفاعه ما بين خمسة عشر الى عشرين قدما وفى أماكن منه حصون يبلغ ارتفاع بعضها الى أربعين قدما وهو مبنى بالحجارة والآجر والقرميد وبعض أماكن طين فقط بناه بعض ملوكهم قبل التاريخ المسيحى بنحو مائتى سنة وعشرين سنة قاصدا به رد المهاجمات على المملكة الصينية الاصلية من المغول والقبائل الشمالية ولم يجده نفعا اذهم الذين تسلطوا على المملكة والسور الآن خراب فى جهات كثيرة وقد غلط من توهمه السد الذى بناه ذو القرنين لمنع فساد يأجوج ومأجوج محتجا على ما يقول بان ليس فى الارض سور ذو عظمة غير ذلك ورد قوله ظاهر لان الصفات المذكورة فى القرآن للسد غير الصفات التى عليها ذلك السور ثم ان صفات يأجوج ومأجوج ❊ المذكورة فى النصوص المروية غير موجودة فى أولئك الاقوام ودلت النصوص أيضا على ان ذلك السد يدك قرب الساعة وتحدث منهم حوادث لم تظهر الى الآن فلا يكون حينئذ ذلك السور هو السد ولا يخفى ان بعض الاروباويين الآن لهم دعوى مثل بقية البشر الغير متبصرين من العجائب بما هو عليه وادعاء بلوغ النهاية فى العلوم حتى انهم انكروا وجود السد لدعواهم ان كرة الارض صارت الآن معلومة ولم يجدوا فيها السد فهاته الدعوى هى فى الواقع مبالغة منهم وانما يقال ان اكتشافهم الآن للكرة أكثر من اكتشاف الامم السابقين الذى وصلت الينا مؤلفاتهم وان احتمل اطلاع غيرهم على ما اطلع عليه الآن أو أكثر لكن لم نجد لذلك أثرا ولا يلزم من عدم وجود الدليل انعدام المدلول أما الاحاطة بجميع كرة الارض وعلم جميع ما فيها فهو غير مسلم لوجوه فمنها ان جميع علماء الجغرافية نصوا فى تآليفهم أن جهة القطبين لم يمكن الاكتشاف عليها الى الآن وأن المجهول جهة القطب الجنوبى أكثر من المجهول جهة الشمالى لانه أى الجنوبى أشد انحرافا عن وصول الاشعة الشمسية اليه مستقيمة ومنها ان الاكتشافات لا زالت تنمو اشياء فشيأ فانه منذ أربعمائة سنة لم تكن أمريكا معروفة وكان علماء ذلك

العصر يرون أن ماوراء شطوط القارات القديمة انما هو بحر صرف حتى ان من ضمن
فى وجود عمران وراء ذلك سخروا منه تارة واضطهده جهلاء علماء الديانة تارة أخرى كما
يأتى الكلام عليه فى أحوال أمريكا ثم تبين بالواقع وجود ذلك العمران الذى يحسب
﴿القسم الثانى﴾ من أقسام الارض ثم منذ ستين سنة اكتشفت استراليا التى هى
القسم الخامس من القارات ولازالت الاكتشافات متتابعة الى الآن فى أمريكا وفى
غيرها ومنذ أربع سنين فقط اكتشف سواح الانكليز جزيرة صغيرة جهة الشمال
معمورة بخلق صغار الجثث فطس الانوف كبار الاذان يأكلون نوعا من السمك ويلبسون
جلده ويوقدون عظامه وكذلك اكتشف منذ قريب قوم من البشر على نحو تلك الصفة
فى شمالى أمريكا الشمالية ينحتون من جبال الثلج بيوتا ويجعلون للطواقى المنفذة للضوء
قطعا من الثلج الصفيق لكى لاتمنع الضوء وتقيهم مرور الارياح (وهكذا) لازال
الاكتشاف يتتابع وما يعلم جنود ربك الا هو ومن تأمل سياق الآية الكريمة فى حكاية
حال ذى القرنين الى بلوغه الى يأجوج ومأجوج ظهر له من السياق انهم جهة أحد
القطبين (اذ قال تعالى فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء
الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى
اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين
ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم
سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا
فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى
جعله دكا وكان وعد ربى حقا الآية) فذكر أن ذا القرنين اتخذ أولا طريقا الى أن بلغ
منتهى الارض من جهة الغرب فوجد الشمس هناك تغرب فى ماء أسود كأنما هو
بالحمئة أى الطينة السوداء وهو والله أعلم البحر المحيط الغربى لشدة عمقه يترآى انه
أسود وسمى عينا نظرا الى سياق عظمة قدرة الخالق وما اطلع عليه ذو القرنين الذى البحر
المذكور بالنسبة اليه ما هو الا كالعين الى آخر الآية ثم ذكر اتباعه لطريق آخر وصل

به

به الى منتهى مطلع الشمس من الارض وقص ما وقع هنالك أيضا ثم ذكر اتباعه لطريق آخر فظاهر السياق أنه لغير المشرق ولغير المغرب فهو حينئذ الى أحد القطبين وهو الذى ذكر فيه قصة يأجوج ومأجوج وعلى ذلك فذو القرنين سافر الى أقاصى ثلاث جهات من الارض والله أعلم أى القطبين الذى هو الجهة الثالثة ويؤيد هذا الفهم المأخوذ من السياق ما روى من أن سيدنا الخضر كان وزيرا لذى القرنين وانه اجتاز معه أرض الظلمة حتى وجد بها عين الحياة الخ وأرض الظلمة لا تكون الا فى أحد القطبين أو ما قاربه لانه هو الذى يطول مغيب الشمس عنه كما هو معروف عند الحكماء والفقهاء وبنى عليه هؤلاء أحكاما فى الصوم والصلاة مقررة فى دواوين الفقه وليست هى أرضا غير المعروفة وانما أتتها الظلمة مما أشرنا اليه ثم ان قارات الارض ان كانت اذ ذاك على حالتها الآن ربما تقتضى ان القطب الذى وصل اليه هو الشمالى هذا اذا كانت هيئة الارض اذ ذاك هى على نحو ما عليه الآن أما اذا كانت على شكل آخر فيمكن أن يكون القطب هو الجنوبى أيضا وانما قلنا هذا لان الارض تتغير أشكالها على طول الزمان بما يحدث فيها من الزلازل العظيمة وانخفاض جهات من اليابسة وارتفاعات فى جهات من البحر (وهكذا) فان امريكا على ما سيأتى كانت متصلة بقارة آسيا من جهة بوغاز برن بل ان جهة من مملكة تونس الشرقية تسمى برج بوالشاطر فى عمل بنزرت كانت قديما مرسى السفن فى دولة القرطاجنيين والآن صارت محترثات خصبة والبحر يبعد عنها نحو خمسين ميلا وكذلك فى الجهة الجنوبية جنوبى الجريد كان فيها بحر يدخل الى دواخل القارة الافريقية والآن صار صحراء وهى المسماة بالصحراء الكبيرة وسيأتى بقية الكلام عليه فى الكلام على تونس وكذلك خليج السويس كان بحرا موصلا بين البحر الابيض والبحر الاحمر ثم سد ثم فتح الآن على ما سيأتى الكلام عليه أيضا فى محله (ان شاء الله تعالى) فقد قال المفسرون فى قصة سيدنا (موسى) وسيدنا (الخضر) عند (قوله تعالى) حتى أبلغ مجمع البحرين الآية ان المراد بمجمع البحرين هو محل اتصال بحر الروم ببحر فارس وهل ذلك الا من السويس أو من مكان آخر من آسيا اليابسة وهو أيضا يفيد المطلوب فتقلب حالات الارض لا يبعد أن يكون سد يأجوج ومأجوج جهة القطب الجنوبى الذى هو وما قاربه أكثر مجهولية من الشمالى سيما وآثار سلسلة الجزائر الى استراليا كالآثار الدالة على الاتصال ويؤيد أنه فى أحد القطبين الصفات التى ذكرت ليأجوج ومأجوج فى خلقتهم فى الاحاديث الصحيحة كما فى البخارى وغيره من الصحاح

وهي صفات تقرب كثيرا من الصفات التي وجد عليها أهالي الجزيرة التي ذكرناها قريبا
جهة الشمال واكتشفها الانكليز وشاع أمرها وذكرها في صحف الاخبار ورسمت
في خارطات الجغرافيين ووصول ذي القرنين الى هاتيك الجهات وما وراءها ليس
بغريب أما أولا فلأن حرارة الارض اذ ذاك ليست هي التي عليه الآن بجهات القطبين
لم تكن على هاته الدرجة من البرودة ولذلك أدلة مسلمة في كتب الجغرافية الطبيعية
خلاصتها على مذهب المتأخرين الذي لا يخالف الشرع ان هاته الارض كانت
كوكبا ناريا ثم انطفت طبقتها العليا ولا تزال تثخن تلك الطبقة وعلى قدر ثخنها تبرد
وتنحصر الحرارة في جوف الارض ومركزها ومهما وصلت الطبقة الى درجة من الاعتدال
الصالح لخلق من مخلوقات الله يخلقه الله فيها (وهكذا) على التدريج الى أن تم ما أوجده
الله فيها واضمحل منها من أنواع الحيوان ما لم تبق صالحة له كنوع يشبه الفيل وهو
أضخم منه وأنيابه مرتفعة الى فوق فانه الآن انعدم مما هو معروف من الارض
واكتشف على عظامه في طبقات سفلى من الارض بالحفر جهة سيبريا ويشهد بصحة
هذا القول الاحاديث الواردة في التكوين وأن (آدم عليه السلام) خلق بعد الارض
بمدة طويلة وأن الخيل خلقت قبل (آدم عليه السلام) بكثير الى غير ذلك من الصفات
الواردة عن الشارع في كيفية التكوين وقد وجد في سيبريا من عظام الحيوانات التي
لا تعيش الا في الارض الحارة كالفيل وغيره بكثرة مما يدل على أنه ليس بمجلوب وانما هو
حيوان أصلي هنالك ما يقتضي بأن تلك الجهة كانت حارة ليست على ما هي عليه الآن من
شدة البرد فيحتمل أن زمن ذي القرنين كانت الحرارة معتدلة هنالك حتى يمكن الوصول
الى تلك الجهة بلا مشقة ولا يقال ان التاريخ من زمن ذي القرنين الى الآن لا يقتضي
هذا التغير الكثير لانا نقول ان ذا القرنين هذا هو عربي كثر ذكره في أشعار العرب واسمه
الصعب ملك من ملوك العرب العرباء معاصر (لابراهيم عليه السلام) أو بقرب منه هذا
هو الصحيح وان غلط الرازي وغيره في توهمه انه اسكندر المقدوني ومقدار زمنه لا يمكن
الوقوف على تحقيقه وذلك ان ذا القرنين كان قبل (موسى عليه السلام) بكثير حسبما
تقدم في كون (الخضر عليه السلام) وزيره وهو الذي عاش وتعلم منه (موسى عليه
السلام) وجميع التواريخ القديمة يعتمد فيها المؤرخون على التوراة وهي قد وقع فيها
التحريف قطعا في كثير من الآيات لا سيما ما يتعلق بالتاريخ تحريفا حسيا ولا يلتفت
لغلط ابن خلدون في دعواه عدم التحريف بعد اثباته بالعيان حسبما نبه الشيخ رحمه
الله

الله قدس سره في كتاب اظهار الحق من الاختلاف الكثير في التاريخ بين نسخ التوراة القاضي بعضها باجتماع (نوح وابراهيم) وبعضها بالبعد الكثير بينهما وحرره مؤرخوهم أنه سنة (٣٥٢) مع ان العبرانية تقتضي باجتماعهما لان نوحا مات بعد ولادة (ابراهيم) ٥٨ سنة والسامرية تقتضي أن (ابراهيم) ولد بعد موت (نوح) ٥٩٢ سنة واليونانية تقتضي انه بعده (٧٢٢) سنة والاولى تخالفها الاجماع والأخريينهما التناقض التام وغاية الحقق أن (ابراهيم) لم يجتمع (بنوح) في عصر (عليهما السلام) والاختلافات على هذا النمط وعدم التحرير في التواريخ كثير جدا فلا اعتماد حينئذ على ماهو موجود من التوراة نعم أن متأخري المؤرخين قد اعتنوا بهذا الفن وحرروه باستدلالات من الآثار القديمة والاطلاع على لغات قديمة لكن لم نطلع الى الآن على أدلة وجدوها تثبت مدة زمن ذي القرنين على فرض تعينه وكم عدد السنين بيننا وبينه وأما ثانيا فلا يبعد أن يكون لذي القرنين اذ ذاك من آلات حمل الاثقال وتيسير السفر مالا يعلم الآن ويداعه (قوله تعالى) في حقه (انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا) مما يقتضي اتساع اقتداره وتهيء الاسباب لمقاصده كعلم جر الاثقال مثلا الذي شوهدت الآن آثاره مما لم يقدر عليه متأخروا هذا العصر وكذلك النحت للقطع الهائلة التي لم تعلم كيفية قطعها ونقلها سيما وقد وجد في مصر من صورة السلك الكهربائي والرتل ما يقتضي علمهم سابقا مع صور آلات أخرى غير معلومة كما سيأتي الكلام عليه في أحوال مصر فيمكن أن تكون حالة الارض على هيئتها اهاته ولذي القرنين وعلمائه وجنوده من المعارف والآلات ماتيسر لهم به الوصول الى الاماكن الصعبة مما لم نعلمه الآن وأما قول بعض المؤرخين ان الواثق من بني العباس أرسل معتمدين الى السد وقاسوا ابابه وقفله الى غير ذلك من الصفات التي ذكرت له فانا لم نكن على ثقة منه ولم نعتمد عليه سيما ولم يعين أولئك المؤرخون مكانه وانما يقتضي كلامهم انه في الجهة الشمالية الشرقية من آسيا فلا يبعد أن يكون ماوصلوا اليه هو سور الصين واذا فرضنا انه هو المراد بالسد في النصوص الواردة يلزم حمل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السور ككونه من زبر الحديد ومفرغ عليه النحاس والصدفان (حينئذ) طرفان من ذلك السور كما تأول صفات يأجوج ومأجوج الى ما يصح اطلاقه على التتر والمنشورية ويكون وعد الله الذي يدك فيه السد هو قرب الساعة ولاشك أن الساعة قربت كما أعلم به

(رسول الله صلى الله عليه وسلم) في قوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى كناية عن مزيد القرب وكما (قال تعالى) اقتربت الساعة وانشق القمر الآية فما بقي من الدنيا بالنسبة الى ما مضى شئ قليل جدا والطبيعيون أنفسهم مقرون بذلك لما يستدلون به من كيفية تكوين الارض وارتباطها بالاجرام العلوية (وحينئذ) يكون الفساد الموعود به في النصوص من أولئك القوم هو ما وقع من التترا المغولي من الفساد في الممالك وكفي بوقائع جنكس خان وما عثاه هو وأصحابه في الدنيا مصداقا لذلك فان من له المام بتاريخه يرى فيه العجب العجاب وهي مصيبة عظمى لم تحدث على المسلمين مثلها وانما تطاول الزمان وعدم علم الجمهور بها هو الذي لم يصير لها اعتبارا الآن وكل هذا الاخير مستبعد وانما يلزم المآل اليه اذا فرضنا الاحاطة حقيقة بجميع أطراف الارض والحاصل انه مهما وجدنا نصا عن الصادق يلزم التسليم اليه والتصديق به فان وجدنا ما يخالف فهمه في الوجود وجب فهمه على مقتضى الوجود اذ يستحيل مخالفة خبره للواقع وقد نص على هذا العلماء الراسخون ومنهم سعد الدين التفتازاني في التلويح (ثم ان) لمملكة الصين من الانهر العظيمة الحاملة للسفن الشراعية والبخارية ما أغناهم عن تكثير الطرق الصناعية في الارض (وأما الجهات) التي لا تصل اليها الانهر فانهم يصنعون فيها ترعا متصلة بالانهر ميسرة للسير وحمل الاثقال حتى ان منها ترعة هي من عجائب الدنيا طولها نحو ستمائة وخمسين ميلا وصنعت في عدة أجيال من الجيل السابع من تاريخ المسيح أي القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن من الهجرة ولم تحدث فيها الطرق الحديدية الى الآن (وأما المعادن) فعندهم أغلب المعادن المعروفة ولكنهم لقلة مهارتهم في استخراجها وتصفيتها يحتاجون الى جلبها من خارج (وهكذا) نباتات هاته المملكة فيها أغلب نباتات المعمور لاتساعها واختلاف أقاليمها وكذلك الحيوانات والهواء وقاعدة المملكة هي مدينة باكين التي هي من أعظم مدن العالم سكانها أزيد من ثلاثة ملايين ولها سور يحيط بها وأغلب أبنيتهم طبقة واحدة مقسمة الى عدة أقسام الا قصور الملوك ففيها طبقات والاهالي يتزوجون امرأة واحدة شرعية ويتخذون غيرها كالسراري على أنهن خديمات لها ولهم شارات في التمايز والدلالة على الميتوتية والغنى منها ان الاغنياء والاكابر يخلدون الى الراحة حتى لا يكادون يتحركون وتغلب هاته الصفة في نسائهم فكان من عجائب عاداتهم فيهن ان بنت الاعيان اذا ولدت يعملون لها حذاء من حديد أو ما أشبهه من الاشياء الصلبة ويلبسونه لها في سن المهد

ونترك

وتترك كذلك الى انتهاء شبابها فتكون أقدامها صغيرة جدا بحيث لا تستطيع المشي وكذلك كفوف يديها حتى لا تقدر أن تشتغل ولا ترفع شيأ مع الاعتناء بتنعيمها فتصير ذاتها ضخمة وكفها وقدماها في غاية الصغر دلالة على انها لا تحتاج لعمل شيء بنفسها وكل الضربات وغيرها تفعلها لها الخوادم فيصنعون مساطب يحملونها على الاعناق عندما تريد المشي لاي جهة كانت وهكذا جميع الحركات ويستكثرون من الخدم على قدر البسطة في المال والجاه وعادة الحمل على الاعناق عامة حتى في الرجال الكبراء والاغنياء وهاته الحالة جارية أيضا في أهالي الهند (وأما حكم) هاته المملكة المتسعة فهو يرجع الى عامل واحد ذي حكم استبدادي مطلق وله وزراء يديرون ويجرون أمر المملكة على ارادته ثم في الجهات أمراء مستبدون في التصرف في اماراتهم تحت أوامر السلطان العام الذي يقلد ويعزل منهم حسب ارادته ومع ذلك الاستبداد فانهم لتحفظهم على العوائد القديمة تجد كأن أحكامهم قانونية لاجرائهم الحوادث شبه بعضها ولا يتجاسرون على خرق العادات القديمة في جميع تصرفاتهم الا في أمر أكيد عظيم وقلما يقع ولهم اعتقادات في ملكهم ربما أدتهم الى اعتقاد الوهية ولهم أيضا دواوين يضبطون بها ادارات التصرف والاموال وأرزاق العساكر فمن نظر الى مجموع تصرفات المملكة يجدها مشابهة أعظم مشابهة الى الدول القانونية وكان ذلك هو سبب قدم هذه الدولة وعدم تلاشيها الا أن السلطان عندهم وان كان له ان يفعل ما يشاء الا أنه لا يفعل شيأ الا بمشاورة رجال دولته وأرباب مجالسه في جميع الامور وكل من أمرائه لا يتصرف الا بمشاورة رجال مجالسهم ولا يتوظف أحد في خطة أيا كانت الا أن يكون من أصحاب العلوم والمعارف الذين هم وجهاء الامة كما يشترط في كل موظف أن يكون متأهلا وجديرا بالخطة التي يتقلدها ومن عاداتهم الشبيهة بالقانونية ان المتوظف اذا ظلم أحد الرعايا ولو في أقل الاشياء يعاقب أشد العقاب بل انهم مطلوبون كل على حسب خطته بما يطرء على الاهالي من المصائب السماوية التي يكون في وسع البشر تداركها كفيضان الانهر وسقوط الجدران وما شاكل ذلك ويعاقبون عليه بالعزل ولهم صحيفة رسمية قديمة قبل أن تعرف الصحف في اوروبا بقرون ولها نحو ستين صحيفة تنشرها يوميا ولا تحتوي الا على الحوادث الخاصة بدولتهم وتصرفاتها وحيث كانت الكتابة عندهم صعبة جدا (لانها فيها) علامات عوضا عن الحروف منها أصلية ومنها فرعية تدل على الكلمات فكانت نحو الفين وخمسمائة علامة وهي المستعملة الآن (أما)

العلامات القديمة التي لم يبق استعمالها الا نادرا فهي نحو اربعة واربعين الفا واربعمائة وتسعة واربعين شكلا فلذلك كانت معرفة الكتابة عندهم قليلة جدا وقد تعارفوا صناعة الطبع قبل معرفتها في اوروبا بكثير وهي على غير الصورة المعروفة الآن فانهم كانوا ينقشون الكتابة في ألواح بحيث تكون على عدد صفحات الكتاب الذي يريدون طبعه وان شئت قلت ينسخون الكتاب او الكتابة بالنقش في ألواح ويطبعون بها ما شاؤا ثم يدخرونها الى وقت الحاجة فيعيدون الطبع متى أرادوا (واما) الغناء في المملكة فهو كثير لكثرة موارد الثروة وكثرة السكان ومع ذلك هو بالنسبة لغنى الممالك المتمدنة ذات الصنائع المخترعة قليل نظرا لعظم المملكة وما فيها وقد تقدم ما في عزم دولتها وما شرعت فيه من القوة الحربية (واما القوة المالية) فهي غير معروفة لاختلاف أنواع الاداء وتفرقه على أنواع الموظفين كل منهم له كيفية في الاستخلاص على وظيفته من الاهالي

الفصل * الثاني عشر

❊ المملكة الثانية عشر مملكة الروسيا في آسيا ❊

هاته المملكة تبتدئ من الشمال الاقصى من القارة ثم تنعطف مع حد الصين الغربية وتصل الى مملكة ايران من شمالها والى المملكة العثمانية من شرقيها فهي متسعة جدا ولا تزال تتوسع في الممالك الصغيرة بأواسط آسيا حيث تفرقوا شيعا فصارت تتغلب عليهم بتسليط بعضهم على بعض وانتصارها لبعضهم حتى تبتلعهم شيأ فشيأ بحيث لم يبق منهم الا القليل كما سيأتي الكلام عليه بعد وحكمها في هاته المملكة سيبين في الكلام على هاته الدولة في ممالك أوروبا وكذلك بقية التصرفات السياسية وانما نقول هنا أن فيها قسما يسمى سيبريا هو شمالي الصين في نهاية شدة البرد وهو قليل السكان والحيوانات الا بعض الحيوانات المتجلدة على البرد كالدب الابيض والذئب الكبير وقد اطلع علماء الطبيعة على ان تلك الجهة كانت عامرة بانواع من الحيوانات التي تألف الجهات الحارة كالفيل وبعض أنواع من الحيوانات فقدت الآن مثل حيوان أكبر من الفيل ويشبهه في الخلقة وله شعر صلب مستطيل يمتد من مبتدا رأسه الى مغرس ذيله يكون مرتفعا مفرزا عن بقية شعر بدنه وله أنياب طوال متجاوزة لشفتيه مثل أنياب الفيل غير أنها مرتفعة الى فوق واطلعوا على وجود هاته الانواع هنالك بكثرة عظامها في طبقات

سفلى

سفلى من الارض تدل على أن تلك الجهة كانت حارة كما تقدم وهى الآن من شدة بردها اتخذتها الروسيا منفى لاصحاب الجرائم الشديدة فما يصلون اليها الا بعد فقدان أكثرهم فى الطريق ومن وصل منهم لا يبقى سالما وتحدث لهم وللسكان الاصليين أمراض فى الاعين من شدة الضوء المنبعث من سطوع الاشعة الشمسية فى بياض الثلج المتكاثر الدائم ويوجد فى هاته المملكة أعنى بقية مملكة الروسيا فى آسيا أنواع شتى من الفراء العالى وفيها أنواع النبات المختلف الذى يوجد فى أغلب الاقطار الباردة والمعتدلة وتجارتها متصلة مع جميع الاقطار لكنها ليست متسعة لصعوبة النقل حيث لم تتم الطرق الكافية الموصلة لشواسع هاته المملكة المتسعة ولاجل انحطاط درجة المعارف والصنائع التى يمكن بها منافسة الاوروباويين فى هذا العصر ولا يخفى أن مملكة متسعة مثل هاته تشمل أصنافا من البشر لابد أن يكون أهلها مختلفى الطبائع والعادات فالمسلمون كالجركس والكرج هم أهل شجاعة وتجلد وصبر على اقتحام المشاق مع تعصب لبعضهم وغيرهم من المسلمين وغيرهم كأهل خيوا والقريم والداغستان هم أيضا فيهم تلك الصفات غير أنها أقل من سابقيهم ودونهم أيضا فى التعصب وقد استولت الروسيا على هاته الممالك تدريجا فمنذ نحو ثلاثمائة سنة وهى تتملكهم شيأ فشيأ ومع كون الروسيا استبدادية فالمسلمون الذين طال استيلاؤها عليهم وتناسوا العداوة تعاملهم الآن بالرفق وحرية الديانة بحيث يكون الاذان والصلوات فى المساجد وعقد الانكحة كلها قائمة وكذلك تعلم العلوم الدينية ولسانهم هو أيضا مباح ولا يتعرض لهم بشئ وتجرى عليهم بقية الاحكام الشخصية والسياسية مثل بقية الروسيين حتى فى اتخاذ العساكر منهم لكن أكثر العساكر منهم هم على غير نظام مما يسمى قزاق نوع من الخيالة الغير النظامية وأما المسلمون الذين تسلطت عليهم من قريب فتجرى فيهم أنواع القهر والغلظة من الحكم العسكرى البحت ما تنفر منه الطباع وذلك للتحرس من ثورتهم وتربية الجيل الناشئ على المذلة والخضوع الى حكمها ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل * الثالث عشر

﴿ المملكة الثالثة عشر مملكة هرات ﴾

هاته المملكة موقعها شرقى ايران وغربى بعض الصين والهند وجنوب الروسيا وشمال

أفغانستان وكانت تابعة الايران ثم استقلت عند استقلال الافغانستان وأهلها مسلمون سنيون والظن أنها لاتلبث أن تلتهمها بعض الدول المجاورة لها لصغرها بالنسبة اليهم والاقرب رجوعها الايران باعانة الانكليز فى هاتة المدة لاتمام مأربه هو فى الافغانستان حيث انهم موافقون لهم فى المذهب ويعدونهم بالاعانة على حرب الانكليز فلذلك أغرى ايران بالحرب لهم والاستيلاء عليهم بيد أن سياسة الروسيا عطلت ذلك وعدد الاهالى مجهول الحقيقة وعلى التخمين انهم نحو مليونين تحت ملك مسلم استبدادى مطلق من ذرية أحمد شاه الذى أنشأ فى أفغانستان وما والاها مملكة ذات شأن والاحكام الشخصية شرعية ولهم أيضا فيها احكام سياسية لكن النفوذ قليل لان أغلب السكان قبائل رحالة فهم حربية البداوة وهم من أصل التركمان وكانت فى المملكة مدن عظيمة فى أودية بين الجبال التى على جنوبى صحراء خوارزم هدمت كلها بتخريب جنكس خان التترى وقاعدة المملكة مدينة هرات وهى مدينة عظيمة تسقى بنهر يتشعب فى شوارعها ودورها ولها تجارة حسنة فى نتائج أراضيها المخصبة مع الممالك المجاورة وفيها من النباتات كل نبات الاراضى المعتدلة لاعتدال هوائها وسلامته وكانت مناخا للعلوم ومنبتا للعلماء الافاضل حتى قال ياقوت فى المشترك ان علماءها لا يحصى كثرتهم الا الله وهى الآن دون ذلك وانما فيها من العلماء حسب الحال ولاهلها من الصنائع الجيدة السيوف وآلات القطع لان تيمورلنك نقل اليها ماهرى هاتة الصناعة من دمشق فبقيت فيهم الى الآن ولهم مهارة فى صناعة البسط والاقمشة الحريرية ويقال فى قوتها الحربية والمالية ماقيل فى أفغانستان على نسبة عدد سكانها

الفصل الرابع عشر

(المملكة الرابعة عشر هى أمارات التتر المستقلين)

هاتة الامارات موقعها غربى الصين وشرقى وجنوبى بعض الروسيا وشمالى وشرقى هرات وبعض ايران وجميع السكان مسلمون سنيون وحقيقة عددهم مجهول وانما يقال على التقريب انهم نحو سبعة أو ثمانية ملايين وقد كانت الممالك منقسمة الى (خمسة) أقسام كل قسم مستقل تحت حاكم يلقب بالخان (وهى) خيوه وبخارى وتشقند وخوقند وقبائل التركمان الرحالة المعروفة بتيكى (وأما الآن) فان خيوا دخلت فى حوزة الروسيا

وصارت

وصارت جزأ من ممالكها وان أبقيت لهما بعض امتيازات ظاهرية كابقاء خانها ولقبه غير أنها في الواقع هي من مستملكاتها الداخلة في حكمها وتحت أمرها (وأما بخارى) فهي أيضا مثل خيوا غير أن امتيازاتها أكثر منها وعلى كل حال فكلاهما يصح أن يقال انهما مستقلتان بالادارة الداخلية تحت الامراء الروسي ويؤديان له الخراج السنوي ولهما عساكر بقدر ما تسمح لهما به الروسيا للتحفظ على الراحة في المملكة أو لاعانة الروسيا فيما تأمرهما به (وأما تشقند) فقد صارت ولاية روسية تحت حكم جنرال روسي فهي حينئذ مشمولة بالكلام الذي سبق في أحوال مملكة الروسيا (وأما خوقند) فلا زالت مستقلة تحت أمارة خانها وحكمها استبدادي وعدد سكانها نحو مليونين (وأما قبائل التركمان) فقاعدة مملكتهم هي (مرو) وموقعها جهة الشرق الجنوبي من بحر قزوين المستملكة جميع شطوطه الروسيا وعدد السكان نحو مليونين ونصف لكنهم ليسوا خاضعين حقيقة للخان واغا هم قبائل لكل منها رئيس وكأنهما مع أختيها لا تلبثان أن تلحقا اخواتهما اذ الحرب الآن قائمة على ساق بين الروسيا وقبيلة تيكي وقد كسروا الروسيا في هذا العام وهو سنة (١٢٩٧) مرتين انكسارا هائلا ولا زالت تستعد لحربهم واخوانهم ممن استولت الروسيا عليهم وغيرهم ينظرون اليهم كما كانوا هم ينظرون الى حربهم معها الى أن ينفذ حكم الله الذي لا معقب لحكمه وتكون له الحجة البالغة (سبحانه وتعالى) حيث تفرق المسلمون شيعا للاغراض والاهواء النفسانية ولم يجروا الشرع في الاحكام الكلية والجزئية واخلدوا الى الجهل والتنعمات الزائلة حتى تمكن العدو منهم وصارت بلدان الاسلام ومناخ العلوم لعبة بأيدي الاعداء وأصحاب الاهواء (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) فوا أسفاه على بخارى وسمرقند وغيرهما من مدارس الدنيا في الفنون والعلوم الدينية والرياضية وواها على تلك الدقائق والاستنباطات والاختراعات لتأسيس العلوم وتهذيبها واتقانها ورحم الله أولئك الرجال الذين عمروا الارض وحموا الدين ولم تزل الامم تستنفع بمعارفهم الى الآن ولم يجهلوا بها بل ولم يتعلموها حق علمها حتى كادت أن تصير في خبر كان والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل ❁ الخامس عشر

❁ المملكة الخامسة عشر هي ممالك الائمة في جزيرة العرب ❁

هاته الممالك يحيط بها البحر من جهتين فمن الشرق خليج فارس ومن الجنوب المحيط
الشرقى ويحدها غربا الحجاز واليمن من توابع الممالك العثمانية وعدن التابعة
للانكليز ومن الشمال العراق العربى للدولة العثمانية وهاته الممالك هى المعروفة
سابقا بنجد وتهامة واليمامة وأخلاقهم هى أخلاق العرب فى هذا العصر من التجرد عن
❋ أغلب الصفات التى كانت للعرب السابقين وأما الديانة فى الجميع فهى الاسلام وأما
المعارف والعلوم فيكاد أن لا يعرف عندهم منها اسم ولا مسمى الا قليلا منهم فى قليل من
❋ علوم الدين والحاصل أنهم أمم يقدر بهم الجغرافيون بستة ملايين من النفوس على البداوة
وأغلبهم رحالة ينقسمون فى الاحكام الى شيع كثيرة يلقب كل رئيس منهم بالامام كامام
مسقط وامام رياض بنجد من الوهابيين أعنى أتباع عبد الوهاب الذين ظهروا فى أوائل
القرن الثالث عشر ناشرين دعوة شيخهم محمد بن عبد الوهاب حيث كان مدعيا بحفظ
السنة وابطال البدعة فتجاوز الحدود حتى منع المباح وقويت شوكته وكثرت أتباعه حتى
تسلط على الحرمين الشريفين وقطعة من العراق الى كربلا ومسجد على وخربه وهدم
البناآت على القبور وأزال الكتابات التى عليها وأراد أن يحمل الناس على الاتباع حتى
فى العادات والاحوال الدنيوية وان اختلف الاعصار ولم يتقيد بمذهب خاص بل انه
يدعى العمل بالحديث على مقتضى ما يفهمه وسيأتى ما يتعلق بهاته المسئلة فى فصل من
❋ المقصد عند الكلام على رجوعى من السفر الاول الى باريس وملخص الكلام أن هاته
الفرقة تجاوزت المقصد الصحيح فى الدين الذى ينبغى التيقظ اليه وان كانت تدعيه كما أن
بعض الرادين عليها تجاوز واحد ما ينبغى وخرجوا أعمالها كلها عن حدود الشرع بل
كادوا أن ينسبوها الى الكفر وقد ألفت تآليف كثيرة فى الرد على مذهبهم من علماء مصر
وتونس وغيرهم لما استفحل أمر هاته القبيلة واستولت على الحرمين الشريفين ونشرت
دعواها فى تأليف خاص وبقيت على ذلك الى ان تجرد لها ابراهيم باشا من أمراء مصر
وقهرها وأسر رئيسها سعود بن عبد العزيز العنزى من ربيعة الفرس حيث كان هذا
من أعظم أنصار الوهابى والقائمين ببدعته وانتشار مذهبه الى ان مات فى ضراعة وتلاشت
من ذلك الوقت تلك الدعوة والدولة ولم يبق لها اعتبار الا فى نجد وامامها الآن احد
نسل سعود المذكور وهو فى التصرف أشبه بشيخ قبيلة بعيد عن الملك وانتظامه وشارته
وهكذا سائر الائمة المتقاسمين بتلك الجهات والاحق أن لا يعتبر وا ممالكه مستقلة وانما
يعتبرون كانهم قبائل فى أطراف الممالك العثمانية غير خاضعين اليها ولو أنها أخذت

التصرف

التصرف بالدين والسياسة فانها بارادة الله تضمهم الى ممالكها وتنظم أمرهم على أحسن ترتيب فينصلح حالهم وتتقوى بهم الدولة الاسلامية لان فى أراضيهم أودية فسيحة خصبة وجبالا غنية بالاشجار والمعادن لاسيما فى نجد مع كرامة خيلها فى الدنيا والرغبة فيها من جميع أهل العالم العارفين بالخيل وكذلك عندهم من الحيوانات الانسية والوحشية ما هو مورد للثروة فكما امتدت الدولة العلية بالولاية على اليمن شيأ فشيأ الى العهد القريب كذلك ان شاء الله تجمع كلمة الاسلام هنالك على خليفة واحد وكان سبب بقائهم الى الآن لم تستول عليهم احدى الدول هو اتساع أراضيهم وكون أغلبها صحارى وقفارا وأكثرهم قوم رحل فلا يضبطون بسهولة لانهم يلتجؤن الى الدواخل والدولة العلية يسهل عليها ذلك لاتحاد الدين والاستيلاء على أغلب حدودهم فلا يصعب عليها المدد والاستعانة ممن جاورهم وبالعلماء فى هدايتهم حتى تجرى فيهم التراتيب الشرعية وتنتفع بهم الامة كما ينتفعون هم بالعدل والتمدن والمعارف ولا شك أن لاتحادهم اعتبارا عظيما عند ما يتقدمون لاسيما وأصل الغريزة العربية سليمة ولله الحمد أصفى قابلية للتقدم من غيرها وشاهده ما حصل من العرب بعد غرس الحكمة فيهم بالدين الاسلامى وأهم هؤلاء القبائل وأعظمها الآن هى قبيلة مسقط ولها امام وقد أدخل تحته طوعا قبيلة ظفار فى هاته السنة وهى (سنة ١٢٩٧) وله نوع احتماء بالانكليز كما سيأتى فى الكلام على زنجبار من أفريقية

الفصل ✽ السادس عشر ✽

✽ المملكة السادسة عشر ✽

هى مملكة نيبول وموقعها بين جبال هملاى الوسطى وترای و بين سكين من شرقيها وكماوون من غربيها فهى واقعة بين الصين والهند الانكليزى فلها الصين من الشمال والشرق الشمالى والهند من الجنوب والغرب والشرق وعدد سكانها نحو مليونين ونصف وعوائدهم مثل أو قريب من الهمج من الدول الشرقية مع شجاعة وكذلك أحوال ديانتهم ✽

الفصل * السابع عشر

﴿المملكة السابعة عشر﴾

هى مملكة بوتان أو بهتان وهى أرض بين جبال همالاى وأسام وهى شرقى المملكة السابقة وتفصل بينهما قطعة من ممالك الهند الانكليزى فيحدها جنوبا الهند الانكليزى وكذلك شرقا وغربا ويحدها الصين شمالا وسكانها نحو مليون من النفوس وديانتهم وثنية ولهم ملكان أحدهما دينى ويعتقدون حلول الاله المسمى عندهم بودا فيه ويلقبون هذا الملك دورمه رجا والثانى هو الملك السياسى وبيده القوة الحربية والحكمية ويلقبونه دبررجا ويتصرف فى العسكرية بواسطة أميرين أحدهما فى مشرق المملكة والثانى فى مغربها وهم فى الحقيقة همج اذ القبائل غير خاضعين للحكام

الفصل * الثامن عشر

﴿المملكة الثامنة عشر﴾

هى مملكة كشمير الشهيرة بما لها من المنسوجات الرفيعة وتختها مدينة كشمير وقد صارت دولة مستقلة من سنة (١٢٦٣ هـ) و(١٨٤٦ م) غير أنها تؤدى خراجا سنويا الى الانكليز وموقعها فى الشمال الغربى من ممالك الهند الانكليزية فيحدها جنوبا ماذكر وشرقا الصين وشمالا التتر المستقلين وغربا افغانستان وأهلها نحو سبعمائة ألف لكنها زادت اتساعا بما استولت عليه من قبائل الجبال التى فوق التتر وأهاليها مسلمون ولهما ملك بادارة استبدادية شبه القانونية وعليه نظر الحاكم العام الانكليزى فى الهند لكن لكثرة امتيازاته ذكرناه مستقلا وكذلك يرسم فى الخرايط

الفصل * التاسع عشر

﴿المملكة التاسعة عشر مملكة الجابون﴾

هاته المملكة هى أول ممالك الجزر التابعة لآسيا وهى متكونة من عدة جزر شرقى مملكة الصين وكانت فى القديم تابعة للصين وأهلها مثل أهل الصين فى الشكل والعادات

والعادات والحذق بالصنائع وعددهم نحو ثلاثة وثلاثين مليونا وثلاثمائة ألف وستمائة ❀
وخمسة وسبعين نفسا ثم استقلوا فى أحكامهم وملكهم وفى أواخر هذا القرن أعنى منذ
نحو عشرين سنة استولى على ملكهم رجل عاقل من عائلة الملك وشمر عن ساعد الجد فى
احداث مصر جديد للمملكة حتى خرجت عن أن تشبه الممالك الشرقية وصارت كأنها
دولة ومملكة أوروباوية غربية من أعظم الممالك ذات السطوة والشأن والتمدن
والتقدم والمعارف والصنائع وذلك انه تولى ملكهم المسمى الميكادو وكان حدث السن ❀
ذا أخلاق حسنة وتربية صالحة وكان محبا بأحوال الاوروباويين القادمين الى
دولته للسياحة والتجارة وكان سمع من أحوال أوروباوتقدمها ماهو معروف ورأى من
تقهقر مملكته وماجاورها ما أوجب له العزم على تغيير حالتها ولكنه خشى من تمسك
قومه بالعادات القديمة التى يحافظون عليها كأهالى الصين لكنه استعان بالخلة
المخصوصة بها امته وهو اعجابهم بالحوادث الجديدة فابتدأ بتغيير زى المتوظفين ورؤساء
الدولة وجعله على النحو الاوروباوى وبقى هو فى ذاته على الزى القديم مختبرا لافكار
القوم بذلك فلم ير منهم الا الاسراع والاستحسان لما أمر به فلم يلبث أن غير زيه فى نفسه
وأرسل سفراء الى اوروبا للاستقراء مافيها من أصول المنافع والصنائع وآلات الحرب
وحركاته وجلب المبادى المحتاج اليها فى مملكته من علماء وآلات وغير ذلك ثم الزم أمته
باعطاء الحرية العمومية حيث كانوا تحت حكم الاشراف بمعنى أن كل عائلة شريفة تملك
قسما من الاراضى بمن فيها من الناس يكونون تحت عبوديتهم وامتثال أوامرهم
فأبطل هاته العادات وانتخب من قوانين ممالك أوروبا ماصلح فى نظره وصلحه على
مقتضيات عادات بلاده وأمر بالعمل به كما الزم العمل بالطريقة العسكرية فى حركات
الحرب المعمول بها فى أوروبا وألزم كل ذكر يبلغ سن العشرين بالانتظام فى سلك
العسكرية للدفاع عن الوطن على قانون معروف وفتح المكاتب والمدارس فى العلوم
الرياضية وغيرها وكثر منها التكثير اللازم وألزم الاهالى بعقد الشركات للبريد وأنواع
التجارة والفلاحة وفتح الطرق الحديدية واستخراج المعادن وزيادة عما جلبه من
السلاح الاوروباوى من الطراز الجديد أحدث معامل فى مملكته وأنشأ السفن حتى
كانت عنده احدى عشرة مدرعة وبالجملة فان انقياد الامة الجابونية الى هذا الملك وتقدم
هاته المملكة فى أسرع وقت من عجائب هذا القرن التى تخلد فى التواريخ وستأتى
قوتها الحربية والمالية فى جدول الدول وعلى ما تقدم فتعتبر كاحدى الدول

الاوروباوية الاول المتقدمة وفيها من الثروة والتمدن والغناء ما في ممالك أوروبا وما في مملكة الصين وقاعدة هاته المملكة مدينة جدو في جزيرة نيغون التى بها جبال بأكان كثيرة ولاجلها يكثر فيها الزلزال ومعادنها غنية وأصل ديانتهم كديانة أهل الصين

الفصل * العشرون

المملكة العشرون مملكة اتشين

وهى قاعدة جزيرة سومطرى وهاته الجزيرة خصبة جدًا وفيها معادن جيدة ومغاص على اللؤلؤ ويقسمها خط الاستواء الى قسمين وهواؤها على العموم جيد في الجبال ردىء في الاودية وسكانها نحو ثلاثة ملايين وكان من الحق ذكرها في اتباع الدولة العثمانية لكن التغافل من بعض المتوظفين أوجب اهمال الدولة لحقوقها فيها على ما سيأتى وأوجب التكلم عليها باستقلالها وذلك أن هاته المملكة كانت في الزمن القديم تحت رؤساء من المجوس الى أن فتحها السلطان (جودشاه) من أمراء الهند في ٤ رمضان (سنة ٦١١) وأسلم كل أهلها وتمذهبوا بمذهب الشافعي وفي (سنة ٩٢٢) في ولاية سلطانها (فرماه شاه) بايعت بالخلافة للسلطان (سليم خان) وحصلت منه على فرمان متضمن لقبول حمايتها وابقاء سلاطينها على يد الوزير سنان باشا ثم جدد ذلك السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٧) وأرسل الى سلطانها (علاء الدين منصور شاه) فرمان التبعية ونيشانا مرصعا ونشرت على قلعها وسفنها الراية العثمانية وعدة سلاطين تلك العائلة الى (سنة ١٢٩٣) ستة وثلاثون سلطانا وبمقتضى مالهم من الرخصة في ادارة المملكة مع تكاثر الاجانب وحبهم التسلط في جهات الهند وجزره عقد أحد سلاطينهم المسمى علاء الدين محمود شاه سنة (١١٥٥) معاهدات مع الهلانديين على أحوال التجارة والسياسة ومنها أن لا يقع منهم التعدى على أحد رعايا اتشين ولا التعدى على حقوقها وممالكها ثم معاهدة أخرى مع الانكليز سنة (١٢٤١) أيام السلطان جوهر العالم شاه وبموجب ذلك سوغ للدولتين المتاجرة في مملكة اتشين فاما الانكليز فما زالوا واقفين بعهدهم الى الآن وأما الهلانديون فأخلوا بالعهد منذ سنة (١١٨٠) فاستولوا على بعض جوانب من المملكة لكن لما كان أهلها نافرين عن سلطانهم وبينهم عداوة سكتت دولة اتشين على الاستيلاء عليهم كما هى المصيبة في هذا الزمن بالمسلمين من الشماتة ببعضهم بدخول الاجانب فيهم حتى يتمكنوا منهم

جميعا

جميع الاقدار الله ثم لازالت هولاندة تقتحم في أبواب التسلط على المملكة الى ان فتحت عليهم حربا فجأة سنة ١٢٩٣ وكان سلطانها اذ ذاك حديث السن وهو (محمود شاه علاء) وعند غيبة الناظر عليه ومدبر أمور مملكته الامير عبد الرحمن الزاهر حيث توجه الى الاستانة لاستنجاد الدولة العلية أيام السلطان عبد العزيز فلم يساعد واشتد الحرب بينهم ولازال الهلانديون يفتحون في تلك المملكة الى الآن وان وجدوا من الحمية والشجاعة ما عاقهم عن انفاذ غرضهم عن محل لكن اعانهم خذلان بعضهم لبعض مع عدم آلات الحرب وعدم معرفة آلاته الجديدة وأما قوة هاته الدولة المالية والحربية فغير معلومة وكانها لا تلبث ان تصير من أتباع هلاند كما وقع في جزيرة جاوة وجزاير واقواق وغيرها مما استولى عليها الفرنسيس والهلانديون وغيرهم من الدول الاوروباوية فان لكل من هاته الدول مستعمرات في هاته القارة في شطوط الهند وفي شرقيه وجزره وتجرى فيهم أحكام الدول المتغلبين لكنها ليست كأحكام ممالكهم وانما هي أحكام استبدادية عسكرية بمراعاة العوائد للاهالي ولما كانت هاته المستعمرات لا تبلغ الى مستعمرات الانكليز لم نذكرها على حدتها مثل ما ذكرنا الهند الانكليزية ولله ميراث السموات والارض

﴿القسم الثاني من الارض﴾

هو قارة أوروبا هاته القارة يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا الجهة الشرقية فتتصل بقارة آسيا المار ذكرها والحد بينهما هو جبال ارال ونهر دون الذي مصبه في البحر الاسود ثم يحدها جنوبا البحر الاسود وبحر مرمرا والبحر الابيض وبغاز طارق وغربا المحيط الغربي والمانش وشمالا المحيط الشمالي والمنش والبلتيك والمتجمد القطبي وهاته القارة الآن رمقها السعد بالملاحظة وحط لديها ركابه فكما تسعد أفراد الانسان وتنحس كذلك بقاع الارض حاشا البقاع المكرمة بالانوار الالهية وانما نعني البخت الدنيوي فان هاته القارة كانت قد لبثت مدة وهي في الحضيض الاسفل ما بين خلاء وخراب ودثار وتوحش فيما سلف من العصور الى أن حدثت فيها دولة الرومان واليونان وتشعشعت فيها المعارف وارتقى فيها التمدن والصنائع لكنها لم تلبث ان عادت كما كانت عليه من التوحش والبربرية لاقتصار تلك المبادي الحسنة على افراد وان كانوا كثيرين في مراكز مخصوصة وانحصار السلطة القهرية في تلك المراكز فزال التقدم بتقهقر تلك السلطة غير انها احدثت فيها تمدن آخر في مدة الامبراطور شارلمان المعاصر للخليفة هارون

الرشيد الذى أكب على المعارف وملازمة أهلها وبث منها فى ممالكه ماوسعه الامكان غيرانها تقهقرت بعده أيضا وشرع فيها التمدن منذ خمسمائة سنة على خلاف المعهود سابقا وامتد فيها تدريجا الى أن بلغت فى هذا العصر الى الدرجة القصوى من التهذيب والتمدن والمعارف الدنيوية حتى صار لاهلها الوجاهة والنفوذ على جميع أقسام الارض ودونك انموذجا الاخبار ذلك الترقى وحاصله ان أهالى اوروبا استفادوا من العلوم التى باللسان اللاتينى واليونانى الذين تحفظت عليهما الكنيسة وكان أهلها فى مدة الجهل العام يبذلون أقصى الجهد فى التحفظ على تعلم ذينك اللسانين وترقى تلامذتهم فى العلوم الموروثة من الرومان واليونان كما استفادوا من الامة العربية فى المغرب مجاورتها فى الاندلس فأخذوا عنها العلوم الرياضية وتهذيب الاخلاق والجغرافيا التى علمتها المسلمون بالاسفار للحج من الاقطار القاصية والفتوحات الممتدة شرقا وغربا والاعتناء بالتجارة حتى ان ملك صقلية دعا اليه العلامة الادريسى وألف عنده كتابه الغريب المسمى نزهة المشتاق فى الجغرافيا واستفادوا أيضا من الاسلام فى المشرق فى مدة حروب الصليب نفائس الطوهم وتعلموا منهم مسالك الترقى والقوة وفنون المعارف فانبثت فيهم فى جهات عديدة فى وقت واحد فكانت فى القرن الثالث عشر المسيحى الموافق للقرن الخامس والسادس الهجرى علماء فى الفلسفة وغيرها فى كل من فرانسا وايطاليا والمانيا واجتهدت من ذلك الوقت كل جهة فى ترقية نفسها والتشبث بالوسائل التى لاتحوجها الى غيرها وأعظم الوسائل التى أعانتهم على بلوغ المعارف صناعة طبع الكتب التى كثرت بها الكتب ورخصت حتى تيسر الاطلاع عليها حتى لغير ذى الثروة ولما انفتحت بصائرهم وعلموا ان العوائق عن بلوغ المقصود منحصرة فى عدم انسجام الادارة والاحكام على مقتضى المصلحة وعدم صرف النظر الى منافع الامة حيث لم تكن لهم شريعة تضبطهم وانما الملوك المستبدون هم الذين يتصرفون كما أرادوا ووجدوا اليهم العلماء بالترغيب والترهيب فأعانوهم على العامة الى ان وصلوا الى درجة الاضمحلال فلما انفتحت بصائر الامم تحزبوا فى جهات الى تقييد التصرف من الملوك بمشاورة رؤساء الامم ووجهائهم وان تكون الادارة على قانون معلوم موافق لعادات الامة ومايقتضيه حالها وان يستوى الشريف والمشروف فى الحقوق الشخصية وان لايمتاز قسم من الناس بالاشياء الضرورية كالعلوم والاراضى والتجارة وغيرها فحصل هذا المقصود فى بعض تلك الممالك باراقة الدماء الغزيرة بين الملوك المستبدين وبين الامة

وفى

وفى بعض الممالك تفطن عقلاء ملوكها الى وجوب العمل بذلك الوجه اما لحذقهم وايثارهم للمصلحة العامّة على الخاصة بهم حيث علموا انها أى الخاصة لاتدوم الابدوام الامّة فآثروا مصلحة الامّة أو اتقاء من ايلولة أمر المملكة الى ما آل اليه غيرها مما الاثمرة لهم فى الاصرار على منعه فسارعوا الى منح الاهالى القوانين والحرية مننة منهم وما حصل فى احدى الممالك أجراء القوانين على أى وجه من الوجوه المتقدمة الا اخذت فى الترقى والثروة لانكفاف الظلم المؤذن بالخراب فتحسنت أحوالها ونمت سكانها وعمرت أرضها وكثرت صنائعها وانتشرت فيها المعارف وزادت اتقانا واختراعا وامتدت تلك المملكة بسطوتها على من لم يجاريها فيما هى عليه وسرى العمل على ذلك النحو فى جميع ممالك أوروبا تدريجا الى ان عم جميعها ولم يبق منها الآن مخالفا لبقيتها الا مملكة الروسيا بحيث يصح ان يقال ان جميع أوروبا كانها مملكة واحدة على نمط واحد وغاية الاختلاف بينها انما هو بزيادة الثروة والقوة والحضارة أما أصول هاته الاشياء فهى موجودة فى الجميع ولذلك نتكلم على هاته القارة كلاما عاما ونذكر أسماء ممالكها وقواها اذ هذا كاف فى المقصود من هذا التأليف حيث ان المقصود هو معرفة الممالك الآمنة من غيرها سيما ونحن سنذكر ان شاء الله تعالى فى المقصد تفاصيل ممالك مهمة منها فيقاس عليها غيرها اذ هى متشابهة على التقريب وانما نفرد دولة الروسيا المخالفة سيرتها لبقيتها وأما الدولة العلية فقد تقدم الكلام عليها فى قسم آسيا فاحكامها جارية فى الجميع على السواء غير انها لما كانت لها فى قسم أوروبا ولايات ممتازة وولايات غير ممتازة فنعيد ذكرها هنا أيضا وعلى ذلك فنقول ان أوروبا تنقسم الى دول جنوبية ودول وسطى ودول شمالية وجميعها ثمانية عشرة مملكة كلها نصرانية الا الدولة العلية كل منها مستقل عن الآخر وان كان بعضها يتألف من أكثر من مملكة واحدة فالدول الجنوبية ستة وهى الدولة العلية والجبل الاسود واليونان وايطاليا واسبانيا والبرتقال والوسطى ستة أيضا وهى فرانسا واسفيسرا والبلجيك وأوستريا والصرب والرومانيا والشمالية ستة أيضا وهى الروسيا والسويد والدانيمرك وهلاندة والمانيا وانكلتيرة

الفصل * الحادى والعشرون

فأما الدولة الاولى فهى الدولة العلية وتختها القسطنطينية فالتها العامّة تقدم الكلام

عليها وأما الخاص منها بهاته القارة فان لها ممالك رحيبة فمنها ما هو ممتاز ويؤدّى
اداء سنويا معلوما وادارته فى نفسه مستقلة كولاية البلغار التى قاعدتها صوفية فانها
بعد معاهدة برلين الناتجة من حرب سنة ١٢٩٤ التى سيأتى تفصيلها فى المقصد ان شاء
الله تعالى صارت هاته الولاية أمارة نصرانية مستقلة وادارتها على نحو الايدارات العامّة
فى ممالك أوربا ذات القوانين التى يرد الكلام عليها عن قريب ان شاء الله تعالى
وأغلب سكانها البلغاريون وبقية سكان الامارة من المسلمين واليونان وكل منهما فى أشد ❁
الضنك لاسيما المسلمين من قساوة القسم الغالب الذى صارت له السيادة على الجميع لانهم
ولان كانوا ظاهرا ادارتهم حرة قانونية لكن الباطن استبدادية تحت اشارة الروسيا ❁
المستمدة المودة للامارة المذكورة وهاته الامارة ليس لها حق فى انشاء حصون على
حدودها والحصون التى كانت فيها للدولة تهدم بمقتضى معاهدة برلين وعساكر الامارة
يكونون من الاهالى وأغلب رؤسائهم الآن من الروس والى الآن لم يتعين مقدار الاداء ❁
السنوى الذى يلزمها اداؤه للدولة العلية بسبب التراخى عن اجراء جميع فصول معاهدة
برلين وكذلك للدولة العلية فى هاته القارة ولايات أخر مستقلة فى الادارة ومازاد من
دخلها عن مصارف مصالحها الذاتية يؤدّى الى خزنة الدولة الا الكمرك والدخان
فهما راجعان للدولة وهاته الولايات نصرانية وشروط واليها أن يكون نصرانيا يولى ❁
من الدولة بعد موافقة الدول عليه ولا يعزل قبل اتمامه لخمس سنين وأما العساكر فليس
لها أن تنظم جيشا وانما تحدث حرسا أهليا لانفاذ الاحكام وحفظ الراحة المعتادة وان
أحوج الحال الى قوة عسكرية فان الدولة ترسل للوالى مقدار ما يطلبه لذلك وللدولة
أن تقيم فى الحصون والحدود عساكر على حسب ما يظهر لها بشرط أن لا يكون على
الاهالى منهم أدنى كلفة أو تعلق وهاته الولايات هى الروميلى الشرقية واكريت والسوسام
والاحكام الجارية فيها قانونية بواسطة مجالس من الاهليين كما ان للدولة ولايات أخر ❁
فى هاته القارة ليس لها امتياز عن غيرها من بقية الممالك وهى ولايات الروميلى كادرنة
وشقودرة وسلانيك وجزاير البحر الابيض وأما بوسنة وهرسك فكلاهما تحت تصرف
النمسا وهما من حقوق الدولة ولذلك كان لها فيهما العلم بحيث ينشر كل من علم أوستريا
وعلم الدولة معا والخطبة باسم السلطان العثمانى والمتوظفون العثمانيون ان صلحوا
فى نظر الوالى الاوستورياوى يبقون كما ان أوستريا أدخلت عساكرها مشاركة للعساكر
العثمانية فى صنجق نوفى بازار مع بقاء الادارة بيد الدولة وكل ذلك بموجب معاهدة

برلين

براين فيحد أملاك الدولة في أوروبا الآن شمالا نهر الطونة وغربا النمسا والصرب والجبل الاسود وبحر البنادقة ويحدها جنوبا بوغاز القسطنطينيه وبحر مرمرا وبوغاز جناق قلعة وبحر الجزر والبحر الابيض واليونان وشرقا البحر الاسود وبحر الجزر

الفصل * الثانى والعشرون

وأما الدولة الثانية وهى الجبل الاسود فانها استقلت بعد الحروب الواقعة سنة ١٢٩٣ وكانت تابعة للدولة العلية ولازالت تلقب بالامارة ثم ضم اليها قطع من ممالك الدولة العلية وصار الآن سكانها نحو ثلاثمائة ألف ويحدها هاته المملكة شمالا فى البعض أوستريا وغربا بحر البنادقة ومن بقية الجهات الدولة العلية وقاعدة المملكة ستين

الفصل * الثالث والعشرون

وأما الدولة الثالثة وهى اليونان فانها كانت تابعة للدولة العلية أيضا واستقلت فى سنة ١٢٤٦ وكان اذ ذاك عدد سكانها نحو ثمانمائة ألف فتكاثروا الى ان بلغوا الآن الى ما يزيد على المليون ونصف ولهذا الجنس الشهرة التامة فى التقدم وفنون العرفان فى الاعصر السابقة الا انهم لم يبقوا على ما كانوا عليه والى الآن لهم اعتناء زائد بالاسفار وقوة البحر وهذه المملكة شبه جزيرة فى البحر الابيض فيحيط بها من جميع الجهات الا الجهة الشمالية فتحدها الدولة العلية ولها جزاير أخر بقربها تابعة لها وقاعدتها اتينا

الفصل * الرابع والعشرون

وأما الدولة الرابعة وهى ايطاليا فقد كانت منقسمة الى عدة امارات وممالك ثم فى أواسط هذا القرن أخذت فى الاتحاد الى ان تم اتحادها بجعل مدينة رومة تختا لها فى سنة ١٢٨٧ وصارت دولة من الدول العظام سكانها نحو سبعة وعشرين مليونا ويحدها البحر الابيض من الغرب فى البعض وفى الباقى فرانسا ويحدها جنوبا البحر المذكور ويحدها من الشرق بحر البنادقة فى الجل وفى البعض أوستريا ويحدها شمالا أوستريا فى البعض وفى الباقى سفيسرة وفرانسا وسيأتى مزيد الكلام عليها بانفرادها فى المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والعشرون

وأما الدولة الخامسة فهى دولة اسبانيا وقد كانت متلاشية فى شمال الاندلس ولما أكب المسلمون هنالك على شهواتهم وعملوا بالظلم بعد ان بلغوا الدرجة القصوى من العدل والمعارف والقوة حتى فتحوا تسعا عظيما من فرانسا ثم تركوا ما كانوا عليه وانقسموا ملوك طوائف كما قال شاعرهم

مما يزهدنى فى أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب سلطنة فى غير موضعها * كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فحينئذ استعانت دولة الاسبنيول بذلك الانقسام والظلم واعانت بعضهم على بعض واستمدت هى بالفائدة الى أن تسلطت على الجميع وفعلت من التوحش والقسوة ما تنفر عن سماعه الآذان حيث ألزمت المسلمين اما تبديل دينهم أو القتل فهرب من قدر منهم على النجاة أفواجا أفواجا حفاة عراة وتشتتوا فى المغرب والجزاير وتونس ايدى سبا ثم استفحل أمر تلك الدولة أى الاسبنيولية الى أن كانت هى وحدها اذ ذاك ذات التقدم على سائر الدول الاوربأوية لما فازت به من ثمرات فنون المسلمين وصنائعهم وكانت وحيدة فى القوة البحرية حتى ان أول من اكتشف أمريكا كان من اسطولها كما سيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعمرت مستعمرات فى أمريكا والبحر الهندى وأفريقية غير انها فيما بعد ا ثخن فيها الاستبداد جراحه سنة الله فى أرضه فتقهقرت الى ان كادت أن تتلاشى وخرج عنها كثير من مستعمراتها وخربها الظلم ونقصت فيها الانفس والاموال والثمرات الى أن استفاقت الامة من غفلتها وثاروا ثورة واحدة حتى حصلوا على ترتيب دولة قانونية وامتد أمرهم فى تحصيل مقصودهم بضع سنين وهى من سنة ١٢٨٦ الى سنة ١٢٩٣ فاستقر حالهم على حكومة حرة وملكوا عليهم ابن ملكتهم السابقة التى ثاروا عليها بعد ان سيروا الحكومة الجمهورية ثم عدلوا عنها وارادوا أحد عائلات ملوك أوروبا فملكوا عليهم ابن ملك ايطاليا ثم بدا له منهم النفرة فخلع نفسه وأوصلوه الى بلاده محروسا مكرما وعادوا الى الجمهورية فأنف منها شرفاؤهم وأغلب الاهالى فاستقر أمرهم على ابن ملكتهم المذكور على ان يكون تحت القوانين المرتبة وخاضعا لها فاستقام حالهم بذلك وأقبلوا على اصلاح شؤونهم بيد ان ذلك لما كان حاصلا من عهد قريب وبعد

حروب

حروب أهلية لم تتراجع دولتهم الى ان تعد من الدول الاولية وسكان هاته المملكة عدى ما بقي لها من المستعمرات سبعة عشر مليونا ولها مستعمرات في أمريكا وفي شطوط أفريقيا وآسيا وجزر الاقيانوس يبلغ عدد سكانها نحو تسعة ملايين وهاته المملكة يحدها جنوبا بوغاز طارق والبحر الابيض وشرقا البحر الابيض في البعض وفرانسا في الباقي وشمالا المحيط الشمالي وغربا المحيط المذكور ومملكة البرتقال وقاعدتها مدريد

الفصل * السادس والعشرون

وأما المملكة السادسة وهي مملكة البرتقال فقد كانت قسما من الاندلس ثم اسبانيا وعند تقهقر هاته استقلت عنها واجرت القوانين فكانت مستقيمة السيرة على قدر جهدها وسكانها نحو اربعة ملايين ونصف ولها مستعمرات في شطوط افريقية والصين والهند يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ويحد هاته المملكة غربا المحيط الغربي ومن بقية جهاتها اسبانيا وقاعدتها اشبونة بالتسمية العربية وحرفوها الآن فصارت لزبون

الفصل * السابع والعشرون

وأما الدول الوسطى فاولها دولة فرانسا ذات النخوة والشأن المتقدمة في التمدن والسطوة والعرفان وسيأتي تفصيل الكلام عليها ان شاء الله تعالى وانما نقول هنا ان هاته المملكة حوت من المحاسن والصفات ما أقر لها به معاصروها ومناكبوها ولولا تقسيم أهلها الاحزاب مع سرعة العمل بينهم لما جارتها دولة وهي تشتمل على نحو ستة وثلاثين مليونا من النفوس ولها مستعمرات في جميع القارات يبلغ عدد سكانها نحو خمسة ملايين واستقلالها قديم وتختها مدينة باريس ويحدها جنوبا البحر الابيض وايطاليا واسبانيا وشرقا ايطاليا وسفيسرة وجرمانيا والبلجيك وشمالا البلجيك والمانش والمحيط الشمالي وغربا المحيط المذكور وهي من اقدم الدول القانونية وان طرأ عليها في الوسط شئ من الاستبداد لكنها ازاحته وحكومتها جمهورية وقاعدتها باريس

الفصل * الثامن والعشرون

وثانيها دولة سفيسرا ويحدها جنوبا ايطاليا وشرقا أوستريا وشمالا المانيا وغربا فرانسا

وقد كانت تداولها كل من فرنسا والمانيا مدة قرون وفى خلالها يحصل لها فى بعض الاحيان استقلال الى أن تم استقلالها باعتراف جميع الدول الكبيرة وضمانتهم لاستقلالها وذلك (سنة ١٠٤٨) أى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى ولازالت على ذلك وسكانها نحو مليونين ونصف وحكومتها جمهورية خالصة بمعنى ان المجالس العليا ينتخب أعضاؤها من أنفسهم سبعة أشخاص لمدة ثلاث سنين يكونون بمثابة الوزراء فى ادارة الامور على نحو ما تتفق عليه المجالس وينتخب هؤلاء السبعة رئيس لمدة عام واحد يكون هو رئيس الدولة العام وتخت المملكة مدينة بارن

الفصل * التاسع والعشرون

وثانيها دولة البلجيك فيحدها جنوبا وغربا فرنسا وشمالا بحر المانش والمحيط الشمالى وشرقا المحيط الشمالى وهولانده والمانيا وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وتخت المملكة مدينة بروكسل وكانت من ملحقات فرنسا ثم استقلت بأمرها مع اتحادها بهولانده بعد سقوط نابليون الاول ثم استقلت بتا (سنة ١٨٣٠) مسيحية الموافقة (سنة ١٢٤٦) هجرية فسبقت أيضا فى العمران والثروة

الفصل * الثلاثون

ورابعها مملكة دولة النمسا المتركبة من دولتين مستقلتين وهما أوستريا وهنكاريا وكل منهما لها ادارة خاصة بجميع داخليتها ووزراء يباشرون الادارة فى كل منهما ولهما ملك واحد يلقب بامبراطور أوستريا وملك هنكاريا ولهما قانون معلوم فى كيفية الاتحاد والانفراد وحدود كل منهما ومنها أن يكون وزير الخارجية وعلائقه متحدا فى كل من المملكتين ودولة أوستريا من أقدم دول أوروبا وكانت فى مبدئها صغيرة ثم تعاظمت ودخلت فى العصبة الالمانية حيث ان من أهاليها قسما عظيما من الجنس الالمانى وصارت لها الرياسة على العصبة مدة الى ان انتزعتها منها دولة بروسيا (سنة ١٢٨٤) فى حرب عاضدتها فيه ايطاليا واستقرت الآن منفردة عن العصبة الالمانية وصار عدد أهالى هاته الدولة نحو سبعة وثلاثين مليونا ويحدها جنوبا الرومانيا والصرب والدولة العلية وبحر البنادقة وايطاليا وغربا سفيسرة والمانيا وشمالا المانيا والروسيا وشرقا

الروسيا اورومانيا وقاعدة المملكة الاولى هى مدينة فينا وقاعدة الثانية هى مدينة بست وتحت تصرفها بوسنة وهرسك

الفصل * الحادى والثلاثون

وخامسها دولة الصرب وانما صارت دولة مستقلة بعد حرب سنة ١٢٩٣ وكانت أمارة مستقلة بالادارة تابعة للدولة العلية وتؤدى لها الخراج وبمقتضى معاهدة برلين صارت دولة مستقلة يحدها جنوبا الدولة العلية بامارة البلغار وغربها وشرقا هى أيضا ونهر الطونة وشمالا النهر المذكور والنمسا وغربا ولاية بوسنة وهرسك الراجعة للدولة العلية وتصرفها بيد النمسا وعدد سكان هاته الدولة مع ما أضيف اليها بمقتضى المعاهدة المذكورة نحو المليونين وقاعدتها بلغراد

الفصل * الثانى والثلاثون

وسادسها دولة الرومانيا يحدها جنوبا الدولة العلية بولاية البلغار فى البعض وفى الباقى نهر الطونة ويحدها شرقا البحر الاسود والروسيا وشمالا الروسيا والنمسا وغربا النمسا وقاعدتها بخارست وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وبقية أحوالها مثل الدولة المتقدمة عليها فى الذكر لكنها متقدمة فى التمدن والمعارف والقوة وعندما كانت تابعة للدولة العلية كانت تسمى بالولايتين أى الافلاق والبغدان حيث كانت منقسمة اليهما ثم اتحدتا فى عشرة السبعين والمائتين وألف تحت أمير واحد ثم استقلت بمقتضى معاهدة برلين بعد ان دخلت فى اعانة الروسيا على كره من الاهالى ولا زالوا محبين للترك الى الآن

الفصل * الثالث والثلاثون

وأما الدول الشمالية فالدولة الاولى منها دولة انكلاتيرة السابقة فى الحرية والثروة وهى جزيرتان منقطعتان فى المحيط الشمالى يحيط بهما البحر من جميع الجهات وأقرب جهة من القارة اليها هى مملكة فرانسا ويفصل بينهما بحر المنش واضيق جهة منه بينهما نحو عشرين ميلا وسكانها نحو ثلاثين مليونا وقاعدتها مدينة لندرة ولها مستعمرات فى جميع أقسام الكرة فمنها الهند وجزره وعدن فى أسيا كما تقدم الكلام على ذلك

❃ ومنها رأس الرجا الصالح وغيره فى أفريقيا ومنها آيالات فى أمريكا الشمالية وأخرى فى الجنوبية وأعظم جزائر أوستراليا وعدد جميع من يتبعها فى المستعمرات نحو مائة وتسعين مليونا وسيأتى الكلام على هاته المملكة مفصلا فى باب خاص من المقصد ان شاء الله تعالى

❃ الفصل * الرابع

﴿والثلاثون﴾

والثانية منها دولة هلاندة ويحدها شمالا وغربا المحيط الشمالى ويحدها جنوبا
❃ البلجيك وشرقا المانيا وقد كانت تداولتها دول جرمانيا وفرانسا واسبانيا الى أن استقلت مع البلجيك بعد سقوط نابليون الاول ثم انفصلت عنها البلجيك سنة ١٨٣٠ م
❃ و ١٢٤٨ هـ وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة ألف نفس ولها مستعمرات فى جزائر الهند وجاوا وسمطرا وأمريكا وأفريقيا عدد سكانها نحو عشرين مليونا من الانفس وقاعدة المملكة مدينة هاك

❃ الفصل * الخامس

﴿والثلاثون﴾

والثالثة منها دولة المانيا المتؤلفة من ستة وعشرين دولة كل منها مستقل بادارته الداخلية ولهم قانون فى الوحدة ومجلس يشترك فيه الجميع عدد أعضائه على قدر مناسبة سكان الممالك المشتركة فيه والرياسة على جميع هاته الدول الآن لدولة بروسيا وملكها يلقب بامبراطور المانيا ويحد جميع المملكة شرقا الروسيا والنمسا وبحر البالتيك وشمالا البحر المذكور والدانيمرك وغربا هلاندة والبلجيك وفرانسا وجنوبا سويسرة وايطاليا
❃ والنمسا وعدد سكان الممالك احد وأربعون مليونا والقاعدة الكبرى للجميع هى برلين
❃ وهذه أسماء الدول المتألفة منها العصبة مع عدد السكان وأسماء القواعد

أسماء الممالك	أسماء القواعد	عدد سكان الممالك
بروسيا	برلين	٢٥ و ١٧١ و ٠٠٠
بافير	مونيخ	٠٤ و ٨٦٤ و ٠٠٠
فورتنبرغ	استوتكادر	٠١ و ٨١٨ و ٠٠٠
بادن الكبرى	كارلس	٠١ و ٤٦١ و ٠٠٠
الساكس	درازد	٠٢ و ٥٦٠ و ٠٠٠
مكلنبورغ ستراتس	نيوستراتس	٠٠ و ٠٩٧ و ٠٠٠
أولدن بورغ	أولدنبورغ	٠٠ و ٣١٦ و ٠٠٠
الساكس و يمر	ويمر	٠٠ و ٢٨٦ و ٠٠٠
الساكس مينجن	مينجن	٠٠ و ١٨٨ و ٠٠٠
الساكس كو برى غوطا	غوطا	٠٠ و ١٧٤ و ٠٠٠
الساكس التين بورغ	التنبورغ	٠٠ و ١٤١ و ٠٠٠
اشفارزبورغ	رودول استاد	٠٠ و ٠٧٥ و ٠٠٠
شوراشبورغ سوندرسوزن	سوندرسوزن	٠٠ و ٠٦٨ و ٠٠٠
أدليس شلايز	شلايز	٠٠ و ٠٨٩ و ٠٠٠
أوليس غرايز	غرايز	٠٠ و ٠٤٥ و ٠٠٠
أنحات	ديسو	٠٠ و ٢٠٣ و ٠٠٠
ابرونزويك	ابرونزويك	٠٠ و ٣١٢ و ٠٠٠
ليب ديتمولد	ديتمولد	٠٠ و ١١١ و ٠٠٠
ليب شاومبورغ	بوكي بورغ	٠٠ و ٠٣٢ و ٠٠٠
فالديك	ادرسن	٠٠ و ٠٥٦ و ٠٠٠
ايس دارمستاد	دارمستاد	٠٠ و ٨٥٣ و ٠٠٠
(استرسبورغ) (ميتس) للعاس واللورين	(كولمار)	٠١ و ٥٤٨ و ٠٠٠
بلدة هامبورغ	هانبورغ	٠٠ و ٣٦٠ و ٠٠٠
بلدة لنك	لونك	٠٠ و ٠٥٢ و ٠٠٠
بلدة بريم	بريم	٠٠ و ١٢٣ و ٠٠٠
		٤١ و ٠٠٣ و ٠٠٠

وكلها ذات قوانين والسياسة الخارجة متكفلة بها الدولة الرئيسة

الفصل * السادس

﴿ والثلاثون ﴾

والرابعة منها دولة السويد المتألفة من دولتي السويد والنورويج وكل منهما مختصة بادارتها الداخلية والوزارة والالسان والعساكر بحيث لا يجمع بينهما الا كون الملك واحدا والسياسة الخارجية أيضا الحكومة السويد وكانت المملكة قديما ذات عظمة فاستقلت عنها الدانمرك وأخذت قسما عظيما منها الروسيا واستقرت على الحالة التي هي عليها الآن منذ سقوط نابليون الاول فمجموع سكان المملكتين نحو خمسة ملايين ونصف يخص السويد نحو أربعة ملايين ويخص النورويج نحو مليون ونصف وقاعدة الاولى استكولم وقاعدة الثانية كريستيانية ويحد المملكتين اللتين هما شبه جزيرة تمتد الى نهاية القطب الشمالي فمن الجنوب بحر البلتيك وخليج بوتنيا وشمالا المتجمد الشمالي في القطب وغربا خليج الصوند والبحر الشمالي وبحر الاسكندنافيا اللذان هما من المحيط الشمالي وشرقا الروسية في البعض وفي الباقي الخليج الفاصل بينهما

الفصل ❁ السابع

﴿ والثلاثون ﴾

والخامسة منها دولة الدانمرك وانفردت عن السويد والنورويج في أواسط القرن الثالث عشر من الهجرة ثم في أوائل عشرة الثمانين ومائتين وألف هجرية حاربتها كل من بروسيا والنمسا وامتلكا منها ولايتي الشواسويغ وهولستين التي هي أول شرارة القيت لانقلاب الموازنة السياسية في هذا القرن كما يأتي تفصيله في المقصد عند ذكر ايطاليا ان شاء الله تعالى فاستقرت المملكة شبه جزيرة ممتدة من الجنوب الى الشمال ويحدها جنوبا حيث تتصل بالقارة المانيا البروسيانية وشرقا خليج الصوند وبحر البلتيك الفاصلان بينها وبين السويد وشمالا خليج سكارج راك الفاصل بينهما أيضا وغربا البحر المحيط الشمالي وسكانها نحو مليون وستمائة ألف ولها مستعمرات في جزائر البحر الشمالي من أوروبا ولها في أمريكا أيضا مستعمرات ومجموع سكان مستعمراتها نحو مائة ألف وخمسة وعشرين ألفا وقاعدتها كوبنهاغ

الفصل * الثامن

* والثلاثون *

والسادسة منها دولة الروسيا ومملكتها بالنظر لسطح الارض هى اكبر الممالك وقد تقدم الكلام على قسمها من آسيا واما فى اوروبا فيحدها شمالا المحيط الشمالى وشرقا جبال اورال ونهر دون الفاصل بين آسيا واوروبا وجنوبا البحر الاسود والرومانيا والنمسا وغربا المانيا والسويد وعدد جميع سكان المملكة بين آسيا واوروبا نحو نيف وثمانين مليونا من النفوس منهم نحو ستين مليونا من المذهب المسمى ارتيدوكس وهو مذهب اليونان من المسيحيين وكلهم من نوع البشر المسمى بالسلاف وبقية العدد منه نحو ثمانية ملايين مسلمين والباقى من مذاهب شتى من الديانة المسيحية وغيرها والدولة على المذهب الارتيدوكس وهى وان لم تجبر غير اهل ذلك المذهب على تبديل دياناتهم او مذهبهم فى اثناء تمنعهم من حرية المذهب واشهار تعاليمه بل تجبرهم على تعليم ابنائهم فى مكاتبها وتجبرهم ايضا على ترك لغاتهم ولا يخفى ان اهل مملكة مثل تلك فى الاتساع وكثرة الاجناس لابد ان يكون لهم لغات شتى حتى قيل ان اللغات الاصلية فيهم تتجاوز الخمس عشرة لغة وهاته الدولة تكونت على الصفة المار ذكرها فى مدة قليلة فان هاته المملكة كانت قديما لا يعرف منها الا اهل الجنوب باسم قبائل الى القرن الثالث المسيحى فتألفت فى روسية اوروبا سلطنة عظيمة من امة الغوت ثم تلاشت بالحروب الاهلية وبهجمات الامم الشرقية على اوروبا وتمادت على ذلك الى ان استولى على اغلبها التتر مدة اوقتاى ابن جنكز خان ثم ابتدا تأسيس المملكة سنة ١٤٨١ م و٨٨٦ هـ على يد ايفان الملقب بالامير الكبير وخضعت له ولذريته القبائل المتكونة منها روسية الاصلية ثم انقطعت عائلته وحدث فى المملكة تقهقر اشرف بها على الاضمحلال الى ان تولاها ميشال رومانوف وهو الذى اسس الدولة الموجودة الآن وذلك سنة ١٦١٣ م و١٠٢٢ هـ فأخذت فى الراحة الاهلية وضم ما كان خرج عنها الى ان تولاها بطرس الاكبر محيى تلك الدولة فهو الذى اسس اسمها بين الدول المعتبرة واجتهد فى ترقيتها وكان مع مزيد اعتنائه بالسياسة ومباشرتها بنفسه تحمل اتعاب السفر الشاق فى ذلك الوقت لتعلم الصنائع بنفسه حثا لامته على الاقتداء به وبقى مدة فى ترسخانة هلاندة لتعلم صناعة النجارة حتى اتقن تعلمها وجلب للمملكة معلمين من عدة صنائع واخذت من ذلك الوقت فى الترقى والاتساع مع خزمه هو ومن

خلفه ومهارتهم فى الفنون الحربية والمكايد السياسية الى ان بلغت الآن الى ماهى عليه
من مزيد القوة والاتساع ولوانها كانت فى المعارف والحرية مثل بقية ممالك أوروبا
❊ لما كادت ان تسلم منها دولة بيد ان بقاءها على اصول الاستبداد أوجب فيها قلة الثروة
والمعارف فلم تقدر على انجاز كل ماتضمره وان كان القيصر الموجود الآن وهو
الاسكندر الثانى قد حرر الفلاحين من ملك الاعيان لهم حيث كان سابقا ان قسم الاعيان
من المملكة من ملك منهم أرضا ملكها بمن فيها من البشر ويستعملهم استعمال العبيد
بحيث يتصرف فيهم تصرفه فى المتاع كما كانت تلك العادة جارية فى أوروبا حتى ان الفلاح
اذا أراد التزوج بعد الاذن له من سيده يأتى بعروسه ليلة عرسه الى سيده ولايمكن له أن
يدخل بها قبل أن يبارك له عليها سيده وان أراد الاختلاء بها فله حق ذلك وقس على
ذلك من أنواع الشناعة ماشئت ففى سنة ١٨٦٧ م و ١٢٨٤ هـ أبطل القيصر اسكندر
❊ الثانى ذلك الحكم وحرر الفلاحين وأما ادارة هاته المملكة فهى من قبيل الاستبداد
المطلق بمعنى ان رئيس المملكة ويلقب عندهم باكزار بمعنى قيصر أوامبراطور مع انضمام
معنى الرياسة الدينية فهو الذى يتصرف فى الكليات والجزئيات على حسب ارادته
واختياره ومن ينوب به فى الوظائف يتصرف مثل ذلك التصرف باسم الاكزار وللاكزار
رياسة التصرف فى الديانة وفى الملك وفى العسكر وفى الشخصيات ومع ذلك لهم تراتيب
❊ ومجالس لتدبير الملك وادارة الولايات فأول هاته المجالس المجلس المسمى بمجلس
السلطنة وهو مجلس تشريع وادارة وحكم فيستشار فى جميع الامور المهمة غير السياسة
الخارجية فانها مختصة بالملك ويستعين بوزرائه فيها ولهذا المجلس النظر فى احداث
القوانين واجرائها وتعيين المداخيل والمصاريف وتدقيق النظر فى محاسبات الوزراء وترفع
اليه الاحكام الشخصية الثقيلة ويتركب من الوزراء واعضاء العائلة الملكية واعضاء
ينتخبهم الامبراطور لمدة حياتهم وحضور الاعضاء فيه على نوعين فالاول لازم الحضور
والثانى يحضر بالاستدعاء لداع يقتضيه وله تقاسيم فى الادارة كل قسم مناط به شئ مما
يتعلق بالوظيفة المجلس الثانى هو مجلس السناتو الذى أسسه بطرس الاول ووظيفته
حراسة القوانين والمراقبة على سيرة كبار المتوظفين والولاة والحكم النهائى فى الجنايات
السياسية الاخصوص نوازل يختص بها الامبراطور وهو ينقسم الى أقسام مراكزها
فى عدة جهات من المملكة فى المدن الكبيرة ويجتمع فى أوقات الاجتماعات العامة
المجلس الثالث مجلس ينظر فى خصوص المعاريض المقدمة للامبراطور وهل للمشتكين

من

من الحكام عرض نوازلهم على أحد المجلسين المذكورين سابقا المجلس الرابع المجلس الديني المركب من اساقفة الايالات الكبيرة ووظيفته تسمية كبار الكنائس والنظر في ادارتها اذا أمضاه الامبراطور والمجلس الخامس مجلس الوزراء المؤتلف من تسعة وزراء فأكثر على ما يقسم الامبراطور ادارة الوزراء اليه والمجلس السادس مجلس الرقيب العام أعضاؤه مثل الوزراء ثم ان المملكة تنقسم الى أقسام وهي أيضا تنقسم الى أصغر منها الى آخره سواء كانت في المدن أو في البوادي فالاقسام الكبار المتصرف فيها هو الوالي العام البلدي وهو المطالب للامبراطور بجميع ما يحدث في ولايته ولذلك كان له الاطلاق أيضا في امضاء ما يراه مجلس الولاية أو دحضه وهكذا كل رئيس في قسم أصغر منه هو مطالب لمن فوقه فلا جدوى في ان كان لكل منهم مجلس مركب من أعضاء من أهل المكان وفي كل قسم كبير جمعية تسمى جمعية الاعيان عدد أعضائها على حسب الدوائر والمشيخات الراجعة لذلك القسم ورئيسها يلقب بمارشال الاعيان ووظيفتها تعيين غالب المتوظفين في كل ثلاث سنين اذا امضاه الوالي أو الامبراطور وفي كل مدينة أو قرية مجلس بلدي تحت رياسة أحد أعيانهم والذي ينتخب أعضاء المجلس والرئيس هو الملة من البلدان ومعنى البلدية هو الاعيان والاواسط من الناس وأما أصحاب الخدم المدنية فليس لهم هذا المقام ووظيفة المجالس البلدية ادارة الاشغال العامة ومصالح البلدان والحكم فيما يحدث بين البلدية في التجارة كما انه يوجد في هاته الاقسام مجالس للحكم في الجنايات ومجالس للحكم في الامور العرفية وامضاء الحكم مناط برئيس القسم كما تقدم كما ان لكل مشيخة بالبادية جمعية من كبار عائلاتهم لفصل نوازلهم وتقسيم الاداء اللازم للدولة وتعين من يدخل للعسكر ورؤساء هاته الجمعيات هم أقدمهم في المشيخة ولهم الخيار أيضا في تنفيذ رأي الجمعيات ومن مجالسهم مجالس الصلح وهو الذي يوبخ المتوظفين عن تجاوز مأمورياتهم والحكم في الجنايات الخفيفة والماليات التي لا تبلغ أربعمائة فرنك ومن قواعدهم ان الخصمين اذا حكما أحدا مضى حكمه على شرط تقييده في دفتر مخصوص لذلك أما أحكام الحكام فهي شفاهية ويشترط في المتوظفين ان يكونوا أصحاب عرض وان لا ينقص سن أحدهم عن الخمس والعشرين سنة وفي خصوص الولايات التي في حدود المملكة يوجد حاكم عسكري مع الحاكم المدني وله الرياسة عليه وبخصوص ولاية فلاندا وزارة خاصة في قاعدة المملكة ومجلس سنا توا يسميه الامبراطور في كل ثلاث سنين وتخت جميع المملكة هي صان بطرسبورغ فادارة هاته المملكة وان

كانت لها مجالس وقوانين وكثير من متوظفيها تنتخبهم الاهالى لكنها فى الواقع استبدادية حيث ان اجراء كل شئ وتنفيذه منـاط بالامبراطور ثم بخلفائه ولهم الخيار فى التنفيذ وعدمه من غير تقييد بمرجع ولا يخفى ان ذلك الرئيس وان كانت أغراضه لا تعم جميع الجزئيات لكنه له حواشى وأتباع فيراعى لكل منهم بعض الوجوه ولكل منهم علائق وأغراض فيتسع الخرق فى المراعاة والمداراة وتجرى الامور على الشهوات ولهذا لما كثرت الصحف الحرية فى نفس المملكة وكثرت فيها الصحف الاجنبية وكثرت

❊ المدارس التى تعلم اصول التهذيب وكثرت المواصلة ببقية ممالك أوروبا بالطرق الحديدية انفتحت بصائر أهالى المدن الكبيرة فى الروسيا وسرى الامر منهم لمدن ثوانى فى جهات من المملكة فحصل منهم سنة ١٢٩٦ ثورات عديدة ولا زالت مستمرة الى الآن لكن تارة تشتد وتارة تخف فى طلب اجراء الحرية والقوانين مثل بقية أوروبا وزادهم جلاء على ذلك ما رأوه من دولتهم عند اعلانها الحرب على الدولة العلية سنة ١٢٩٤ الآتى خبرها فى المقصد ان شاء الله تعالى حيث حررت أهل البلغار مع انهم أحسن ادارة منهم وجعلت لهم ولاية ممتازة ادارتها قانونية فقالوا اما لنا نتحكم على جيراننا وننفع غيرنا ونهرق لاجلهم دماءنا وأموالنا ونحن فى حالة اتعس منهم فكأن لسان حالهم يقول

يا أيها الشيخ المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

فالحاصل ان مملكة الروسيا انما تقدمت بالسطوة والقوة لمجرد حذق أمرائها فان القيصر وان كان له التصرف المطلق لكنه دائما يراعى مصلحة المملكة ويقدمها على حظوظه الخاصة ولا يصرف من أموال الدولة الا فى مصالحها وهو فى حد ذاته فى غاية الاقتصاد ثم انه يستعين بالرجال العارفين الحازمين الصادقين ولا يغير أحدا من الكبراء من منصبه الا لمصلحة مهمة أو ذنب ثابت حتى ان وزيره الاكبر الآن وهو غرتشقوف له فى الوزارة سبع وعشرون سنة مع كبر سنه الذى بلغ الثمانين ولم يغيره بل انه مرض مرضا شديدا فى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ واضطر للاستعفاء فلم يعفه وجعل له نائبا عنه لمباشرة الاشغال الى ان يتيسر له مباشرة الاحوال وعاده بنفسه فى مرضه كما انه استعفى مرارا ولم يجبه الى ذلك وهو أى القيصر منقاد لتدابير وزرائه والناصحين العارفين وهكذا أسلافه فان الوزير نسلرود الذى كان قبل غرتشقوف مكث فى الوزارة ثلاثين سنة وبذلك حصل التقدم للدولة وصارت مدنها الكبيرة لا يفرق بينها وبين

مدن

مدن أوروبا القانونية لا فى الادارة الحكمية ولا السياسية ولا التحسين التشخيصى اما غيرهامن بقية المملكة فكأنما الناس عبيد مستعملون للرعاة حتى حكى لى أحد السواح الثقاة ان مشايخ القرى يضربون الرعية بالسياط وهم مارون بالطريق ولا يأمر الشيخ أحدا بشئ الاو يتبعه السوط ضربا لاجل ضيافة السائح فتعجب السائح من ذلك وقال له يا أيها الشيخ لالزوم لهذا الاكرام حيث ان الواقعة هى ان السائح لما قدم لقرية وبيده توصيات من الحكومة فى الالتفات اليه من الرعاة واكرامه عمل شيخ القرية بذلك وأمر فى الحال أحد الاهالى بالاتيان بعلف الدواب من عنده وأمرآخر بالاتيان بالاكل الطيب من عنده أيضا وأتبع الامر بالضرب والشتم فقال له السائح المقالة المارذكرها فأجابه بدع عنك هذا الكلام ان هؤلاء الكلاب لايصلح فيهم الاهذا العمل فلوانى طلبت منهم ماطلبت باعلا مايكون من الثمن عن طيب نفس لما أجابوا الشئ وكلام هذا الشيخ وان أمكن ان يكون فيه مبالغة لكنه لايخلوا عن الصحة لان الاهالى أعنى أغلبهم تربوا على السذاجة الحيوانية ولم تتهذب أخلاقهم مع النشأة على الذل والهوان والتحكم الشديد فلوطلب منهم الحاكم شيأ اعتادوا على اعطائه مجانا بالوعد بالثمن لما صدقوا بذلك ورأوا ان رزقهم يؤخذ منهم قهرا وحب المال مجبولة عليه الطباع فيتكاسلون عند اعطائه الا بالغصب فيصنع الحكام معهم ذلك الصنيع ولوانهم عودوهم من الصغر والنشأة على مكارم الاخلاق واكرام الضيف ورأوا منهم مرارا اعطاء الحقوق والثمن لما خالفوا طبع سائر البشر واعلم ان فى أقسام هاته المملكة أقواما كثيرين من المسلمين منهم أهالى ولاية قازان الذين أسلموا منذ العصر الاول اذ قيل انهم أسلموا فى عصر بنى مروان فى كبد القرن الاول من الهجرة وقيل فى خلافة المأمون وقيل فى خلافة الواثق ابن أخيه وانتشر فيهم الاسلام باسلام ملك بلغار الماس خان بن سلكى خان فى خلافة المقتدر فتسمى بالامير جعفر وقاعدة هاته الولاية مدينة بلغار المذكورة فى كتب الفقه للاختلاف فى وجوب العشاء على أهلها فى مدة الصيف حيث لا يغرب فيها الشفق وانما أفردت بالذكر مع شمول الحكم لكل ماقرب الى أحد القطبين لانها هى التى كانت اذذاك معروفة باسلام أهلها ولم يحدث الخلاف فى الوجوب الا فى المائة السادسة اذ لانص عن المتقدمين وقد أفرد المسئلة بتأليف بديع أحد علماء هاته البلدة فى هذا العصر وهو العلامة هارون ابن بهاء الدين المرجانى ابن شهاب الدين البلغارى أيد القول بالوجوب وله نفس بديع وقول مصيب اختصره ملك بهوبال السيد محمد

صديق خان فى لقطة العجلان فلله الحمد على وجود أمثالهم فى هذا العصر الذى تغرب فيه الدين فضلا عن العلم وتلك المدينة واقعة على عرض خمس وخمسين درجة شمالا ونحو سبع وار بعين درجة طولا شرقيا من باريس وهى على نهر الفلكى الشهير

❊ الفصل ❊ التاسع والثلاثون

وخلاصة الكلام على جميع قسم أوروبا هو ان يقال ان جميع الممالك المارذكرها الا ما استثنى كلها ممالك قانونية يعنى ان ادارتها منضبطة فى السياسات بأمور محدودة مكتوبة يعلمها الخاص والعام ولا يجوز للتصرف مجاوزتها والمباشر لاجرائها هم الوزراء باذن رئيس الدولة على اختلاف لقبه من امبراطور أو ملك أو رئيس جمهورية وعدد هؤلاء الوزراء يختلف بحسب كبر الممالك وصغرها حتى تحتاج الادارة الى زيادة

❊ الفروع أولا وأصول الادارات التى لابد منها فى كل مملكة هى ادارة الداخلية ثم الخارجية ثم المالية ثم الحربية وقد يتفرع عن هاته فروع على حسب الحاجة ولاهميتها تنفرد بوزارة مثل غيرها من الاحوال فمن هاته وزارة الاحكام والبحر والمعارف والاشغال العامة والديانة ويجعل لهؤلاء رئيس فى الاغلب يكون هو احدهم وتارة يكون منفردا لبرأسهم عند الاجتماع وينفذ ما يتوقف على جمعهم ورئيس المملكة ينتخب هذا الرئيس وهو يعين لصاحب المملكة بقية اقرانه فيوظفهم وليس له بعد ذلك الا امضاء تصرفاتهم أو تبديلهم ان وافقه القانون وما يراه من التصرف انما يتصرف فيه بواسطتهم

❊ ثم يحتسب على الوزراء مجلسان أحدهما مجلس الاعيان من الامة واختيار أعضائه بيد صاحب المملكة او بواسطة وراثة تتوارثها بعض العائلات وقد تنتخب الاهالى بعض الاعضاء من بعض الممالك والثانى مجلس النواب أى نواب الامة تنتخبهم الاهالى لمدة معلومة بغاية الحرية فى الاختيار على شروط فى المنتخب والمنتخب تؤل الى صفات تثبت حق الغيرة على الوطن ومعرفة مصالحه والاهلية لنصحه ومجموع المجلسين يصح ان يسمى مجلس الامة أو المملكة فاذا رأى هذا المجلس فسادا فى تصرف أحد الوزراء أو مجموعهم وأصر المعترض عليه على رأيه لزمه الاستعفاء لانه يتصرف على خلاف ارادة الامة وهنا يكون لصاحب المملكة الحق فى قبول اعتراض المجلس وابدال المعترض عليه أو بأذن الامة بانتخاب مجلس آخر بعد حله للاول فان وقع انتخاب الامة على أناس

موافقين

موافقين للمعترض عليه بقى الامر على ما هو وان انتخبوا أهل المجلس الاول انفسهم أو غيرهم ممن يوافقهم فى الرأى لم يبق لصاحب المملكة حينئذ الا ابدال الوزراء المعترض عليهم وتوظيف غيرهم ممن يوافق رأى الامة هذا زيادة عما لهذا المجلس من حفظ جميع القوانين ومراعات مصالح المملكة فى المال والسياسة والاحكام وعقاب المذنبين من المتوظفين ولو من الوزراء غير ان مباشرة العمل ليست بيده وانما هى لمن تعود اليه من وزير او مجلس حكم او صاحب المملكة فهذا هو اصل ادارتهم السياسية واما اصل الادارة الحكمية الشخصية فهى منفردة عن السياسة ولا تسلط للسياسة على الحكام الشخصيين وهم يوظفون لمدة حياتهم او انتقال لدرجة أعلى وتصرفهم مناط بمجالس متعددة الاعضاء ووراءها مجالس أخر لرفع المحكوم عليه اشكواه من المجلس الحاكم اليها ووراء ذلك احتساب مجالس الامة والاحكام يستندون فيها القوانين مرتبة برضاء مجالس الامة وتكون الاحكام علنية الى غير ذلك من الاوجه المقربة لبحث الانصاف ودفع التظلم فهاته هى الاصول المعمول بها وتختلف فروعها بحسب الممالك وعادتها فليس قانون الاحكام متحدا فى جميع الممالك بل انما يتحد الجميع على أصل الجنايات كالقتل مثلا هو ممنوع فى الجميع ومرتكبه يعاقب فى الجميع وان اختلف عقابه بحسب العادات كما ان من الاحوال المتفق عليها ان يكون قسما مما تدفعه الاهالى الى دولتهم يصرف فى تحسين المملكة ورونقها واصلاحها كمد الجسور والطرق الحديدية وتنظيف الطرق زيادة على انشائها وكذلك كل ما يؤول لتوسيع التجارة والمعارف والفلاحة وغير ذلك مما يعود على المملكة بالتحسين والتحصين

﴿القسم الثالث من الارض﴾

هو قارة أفريقيا هاته القارة صارت الآن جزيرة عظيمة جدا يحيط بها البحر من جميع جهاتها فيحدها شرقا المحيط الشرقى والبحر الاحمر وخليج السويس والبحر الابيض ويحدها شمالا البحر الابيض وبوغاز طارق والمحيط الغربى ويحدها غربا المحيط الغربى ويحدها جنوبا المحيط الجنوبى وقد عرفت جميع شطوطها وما قاربها على التحقيق وبقيت دواخلها غير مسبورة على التحقيق الى الآن لشدة حرها حيث كان خط الاستواء قاسما لها ولصعوبة السفر من توحش أهلها وقلة الماء والطرق وتشتمل هاته القارة على ستة وأربعين مملكة ما بين مستقل وتابع لغيره فأما الجهة الشمالية من القارة

فانها لها الشهرة التامة ونا كبت بتقدمها غيرها من القارات فى العصور السابقة ولازالت الى الآن مرعية الاعتبار

الفصل * الاربعون

فأول دولها سلطنة مراكش ويحدها غربا بالمحيط الغربى وجنوبا الصحراء الكبيرة وشرقا ولاية الجزائر والصحراء المذكورة وشمالا البحر الابيض وبوغاز طارق وهى مملكة متسعة اختلف الجغرافيون فى عدد سكانها من خمسة ملايين الى ثلاثة عشر مليونا والاقرب للصحة على حسب ما سمع من أهلها الذين لهم خبرة بأحوالها ان السكان المطيعين للحكم نحو سبعة ملايين ومبتدأ الحكم النافذ من الشطوط الشمالية الى بلدة رودانة فى الجنوب وهى تبعد عن مراكش من جنوبها نحو مسيرة ستة أيام وموقعها جهة السوس الاقصى وهناك أمم تابعون بالاسم وهم أكثر من الخاضعين للحكم وليس فيهم من أمارات الخضوع الا الخطبة باسم سلطان المغرب وهم على نوع من الهمجية وتناصر الجاهلية وجميع السكان مسلمون الا نحو ثلاثمائة ألف من اليهود وبعض الغرباء من من الافرنج فى المراسى وحكمهم استبدادى فى السياسة وأغلب الاحكام الشخصية يحكم فيها بالشرع والمباشر للحكم هو قاض يختاره من اعلم الموجودين والمذهب العام هو المذهب المالكى ولهم مفتون يوليهم القاضى وبعضهم يوليه السلطان وهؤلاء المولون من السلطان يستشيرهم القاضى عند طلب الخصم للشورى فى حكمه أو عند توقف القاضى فى وجه الحكم وهكذا فى كل مدينة أو قبيلة قاض وجميع ما يرجع الى تلك المدينة من الايالة يرجع الى ذلك القاضى وله نواب فى القرى الصغيرة وفوق الكل قاضى فاس وهو قاضى القضات وفى فاس قاضيان بهاته الصفة كل منهما مستبد بجهة من المدينة وما يتبعها لانها تنقسم الى فاس القديمة وفاس الجديدة ثم فى هاته المدة زيد قاض ثالث دون الآخرين فى الرتبة وانما هو بصفة نائب عن قاضى فاس القديمة لان هذا مع كبر علمه ومزيد فضله استعفى مرارا معتذرا بكبر السن وضعف البدن فلم يساعفه السلطان لذلك ووظف له ذلك النائب وهذا القاضى هو الذى يولى جميع القضاة الا قضاة مراكش فلا دخل له فيهم اللهم الا اذا أراد السلطان أن يولى احد علماء فاس قاضيا بمراكش فحينئذ يستشير قاضى فاس فى تعيين القاضى وكل مكان يشتمل

على

على قاض له وال يسمى فى عرفهم قائدا له فصل النوازل العادية والسياسية وبعض الشخصيات والدولة مركبة من السلطان والوزير والحاجب ووزير القضايا وكتبة ورؤساء الجند وجهات سياسية فأما السلطان فان له عائلة شريفة ثابتة النسب برسول الله صلى الله عليه وسلم كان أرسل اليها بعض أهل المملكة وأتوا بجدهم من ينبع النخل من المدينة المنورة منذ نحو ستمائة سنة للتبرك بهم فى صلاح ثمار نخلهم حيث بانت بركات آل البيت فى جهات أخرى من المملكة ثم عند وقوع حروب أهلية وانقسام المملكة الى طوائف نادى بجدهم مولاى محمد قسم من المملكة وبايعوه فى الثلاثين بعد الالف ثم اجتمعت بقية المملكة على ولده من بعده ولم يزل الملك فيهم لكن المتولى لايعهد الى معين من عائلته وانما له ان يوظف منهم من رآه أهلا فى كبار الاعمال وعند فقد السلطان تجتمع أعيان المتوظفين والعلماء وأعيان الاهالى وينتخبون أحد أعضاء العائلة ويبايعونه بالسلطنة وبقية أعضاء العائلة يجب عليهم قراءة العلم ومن يوظفه منهم السلطان يشتغل بوظيفته ومن لاوظيفة له يشتغل بصناعة يتعيش منها وهى لاتكون الاعالية كالتجارة والتدريس والفلاحة ومع ذلك يجعل لهم من بيت المال شئ لايكاد يسد من عوز وأما الوزير فينتخبه السلطان ولايكون الاعالما ذا وجاهة من الاهالى وهو وزير القلم على الطريقة القديمة فى دول العرب من أن يكون الوزير هو وزير الانشا ولذلك يجب ان يكون ماهرا فى فنون الادب مع مشاركة حسنة فى غيرها ولعمرى ان صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت الآن أن تكون مقصورة على دولة مراكش وأما غيرها من الدول العربية فقد تذبذبوا وكادت كتابتهم أن تخرج عن الاسلوب العربى بل صاروا لايتحاشون عن اللحن والكلمات البربرية بخلاف كتاب المغرب وهذا ديدنهم من قديم ومما يحسن ذكره هنا ان حموده باشا رحمه الله الرجل الشهير من أمراء العائلة الحسينية بتونس المتولى فى أوائل هذا القرن كان وقع فى أثناء ولايته قحط شديد اضطر بسببه لطلب الميرة والحبوب من سلطنة المغرب لان أرضها كانت خصبة فى ذلك العام ولم تكن المواصلة فى أوروبا وغيرها من الاقطار سهلة فى ذلك الوقت وكان من عادة سلطنة المغرب ان تمنع خروج الحبوب من مملكتها فأرسل حموده باشا العالم المقدس سيدى ابراهيم الرياحى لطلب ذلك المهم ووجه معه مكتوبا كان من جملة عباراته تبقى تأذن بخروج القمح الخ فقوله تبقى عبارة بربرية اعتادها كتاب التونسيين فى الاوامر الرسمية ولما قرأ ذلك الكتاب تعجب وزير القلم بدولة المغرب من

تلك العبارة واشتد حنقه منها كيف يخاطب السلطان بها ولولا تبحر سيدى ابراهيم
فى العلوم لخاب المسعى فقال لهم انها عبارة عربية وهى جملة دعائية فى صورة الخبر ايذانا
بتحقيق الاجابة ببقاء السلطان وما بعدها جملة حالية ايذانا بأن بقاءه يكون دائما مشمولا
بعلو الكعب الذى تحتاج اليه المسلمون من الاقطار وهو دايم الاذن بما ينفعهم ثم قال
لهم وعلى فرض لحن العبارة هل يسوغ لسلطان من المسلمين ان لا يرحم عصابة اسلامية
ويتركهم يأكلون جوعا لسوء عبارة من جهل الكاتب وقرائن الحال حافة بحسن
القصد على انها المحل وجيه الخ فنجح سعيه رحمه الله وأما بقية المتوظفين فيستخدمهم
السلطان ايضا على حسب ارادته والسلطان يجلس يوميا صباحا ومساء لقبول المشتكين
كيفما كانت الدعوى ويكون قبل جلوسه قد هيأله وزير القضايا تقريرا فى جميع من
ورد ذلك الوقت مع بيان دعوى كل واحد ثم ينتظم مجلس السلطان بوقوف وزيره
والحاجب وكبار الاعوان ويمكن وزير القضايا التقرير من السلطان فيقرأه ويأذن
بادخال المشتكين على حسب ترتيبهم فى كتاب التقرير ويسمع من المشتكى دعواه
ويطابقها على التقرير وعند ذلك لهم طريقتان الغالبة هى أن السلطان يجيب
المشتكى بما يراه فى فصل نازلته اويحيلها الى الشرع ثم ينفذ وزير القضايا ما أمر
السلطان به والطريقة الثانية هى انه بعد فراغ جميع المشتكين وتطبيق شكواهم
على التقرير يوقع السلطان على التقرير فى كل نازلة بما يراه ويدفع التقرير الى ذلك
الوزير وهو يخرج من بين يديه وينفذ ما أمر به السلطان وسيرة عموم الدولة على السنن
القديم فى الامم التى لم يتسع نطاقها فى التمدن وفى الاغلب محافظون على الشعائر الدينية
وسوق العلوم الدينية رائجة جدا بحيث لا تخلو المملكة من فحول فى كل وقت ومن أهم
صفات سلاطينهم العلم وأما العلوم الرياضية فاما أن يقال انها منقطعة عندهم بالمرة
أو أن بعض فروعها لم يزل فيه رمق على النمط القديم وذلك مثل علم الاسطرلاب
والهندسة كما ان لبعضهم ولوع ودعوى فى علم الطلسمات وسر الحرف وكذلك علم
الكيمياء يعنى قلب بعض المعادن الى الذهب الذى ضاعت فى البحث عنه رجال وأموال
من غير طائل وأغلب السكان غليظوا الطباع على السذاجة البربرية أهالى شجاعة
واقتحام للمشاق ورضاء بشظف العيش ولأهل المدن اخلاق جيدة وصفات جيدة
متمسكين بالديانة ومتحاشين عن المعاصى وكل قادح فى العدالة ولهم اليد الطولى
فى التجارة بحيث ان تجارة داخل المملكة أعنى غير المراسى التى على البحر هى بيد الاهالى

ويرسلون

ويرسلون منهم الى أقاصي الممالك لمعاطاة الاشغال التجارية ووصلها بممالكهم حتى لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة في احدى قارات أوروبا وآسيا وافريقيا الا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ولهم براعة في ادارة التجارة يناكبون بها الاوروباويين ولازالوا يحترسون من تداخل الاجانب في أحوال ممالكهم حتى انهم يمنعونهم من السكنى في غير المراسي التي على البحر وسفراء الدول يسكنون في مرسى طانجة ومن أراد منهم مواجهة السلطان يرسل اليه بطلب ذلك فيرسل له السلطان خفراء مخصوصين ويقدمون به من هناك الى تخت المملكة فينزل في احدى القصور الملكية ويعين له يوما للمواجهة فيخرج فيه ويقف في ساحة أو طريق رحيبة معلومة وتقف العساكر والمتوظفون يمينا وشمالا ثم يأتي السلطان راكبا في خاصته وحاشيته وهم مشاة الى أن يقرب من السفير فيتعرض له وعند الوصول اليه يوقف السلطان سير جواده ويسلم على السفير ويلقي اليه السفير الكلام الرسمي المعهود للاقبال فيجيبه السلطان بمثل ذلك ويعلمه انه اذن وزيره باقباله والتفاوض معه في مأموريته ويستمر في سيره وينفصل الموكب وبعد ذلك يقع التفاوض بين الوزير والسفير الى أن يستقر القرار على شيء فيعود السفير الى البلد المستقر بها محفوفا بالخفر ومن عوائدهم في أمن الطرق ان كل قبيلة حول احدى الطرق تكون كفيلة بمن يمر في ذلك الطريق الى حدود معلومة ثم يدخل المسافر في كفالة غيرها وهكذا على شرط ان لا يسافر ليلا وان يعطى على كل دابة أجرا مخصوصا لتلك القبيلة وهذا الاجر لا يجحف بالمارين فاذا حصلت مضرة لاحد المسافرين تغرمها القبيلة التي وقع في حدودها ذلك الحادث واذا دخل وقت الغروب فيجب على المسافر المبادرة الى أحد المنازل القائمة على الطريق لتلك القبائل وهم يرحبون به ولهم منازل كثيرة حول الطريق وكذلك البريد له في كل بلد شيخ وله أتباع يحملون المكاتيب ويأخذ عليها أجرا زهيدا ويسافر به الحامل ومعه رفيق لكي لا يقع التعطيل بمرض أو غيره ويمشون راجلين ويمكثون المكاتيب في كل بلدة بيد شيخ بريدها وهو يوزعها ما لم يعرض أمر خاص فلصاحبه ارسال بريد خاص بأجر وافر على حسب بعد المكان ولاصحاب البريد سرعة في السير أما بريد الدولة فهو في عهدة القياد يرسلونه من واحد الى آخر الى أن يصل لمقره وأصحابه ركاب ولا يسمح لاجنبي مطلقا أن يقيم بداخل المملكة واليهود يسكنون في المدن وغيرها على صفة أهل الذمة غير ان عوائدهم القديمة معهم تجاوزوا فيها حد الشرع في اهانتهم واذيتهم حتى فقصوا

عليهم بابا المداخلة الدول بواسطة الجمعيات اليهودية فى ممالك أوروبا وكانت أرسلت فى أواسط هذا القرن دولة الانكلاتيرة طالبة من السلطان تغيير تلك العوائد فأجابهم لطلبهم قائلا ان الحكومة تسلك معهم هذا المسلك وأما الاهالى فحيث كانوا غير منقادين لجميع الاوامر فعلى الحكومة مراقبتهم بقدر الاستطاعة ولما علم اليهود بذلك امتنعوا من قبول تلك المنح وارسلوا الى أوروبا قائلين دعونا على عادتنا المألوفة ولا تتداخلوا فينا واعانوا للحكومة والاهالى بذلك طالبين التآلف بهم والامان على أنفسهم فأمنوهم واستقروا على ما كانوا عليه ووجه سلوكهم ذلك المسلك أمران أحدهما ظاهرى وهو ان ديانتهم قاضية عليهم بتحمل الهوان والمشاق الى خروج المسيح لكى ينقذهم على دعواهم وثانيهما وهو الباطنى انهم يعلمون تسلط الاهالى عليهم وعدم معارضة الحكومة لهم اما عجزا أو تعاجزا فيقعون فى الهلاك وعلى فرض أخذ الدول لثارهم فما فائدتهم بعد انقراضهم وصرح بذلك بعض رؤساهم لانهم أحرص الناس على حياة وفى هاته السنة وهى سنة ١٢٩٧ أحرق الاهالى يهوديا فعادت الكرة من الجمعيات المذكورة آنفا ووجدت دولة اسبانيا الفرصة للتداخل تعاميا عما فعلته هى مع اليهود مما هو من ذلك القبيل أو أشد وما بالعهد من قدم كانت تمنع دخولهم الى مملكتها ولم يزل ذلك الا عند اعطاء الحرية العامة فى اسبانيا منذ عهد قريب ولكن مريد التداخل يفتش على ما يوافق قصده فلذلك دعت دولة اسبانيا جميع دول أوروبا لعقد مؤتمر للنظر فى أحوال اليهود ورعايا الاجانب فى مملكة المغرب لان اليهود أكثروا بالرحيل الى بعض الممالك الافرنجية ويحصلون منها على الحماية ثم يعودون الى المملكة المغربية ويسكنون باماكنهم الاصلية وعند اجراء الاحكام والعادات عليهم يتجاسرون باظهار الحماية الاجنبية فلم تعترف لهم الدولة المغربية بذلك وتقول اما أن تكونوا أجنبيا فلا تدخل للمملكة واما أن تكون أهليا فتجرى عليك الاحكام هذا على تسليم الحماية ودولة اسبانيا تريد الانتصار للمحتمين وأن يكون لهم السكنى فى دواخل المملكة بدعوة تعميم التجارة وبعض الدول يوافقها لكى يتسع باب التداخل فى المملكة حتى يتسلط عليها والدولة المغربية مصرة على الامتناع والتمسك بالمعاهدات والعادات المألوفة فعقدوا لذلك مؤتمرا فى مدريد فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٧ وكانت كل من دولتى فرنسا وانكلاتيره مساعدة لدولة المغرب أما فرنسا فلمجاورتها لها فى الجزائر وهى قد رأت من أهالى الجزائر متاعب شديدة فانها استولت عليهم منذ خمسين سنة وهم لا زالوا يحدثون

الثورة عليها مهما سنحت لهم الفرصة مع قلة الفائدة بالنسبة للخسارة فتريد توكيد المودة مع دولة المغرب لكي لا يحدث لها بمشاحنتها هيجان في الجزائر سيما وهي تعلم ان الاستيلاء على المغرب غير متيسر لمعارضة دول اوروباوية قوية في ذلك وأما انكلتره فتريد استجلاب دولة المغرب وبقاؤها لكي لا يتسلط على خليج طارق دولة قويه يمكن أن تمنع الانكليز من المرور به الى البحر الابيض كما تخشى أيضا من انها اذا أظهرت لها التشدد عليها ربما تميل الى دولة أخرى ذات اقتدار وتحالفها ويصير الجميع ضدا للانكليز في وقت الحاجة ومثل هاتين دولة المانيا فكثيرا ما تظهر المودة لدولة المغرب رجاء أن تمكنها بمرسى على احد شطوطها ولا أقل من ان تكون مجرد حليفة لها حتى يخشى الفرانساويون عند عقدهم الحرب مع المانيا من هجوم المغرب على الجزائر وبقية الدول لا أرب لهم هنالك ولذلك يظن ان لا يحصل ضرر على هاته الدولة من ذلك المؤتمر لان اسبانيا وحدها لا تقدر على جلب مساعدة الدول اليها وهي بنفسها ولان كانت قادرة على التسلط على المغرب لكن الدول السابقين الذكر اللاتي لها منافع هنالك تعارض اسبانيا في قصدها ومع هذا كله فانهم لابد ان يظهروا شيأ لتلك المملكة حتى تراعي الاتحاد الاوروباوي وياليتهم تجنبوا ما نهى عنه الشرع ولم يعملوا مع أهل الذمة الا ما أمر به الشرع لان مجاوزة الحدود تقضي بالانقلاب ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان صناعة النقش في الجص على ظواهر الحيطان المسمات في العرف بنقش حديدة لها اتقان عظيم بهاته المملكة وكذلك دبغ الجلود واما القوة الحربية فان لهم قبائل مخصوصين معفون من جميع الاداء للدولة وهم القائمون بحمايتها مع اعطاء الدولة اليهم المعاشات والسلاح والخيل وعلى بقية القبائل زيادة على الزكاة والعشر ان يدفعوا للدولة مقادير معينة من الخيل اما عند حدوث الحرب فيلزم جميع المملكة أداء ما يحتاج اليه من الكراع والذخيرة ولا زال سلاحهم على الطرز القديم وكذلك حركاتهم العسكرية لكن منذ نحو ثلاثين سنة ابتدؤا بتنظيم العسكر على الطرز الجديد والفوا جيشا يحتوي على ستة عشر ألفا وعلموه من عساكر تونس ولكنه انخرم وهرب أغلبه ولكن قد أخذ السلطان المتولى الآن وهو مولاي حسن في تنظيم الجيوش على مقتضى الطرز الجديد وأرسل تلامذة الى مدارس فرانسا والمانيا لتعلم الفنون الرياضية والله ينجح سعيه ويحرس المملكة

الفصل * الحادى والاربعون

﴿ المملكة الثانية ﴾

هى مملكة الجزائر وهى شرقى السابقة ويحدها شرقا تونس وجنوبا بالصحراء وغربا المغرب وشمالا البحر الابيض وهى تابعة لفرانسا منذ سنة ١٢٣٧ وسيأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد وانما نقول هنا ان عدد سكانها نحو مليونين ونصف واكثرهم مسلمون وقاعدة المملكة هى بلد الجزائر والاحكام السياسية والضبط مثل فرانسا والاحكام الشخصية بين شرعية اسلامية وبين قانونية فرانساوية

الفصل * الثانى والاربعون

﴿ المملكة الثالثة ﴾

هى مملكة تونس ويأتى تفصيل الكلام عليها فى المقصد ان شاء الله تعالى والاجمال انها مملكة اسلامية تابعة للدولة العثمانية مستقلة بالادارة وحكمها استبدادى محض وسكانها نحو مليون ونصف وقاعدتها مدينة تونس ويحدها شرقا وشمالا البحر الابيض وغربا الجزائر وجنوبا بالصحراء الكبيرة وطرابلس

الفصل * الثالث والاربعون

﴿ المملكة الرابعة هى طرابلس الغرب ﴾

وهى مملكة اسلامية من عهد سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت فى أيام دولة الرومان والقرطاجنيز فى غاية العمران والخصب وان كانت المياه بها قليلة لكن الآثار القديمة دالة على اخراج منابع الماء بها من العيون والآبار وحفظ ماء المطر فيرانها الآن قليلة الخصب والسكان فسكانها لايتجاوزون المليون والمعمور منها أودية خاصة وقاعدتها طرابلس ويتبعها ولايات مثل برقه وغدامس وفزان وبنغازى وهاته الاخيرة تارة تفرد بالادارة وتارة تتبع طرابلس وقد استولت الدولة العثمانية على هاته المملكة فى المائة العاشرة من الهجرة سنة ٩٥٨ وذلك ان الدولة الحفصية التى قاعدتها تونس لما ضعف

امرها

أمرها واستبدّ عليها الولات فى الاطراف كان من جملة من عصى عليها والى طرابلس التى كانت تابعة لها وجار فى الاهالى فتجهز اليه السلطان الناصر الحفصى وغلبه وولى على طرابلس أبا محمد عبد الواحد ابن حفص فقبل الولاية بعد امتناع طويل على شروط أوّلها ابقاءه واليا الى أن يعيد البلاد الى اعزّ ما كانت عليه من الغناء والراحة الثانى أن يستقل بالادارة مدّة ولايته بحيث لا يعارض ولا يرد أمره فى شئ الثالث أن ينتخب مقدارا من العساكر حسب ارادته لابقائهم فى اعانته فأجيز له ذلك وبقى فى الولاية الى أن مات وولى ابنه الذى هو على شاكلته فاستقرّ العدل والغناء فى المملكة حتى بلغ النهاية واخلدت الاهالى الى الراحة وترك السلاح لما ضجروا منه سابقا حتى كان ذلك سببا لطمع العدوّ فيهم وذلك انه قدمت الى ثغر طرابلس سفينتان مشحونتان تجارة فاشترى جميع ما فيهما رجل واحد ونقد الثمن حالا واستدعى من فيهما الوليمة أعدّها لهم وبعد احضار الطعام أخذ لؤلؤة فاخرة ذات قيمة عظيمة ودقها فى الهاون بمرأى منهم وذرها على الطعام قائلا هذا لكم مقام الفلفل ثم أحضر بطيخة خضراء وأراد قطعها فلم يجد سكينا فسأل منهم سكينا ولما سئل عن سبب عدم السكين عنده قال ان الاهالى كانوا ضجروا من حمل السلاح ليلا ونهارا أيام الظلم والعدوان ولما استقرّ الامن والعدل صار السلاح بيننا حمله معيبا ومن حمله أهين بين الاهالى فتعجب المدعوون الذين هم من الاسبنيول القائم فى ذلك الوقت كما يرد خبره فى تاريخ تونس فأخبر اصحاب السفن دولتهم بما رأوا فطمعت فى طرابلس وكان عندها ابن السلطان الحفصى مستنجدا بها على أبيه فحملت بجيش قايل على طرابلس وامتلكتها باسم أحمد الحفصى الابن المذكور وجار فى البلاد أشدّ الجور هو والاسبنيول ولما رأى ذلك النابلطان الذى هو أحد ممالك ايطاليا تداخل بين الاهالى بالافساد ووعدهم بالحماية من الظلم وانهم اذا أطاعوه حماهم من المظالم ولا يتداخل فى أمورهم وانما يستولى على الحصون فقط فكان ما كان واجرى فيهم الامر أوّلا على نحو ما وعد ثم ابتدأ بالتداخل فى أمرهم فامتنع بعض أعيان الاهالى وتحصنوا فى (تاجورى) وكانت الحرب بينهم قائمة غير انهم علموا بضعفهم عن امتداد المقاومة فارسلوا وفدا منهم الى الاستانة مستنجدين بالدولة العثمانية فى انقاذهم ودعوها للاستيلاء على جميع البلاد حيث كانت هى اذذاك أقوى دول الاسلام وجمعت تحت رايتها أغلب الممالك الاسلامية كمصر والشام والعراقين ولما وصل الوفد الى الاستانة تعجب من شكلهم كل من رآهم ولم يجدوا أحدا يفهم لغتهم حتى صادف أحد

الطواشيين فى القصر السلطانى المجمع المحتبك للتفرج فيهم وكان عالما باللغة العربية فعلم القصد وكان هو الواسطة فى ابلاغ عطاياهم للدولة فاولته هو على تلك المادة وأرسلته معهم مع حامية ضعيفة لانهم مهملوا الامر على الدولة لكنه لما ان وصل ذلك الوالى وعلم حقيقة الامر أرسل بتفصيل الاخبار الى الدولة وكان اذ ذاك اسطولها الموجه الى الاستيلاء على تونس على أهبة السفر تحت رياسة سنان باشا فأمر بالتعريج على طرابلس أولا فافتكها من أيدى الفاطلطان و بقيت مستقلة بالادارة وليس للدولة عليها الاهدايا واعانات فى وقت الحرب الى ان عصى يوسف باشا قره مانلى وحاربته الدولة فى أواسط هذا القرن أى سنة ١٢٥١ واستولت استيلاء تاما على المملكة وصارت ادارتها مثل ادارة سائر الولايات العثمانية ومركز الولاية مدينة طرابلس الغرب وسكانها يميلون للبداوة ولو أهل المدن ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الابيض وتونس وغربا تونس وجنوبا الصحراء الكبيرة

الفصل * الرابع والاربعون

المملكة الخامسة هى مصر واجمال الكلام عليها انها مملكة اسلامية مستقلة بالادارة تابعة للدولة العثمانية وقاعدتها مصر ويتبعها ممالك مثل النوبة ودارفور وكردفان وزيلع وغيرها من ممالك السودان وجميع سكانها مختلف فى عددهم من الثلاثة عشر مليونا الى الستة عشر مليونا والاخير باعتبار الاضافات اللاحقة بها أقرب وحكمها ظاهرا قانونى بين شرعى وسياسى ويحدها شمالا البحر الابيض والصحراء وغربا طرابلس وشرقا الشأم وجزيرة العرب والبحر الاحمر وجنوبا الحبش والسودان والصحراء الكبيرة وتفصيل الكلام عليها يأتى فى المقصد ان شاء الله تعالى

الفصل * الخامس والاربعون

المملكة السادسة هى الحبشة ويحدها من جميع جهاتها السودان المصرى وعدد أهلها نحو خمسة ملايين على التوحش والبربرية والديانة عندهم الغالبة نوع بين النصرانية واليهودية والوثنية أعنى انها كانت نصرانية ثم امتزجت بفروع من تلك والحكم استبدادى متوحش ولا يعرفون حقائق العلوم ولا التمدن ولذا لا يعلم كم دخلها

ولا

ولانرجها وهي لاتزال في ضعف من الحروب الاهلية وبين أهلها كثير من المسلمين دخلهم الاسلام من عهد البعثة

الفصل * السادس والاربعون

المملكة السابعة هي مملكة الزنجبار وموقعها على شطوط افريقية الشرقية على المحيط الشرقي وقاعدتها في جزيرة امام القارة وهاته المملكة هي اسلامية عربية من قديم وتارة تكون تابعة لغيرها من ملوك جزيرة العرب وتارة تستقل وفي أوائل هذا القرن استقل ملك أحد أئمة مسقط بجزيرة العرب وهو المسمى بالسيد سعيد من أعيان ملوك الاسلام المتأخرين فعبر السيد سعيد البحر واستولى على زنجبار وجعلها مقر مملكه وأشاد فيها الحصون ورتب فيها الادارة الملكية مع انتحال شعائر الدين الاسلامي وكان من أتباع المذهب الوهابي كما أنشأ اسطولا بحريا يتألف من أربع سفن كبار حربية ذات طبقتين ومن عمل مداركه السياسية انه لما علم ازدياد القوات الاوروباوية وطموح أنظارهم الى الجهات الشرقية وغيرها كما حصل بالفعل في شطوط أفريقية والهند ركن حينئذ دولة الانكليز وجعل معها عهدا حتى تكون كافلة بحماية ممالكه من تسلط الغير لانها أقوى دولة أوروباوية لها شوكة في تلك الاقطار وفي آخر حياته أولى على مسقط أحد ولديه وهو المسمى السيد تويني مستقلا بها كما أولى على الزنجبار ولده الآخر المسمى السيد ماجدي وبعد وفاته حصلت نفرة بين الاخوين وعزما على الحرب فتداخلت بينهما دولة الانكليز وتصالحا على اداء ملك الزنجبار الى امام مسقط مقدارا سنويا حيث ان المملكة الأولى أغنى من الثانية والثانية أقوى وكانت مالكة للأولى ثم ازداد غناء مملكة الزنجبار واعتبارها بعد فتح خليج السويس لاعتناء سلطانها السيد برغش واجرائه للعدل ولاهلها تمدن وفطانة عربية وقد زار سلطانها السيد برغش ممالك أوروبا في أوائل عشرة التسعين بعد المائتين والف وأخذ ينحو منحى التمدن الاوروباوي في بعض أشياء سالكا مسلك الاستشارة الذي هو أساس العدل ودخل هاته المملكة يأتي ان شاء الله تعالى في جدول دخل الدول وأما عدد السكان فهو نحو مليونين تقريبا

الفصل * السابع والاربعون

المملكة الثامنة هى مملكة برنو وهى فى دواخل القارة فى الجهة الشمالية الشرقية ويحدها شرقا وادای وجنوبا الاراضى المجهولة وشمالا الصحراء الكبيرة وغربا قبائل بنبرا وهى مملكة سودانية اسلامية يقال فى صفتها واحوالها ما يشبه مملكة مراكش وملكها من نسل العرب ويقال من الاشراف وتخته كوكا او كوكو قرب بحيرة اتشاد أكبر بحيرات دواخل أفريقية وهذا التخت منقسم الى قسمين كل قسم له سور وفيها بلدان للتجارة منها ما به معامل للصبغ واخرى لنسج الثياب القطنية وسلطانها مستقل ويلقب فى عرفهم بالشيخ ومن دونه يلقبون سلاطين وله اقتدار ويوسم بالعلم بل يقال عنه انه يقرأ درسا من تفسير البيضاوى ودرسا من صحيح البخارى ولمملكته قبائل تؤدى خراجا له وهى مركى وتختها دورا ومندرا ولوكون ولهم صنائع فى النسج وغيره ولسلطان برنو جيش من السودان على أنواع غير نظامية وله عسكر خاص يقدمه بين يديه على أحسن صورة وأكمل خلقة أشداء لهم رماح وأقواس من الحديد ولكل فى ذراعيه حلق من حديد ماسكة لزنديه علامة على القوة ولا لبس لهم الا ما يستر العورة وبأصابعهم خواتم من حديد تعين على جذب القوس لصلابته ليبعد رميه ولا يلبس العمامة الا السلطان وهى عمامة كبرى بيضى ولدولة المانيا معه مواصلة ومهادات لاعانة جمعية الجغرافيا على الاكتشاف ويقال انه يقدر ان يعسكر من الفرسان أزيد من مائة ألف من عموم الاهالى ويستعمل عندهم الاسلحة النارية ولغة الدولة هى العربية وفيها العلماء وعدد السكان باعتبار الاضافات نحو ثمانية ملايين تقريبا

الفصل * الثامن والاربعون

لا يخفى ان بقية أفريقيا لما كانت غير مكتشفة حق الاكتشاف بجميعها وليس لاهلها من التقدم ما يماثل بقية الممالك قد قسمها الجغرافيون الى احد عشر قسما كبرى فأولها يسمى بالسودان ويحده شرقا ولايات مصر السودانية مثل دارفور ويحده شمالا الصحراء الكبيرة ويحده غربا سانيغال ويحده جنوبا كينيا العليا وبلاد الكفر وهذا القسم يشمل عدة ممالك وقبائل مستقلة *(تنبيه)* لما كان غالب أسماء

هاته

هاته الجهات والقبائل منقولة من لسان أعجمي الى الفرانساوي ومنه نقلناها غالبا فربما وقع تحريف في الاسم ولكن على كل حال يفيد تقريبا المقصود بالمادة ومن ممالك هذا القسم سلطنة برنو المتقدمة وأكثر الممالك التي فيه أهلها مسلمون وفيهم علماء أجلة لهم تآليف الى هذا العهد ولكن الاطلاع على تفاصيل أحوالهم بالنسبة الينا لما كان عسرا اكتفينا بالذكر الاجمالي

الفصل * التاسع والاربعون

مملكة وادای وهي مملكة اسلامية لها ملك مستقل ولها تجارة واسعة مع مصر وطرابلس الغرب ولاهلها وفاء عظيم بالعهد ذكر لي ثقة ان أحد أهالي وادای قبض عليه بالاسر فبيع في طرابلس والحال انه حر وبذلك يعلم اصابة منع التملك الذي هو مباح للخوف من الوقوع في الحرام حسبما يشهد لذلك ما كتبه عالم أفريقية سيدي ابراهيم الرياحي من المالكية وشيخ الاسلام بيرم الرابع لاحمد باشا عند أمره بعتق العبيد فكتب اليه كل من العالمين المذكورين كتابة جيدة في اصابة رأيه ثم ان ذلك الاسير بعد ان أقام مدة وصل فيها الى سن الشيخوخة بطرابلس اعتقه مالكه ورجع الى بلاده وكان غنيا وبعد نحو ثمان سنين قدم على معتقه ومعه هدية ثمينة وفاء بحق الصحبة ومعه تجارة وقضى أمره ورجع الى بلاده وعدد أهالي هاته المملكة نحو من مليونين ونصف وتختها مدينة وره وعادات هاته المملكة وأحكامها على نحو مملكة برنو تقريبا

الفصل * الخمسون

في بقية ممالك القسم المسمى بالسودان فأولها قبيلة كانم بو وهي في الجهة الشمالية من برنو وقد كانت سابقا مستقلة ثم صارت الآن تابعة الى وادای المتقدمة مع امتياز وقاعدتها ماو ثم قبيلة باكرمي وهم تابعون الى وادای أيضا بامتياز وقاعدتهم ماسنا وهي غربي السابقة ومن غريب ما فيها ان عندهم نوع من النمل يحفر بيوته كبيرة جدا بحيث يكون ارتفاعها نحو عشرين ذراعا واتساعها نحو مائة وعشرين ذراعا وهاته الممالك والتي قبلها هي حول أعظم بحيرة في قسم السودان المسماة تشاد فوادای من شرقها وكانم من شمالها وباكرمي من جنوبها ويليها قبيلة موزكو ومن غريب

عاداتهم ان الرجل والمرأة اذا تشاجرا فاذا ابتدأ أحدهما بالكلام خيط الآخر فمه بالخيط حتى اذا انتهى صاحبه فتح هو فاه وفعل صاحبه مثل فعله لكي لا يقطع عنه الكلام ولذلك ترى أفواههم مثقوبة من الصغر لاجل ذلك ويدعى انهم يأكلون الاسرى بل وان من تفطنوا به منهم انه أصابه مرض أكلوه قبل ان يحف فلا يصرح أحد بمرض للخوف على نفسه

الفصل * الحادى والخمسون

مملكة فلاتا ومركز قوتهم بلاد هوسا التى بها شبان أقوياء من السودان ويسمون باسم بلادهم وهم خاضعون الى فلاتا وهؤلاء جاهم مسلمون حسن السيرة على ما هم عليه وتختهم بلاد سا كاتو ولهم سلطان مستقل مسلم ومسكنه بلدة ورنو وأعظم بلاد للتجارة عندهم بلد كانو وأهلها مسلمون ولهم بعض صنائع جيده كالدبغ والصبغ والنسج ولهاته القبيلة السيادة على جميع القبائل المجاورة لها الانحو ثلاثة قبائل جوار الصحراء وهى كوبر ومر يادى وكاغو ولذلك كانت فلاتا مملكة وموقعها غربى الممالك السابقة على نهر نيجر الذى هو أعظم أنهر قسم السودان ولهم عليه قوة عظيمة

الفصل * الثانى والخمسون

القبائل المتحدة المسماة بركو المتألفة من تنبكتو وكورما واتبا كو وقد كان الجميع تحت سلطنة واحدة جمعهم عليها أحد علماء فوت المسمى عمر الفوتى وهو من العلماء الاجلاء من كبار تلاميذ سيدى احمد التجانى رضى الله عنه وتوصل باجتماع التلامذة عليه الى ان صار ملكا وجمع هاتيك القبائل والتى يأتى ذكرها تحت سلطنته لكن فى آخر الامر وقعت حروب معه الى ان قتل بلغ يقال انه اثاره على نفسه لما أيس من الحرب وكان ذلك فى حدود سنة ١٢٨٣ وله عدة تآليف وجميع هاته القبائل مسلمون وفيهم الصالحون ولهم تجارة مع المغرب لكنهم الآن حكمهم كأنه حكم جمهورى تحت عدة رؤساء متعاضدين على دفع مهاجمات الفلاتا من الجنوب والتوارك من الشمال ثم يلى هاته المملكة من غربيها قبائل (بنبره) وقاعدتهم سانسان دنك وهاته القبيلة مستقلة تحت رياسة حاكم منهم وبقربها مكان كان يسكن به قبيلة يربا والآن لا يعلم من به

﴿القسم الثانى﴾

هو أراضى سانيغال أو سانيغانبى وهو يشتمل على عدة أمم ويحده شمالا الصحراء وشرقا قسم السودان وجنوبا مملكة جبال الاسد وكينيا العليا وغربا وبعض الجنوب المحيط الغربى وفيها جبال كثيرة ونهران عظيمان وعدد جميع سكانها نحو اثنى عشر مليونا وقد استولى الفرانسيس والانكليز والبرتقال على أكثر شطوطها

الفصل * الثالث

﴿والخمسون﴾

فى المستقل من سانيغال قد بقيت دواخلها منقسمة الى عدة حكومات أكبرها ثلاثة الاولى بالس الثانية ماندنيك الثالثة كيولوفس ثم البقية صغار متفرقون

الفصل * الرابع

﴿والخمسون﴾

ممالك تمبانى وسوليمانه وموقعها فى جنوب السابقة بينها وبين كينيا العليا وتحتها فالابا وبأزاء هاته قبائل كورانكو وتحتها كورا كونكا

﴿القسم الثالث﴾

هو كينيا العليا وفيها قبائل وأقسام وهذا القسم ممتد مع شاطئ البحر الغربى من جهة الى الشرق ثم الى الجنوب الى مبدأ خط الاستواء القاسم للقارة ويحده جنوبا كينيا السفلى عند خط الاستواء والمحيط الغربى وغربا المحيط وشرقا بلاد الكفر وشمالا قسم السودان فى الاغلب وفى الاقل سانيغال

الفصل * الخامس

﴿والخمسون﴾

أول أراضى هذا القسم هى المسماة كرومان وهى قبيلة من الاصليين هنالك ذات أخلاق حسان وهم أقوياء تألفهم الغرباء ويوفون بالعهد وهم فى شمال كينيا العليا وعلى الاجبال فجميع سكان كينيا العليا متوحشون من السودان وبينهم مسلمون ونصارى ارتحلوا الى هنالك ومنهم من صار لهم فيها مستعمرات

الفصل السادس

﴿والخمسون﴾

فى مستعمرات الانكليز بهذا القسم وهى الاراضى المسماة جبال الاسد وسكانها من السودان وتختها فريتوفن

الفصل السابع

﴿والخمسون﴾

فى مملكة ليبرياهى مملكة جمهورية مستقلة تسمى ليبرياسكانها من السودان المعتوقين من امريكاو اعترفت بهادول أوروبا من سنة ١٢٥٦ هـ ١٨٧٤ م وسكانها نحو خمسمائة ألف من السودان ولها مجلس نواب الى غير ذلك من سمات الدول المتمدنة ولغتهم انكليزية ونهاية مساعيهم تحرير العبيد السود فى الدنيا وموقعها على الشاطئ الغربى المذكور وتختها مدينة مرنوفيا وتحت هاته الجمهورية ولاية أخرى انشأتها الجمعية الحرة المذكورة ومن قانونها ان لايدخلها الا السودان الذين يقسمون ايمانا على ان لايشربوا مسكرا واسم تختها هدبر

الفصل الثامن

﴿والخمسون﴾

فى أرض شطئ الفيل وهى تلى المملكة المتقدمة وهى من أراضى كينيا يحدها المحيط المذكور جنوبا بقرب خط الاستواء ولم يمكن للسواح التوغل والاقامة بها لفساد هوائها وان اصطلح الفرنساويون اماكن أقاموا بها وشرقى الارض المذكورة الارض المسماة بشطئ الذهب سميت بذلك لغناء هاية واستعمرها الانكليزيون ببلدان كثيرة

الفصل التاسع

﴿والخمسون﴾

فى دواخل كينيا العليا وفى دواخل كينيا عدة ممالك سودانية منها قبائل فانكى كانهم

عصبة

عصبية ضد حروب قبائل اسهانتي التي هي في الدواخل المذكورة وهم مثل أمة قوية مخوفة اسفاكهم الدماء حتى انهم يضحون الآدميين في جنائز كبرائهم وعند انتصارهم وتختهم يسمى كوماسي

الفصل * الستون

في بقية شطوط كينيا العليا ودواخلها ثم شرقي الشاطئ الذهب شاطئ الممالك يسمى باسم التجارة الراجحة هنالك ثم في دواخله ممالك داهوميه سكانها نحو ثمانمائة ألف من السودان ولها مالك له عشرون ألفا من العسكر منهم خمسة آلاف نساء ويضحون المئات من الآدميين في أفراحهم وتختهم (ابوميغ) ثم في شرقي ما ذكر ممالك (هاونكالا وأتا كالا) وهوى (وبالى) وشرقيها ممالك (يربا) تمتد الى ان تصل الى قرب ممالك برنو وما جاورها وقد تقدم ذكرها وبازائها قبيلة (أكياس) الذين التجؤا من كثرة الحروب معهم الى جبال صخرية وانشؤا هنالك بلدا متحصنين بها وعددهم نحو مائة ألف تحت رياسة رئيس بانتخابهم ولهم رئيس حرب واسلم منهم كثير وأمة واسعة الى مملكة تنبكتو وشرقي السابقة مملكة بنين وشرقي هاته شاطئ كالابار ثم جنوبي هاته محاذيا لها على الشاطئ مستعمر فرنساوي يسمى كابون وهو نهاية ممالك كينيا العليا

﴿القسم الرابع﴾

﴿من الاقسام الكبرى قسم افريقية الجنوبية﴾

الفصل * الحادي

﴿والستون﴾

في ممالك رأس الرجاء الصالح في نهاية الجنوب على الشاطئ من المحيط الجنوبي رأس الرجاء الصالح وهو مستعمر للانكليز وتختها بلد الرأس سكانها سبعمائة ألف ويليها شمالا في داخل القارة ولايات صغار وهي تاماكاس وكوراناس وبوشمس

﴿القسم الخامس﴾

﴿من الاقسام الكبرى بلاد الكفر﴾

وهو شمالي الرأس وهو اراض واسعة عظيمة تنتهي الى الشاطئ الغربي والشاطئ

الشرقي وتتوغل في القارة وتسمى بلاد الكفر ومنهم قبائل الزلوس وقبائل ناتال وجهورية نهر أورنج وجهورية ترانزفال وبلاد البتجوأناس وبلاد أوتانتو

❁ الفصل * الثاني

❁والستون❁

فاما الزلوس فهم أقوياء أشداء أهل حرب وقد حاربوا الانكليز سنة ١٢٩٦ كما هي عادتهم معهودات في هاته الحرب ابن نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس لترؤسه على عسكر انكليزي ثم قهر الانكليز الزلوس وأسروا ملكهم الذي يعتقد نفسه كنابليون الاول وخضعوا الى الانكليز على شروط استقلال ادارتهم

❁ الفصل * الثالث

❁والستون❁

وأما أراضي ناتال فسكانها انكليز وهلانديز وزلوس وباستوس بربريس وهنود وجميعهم نحو أربعمائة ألف نسمة وتختها ماريس بورك ❁

❁ الفصل * الرابع

❁والستون❁

وأما جهورية نهر أورانج وهي شمال رأس الرجا وسكانها من الكفر المسمون بتجوانس وهلانديز وتختها بلوم فنتين ولهم رئيس ومجلس شورى ومجلس نواب ودياناتهم برتستانات وهنالك قبيلة من الكفار مستقلة تسكن بالجبل الازرق ❁

❁ الفصل * الخامس

❁والستون❁

❁ وأما جهورية ترانسفال فهي واقعة في بلاد الزلوس وعددهم نحو ثلاثمائة ألف وثلاثين الفا وتنقسم الحكومة الى أربعة أقسام لكل مجلس ورئيس ومنفذ وكاتب

وتختها

وتحتها بوتش شيفستروم ومن قوانينهم ان رئيس الجمهورية معه اثنا عشر عضوا الادارة الحكومية يبقون ثلاث سنين

الفصل * السادس

(والستون)

وأما مملكة بادجوانه فتحتها كوروماه و بجوارها مملكة اوتانتو وهم فاسدوا الاخلاق حتى شبهوهم بالمغول وعقولهم رديئة حتى انهم يدخلون منازلهم يمشون على أيديهم وارجلهم كالحيوانات وفي كلامهم يلصقون لسانهم بلهاتهم وفي شمالي نهر أورنج صحراء تسمى كالاهاري لاماء فيها ولا نبات الا اذا صب المطر فتنبت عروقا و بطيخا بكثرة ويوجد الفيل هناك بكثرة والجاموس والزرافة والنعام والكركدان وهناك نوع من البشر وحشي يصطادونه كما تصطاد السباع ثم أراضي الزنبيز يسكنها نوع من السودان يسمى ماتيونا وانتنفي وكولولو وغيرهم

(القسم السادس)

من الاقسام الكبرى كينيا السفلى وهي على شاطئ المحيط الغربي يحدها شمالا كينيا العليا وغربا بالمحيط وشرقا بلاد الكفر وجنوبا قسم الرأس وهي أرض غنية بها نوع من القصب عجيب يسمى بانبو يدوم من الاربعة الى الخمسة آلاف سنة وساق شجرته محيطه نحو ستين ذراعا و بها نوع من القردة أكثر شبها بالانسان لكن بها نوع من الذباب قتال لمن يلسعه وأغلب السكان من السودان وحشيون ومنقسمة الى عدة عمالات

الفصل * السابع

(والستون)

في عمالات كينيا السفلى فالاولى تسمى لونقو وتحتها بوالى ثم عمالة كاكونكو وتحتها كين كلى ثم عمالة نكويو وتحتها كانبدا ثم عمالة كونكو وتحتها بنزا كونكا ثم عمالة انكلا تحت استعمار البرتقال وتحتها لوواند ثم عمالة بنكلا للبرتقال ايضا تحتها صان فليب وهذان سكانهما نحو ثمانية ألف من السودان ولكل حاكم وفي جنوبيها صحراء سيمبيازى

﴿القسم السابع﴾

من الاقسام الكبرى هو المسمى موزنبيك وهو شمالى بلاد الكفر على الشاطئ الشرقى للمحيط ولا يعرف منه الا الشط وهو مستعمر للبرتقال ومنقسم الى سبع حكومات

الفصل * الثامن

﴿والستون﴾

فى ممالك هذا القسم وهى مركو وانهانبانى وسوفالا وسينا وكيليمانى وموزنبيك ودبلكاد ويحد هذا القسم شمالا مملكة الزنجبار التى تقدم ذكرها

﴿القسم الثامن﴾

من الاقسام الكبرى قسم سوموليس وهو فى الشرق الشمالى من زنجبار ويحده شمالا جون عدن وشرقا المحيط وجنوبا المحيط وزنجبار وغربا زنجبار

الفصل * التاسع

﴿والستون﴾

فى ممالك هذا القسم فسكانه من بربر افريقية الشمالية والعرب والسودان وهاته المملكة هى المسماة بزيلع وكانت شطوطها للدولة العلية ثم سلمتها الى مصر بالزيادة فى خراجها وفى نهاية شمالها بلاد عدل واغلب سكانها مسلمون ولهم امام من العرب وفى الشمال الغربى منها بلاد هرر وقاعدتها مدينة هرر سكانها نحو الثمانين الفا كلهم مسلمون على أوصاف جيدة وبلادهم حصينة ذات اسوار والتجار آمنون ولهم تجارة واسعة مع اليمن وغيره مع خصب الارض وسلامة الهواء فى أغلب الجهات وهى داخلة فى الممالك التابعة لمصر

﴿القسم التاسع﴾

﴿من الاقسام الكبرى﴾

هو القسم المجهول وهذا القسم الكبير الاوسط من افريقية الجنوبية مجهول ويحده شرقا زنجبار وما حولها وغربا كينيا السفلى وما حولها وشمالا برنو وما والاها وجنوبا بلاد الكفر ويخرقها خط الاستواء ويمتد منه جنوبا نحو عشرة درجات وكذلك شمالا

ولا

ولا يعرف منها عند الجغرافيين الا ثلاث عمالات أولها عمالة كازمب وتختها الوسندا وثانيها اونيام وزى وتختها كزخ وثالثها اوجيجي وتختها كاولى

﴿ القسم العاشر هو الجزائر البحرية ﴾

واما الجزائر التابعة لافريقية وهي في المحيط كلها الا اعتبار لها الا جزيرة سنتيلين المقابلة لجون كينيا في دواخل المحيط وانما اشتهرت لكونها مات بها نابليون الاول منفيا في أسر الانكليز واغلب تلك الجزائر في تلك دول أروبا الا ما يتبع الزنجبار وكذلك ما يتبع جزيرة مادغسكار التي هي الجزيرة الوحيدة في افريقية في المحيط الشرقي تجاه شاطئ موزنبيك كما سيأتي

الفصل السبعون

في مملكة مادغسكار او كسكار وهي من الجزائر الكبيرة المعتبرة في الدنيا وهي غنية وفيها انواع من السباع اسمه ماكيروهاي هاي وغيرها من الحيوانات الغير المعروفة وسكانها نحو خمسة ملايين وكلهم من السودان ونوع يسمى هوواس يظن انهم من نوع سكان الهند وعددهم نحو ثمانمائة ألف والدين الغالب هو الكفر من عباد الاوثان والجميع تحت حكم واحد وعليهم ملكة أنثى اسمها رانافولو الثانية وقد أمرت باحراق جميع آلهتهم وهدم جميع معابدهم وأمرتهم بالديانة البروتيستانت فاطاعوها وهم على ذلك الآن لكنهم بالاسم فقط اذ لا يعتقدون شيأ وكان ذلك الامر في سنة ١٨٦٨ وتخت المملكة بلدة تنانار يفو وقد اكتشف هاته الجزيرة العرب قبل البعثة وعرفها أهل الصين واهل ممالاي

﴿ القسم الحادي عشر ﴾

من الاقسام الكبرى قسم الصحراء فتنقسم الى ثلاثة أقسام (اولها) صحراء المغرب (وثانيها) الوسطى او بلاد التوارك (وثالثها) الشرقية أو بلاد التيبوس فالاولى هي بين مراكش رسانية الى على شاطئ المحيط الغربي والشاطئ في البحر مملوءة صخرا والريح الغربية تخرج من البحر رمالا تحدث فيه جزرا منتقلة وقد تحقق ان وسط هاته الصحراء يكون الرمل دائما منتقلا الى الجهة الجنوبية الغربية وكان ذلك احد اسباب عدم النبات بها وتسمى هاته الصحراء بالساحل ويوجد بها عدة جزائر

بالنبات على خط واحد اما الوجود ماء جار على منحاها تحت الارض أوندى والقوافل
تمر دائما على سمتها للسقى من آبارها والتزود من عشبها

الفصل * الحادى

(والسبعون)

فى ممالك الصحراء الغربية ويسكن بهاته الجزائر فى بعض الاوقات نوع من البشر
يسمون زنقا وكذلك التوارك والعرب يجذبهم الى هنالك ربح تجارة العبيد وكلهم
يتعيشون من القوافل المارة عليهم وتارة يسرقونهم وتارة يسافرون معهم هداة للطريق
والاصليون من سكان الصحراء المذكورة مسلمون وهم مركبون من عرب بنى حسن
الذين يقال انهم رحلوا من اليمن فى القرن الحادى عشر ميلاديا وفيها عمالة تسمى
تيريس فى الشمال الغربى على الشاطئ تأتيها الحيوانات من المغرب وسانيغال
والرعاة لرعى حيواناتهم زمن الربيع لكثرة الخصب وسكانها اولاد دليم وهم أقوياء
شداد متسلحون ويخترقون الصحراء بالهجائن السريعة ويتعيشون بالنهب وفى جنوبها
بلاد بها كثرة سباخ يتزود منها الملح جميع أهالى الصحراء الى بلاد تنبكتو وكان فى صحراء
المغرب جزائر نباتية تسمى ادرار على نحو ثلاثين ميلا من سانيغال وبها جبال كثيرة
وبلدان وقرى وتختها يسمى وادان وسكانها بين عرب وبربر ثم جزائر تاغانيت كان
يسكنها قبائل زاغانا وتختها تيشيت ثم جزائر والاتا فى الجنوب الغربى وبلاد الهث
ضاربة فى الجنوب تختها كسانبرا وبقرب سانيغال بلاد ترارزاس وبراكاس وبلاد
سيدى هاشم الذى كان دخل الى مراكش

الفصل * الثانى

(والسبعون)

فى ممالك الصحراء الوسطى وأما الصحراء الوسطى فيسكنها العرب المنتقلون الى هنالك
بالاستيطان والتوارك ويمتدون من حدود فزان ببلاد طرابلس الى بحيرة تشاد ومركز
قوتهم فى رباعلى شكل مثلث وبها جبال كثيرة ونهيرات وثلاثة جبال كبرى بجبل يسمى
غات وخارج المثلث المذكور جهة الجنوب الغربى بلاد ازاود وبقية الجهات قفراء
والتوارك يسمون انفسهم ايموشاك بمعنى مستقلين واشراف واسم التوارك اطلقه

عليهم

عليهم العرب وهو يعني التاركين اتركهم الحق في الصدر الاول (وأما) الآن فهم
مسلمون ولغتهم تسمى تاماشك وينقسمون الى عدة قبائل توارك هرر في جبال هكار
وتوارك أزقر في جبال غات وتوارك مويدير في جبال سكارن وتوارك الفوقاس وفي
الجنوب جهة تنبكتو توارك السراج وتوارك أنّهو وأولاد أحمد والقبائل وتالغوى
وجميع هؤلاء القبائل ينقسمون الى أربعة أقسام كبرى وهي توارك هكار وتوارك ا ر
في غات وتوارك كلوى وتوارك والى منيدن في شرق تنبكتو والقسمان الاولان معروفان
بكثرة التجارة معهم من الجزائر ويدعون بأنهم أشراف البربر وهم بيض حسان الخلقة
شجعان يحملون الرماح والسيف والمكحلة أي البندقة والسكين ويركبون الهجين
السريع للغاية مع قوته ويلبسون قميصا أبيض أو أسود وعلى رؤسهم شواشي طوال ولثام
بحيث لا تظهر الا أعينهم ولهم ملك يحكم مع كبار القبائل وولد أخت الملك هو وريث الملك
(هكذا) قانونهم وحكمهم ليس بقهري مطلق بل لهم نوع من الحرية ومن عاداتهم
أن لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة شرعية وله غيرها ودياناتهم الآن الاسلام ليسوا
بمتغالين فيها كما هي حالة مجاوريهم ولهم غنم اصوافها قصيرة وأليافها كبيرة للغاية ولهم معز
وابل لحمل الاثقال وهجائن للركوب ولهم نوع من الخيل من أجود الجياد وفي جوائز
الصحراء لهم نخيل كثير والقبائل الرحالة هم الحارسون للقوافل المارة في بلادهم بين
شواطئ أفريقية الشمالية والسودان بأجرة مقوننة معروفة والقادم من فزان يجد غات
على مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما من لغوات والامطار هنالك قليلة جدا ومرض الاعين كثير
وهو أصعب طريق بين السودان وطرابلس ومن شهر سبتمبر الى غاية شهر نفمبر يجتمع
في بلاد غات أزيد من ثلاثين ألف جمل بأحمالها وفي الجنوب الغربي هضاب على
جبال هقر تكادان تسمى سفيسرة أفريقية لانها جبال ذات آجام وغابات ووهادات
تسقى من عيون غزيرة ويدوم فيها الثلج من دجنبر الى مارس ومن هاته الجبال منبع
أعظم أنهر الصحراء المسمى ايغرغر ويذهب جهة الشمال وينقطع قرب تكرت
في حدود الجزائر وهي مسكن التوارك الخالصين المخيفين لمن جاورهم بقوتهم وشجاعتهم
واكبر بلدانهم تسمى ادلي وفي الشمال الغربي جهة مملكة مراكش عمالة توات
المكونة من عدة جزائر نباتية متقاربة وبها نوع من الشجر يسمى كرنك هو أحسن
فحم للبارود وأرضهم خصبة لجميع النبات ولهم حيوانات كثيرة والسكان ناس طيبون
مسلمون متصلبون ويتجرون مع المغاربة والجزائريين ومع غات والسودان وأكبر

مدنها تمبوم وادرار وتامنتيت وتجتمع الطرق فى بلد أولف ولذلك كانت موقعا مهما للحرب وفى الجنوب عمالة اير فى طريق السودان وهى متكونة من جبال صخرية وفى الاودية ينبت كل نبات وفى شهر استمبر تنزل أمطار غزيرة والسكان يسمون كاوى أصلهم مابين التوارك والسودان وتختهم يسمى اوكاديس ولهم ملك يسكن بها وفى حدود السودان بتوغل فى الجنوب ايالة دامركو وفى الغرب منها قرب نهر دور يبا ايالة والى مانيدن وبها بلدة مبروك الواقعة على الطريق بين تنبكتو وغات

الفصل * الثالث

﴿ والسبعون ﴾

فى مملكة الصحراء الشرقية وأما الصحراء الشرقية المحادة لمصر من غربيها فهى ليست كبقية الصحراء لان بها الطفل نوع من الطين بكثرة وبها جبال لونها رصاصى أو اصفر وبها ربا من الرمل رحالة الى جهة الجنوب وجهة الغرب وسكانها يسمون تيبوس من السودان من نوع القانورى التابع لبرنو ومنقسمون الى عدة قبائل وهى الرشاد وقران وبركو وباتلين وغيرها والطريق مابين مرزوق الى كوكا مارة على سلسلة من الجزر النباتية طويلة جدا واكبرها تسمى كوار وهو حقيقة اسمها وان سموها باقما ويوجد فى هذا القسم جزائر أخر وهى تيبستى وبركو وموقعها بين مرزوق ووادى ثم جزيرة كوفارا التى بها بلدة كابو الواقعة فى الشمال وجهة الشرق من هذا القسم تسمى ليبيا بها بعض جزر تابعة الآن لمصر وهاته الاماكن التى عبرنا عنها بالجزر تسمى فى العرف بالواحات (والخلاصة فى افريقية) ان جميع سكانها عدى الممالك الشمالية والممالك التى على الشطوط نحو مائة مليون وأهم الشطوط بيد ممالك أوروبا ولهم فيها حكم استبدادى بمراعاة العوائد غير انهم يستعملون القوة القاهرة لتوحش السكان وبقية السكان غير الممالك التى مر ذكرها بتفصيل حالتها هم أناس متوحشون كالحيوانات العجم ودأبهم غزو بعضهم بعضا ولبعضهم رؤساء يلقبون بألقاب الملك ويجرون الحكم القهرى ولهم عادات مبنية على خرافات وجلهم اشد الناس تعلقا بالسحر ورعبا منه ويعتقدون له من التأثير أمورا عجيبة يكاد السامع أن لا يفهمها حتى ان بعضهم يستعمل السحرة فى الحرب بل ويعتقدون فيهم

الاحياء

الاحياء والاماتة ومن هذا القبيل في حكاية ما يعتقدونه ما أخبرني به ثقة عدل راويا عن والده الذي هو شاهده انه رأى من عجائب سحرهم ان قبيلة وتقرره من عادتهم التجارة ويرحلون لاجلها الى بلاد جني من بلاد قسم السودان فيتهيأ لذلك كل عام نحو ثمانية أو عشرة من كبرائهم أهل السحر ويعلنون بذلك فلا يزال الناس يأتونهم بأقربائهم ووكلائهم المريدين للسفر ويستودعونهم عندهم الى ان يجتمع منهم آلاف كل منهم يحمل بضاعته على عاتقه ويسافرون (هكذا) مشاة فاذا مات أحد المستودعين اجتمع السحرة وطلوه باشياء من نوع شجر عندهم لكي لا يفسد جسمه ثم ياخذون ذنب بقرة مستودع فيه السحر على زعمهم ويمسكونه بيده ثم يوقفوه ولا يزال سائرا معهم الى البلد فيمشي ميتا (وهكذا) ذهابا وايابا وبضاعته على عاتقه وهو ميت الى ان يرجع الى صاحبه ولولا تواتر الاخبار بمثل ذلك في أنواع سحرهم لما أثبتناه هذا هنا للعلم بأحوال ما يعتقدونه ودياناتهم شتى من أنواع الكفر وبعضهم يعتقد الالوهية في ثعابين أو عقارب أو حيات أو أصنام أو ملوك حتى اعتقد قوم منهم في سائح أبيض انه ابن الشمس وعبدوه ولما أراد الرجوع خاف على نفسه منهم من غصبه على البقاء بين أظهرهم الى أن اختفى ونجا وهكذا يعتقدون الالوهية في كثير من الحيوانات وبعضهم له لباس وبعضهم عراة بالمرة والنساء كانات الحيوانات المشتركة وبعضهم يتستر على العورة الغليظة وبعضهم يلبس شيأ من الثياب وبعضهم يسكن تحت السماء ويتقي البرد والحر بظل الاشجار وبعضهم يتخذ بيوتا من الهشيم أو أغصان الشجر وبعضهم له قرى وهم يتفاوتون في هاتيك الخلال شدة وضعفا وفي هؤلاء الاقوام قبائل من المسلمين وهم على توحشهم أحسن حالا من غيرهم لان الديانة هذبت من أخلاقهم نوعا ما وان كان بعضهم لا يعلم من الديانة الا الانتساب اليها وبعضهم يعلم الكليات الخمس الواجبة اجمالا من غير معرفة تفصيلها واذا قام أحدهم الى الصلاة يصير يركع ويسجد من غير عدد مخصوص لانهم انما يعلمون وجوب الصلاة التي هي قيام وركوع وسجود من غير تفصيل ولا عدد ولا ترتيب وهكذا يوجد في افريقية أقوام ينتسبون الى الديانة النصرانية واليهودية وليست على قواعدها المعروفة ولا زال الاوروباويون يرسلون دعاة لادخالهم في النصرانية هم وغيرهم من أمم تلك القارة كما يرسلون سواحا للكشف عنها وتحقيق ما فيها وكأنها لا تلبث أن تصير مطمح الانظار ومحطا للتقدم فقد اعتنوا من كل الجهات بالبحث عن ذلك رغبة في ازدياد التجارة والربح ونجح كثير من سواحهم في

الحصول على اكتشافات نافعة من خصب أقطار وكثرة سكان ووفور معادن وغير ذلك من حيوانات وحشية وأهلية لها فائدة فى التجارة والفوا فى صفات البلدان التى شاهدوها كتبا مفيدة وعلى الاجمال يقال ان قارة افريقية لازالت غير معروفة حق المعرفة الا ما يبناه منها منفردا وقد رأيت أبياتا للشيخ أحمد بابا التنبكتى وهو عالم مشهور من علماء السودان فى أوائل هذا القرن قدم من بلده تنبكتو قافلا للحج مارا على المغرب وتونس وهاته الابيات تفيد معرفة أسماء قبائل من السودان ومعرفة ديانتهم وهى

كل الذى من صنف هتش ذدما * عليك بالكفر عليه فاحكما
كذلك كرم كثد كل ويربا * تنبع ويركدس وبوبا كنما
فهم مجوز فيهم السباء * وبعضهم يجوز والشراء
واحكم باسلام بلاد برنو * كشناكاغ وكنو وعفنو
مول وكوبر وصقى كذلك * وجل فلات وبعض زكزكا

﴿ القسم الرابع من الارض ﴾

هى قارة أمريكا يدعى غالب أهل العصر ان هاته القارة كانت مجهولة عند القدماء الى سنة ١٤٩٢ مسيحية الموافقة لاوائل القرن العاشر من الهجرة فاكتشفها رجل اسمه كرستوف كلمبوس وهو من أهالى جنوه متخذا صناعة الملاحة وهى اذ ذاك تستلزم معرفة الحروب لكثرة الحروب البحرية سيما فى شطوط أوروبا وكان القى فى فكره وجود أرض وراء المحيط الغربى والجزائر الخالدات لمعرفته بالجغرفيا ورسم الخارطات فسعى الى ذلك مع ملك البرتغال ثم مع ملك جنوه وخاب أمله وبعد المحاولات الطويلة مع ايزابلا ملكة اسبانيا فى مدة ثمان سنين حصل على المساعدة بثلاث سفن والعهد اليه بأن يكون خليفة الملك عما يكتشفه ويأخذ العشر من المداخيل لنفسه ثم بعد مقاسات شديدة له من الملاحين الذين أرادوا قتله ايسهم من النجاح كلل سعيه بالنجاح بعد سبعة وعشرين يوما من شطوط اسبانيا الى جهة الغرب وأول جزيرة اكتشفوها سماها سان سلفدورى ولازال يكتشف فيها جزيرة بعد أخرى كلها فى غاية النضارة وسذاجة الاهالى وسلامتهم حتى انهم عراة نساء ورجالا ولونهم ذهبى ويبنون بيوتا من أغصان الشجر وبعض الجزر يبنون القرى من الحجارة والطين واكتشف فيها على البطاطس والتبغ اللذين لم يكونا معروفين من قبل وهكذا اكتشف بها على

الطماطم

الطماطم التي يقال انها هي السبب في حدوث المواد الطيرية في القارات لانه لم يكن معروفا ذلك المرض من قبل حتى سمي بالحب الافرنجي نسبة الى الافرنج لانه عرف منهم بجلبهم للطماطم وسيأتي الكلام ان شاء الله تعالى على وجه تسمية أهل أوروبا بالافرنج ثم ان كلمبوس رجع الى اسبانيا وعاد بأسطول وعساكرا أكثر مما كان أتى به سابقا فلم يبق هناك ثم قدم بعد مدة رجل يقال له أمريكوس وهو الذي اكتشف على أمريكا الجنوبية وبه سميت جميع القارة والحق انها كانت معروفة سابقا وكذلك طريقها من جهة المحيط الغربي ودليله انهم أثبتوا ان أهالي النوريج كانت لهم تجارة ومعاملة مع أهالي كرنيلاندا من أمريكا الشمالية منذ القرن الثالث والرابع من الهجرة حيث ذكروا ان رجلا من أهالي اسكلانده التي هي الآن من ممالك انكلتره وكانت اذ ذاك تحت حماية النورويج قذفته الرياح في ذلك الزمان في البحار الشمالية الى ان وصل الى كرنيلاندا ثم رجع الى بلاده وصار لهم اتصال معهم غير انهم لم يثبتوا زيادة اكتشاف عما عدى ذلك مع ان القارة كبيرة جدا وكذلك رأيت في جغرافية ابن الوردي انه قال ما معناه ان وراء الجزائر الخالدات وبحر الظلمات جزائر عظيمة جدا وفيها خلق كثير وقد وصل اليها أحد النوتية عن غير قصد بطاردة الرياح ثم رجع منها بعد ان أيس من الحياة ووصفها بأوصاف جميلة مطابقة لما اكتشف من بعد وانما قال في المحيط الغربي بحر الظلمات لانه تتكاثف فيه جهة الشمال الابخرة حتى يصير ظلاما الليل والنهار كما هو مشاهد الآن لجميع المسافرين بين أوروبا وأمريكا حتى تضطر البواخر مدة سفرها ان تصرخ بعد كل دقيقة ببوق البخار كي لا يقع لها تصادم مع غيرها لان نور الشمس محجوب ونور المصابيح لا يخرق تكاثف الابخرة وكذلك نقل لي ثقة انه رأى في بعض كتب الشيخ محي الدين ابن العربي ان وراء المحيط أمما من بني آدم وعمرانا وهو في القرن السادس رضي الله عنه فدل هذا على معرفة تلك القارة من قديم وانما الانتفاع التام بها لاهالي هاته القارات لم يعرف الا منذ قريب ثم ان هاته القارة العظيمة التي تعد نحو نصف الارض المكشوفة هي يحيط بها البحر من جميع جهاتها ويفصلها عن غيرها من القارات الا جهة القطب الشمالي ازيد من درجة نيف وثمانين فهي مجهولة كما ان القليل من الجهات الشمالية وسط القارة لم يعرف بالتحقيق وهكذا الوسطى من الجنوبية وجميع القارة تقسم الى شمالي وجنوبي ويوصل بينهما برزخ من الارض ضيق يبلغ في بعض الجهات الى أربعة وعشرين ميلا يسمى برزخ بناما وقد أرادت في

هاته المدة جمعية فرنساوية خرقه حتى يتوصل من المحيط الشرقي الى المحيط الغربي بقصر في المسافة وكأنه يتم عن قريب وسكان جميع هاته القارة يبلغون الى نحو الستين مليونا ولو اضيف اليهم اربعمائة مليون لوسعتهم الارض وقامت بجميع ثروتهم واكثر اولئك السكان من أهالي أوروبا وآسيا وافريقيا والاصليون قليلون ثم تنقسم القارة الى عدة دول

الفصل الرابع

والسبعون

المملكة الاولى دولة أمريكا المتحدة وموقعها في أمريكا الشمالية وتمتد من الشرق الى الغرب على جميع القارة فيحدها شرقا المحيط الغربي ويحدها غربا المحيط الشرقي ويحدها جنوبا خليج مكسكو ومكسكو وخليج كاليفورنيا ويحدها شمالا الاملاك الانكليزية والبحيرات الشمالية وسكان هاته المملكة نحو اثنين وأربعين مليونا منقسمون الى ستة وثلاثين حكومة كل حكومة مستقلة بادارتها الداخلية ومجتمعون في الاحوال العامة مما يعود الى مصلحة الجميع وتحت الجميع بلاد واشنطون يتركب فيها مجلس من جميع الحكومات وينظر في مصلحة الجميع ورئيس هاته البلاد هو رئيس جميع الدول التي هي جمهورية وهي التي لها المعاملة السياسية مع الدول الاجنبية ورياسة العساكر والبحرية وسيرة الدولة وقوانينها مثل سيرة الدول الاوروباوية الاكثر حرية وتقدما ولازالت تتقدم في الحضارة والمعارف والقوة حتى كان لها الشأن العظيم وصار لها الاعتبار التام عند جميع الدول وكانت سابقا من مستعمرات الانكليز ثم استقلت سنة ١٧٨٩ أوائل القرن الثالث عشر هجريا وهاته هي أسماء الحكومات المركبة منها العصبة وهي (نيوهمشير) و (مساشوست) و (رد ايسلند) و (كنكتيكوت) و (نيويورك) و (نيوجرسي) و (فنسلوانيا) و (دلاوار) و (مريلاند) و (ورجينيا) و (كرولينا الشمالية) و (كرولينا الجنوبية) و (جاورجيا) و (ماين) و (فرمونت) و (مشيغان) و (أوهيو) و (أنديانا) و (الينوي) و (كنتوكي) و (تنيسي) و (الاباما) و (فلوريدا) و (مسسبي) و (لوسيانا) و (وسكونسن) و (ايووا) و (مسوري) و (اركانساس) و (كانساس) و (نبراسكا) و (ارجون) و (منيسوتا) و (تكساس) و (كاليفورنيا) و (واشنطون) وهاته الاقسام تكونت

شيأ

شيأ فشيأ وأول ما تم منها الثلاثة عشر الاولى فاستقلت كما تقدم ثم مهما أتم قسم
شروط العمران والدخول فى العصبة قبل ولهذا بقيت بعض أقسام الى الآن تتمم
فى استعدادها لكى تدخل فى العصبة وسكان هاته الممالك من الغرباء وأطردوا السكان
الاصليين الى شمالى القارة والاصليون يسمون بالهنود لشبههم بهم فى اللون والخلقة وقد
تهذب منهم أفواج ولازال أغلبهم على التوحش يسكنون مع الوحوش أما الغرباء فقد
بلغوا الغاية فى التمدن والحرية فمن حريتهم ان ولى رئيس الجمهورية عندهم رجل
صناعته الاحذية حيث كان مستكملا الشروط الانسانية ووقع عليه الانتخاب وذلك فى
عشرة الثمانين ومائتين وألف كما تقدموا فى فنون المعارف الرياضية والسياسية
واخترعوا أشياء عجيبة من الكهرباء والبخار فاول ما عرف استعمال البلون أى القبة
الهوائية للاطلاع على أحوال العدو فى الحرب فى هاته المملكة عند ما كانت الحرب
مستعرة بين الحكومات الشمالية من الدولة المذكورة والحكومات الجنوبية منها
التى نشأت بسبب منع العبودية فان الجنوبيين أصروا على ابقاء ملك العبيد وبقيت
الحرب بينهم عدة سنين وذلك فى عشرة الثمانين من القرن الثالث عشر من الهجرة
فمن الاختراعات فى ذلك الحرب ان أصعدوا ركابا فى قبة الهواء مستصحبين باسلاك
كهربائية ليخبروا مراكز الجيش بأحوال جيوش العدو والمستتر وراء جبال أو ربا ومن
ثمرات قوة الاجتماع التى ظهرت عندهم الطريق الحديدية التى وصلت بها شطوط
المحيط الشرقى بشطوط المحيط الغربى وكان يوم تمامها يوما مشهودا فاحتفلت له جميع
البلاد وآخر مسمار انتهت به صناعة الطريق صنع من ذهب ودق بمطرقة من فضة
وربطت به عند آخر دقة أسلاك الكهرباء الى جميع البلاد فعند آخر دقة على المسمار
حصل العلم لجميعهم بذلك فى آن واحد ولهم ثروة عظيمة بالمعادن جدا سيما معدن
الذهب فى كاليفورنيا الذى يخرج منه الذهب مقدارا عظيما وهكذا الصنائع والتجارة مع
الامن العظيم والاطمئنان التام وقد تملكت هاته الدولة بالشراء من الروسيا
أملاكها جهة الشطوط الشمالية من جهة غربى القارة

الفصل * الخامس

﴿والسبعون﴾

فى بقية ممالك أمريكا الشمالية (فأولها) مستعمرات الانكليز فى القسم الشمالى

حادا للمالك السابقة الاملاك الانكليزية وهي يجرى فيها الحكم الانكليزى بنوع امتياز (وثانيها) مايلى ماذكر شرقا وهوقسم المتوحشين الاصليين وبقية الاقسام المريدة للدخول فى العصبة السابقة

الفصل * السادس

(والسبعون)

(وثالثها) مكسكو وهى تلى البلاد المتحدة جنوبا واستقلت أواسط هذا القرن من تسلط اسبانيا عليها ولكنها لم تزل متأخرة فى جميع أنواع العمران حتى الآن لاختلاف سكانها وحكمها الآن جمهورى وعندا كتشاف الاسبنيول عليها وجد فيها أمما فيهم بقايا التمدن ولهم ملك والموجود فيها من آثار المدن يدل على تقدم أهلها وقوتهم قديما وعدد سكانها نحو تسعة ملايين وقاعدتها مكسيكو

الفصل * السابع

(والسبعون)

(ورابعها) أمريكا الوسطى وهى تلى السابقة جنوبا وحكمها جمهورى وهى أقرب الى الخراب لتعاظم الفتنة بين أهلها واستقلت أيضا عن اسبانيا فى أواسط هذا القرن

الفصل * الثامن

(والسبعون)

(وخامسها) الجزائر الكثيرة المتفرقة وهى تابعة أما تماما أو تحت الحماية لدول متفرقة من أوروبا كانكلترة واسبانيا وفرنسا وهولاندا والدانيمرك والسويد كان لهؤلاء الدول أملاكا فى القارة الجنوبية وأكثرهم تملكا اسبانيا وانكلترة وحقيقة عدد السكان مجهولة لكثرة التوحش وعدم الفائدة الكبرى للدول بتهذيبهم وقد جربوا ان كل من تمدن هناك حاز الاستقلال بادارة نفسه مع ان عدد السكان قليل فى نفسه ثم ان بقية القارة الجنوبية تشتمل على دول شتى

الفصل

الفصل * التاسع

﴿والسبعون﴾

فالدولة السادسة كولومبيا المنقسمة الى ثلاثة أقسام كل منها مستقل تحت الحكم الجمهوري وعدد جميعهم نحو ثلاثة ملايين وهم على حالة التأخر وموقعها من مبدأ البرزخ الموصل بين القارة الجنوبية والشمالية يقسمها خط الاستواء متصلة بالشاطئ الغربي والشمالي والشرقي

الفصل * الثمانون

(والسابعة) دولة بيرو وسكانها نحو مليون ونصف وحكمها جمهوري وموقعها على الشاطئ الغربي جنوبي المملكة السابقة

الفصل * الحادي

﴿والثمانون﴾

ثم يليها شرقا وتمتد الى الشطوط الشرقية وعلى جميع دواخل القارة الدولة الثامنة وهي برازيل وسكانها نحو ستة ملايين ونصف وحكمها ملكي مقيد بالقوانين ويوجد فيها عدة آلاف من المسلمين أصلهم من سودان افريقية ولكنهم لا يعلمون الا كليات الديانة على سبيل الاجمال كما يستفاد ذلك من رحلة عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الذي كان اماما في بعض السفن المدرعة العثمانية وسافرت الى البصرة على طريق البحر المحيط الغربي على بغاز طارق وصادفتهم زوابع اضطرتهم عن غير قصد الى شطوط برازيل ولما خرجوا الى التفسح في البر أقبل عليهم أقوام مسلمون وطلبوا ابقاء الامام عندهم لتعليم الديانة فبقي هناك مدة وألف رحلته المختصرة المترجمة الى التركي المسماة مسلية الغريب وكان سفره سنة (١٢٨٢) ولا يبعد أن يكون في جميع أمريكا أمم كثيرة من المسلمين ولا يجدون من يهديهم ولا حول ولا قوة الا بالله

❀ الفصل * الثانى
﴿والثمانون﴾

❀ وبين بيرو وبرازيل الدولة التاسعة وهى بوليفيا سكانها لا يبلغون نصف مليون وحكمهم جمهورى

❀ الفصل * الثالث
﴿والثمانون﴾

والدولة العاشرة هى الشيلى سكانها نحو مليون وربع وحكمها جمهورى وموقعها على بقية الشطوط الغربية الى نهاية القارة فى الجنوب

❀ الفصل ❀ الرابع
﴿والثمانون﴾

والدولة الحادية عشرة دولة سيونس ايرس ويقال لها لابلاتا وهى وسط القارة الجنوبية ❀ تحدها شيلى من الغرب والمحيط الشرقى وبرازيل من الشرق وسكانها مجهولوا العدد وحكمها جمهورى

❀ الفصل * الخامس
﴿والثمانون﴾

الدولة الثانية عشرة أوروكواى هى جنوب برازيل سكانها نحو مائة وخمسين ألفا تحت الحكم الجمهورى المستقل وهى على الشاطئ الشرقى الجنوبى

❀ الفصل * السادس
﴿والثمانون﴾

والدولة الثالثة عشرة هى بقية أمريكا الجنوبية المعروفة بتاكونى وأهلها من الاصليين ❀ هنالك طوال شداد متوحشون يقال تقريب عددهم مائة وخمسون ألفا فى تلك الاراضى الواسعة

الواسعة وموقعها على الشاطئ الشرقي في نهاية القارة جنوبا وغربها الشيلي والحاصل ان غير الدولة المتحدة لم يكن في أمر يكامن الدول ما يعتبر اذ أغلب الاقسام المذكورة ولان كانت تحت أحكام منتظمة لكن لم يتسع فيها نطاق المعارف والتقدم وألهتهم الحروب الاهلية عما يصلح شأنهم سيما وأغلبهم حديثوا عهد بالعتق من تسلط الدول الاوروباوية عليهم الذين كانوا يجرون فيهم الحكم الاستبدادي الظالم وأما أقلهم فانهم من الاهالي الاصليين الذين اما انهم تناسوا التمدن أولم يعرف فيهم ولم يحسن الغرباء معاشرتهم وانما عاملوهم معاملة الوحوش وأطردوهم أوأفنوهم من ديارهم فبقوا على الجهل والتوحش وفي بعض الاماكن لا تساعدهم طبيعة الاقليم على شئ فقد ذكروا ان في الجهات الضاربة لاقاصي الشمال قوم ينحتون من الجليد بيوتا ويجعلون لها مضاوي نحتا ويسدونها بطبقات من الجليد الصفيق ليمنع مرور الهواء ولا يمنع الضوء ويبقون في تلك الدهاليز ايالي الشتاء الطويلة التي هي أغلب أيام السنة عندهم ويكتسون بجلد حجر البحر ويأكلون لحمه ويوقدون دهنه ومن أغرب ما يحكى عنهم انهم يطبخون اللحم المذكور في قدور من الخشب وصورة طبخهم انهم يتخذون من بعض الاشجار التي تنبت في الارض الجليدية قدورا يضعون فيها تجويف منها اللحم ويصبون عليه الماء ثم يأخذون الحجارة ويحمونها في النار الى أن تصير حامية جدا فيلقونها في القدر فتطفأ ويسخن الماء بحرارتها ثم غيرها وغيرها الى أن يصل الطبخ الى الاعتدال الذي اعتادوه وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو القادر الفعال

﴿القسم الخامس من الارض استراليا﴾

هي مجموع جزائر جهة الجنوب من المحيط الشرقي قبالة الهند والظن انها كانت متصلة بشبه جزيرة سمطرا قديما وفصلتها زلازل هائلة قديما كما يتبين من النظر الى الخريطة ويدعى ان أعظمها اكتشف منذ أقل من مائة سنة والحال ان بها سكانا نحو مليونين من البشر وفي لونهم السواد في أشكال من جهة التعليل بان سواد اللون من كثرة الحر تحت خط الاستواء مع ان عرض أعظم جزيرة هناك يبتدئ من عرض خمسة وثلاثين جنوبيا وذلك العرض من المناطق المعتدلة مع ان الاهالي الاصليين سود وكلهم متوحشون وانما يفترقون في شدة التوحش وضعفه وقد أخذت بعض الجهات في التمدن شيأما وكل هاته الجزائر تحت تسلط دول أوروباوأغلبها لمملكة الدولة الانكليزية وقد جعلت أوستراليا

منفا لاصحاب الجرائم العظيمة فبالتغرب والحكم المشدد هناك تهذبوا وتقدموا شيأ فشيأ الى ان انكروا على الدولة الانكليزية نفى المجرمين اليهم لانهم ليسوا باهل لمعاشرتهم ثم أخذوا استقلال ادارتهم برضاء الدولة الانكليزية ولازالوا تحت حمايتها وبقية دواخل الجزر مجهولة الى الآن وهكذا الجهة القطب الجنوبى وا كتشف النوتية مذ اربعين سنة على أرض فى ثلاث الجهات واسعة ولم يروا فيها سكانا والى الآن لم يزل البحث على مافيها وماوراءها وكذلك سنة (١٢٩١) اكتشف نوتية من النمسا أرسلتهم دولتهم للاكتشاف على أحوال القطب الشمالى فى باخرة تامة التجهيز فرجعوا بعد عامين بعد ان خاصتهم باخرة روسية عند ما كادوا ان يهلكوا لانكسار باخرتهم بالجليد ورجوعهم فى قوارب صغيرة فأخبروا باكتشافهم لارض واسعة فى درجة ثلاثة وثمانين وانهم لما انتهوا الى رأس فيها سموه رأس أوستريا وجدوا بحرا جهة الشمال مالئا عليه يسير من الجمد لا يحمل حمل المراكب الجليدية وحدس بذلك علماء هذا الفن على ان الحرارة من الكهرباء جهة القطب يمكن معها الحياة والسكنى أزيد من المناطق المتجمدة وهو يؤيد ماقلناه فى بحث السد عند الكلام على الصين والله أعلم بما خلق وذرأ وهو الحكيم الخبير

الفصل * السابع

والثمانون *

وحيث قد تبين فى هذا الباب اجمال حالات الممالك وماهى عليه من الاحكام والامن ناسب ان نذكر هنا خلاصة فى أسماء الممالك وقواعد بلدانها وعدد سكانها وكمية عساكرها وعدد سفنها الحربية ومقدار دخل حكومتها ومقدار خرجها وكذلك قيمة السلع الداخلة والخارجة بتجر تلك المملكة وكم على حكومتها من الدين وكمية ما مد من طرق الحديد فيها لتتبين بذلك قوة الممالك ومراتبها فى الاعتبار وهاتيك التفاصيل جمعناها من عدة موارد وتقويمات كلها فى سنين متقاربة من سنة (١٢٨٨) الى سنة (١٢٩٧) بحيث لا تتجاوز العشر سنين وانما نبهنا على هذا لان الاعداد المذكورة فى الاغلب يتغير بعضها بطول السنين لكنها فى الاغلب لا تتغير فى أقل من عشر سنين الا بأمور جزئية الا ان يطرأ على مملكة من الممالك حادث غير اعتيادى بحرب هائلة أوغيرها كما انا

لم

لم نعتبر فيما نقلناه الاعداد القليلة بالنسبة الى ما يقتضيه كل نوع من الانواع المذكورة لعدم الجدوى فيه بالنسبة لما نحن بصدده سيما وكثير من تلك الانواع هو من اصله غير محرر بالتدقيق الا فى بعض مواد فى بعض الممالك

﴿ جدول احصاآت الممالك ﴾

﴿المقصد﴾

﴿وفيه أبواب﴾

الباب * الاول

﴿في سبب سفري﴾

﴿فصل﴾

قد عرض للعبد الحقير السفر الى أوروبا ثلاث مرار الى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٩٧) فاما في مرتين وهما الاوليان فكان السفر لاجل التداوي فقط على ما سيأتي بيانه وأما المرة الثالثة فكانت لما ذكر أيضا ولأشغال سياسية أوكلها الي بها الوزير ثم عند رجوعي من هاته الثالثة نقض المذكور غزله وحملني على مفارقة الوطن حفظا لما يوجب الله علي حفظه فوجهت القصد الى أداء الحج المفروض والتشرف بزيارة أعظم الرسل عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله الكرام وخلفائه الاعلام وأصحابه الفخام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين) ثم استقررت بالقسطنطينية العظمى ثم سافرت الى أوروبا رابعا سنة (١٢٩٨) وعدت الى الاستانة وسنفرد كل مملكة شاهدتها بباب خاص نذكر فيه أحوالها وما شاهدته فيها كما اني أبين في هذا الباب المرض الذي حملني على السفر وما قيل في التداوي شرعا وما عولجت به وحيث كان لاصل النشأة والاقليم دخل عظيم في العلاج كما قرره الاطباء المتقدمون والمتأخرون لزم أن نذكر طرفا من حال نشأتي ونفرد كل قسم من هاته الامور بفصل خاص والله المستعان

فصل

﴿في نشأتي﴾

اعلم ان نهاية ما نعلم من نسبي هو ما يذكر وهو انني محمد بن مصطفى بن محمد الثالث ابن محمد الثاني ابن محمد الاول ابن حسين بن أحمد بن محمد بن حسين بن بيرم وهذا الجد الاعلى قدم الى تونس عند قدوم سنان باشا وزير الدولة العلية مع العساكر العثمانية لفتح تونس من يد الاسبانيول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ثم أقام بها وتزوج بابنة ابن الابار أحد وزراء الاندلس وعلمائها صاحب القصيدة التي يستغيث بها على لسان

صاحب

صاحب الاندلس سلطان المغرب للاندلس عند قدومه عليه سفيرا عن مخدومه (ومطلعها)

ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ❊ ان السبيل الى منجاتها درسا

ثم تناسل نسله الى حسين الاخير منخرطين فى سلك الوظائف العسكرية أو الملكية مع التحلى بالآداب العلمية فتزوج حسين هذا ابنة طاهرة من ذرية المولى الشريف سيدى (حسن الشريف الهندى) الشهير رضى الله عنه وبارك فى آل بيته العامر السعيد الى قيام الساعة فولدت له محمد بيرم الاول ومنه دخل النسل الى سلك العلماء الى الآن والمرجو من كرم الله ان يديم ذلك فى أعقابنا ماقدرلهم بالوجود واستفحل العلم فى هذا البيت ولله الحمد حتى سمعت من شيخنا العلامة شيخ الاسلام محمد ابن الخوجه يعرّف جدى محمد الثانى بقوله أبو يوسف الثانى ومؤلفات هذا الجد تشهد لشيخنا بصدقه وكذلك لبقية علماء بيتنا تآليف عديدة عظيمة مفيدة وتقلبوا فى الوظائف العلمية الى رياسة الفتوى وتلقب منهم أربعة بشيخ الاسلام ولما تأهل (والدى قدس الله روحه) للزواج زوجه أبوه بابنة وزير البحر محمود بن محمد خوجه ووالدتها من بيت العماد ذى الشرف المعروف وقد ألف الجد محمد بيرم الثانى تأليفا خاصا فى التعريف بنسبه الجثمانى والروحانى بلغ فيه الى نفسه والعبد مذيل عليه بذكر من لم يحوه ذلك التأليف من فروع هذا البيت وماذكر فى هذا الفصل انموذج منه وكانت ولادتى فى سنة (١٢٥٥) ثم اشتغلت بالقراءة والتعلم متفرغا الى ذلك الى أن وليت خطة التدريس سنة (١٢٧٨) وكذلك مشيخة المدرسة العنقية ولم يكن لى هم بشئ من أحوال الدنيا الا مطالعات الحوادث السياسية الداخلية والخارجية الى أن توفى والدى رحمه الله ونعمه سنة (١٢٨٠) فاضطررت الى ادارة مخلفاته ولم يكن لى الا محض الوداد مع سائر السكان لبعدى عن مواقع التحاسد بينهم وتجنبى للخطط حتى ان خطة التدريس والمشيخة المذكورتين انما قبلتهما بعد الالحاح عند وفاة عمى شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع وانحلال الخطتين المذكورتين بسبب موته حيث كانت مشيخة المدرسة اليه وانحلت وظيفة التدريس بسبب انتقال صاحبها الى مافوقها وصاحب مافوقها ترقى الى مشيخة الاسلام وهو شيخنا العلامة محمد ابن الخوجه المشار اليه آنفا وبقيت على ذلك مرتاح البال سليم الوداد الى ان ولى الوزارة الكبرى بتونس الناصح الامين خير الدين باشا ونحا منحى الحكومة الشورويه فى اجراء العدل فرأى اجتهادا منه فى انتقاء

المتأهل للخطط ان يستعين بالعبد في بعض الخطط حسن ظن منه فلم يسعني الا مساعفته لما كنت منه على علم من توغله في حب العدل والميل الى القوانين والشورى حتى كان أول ناشر لمفاخرها في قطرنا بتأليفه أقوم المسالك مع امتناعي سابقا عن كل وظيفة لما أعلم من خمول الانصاف وظهور الاعتساف وعندما غلب على الظن حصول الجدوى بولاية الشهم المذكور أجبت استدعاءه وقلدت رياسة جمعية الاوقاف التي هي من مبتكرات الوزير المذكور في تونس اذ رتب قانونا لها يحفظ الاوقاف ويتمم الضبط لم يسبق اليه فاستعنت الله وبذلت مقدوري للوفاء بما عهد الي ثم ضم الى ذلك نظارة المطبعة وهكذا بذلت فيه استطاعتي غير اني في ذاتي تحملت من الاتعاب الفكرية والبدنية مالم تتحمله نشأتي بل وكذلك الخسائر المالية لان المرتب الذي جعل لي وان كان في نفسه نظرا للبلاد وافرا لكنه كان غير واف بما اعتدته من المصاريف التي كنت أحصل على الوفاء بها من دخل أملاكي ومعاطاة تجارتي ولما استغرقت الوظيفة الاوقات للقيام بها حق القيام تعطل الدخل السابق فعوضا عن الاستغناء بالوظائف صرت أبيع من كسبي شيأ بعد شئ للوفاء بحاجات المعاش ولا أعد ذلك شيأ في جنب القيام بحق الوطن بل اني أحمد الله تعالى على ما أنعم

فصل

في مرضي وما عولجت به حيث كان نسل بيتنا متوارثا فيه ضعف الابدان وكثرة الاسقام حتى قال الجد الثاني في تأليف نسبه المشار اليه آنفا عند الكلام على اقرائه شرح صدر الشريعة على الوقاية والسبب في طول مدة اقرائه له كثرة ما كتب على مباحثه المهمة من التعاليق المختصرة والمطولة مع الشغل بخطة القضاء والضعف البدني الى ان قال فانا أهل بيت باض السقم في بيتنا وفرخ وشوى وطبخ نسأله سبحانه أن يجعل مافاتنا من القوة في أبداننا قوة في ديننا وان يعافينا ويعف عنا ويميتنا على الاسلام بلا محنة انه جواد كريم وقد كان الجد المذكور مبتلى بمرض عصبي أعيا علاجه أطباء زمانه الى أن حصل له انكماش في أصابع يديه وهو مع ذلك يطالع ويؤلف الى أن توفي سنة (١٢٤٧) وهو ابن أربع وثمانين سنة لا يفتر عن التحرير والمطالعة قدس الله ثراه كما ان والدتي رحمها الله ونعمها كان بها مرض الاعيا يعتريها بكثرة في

ركبتيها

ركبتها وهو من الامراض العصبية وكذلك كان بها مرض عصبي في معدتها فلما
تقدم بي مزاجي منهشا للمرض العصبي لانه من الامراض التي يعتريها التوارث ولما ✻
شققت على الاشغال الفكرية والبدنية وكانت طبيعة اقليمي مائلة الى الحرارة واشتد
الحر في الصيف كنت استحم بالماء البارد بعد التعب بالشغل نحو سبع ساعات تطلبا
للنشاط والارتياح للاستعانة بذلك على الاشغال عشية فارتكبت ذلك مرتين أو ثلاثا
وعند آخرها حصل لي وجع شديد يكاد لا يطاق يبتدئ من فم المعدة ثم يمتد للجنبين مع
مصاحبة الاسهال وتطول مدته من الساعة الى الساعتين وتكرر ذلك مع شدته ولم
ينجع فيه شيء من علاج أطباء بلادنا مع تنوعه وكثرة اجتماع الاطباء اليه بحيث لم أبق
واحدا من مشاهيرهم لم احضره فرادى ومجتمعين وغاية ما أرسى عليه حالهم هو استعمال
المسكن المسمى بكلوراتو مرفينا الذي يستخرج من روح الافيون ويستعملونه محلولا في
الماء المقطر وزن نصف قمحة من العلاج المذكور أي عشرة من مائة من غرام واحد
في ستة غرامات من الماء المذكور ثم يملؤون منه حقنة صغيرة تحمل غراما واحدا الا ربعا
من الماء المدبر المذكور ويحكمون ادخال أنبوبها في رأس ابرة خاوية الوسط وسنها في
نهاية المادة ثم يمسكون الجلد من المريض بأصابع اليد ويجذبونه الى أن يبعد شيئا ما عن
اللحم ثم يدخلون الابرة هنالك ويجذبونها الى خارج الى أن لا يبقى الا آخرها داخل الجلد
ويبقى محلولها هنالك متمددا وحينئذ يدفعون الماء المذكور تحت الجلد ثم يزيلون الابرة وقد
تم حينئذ عمل العلاج فبعد دقيقة أو دقيقتين أو أقل يسكن الألم بفضل الله وتمادى
الحال على ذلك مع كثرة تردد المرض كل يوم مرة أو بعد يومين مرة وبعد كل نوبة يتركني
في غاية التعب ويورث ارتخاء وضعفا جسيما وقد كنا لا نعلم كيفية استعمال ذلك المسكن
فيلزم الصبر على شدة الألم الفادح الى أن يأتي الطبيب فما يأتي الا وقد وجد في أخذ
من الألم مأخذا عظيما فاذا ثقل جسمي وصار يعتريني في بعض الاحيان دوار وتارة
يعتريني تضرم في النبض مع شدة ضعفه وامتد ذلك نحو ثمانية أشهر وحينئذ ألح على
الحكيم الماهر النصوح مينايني بالسفر الى أوروبا وقد كان أشار علي بذلك من أول
الامر غير ان غيره من الاطباء خالفوه فانهم قالوا لا يلزم السفر ويمكن العلاج في البلاد
لكني لما رأيت من طول الامر وزيادة الضعف ما رجح لي كلام مينايني أعدت
استشارة الاطباء فوافقوه وكان قصده من السفر (أولا) ذات السفر فانها من أسباب
الصحة طبا وقد علمت من الفصل الثاني من المقدمة ان السفر من أسباب الصحة شرعا أيضا

(وثانيا) الارتياح لى من الاشغال الفكرية التى لم يمكن لى التجنب عنها فى البلد (وثالثا) الاقاة مشاهير الاطباء الذين لا يوجدون عندنا كما سيعرف فى محله وهذا الاخير هو الذى أوجب تعيين الوجهة الى خصوص أوروبا فسافرت حينئذ وكان ذلك فى دجنبر ✽ واجتمعت بمشاهير من أطباء ايطاليا وفرنسا واستقر رأى أغلبهم وأعلمهم على ان المرض عصبى مع ضعف شديد فى الدم ومركزه ما بين أعصاب المعدة والقلب وعالجونى بالمياه الباردة جدا المنعشة بقوة وذلك بأن يضرب بها كفى القدمين ثم العقبين ثم فقرات الظهر ثم فم المعدة ثم الوجه والرأس ويتم جميع ذلك فى دقيقتين أو ثلاث ثم ينشف البدن بخرق من الكتان مع عنف وضرب خفيف واستعجال ثم تلبس الثياب ويداوم المشى المعجول نحو نصف ساعة أو أزيد الى أن يسخن البدن ويحصل شئ من العرق أوحك حوالى فقرات الظهر بخرقة من الشعر الصلب ثم امرار اسفنجة مبتلة بالماء البارد على ذلك المحل عند النوم مع تكبيس الاعضاء والظهر بالايدى وظهر لهذا العلاج بعض النفع غير أن شدة البرد هنالك الخارقة لمعتادنا فى اقليمنا المعتدل أوجبت على الاطباء الاشارة بالعود الى الاقليم مع التوصية بالتحذير من الاسباب المهيجة للمرض ككثرة الشغل والمآكل العسيرة الهضم ثم تعاهد المعالجة بالماء البارد وشرب أدوية عديدة منها شئ قليل من روح الزئبق وأشباهه من أجزاء يسيرة من دقاقير قتالة مع التحذير من مقاديرها وخف المرض عند الرجوع الى الوطن حتى انى لم أضطر الى استعمال المسكن بالحقنة نحو ثمانية أشهر لكن المرض لم ينقطع وانما كان يأتى خفيفا ومع العود الى الاسباب التى لم أجد عنها مندوحة عاد الالم لما كان واضطررت للسفر ثانيا لخصوص باريس التى وجدت بها امهر من رأيته من الاطباء وهو الحكيم شاركو وقد ورد الخبر باكتشافه لعلاج جديد من المعادن ولما عدت اليه عالجنى بالكهرباء التى يسرد الكلام عليها ان شاء ✽ الله وصورة العلاج بآلات على نوعين أحدهما مسكنة للهيجان العصبى وهى آلة مركبة من ثمانين اسطوانة منقسمة الى قسمين كل قسم يشمل أربعين اسطوانة ويوضع كل قسم فوق القسم الآخر وكل اسطوانة مركبة من طبقات احداها نحاس والاخرى روح التوتيه المسماة بالزنك والثالثة طبقة من الجوخ وفى مركز كل اسطوانة عمود من سلك حديدى يخرقها ويتصل الجميع بطبقة من الكاوتشو ويغمس الجميع فى ماء مخلوط بالنشادر وهذا الغمس لا يلزم فى كل مرة بل اذا حصل ضعف فى عمل الكهرباء ثم يجفف من التقاطر ويوضع فى صندوق من خشب بداخله صفحتان من

الفولاذ

الفولاذ موصلتان للكهرباء بسطح الطبقة العليا وفى هذا السطح بيت ابرة ومسامير من نحاس مسطحة الرأس منقوش عليها أعداد من عشرة الى أربعين يمينا وهكذا شمالا وعمودان قصيران مثقوبان ويدان تداران على مركزهما ويوضع طرفهما على العدد المطلوب من المسامير اليد اليمنى على المسامير اليمين واليسرى على المسامير الشمالية وعلى بيت الابرة ضلع من خشب وعند ارادة العمل بذلك الصندوق الهيأ يلزم وضعه بحيث يكون الضلع الخشبي الممتد على بيت الابرة متوجها جنوبا وشمالا ثم تدار اليدان لتحريك القوة الكهربائية وتوضع احداهما على أحد الاعداد المناسبة لقوة الهيجان وقوة المريض أيضا وهكذا الاخرى بحيث لا يبلغ بهما معا الى نهاية العدد من الجهتين التى هى درجة الثمانين فى القوة الكهربائية لان ذلك يخشى منه من الصاعقة على الانسان ثم يؤخذ سلكان من الفولاذ محكم لفهما بخيوط الحرير حتى لا يبدو منهما أقل جزء ويوضع كل منهما فى أحد العمودين المثقوبين ويحكم امساكهما هناك بلولب وفى رأس طرفيهما الآخرين شبه ختم من معدن ملفوف فى جلد رقيق يبل بالماء لسهولة توصيل الكهرباء وكل من الختمين له يد من خشب يمسكها العامل ويسمى أحد السلكين بالموجب والآخر بالسالب تبعا النوع تسمية الكهرباء والموجب هو الذى تكون اليد الدوارة من جهته فى درجة أعلى من الجهة الاخرى فاذا الصق الختمان ببعضهما أو اتصلا بجسم يوصل بينهما رأيت الابرة فى بيتها تضطرب يمينا وشمالا ويشتد اضطرابها او يضعف على حسب الدرجة المجعولة فيها قوة الكهرباء واذا حصل هيجان فى المرض يوضع الختمان على المريض بقرب مجلس الالم على هيئة التقابل بين السلكين ففى بضع ثوان يسكن الهيجان باذن الله من غير ان يحس المريض بادنى حركة أو ألم ويسمى هذا النوع من الكهرباء الكهرباء الساكنة وهاته الآلة من اختراع كستاف طروقيه وعندما كان يعترينى المرض بالدوار وضيق الصدر كان الحكيم يضع الختم الموجب على العنفقة سا كنا والسالب على الجبهة يديره من أحد طرفيها الى الطرف الآخر فكان اذا قرب من الحاجبين أرى كأن البرق يتطاير من عينى متواليا ويلزم ازالة السالب شيأ فشيأ بأن يرفع بعض أطرافه ثم وثم الى أن ينفصل جميعه وأما الآخر فينفصل دفعة واحدة والآلة الثانية الكهربائية هى آلة لتقوية البدن والاعصاب وصورتها مربع من خشب عليه اسطوانتان من البلور مركوزتان على قطع من الكاوتشو (هو نوع غروى يجف ويتصلب مستخرج من صمغ الاشجار) غير أن احداهما يحيط بها الكاوتشو الى نحو

الثلاثين منها والثانية الى نحو الربع و يمد عليهما اسطوانة عظيمة من النحاس خاوية الوسط وفى أواسط كل من الاسطوانتين البلوريتين رباط من نحاس فيه موضع لوضع قطب أحد الدائرتين الآتى بيانهما وهذا القطب وسطه فولاذ وظاهره كاوتشو يتصل بدائرة مسطحة جيدة من الكاوتشو أيضا وأحد طرفى قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة صغيرة من نحاس كما انه فى نحو الربع السفلى من الاسطوانتين موضع لقطب دائرة مثل تلك لكنها من البلور وانما مركزها على القطب من الكاوتشو وبقية قطبها من النحاس وأحد طرفى قطبها خارق للاسطوانة البلورية متصل بدائرة من خشب لها يد تدار بها وعلى خط نهايتها محل لوضع حبل من جلد مركب يوصل بينها وبين الدائرة النحاسية التى فوقها المتصلة بقطب دائرة الكاوتشو وبدوران هاته الدائرة الخشبية يدور كل من دائرة البلور ودائرة الكاوتشو اللتين وضعهما بين الاسطوانتين وتبعد احداهما عن الاخرى نحو أصبع عرضا ومركز الكاوتشو أعلى من مركز البلور ثم ان المربع الخشبى تلصق به آلة ذات وسادتين لاصقتين فى خشبتين وهما جلد محشوتان بالشعر ولهما لوالب يقرب بهما من بعضهما أو يبعدهما وفائدتهما هى ادخال الدائرة البلورية بينهما بحيث يلتصق بكل من سطحيها احداهما حتى اذا أديرت يحصل حكها بهما ويدلك كل الوسادتين بشئ محجر من الكبريت تقوية لاحداث الكهرباء ثم يتصل باحدى الاسطوانتين البلوريتين عند مركز قطب الدائرة العليا قوس من نحاس ينفتح و ينغلق بحيث اذا أغلق يتصل طرفه بالاسطوانة الكبرى النحاسية وفى هاته الاسطوانة حلقة من جنسها خارجة عن راس الاسطوانة البلورية ليوضع فيها رأس قضيب من نحاس وذلك الرأس منحنى ليمكن امساكه فى الحلقة وهو أى القضيب طويل أزيد من ثلاثة أمتار وجميع تلك الآلة يوضع على مائدة من خشب مرتفعة على الارض نحو ذراعين ونصف بأرجل متينة لا تضطرب عند ادارة الآلة و يكون وضعها فى محل خالى من الندا متجدد الهواء بعيدا عن الاشجار والبحر نحو عشرة أو اثنى عشر ذراعا ووضعها هى فى المحل يكون بعيدا عن الحيطان فى الاقل ذراعين واذا كانت الكهربائية ضعيفة يربط برجل القوس عند الاسطوانة البلورية سلسلة من أى معدن حد ويربط طرفها الآخر بالحائط ثم يوضع كرسى أرجله من البلور الثخين بعيدا عن الآلة قدر ذراعين ويوضع عليه طرف القضيب الماسك فى الاسطوانة النحاسية ويجلس على الكرسى المريض وتدار الآلة اما بالبخار أو باليد و يفتح القوس النحاسى

وعند

وعند ذلك يمتلئ الجالس بالكهرباء من غير ان يحس بشئ الا اذا قرب منه جرم ما فانه يتطاير بينه وبين الجالس شرر يشبه البرق ويحس به الجالس ضربا واخزا لكنه لا اذية فيه ولزيادة الدواء يأخذ الحكيم عصا من نحاس ويدها التي يمسكها من البلور وفيها حلقة تربط بها سلسلة معدنية متصلة بالارض وللحذر من مسها للحكيم يدخلها بحلقة متسعة من النحاس موصولة بيد من البلور يمسكها الحكيم بيده اليسرى ليبعد جرم السلسلة عن نفسه من غير تعطيل لحركتها واتصالها بالارض حيث كانت تمر في الحلقة الواسعة ثم يصوب رأس القضيب الذي بيده وهو مخروط مذبب صوب المريض الجالس على الكرسي على الجهات التي هي مجالس للألم واذذاك ترى شعلة من النار الزرقاء المبيضة خارجة من رأس القضيب ويحس المريض بريح باردة واصلة اليه وان قرب منه القضيب خرج الشرر وتارة يعوض رأس القضيب بكورة نحاسية توصل به وتارة يعوض بكورة خشبية متعددة الانواع من صلابة الخشب ورخاوته لان الصلب أشد كهربائية ويستعمل من تلك الانواع على حسب قوة المريض ويدام العمل من خمس دقائق الى عشرين دقيقة تدريجا مع تأنس المريض ونقاهته وحصل لي بهذا العلاج مدة أربعين يوما نفع عظيم ولله الحمد كاد ان ينقطع به الألم بالمرة الا بقايا قليلة لا عبرة بها وعند الرجوع الى الوطن أكد علي الحكيم الحذر من الاسباب وتفقد العلاج المذكور أو شرب قطرات صغيرة من محلول الذهب الذي بان نفعه أيضا من ست قطرات في نصف كأس من ماء الى خمس عشرة قطرة تدريجا قبل الأكل فطورا وعشاء وعند النوم فكنت أستعمل آلة الكهرباء الدوائية التي ظهر نفعها غير ان الاطباء أوصوني على عدم ملازمتها خوفا من تأنس البدن ولذلك تركتها مدة مع اني كنت اشتريت آلة واستصحبتها معي والفرق بينها وبين الآلة التي عند الحكيم في باريس ان التي أخذتها تدار باليد والاخرى تدار بالبخار لكثرة استعمالها حيث يعالج بها كثيرين وأما التي عندي فتكفي فيها يد الادمي اذ لا يدوم العمل بها اكثر من عشرين دقيقة في اليوم ثم عند تركي للعلاج بها مدة كنت أخاف من اشتداد الألم الذي تتظاهر مخايله من حدوث بعض الدوار والارتخاء والحزن الذي هو من علامات الهيجان للنوع الثاني من المرض وهو اعتراء برد شديد في الاطراف وصغر في النبض مع ألم عام لا أقدر اعبر عنه ولا أعلم مجلسه أين هو مع ارتعاش في الاعضاء وجفاف في الريق وصعوبة في ابتلاع الريق والطعام وضيق في النفس وهذا الهيجان لا تنفع فيه الآلة المسكنة الا اذا كان

شديدا واما اذا كان خفيفا فلا ومن عجيب عوارض هذا النوع من الهيجان شدة السمع حتى كنت اسمع الشئ الخفى البعيد الذى لا يسمعه الحاضرون معى مع التأذى من شدة صوته عندى فضلا عما اذا كان الصوت قريبا منى حتى يلتزم من حضر عندى السكوت بل ربما تأذيت من صوت نفسه وهكذا الشم فقبل حصول الهيجان كنت أشم ما لا يدركه أمثالى لكن وقت الهيجان يصيبنى زكام مفرط وربما هاته الحالة لا يسكنها ولا مسكن الحقنة الا بعد مدة وهى أشد على من هيجان الوجع ولذلك كنت استعمل عند تعطيل التعاهد بالآلة العلاجية شرب ماء الذهب المتقدم ذكره وقد قلت للحكيم عند وصفه هذا الدواء وانه من مخترعات هذا العصر ان أكل الذهب للتقوى معلوم عندنا وقد كان الامام ابن عرفة فى المائة الثامنة والتاسعة يبرد كل يوم بندقيا (البندقى نوع من سكة الذهب منسوب الى البندقية وزنه نحو نصف دينار ذهبا) على دجاجة و يطبخها جيدا ويأكلها فقال البندقى كثير فقلت له حيث ان الذهب غير محلول فلا يأخذ منه البدن الامقدار ما تهضمه المعدة وما عداه يذهب فى الفضلة فقال نعم وعلى كل حال فلهذا العصر فضل فى الاقتصاد فلم يسعنى الا التسليم وهذا العلاج بالمعدن كنت أستعمله قبل السفر ثانيا لكن على ظاهر الجسد وذلك بأن يؤخذ شئ من أحد المعادن الخالص ويجعل منه نحو سوار فان ظهر فى المريض بلبسه نوع ملايم ديم عليه والا يبدل بمعدن آخر وأول من اكتشفه طبيب نمساوى ولم يلتفت الى قوله الى ان أصغى اليه الحكيم شاركو الفرنساوى وجربه فوجده صادقا وأعلن به من مجلس فن الطب بباريس وصار معمولا به غير انى وجدت فرقا بين الكيفية التى جربها الطبيب البارون كستلنوفو وبين ما فعله الطبيب بباريس فان الاول كان يستعمل المعدن و يبقيه ان وافق وكل المعادن التى جربتها لم توافق سيما النحاس فانه يحدث التخيير الا الذهب فلما جربته لبسا خف التخير وسخنت أعضائى وكان العرق الذى يأتى من الألم حارا على خلاف ما كان من برده ولما أعلمت بذلك الحكيم شاركو أذن الطبيب المباشر وهو فغرو بأن يجرب المعادن فأعطانى ميزان القوة وقبضت عليه بجهدى وقيد الدرجة وكذلك علم ميزان النبض ثم أول ما بدأ به من المعادن معدن المغناطيس وهو على هيئة قطعة من حديد موضوع على مائدة فالصقه بذراعى الأيمن وجعل فاصلا بينه وبين البدن قطعة من ورق فما لبث نحو دقيقتين الا وحصل هيجان عظيم فى المرض خشيت منه وكان تابعى معجلا باستعمال الحقنة للتسكين فنهاه الطبيب واستعمل الآلة الكهربائية الساكنة

المسار ذكرها فصل السكون بفضل الله وتبين ان ذلك المعدن غير ملائم وهو نظري ووافقني عليه الحكيم شاركو وان كان الطبيب فيغرو يرى انه موافق بمعنى انه لما أحدث تأثيرا دل على تأثير المعدن منه لكني أقول ان المعدن يتأثر منه بالضرر لا النفع ولم أعد اليه ولا لغيره ذلك اليوم حذرا على البدن من كثرة الاضطراب ثم جربنا النحاس وهو أيضا غير موافق كما تقدم غير انه لم يحدث هيجانا كبيرا ثم جربنا الفضة فلم توافق ولم تضادد بدليل موازنة ميزان القوة والنبض ثم جربنا الذهب فكان ملائما بحرارة البدن وزيادة القوة ونشاط النبض ولذلك استقر الرأى على عمله لكن لا يكتفى فيه بالاستعمال على ظاهر الجلد فقط بل بالشرب أيضا على نحو ما تقدم وكل معدن كان تجربته في يوم خاص كما عولجت قبل السفر الثاني بماء البرمور وبوتاسيوم باشارة الطبيب كستانوفورى فى كميته وأوقاته كيفية رآها الطبيب منها يلي كثيرة فلما استعملها مع المواظبة أكثرت على النوم حتى كدت ان أكون نائما ثمان وأربعين ساعة تماما والمقدار هو قدر ملعقة كل بعد كل ساعة من الماء المذكور وبعد رجوعي من باريس والعلاج بالكهرباء على نحو ما مر بقيت على العافية ولله الحمد مدة عام الا ستة أيام حيث تراكمت الاتعاب الفكرية والبدنية وحوادث فى البلد أوجب جميعها السفر ثانيا الى باريس والاشتغال بغير الدواء فى هاته المرة مع مصاحبة الاتعاب الفكرية أوجب عدم نجح العلاج السابق وان خف الألم شيأما فلما عدت بعد افراغ المستطاع وجدت الحال فى الوطن غير الحال وأخلاق الحكومة وان شئت قلت الوزير بخصوصه غير ما تركته عليه كأنى أتيت شيأ على غير أمره وتحقق لدى ما كنت أتوقعه من السوء لكل ناصح أمين غير مائل على سوء الاعمال كما سيرد شرحه ان شاء الله تعالى فعزمت على التوجه لبيت الله الحرام ملتجأ الى الرسول عليه الصلاة والسلام لكشف الضر الخاص والعام فنلنا بجاهه المرام ولا زلنا نؤمل القيام بما التجأنا اليه فيه ومنه حسن الختام

فصل

﴿فى حكم التداوى شرعا﴾

اعلم ان التداوى قد ورد بالهداية اليه القرآن العظيم كما فى (قوله تعالى يخرج من بطونها

شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) فدلت الآية الشريفة على ان العسل دواء للآلام يستشفى به منها كما بينه الحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى وغيره من قصة الصحابى الذى قال (للنبى صلى الله عليه وسلم) ان أخى يشتكى بطنه فقال له (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا ثم عاد وأعاد الشكوى وأعاد له (صلى الله عليه وسلم) صفة الدواء ثانيا ثم وقعت الاعادة أيضا ثالثا وقال الصحابى قد سقيته ومازاده الا انطلاقا فقال (صلى الله عليه وسلم) اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك ففعل الصحابى وشفى المريض فان الحديث قد بين ان شفاء الناس هو تداويهم به من أمراضهم حيث قال صدق الله أى فى قوله فيه شفاء للناس ثم يدل الحديث أيضا على ان استعمال الدواء لابد فيه من مقادير وأوقات ولذلك أمر بالتكرار لانه تعالى كما له ارادة فى جعل الشئ سببا فى البرء له ارادة فى خصوص مقداره وأوقاته وانه لا ينبغى ان يهمل الدواء اذا لم يرمنه نفع فى المرة الاولى اذلعله لم يكن هو المقدار الكافى لما استعدله بدن المريض ولله سبحانه وتعالى حكم فى الاشياء لم تصل عقولنا للاطلاع على تفاصيلها فيلزمنا اتباع مادلت العادة والتجربة على جعله سببا لمسبب بمقتضى الحكمة الازلية ومن ادعى عمل الاشياء بالطبع لا يسعه الا العجز عند ما تحاربه بسؤالك لماذا كان طبعها كذا واذا عالل تقول له لماذا كان ذلك التعليل وهكذا بل انهم كثيرا ما يعجزون من أول الامر فيقولون ان الشئ الفلانى يفعل كذا بالخاصية حيث لم يجدوا شيأ يمكن لهم به التعليل الاولى والحق ان ذلك جميعه بخلق الله وجعل تلك الاشياء أسبابا عادية يخلق عندها ما أراده بسابق حكمته ولما تقدم أجمعت الامة على جواز استعمال الادوية وانما وقع الخلاف فى جواز استعمال المحرم دواء ووقع الخلاف فى الترجيح عند الحنفية ومحل الخلاف هو ما اذا تعين الشفاء فى خصوص ذلك المحرم ولم يوجد شئ آخر حلال يقوم مقامه اما اذا وجد فلا يبيح (حينئذ) والقائل بالاباحة يستدل بالضرورة وانها مبيحة للمحذور فيكون كالخائف من الهلاك جوعا فى أكل الميتة ومقتضى تجويزهم الكتابة بالدم على جبين صاحب الرعاف لكى ينقطع عنه هو ترجيح للتداوى بالمحرم لان الكتابة بالدم النجس اهانة للحروف ولاسيما اذا كان فيها اسم الله وذلك محرم قطعا وانما جاز للضرورة فلا يكون اذذاك حراما وبه يجيبون من احتج بقوله (صلى الله عليه وسلم) لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم فان الشئ اذا تعين فيه الشفاء يرتفع عنه التحريم وبيان هذا المعنى هو ان يقال ان الاشياء المحرمة انما حرمت لما فيها من المفاسد

والمضار

والمضار للمخلوق لانه تعالى منزه عن الاحتياج لشئ وكلما ورد به الشرع فانما هو لهدايتنا لما ينفعنا فنؤمر به أولما يضرنا فنهى عنه وحيث لم يكن فى طوق عقولنا الاحاطة بعلم جميع ذلك لان بعضها يتوقف على علوم تشيب الغراب وهو تعالى خالقنا الرؤف العالم بنا ورسوله هو الا ب الرحيم بخلق الله ونحن على يقين من ذلك ولله الحمد فما علينا الا أن نتبع ما شرع لنا موقنين ومسلمين أن ذلك هو الصالح بنا كتسليم الابن لابيه العاقل وتسليم الجندلرئيسه الخبير من غير بحث عن موجب تكاليفه مع ان المشبه به يمكن فيه حصول الاعلام بالبواعث غير انه ترك حذرا من فوات الفرص واطالة الامر بخلاف المشبه فقد علمنا عجز عقولنا عن ادراك جميع مصالحنا بتمامها ولذلك ما أمكن ادراكه قلنا انه معقول المعنى ومالم ندركه علمنا به وقلنا انه تعبدى والكل معقول فى نفس الامر فالشئ المحرم اذا اضطر للتداوى به ليس المعنى انه يرتفع الضرر الذى حرم من أجله بل ان الضرر الحاصل الذى يراد دفعه به أعظم من الضرر السابق فيرتكب أخف الضررين كما هى القاعدة الشهيرة فالجرعة مثلا المحرمة لتوقع جرها الى افساد العقل اذا غص الانسان وخشى الهلاك جاز له شربه لدفع الهلاك الذى هو أعظم ضررا من توقع جرها لافساد العقل ولا يقال انه على هذا يلزم التوقف فى كل جزئية على علم مفسدة المحرم الذى أريد استعماله وحرم من أجلها ومقايستها بالمفسدة التى يراد دفعها به مع انك مصرح بعدم علم الجميع والقائلون بالجواز لم يخصصوا اما علمت مراتبه وقيس بينها الا انا نقول القواعد الكلية فى مثل ذلك كافية فى حصول المقصود وقد علمنا منها ان حفظ النفس هو ثانى مرتبة بعد حفظ الدين وجميع الاشياء المبحوث عنها آيلة الى حفظ النفس من الهلاك والهلاك أعظم مفسدة ومضرة من كل ما يمكن ان يكون فى الاشياء المحرمة من أسباب التحريم الراجعة الى أجزاء خاصة من النفس كالعقل مثلا فيقدم حفظ النفس جميعها عليها ولا يمس ذلك الدين لان محله القلب أى الروح التى هى محل الاعتقاد وذلك لا يخرج منه الا بما دخل فيه كما هى العبارة المشهورة ولذلك صرح الفقهاء بأنه لا يفتى بالردة استعجالا حتى يثبت اضطراب العقيدة والعياذ بالله ولو صرح فى الفتاوى ببعض أشياء انها مكفرة فلا يعول عليها نعم ان جميع الشعائر الظاهرة هى من الدين أيضا ومنها حفظ النفس وقد علمنا من الشرع تقديمها على كل ما سواها الا الاعتقاد ولهذا جوز اتلافها فى القتال على الدين وهكذا على شعائره فانهم صرحوا بأن من تركوا جميعا الاذان يقاتلون حفظا للدين وتقديما له على النفس لكن ذلك

اذا كان منشأ عن الاستخفاف الراجع للاعتقاد اما اذا نشأ عن التأويل أو العذر المنبئ عن صحة الاعتقاد فلا يقاتلوا (حينئذ) ولهذا لم نؤمر بقتال تاركي الجمعة بتأول وجوب الامام المعصوم مع انها من شعائر الدين وبما تقدم يعلم جواز تلقيح الجدري من الحيوان أو الانسان لانه قد ثبت بالتجربة المفيدة للقطع انه حافظ من الهلاك أو مما يقرب منه ومن هذا الباب تجويزهم للكتابة بالدم مع انه فيه استخفاف بالحروف التي مرجعها الدين وبيانه أن الاستخفاف فعل القلب والاعمال الظاهرية دالة عليه وأقيمت مقام الحرمة بسبب دلالتها لا لذاتها فهلاك النفس تعارض مع ما يدل على الاستخفاف فقدم دفع الهلاك للتيقن بسلامة الاعتقاد وغاب ذلك الدلالة لارتكاب أخف الضررين فان قيل كيف يكون أخف الضررين مع ان الآخر مرجعه للدين وهو مقدم على النفس فالجواب أن الدين قد علمت انه سالم وهو الاعتقاد ولم يبق الا الدلالة في مقابلة النفس التي هي محل الاعتقاد والقيام بجميع التكاليف فغلب ترجيحها كما صرحوا به في جواز التيمم لخوف المرض في أن ذلك ليس تقديما للنفس على الدين بل من باب تقديم أغلب الدين على بعضه لان الانسان اذا سلم أقام الطهر والصلوات الكثيرة وغيرها من التكاليف بخلاف ما اذا هلك فتسقط بموته جميع التكاليف المتعلقة بذاته فلا يسوغ له ان يسعى في ابطاله تكاليف كثيرة لاقامة عبادة واحدة فهو (حينئذ) من باب أخف الضررين كما تقدم واعلم ان للعبد توقفا شديدا في دعوى جواز مسألة الكتابة بالدم لحفظ النفس من الرعاف (الخ) وبيانه ان صاحب الفصول العمادية وغيره ممن نقل عنهم الشيخ بيرم الثاني في كتابه حسن النبا في جواز التحصن من الوباء قد صرحوا بأن تعلق الاسباب بمسبباتها على ثلاث مراتب أحدها التعلق القطعي وهو ما لا يتخلف فيه المسبب عن السبب الا على وجه خرق العادة كالشبع للاكل والري للشرب وثانيها الظني وهو ما يكثر فيه ارتباط المسبب بالسبب وقد يتخلف نادرا ومثلوا له بالادوية مع الامراض وثالثها الوهمي وهو ما لا يرتبط فيه المسبب بالسبب الا نادرا ومثلوا له بالكي والرقى مجمعين على ذلك وغاية ما اختلفوا فيه هو ان تعاطي القسم الثالث هل هو مخالف للتوكل أم لا واحتج صاحب حسن النبا لكونه غير مخالف للتوكل رادا على صاحب الفصول بثبوت الرقيا من (النبي صلى الله عليه وسلم) وكذلك الكي فليراجع ما أطال به هنالك فأنت ترى أطباقهم على جعل الرقيا من الموهوم وما تقدم من الكتابة بالدم للراعف ليست هي الا رقيا فكيف ينطبق عليها شرط جواز استعمال

المحرم

المحرم وهو تعينه للشفاء وأين التعين من الوهم وكيف يقدم على أمر محرم باجماع لامر موهوم فعلى الآخذ للاحكام الشرعية التثبت وعدم الاغترار ولهذا صعبت درجة المفتي لكي لا يضل ويضل بغير علم ولا ينفعه مجرد وجود المسائل في كتب بعض المتأخرين اذ كثيرا ما زلقت الاقدام من بعضهم فينقلها عنه غيره كأنها المذهب الذي عنه لا يذهب والله يحفظ المسلمين من مزالق الشبهات وكان منشأ ذلك القول هو ما قاله صاحب النهاية في مبحث جواز التداوي بالمحرم اذا تيقن فيه الشفاء وساق لذلك مثالا وهو جواز كتابة الفاتحة بالدم للراعف على جبينه وأنفه لكنه قيد ذلك بحصول العلم الذي هو اليقين وذلك على معرض التمثيل بدليل عطفه البول حيث قال وبالبول أيضا أي اذا حصل العلم ومن المعلوم ان الفقهاء يصورون المسائل ولو المستحيلة تقريرا لحكمها لما عسى ان يطرأ في زمن لا يقدر فيه على استنباط الاحكام فليس كلامه دليلا على الجواز في تلك المسألة لانه مقيد بالعلم وقد علمت انها من قبيل الرقيا والرقيا من الموهوم فلا يجوز الاستناد الى كلامه مع الغفلة عن قيده الذي هو العلم ولم نر في كلامهم من سوغ اطلاق العلم على الوهم وغاية ما قالوه في المسألة ان بعضهم جعل كلام حذاق الاطباء مما يحصل به العلم وقال العلامة السيد ابن عابدين في حواشي الدر انه لعله من التوسع في اطلاق العلم على الظن أقول وذلك لان مسائل علم الطب على قسمين أحدهما ما يرجع الى علم التشريح وكيفية تركيب الابدان وهي يقينية والثاني ما يرجع الى الدواء ومسائله ظنية كما تقدم ثم اعلم ان تعاطي الاسباب بأقسامها الثلاثة التي تقدمت في صدر هذا المبحث هو من أعمال الكاملين في الدين ولا ينافي التوكل على الله وقد بسط المسألة بيرم الثاني في كتابه حسن النبأ المشار اليه وحققناها فيما كتبناه على باب لا يلدغ (المؤمن من جحر واحد مرتين من البخاري) وخلاصة الكلام ان العمل بالاسباب مع التوكل على الله في نجاحها هو المشروع ومخالفة ذلك سوء أدب مع الخالق جل وعلا فيعصي الانسان من حيث يظن انه يطيع وقد صرح بمثل ذلك العارف الشعراني في المواثيق والعهود حيث قال ان التوكل لا يشرع الا مع الاسباب أو عند فقدها اما مع امكانها فهو كالعاصي وبكلامه (رضي الله عنه) يتبين الوجه في الفرق بين حالي (النبي صلى الله عليه وسلم) مع صاحبه الصديق (رضي الله تعالى عنه) فانه (عليه الصلاة والسلام) لما هاجر الى المدينة عند اجتماع قريش على أذيته لم يكن له (عليه الصلاة والسلام) من الاسباب الحامية منهم مع كثرتهم وشدة عداوتهم

واتفاقهم الا الاعتماد على أمر الله له بالهجرة ووعده له بابلاغه الى المأمن وانتصار الدين وظهوره فلما سافر واختفى فى الغار مع صاحبه (الصديق رضى الله عنه) وخرجت قريش فى تطلبهم ووصلوا الى الغار ولم يكن لهم مانع ما عن تفتيشه والدخول اليه مع شدة حرصهم على ذلك كان (سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه) خائفا فزعا يدعو الله (والرسول عليه الصلاة والسلام) مطمئن يقول له ما أخبر الله به لا تحزن ان الله معنا وفى غزوة بدر لما أعد (الرسول صلى الله عليه وسلم) العدد والعدد وهيأ أسباب القتال والتقى الجمعان للطعان كان (الرسول صلى الله عليه وسلم) يدعو الله بالحاح حتى قال لان تهلك هاته العصابة فلن تعبد بعدها فى الارض أو كما قال وكان (الصديق رضى الله عنه) يقول له لا تحزن ان الله منجز لك ما وعدك من النصر ولا شك ان (النبى صلى الله عليه وسلم) أكمل حالا من جميع الخلق فكيف اختلف حاله فى الواقعتين مع ان ظاهر الامر فيهما مع (صديقه رضى الله عنه) فالوجه يتبين مما قرره الشعرانى فى القاعدة المار ذكرها وهو ان حال الغار ليس فيه مجال للاسباب لفقدانها فليس هنالك الا التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مطمئنا لانه أكمل توكلا واما حالة الغزوة فهى حالة الاخذ فى الاسباب ثم التوكل معها ولا يسوغ التوكل البحت ولذلك كان (صلى الله عليه وسلم) مجتهدا فى الدعاء لتكون الاسباب ناجحة وليس للامة الا اتباع الرسول فالعمل بالاسباب عند وجودها مع التوكل على الله فى نجاحها هو المشروع ولا يشكل على هذا ما ينقل عن كثير من الصالحين من تركهم للاسباب وخرق العادة اليهم لانه مندفع بما قرره أبو اسحاق الشاطبى فى الموافقات من ان هؤلاء وان خرقت لهم العادة لكنهم لم يخرجوا عن الاسباب لان خرق العادة من الاسباب الخفية واستشهد لذلك بأدلة تشفى الغليل و يبينه ما وقع من العارف الربانى الامام فى علم الباطن والظاهر سيدى (عبد العزيز المهدوى) شيخ مظهر العلم (سيدى محى الدين ابن العربى) الحاتمى الذى ألف لاجله الفتوحات المكية و يخاطبه فى رسائله بقوله ياولى فانه قد ذكر عنده أن أحد الصالحين كان مارا بطريق فوقع فى جب فمر بعض السابلة على ذلك الطريق ورأوا الجب فقالوا ان هذا الجب يضر بالسابلة لوقوعه فى الطريق فلندفع أذاه بوضع هذا الصخر العظيم على فمه ونسده ففعلوا من غير ان يعلموا بالصالح الواقع فيه وخطر هو بباله ان يعلمهم ثم قال لا ألتجئ الى مخلوق والله أعلم بحالى وبعد ما مر السابلة جاء سبع وحفر فرجة من فم البئر

وادلى

وأدلى ذنبه الى الرجل الصالح فقال ان هذا اذن من الله بنجاتى فتمسك بذيل السبع وأخرجه السبع من البئر وذهب الى حال سبيله وسمع منادياً يقول قد نجيت من الهلاك بالهلاك وسئل الشيخ سيدى (عبد العزيز) كيف يصح هذا العمل من هذا الرجل الصالح والحال انه مخالف للشريعة لان (الله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وعدم اعلامه هو للسابلة من باب الالقاء باليد فأجاب سيدى (عبد العزيز رضى الله عنه) بأن التكاليف الشرعية العملية هى ثانى رتبة من التكاليف الاعتقادية وذلك الرجل الصالح علم من نفسه ركونها للاسباب وعدم صحة توكلها فقهرها حتى يثبت صحة الاعتقاد الذى هو الدرجة الاولى فلهذا كان الرجل قد عمل بالشريعة بوضع درجات التكاليف مواضعها هذا محصل كلامه (رضى الله عنه) وبه يعلم ان كل من ارتكب منهم مخالفة الاسباب لابد أن يكون له حامل خاص والافهم (رضى الله عنهم) أشد محافظة على الشريعة فلا يغتر أحد بأن أعمالهم مخالفة لمشروعية الاسباب بل يحمل كل منهم على أمر خاص يليق بحاله وفقنا الله للاهتداء بهداهم

الباب * الثانى

(في قطر تونس)

لما كان مسقط الرأس فى هاته البلاد وهى منبت الآباء ومستقر الاجداد ونحن بصدد التعريف والكلام على ما شاهدناه فى الاقطار على حسب مشاهدتنا لها فى التواريخ لزم بالضرورة تقديم الكلام على الوطن النابت حبه فى القلب النبات الحسن

فصل

(في التعريف بالقطر التونسى)

اعلم ان موقعه على شواطئ افريقية الشرقية الشمالية على البحر الابيض ويحده البحر المذكور شمالا وشرقا وطرابلس الغرب فى بعض الحد الشرقى والصحراء الكبيرة جنوبا والجزائر غربا ويبتدئ شمالا من عرض سبع وثلاثين درجة وسبع عشرة دقيقة وعشرين ثانية هذا عند أعظم المراسى هناك وهى مدينة بنزرت ويمتد من هنالك الى الجنوب الى ان يدخل فى الصحراء الكبيرة من غير تعيين للحد وانما أشهر المدن جهة

الحد الجنوبي هي مدينة توزر وهي واقعة في عرض اربع وثلاثين درجة واحدى عشرة ثانية وعشرين دقيقة وهذا القطر طوله من الشمال الى الجنوب أكثر من عرضه من الشرق الى الغرب ممتد على ساحل البحر فيبتدئ من عرض درجة (٣٧) ودقيقة (١٩) وينتهي معموره الى درجة (٣٣) ودقيقة (١٠) ويبتدئ في الطول المؤسس على باريس من طول درجة (٩) ودقيقة (٢٢) الى نحو درجة (٥) ودقيقة (٥٠) وبه رأس داخل في البحر يسمى رأس ادار وهو أطول رأس في البحر الابيض ويتصل ببقية القارة بالمكان المسمى دخلة المعاوين كما ان بالقطر رؤس أخر وهي الرأس الابيض وراس الزبيب الاثنان حول بنزرت ورأس سيدي علي المكي ورأس جبل المنار ورأس المهدية وراس كبودية وراس الغدامسي ويتبع هذا القطر عدة جزر صغيرة أعظمها جزيرة جهة الحدود الجنوبية ثم قرقنه وهي امام صفاقس ثم جزيرة الكلاب والجوامير وجالطه وغيرها وبه خمسة اجوان كبيرة أحدها جون سيدي ابي سعيد وهو بقرب الحاضرة وجون قابس جهة الجنوب وجون الحمامات وجون بنزرت وجون رواد وبه ثلاث بحيرات أولها بحيرة الحاضرة وثانيها بحيرة المزوقة عند بنزرت وثالثها بحيرة الكلبية بين القيروان والساحل (وأما الانهر) فليس به الا نهر واحد وهو مجرده ومنبعه من ولاية قسنطينة التابعة للجزائر وينحدر من هنالك مشرقا مع زيادة تعاظمه بالجداول التي تصب فيه الى ان يخترق القطر التونسي مارا من الغرب الى الشرق في الجهة الشمالية من القطر وتزداد مياهه أيضا بما يصب فيه من الجداول الى ان يصب في البحر في جون رواد من شماليه قرب غار الملح وهذا النهر وان لم يكن سواه في هذا القطر فهو لا يحمل الا القوارب الصغيرة في الصيف واما في الشتاء فيمكن انه يحمل القوارب الكبيرة لا السفن واذا تكاثرت الامطار فانه يفيض و يطفو على أراضي وسيعة وربما حصلت منه بعض أضرار واما الجداول فهي ليست بكثيرة جدا ولكنها خارقة لاغلب الجهات ومنها ما يجري دواما ومنها ما يجري عند هطول الامطار ومن أشهرها انه الجداول وادملاّن ومنبعه من جبال برقو من الجهة الجنوبية ويخترق وطن رياح ثم ينحدر الى ان يصب في البحر في رادس ببعد عن الحاضرة عشرة أميال وكثيرا ما يمنع المارة عن عبوره عند كثرة الامطار وتارة يفيض لكن لا يحصل منه ضرر لمن يجاوره غير انه يضر بمن يكون فيه من الرعاة والمارين حيث ان فيضانه يأتي دفعيا وجريان مائه سريعا لكثرة انحداره واما العيون فليست كثيرة في عموم القطر لكنها تكثر جدا في الجهة

الشمالية

الشمالية في جبال ماطر وجبال طبرقة وجبال باجة وفي الكاف عين عظيمة جداً كثيرة ماء وعذوبة وبرودة حتى تقع المخاطرة في الصيف لمن يقتدر ان يرفع شيأ من قعر الماء الجاري عند منبعه ثم تنحدر من الجبل وتسيح في البساط مهملة وكذلك في اسبيطلة عين عظيمة وفي زغوان وجقار عيون كثيرة وبعضها وهو أكبرها مجلوب الى تونس الآن في قنوات من حديد مع آثار القنوات القديمة التي كان جلب فيها الرومان الماء من هنالك الى قرطاجنة وكذلك في الجريد عيون غزيرة عذبة الماء وحارة كما يوجد بالقطر مياه كثيرة ❊
معدنية أشهرها ماء حمام الانف النابع من جبل أبي قرنين وهو ماء حار عليه عدة حمامات والماء نابع من عدة عيون أحسنها عين حمام العريان ثم عين الحمام الكبير وله نفع عظيم لعدة امراض قد افردت منافعه وكيفية استعماله برسالة خاصة للحكيم الكبير وترجمها ونقحها العلامة بيرم الاول قدس ثراه وهذا الحمام يبعد عن الحاضرة خمسة عشر ميلا جهة الجنوب الشرقي مطل على شاطئ البحر جامع للنزهة والنفع والتأنس حيث كان على الطريق العام الموصل الى الساحل وغيره من أكبر جهات القطر ودرجة حرارة مائه من (٤٨) الى (٤٩) من ترموميتر صانتي غرام الذي هو ميزان للحرارة الذي سفره من الجمد والمائة درجه هي درجة غليان الماء وكل ليتره منه تزن ألف غرام وعشرة غرمات وسبعة صانتي غرام ومعتاد الماء المطلق القطر يزن ألف غرام والغرام هو نوع من مقادير الموازين كل ثلاثين غراما بأوقية وتفصيل الاجزاء التي في هذا الماء من ❊
المعادن هو ما يأتي بيانه

صنتي غرام	غرام	
٠٠	٠٢٨	ففي كل ألف غرام من الماء المذكور حامض فحم الحجر
٠٠	٠١٢	حامض المانيزيا
٠٠	٠٠٠	حامض الحديد قليل
٥٣	٠٠١	الجبس
١١	٠٠٠	ملح دسود
١١	٠٠٠	ملح بوتاس
٧٥	٠٠٩	مانيزيا كاولورد يسوديوم
٩٠	٠٠١	كاولورد كالسيوم
٥٥	٠٠٠	كاولورد مانيزيوم

٠٧ . . . كاولو رديد تاسيوم

٠٧ . . . آسيد سيليسيك أى طين البلور

وفى كل كيلو (٢٢٠) صانتى ميتر ومربع من الحامض الفحمى وفيه (٣) ميلغرام من برومور ومانيزيا واصطلاح هاته الاعداد معلوم فى الحساب وكذلك يوجد فيه حمام قربص البعيد عن الحمام السابق بحوار بعين ميلا فى الجهة الشرقية الجنوبية منه وهو أكثر عيونا وأشد حرارة وله نفع عظيم فى كثير من الامراض العصبية وأمراض المواد الطبيعية ومن غريب خواصه انه اذا وضعت دجاجة فى مجرى الماء قرب منبعه نحو بضع دقايق يزول ريشها بتمامه بل ان بعضا من الاهالى يضع قدرة للطعام هنالك فيطبخ اللحم أحسن طبخ وهكذا غيره الابيض الدجاج مع شدة تلك الحرارة ومع سهولة طبخ البيض فانه لا ينضج ولو بقى هنالك يوما تاما هكذا يروى عن كثير واجزاؤه تقرب من أجزاء ماء حمام الانف وكذلك يوجد قرب رأس الجبل من وطن بن زرت حمام معدنى غير انه لا يستعمل الا عند بعض البوادى وأهل القرى هنالك ولا شهرة له مع انه كثير المنافع وكذلك يوجد فى النفيضة مياه معدنية نافعة للشرب والاستحمام وهى مهجورة كغيرها من منابع الثروة والتقدم واما جبال هذا القطر فتتصل به سلسلة جبال أطلس التى تبتدئ من عرض (٣٨) درجه وتنتهى فى عرض (٣٧) فى مملكة المغرب وأعلى رأوسها بين فاس ومراكش وارتفاعه على سطح البحر ثلاثة عشر ألف قدم ومائة قدم وفى اختراقها للقطر التونسى عدة فروع أشهرها جبال مطماطه وجبل طبرقة وجبل الرقبة وجبل زغوان وهو أعلاها وجبل الرصاص وجبل أبى قرنين ومناخ هاته الجبال هى الجهة الشمالية والغربية الشمالية ثم لا تزال تنخفض وتضيق عند توجهها للجنوب مارة بقرب سواحل البحر الى ان تتصل بجبال الودارنه من عمل الاعراض وعدى هاته لا يوجد جهة الجنوب الاربا لا اعتبار لها وليس منها جبل بالكانى الا جبل أبى قرنين فان الآثار دالة على انه كان فى الاصل بالكان حيث يوجد فى قنته العليا فوهة مسدودة الآن مع منابع الماء الحار المتدفقة منه ومع الانفجار البليغ الكائن فى أحد رؤسه التى بقرب البحر فى الجهة الشمالية منه المعروفة بضربة السيف الحادث ذلك الانفجار الهائل بسبب الزلزال الشديد الذى هو من علايق البلكانية وقد علمنا ما مران فى الحد الجنوبى (الصحراء) الكبيرة وقد قال قوم انها كانت بحرا متصلة بالبحر الابيض بخليج من شطوط قابس ومما يستدلون به الارض السواخة التى بين الشاطئ المذكور

والصحراء

والصحراء ورام فردیناند دلسبس الرجل الشهير باعمال خليج السويس ان يحفر خليج
قابس لكي يصير البحر في وسط افريقية وحققوا أن سطح البحر أعلا من سطح الصحراء بما
يحمل السفن الكبيرة وأن البحر يدخلها الى طول نحو ثلاثمائة ميل ورأى قوم
امتناع ذلك ولكن المريد أشتغل الآن بخليج بنما في أمريكا فترك الكلام والعمل في
بحر الصحراء (وأما) معادن هذا القطر فهي لم تزل في حجب الترك ولا شك أنها غنية
نافعة والمتحقق منها الآن المعروف هو الرصاص والفضة في كل من جبل الرصاص
ودجبة وأولها كان مستعملا بكثرة وآثار خدمة الرومان له العظيمة لازالت الى الآن
واستخراج المعدن منه لا يحتاج لكبير معالجة حتى ان الاعراب تأخذ منه ماتريد ولهذا
صار اسم المعدن عنوانا على الجبل وقد منح في وزارة مصطفى خزنه دار الى احد الطليان ثم
انتقلت منحته الى جمعية طليانية ولم تزل بأيديهم الى الآن من غير حصول فائدة لهم ولا للبلاد
وثانيهما الآن بيد كمبانية فرنساوية هي صاحبة امتياز طريق الحديد والظاهر من اعمالها
السريعة الجدة أنها تستخرج منه عن قرب وان كانت الى الآن لم تحدث فيه شيئا كما
يوجد المعدنان المذكوران في جهات أخر من جبل الرقبة وكذلك قرب اسبيطله كما يوجد
قرب هاتين معدن من الذهب وفي وطن أولاد عون يوجد القزدير والزئبق و يوجد الحديد
في الجبل الاحمر قرب باردو وفي دجبة وهو غني سهل الاستخراج في كليهما كما يوجد
السيمان في الجبل الأحمر وهو غني سهل و يوجد فيه الفحم الحجري أيضا كما يوجد معدن
المرمر الزنجي الاحمر والاخضر الذي كانت تستعمله الرومان والقرطاجنيز في هياكلهم
الشهيرة وهو قرب سبيبة وآثار استخراج الاقدمين موجودة تشهدها البوادي غير أن
تأوي اليها كما يوجد الرخام الاسود في جبل أشكل من وطن ماطر و يوجد الكذال
الرفيع الصلب في جبل أبي قرنين وهو مستعمل الى الآن و يسمى محله مقطع الحجر
وكذلك في الجبل الاحمر الجبس كما يوجد الملح في سباخ عديدة أشهرها سبخة سكره قرب
الحاضرة وفي عشرة الثمانين والمائتين والف أرسلت دولة فرانسا أحد علماء
الطبيعيات بطلب من الحكومة التونسية وطاف في جميع القطر بتدقيق وكتب ما يشتمل
عليه من المعادن ومقدار درجتها وأماكنها لكن بعض تلك التقارير لم تصل للحكومة
التونسية الى الآن (وأما أراضي) هذا القطر فهي خصبة جدا تبعا لمياه السماء
وكأنها لكثرة خصبها واشتمالها على اكمل الصفات الحميدة خصصت باسم أفريقية من
باب اطلاق العام على الخاص لمزية فيه حتى صار كأنه هو الجميع أو ان أصل الاسم خاص

بهذا القطر ثم سمى به جميع ما اتصل به من القارة و يؤيده تسمية الجهة الاكثر خصبا منه بخصوص هذا الاسم وهى الجهة الشمالية الشاملة لماطر وباجة وما بينهما فانها الى الآن تسمى على لسان العام والخاص بافريقية غير انهم يبدلون القاف كافا مفخمة وينقسم القطر الى ثلاثة أقسام باعتبار الخصب فالجهة الشمالية التى هى أكثر جبالا هى الاكثر خصبا على مرور السنين فالمزارعون هنالك لاتكاد تجد سنة لا يربحون فيها من مزروعاتهم ولا أقل انهم لايخسرون شيأ وعلى الخصوص فى هذا جهة جبال ماطر كما ان الخصب فى هاته الجهات لا يتجاوز الحدود المتعارفة فى الربح وأما القسم الثانى فهو الجهة الوسطى من القطر والجهة الشرقية من الجنوب على قرب من البحر وذلك كالساحل والقيروان والاعراض وصفاقس وخصب هذا القسم باعتبار السنين ومافيها من المطر قلة وكثرة وحيث كان نزول المطر فى تلك الجهات قليلا فكذلك الخصب قليل ففى العشر سنين مثلا يحصل عندهم الخصب مرة أو مرتين لكنه خصب خارق للعادة و يكاد السامع أن لا يصدق به لولا ما شهد به العيان وتواتر النقل فيه حتى بلغ حد القطع فان رجلا زرع فى أراضى الساحل التابعة لبلد سوسه ربع قفيز فحصل مائة قفيز وخمسة عشر قفيزا وبلوغ هاته الدرجة قليل والكثير أن من يزرع قفيزا يأخذ من الستة عشر قفيزا الى الخمسة والثلاثين قفيزا وقد حكى الوزير أبو محمد خير الدين باشا عندما كان وزيرا بتونس الى نائب احدى الدول ما يحصل بتلك الجهة من عظم الخصب وان الامير أحمد باشا كان أتى فى أحد أسفاره بجذر من شعيرة واحدة أنبتت ستمائة سنبلة وأزيد فظهر على وجه النائب استبعاد الحقيقة وسكت الوزير اذ ذاك ثم أرسل الى عامل القيروان وجلاص بأن يبحث عند داستواء الزرع على أعظم جذر وأكثره سنابل فأرسل اليه صندوقين فيهما بكل واحد منهما جذر واحد فاستدعى الوزير ذلك النائب ومعه طائفة من الاعيان وأراهم الجذور فاعتنوا بأنفسهم بالبحث عن المنبت ووجدوا أصله شعيرة واحدة وعدوا كم تفرع فى أحدها فتجاوز وافى العدالاربعمائة والخمسين وبقى نحو الثلث بلا عد وقالوا يكفى الذى تحصل منه هذا العدد فله ان يتجاوز حتى الالف و يعظم طول السنبل أيضا حتى يحجب الفارس بفرسه اذا مر فيه والعادة عند فلاحة تلك الجهات ان يزرعوا حبات الشعير كزرع الشجر أعنى يتركون بين الشعيرة والشعيرة مسافة وسيعة وأما بقية السنين فاما ان يخسروا رأس المال أو بعضه أو يحصل لهم ربح يسير وذلك لقلة نزول الامطار

بتلك

بتلك الجهات لخلوها عن الجبال المرتفعة والاشجار الطويلة وأراضى هذا القسم يلزمها البذر القليل بالنسبة للقسم الاول فالمقدار من الارض الذى يبذر فيه قفيز فى القسم الاول يبذر فيه فى هذا القسم الربع وأقل وأما القسم الثالث فهو غير صالح لزرع الحبوب بالمرة وهو الجهة الجنوبية المسماة بالجريد لانها أراضى متسعة من الرمل وقريبة الى الصحراء الكبيرة ولا تصب فيها الامطار الا نادرا واذا صبت أضرت بأهلها الان نباتهم أكثره النخيل والمطر تضر بثمره العجيب (وأما نبات) هذا القطر فأغلب ❀ زراعة أهله فى القسم الشمالى والاوسط هى الحبوب من القمح والشعير وأقل منها الذرة والفول والدرع والجلجلان والحبة الحلوى والكروية والبسباس والتابل والحبة السوداء والكتان والقطن واللوبياء والبطاطس والحمص والعدس ولكثرة خصب هاته الاشياء كان هذا القطر يسمى بمخزن حبوب روما ويزرعون من البقول الطماطم والبصل والصاق والكرنب والبروكلو والقناوية أى البامية والملوخية والفلفل الاخضر والاحمر والمعدنوس والسنباخ والكرضون والدباء أنواعها والجعفاء والشبت والثوم والخس والسكوريا والبراصا والفجل والسماق والكلافس والفراولو والبطيخ الاحمر والاخضر والقثاء واللفت والكسبرا وبوخريش والاسطفلينا وفيه أنوار برية عجيبة الرائحة والمنظر لا يحيط بها الا خالقها ومنها القيحوان والبابونج والاتاى وهو غير مستعمل وفيه من الازهار المستنبتة زهر البنفسج وينبت بنفسه أيضا فى زغوان وغيره من اماكن المياه الكثيرة وهكذا الورد والياسمين بأنواعهما والفل والقرنفل على أنواع شتى وغير ذلك من الزهور الطيبة الزكية بحيث تكون جبال هذا القطر وأوديته وبساتينه أيام الربيع وأواخر الشتاء وأوائل الصيف روضة نضرة بالوان النبات المخضرة به الارض وأنواع الزهور والنور المختلف الاشكال والروائح ومما ينبت بنفسه القرنين الخارج من الخرشف الذى يقال انه الجزر والسكوم وينبت فيه جميع النباتات من الكلأ البرى ومن أحسنه لغذاء الحيوانات النجم وفى الجهات الشمالية (آجام وغياض) وغابات عظيمة غنية وأشهرها غابة ❀ طبرقة يستخرج منها الاخشاب لبناء السفن والخفاف وأعواد السقوف من الطرفا وغيرها مع المتانة والدوام والعجب انها مع كثرتها فتجارة الاخشاب المجلوبة من أوروبا رائجة فى أغلب حواضر القطر ولتلك الغابات أشجار عظيمة جدا ذكر لى ثقة انه راى فى غابة طبرقة شجرة من الزيتون أحاط بساقها ستة عشر رجلا كل منهم فاتح يديه للغاية

يمسك صاحبه وأشجار تلك الغابات هي الذرو والصفصاف والبلوط والبندق
والقسطل والزان والفرنان ومنه يستخرج الخفاف وقشر لدبغ الجلود وفيه تجارة رائجة
وشجر الذئم والدردار والعرعار وغيرها من غير ذات الثمر (كما يوجد فيها) ذات الثمر
نحو الجوز ولأخشابه سوق نافعة كالعرعر وقد أيضا فانهم يأخذون قشرها ويستعملونه
للصبغ وغيره وأكثر هذا في جبل زغوان وكل تلك الأشجار والغابات نابتة بنفسها من غير
حراسة الا الحفظ طبرقة من جهة البحر لان للحكومة معلوما على الخفاف وهي مختصة
بأخشاب السفن كما لها معلوم على نوع من قشر الفرنان المستعمل للدبغ وبقية المنافع
مكنوزة أو ضائعة ويستنبت في جميع جهات القطر شجرة الزيتون المباركة الا في الجهة
الضاربة للجنوب وكيفية غراسته على أنواع فمنها ان يؤخذ قطعة من الفروع الغضة
بأوراقها وفروعها فتغرس وتبقى الفروع ظاهرة ويسمى الشتلة وهو أردؤها ومنها ان
يقطع من فروع الشجرة ما بلغ ولم يجف ويقطع في طول ذراع ثم يحفر اليه عمق ذراعين
في طولهما وعرضهما وتلقى تلك القطعة المسماة بالقنوط هنالك ممتدة مع خلط التراب
الذي تردم به بالسرقين وهو المسمى عندهم بالغبار ومنها ما يؤخذ من قاعدة الشجرة
الجافة عند بدو اللقاح منها ويقطع بآلة من حديد مكر كما حيث ان أصل خلقته في
القاعدة كذلك الى ان يبقى ماسكا للأصل شيء قليل فيجذب باليد لكي ينسلخ من القشر
سالما ويغرس على النحو السابق ويسمى السلعة ومنها ان يزرع النوى وبعد كبر شجرها
تلقح من شجرة الزيتون لان النابت من النوى يخرج ثمره رديا لا زيت فيه وهو المسمى
بالجبوز ويوجد من هذا النوع غابات كثيرة مهملة في الجبال وغيرها وأعظمها ما بين
اسبيطلة والقيروان ومنها ما يزرع من القنوط المذكور لكن ليس كل شجرة منفردة من
أول الامر بل يزرع عدد كثير منها في مكان مخصوص متقارب بعضه ويسمى بالمشتلة
وبعد ثلاث سنين من نباته تنقل كل شجرة لمحلها وهذا الصنف هو الأكثر استعمالا
وللأهالي اعتناء باتقانه وتنميته وسقيه والأغلب في هاته الشجرة ان تستنبت من غير
سقي الا في السنين الأولى فاذا ثبتت عروقها ترك سقيها الا عما يأتيها من ماء المطر وأثمرها
أنواع كثيرة مختلفة في الطعم والزيت كثرة وقلة والأغلب هو النوع الأسود الصغير
الحجم وهو العام ويختلف زيته بالنظر للكثرة والحسن على حسب الأرض التي يزرع
بها فما يزرع في الجبال والأراضي الكثيرة الحجارة يكون أكثر زيتا وأحسن زيوت
* هذا القطر زيت زيتون بلد قفصة وبلد توزر فانه الذ طعما وأنقى لونا كأنه ماء

لايكاد يبدو امن الزجاجة اذا وضع فيها ومن أنواع الزيتون الحسنة الطعم النوع المسمى بالمرساين وهو اخضر متوسط الحجم مائل الى الطول دقيق النوى ويتقن صنعه أهل زغوان بالنارنج وأهل الحاضرة بذلك أيضا وبالليمون والفلفل الاحمر والاخضر ومثله النوع المسمى بالطاز لا الكبير الحجم جدا الاسود اللون ومن أنواعه الحسان المسمى بالمسكى وهو مكركب مائل الى البياض بخضرة وبقية أنواع الاشجار المستنبتة فمنها البردقال أى النارنج الغير المر وفيه أنواع وهى الطرابلسى والمالطى والجبالى وأغرب نوع لم أره فى غير هذا القطر مع البحث عنه البرد قال المسكى وهو لا حموضة فيه أصلا بل فيه حلاوة زائدة كأنه مخلوط بسكر أو عسل ومنها النارنج والليم الحلو والليمون الحامض وفيه أنواع منها ما يبقى فى جميع الفصول الاربعة والكمثرى وفيها أنواع لكل زمن من فصول السنة نوع وقد نقل من أوروبا أنواع تعظم كثيرا وعنى بتربيتها بعضهم فأنجبت فى السنين الاولى ثم أخذت فى التراجع والتفاح مثل ذلك والمشمش ومنه نوع يسمى بالشاشى صغير مبيض منقط بحمرة أو سواد لم أر مثله فيما رأيت من الاقاليم طعما ونكهة والاجاص بأنواع كثيرة منه الاحمر والاسود والابيض والاخضر والمكركب والمستطيل والصغير والكبير ويسمى بالعوينة وأحسنه المسكى وهو صغير مستطيل واللوز والعنب والتين والخوخ والهندى أى التين الهندى وهو نوع يخرج من شجرة لها شوك كثير ولا ساق لها وورقها مثل أظلاف الابل له شوك كثير ويسمى فى المشرق بالصبارة ويستعمل بكثرة سياجا على البساتين وهو مرغوب فيه فى هذا القطر لتعيش أقوام مثل جلاص وتفكه الآخرين ولو من أهل المدن لطيب نكهته وطعمه مع قلة ضرره الا اذا اكثر أكله على جوع فانه قابض جدا ربما قتل بذلك ومن طبيعته انه يكثر فى سنين الجدب أى فى العام الذى تقل فيه الامطار ولذلك صار الهندى أهم النبات النافع للفقراء كما يستنبت فى هذا الاقليم التبغ أى ورق التدخين والنشوق فاما ورق التدخين ففيه الجيد ولكنه لا يبلغ الى اعلى نوع منه واما ورق النشوق فانه أعلى من جميع أنواع ما يزرع منه فى غير هذا القطر سيما ما يزرع منه فى جهة باجة وتبرسق وقربة وعادة دقه فى هذا القطر انه يدق ناعما للغاية وقد كانت فيه أرباح للقطر بكثرة خروجه منه والآن صار يجلب اليه كثير من الخارج لتحجير الحكومة زرعه باطلاق حيث كان لها عليه آداء وافر وينبت أيضا الجوز والسفرجل والعناب والزعرور والرمان وبوصاع والموز والنخيل غير انه فى غير الجريد لا يثمر الا ثمرة أنواع

وهى البسر الاخضر والاصفر والرطب واما فى الجريد فله أنواع عدها بعضهم ثمانين نوعا واختص على جميع ما علمنا من الاقاليم رؤية وسماعا بالنوع المسمى بالدقلة الذى لا نظير له حلاوة ولذة طعم ويحمل منه لسائر المعمور رغبة فيه الى غير ذلك من سائر نباتات الاقاليم المعتدلة لاسيما الجبال الشمالية الكثيرة المياه فانها يوجد بها حتى بعض نباتات الاقاليم الباردة وهى على ممر الايام نضرة خضرة بما كساها الله من جمال النبات والخصب (واما هواء) هذا القطر فهو معتدل الاغلب والجهة الجنوبية يغلب فيها الحر واذا هب الريح الجنوبى على أى جهة وفى أى وقت يحصل منه الحر لاسيما فى الصيف فانه يؤذى بحره حتى بعض الثمار والاشجار وفى غير ذلك الاعتدال هو الغالب و يشتد البرد فى الشتاء لكن لا يصل الى انجماد الماء أو نزول الثلج الا نادرا نعم فى جبال الشمال المرتفعة يحصل الجمد فى كل سنة بل يبقى الثلج فى بعضها ولو فى الصيف لكنه قليل واغلب جهات القطر سليمة الهواء موافقة للصحة وفيه جهات حسنة الهواء جدا نافعة للمرضى ولو بمرض السل الذى أحسن علاجاته الهواء لان مجلسه الرئة فمن هاته الجهات الحسنة المشهورة المكان المعروف برأس الجبل وهو جهة الشمال من القطر بقرب شاطئ البحر تبعد القرية التى هى مركزه على البحر نحو أربعة أميال والبحر من شمالها وهو على سفح جبل منخفض مرمل تحف به بساتين ناضرة الى البحر تسقى بآبار ذات ماء حلو جيد نقى وعلى شاطئ البحر عين عذبة ضعيفة الجريان لكنها نابعة من الصخر حلوة جدا نقية مسرعة للهضم كثيرا بحيث يصير الشارب منها يأكل أكثر من عادته وكذلك من الاماكن الشهيرة بحسن الماء والهواء بلدنا بل التى هى قاعدة الوطن القبلى وهى على مبتدئ الرأس الطويل رأس ادار عند اتصاله بالقارة تبعد على البحر نحو ميل وهو من شرقيها الجنوبى وهى فى وهاد مرمل وراءها جبل وامامها بحر وتحدق بها البساتين والجنان بأنواع الليمون والبرتقال وغيرهما من الفواكه وأحسن من هذين المكانين هواء الجبل المعروف بالانصارين يبعد على الحاضرة نحو ستين ميلا جهة الشمال مع بعده من البحر فان هواءه لارتفاعه يغلب عليه البرد وفى أعاليه مسارح ومزارع متسعة وعيون دافقة وآجام وغياض نضرة لا يركد فيها الماء بل ينحدر الى أسفل والشاهد على ان هذا المكان أحسن هواء من جميع جهات القطر أن أهله لم يصبهم كثير من الامراض الوبائية مع ان كل تلك الامراض عمت القطر التونسى عدة مرار ولم يعلم أن احدا من أهل ذلك المكان أصيب بشئ من ذلك بل ان الوافد اليه يسلم عند الحلول به وسبحان من خص

ماشاء ما شاء غير أن هذا المكان به عاهة صعبة وهي كثرة الحيات المؤذية به والله لطيف
كما يوجد بالقطر جهات وخمة رديئة الهواء فأولها انفزة من عمل الجريد وثانيها باجة قاعدة
العمل المسمى بها فيغلب على أهاليها الامراض وترى وجوههم صفرا والوافدون عليهم في
أقل زمن يمرضون لاسيما في الصيف وأما غير ما تقدم فالهواء معتدل سليم
(وأما حيوانات) هذا القطر ففيه أغلب حيوانات أقاليم الاعتدال أنيسة ووحشية فمن
الوحشية الاسد وأغلبه في الجهة الغربية ويضرب المثل بجرءة أسد عرار من أقسام تلك
الجهة والنمر في كل الآجام القليلة العمران والضبع والذئب والثعلب والفهد والنمس
وهو النسناس والخنزير وبقر الوحش والغزال والارنب والذربال والقنفذ والوعل
والورل والجرذ على أنواع والبقر الجاموس كان جلب وسرح في جبال ماطر وجبل
أشكل الذي تحيط به بحيرة أشكل وهي حلوى فتناسل هناك وتكاثر وهو على ملك
الحكومة وتوحش بحيث صار اذا احتيج الى شيء منه يلزم صيده حيا وقد تأخذ منه
الحكومة أو بعض رجالها لجر الاثقال واللبن وقد قل في هاته المدة لكثرة صيد الولاة
وعدم حراسته حقيقة ويوجد في القطر (من الحشرات) الثعبان ولاسيما في جبال
الودارنة فانه يعظم جدا لكنه غير مضر هناك بحيث يكون مساكنهم كأنه من الحيوانات
الالفة كالقط وأشباهه وهم لا يؤذونه وهو لا يضر ولا ينضر منهم ويبلغ طول الواحد الى
ثمانية أذرع وغلظه أزيد من شبرين وأما في جهات الجريد والصحراء فهناك أنواع من
الثعبان مضرة ومنه نوع يسمى بالزريق رقيق قوي جدا اذا قصد شيأ يطفر عليه فيخرقه
كالسهم وكذلك الحيات القتالة وتوجد بكثرة في الشبيكا وتامغزا من الجريد والعقارب في
الجهات غير ان كثرتها البادحة في الجريد وهي مؤذية ولاسيما في القيروان وفي بعض
الجهات لا أذية منها كما في باردو ومقر الامراء بل لا تكاد توجد هناك وفي جبل المنار توجد
بكثرة صغيرة الجرم لا أذية منها وكذلك يوجد العنكبوت وتارة يعظم الى ان يصير في حجم
العصفور الصغير وهو قليل الاذية وكذلك يوجد النمل على انواع شتى وكثيرا ما يضر
بالزرع من القمح والشعير وكذلك الجراد يأتي في بعض السنين ويضر بالنبات جميعا اذا
كان كثيرا والخنفس على أنواع شتى والوزغ والحرباء وغير ذلك مما هو قليل الوجود في
هذا القطر (وأما الحيوانات) الانيسة فيوجد منها الخيل ومنها الجياد العتيقة العراب
وأكثر الوانها الازرق أي الشهب المشوبة بالسواد وبقية الالوان كالحمر والكميت
والدهم والشهب موجودة أيضا بكثرة غير انها أقل من الاول ويوجد بقلة

البلق والصفر وهذا الجنس يستعمل للركوب وجر العجلات بانواعها والحرث ومثله البغال وأما الحمير فهي موجودة بكثرة لكنها لا تستعمل لركوب أهالي المدن وأعيان القبائل بل عادتهم الاستحياء من ركوبها واغلب ما تركب من عامة الاعراب والسوقة وتستعمل للحمل ومثل ذلك الابل فلا تركب الا كما تقدم في الحمير وكذلك يوجد البقر والضأن والمعز والكلاب على أنواع ومنها السلوقية والقط (وأما الطيور) في هذا القطر فنها الانيسة وهي الدجاج على أنواع والاوز والبط والدجاج الهندي وهذا النوع اختلفت أسماؤه فترى كل اقليم ينسبه الى جهة ففي تونس قد رأيت نسبته وفي غيرها بعض يقول رومي وآخرون فارسي وآخرون صيني الخ وكذلك يوجد الحمام على أنواع شتى وغير هذه الاجناس يجلب بقلة مشغلة للترف وأما الوحشية فنها المقيم ومنها الرحالة فأما المقيم فمنه البزويش أي عصفور البيوت وهذا النوع لا تكاد تخلو منه بلاد وان اختلفت بشدة الحر والبرد فقد رأيته في لندره كما رأيته في مكة المشرفة لا فرق بين ذا وذا سوى تأثير في اللون ففي البلاد الباردة يميل لونه الى السواد وفي البلاد الحارة يميل لونه الى البياض ومنه القنابر والزريص والحمام والحجل والمقنين والشبروش ودجاج الحرث والغر والنسر والعقاب والفاس والبرني والعصفور الكانالو وغيرانه برني والزراعة وبورأس والغراب وغراب الزرع والفاخت وخادم الحجل والطوطو والمرل وأما الرحالة فنها الاوز والبط والغرنوق والكركي والدراج والسمان والبلبل والمنيار والبيبط والزرزور والابابيل والخطاف والهدهد (وأما مدن) هذا القطر فقاعدته تونس وهي في عرض ست وثلاثين درجة وست وأربعين دقيقة وثمان وأربعين ثانية شمالا وطول تسع درجات شرقا من باريس بقرب من ساحل البحر الابيض على جون سيدي أبي سعيد على تسعة أميال منه يفصل بينهما بحيرة ملحة لها منفذان الى البحر تمر بهما القوارب احدهما عبر في حلق الوادي والثاني بينه وبين رادس والبحيرة قليلة العمق بها جزيرة تسمى شكلي بها حصن قديم وعلى شاطئها على حافة البلاد مرسى للقوارب الحاملة للبضائع والركاب بين القاعدة ومرسى حلق الوادي ويتصل بهاته المرسى أي مرسى البحيرة بالحاضرة فرع من طريق الحديد الغربية ويقال انه عقدت مع لجنة فرنساوية تسمى لجنة بون كالمه وهي صاحبة امتياز طريق الحديد الغربية شروط في جعل تلك المرسى موثقا للسفن ويلزم لذلك حفر البحيرة وغير ذلك من الاعمال وهاته القاعدة هي اكثر طولا من الشمال الى الجنوب من العرض ويحيط بها سور

الامن

الامن جهة الشرق فان حدها هنالك هو البحيرة المذكورة كما أن السور ابتدئ فيه من جهة الجنوب ولم يتم ما بين باب الفلة وباب القرجاني وفي السور تسعة أبواب أولها في قرب نهاية السور عند اتصاله بالبحيرة من جهة الشرق الشمالي ويفتح الباب الى الشمال ويسمى باب الخضراء ثم يليه (باب) ابن عبد السلام ثم باب سعدون ثم باب حومة العلوج ثم باب سيدي عبد الله ثم باب سيدي قاسم ثم باب القرجاني ثم باب الفلة ثم باب عليوه وهو في نهاية السور من جهة الجنوب الشرقي عند اتصاله بالبحيرة أيضا ولهاته القاعدة حصون على كل باب الاباب حومة العلوج وفي خلال السور حصون أخرى كحصن القصبة وهو اكبرها وموقعه على أعلا ربوة في البلاد لان البلاد جاءت في سفح ربوتين متصاعدة فيهما أحداهما ربوة القصبة والثانية ربوة القرجاني ومن الحصون حصن درب بن عبال وحصن سيدي يحي وخارجها ايضا بقربها حصون فمنها حصن الجلاز على أعلا رأس في جبل الجلاز من جهة الجنوب للحاضرة ومنها حصن الرابط في الجهة الشمالية الغربية في الجبل الاخضر وبقربه حصن فليفل وحصن زوارة وامام حصن القصبة داخل المدينة بطحاء عظيمة وفي جهتها الجنوبية سراية المملكة التي بناها حوده باشا ولازالت معتنى بها الى الآن وهي مقر الحكومة والوالي عند وفوده للحاضرة وفي جهتي الشرق والشمال من البطحاء سوق ذو حوانيت وامامها مظلات مرفوعة على أعمدة من الرخام وفي جهتها الغربية الحصن وبوسطها جنينة وفوارة للماء من ماء زغوان ويحيط بالمدينة فاصلا بينها وبين الربضين طريق متسع وأشهر الاماكن الرحيبة بالحاضرة بطحاء رمضان باي وبقربها مركز الضابطية وبطحاء الحلفاوين بربض باب الجزيرة وكذلك بطحاء المركاض امام القشلة الحسينية وبطحاء الحلفاوين بربض باب السويقة وبه أيضا بطحاء التبانين وبين الربضين بطحاء باب البحر وهي أنزه وأرحب الاماكن وحولها بناءات أنيقة وبوسطها جنينة وفوارة ويمر منها طريق عظيم متسع الى مرسى البحيرة وذلك المكان هو منتزه الاهالي في عشايا الصيف لان حول الطريق العريض أشجار وقهاوي وملاهي وحول باب البحر وبقربه حارات الافرنج ويتصل بها حارات اليهود وماء زغوان مخترق لاغلب جهات البلد في قنوات من حديد وأغلب الاسواق متسل بعضه ببعض وقد كانت كل صناعة لها سوق مخصوص لكن الآن وقع بعض تداخل ومناخ هاته الاسواق هو الجهة الغربية من المدينة حول جامع الزيتونة الذي هو بقرب القصبة السابق ذكرها وجامع الزيتونة هو أول جامع بني بالحاضرة

وكان تمامه سنة ١٤١ حسبما كتب ذلك على أقواس بيت الصلاة بالقوس المواجه لمحل المصحف فنقش عليه تاريخه لفظ ﴿اتلم﴾ وهذا الجامع هو أعظم جامع بالحاضرة وهو بركة أهلها ولا يخلو من رجل صالح وهو مناخ العلوم وتخرجت فيه فحول عظام قديما وحديثا وان كان أقدم منه فى البناء جامع القصر لانه كان كنيسة قبل الفتح فصار جامعا وتشتمل الحاضرة على سبعة جوامع خطب للحنفية وأعظمها جامع محمد باى تجاه زاوية سيدى محرز بن خلف وبقية الجوامع والمساجد البالغة نحو ثلاثمائة كلها مالكية وأعظمها جامع الزيتونة وفى الحاضرة زوايا كثيرة منها ما به ضريح سادات من الصالحين كزاوية سيدى محرز بن خلف عماد البلدة رضى الله عنه وزاوية سيدى على بن زياد من كبار أصحاب مالك بن أنس وزاوية سيدى أحمد بن عروس وزاوية سيدى منصور وغيرهم رضى الله عنهم وتبلغ أزيد من مائتى زاوية ✻ وسكان الحاضرة تقريب عددهم نحو مائة وخمسين ألف نسمة منهم نصارى وآفدون اتباع الدول الاجنبية نحو عشرين ألفا ويهود نحو اربعين ألفا والمسلمون ما بين أهالى أو جزائريين نحو تسعين ألفا وبقرب الحاضرة على نحو ثلاثة أميال من الغرب الشمالى بلدة بارد والتى هى مقر الحكومة وتشتمل على قصور للادارة ومساكن الوالى وقرابته وعلى جامع واحد وحمام ولها قاض خاص وحول الحاضرة الى مسيرة تسعة أميال وأقل بساتين وعمران وأحسنها المكان المسمى منوبة لاشتماله على قصور جميلة فى بساتين أنيقة وبها قرية حول زاوية الولية الصالحة السيدة عائشة المنوبية وهى فى الجهة الغربية من الحاضرة على مسيرة تسعة أميال وفى الجهة الشمالية بساتين أريانة تضاهى السابقة مع حسن هوائها ثم فى الجهة الشرقية بساتين مرسى قرطاجنة التى هى انزه وأبهى مكان حول الحاضرة تبعد عنها نحو سبعة عشر ميلا على شاطئ البحر الذى مجدت محاسنه شعراء القطر وقال أبو عبد الله الباجى المسعودى فيه عدة موشحات منها قوله

يا شاطئ المرسة السلام ✻ عليك يا نزهة العيون

وأشهر أماكنها العبدلية المشتملة على سوق وقصور أنيقة لولى العهد فى الولاية الامير على باى وفى الجنوب الشرقى من الحاضرة على بعد تسعة أميال مستقيما مرسى حلق الوادى التى هى أكبر مراسى القطر ويكثر سكانها صيفا حيث ينتقل الوالى والحكومة اليها وكثير من اليهود للتنزه بها ويبلغ سكانها اذ ذاك الى نحو ثلاثين ألفا وقد أحدث خارج سورها بناآت كثيرة نحو بلدة جديدة فى شرقيها على ترتيب هندسى وبينها وبين مرسى

قرطاجنة

قرطاجنة المتقدمة بلدة جبل المنار هي أقرب الى الثانية وهي مقر انتزاه أهل الحاضرة في الصيف تشتمل على أزيد من أربعمائة دار أغلبها أنيق متقن مطلة على البحر بحيث يراها القادم في البحر على أحسن منظر لتصاعدها في الجبل مع تزويق الابنية وان كانت طرقها وسخة وقد التفتوا في المدة الاخيرة الى شئ من نظافتها وتشتمل على ضريح الولي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي وغيره من الاولياء رضي الله عنهم وتنسب البلدة الى سيدي أبي سعيد كما أنه بين هاته البلدة وبلدة حلق الوادي عدة قرى في مكان مدينة قرطاجنة العتيقة التي هي الآن خراب ولم يبق منها قائما الا مواجل الماء وقد كانت مردومة بالتراب ثم في هاته المدة الاخيرة فرغت منه ووجدت حيطانها وطليها أحسن مما يبنى جديدا وهي نحو احدى عشرة ماجلا متصلة ببعضها اتصالا فذولا تحتاج لا لشئ يسير من الاصلاح وهي من المباني العجيبة التي تقصدها السواح لرؤيتها كما ان خرائب قرطاجنة لازال يستخرج منها الصخور الضخمة والاسطوانات المرمر وكثير من الافرنج يبحث فيها على الاشياء العتيقة ويستخرج منها تصاوير وأصنام وصناديق من رخام عليها كتابات عتيقة وهي قبور لقدمائهم وتارة يستخرج بعض فصوص منقوش عليها تصاوير في غاية الاتقان فمنها فص قدر الظفر منقوش به عجلة وأربعة من الخيل ومن اتقان النقش أن صفائح الخيل تظهر مساميرها ولا يستبين نحوها الا بالمرآة المكبرة كما يستخرج أحيانا قطع من السكة ذهبا أو غيره والحاصل ان هاتيك الجهات وما حولها الى الجبل الخاوي لازالت تشتمل على عجائب من آثار الاقدمين ومن القرى الواقعة هنالك الآن أشبه شئ بالخراب المعلقة ودوار الشط ثم بينهما وبين حلق الوادي بساتين قرطاجنة على الشط وهي جميلة ذات قصور أنيقة وفي الجهة الشمالية الشرقية من الحاضرة بساتين سكرة وسميت بذلك لانها كان يزرع بها قصب السكر بكثرة وتسقى من عين عظيمة عذبة مارة تحت الارض لا يعلم منبعها وانما هي آتية من الشمال الغربي ذاهبة الى الشرق الجنوبي في قنوات من البناء المتقن والآن عليها آبار كثيرة ولكن من التقهقر صارت تلك الجهة كأنها خلاء وليس بها قصبة واحدة سكرية ادصارهو اوهاردينا من السبخة التي هي في شمالها الشرقي بينها وبين بساتين قمرت التي هي قرب شاطئ البحر شمالي الجبل الخاوي فيها جبال عظيمة من الرمل المتنقل أهلكت أغلب بساتين تلك الجهة وهي آتية من الشمال محاذية للشاطئ ذاهبة الى الجنوب وكأنها من الرمال التي يقذفها البحر بعد التصفية مما يأتي به نهر مجردة والمدينة

الثانية فى القطر هى القيروان وهى اختطتها الصحابة رضوان الله عليهم عند الفتح فى مكان صالح بمعيشة حيواناتهم وقريب من طبيعة أرض الحجاز لتأنسهم بها وبعيدة عن البحر حذرا من هجمات المحاربين قبل التمكن وهى فى الجنوب الغربى من الحاضرة فى طول (٤٥) ثانية و (٣) دقائق وعرض (٤١) ثانية و (٣٥) دقيقة وبها الجامع الكبير الذى بنته الصحابة ثم جدده بنو الاغلب عندما كانت تلك البلدة هى قاعدة القطر ولا زال بعض سقوف الجامع مما صنعه الاغالبة الى الآن كما أنها فيها ضريح السيد الصحابى سيدنا أبى زمعة الانصارى رضى الله عنه وعليه بناآت ضخمة ومدارس للعلوم وأوقاف كثيرة ولتلك البلدة سور وضريح السيد خارج السور وفى السور منافذ ضيقة معوجة للخروج منه راجلا عند غلق الابواب وعلى السور عدة حصون وهى الآن ليست على ما كانت من العمران وسكانها الآن نحو عشرين ألفا كلهم مسلمون ولا يدخل البلد غير مسلم وهم قائمون بجميع ما يحتاجون اليه من صنائع وتجارة ولا زال العلم فى أهلها وبالجامع الاعظم وبمدارس السيد عدة دروس فى علوم شتى (ثم ان القطر) التونسى ينقسم الى عدة أعمال بالنظر الى السياسة (١) فالحاضرة وما حولها الى نحو عشرين ميلا من كل جهة عمل (٢) ويليه من الجهة الشرقية الجنوبية عمل الوطن القبلى وهو ينقسم الى الجزيرة مما يلى الحاضرة وقاعدتها بلد سليمان وسكانها نحو أربعة آلاف نسمة والى الوطن وقاعدته بلد نابل وسكانها نحو خمسة عشر ألف نسمة وفى الجميع أزيد من ستين قرية فمما يتبع الاولى المنزل وبنى خلاد والصمعة وأقليبية التى هى حصن على رأس ادار ومما يتبع الثانى بنى خيار وقربة والحمامات وهى حصن فى الجون المعروف بها وفى ذلك الرأس الطويل مقر السادات المعاويين الثابتى الشرف رضى الله عنهم ثم يلى ذلك جنوبا (٣) عمل الساحل المنقسم الى وطن سوسه ووطن المنستير ويتبع كل منهما عدة قرى فمما يتبع سوسه بلد مساكن أهاليها أشراف والقلعة الكبرى والقلعة الصغرى وغيرها وسوسه التى هى القاعدة ذات سور وحصون وهى مرسى على البحر وبها جامع عظيم وسكانها نحو تسعة آلاف نسمة ولهم حضارة وبقايا من العلوم ومما يتبع المنستير بلد المهدية ولها حصن وسور وجامع وهى مرسى تجارية أيضا ولها قاض خاص وأكثر سكانها حنفية من أبناء الترك الذين استوطنوا تونس وعدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ويتبعها أيضا بلد جمال وبلد المنارة وغيرها والمنستير هى القاعدة ولها سور وحصون وهى مرسى تجارية أيضا وسكانها نحو

سبعة

سبعة آلاف نسمة وهي دون سوسة في الحضارة والمعارف ويلي هذا العمل (٤) عمل صفاقس وهو جنوبي السابق على شاطئ البحر وقاعدته مدينة صفاقس وسكانها نحو عشرة آلاف ولاهلها شهرة بالتجارة في دواخل القطر وفي الممالك الاسلامية ولهم مزيد محافظة على الصلوات في المساجد ولهم بقايا من العلوم الدينية والادبية وهاته البلدة لها سور وحصون وهي مرسى تجارية أيضا وتأوي اليها سفن الحكومة في الشتاء لانها أمن طبيعي للسفن واشاطئها مد وزجر ويتبعها جزيرة قرقنة التي بها قرى ولاهلها صناعة الحلفة والحبال ثم يلي هذا العمل على الشاطئ الجنوبي (٥) عمل الاعراض على جون قابس التي هي قاعدة العمل وسكانها نحو تسعة آلاف وهم على البداوة ولها مرسى قليلة التجارة وهذا العمل ينتهي الى غاية الحدود من جهة الجنوب والجنوب الشرقي الى طرابلس ثم يلي هذا العمل في الشرق (٦) عمل جربة التي هي جزيرة في البحر وعدد سكانها أزيد من ثلاثين ألفا متفرقين على عدة قرى ولهم شهرة تامة بالتجارة في سائر ممالك الاسلام ويلي عمل الاعراض من غربيه (٧) عمل الجريد الواصل الى نهاية الحدود الجنوبية في الصحراء وهو منقسم الى أربعة أقسام الاول في جنوبيه وهو وطن الوديان والشبيكة وتامغزا ويليه شمالا وطن نفطة ويليه شمالا وطن توزر ويليه شمالا وطن قفصة وهاته لها حصن وقاعدة جميع الجريد هي توزر وقد كانت مناخا للعلوم ولازالت فيها بقايا وعدد سكانها نحو ألفي نسمة ثم شمالي هذا العمل (٨) عمل القيروان وقد مر ذكرها لانها لها التقدم على غيرها ويلي عملها شمالا (٩) عمل أولاد سعيد من البوادي سكان الخيام ويليه في الشمال الغربي (١٠) عمل رياح المشتمل على بلد زغوان في جبلها الشهير وعلى بلد تستور وعلى بلد مجاز الباب وغيرها وأكبرها تستور وعدد سكانها نحو أربعة آلاف وهذا العمل يتصل بعمل الحاضرة (وحينئذ) قد عرفنا جهة الشط الجنوبي الشرقي الى الحدود ثم ما والاه من دواخل القطر ويبقى علينا تقسيم جهاته الغربية والشمالية فاما الغربية فيتصل بعمل الحاضرة (١١) عمل طبربة وقاعدته طبربة وهي قرية الآن في غاية التأخر (١٢) ثم عمل تبرسق وهي قاعدته وسكانها نحو ألفي نسمة (١٣) ثم عمل باجة وهي قاعدته وهو عمل كبير وقاعدته ذات حصن وقصر لنائب الوالي الذي يسافر بالعسكر كل صيف الى هنالك في القديم وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة (١٤) ثم عمل الكاف وهي قاعدته ولها حصن وهي في رأس جبل وعدد سكانها نحو خمسة آلاف نسمة ويتصل

عملها الى نهاية الحدود الغربية غير أنه لا يصل الى الشط من جهة الشمال فتلك الجهات هى الاعمال الشمالية وتبتدئ من جهة الحد بجبال طبرقة وسكانها (١٥) بوادى وبها حصن ويليه (١٦) عمل جبال ماطر وهى قاعدته وسكانها نحو الفى نسمة من البوادى ثم يليه (١٧) عمل بنزرت وهى قاعدته وهى مرسى أمينة حدا وسهل لها بعض تسهيل فى منفذها الى البحر لامكن أن تأوى جميع سفن الدنيا فى أمان ولموقعها اعتبار عظيم فى التمكن من البحر الابيض وسكانها نحو ستة آلاف نسمة ولها حصن وسور والماء يجرى اليها فى قنوات من البناء من بعد للشرب لاهلها ويخترقها خليج يوصل الى بحيرة المزوقة المتصلة ببحيرة اشكل التى بها جبل كالجزيرة فيه حيوانات كثيرة هو متنزه لمريد الصيد ويتبع هذا العمل بلد غار الملح التى هى فى نهاية الحد الشمالى من الشرق وسكانها نحو ألف نسمة ويتصل هذا العمل من جنوبيه بعمل الحاضرة وعلى ذلك فقد تصوّر القارئ هيئة تقسيم أرض هذا القطر غير أنه بقى له تقسيم آخر حكمى أيضا بالنظر الى القبائل الساكنين به ومرجع أحكامهم فنقول (ان أصل) أهالى هذا القطر هم من البربر وكانوا قبل الفتح اما نصارى أو وثنيين ثم اسلموا كلهم ولازال فى بعض القبائل شئ من عادات النصارى يفعلونه عن غير قصد وهو الوشم بين أعينهم على جباههم بصورة صليب صغير وكذلك استوطن به كثير من العرب واختلطت انسابهم بالاصليين ثم استوطن به أيضا من هاجر من الاندلس بعد المائة الثامنة وقد بنوا بلدانا بالقطر خاصة بهم وكذلك فى ربض باب سويقة من الحاضرة بنوا حارة خاصة تسمى الى الآن حومة الاندلس ومن بلدانهم التى أسسوها سليمان وزغوان وطبربة ومجاز الباب وتستور وكلها مؤسسة بأماكن جيدة على شكل حسن متقابلة الطرق واسعتها مستقيمتها واختلط نسلهم بالقاطنين ثم وفد عليهم الترك واختلط نسلهم أيضا بالقاطنين ولكن الاكثر هم النوعان الاوّلان وديانة الجميع هى الاسلام الا نحو ستين ألفا من اليهود أغلبهم فى الحاضرة وباقيهم متفرقون فى أغلب بلدان القطر كما ان فى القطر من النصارى الاوروباوين نحو الاربعين ألفا من أجناس شتى أغلبهم مالطيون من الانكليز ويليهم الطلياويون ثم الفرنساويون ثم غيرهم قليلا هذا من غير اعتبار المسلمين التابعين للفرنسيس والا فعدد الفرنساويين بذلك الاعتبار اكثر من غيرهم ثم ان الاهالى الاصليين كانوا فى صدر المدة على مذهب أبى حنيفة هم وجميع سكان الجزائر والمغرب الى ولاية المعز بن باديس فحملهم على اتباع مذهب مالك وذلك فى حدود سنة (٤٠٦) وبقوا على ذلك

الى

الى ان جاء الترك فكانوا هم ونساهم على مذهب أبى حنيفة ولذلك كان أكثر الاهالى مالكية وهذا بيان أسماء الاعمال والقبائل والاشارة الى أماكن اقامتهم * (١) الحاضرة (٢) القيروان (٣) أولاد خليفة من جلاص جنوبى القيروان (٤) الكعوب والكوازين منهم غربى القيروان (٥) أولاد بدر منهم مثل السابقين (٦) اولاد سنداس منهم مثلهم (٧) كسرى فى الغرب الجنوبى منهم (٨) الساحل (٩) المثاليث حول صفاقس من غربيها وجنوبيها (١٠) صفاقس (١١) جربة (١٢) الاعراض (١٣) نفات فى الاعراض (١٤) تنزاوة من الجريد فى جنوبيه الغربى (١٥) الوديان فى جنوبيه (١٦) الحامة فى جنوبيه الشرقى (١٧) توزر فى شماليه (١٨) نفطة فى وسطه (١٩) الشبيكة وتامغزا فى نهاية الجنوب منه (٢٠) قفصة فى شماله (٢١) اهل بيت الشريعة من عرب دريد رحالة ما بين الجنوب الغربى والغرب الشمالى (٢٢) أولاد سيدى تليل فى تلك الجهات (٢٣) أولاد سيدى عبيد مثلهم (٢٤) أولاد عزيز من الهمامة ما بين القيروان والجريد والاعراض وهم رحالة فى تلك الاراضى الرحيبة (٢٥) أولاد معمر منهم مثلهم (٢٦) أولاد رضوان منهم مثلهم (٢٧) الغمامدية فى غربيهم (٢٨) أولاد وزاز من الفراشيش فى جهة الغرب الجنوبى (٢٩) أولاد ناجى منهم مثلهم (٣٠) أولاد على منهم مثلهم والجميع رحالة فى تلك النواحى (٣١) شقمقة فى الغرب المتوسط من القطر (٣٢) النفواد قرب السابقين (٣٣) أولاد مهنة مثلهم (٣٤) أولاد بوغانم فى الحدود الغربية (٣٥) الزغالمة مثلهم (٣٦) شارن مثلهم (٣٧) العوامر منهم مثلهم (٣٨) أولاد يعقوب قربهم (٣٩) التوابع مثلهم (٤٠) ورغة فى جبال الشمال (٤١) الخامسة ودوفان فى جبال الكاف (٤٢) الكاف سبق ذكره (٤٣) ورتنان فى الجنوب من الكاف (٤٤) أولاد عمار قربهم (٤٥) أولاد عون قربهم (٤٦) جندوبة شمالى الكاف (٤٧) أولاد بوسالم قربهم (٤٨) ارقبة شرقى الكاف الجنوبى وغربى جنوبى باجة وفيها جبال وقبائل من سكان الخيام (٤٩) باجة سبق ذكرها ويتبعها جبال تشتمل على قبائل شتى غير ناضعين حقيقة للحكومة متمنعين بجبالهم الوعرة وكثيرا ما ترسل معسكرات لأخذ الضرائب منهم وكثيرا ما يؤدون البهامة قدارا عن غير تحقيق لعددهم وكسبهم وهم عمدون ونفزة ومقعد وخير والشيحية (٥٠) تبرسق سبق ذكرها (٥١) رياح

تقدمت أيضا (٥٢) المحدية ورادس كل منهما قرية لها عامل مخصوص والاولى كانت مدينة قاهرة فى ولاية أحمد باشا فأخنى عليها الذى أخنى على لبد فى بضع سنين وكانت مستقرة ومستقر جنده (٥٣) ثم المرسى وحلق الوادى وقد تقدما (٥٤) أريانة وجعفر كذلك (٥٥) بن زرت كذلك (٥٦) ماطر وبجاوة تقدما لها وقد تقدمت (٥٧) الوطن القبلى كذلك (٥٨) قمطنة (٥٩) ماياش (٦٠) جرى ليس لهم مقر بل هم متفرقون فى الاوطان (٦١) أولاد سعيد فى القنيصة فى الشمالى الشرقى للقيروان (٦٢) السواسى جنوبيهم (٦٣) الطرابلسية متفرقون فى الاوطان (٦٤) الغرابة كذلك (٦٥) العروش الرقاق الاولى كذلك (٦٦) العروش الرقاق الثانية كذلك (٦٧) دريد رحالة ما بين الغرب والجنوب (٦٨) عرب مجور وتابعون اليهم (٦٩) أولاد حسن حنفيو المذهب من دريد (٧٠) وطناسة اتباع جلاص (٧١) أولاد سيدى عبيد الظاهر فى الجهة الغربية الجنوبية (٧٢) طبربة تقدمت (٧٣) السبالة فى الشمالى الغربى من الحاضرة على نحو اثنى عشر ميلا وعدد جميع السكان نحو مليون ونصف لان تحقيق العدد غير موجود سيما وكثير من أعراب الاعراض مثل ورغمه وكذلك جبالية باجة لا يعرف عدد ذكورهم البالغين القادرين على التكسب فضلا عن غيرهم وانما يعرف عدد الذكور البالغين من بقية السكان الغير العاجزين عن التكسب وهم مائة وسبعة وعشرون الفا عدى سكان بلدة تونس والقيروان والمنستير وصفاقس لاستثنائهم من الاداء المرتب على الرؤس

فصل

فى اجمال تاريخ هذا القطر التونسى

ويشتمل على ثمانية مطالب (الاول) فى نبذة من تاريخه القديم (الثانى) فى علاقته بالدولة العثمانية (الثالث) فى سياسة الخارجية (الرابع) فى سياسة الداخلية من العائلة الحسينية (الخامس) فى وزارة مصطفى خزنه دار (السادس) فى وزارة خير الدين باشا (السابع) فى وزارة محمد خزنه دار (الثامن) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل

(المطلب الاول) فى نبذة من تاريخه القديم اعلم ان هذا القطر تداولته ولاية الرومانيين والقرطاجنيين منذ قرون عديدة قبل البعثة وصدر من زمن الخلفاء الراشدين الى ان افتتح

افتتح الخليفة الثانى (سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) مصر ووصل أمير جيشها بالفتح الى برقة بين طرابلس ومصر فأرسل يستأذنه فى فتح أفريقية يعنى بها تونس كما تقدم بيان وجه التسمية فى الفصل السابق فأرسل اليه يقول ما مفاده انها الغدارة ✻
المغدور بها ماؤها قاس مفرقة لقلوب أهلها لا تفتح ما دمت حيا الخ وكان وجه ذلك سياسة منه (رضى الله عنه) لخبرته بالامور وهو علمه بالاختلاف الدائم بين أهلها الذى صار طبيعة لهم بحيث لا ينقادون لبعضهم ولذلك وهنت شوكتهم وصاروا طوع الاجانب المستولين عليهم بحيث لا يعهد منهم قيام بشأن أنفسهم بل تسلم أنفسهم الانقياد الى ✻
الغريب بالا تسلمه الى واحد منهم والدليل على ذلك أن هذا القطر مهما تغلب عليه أجنبى انقاد له أهله الى أن ينقرض أو يستولى عليه أجنبى آخر وحيث كانوا على تلك الصفة فالاستيلاء عليهم ولان كان سهلا غير أنه لا تؤمن عواقبه أما (أولا) فلان الجيش اذا استقر هنالك ربما سرت اليه طباع أهل الاقليم كما هو شأن الطبيعة البشرية من سريان الطباع بالمخالطة والملازمة فيقع بينهم التنافر الواجب التباعد عنه وأما (ثانيا) فاذا غاب الجيش الاسلامى ولات القطر الذين هم أجانب من الروم لا يبعد أن يرجعوا الى بنى جنسهم ويعيدون الكرة على المسلمين وهؤلاء لا يمكن لهم الاعتماد على أهل القطر فى امدادهم واعانتهم لما تقدم من طبعهم وأنهم طوع الغالب كيفما كان وذلك لا يجدى معه رؤيتهم لعدل المسلمين واستقامة أمور دينهم ودنياهم لما فى أصل الطباع من النفرة عن التعاون وميل كل لخويصة نفسه والحامل الدينى وحده غير مجد لانه يلزم له رسوخ وتخلق ومع ذلك قليل من يكفى له ذلك فقد قرر (أبو اسحاق الشاطبى) فى موافقاته أن العلماء ✻
على ثلاثة أقسام الاول من يبلغ به العلم الى درجة تصيير النظرى فى حقه ضروريا لاطلاعه على أسرار العلوم وتخلقه بها حتى يصير العلم له طبيعة راسخة يرجع اليها رجوعه الى سائر الضروريات ولا يمكن له العمل على خلاف ذلك كما لا يمكن للانسان العمل على خلاف الضرورى وهذا القسم قليل ما هم والقسم الثانى اطلع على أسرار العلم لكن اطلاعا محتاجا الى المراجعة والتذكر والتدبر وهؤلاء لا يجرون على مقتضى العلم الا بكلفة من خوف الوازع الظاهرى غير أنهم ينقادون اليه بالتسليم وهو فى حقه خفيف فأدنى درجاته تؤثر المطلوب منهم والقسم (الثالث) هو الذى لا يطلع على شئ من أسرار العلم وانما يسمع تكاليفه وينقاد اليها بالتقليد البحت وهذا لا يحمل نفسه على مقتضاه الا بالوازع الظاهرى وهو القسم الاكثر والاغلب فى الوجود ولهذا أقيم فى الدين م

وازع الحكم ليحرس الدين الشامل لجميع أقسام التصرفات الدنيوية والاخروية ولا يقال ان أهل القسم الاول يلزم أن يكونوا معصومين وذلك لا يصح لانا نقول تصدر منهم الخطيئة على وجه الغفلة كما تغفل الحواس فى بعض الاحيان هذا اجمال كلامه وأنى لاهل أفريقية اذ ذاك وبلوغ درجة القسم الاول هذا على فرض اسلامهم وأما اذا رضوا بالطاعة وضرب عليهم الخراج فالامر أبين مع أن المنعة اذ ذاك للمسلمين وخط التجائهم بعيد جدا وهو جزيرة العرب حيث كانت مصر اذ ذاك فى أول فتحها ولم يستقر قرارها وليس من المعقول الرغبة فى الفتوح بالتهور وبما تقدم يندفع أشكال بين وهو كيف يتوقف سيدنا عمر رضى الله عنه عن بث الاسلام فى افريقية استنادا لمجرد ذلك التعليل وهو تفرق أهلها مع أن الامر ببث الاسلام ليس بعشرو باتفاق قلوب أهل الاقاليم ويؤيد ماقلناه أن سيدنا عثمان رضى الله عنه لما ولى الخلافة واستقر اذ ذاك أمر الاسلام فى مصر وكان لجيش المسلمين قرب منعة ومدد أمرهم بفتح افريقية ففتحت سنة ٢٩ على يد سيدنا عبد الله بن سعد بن أبى سرح رضى الله عنه مصحوبا بعشرين ألفا من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم وكانت أسبيطلة هى القاعدة الثانية فى القطر وهى مركز المشاورة واجتماع أهل الحل والعقد لكى يكونوا أحرارا فى مفاوضاتهم لبعدهم عن الملك الذى مقره فى قرطاجنة ومايرمى عليه أمرهم يبعثون به اليه وحيث كانت تفاصيل التواريخ لهذا القطر قديما قد تكلفت بها مؤلفات منفردة ومن أجلها الحلل السندسية فلا يمكن استيعابها فى هاته العجالة لانها خارجة عن المقصود الذى هو معرفة الحالة الراهنة وانما الذى يتوقف عليه المقصود هو بيان ماعليه الحال لكن هذا لما كان له مساس بامور سابقة لزم بيان مقدار الحاجة لتتبين الاسباب ومسبباتها ولذلك نذكر جملة الدول التى تولت هذا القطر من حين الفتح فى جدول مع ذكر صفة الدولة اجمالا وتاريخ مدتها بداية ونهاية وأسماء أصحاب الملك الى أحمد باشا من أمراء الدولة العلية العثمانية ومنه نأخذ فى ذكر بعض التفاصيل التى ينبنى عليها المقصود حتى يكون المقصود مستوفى البيان ان شاء الله تعالى

تاريخ

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
٠٠٢٩	عبد الله بن أبي سرح	عامل للخليفة ثم من بعده عمال لوالي مصر التابع للخليفة
٠١٥١	عمر المهلبي أول دولة المهلبيين	تابع للخليفة المنصور العباسي وهكذا من بعده تابعون للعباسيين مع الاطلاق في التصرف بجميع وجوهه حتى الحرب والصلح
٠١٨١	ابراهيم بن الاغلب هو أول دولة الاغالبة	مثل السابق وتوارثها بنوه
٠٢٩٧	دولة العبيديين وأولهم عبد الله المهدي	في نفس الامر مستقلة وفي بعض الاطوار تظهر الخضوع للعباسيين وطورا للفاطميين بمصر
٠٣٦٥	دولة صنهاجة وأولهم المنصور بن يوسف	مثل السابقة
٠٦٠٣	دولة الحفصيين وأولهم الشيخ عبد الواحد	مستقلين واستولوا على المغرب ودانت لهم مصر والحرمين الشريفين برهة من الزمن
٠٩٨١	الدايات والبايات المراديون والباشوات منهم	اتباع للدولة العلية العثمانية فتارة يكون صاحب التصرف يلقب بالداي وتارة يلقب بالباي وتارة بالباشا
١١١٧	الحسينيون أولهم حسين باشا ابن علي تركي	اتباع للدولة العلية بامتياز في التصرف
١١٥٣	ابن أخيه علي باشا	مثله
١١٦٩	محمد بن حسين باشا ابن علي	مثله
١١٧٢	أخوه علي باشا	مثله

﴿تاريخ الولاية﴾	﴿الاسماء﴾	﴿الملاحظات﴾
١١٩٦	ابنه حموده باشا	مثله
١٢٢٩	أخوه عثمان باشا	مثله
١٢٣٠	محمود بن محمد باشا	مثله
١٢٣٩	ابنه حسين باشا	مثله
١٢٥١	أخوه مصطفى باشا	مثله
١٢٥٣	ابنه أحمد باشا	مثله
١٢٧١	محمد بن حسين باشا	مثله
١٢٧٦	أخوه الصادق باشا	مثله

﴿المطلب الثانى فى علاقة القطر بالدولة العثمانية﴾

اعلم أن سبب استيلاء الدولة العثمانية هو أن الدولة الحفصية ضعف أمرها أخيرا الى أن استولى الطليان على طرابلس وجربه ثم افتكتها الدولة العثمانية سنة (٩٥٨) وامتد أمرها الى القيرو ان بطلب من أهلها اذ كانت الدولة العثمانية هى الرافعة لعلم الدول الاسلامية واستقلت الجزائر وكثرت حروبها الاهلية وكانت قاعدتهم تلمسان وخشى الاهالى من استيلاء الاسبنيول عليها وكان أحد كبراء رجال الدولة العلية المسمى خير الدين باشا وأخوه عروج غازيان فى البحر فاستصرخهم أهل بجاية للنجاة من ربقة الاسبنيول فاستولى خير الدين عليها وانقادت له سائر أهالى الجزائر وخطب للسلطان سليم العثمانى وذلك فى حدود عشرة الثمانين والتسعمائة ثم أنقذ تونس أيضا من جور الحفصى والاسبنيول ثم استعان آخر الحفصيين حسن الحفصى بالاسبنيول وعاد الى تونس فأنقذها منهم سنان باشا سنة (٩٨١) ورتب بها جندا من عسكر الينكشارية قدره أربعة آلاف وعلى كل مائة رئيس ومرجع الجميع الى الوالى الملقب بالباشا وهو اذ ذاك حيدر باشا ثم وقع تنافر بين الرؤساء آل الى حرب واستقر قرارهم الى تسليم الامر الى واحد منهم يلقب بالداى وجعل على خلاص الجباية مولا يلقب بالباى وفى عهدته تأمين السبل وهناء القبائل و يسافر لاجل ذلك مرتين فى السنة أحداهما شتاء الى الجهة الجنوبية والثانية صيفا الى الجهة الشمالية و يسافر فى عسكر مؤلف من العساكر المشاة وهم اذ ذاك الينكشارية ومن قسم الفرسان الموظفين فى الحكومة ولهم جراية

ويسمون

ويسمون بالحوانب والصبايحية وعلى كل خمسمائة رئيس يسمى بالآغا وكل قسم يسمى
يوجق وجميعهم سبعة أوجاق لكل وجق مركز من القطر كما يستصحب الباى فى سفره
قسما من فرسان القبائل يسمون بالمزارقية ويسمى جميع الجيش المسافر فيه الباى
محله وجرى العمل على ذلك غير أن رياسة التصرف العام تارة تكون بيد الداى
وتارة تكون بيد الباى تغلبا منه واحيانا يحصل الباى على رتبة الباشا من الدولة
العثمانية واستقر الامر على ذلك الى أن كثرت الحروب الاهلية ما بين البايات والدايات على
حوز الرياسة العامة وملت الاهالى من ذلك فنادوا بطيب نفس واختيار منهم بحسين
ابن على تركى جد العائلة الموجودة الآن اذ كان اذ ذاك آغة وجق باجة وسلموا له امر
الولاية العامة بعد قتل كل من الباى والداى السابقين وأقرت ولايته الدولة العلية ولا
زالت الولاية متوارثة فى عائلته كبيرا عن كبير الا ما ندر من ولاية حموده قبل محمود بعهد
من أبيه وكذلك أخوه عثمان وأمضت الدولة العلية ذلك له فى حياته ومنذ ذلك التاريخ
استقرت الرياسة العامة للباى وصار هو الذى يولى الداى الى أن انقطع هذا اللقب
وعوض برئيس الضابطية فى سنة (١٢٧٧) فى ولاية الصادق باشا غير أن استقرار
الولاية هكذا على عمود امر لم يكن بتعهد من الدولة العلية رسميا بالكتابة وانما اقتضاه
جريان العمل وذلك أن الدولة العلية كانت عادتها فى الولايات اطلاق التصرف
للوالى بحيث يكون له التفويض المطلق لاتساع أطراف الممالك مع صعوبة المواصلة
الا بعد مدة مديدة لاسيما فى مثل الاماكن التى طريقها البحر من مقر الخلافة كتونس
وطرابلس والجزائر ومصر وغيرها وتسمى عندهم بالاوجاق ومن كمال الاطلاق الذى
اضطر اليه البعد اختيار الوالى لانه اذا مات الوالى أو وقع ما يوجب عزله بتغلب غيره أو
بثورة عامة يسلم أهل الحل والعقد فى تلك الجهة لواحد منهم لاجراء ما لابد منه وما يصل
الخبر للدولة الا بعد مدة وحيث لم يكن من قصدها الاهناء الممالك الاسلامية واجراء الشرع
فيها والادلاء بالخضوع للخلافة والانقياد اليها واداء الواجب لها من مال أو غيره لم يكن من
فائدتها مخالفة ما يراه أهل الحل والعقد فى الصقع الواقع به الواقعة لان ذلك لا يحصل لها
فائدة بل ربما توقع حصول غير فائدتها المار ذكرها (ورب البيت أعلم بما فيه) ولذلك تولى
هى من ارتضوه لحفظ امورهم وحفظ حقوقها والمتقرر فى هذا القطر التونسى من
الحقوق التى رسمتها الدولة العثمانية فيه عند فتحه هو أعانته بالسفن الحربية وما يلزمها
فى الحروب وهدايا ترسل من الوالى الى دار الخلافة عند ولايته أو عند ولاية سلطان

أو عند ما توجد مناسبة للاهداء والاغلب فى الهدايا سابقا أن تكون من نتائج البلاد كالخيل والحيوانات الغريبة من الصحراء والمنسوجات الحريرية والصوفية ومنها راية عظيمة متقنة تصنع عند ولاية السلطان فقط ويكتب فيها آيات قرآنية وأبيات من البردة وتزركش بالفضة ومنها أيضا السروج المحلات وسبح المرجان والعنبر والطيب والاسلحة المرصعة بالمرجان ومنها التمر والزيتون والسمن والشمع ثم توسع فى هاته الهدية حتى صارت من المال والجوهرات النفيسة وقد بلغت فى بعض الاحيان الى مليونين فرنكا وما يساويها من الجوهرات وكذلك رتب على القطر من الاشياء التى هى علامة على التبعية الخطبة باسم السلطان والراية من نوع راية الدولة ورسم اسم السلطان على السكة وأصحاب الهدايا هم الذات السلطانية والصدر الاعظم مع خواص الوكلاء كقبطان باشا والسرعسكر وأمثالهم وأما غير ذلك فلم تكن حالة القطر تقتضيه ولذلك لما رأى وزير الدولة سنان باشا الفاتح حالة القطر أمر رؤساءه أن الجباية يقيمون بها ضرورياتهم وما يلزم لحماية القطر من الاستعدادات الحربية وما يلزم اليه من المصالح العامة ولم يرسم بشئ آخر ثم قدم قبطان باشا فى حدود سنة (١٠١٣) لتفقد حال القطر وما تقتضيه حاله بعد استقرار الامر فأرسى باسطوله فى حلق الوادى وخرج له اذ ذاك عثمان داى فى جماعة من كبراء الجند وتفاوضوا معه على مصالح بلادهم وبعد أن تحقق عنده انقيادهم لطاعة الدولة وعدم الاقتدار على الاداء أقلع من هنالك راجعا وبقى الامر على ذلك الى أن بدى للدولة العلية ابدال عادات الدولة فى شأن ولات الاقطار من اطلاق التصرف اليهم لما تفاقم حال ظلمهم وعدم انقيادهم أحيانا لاوامرها ومنهم حسين باشا والى الجزائر الذى تسبب بأعماله فى دخول الجزائر تحت الفرانسيس بحربهم وكان ذلك الانقلاب فى دولة السلطان محمود وصدر امر ولاية أحمد باشا فخشى الباشا المذكور من وصول النوبة اليه فى التغيير وزاد خوفه بسبب ما كان حصل من سلفه من تعريضه بالامتناع من نزول قبطان باشا فى حلق الوادى عند قدومه لارادة التوجه برا للجزائر لعزل واليها الذى عقد الحرب مع الفرانسيس وبزواله بزول الارتباك فاعتذر له بأن الكرنتينة اى التحفظ من المرض العام لا تبيح نزوله واكرم مقدمه وهاداه فى ذاته وكان السبب الحامل له على الامتناع هو أن دولة الفرانسيس لما أعلنت بحرب الجزائر بعد التشكى للدولة العلية كاتبت حسين باشا والى تونس بالانذار بأنه اذا أعان بشئ يلحق الحصار والحرب به مع اجماع الخلق على ظلم والى الجزائر فخشى والى تونس أن يعد مرور

قبطان باشا اعانة للجزائر لانه لا يمكن مروره بدون حامية فاذا دخل للجزائر بحامية من عسكر تونس يعدها الفرنسيس اعانة وأيضا اذا تسامعت العربان بمرور باشا تركي في وسط الولاية هاجوا لما في طباعهم من التشكي من المتولي كيفما كانت سيرته ظنا ان الجديد يساعدهم على مرادهم كيفما طلبوا وقد كان ذلك من الغفلة التي سبق بها القدر لانفاذ الامر في الجزائر فنشأ عن أحمد باشا ما سبق وانضاف الى ذلك فتح الباب من الدولة العلية في مقدمات ما كان يخشاه وهو طلبها من تونس الاداء السنوي والحاحها فيه المرة بعد المرة الى أن توجه اليها عالم القطر الافريقي سيدي ابراهيم الرياحي وواجه السلطان محمود وقبل اعتذاره وسكت عن طلب الخراج وأيضا طلب من الباشا القدوم بنفسه لدار الخلافة ولم يكن معتادا منذ الفتح الخاقاني الى الآن وطلب منه أيضا أن تكون خلطة تونس مع الدول باذن خاص وولاية المناصب بأمر السلطان والاختيار لاصحابها من الوالي ويرفع في كل عام حساب دخل الحكومة وخرجها وأيضا قد فعلت الدولة في طرابلس ما فعلته في سائر ولاياتها من التغيير وكذلك في مصر لكنها بامتياز فقوي خوف الرجل وجعل يرود كل الابواب للاطمئنان على ابقاء عادته المألوفة له ولآل بيته وللقطر من غير أنه يخطر بباله قط الاستقلال لا هو ولا من سلف من آله فضلا عن الدخول في حماية دولة أجنبية وغاية الامر زيادة المواصلة منه مع دولة فرانسا والمدارات بما لا يخل بشيء من العادات مع طلب محافظة عاداته لو تريد الدولة العلية الحاقه بغيره وغاية ما حصل عليه من دولة فرانسا هو الوعد الشفاهي بحمايته وحماية امتيازاته الجاري بها العمل والعادة (ويشهد) لما مر سيما بعد ولاية العائلة الحسينية المستقرة الآن أن الدولة العلية في سنة (١١٥٣) اعطت جزيرة طبرقة التي هي من القطر التونسي الى دولة الجنويز وأذنت بذلك والي تونس فسلم الجزيرة بالشروط التي عينتها الدولة وهي أن لا يكون لهم بها حصن ولا يتجاوزون في بناء بلدهم الك حدا محدودا ثم خالفوا الشروط ولذلك افتك الجزيرة منهم علي باشا والي تونس اذ ذاك في تلك السنة وفي سنة (١١٨٤) حصلت وحشة بين فرانسا وبين علي باشا الثاني والي تونس من جهة الخلاف في الاسرى الذين أخذتهم تونس من قرسكا قبل استيلاء الفرنسيس عليها وكذلك صيد المرجان الذي أبيح للفرانسا وبين لسنتين بعدد معلوم من القوارب وأداء معلوم وتفاقم الخلاف الى أن جاء الاسطول الفرانساوي الى شطوط تونس ورمى بعض الحصون وكان اذ ذاك رسول الدولة في تونس قادما لطلب اعانة السفن الحربية على العادة

فى حرب الدولة اذ ذاك مع الروسيا فتداخل رسول الدولة فى النازلة وأبرم الصلح على أن تدخل كرسكا فى عهدة فرنسا وأن ترد الاسارى الذين أخذوا بعد استيلاء الفرنسيس عليها وأن يمكنوا من صيد المرجان خمس سنين مستقبلة باثنى عشر زورقا لاغير وأن يمكنوا من شراء ثلاثة آلاف قفيز قمحا ويخرجونها من غير أداء سراح عليها وأن يدفعوا ما جرت به العادة عند عقد الصلح من الهدية ورجعت بعد ذلك العلاقة الحسنة المعتادة بين تونس وفرانسا على يد رسول الدولة العلية وكذلك أرسلت خمس سفن حربية بجميع لوازمها لاعانة الدولة فى حرب الروسيا المذكورة سنة (١١٨٥) وفى سنة (١٢١٣) أمرت الدولة العلية حموده باشا بحرب الفرانسيس مع هاعند استيلائه على مصر فامتثل الامر وقطع المخالطة مع القنسل وأرسل سفنه الحربية لاعانة الدولة غير أنه تحفظ للغاية على أموال التجار الفرنساويين فى بلده ولم يتعرض لسفنهم التجارية حتى قال تجار الفرانسيس اذ ذاك نحن بلا قنسل أحسن حالا من وجود القنسل وأعلم الباشا الدولة بسبب تلك المعاملة وهو كثرة المخالطة التجارية المتقادمة الموجبة لاشتراك مال التونسيين مع مال الفرانسيس فلو تعرض لاموالهم لكان تعرضا للمال التونسيين أيضا واتهمت عليه من بعض الجهلاء من الداخل والخارج وعند وقوع الصلح عرف هاله نابليون الاول وصارت بينهما مهادات واعتراف بالكمال وفى سنة (١٢٣٦) أرسلت الدولة العلية رسولا أمرا بحفظ لوحدة وترك الحرب بين تونس والجزائر وعمل بامره وفى سنة (١٢٣٧) أرسل محمود باشا سبع سفن حربية ثم أردفها باثنين لاعانة الدولة على حرب اليونان وفى سنة (١٢٤٣) أرسل حسين باشا اسطولا حربيا لاعانة الدولة فى حرب اليونان واحترق مع جملة سفن الدولة ومصر والجزائر بعمل اساطيل الدول كما يأتى تفصيله فى بابه وفى سنة (١٢٥١) أرسل مصطفى باشا والى تونس هدية لقبطان باشا عند قدومه على طرابلس لانزعها من ايدى آل قرمانى ثم طلب قبطان باشا الاعانة الحربية من تونس فأرسل والى تونس فى تلك السنة ثلاث سفن حربية وأتبعها بتسع سفن تجارية حاملة ثلاثمائة من الخيل وفى سنة (١٢٥٥) طلب أحمد باشا والى تونس تقليده رتبة مشير مع هدية فاخرة فأنعمت الدولة عليه بذلك ثم زادته نيشانا آخر يرسم فى غطاء الرأس والآن زال من رسم الدولة ولم يزل معمولا به فى ولات تونس وفى سنة (١٢٥٦) أمرت الدولة العلية والى تونس بالعمل بالتنظيمات الخيرية وقرئ أمرها فى موكب مشهور وأجاب عنه أحمد باشا الوالى بالامتثال غير أنه طلب وقتا للعمل مع مراعات ما يلزم من التغيير بسبب عادات البلاد ثم الح عليه فى اتمامها

اتمامهاسنة (١٢٥٨) فارسل هدية فاخرة منها سفينة حربية ومائتين وخمسين الف فرنك وطلب الامهال فى العمل بالتنظيمات وفى سنة (١٢٥٧) لما رتب الوالى المذكور أمر تنظيم المولد النبوى قال له يمين حكومته أبو العباس أحمد بن أبى الضياف المناسب أن تخرج من باردو راكبا وعندنا من العساكر ما يكفى الى الوقوف بين باردو وجامع الزيتونة فقال له يفعل ذلك السلطان العثمانى وليس لنا أن نفعل مثله فالمناسب الادب معه رأيت ذلك بخط الوزير المذكور وفى سنة (١٢٥٩) حصلت نفرة بين دولة الساردو ووالى تونس أحمد باشا كادت أن تفضى الى حرب بسبب منع الوالى اخراج الميرة الى سردانيا لقحط حصل بالقطر وكانت الشروط مخالفة فأرسلت الدولة العلية رسولا خاصا ليبحث عن السبب وأمر الوالى بفصل النازلة بصلح فأخذ تقريرا فى النازلة وفصلت بصلح بتقاسما كان على ما كان ودفع ماخسره تجار الساردو فى شراء الميرة وفى سنة (١٢٦٣) أرسلت الدولة رسولا مخصوصا للوالى المذكور لتأمينه من جميع ما توهم مع اسقاط مطلب المال السنوى وتأييد الوالى فى الولاية مدة حياته فأجاب بالفرح والقبول لكنه طلب ابقاء جميع الامتيازات ومنها انتقال الولاية لآله عند موته وفى سنة (١٢٦٥) أرسل عباس باشا والى مصر مكتوبا وداديا على وجه الاخوة ينصح فيه الوالى المذكور بترك الاوهام الحاملة له وانه هو قد ذهب للاستانه ونال رتبة الصدارة مع أن اباه وأخاه قد فعلا ما لم يحم حوله ولاة تونس وانه لو يساعفه على اللقاء فى بلد معين ويصطحبا معا للاستانة يكون له الحظ الاوفر فاجابه بانه عبد للدولة ولم يختلج بفكره شىء مما يتهم به وقصارى أمره التمسك بالامتيازات السابق بها العمل والجارية من القديم فى القطر التونسى ثم أرسل عباس باشا رسولا من العلماء وآخر من التجار للتفاهم مع الوالى فى مقصود الدولة فقرر لهم غاية آماله من ازدياد اللحمة الاسلامية والخضوع للدولة العلية على ما جرى من الامتياز للولاية ومنه عدم وجوب قدوم الوالى الى الاستانه وفى سنة ١٢٦٣ وقع خلاف بين والى تونس أحمد باشا ودولة فرانسا فى شأن قبيلة تهدمن جباليه باجه حيث أن القبيلة منقسمة الى نفذين نفذ تابع لتونس ونفذ تابع للجزائر فاستولى الفرانسيس على الجميع فسجل الوالى أحمد باشا وكتب الى القنصل فاجابه القنصل بمضمون مكتوب دولته وهو أن فرانسا تعطى الى تونس أرضا أخرى عوضا عن هذه بعد تحرير الحدود فاجابه الوالى بما نص محل الحاجة منه وأما تجديد التحديد أو ابدال بعض العمالة بجزء من غيرها فمعلوم انا نتوقف فيه على المشورة من جهة الدولة العثمانية وان كان

لنا التصرف العام فى الايالة بما يقتضيه اجتهادنا من المصلحة أما التنقيص منها أو ابدال بعضها فلا يحسن منا بغير اعلام لمولانا السلطان وتقرير ما ينشأ لنا من المضرات بسبب ذلك لجنابه العلى اهـ وفى سنة ١٢٧٠ أرسل أحمد باشا أربعة عشر ألفا عسكريا بجميع لوازمهم الضرورية والحربية وفرقاطة شراعية وستة سفن منها باخرتان لاعانة الدولة العلية فى حرب القريم وفى سنة ١٢٧١ أردف ابن عمه محمد باشا عند ولايته ذلك العسكر بأربعة آلاف وخيل ومهمات وفى سنة ١٢٨١ أرسلت الدولة العلية رسولا مخصوصا اسمه حيدر أفندى لمراقبة حال الثورة العامة فى القطر التى سيرد بيانها وأرسلت الى الحكومة مليونا فرنكا لاعانتها على ما حصلت فيه من الضيق وفى سنة ١٢٨٨ أبرم الفرمان الآتى ذكره الذى استقر عليه القرار وفى سنة ١٢٩٣ أرسلت الايالة نحو مليون ونصف فرنكا لاعانة الدولة على حرب الصرب وفى سنة ١٢٩٤ أحضرت الايالة نحو ذلك المقدار لكنه لم يصل منه الى خزانة الدولة العلية الا أقل من الربع والباقى صرف منه على تهيئة العساكر التى قدرها نحو أربعة آلاف فى كسوتهم وتعينوا للارسال وحصل الصلح قبل سفرهم وهم فى انتظار سفن الدولة العلية لحملهم اذ لم يكن للحكومة قدرة على ما تحملهم عليه وسبحان محول الاحوال كما أرسلت الولاية فى تلك السنة للاعانة المذكورة نحو ستمائة بغل وأربعمائة حصان وما زاد على ذلك مما سلمته الاهالى بقى عند الحكومة التونسية وما تقدم كله زيادة على الرسل التى تتوارد فى أغلب الاحيان بين التابع والمتبوع الذى هو كثير وها نحن نثبت هنا نص بعض المكاتيب التى أرسلت من ولاة هذا القطر فى النصف الاخير من هذا القرن حتى يتيقن معها زوال كل شبهة ولم نذكر ما كان قبل هذه المكاتيب لان المكاتيب كانت ترسل باللسان التركى ولما تقادم عهد الولاة بتونس نشأ جيلهم الاخير على جهل باللغة التركية وكان أحمد باشا صاحب المكتوب الاول ذا احتراز ونقد فكر فلم يرد ان يمضى كلاما لا يفهم اسرار تراكيبه فكتب باللغة العربية وقبلته الدولة اذ كثير من عمالها عرب ولا يسعها انكار لغة شريعتها التى هى الحامية والذابة عنها وكان ارسال هذا المكتوب مع عالم القطر سيدى (ابراهيم الرياحى) فى الغرض الذى تقدمت الاشارة اليه وهو طلب العفو عن الاداء السنوى ونص المكتوب (اللهم) بالثناء عليك نتقرب اليك يا فاتح أبواب القبول والاقبال ومانح المنح التى لا تنحصر شواردها على البال تنزهت فى العظمة والجلال ولا تول عبادك الاهمال بمحض الرحمة والافضال فاقت عليهم خليفة

تعرض عليه الاحوال ويرفع عنهم بإعانتك الاختلال ويسوسهم للصلاح في الحال
والمآل صل على سيدنا (محمد) خاتم الارسال والملجأ المنيع عند اشتداد الازمة
والاهوال وعلى آله وأصحابه الذين ورثوا في الاقوال والاعمال وسرت مكارمهم
مسرى الامثال ونستوهب منك عز الاسلام جده ونصرا يمضي في الاعداء حده لهذه
الدولة العلية والسلطنة العثمانية والمملكة الخاقانية التي رفعت من الملة
الحنفية أركانا وشيدت من معالمها بنيانا وأقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت
أحاديث العناية الربانية صحاحا حسانا وورث ملوكها الارض وهم الصالحون سلطانا
فسلطانا حتى استنار الوجود بخليفة الوقت الموجود وهو مولانا السلطان محمود اللهم
أعنا على ما أوجبت له من فروض الطاعة وتأييد الحق بجهد الاستطاعة واحفظنا
برفقه وعدله من الاضاعة واجعل الملك فيه وفي عقبه الى قيام الساعة وعطف قلبه الى
سماع هذه الضراعة من ايالته ومن بها من الجماعة على لسان أحمد المقيم على طاعته
فيها والمجتني من ثمرتها ما يلزمها ويكفيها وطاعة خلافتك فرض على أهل الارض
وهي عند الله أغنى قرض فاذا لم يعرض الحال عليك فعلى من العرض تونس موضع
شعائر الاسلام قريبة بعدها عن استمطار أياديك الجسام ومساحة معمورها السير
في ستة أيام شأن أهلها التعيش من الزيت والبر والصوف والوبر يعانون في
تحصيلها من ألم الحر والقر هذا غالب ما يسد لهم الخلة ويوجد غيرها لكن على قلة
ومقدار زكاة ذلك لا محالة بحسب اتساع العمالة فما يفضل من خصبها فهو للقحط
عدة وبذلك دام عمرانها لهذه المدة لا أفضل من ذلك اترف ولو في سبيل شرق هذا
معظم دخل القطر ان جادت السحب بالقطر ويلزمه ضرورة لحفظ عمرانه وحماية
أوطانه وتأمين سكانه واصلاح مراسيه وبلدانه حماة وأجناد في كل جهة
وبلاد لتأمين الجبال والوهاد وردع أهل الفساد ويلزم العساكر الكسوة والطعام
والمرتب على الدوام ولا بد لهذا العدد من آلات وعدد وقوام هذا بالمال وهو
السبب في عرض الحال بأن الدخل على قدر الانفاق وذلك بشهادة الله غاية ما يطاق
واذا كلفنا الرعية المشاق ونزعنا الرفق والاشفاق كان ذلك ذريعة للنفاق وسلما
للشقاق وربما هرعوا للدولة شيوخا وولدانا وكهولا وشبانا يسوقهم العجز
ويقودهم الامل الى من في طاعته الثبات منا والعمل فالسلطان ظل الله في أرضه
يأوي اليه كل مظلوم وهذا من الواضح المعلوم وعندكم حسبه تأمين البلاد وحفظها

من طوارق الفساد بين معه من الحماة والاجناد سهرنا لانامة أجفانها وتعبنا لراحة شيوخها وولدانها واقتحمنا المخاوف لامانها وما تنتجه فلاتها تسديه خلاتها وعلى هذه السيرة ولاتها لا يقتنون لانفسهم مالا ولو بسطوا لذلك آمالا الا ما يقتضيه الحال من العادات المألوفة والمراسم المعروفة يصدهم عن ذلك عدم اليسار لازهد الابرار والله المطلع على الاسرار وعابطنا من الكلام في حال هؤلاء الاسلام يظهر للقائم بمصالح الانام أن لا قوة لهذه الايالة على آداء المال في كل عام هذه ضراعة رعيتك المستمسكين بطاعتك المستجيرين بحمايتك المرتجين لعنايتك واعانتك قمت بتبليغها بين يدى سلطنتك الخاقانية وهمتك العثمانية وتبليغها من الواجب في حقى وهو ثمرة طاعتى وصدقى والمأمول من تلك الهمة النظر لهذا القطر بعين الرحمة وهذا المال في خزائن الدولة لا يزيد وثقله على هذا القطر شديد فارحم أيها المولى ضراعتنا ولا تفرق بالانطيق جماعتنا فالامر جال وما قررناه بعض من الاسباب والعلل وقد فكرنا وأعيتنا الحيل فلم نجد اجابة المطالب الا بتنقيص عمل يفضى الى نقص وخلل أو تثقيل يقطع من الرعية الامل ويضعف بسبب ذلك هذا العمران وتشتد الحاجة للاستمداد من كرم مولانا السلطان والله يجيرنا من حوادث الازمان هذه وسيلة من بعدت داره ولم يكن بيده اختياره على لسان مملكة تونس مع قدوتها المؤنس صالح مصرها وامام عصرها شيخ الجماعة ومفتيها الذى دانت له البلاد بدينها ونالت به الملة أقصى أمانيها السارى ذكر تاليفه في النواحى السيد ابراهيم الرياحى وجهته حالتنا وانتظرت ومن سحائب رحمتك استمطرت اللهم أنت أعلم بنا منا فلا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وارزقنا الرحمة من سلطاننا والهمة لاعانة أوطاننا انك على كل شئ قدير وكتب في أواخر أشرف الربيعين سنة (١٢٥٤) وفيها ما كتبه أحمد باشا المذكور في تبرئة نفسه مما رمى به من ارادة المخالفة ونصه الجناب المقصود لبلوغ الآمال ونجاح الاعمال جناب ركن الدولة وشمس ضحاها وقطب رحاها صدر صدور الكبرا ومركز دائرة الوزرا المشير الافخم والصدر المعظم السيد مصطفى رشيد باشا لازال محط الرحال وقبلة الوجوه بالغا من الله ما يؤمله ويرجوه (اما بعد) تقديم ما يجب للسلطنة من فروض الطاعه بحسب الاستطاعه فان هذا العبد الذى مات في خدمة الدوله سلفه وعاش في فضلها خلفه روابطه مع الدولة العليه ثابتة الاساس معلومة في الناس واضحة وضوح الصبح غنية عن الشرح كما أن ما جبل عليه سلطان زماننا

زماننا من كرم الطباع وطول الباع أمر انعقد عليه الاجماع وما على الصبح غطاء وما على الشمس قناع والامان الذى مهده لاهل الايمان واضح للعيان لايختلف فيه اثنان ولايخطر بالبال ماينافيه لانه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وطالما تمنى هذا العبد الوفود الى الحضرة العليه ومشاهدة الانوار المجيديه لو ساعده الزمن وتجرى الرياح بما لاتشتهى السفن وما صده والله عدم الامان لانه من المستحيلات العقليه مع انه لم يصدر منه خلل فى عمل ولا نية فاعلل النفس بأن التوجه انما هو تعرض لعناية الدولة والمقام انما هو لحفظ مالها فى هذا القطر من الصولة ونؤثر واجب الخدمة على التعرض لازيد النعمة والنصح فى خدمة السادات مقدم على نفع خاصة الذات فاقتصرت بالضرورة على السنن المألوف والمسلك المعروف من تقربى الى الباب العالى بتقديم الهدية طبق الاصول الاعتياديه فى هذا الوقت الذى أشرقت عليه الانوار العثمانية وحمته الشوكة الخاقانية وان كانت الدولة على أضعافها غنية فراعنى الا ما فى مكتوب الوزارة من انه صدرت المساعدة من حضرة صاحب الخلافة بالتفضل بتوقيفها وان هدايا الوكلاء العظام صار فى حيز القبول بمقتضى الرخصة السلطانية ففهم العبد من التوقيف عدم القبول ومن عدم القبول نقصان الرضاء وفى المكتوب المذكور ما يشير الى ذلك مع ما بلغه الرسول من تفسير الاشارة بصريح العبارة كما ذلك محرر فى صحيفة فحزن لذلك الفؤاد وماج فى تيار الانكار اذ لم يصدر منا ما يقتضى ذلك وما سلكنا فى غير مسالك أما كون سلامة تونس وسعادتها متوقفة على تأييد الروابط القديمة مع الدولة العلية فهو من المعلوم ضرورة وجاحده منكر للبديهيات وأما التبعد والتوحش الموجب لانواع المحاذير فمحله اذا صدر منا خلاف ما انطوى عليه الضمير أو فعل ما يقتضى نوعا من التغيير (أما) والحالة هذه فان العبد لم يجحد حقا معتادا ولا أضمر بشهادة الله عنادا ولا وطأ الاسباب الشبهات مهادا ولم يصدر منه الا المعلوم بسالف الازمان وأقره السادة القادة من آل عثمان والاصل بقاء ما كان على ما كان فلا مخاطرة والحالة هذه بالنفس ولا بالوطن أما النفس بوجود الامان من ظل الله فى أرضه والقائم بواجب الاسلام وفرضه وعدالته العمريه ونيته الخيرة وشفقته على البريه بأكثر من هذه الآمال حريه وأما الوطن فانه فى حماية دولته محوط بصولته يدافع عنه بقوته ويكافح من ناواه بشوكته ولا منافات بين الذب على القطر الاسلامى وحمايته وبين التفضل

باستمرار عادته واستغفر الله ان يخطر بالبال والحال الحال مالا أقدر أن أفوه به من توهم الاستقلال أعوذ بك (اللهم) من هذا المقال كيف ومنابر الاقطار في كل جهة تنادي بطاعته مع الشكر على تقرير عادته ولا رواج للدرهم والدينار الا باسمه العالي في سائر الاقطار وأشرف ألقاب هذا العبد هو ما منحته له السلطنة العليه وأهلته لنيله من المراتب السنيه بمحض فضلها وكمال عدلها وعدم امكان الحضور لهذا العبد الشكور اذا كان سببه صلاح الامور والمثابرة على دوام حفظ الجمهور لا يتوقع منه المحذور واختلاف البشر في مدارك العقول معقول ومنقول وصدق الخدمة يقتضي التصديق في القول هذا وطلب الوزارة شد الله أزرها وقرن باليمن نهيها وأمرها من العبد المقبر ان يودع لامانتها ما في الضمير يوجب ان نشرح نيتي وما انطوت عليه طويتي فأقول والله شهيد على سري وعلانيتي هذا العبد الذي نشأ في طاعة الدولة العليه ورفل في حلل مرضاتها الجلية وتغذى بلبانها وعاش باحسانها واستظل بأمانها وتشرف بخدمة سلطانها من بيت هو وعاشر آله في الخدمة ومظهر ما للدولة من النعمة أعظم أمانيه دوام رضى مولانا السلطان وظل أهل الايمان وان تبقى خدمته على سنن أبيه وجده ونيل هذا هو سعادة جده وان هذه الايالة الطائعة على هذه الحالة لا يراع لها سرب ولا يتكدر لها شرب بحماية القوة السلطانية والشوكة الخاقانية وبهذا الحال حفظ طاعتها وصلاح جماعتها وهو السبب في اجتماع الكلمه لهذه الامة المسلمه والله يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) واختلاف عوائد الآفاق لا ينافي الطاعة والاتفاق ولا يكون ذريعة للافتراق وتمسك البلدان بعاداتها مخلوق مع ذواتها والمأمول من الحضرة العليه أدام الله نصرها اذا رأت هذا العبد في مقعد صدق وحققت ان نطق بحق ان يرق لهذه الفئة القايلة ويرحم ضراعتهم ويجمع بابقاء عاداته الجميلة جماعاتهم حاشا فضله وانصافه ان ينزع حلة تفضل بها أسلافه بل المأمول من كرمه الزيادة وهو المحيي لمآثر أسلافه السادة هذا ما في الجنان نطق به اللسان بلا شبه ولا تمويه ولا خوف أمر تنافيه فاذا ساعد القدر بالقبول فهو المظنون المأمول وان كانت الاخرى فالله مع الصابرين وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله يعلم اننا ما غيرنا ولا أضمرنا غير الذي أظهرنا ويوم تبلى السرائر نسأل عما صيرنا وهذا المكتوب يشرف بلوغه الى الباب العالي المستوجب لكل المعالي

الثقة الفاضل المؤتمن نخبة أقرانه لنباهة شأنه ابننا محمد أمير لواء عسكر البحر ومعه الكاتب الثقة الخبير العفيف النقيه ابننا على الدرناوى وجناب الوزارة يثق بأن ما يلقى الى الحاملين من المقال يصل للعبد الفقير على أحسن حال والمرجو أن يعودوا الينا بخبر يبسط النفس ويعيد لها الانس والله يديم للدولة العلية المجيدية عزا لا يطاول حده ونصرا يمضى فيمن عاندها حده والسلام وكتب فى ٢٠ ذى القعدة سنة (١٢٦٥) (ومنها) مكتوب من أحمد باشا المذكور اصحبه مع العساكر المرسلة فى حرب القريم مخاطبا به الصدر الاعظم (ونصه) أما بعد تقديم التحية المناسبة لتلك الوزارة العلية والفخامة الراسخة الجلية فهذا أمير الامراء وأحد أعيان الكبراء الثقة العمدة فارس هذا الميدان ابننا رشيد وجهه معظم قدركم بهذه الفئة القليلة السابق تقريرها الجليل وزارتكم ووجهنا معه ابننا محمد أمير اللوا والله يرى ما للعبد الفقير من الاستحياء عند عرضها على الباب العالى ويسهل الامر ان ذلك على قدر العبد الفقير لا على قدر الدولة ذات العظمة والصولة والاعتماد على الوزارة العظمى فى الانهاء والتقرير وبهمم الرجال تنال الآمال وتحسن الاعمال والمأمول من وزارتكم المحمودة الصفات ان تهب لمانع نفسه لله حسن الالتفات فاليد فى طاعة الله وخدمة الخلافة واحدة والقلوب على ذلك متعاضدة والانفاس متواردة والمأمول ان يرى أمير هذا الجيش من عنايتكم فوق الامل والله يسدده الى مرضى العمل وينصر مولانا السلطان ويعلى بسطوته أركان الايمان ويديم وزارتكم ركنا منيعا وكهفا رفيعا والسلام وكتب فى شوال سنة (١٢٧٠) (ومنها) مكتوب من محمد باشا عند ولايته على القطر يطلب التولية والتقرير ويعلم بارسال نجدة عسكرية لحرب القريم وهدية مالية مصاحبة للمكتوب (ونصه) اللهم بالثناء عليك نتقرب اليك وبالصلاة على رسولك وخلفائه المتناسقين نسألك سبل المتقين وبشكر نعمك نقرع باب كرمك وهو باب الدولة العلية العثمانية والسلطنة المجيدية الخاقانية المخدومة بالاعمال والنية المقصودة لبلوغ الامنية الوارد فضلها على الاقطار من كل ثنية والشمس عن مدح المادح غنية وكفاها أن رفعت من الملة الحنفية اركانا وأقامت للحق قسطاسا وميزانا وروت أحاديث العناية صحاحا حسانا وورثها الارض وهم الصالحون سلطانا يتبع سلطانا من سمى ذى ... الى من اختاره المجيد سبحانه لعباده وأقام به شرائع دينه وفروض

جهاده ولولاه باعانته واسعاده و يسر على يده مصالح أرضه وبلاده لازالت القلوب بطاعته مؤتلفة والسيوف والاقلام بخدمته متصفة والالسن فى الاقرار بعجزها عما يجب له منصفة وعاذا أحيي تلك الحضرة العلية الشامخة والقدم التى فى كل فضل راسخة ضاق نطاق العبارة ولم يبق الا مسلك الاشارة فالرجوع الى السنة وتحية أهل الجنة السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله من عبد نعمته العاكف منذ نشا على خدمته محمد بن خديم الدولة حسين باشا باي (أما بعد) فالمعروض على تلك الحضرة ولها طول العمر ونفوذ الامر ان رهين نعمتكم وعبد طاعتكم وعاشر هذا البيت فى خدمتكم ابن عم عبدكم ومقام أخيه المشير أحمد باشا باى سار الى عفو الله فداء الحضرة السلطانية متزودا بعبادات عليه من طاعة الخلافة وخدمتها بالعمل والنية وفى الحين بادر أهل الايالة التونسية عموما وخصوصا وكانوا بنيانا مرصوصا الى هذا العبد الفقير وألقوا اليه مقاليد أمورهم والنظر فى حفظ مفردهم وجمهورهم فقام العبد بما وجب عليه من جمع الكلمة الاسلامية والدعاء على المنابر للسلطنة المجيدية راجيا من رضى الخلافة فى تأمين البلاد وزوال روعة العباد وسد طرق الفساد واعتصمنا بحبل الله جميعا ولى العبد الفقير سلطنتكم سامعا مطيعا على عادة اسلافه الخدام مع السلف الصالح السلاطين الكرام ووسيلة هذا العبد انه نشأ فى ظل سلطنتكم وتغذى بلبان نعمتكم وتعرف من نعمكم الانواع والاجناس واستضاء من عنايتكم بنور يمشى به فى الناس والكرم يرى لسالف الخدمة تأكد حرمة وقد ترجى العناية من ذلك الباب اعتمادا على فضل ذلك الجناب ولا بعت بغيره من الاسباب وعادات السادات سادات العادات والامل ان تزيد خدمة عبدكم على خدمة من مضى حتى يرى من ظل الله الرضى والله بعاملني فى نيتي فيما عرضت من أمنيتي قبل حلول منيتي وقد ابتدأ العبد خدمته بما كانت اليه فيه مع من تقدم واحده والقلوب والجوارح عليه متعاضده وهو ارسال طائفة من العسكر اعانة لتلك الفئة القليلة التى تقدمت و بحسن القبول قوبلت والامل الذى عليه المعول ان يشملها الفضل الاول ومعها جهد المقل ومنتهى طاقة الضعيف وعلى قدر المهدى الهدية فى هذه الاعانة الجهادية وعلم السلطنة بالحال والكرم يقتضى الاغضاء عنه يقدم ذلك عبد السلطنة المكتفى بوثوقه وأمانته وسياسته ونجابته أحد خواص عبدكم ومحل ابنه محمد أمير الاوا وهو النائب عن العبد العاجز فى باب الفضل الذى وسيلته الرجاء والامل وفضل الكرام لا يتوقف على ملاحظة عمل اللهم أعنا على

ما

ماأوجبت لهذه السلطنة من فروض الطاعة وتأدية الحق جهد الاستطاعة وامدينا بيدها الطولى من الاضاءة واجلنا من مرضاتها على سنن السنة والجماعة (اللهم) انااليه ناظرون وعن أمره صادرون ولانجاز وعدك في نصر من ينصر دينك منتظرون فما فقد شيأ من وجدك ولاخاب من قصدك آمين يارب العالمين وسلام على المرسلين والخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكتب في شوال سنة ١٢٧١ (ومنها) مكتوب من محمد الصادق باشا عند ولايته في طلب الولاية والتقرير مثل السابق (ونصه) الحضرة العلية الخاقانية السلطانية المخدومة بالعمل والنية واثقة من عدلها وفضلها ببلوغ الامنية والشمس عن مدح المادح غنية خليفة (رسول الله) وظل الله في الارض الحامي لشعائر الاسلام من سنة وفرض من اختاره المجيد سبحانه للخلافة وزين بمآثر رضيه أوصافه ومحى بعدله كل اخافة (اللهم) يا كريم يا مجيد أدم له النصر والتأييد والخير المزيد والعمر الطويل المديد في الزمن السعيد والعيش الحميد وأعن العباد على ماأوجبت له من فروض الطاعة واجعل السلطنة فيه وفي عقبه الى يوم الشفاعة (أما بعد) السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فان العبد الشاكر على وراثة خدمته الناشئ في نعمته السابح في بحار منته يعرض للاعتاب العلية ومنبع العواطف المتوالية انه تقدم منه اخبار للباب العالي بوفاة أخي وللحضرة العلية طول العمر ودوام الامر فصبر العبد على القضا ورجونا له حيث توفي في خدمة الخلافة الرحمة والرضى وحفظ العبد العاجز رتبته على العادة المقررة من السلاطين السادة ووجه لباب الفضل عبد السلطنة العلية نخبة الاعيان وصفوة الاقران وزير البحر ابننا أمير الامراء خير الدين يطلب على لسان العبد التقرير الفضل المعتاد من لباب السلاطين الامجاد وعلى عادة هذه البلاد وقدم العبد على قدره مايستدعي لعظمة السلطنة من ذكره وان كان مقام السلطنة الكبير يسمو على التقدير ويرى الفضل بالقبول أول مأمول فالعبد وجه رسله لباب الفضل وانتظر وفازمن وضع الامل موضعه بنيل الوطر والله أسأل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين ويعز به الدين ويقوي بشوكته حبل الله المتين ويحيي بعدله سنن الخلفاء الراشدين ويديم الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم الدين آمين يارب العالمين والسلام على أمير المؤمنين من عبد نعمته المخلص في خدمته المؤمل لنعمته الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله كتب في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٢٧٦ وكاتب فيما ذكر الصدر الاعظم بما (نصه) الصدارة العظمى والركن الاعظم الاحمى

والرتبة الشامخة الشما صدارة ركن الدولة وعز الوزارة ومنتهى الامال ومصدر الاشارة ومن لا تفي بمحاسنه العبارة الوزير الشهير الصدر الاعظم السيد محمد باشا لازال كما يختار سعيد الاراء محمود الاثار ومناقبه تخلدها أقلام الاقدار (اما بعد) تقديم التحية المناسبة للوزارة العلية المستمدة من أنوار الخلافة المجيدية فان العبد الفقير قدم للباب العالى خبر وفاة أخيه انا لله وانا اليه راجعون وان أهل الايالة قدموا العبد الفقير العاجز لجمع الكلمة من هذه الامة المسلمة فاجبتهم لحفظ مصلحة الوطن ووفاق ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والآن وجهنا الباب السلطنة العلية ومنبع العصائر الحلية عبد السلطنة نخبة الاعيان وصفوة الاقران وزير البحر أمير الامراء ابننا خير الدين وفى رفقته أمير اللواء ابننا حسين لطلب الفضل المعتاد من السادة القادة السلاطين الامجاد ووجهنا معه الهدية على قدر العبد الفقير لا على قدر السلطنة الكبير كما يرى جنابكم السامى تقييد ذلك وجنابكم يسر رسولنا فيما يراه من المسائل والمحقق المأمول ان وزارتكم العظمى تعامل رسل العبد العاجز بحسن القبول كما هو المعروف من آثاركم والشائع من أخباركم ويرجع الرسول بفضل السلطنة قرير العين مسرور الفؤاد ودمتم بدوام لكم الاسعاد وبلوغ المراد على ممر الآماد والسلام من معظم قدركم العالى وشاكر فضلكم المقدم والتالى الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله وكتب فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٢٧٦ والمكاتيب على هذا النمط كثيرة وكفى باعلان الولاة فى جميع مكاتيبهم الرسمية بلقب التشريف الذى منحتهم به الدولة العلية يقول كل منهم من المشير فلان باشا باى وهاته السياسة هى التى يدين بها أهل القطر التونسى كالاعتقادات الدينية مع التمسك بالامتيازات الحاصلة الآن وأهمها ابقاء آل حسين بن على على الولاية لالتحامهم بهم ومعرفتهم طبائع أهل القطر ومنازلهم وطبقاتهم واغناء جلبنا ما تقدم بيانه وان كان الامر غنى عن البرهان لما شاع فى أذهان بعض من لا خبرة له بان أحمد باشا شق عصا الاسلام وتبعه من بعده وكادوا ان يلمزوا أهل تونس بالكفر لرضاهم باعماله مع انه لم يأت شيأ فريا وغاية أمره التحفظ على الامتيازات التى أوجدتها العادة ورام أن يحصلها رسميا جاء على غير الطريق المناسب ولم يحصل الا اسقاط طلب الاداء السنوى وابقاء الولاية فى مدة عمره وان تاب الى الله مما سلكه من عدم الانقياد لما طلب منه الذى تراءى للجمهور انه شبه خلاف ورقع خرقه بزيادة ارسال العساكر على ما كان يعهد الذى هو ❋

في

في أواخر عهده بهذه الدار وعزمه هو وابن عمه من بعده على التوجه الى دار الخلافة كما هو مشهور عند خاصتهم وقال ان تخوفنا من الدولة العثمانية أراد ان يجر بنا الى العدم ومعاذ الله ان أكون سببا في خروج هذا الصقع الاسلامي من يد المسلمين وخروج روحي أهون علي من ذلك هب ان الدولة نزعت من يدي هذا الملك ألست بمسلم ورأيته بخط أمين أسرارهم كاتبهم الخاص الوزير احمد بن أبي الضياف

﴿المطلب الثالث﴾

في سياسة القطر الخارجية (اعلم) انه لم يكن من الدول جميعا معارض للسياسة المتقدمة حتى ان الدولة الانكليزية كانت مراقبة لحركات ولاة القطر معارضة لكل ما يخالف التبعية للدولة العلية مما يظهره بعض الدول والولاة وقد كانت تشدد في ذلك بعد استيلاء الفرنسيس على الجزائر حتى انها لم ترد أن تقبل احمد باشا في سفره الى أوروبا الا بواسطة سفير الدولة العلية وعدل هو عن زيارتها المخالفة ذلك للعوائد معه حيث كانت تقبل رسله بلا واسطة غير انها بعد حرب القريم اغضت وقصرت من مسالكها ارخاء للعنان مع من يريد زيادة النفوذ من الدول كي يعوضها عنه في الجهات التي لها فيها منافع مع وجود الاستبداد الرسمي للدولة العلية الذي كانت تحوم حوله فتستند لذلك عند الحاجة وأما دولة ايطاليا فانها كانت في المدة السابقة متفرقة ولما اتحدت وصار لها اعتبار التعديل في السنين الاخيرة فكانت موافقة لسائر الدول رسميا وعلنا وفي السر ينزع بعض متوطنيها لما صارت تنزع اليه دولة فرنسا على غير الطريقة الرسمية وذلك لان باتحاد ايطاليا صارت مشاركة للدول العظام في النفوذ في البحر الابيض وتطلب المنافع التي تناسبها في جوارها ثم ان وحدة ايطاليا وجعل تختها مدينة رومة احيت رسم خريطة الاستيلاء على قرطاجنة تذكارا للملك الرومانيين غير انها لم تحم حول ذلك الحمى جهارا لما تقدم من حق الدولة العلية ولان دولة فرنسا ناشرة لواء السطوة وسياستها لا توافق على ذلك فصارت ايطاليا محافظة على ابقاء ما كان على ما كان وأما دولة فرنسا فانها لم تخالف تلك السياسة ولم يكن يعنيها أمر تونس وعلاقتها بالدولة العلية الى ان استولت على الجزائر للاسباب التي سترد في الباب الخامس عند الكلام على الجزائر في ذلك التاريخ صارت متحذرة من زيادة تداخل الدولة العلية في القطر التونسي لاسباب (منها) ان الجزائر أصلها تابعة للدولة العلية ولم يكن استيلاؤها عليها بحرب مع الدولة العلية وانما اضطر اليه الحال في الانتقام من والي الجزائر لاهانته نائب فرانسا (ومنها) ان نفس

الاستيلاء على الجزائر انما تم بعد سنين وحروب طويلة مع أهلها وما زال أهلها يدينون في عقيدتهم بالخلافة للسلطان العثماني (ومنها) ان مجاورة دولة قوية مثل الدولة العلية توجب مشاحنات يقتضيها الجوار ولا تدع أن احداهما للاخرى بسهولة بخلاف ما اذا كان الجار ضعيفا فما هو الا أن يؤمر فيتبع وشاهده ان بمجرد ما تم أخذ الجزائر سنة ١٢٤٥ قدمت فرقة من الاسطول الذى كان على شطوط الجزائر وطلب رئيسها من والى تونس زيادة فى الشروط منها ان لا تختص الحكومة التونسية بمتجر بل ولا تجر ومنها ابطال التلصص بالسفن على السفن التجارية وابطال ملك الاسرى وابطال ما اعتيد من الهدايا وان يكون للفرانسا وبين التعامل فى القطر مثلما يتعامل أهله فعقد الوالى معه ذلك على كره وسجل وأرسل الى دولة فرانسا معلما بان الشروط أخذت شبه غصب وكانت اذ ذاك دولة فرانسا فى شغل من الثورة على مالكها فعدلت تلك الشروط بعض التعديل فلمثل تلك الاسباب لزم فرانسا مراعات مصالحها ومداخلتها فى حراسة سياسة تونس والذى استقر عليه القرار من الدولة الفرانساوية من ذلك التاريخ الى الآن هو ما يشير اليه ما رأيته بخط أمين أسرار الحكومة أبى العباس الوزير احمد بن أبى الضياف نصه لما اجتمع أى أحمد باشا بملك فرانسا وهو لويز فليب فى خلوة قال له ان كنت تروم الاستقلال فلا سبيل اليه والذى تعتقده منى ان فرانسا تحمى بسياستها حالتك التى انت فيها الآن بحيث لا يتعدى عليك أحد من جهة البحر وأما البر فدبر أمرك فيه من جهة طرابلس وأساس حمايتك هو التحبب الى الرعية والرفق بهم سمعنا ذلك منه مشافهة رحمه الله اه وهاته السياسة التى صرح بها ملك فرانسا اذ ذاك هى السياسة المعول عليها عند عقلاء الفرانسيس قديما وحديثا حتى قال أحد كبار جنرالات الفرانسيس وأحد حكام قطر الجزائر بقصد التبليغ الى حكومة تونس والحال انه عسكرى والغالب على الحزب العسكرى هو الميل الى الاستيلاء وذلك سنة ١٢٩٥ عند ختام مؤتمر برلين فى شأن الحروب الاخيرة بين الدولة العلية والروسيا وقد اشتهر اذ ذاك ان بعض نواب الدول فى المؤتمر لما رأوا مشاحنة نائب فرانسا فى تسليم قبرس الى الانكليز أوعزوا اليه على غير الطريقة الرسمية بان تستولى فرانسا على تونس ارضاء لها ولم تعمل بذلك فرنسا فقال الجنرال المذكور ان يبلغ قل لوزيركم ولباى ها انتم ترون من هى الدولة التى تصدقكم من التى تكذبكم فانهم يقولون لكم انا نريد الاستيلاء عليكم ليبعدوكم وينفروكم منا والآن قد أعطوكم لنا وأبينا من الاستيلاء عليكم فلتعلموا من هو الصادق ولتعلموا انا لم نمتنع من

الاستيلاء

الاستيلاء عليكم لمجرد حب المال لان مصالح الدول لا تتداخل فيها الشخصيات
وانما منعنا العدم فائدتنا لان فائدتنا في تونس ان كانت هي المال فهي فقيرة
وخالية وفرانسا ليست بمحتاجة وان كانت هي تكثير الارض ففي الجزائر اراضي
وسيعة ولازالت الى الآن خاوية محتاجة الى العمران فالاولى بنا تعمير ارضنا قبل ان
نأخذ ارضا اخرى خالية فاي مصلحة لنا في ان نرسل عساكرنا لاطلاق الرصاص
عليهم في قابس والحالة ماذكرتم غاية مانطلبه منكم هو الهناء والراحة في داخليتكم حتى
نرتاح نحن براحة جوارنا واما اذا احدثتم الاختلال في داخليتكم واحوجتمونا الى
اطلاق الرصاص لاجلكم فالاولى ان نطلقه اذا لاجل انفسنا لان ما كنا نتباعد عنه
توقعونا انتم فيه الخ فكلامه صريح في ان سياستهم هي ابقاء تونس على ماهي عليه
وكذلك سمعت من اعيانهم في السياسة انهم كما لا يريدون هم الاستيلاء على تونس
لا يريدون غيرهم ان يتولاها مصرحين بحقيقة سياستهم التي وفى بها كلام الجنرال
المذكور مع الانفة من منة الدول في المؤتمر باعطائهم شيئا لا فائدة فيه زيادة على ماهم
حاصلون عليه وهي رغاية اربهم في تونس بان يكون لدولة فرانسا المنزلة الاولى فيها
وتتقدم على غيرها في النفوذ السياسي والمتجري بحيث تكون كل مصلحة عامة لا يقتدر على
عملها الاهالي او الحكومة تسلم الى الفرنساويين ويرغبون في ان تكون الادارة في
الداخلية حسنة تثمر كثرة العمران والثروة ليزداد بذلك متجرهم وحركتهم ونفوذهم لكن
على وجه في الادارة لا يمكن ان يتعطل به قصدهم ويرى بعضهم ان من اسباب التعطيل
ان تكون الحكومة قانونية شورية اذ ربما راوا ان ذلك يعارض مصلحتهم في بعض
الاحيان باستناد الحكومة في الامتناع من الاجابة الى بعض مقترحاتهم لرأي الامة التي
هي مقيدة به وذلك عندهم مما لا يمكن ان يعارض لانه هو القاعدة الاساسية في مملكتهم
وما عدى ما تقدم فلا ارب لهم في الاستيلاء على الاحكام او معارضة الوصلة مع الدولة
العلية التي لا تنقض هاتيك الاساسات فهاته هي مقاصدهم فلو تحديد الادارة
في الحكومة قادرة على الانتفاع بها ودفع غائلتها ومنها عدم الاستواء في الحكم لكان مما
يعين على الراحة ورجال الدولة الفرنساوية قابلون لاصلاح الاحكام وانفرادها كما
سيأتي بيانه ومثل ذلك تقييد الحكومة بالقانون الذي لا مندوحة عنه ويتبين لرجال
الدولة الفرانساوية ان التقييد بالقانون لا يفوت مصلحتهم المذكورة لان عقلاء الامة
باجتماعهم تكون حالتهم ادعى الى ما يزيد في خير الوطن وما يدركه افراد المستبدين

في تونس بالتصرف من وجود مراعاة الدولة القوية المجاورة يدركه مجموع العقلاء للامة على وجه أتم مما هو للافراد ويراعون مقتضى الاحوال نعم انهم يفرقون بين ما يعود لما ذكر وما يعود للافراد في خويصة ذاتهم مما لا يرضاه عموم الامة لو اطلع على تفاصيله ولمثل ذلك ألحت دولة فرانسا على تونس في تأسيس التنظيمات سنة ١٢٧٤ كما سيتضح وعاضدتها دولة الانكليز حتى ورد اسطول الدولة الاولى وكان في آثاره اسطول الدولة الثانية وألح كل من قنسليهما في اجراء الامر محتجين بالشريعة وعمل الدولة العثمانية والسياسة الحاضرة وعاضدهما رئيس الاسطول الفرنساوي وتحققوا ان ذلك غير معارض لمصالح دولهم الخاصة وان استند بعض متوظفيهم في بعض الاحيان ميلا الى موافقة الولاة المتنعمين الى ان الحكومة الشورية يخشى منها تعطيل مقاصدهم وينهون الى دولهم الاحوال على ما يوافق سلوكهم وربما أشاروا الى فوات مقصود دولتهم اذا خالفت رأيهم فتضطر دولتهم الى السلوك على ما يشيرون اليه حيث ان الدول العظيمة تراعي الوصول الى مقاصدها في الخارج بأي طريق أمكن وتكسو تلك الوسائل بحال تحسنها أيدي السطوة والقوة ولا مقايسة بين سيرتهم في داخليتهم وسيرتهم في الخارج سيما في الجهات التي لهم فيها مآرب فربما ارتكبوا في ذلك ما لا يمكن تصور مثله في داخليتهم ووجه ذلك هو التوصل الى نفع دولتهم لان مثل تلك المنافع اذا ساغ أن تعقد لاجله الحروب التي تراق فيها الانفس وتضيع فيها الاموال من الطرفين فالتوصل اليها بوسائل أخرى أيا كانت فهو أخف وأولى ولهذا لا ترى أثرا لمثل تلك السيرة في الجهات التي لا مقاصد لهم بها بل تراهم هنالك يسيرون على نحو سيرتهم في داخليتهم وسيأتي لهذا مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى اذ القصد هنا خصوص ما يتعلق بالقطر التونسي من جهة سياسته الخارجية وحاصله من جهة فرانسا ابقاء تونس على حالتها وامتيازاتها والامتناع من زيادة الالتحام بالدولة العلية ولذلك لما قدم قبطان باشا الى طرابلس لافتكاكها من يد آل قرامانلي سنة (١٢٥١) أرسلت فرانسا اسطولا الى حلق الوادي حذرا من قدوم الاسطول العثماني الى تونس فتخوف اذ ذاك والي تونس
* مصطفى باشا من أن يتهم بسعيه في ذلك وكاتب قنسل فرانسا بما نصه وبعد فان جناب الدولة الفرانساوية وجهت أجفانها لمرسى عمالتنا على مقتضى المحبة والمودة وقابلناهم بالاكرام لان شقوفنا في مراسي الفرانسيس كأنها في مراسي عمالتنا فكذلك شقوف الفرانسيس عندنا وأما اقامة الاجفان في هذا الوقت بحلق الوادي ودوام اقامة مولانا

السلطان

السلطان بقربنا وفيها السيد قبطان باشا ربما تنتج لنا مضرة فى الحال أو فى المستقبل من جهة الدولة العثمانية أدام الله لنا وجودها لانها ربما تظن فى جنابنا ظنا يضر بنا ومعلوم اننا تحت طاعة مولانا السلطان فى أمره ونهيه وباسمه نخطب فى جوامعنا وعلى سكتنا فلا يخطر ببالنا اننا نعصيه أو نخالف أمره أو نعارضه بشئ فالمراد ان تعرف الامرال بهذه المضرة التى نتوقعها والاعتماد على كمال عقلكم فى حسن التبليغ وشقوف الفرانسيس مهما قربنا أو تأتى لمرسانا فرحبا بها ونقبلها بالاكرام على مقتضى قوانين المحبة ولازائد الا الخير والعافية وكتب فى (١١) جمادى الثانية سنة (١٢٥٢)

وأجابه القنسل بما نص تعريبه انه بلغنا ووصلنا المكتوب الذى تشرفنا به من عند السيادة وأعلمنا به الامرال للاندن وعلمنا جميع ما تضمنه وجوابنا عليه هو ما سنذكره وهو ان جنابكم العلى برئ وأجنبى وخارج من الاتفاق الذى اقتضاه نظر الدولة الفرانساوية فى ارسال هذا الاسطول لسواحل تونس وأنتم لا يمكن لكم ان تمنعوا دولة الفرنسيس من ذلك وهو ارسال شقوفها السواحل تونس ولاجل ذلك لا يوجد عليكم لوم ولا عتاب من جناب الدولة العثمانية لانه لا وجه لذلك والدولة الفرانساوية تعلم تحقيق حالتكم مع الدولة العثمانية وحاشا جناب دولتنا أن ترضى بما يوجب لكم غيارا مع دولتكم وانما مراد الملك أن تبقى جناب دولتكم مع الدولة العثمانية على العهد القديم السابق من غير تبديل ولا تغيير لكن الدولة العثمانية لا يمكن لها ان تخترع أمرا جديدا تضر به مصلحة الفرانسيس فى الناحية التى تحت يده فى أفريقية ولاجل ان يمنع ما عسى ان يقع من المضرة أرسل الملك اسطوله لتونس ليمنع به قدوم قبطان باشا لاجل التصرف بما هو مأمور به والامرال لما بلغه ان قبطان باشا أتى لطرابلس وأعلم ان مراده الاتيان لتونس فى ذلك الحين أرسل الامرال جفنا من الاجفان التى تحت حكمه هنا ليعلم قبطان باشا ان حبيب السلطان الصافى وهو ملك الفرانسيس لا يمكن له ان يتحمل هذا التعدى بوجه من الوجوه فى المملكة التى تحت يده فى أفريقية لان قدوم دونانمة المسلمين الى تونس يتقوى بها قلب باى قسنطينة الذى عندنا معه فى التاريخ مكالمة وربما كان بيننا وبينه حرب فلاجل ذلك نعلم قبطان باشا أن لا يقدم ويرجع للمحل الذى جاء منه فان صمم وعزم على القدوم فان الامرال واجب عليه أن يصده ويمنعه بالمدافعة القهورية بالقوة اه فانت ترى كيف صرح بالحالة المطلوبة مع تصريحه بان الدولة العلية هى دولة تونس لكنها بامتيازها كما هو صريح عبارته لمن تدبرها فهذه هى السياسة

الخارجية لهذا القطر واستمر عليها الى سنة ١٢٨٠ التى حصلت فيها الثورة العامة
الآتى بيانها ونادى الاهالى بالتشكى للدولة العلية وقدمت شكايات شفاهية وكتابية
لرسولها حيدر أفندى عند قدومه بالاسطول العثمانى مع أساطيل الدول وطلبوا
بواسطته تداخل الدولة العلية فى تحسين ادارة القطر بل ان بعض البلدان طلبوا
الانضمام الحسى للدولة ورفعوا العلم العثمانى وتداخل فى هاته الثورة نواب الدول
كل على حسب ما تقتضيه سياسته فاثرت الحالة فى الوالى ووزيره مع ما هو معلوم من الحالة
السياسية السابقة وانتج الرأى ان يرسل بالشكر للدولة العلية عما فعلته ويطلب منها
تحرير الروابط والامتيازات كتابة بما لم يبق معه مقال لقائل فسافر بذلك الوزير خير
الدين مع التفويض التام وقص على الصدر الاعظم وهو اذ ذاك فؤاد باشا مطالبه
وحصلت مذاكرات مع رجال الدولة عديدة أنتجت الاتفاق على أصول الروابط المبنية
على العوائد المعروفة الآتى بيانها فى نص الفرمان الآتى وتلقى الوزير خير الدين مع
مزيد الترحاب به من الدولة ما يبلغه للوالى شفاها من مزج حلاوة الثناء عليه بمرارة
الاعتراض على تصرفاته التى هوت بالقطر الى الخراب وتلقى ذلك حتى من فم السلطان
عبد العزيز نفسه ثم رجع بمكتوب من الصدر فؤاد باشا محتويا على الاصول
التى وعد بانها سيصدر بها الفرمان الذى صدر الاذن السلطانى به ولم يساعف الوقت
للعجلة بصدوره ثم كتب الوالى بشكر ذلك واستنهض صدور الفرمان مرارا فيرد
الجواب بالوعد وكان جميع ذلك فيرممان به الى سنة (١٢٨٨) وكانت فرانسا
اذ ذاك فى شغلها الشاغل من حرب المانيا لها فاطمأنت ايطاليا من جهتها وظنت
تأثير التباعد من الدولة العلية وسنحت لها فرصة وهى ان وزير الحكومة التونسية
مصطفى خزنه دار اكترى ارضا وسيعة تسمى بالجديدة الى لجنة ايطالية وأرسل
الوزير احد أعوانه الى تلك الارض رائما التسبب لفسخ الكراء مع ما فى نفس ايطاليا
من جهة تونس فادعت اللجنة خسائر حصلت لها من تعدى تابع الوزير لو بسطت من
الذهب على سطح تلك الارض لساوتها وامتنع الوزير من تحمل ذلك فأعلن قنسل
ايطاليا قطع الخلطة وتهدد الوالى وجهزت ايطاليا أسطولها للاستيلاء لولا تعرض
الدولة العلية الذى حجزها عن ذلك وانفصلت النازلة بالشروط التى ارادتها دولة
ايطاليا فى الخسائر التى ادعتها اللجنة ولم تختص بالواقعة فقط بل هى عمومية فتيقن
الوالى ان لا نجاة الا باحكام الوصلة مع الدولة العلية بأمر ما يحصل منه الراحة

فكتب الوالي يستحث اصدار الفرمان وكتب الوزير خير الدين للباب العالي مكتوبا في بيان الاخطار المحيطة بالايالة اذا لم تتدارك الدولة العلية بحفظها فورد الجواب من الصدارة بأن نازلة الفرمان مهما تقتضي ارسال من يعتمد من الوالي للتفاهم في النازلة مع تلميح أو تصريح باستقباح السيرة التي عليها الوالي والصدر اذ ذاك على باشا ففهم رجال الحكومة ان الدولة غير راضية بأن يبنى الفرمان على ما في مكتوب الصدر السابق فوجه الوالي الوزير خير الدين بالتفويض الذي (نصه) من عبد الله سبحانه الموكل عليه المفوّض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله تعالى أعماله وبلغه آماله الى الهمام المفخم أمير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر أدام الله حفظه وأجزل من السعادة حظه (أما بعد) فاننا اعتقدنا ما تحققه من صدقك وأمانتك وكفايتك وجهنا لك للابواب العلية السلطانية العثمانية أعز الله نصرها وأدام الله فخرها للكلام فيما يؤكد أصول عاداتنا المألوفة المعروفة الآن وما تنفصل به مع الدولة العلية في ذلك بالكتابة فهو ماض في حقنا فوضنا لك في ذلك التفويض التام بحيث لم تستثن عليك في ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من معانيه وأقمناك فيما ذكر مقام أنفسنا تفويضا تاما عرفنا قدره والتزمنا به والله أسئل لكم التوفيق والامداد وبلوغ الامال والاسعاد ومع التفويض المتقدم ومعرفة العادات المألوفة فان الوزير المذكور لم يتمم شيأ مع الدولة الا بعد ان عرض على الوالي الشروط التي استقر عليها الرأي للفرمان وقبول الوالي لها مع الاستحسان فتم الفرمان مع الصدر اذ ذاك محمود نديم باشا وقاسى الوزير خير الدين متاعبا من مناضلة رجال الدولة العلية في زيادة شروط الامتياز وناضل الوزير خير الدين عن حقوق البيت الحسيني بما يشهد له بصدق الوفاء والبراعة في السياسة ولم يزد في الفرمان على ما تضمنه مكتوب الصدارة الا قليلا ورجع الوزير خير الدين بالفرمان عالما مع اعلاء رتبته نيشانه واتيانه بالنيشان المجيدي المرصع للوالي ولعدة من كبار رجال الحكومة بنياشين ولما وصل الى مالطة لزمته اقامة مدة الاحتجاب بها حيث كان في الاستانة مرض الكوليرا ومن استبشار الوالي به وشكره على عمله أرسل له أمير لواء العسة مصطفى بن اسماعيل وهو اذ ذاك أعز المقربين اليه فواجهه من خارج محل الاحتجا وأبلغ اليه التشكر وبات ليلة ورجع في البابورة الخاصة التي قدم فيها ولما قدم الوزير المذكور بالفرمان المشار اليه عقد له موكب كان على ما يمكن من المواكب والبس

الوالى النيشان ثم تشرف بالفرمان وعظمه ثم قرأه علنا (وهذا نص) تعريبه بتعريب الباب العالى الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهمات الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى الوالى بتونس الآن الحائز الحامل للنيشان المجيدى الشريف من رتبة الاولى مع النيشان الهمايونى العثمانى المرصع وزيرى محمد الصادق باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين ليكن معلوما عندما يصلكم توقيعى الرفيع الهمايونى انه منذ وجهت وأودعت من جانب سلطنتنا السنيه ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العليه المحروسة المتوارثة التى مهد تلك ذات اللياقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة والخدمة وتنهى الى طرفنا الملوكى الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينا لعلمنا المضئ بالعالم فأمولنا السلطانى على مقتضى الشيم المرضيه التى جبلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضى والجد والاجتهاد فى كل ماينمى عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة أهاليها التبعة دولتنا العليه ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى السلطانى المبذولين فى حقك وان فهمنا وتعرف قدر تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لدولتنا العلية وغواعرانها وتأسيس أبنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البديهيات أن السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤودها صرف الهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتمام استحصال هاته المطالب وورد الطلب المندرج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جانب الخلافة العلية قررت وأبقيت ايالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بعهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشروط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطانى على ماتقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهى الآن فى حالة مضايقة وتأخر فى الواردات لكل من الحكومة والاهالى قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لاهالى تلك الايالة (ولما) كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة لممالكنا الملوكية صدرت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بتونس مرخصا له فى تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية وهما السياسة ان يكون متأهلا لها

وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفي اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كانت سابقا فيما عدا المواد البولتيكية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم في الولاية وتقديم المعروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيرية الهمايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن بشرط أن تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علانية للارتباط القديم الشرعي لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وأن يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبي يرسل العسكر من تلك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ماجرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوارثة مخصوصا بعائلتك على أن تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال فاعلا لما المذكور صدر هذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحا أعلاه بخطنا الهمايوني السلطاني فخلاصة نياتنا الشاهانية انما هي اصلاح حال تلك الايالة المهمة ومالا ل بتكم وتقوية ذلك حالا ومآلا واستكمال أسباب السعادة والرفاهية والامنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني ومأمولنا القطعي الملوكي ان يبذل من جهتنا الجهد في حصول ماذكر بتم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنتنا السنية المحققة بتونس من قديم الازمان وعلى أمنية الاهالي القاطنين بتلك الايالة المودعة بعهدة صداقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوارثة الاساسية المقررة فيقتضي ان تتأكد محافظتها عن تطرق الخلل دائما سرمدا ومتباعدا عن وقوع الحال والحركة على خلافها اذا عرفت ذلك فلابد ان تعرف أنت ومن يقوم مقامك في أمر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدر هاته النعمة العلية الشاهانية وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضاي السلطاني بالغيرة و مزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمانية وثمانين ومائتين وألف ونشر الفرمان في صحف الاخبار وحصل اذ ذاك من عموم

الاهالى أفراح خارقة للعادة فى ذات الحاضرة وفى سائر بلدان القطر وفى سائر قبائل العربان كل بما يناسب عوائده ودامت الزينات أزيد من ثلاثة أشهر متوالية والسبب فى ذلك أما ما يتعلق بالوالى فلاستقرار أمره على أساس متين له ولعائلته طالما سعى فيه من كان قبله ولم يحصل عليه كما تقدم مع الارتياح من مقاصد الاجانب المتنوعة وأما الاهالى فلحصول مرغوبهم من تمام الاتصال بالدولة الاسلامية مع شروط الامن لهم وحسن الادارة فيهم من ولاتهم المتحمين بهم والمحبوبين عندهم وان لم يجر المطلوب فيهم على وجهه مما أبقى الباب مفتوحا فى حقهم ولم يحصل من الدول الاجنبية أدنى انكار ولا معارضة لما تضمنه الفرمان المذكور الا دولة فرنسا فلم توافق على الاعتراف به وبقى الامر على ذلك رسميا الى الآن لكن المقاصد والسيرة الصادرة من الوزير الحالى مصطفى بن اسمعيل وما نشأ عنها من الارتباكات يجهل ما هو منتهاها فالله فيهم علم غيب هم صائرون اليه فهذا هو خلاصة السياسة الخارجية لهذا القطر الى هذا العهد وهو جمادى الثانية سنة ١٢٩٧

تنبيه قد حدثت حوادث مهمة مما أشرنا اليه بعد الفراغ من هذا الجزء نفردها بذيل وحدها ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

﴿ قد تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى ﴾
أوله مطلب فى السياسة الداخلية
من العائلة الحسينية

﴿جدول الاحصاآت﴾

جدول الاحصاآت

الديانة	التجارة فرنك	سكك الحديد أميال	الديون فرنك	الخرج فرنك
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٨٦	٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٦٨٠٠٠٠٠٠
اسلام	٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٩٠٠٠٠٠٠
اسلام	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٠٠	١٢٧٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	م
اسلام	م	لا	لا	٥٤٥٠٠٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	٢١٣٥٠٠٠٠٠	لا	لا	١٧٥٠٠٠٠
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م
اسلام	م	لا	لا	م

الدول	التخوت	السكان عدد النفوس مليون	العساكر وقت الحرب	السفن حربيه	الدخل فرنك
العثمانيه	القسطنطينيه	٢٢٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٨	٣٦٨٠٠٠٠٠٠٠
مصر تابع لها	مصر	١٦٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٣	٢١٦٠٠٠٠٠٠٠
تونس مثلها	تونس	١٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٢	١٤٠٠٠٠٠٠
العرب	فاس	٧٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
الفرس	طهران	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	لا	٦٢٠٠٠٠٠٠
افغانستان	كابل	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
بلوجستان	كيلات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
مقا	براك	٧٥٠٠٠٠	م	م	م
هرات	هرات	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
خوقند	خوقند	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
التركمان	مرو	٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
مسقط	مسقط	٢٠٠٠٠٠٠	م	م	م
رياض وغيرها	رياض	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عرب الجزيره		٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
كشمير	كشمير	١٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م
اتشين	احسين	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الزنجبار	زنجبار	٢٠٠٠٠٠٠	م	٥	١٧٥٠٠٠٠
برنو	كوكوا	٨٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	م
واداي وتوابعها	وره	٤٥٠٠٠٠٠	م	لا	م
فلاتا	ساكاتو	٦٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
تنبكتو وتوابعها	سان سان	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م
عادل وجوارها	هرر	٨٠٠٠٠٠٠	م	م	م
الصحراء الغربيه	كنبرا وغيرها	٢٠٠٠٠٠٠	م	لا	م

اسلام	م	لا	لا	م	
اسلام	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	م	لا	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠	
مشركون	م	م	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	١٩ ٠٠ ٠٠	
مشركون	م	لا	لا	م	
مشركون	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	٢٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٦٥٠٠٠٠٠٠٠	٠٠١٢	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٦٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٢٨٣٥٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٨٤٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٥٠٠٠	٧٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٢٤٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٠٨٠٠	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٢٤٢٩٣٠٠٠٠٠٠	٣٦٦٧٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٢٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠	١٠٦٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٨٠٠٠٠٠٠٠	لا	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٢٦٢٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠	١٩٤٨٠٠٠٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلطه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠	٢٨ ٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلط	تابع		تابع	تابع	
نصرانيه	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠	١ ٨	٢١٥٠٠٠٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠	

النورك	ادلىوعه ها	٤٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
صحراء تيبوس		١٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
الحبشه	ادواح	٥٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
بورما	ممدلاى	٣٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
سيام	بانجوك	٦٥٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	م	م	
كوشين الصين	نوشواشين	٩٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
كمبوديا	بنوم بنه	١٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
الصين	باكين	٥٣٧٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	٣٧	١٨ ٠٠٠٠٠٠٠	
الجابون	جدو	٣٣٠٠٠٠٠٠	٥٠٣٣٠	١٣	٢٩٠٠٠٠٠٠٠	
نيبول		٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
بوتان		١٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
الجبل الاسود	سيتنين	٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠	م	١٥٠٠٠٠	
اليونان	اتينه	٢٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٣٠	٣٦٠٠٠٠٠٠	
ايطاليا	رومية	٢٧٠٠٠٠٠٠	٨٢٩٨٢٧	٨٧	١٩٠٠٠٠٠٠٠	
اسبانيا وملحقاتها	مدريد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢١٦٠٠٠	١٨٢	٥٨٨٠٠٠٠٠٠	
البرتقال وملحقاتها	لزبون	٨٠٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٥٠	١٣٠٠٠٠٠٠٠	
فرانسا وملحقاتها	باريس	٤١٠٠٠٠٠٠	٢٤٢٣١٦٤	١٥٤	٢٦٦٧٠٠٠٠٠٠	
سفيسره	بارن	٢٥٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	لا	٣٧٠٠٠٠٠٠	
بلجيك	بروكسل	٥٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	م	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	
النمسا وتابعها	ويينا	٣٨٥٠٠٠٠٠	١٠٩٤٠٠٠	٧٠	١٠٨٧٥٠٠٠٠٠	
الصرب	بلغراد	٢٠٠٠٠٠٠	٢٢٥٠٠٠	لا	١٤٠٠٠٠٠٠	
الرومانيه	بخارست	٥٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	م	١٠٠٠٠٠٠٠٠	
انكلاتيره	لوندره	٣٠٠٠٠٠٠٠	٥٤١٢٣٥	٣٨٣	١٨ ٠٠٠٠٠٠٠	
الهند التابع لها	كالكوته	١٧٥٠٠٠٠٠٠	٤١١٠٠٠	لا	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠	
بقية مستعمراتها		١٥٠٠٠٠٠٠		لا	تابع	
هلانده وتوابعها	هاك	٢٣٨٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١١٨	٢٢٠٠٠٠٠٠٠	

نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠	٣٥ ٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠١	
نصرانيه	١١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٧٧٠	٢١٢٠٠٠٠٠٠٠	١٣٣٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٥٤٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٦٣٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠	٩٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
نصرانيه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
مختلط	م	لا	لا	م	
مختلطه	م	لا	لا	م	
نصرانيه	٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٧٤٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٧٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	٥٧٠	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	٣٨٧٧٥٠٠٠	لا	م	٨٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	لا	م	م	
نصرانيه	٤٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٧٠٠	١١٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠	١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٢٨١٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	م	م	م	
نصرانيه	م	١٤٠٠	٣٠٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠	
نصرانيه	م	م	م	م	
نصرانيه	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
نصرانيه	٥٢٥٠٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠	١١٦٠٠٠٠٠٠	

المانيا	برلين	٤١٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٧٢	١٣٢١٠٠٠٠٠٠	
السويد والنورويج	استكهولم	٥٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠	١٢٨	١٣٦٠٠٠٠٠٠	
الدانيمرك	كوبنهاغ	١٨٠٠٠٠٠	٤١٠٠٠	٣٧	٧٠٠٠٠٠٠٠	٥٠
الروسيا	سان بترسبورغ	٨٢٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٢٢٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
بالس وماجاورها	اسمار	م	م	لا	م	
تيماني	كوران كوكا	م	م	لا	م	
كرومان		م	م	لا	م	
ليبيريا	برنوفيا	٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
فانتي وما معها		م	م	لا	م	
داهوميه	أبومي	٨٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	لا	م	
اكياس وما معها		م	م	لا	م	
أورنج وماجاورها		م	م	لا	م	
بادحوان	كومان	م	م	لا	م	
المجهول من اوريقيا		١٠٠٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
ماد غسكار	تنانار يفو	٥٠٠٠٠٠٠	م	لا	م	
امريكا المتحدة	واشنطون	٤٢٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	١٧٨	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	
المكسيك	مكسيكو	٩١٣٤٠٠٠	٢٢٤٠٠	٩	١٢٥٠٠٠٠٠٠	
اماريكا الوسطى	الكواتمالا	٢٥٨٠٠٠٠	م	لا	٨٠٠٠٠٠٠	
كلمبيا	سانتي ديبوكوتا	٣٠٠٠٠٠٠	م	م	م	
بيرو	ليما	١٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٣٥	٣٠٠٠٠٠٠٠٠	
برازيل	ريودوجانيرو	٦٥٠٠٠٠٠	٦١١٢٦١	٨٧	٢٨١٠٠٠٠٠٠	
بوليفيا	شوكيزك	٢٥٠٠٠٠٠	م	لا	م	
الشيلي	سانتيا كو	٢٢٥٠٠٠٠	م	م	٨٥٠٠٠٠٠٠	
اروكواي	انفسيون	٣٥٠٠٠٠	م	م	م	
تاكونيا	منتيفيديو	٣٥٠٠٠٠	م	م	م	
ارجانتي	بوينوس ايرس	١٨٧٧٤٩٠	م	م	١١٥٠٠٠٠٠٠	

ملاحظات

كل ما هنا اعتبار لما هو واقع في سنة ١٢٩٧

١١٦٢٥٠٠٠٠ عدد نفوس المسلمين المستقلين بأحكامهم

يضم عليهم عدد نفوس المسلمين الداخلين تحت أحكام غيرهم

٦٠٠٠٠٠٠٠ في الصين

٤٠٠٠٠٠٠٠ في الهند

٨٠٠٠٠٠٠ في الروسيا

٣٠٠٠٠٠٠ في فرانسا

١٠٠٠٠٠٠٠ في بقية الممالك

١٣١٠٠٠٠٠٠

١٣١٠٠٠٠٠٠

٢٣٧٢٥٠٠٠٠

٣٩٧٧٤١٤٩٠ عدد نفوس النصارى

٧٨٩٣٠٠٠٠٠ عدد نفوس الباقي من المشركين وغيرهم

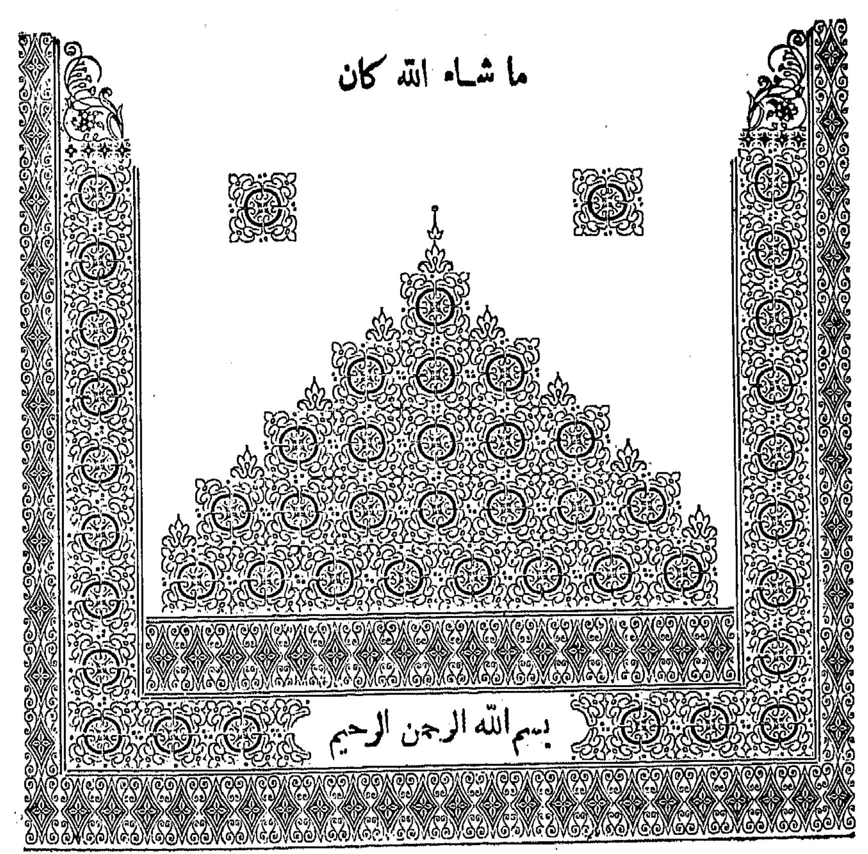
١٤٢٤٢٩١٤٩٠

﴿الجزء الثانى﴾

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الاذكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسى نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة اولى﴾
﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❁ (المطلب الرابع) فى السياسة الداخلية من العائلة الحسينية اعلم انه منذ وليت العائلة الحسينية هذا القطر التونسى كان مدار أمرهم الرفق بالاهالى والخمول والتباعد عن سمات الملك والرفاهية وغاية الالقاب التى تحلى بها اتباعهم وأعوانهم هى (ما يأتى)

❁ فأولها صاحب الطابع يعنى حافظ ختم الوالى ومأموريته ختم المكاتيب ومباشرة المتوظفين فيما لم يباشره الوالى ويكون هو الواسطة بينهما وثانيها باش كاتب وله رياسة الكتابة ومحاسبة العمال والرأى فى كل الأحوال وثالثها خزنه دار وهو حافظ مال الحكومة فى قصر الوالى ورابعها باش أغه وله رئاسة أغوات أو جاق الخيل وخامسها كاهية وله نيابة الوالى فى الأحكام وسادسها أمين الترسخانة ولنظره ما يرجع الى البحرية وسابعها باش حانبه وهو الواسطة بين الوالى والمشتكين اليه مع رياسة الحوانب وهم الأعوان الخيالة للحكومة وهاته الوظيفة منقسمة الى شخصين أحدهما باش حانبه ترك والآخر باش حانبه عرب وهذا له نفوذ على الآخر وثامنها باش مملوك وله

رياسة

رياسة ادارة القصر الأميرى وتاسعها الداى وله الحكم فى الجنايات مطلق الا القتل فهو خاص بالوالى وله حفظ الراحة فى خصوص الحاضرة وعاشرها شيخ المدينة وله الحكم فى الليل وحفظ المدينة ليلا من السراق وترجع اليه سائر المعاملات العرفية وخصومات الاجانب فى الديون كما ان فى كل ربض شيخا لخصوص حفظه ليلا وحادى عشرها آغة القصبة ولها الحكم فى العسكر الينكشارى والجنايات الخفيفة ومثله آغة الكرسى بانحطاط درجته عن السابق وثانى عشرها رئيس مجلس التجارة ومعه عشرة أعضا يسمون العشرة الكبار ولا يجتمعون الا فى مهم كما ان لكل صناعة أمينا يفصل الخصومات المتعلقة بالصناعة وثالث عشرها كاهية دار الباشا وله فصل الجنايات الخفيفة حول الحاضرة فهاته هى أهم الرتب السياسية والعسكرية وأما العلمية فأولها الباش مفتى الحنفى أى رئيس المفتيين ثم المالكى ثم المفتى الحنفى ثم المالكى وقد يزاد على واحد فى كل من المذهبين ثم قاضيان لكل مذهب قاض ثم قاضى باردو ثم قاضى المحلة أى العسكر المسافر مع وارث الولاية ثم قضاة المدن الكبيرة ومفاتيها ثم قضاة المدن الاخرى والجميع مالكية الا ما حدث أحيانا من ولاية مفتى حنفى فى المهدية والمستير فهؤلاء أصحاب الاحكام وهنالك وظائف دينية كالمدرس والامام والخطيب وصاحب الولاية أى الامير يجلس يوميا بمحل يسمى المحكمة صباحا لتلقى المشتكين من العمال والمتوظفين ومن الحرابة وقطع الطريق وامثال ذلك أما نوازل المعاملة بين الناس فهى للحكام الشرعيين ونوازل التجارة لمجلسها والجنايات الخفيفة يباشرها الداى وله الحبس مع الاعمال الشاقة المسمى بالكراكة وله الضرب ثلاثمائة سوط فقط واعظم به من مبلغ سومه الشرع وهكذا كل نازلة فانها ترجع الى حكامها من مرتباتهم مع التوقير التام للحكام أهل الشرع ونفوذ أحكامهم ولو على ذوى المناصب العالية ويجتمع رؤساء المفتيين والمفتيون والقاضيان وقاضى باردو يوم الاحد بحضر الوالى وتورد عليهم سائر النوازل المهمة فى الحقوق الشخصية وليس للوالى الا تنفيذ ما يحكمون به مع غاية التعظيم والتوقير ولا زال طرف من هذا العمل الى الآن بحيث ان هيبة العلماء وتوقير الشريعة لا زالت فى القطر التونسى على بعض ما يجب لها من الاجراء وكذلك سائر الشعائر الدينية ولقد ادركت ان سب الدين لا يمكن ان يكفى عنه بهاته العبارة تعظيما وتوقيرا بل يكفى عنه بسب المنكر وترى الكبير والصغير يقول من سب المنكر أذيب الرصاص فى حلقه كانه هو حكمه المعروف وكذلك سائر العبارات الفاحشة مما يكفى به

عن العورات لاتذكر أبدا ومن يذكرها فى خلواته يعد من السفهاء ولقد تغيرت فى هذا المعنى الحال ولله الامر (وأما) مايتعلق بالجباية وصرفها وقد كان لايؤخذ من الاهالى الا اعشار الحبوب من القمح والشعير ثم عشر الزيت واداء مالى حسب مقدار مرتب العساكر الينكشارية مقسم على بلدان القطر يؤدى على ستة أقساط فى السنة وهو نزر يسير ثم العاشر وهو المسمى فى العرف بالقمرق ثم مداخيل الاراضى والاملاك الراجعة لبيت المال مع ضرائب ضعيفة على القبائل مثل البلدان المار ذكرها عوضا عن زكاة المكاسب يوزعها على أفرادهم مشايخهم وعرفاؤهم كل قبيلة بحسب حالها ولما امتدت ايدى العمال بما يسمونه الهواء وهو أخذ ما يقدمه أهل العمل للعامل برسم الضيافة ثم ما يلتقطه منهم باسم وهبة أى هبة ثم العقاب على الجناية بالمال جعل لذلك حموده باشا على العمال أنفسهم اداء يسمى بالاتفاق هو فى الواقع قسط مما ينهبونه من الاهالى ثم زيد على ذلك ما يسمى بالفضية وهو ما يجعل رشوة للواسطة بين الوالى والعامل وآخذها اما أن يعطى منها قسطا للحكومة أو يأخذ الكل على حسب قربه من الوالى ثم ان جميع ذلك مشروط فيه أن لاتشتكى منه الاهالى فاذا ضجت قبيلة واشتكت للوالى من عاملها عزله حالا ويقال له لم يؤخذ منك مقدار يجحف بالاهالى فأنت تجاوزت الحد ثم يصرف جميع ما تقدم فى مصالح الحكومة والقطر من مرتبات العساكر وأقواتهم وجرايات المتوظفين بغاية الاقتصاد وهى جرايات ضعيفة والناس اذ ذاك مقتنعون بعيدون عن الترف يكتفون بمصنوعات القطر فى اللبس والمسكن والمركب يكفيهم القليل لاسيما العلماء فقد رأيت بخط بيرم الثانى رحمه الله فى حساب خاص بشؤونه بيان مرتباته وجراياته من الاوقاف والحكومة بالغ مجموعها شهريا الى ثلاثين ريالا وسبعة أرباع الريال التونسى وثمنه مع ما هو عليه من جميع وظائفه العلمية وهى رياسة الفتوى ونقابة الاشراف ومشيخة المدرسة الباشية ودرس وذلك فى أوائل هذا القرن نعم كان له كما لبقية المجلس الشرعى جراية من الطعام وهى اثنا عشر قفيزا قمحا ومثلها شعيرا واثنا عشر مطرا زيتا وكان ذلك كافيا له ولعائلته وأبنائه وكانت ولاة القطر من بنى حسين بن على يعتنون بالاقتصاد وحمل الاهالى عليه بأوجه سياسية لطيفة منها ان حموده باشا رأى كثرة لبس الشال الكشميرى أى الطيلسان فى الاهالى فحضر من الشال المصنوع فى جربة عددا ولبس هو منه وألبس رئيس الكتبة أيضا وخرجا بذلك اللبس يوم العيد لتلقى وفود الهناء وللصلاة وكان فى اثناء اقبال الاعيان على هنائه يلتفت الى رئيس الكتبة

ويقول

ويقول جهرة نعم الشال هذا صنع بلادنا فما لنا ولاضاعة أموالنا خارجها والاعيان يسمعون وهم لابسون للشال الكشميري فودوا ان لم يكونوا لبسوه من الخجل حتى ان من سمع منهم قبل الدخول عليه ازاله واستعار من غيره الشال الجربي وانكفوا من ذلك التاريخ عن الكشميري وله وقائع عديدة مثل هاته وهو في الحقيقة أعقل فروع ذلك البيت الذين استولوا على القطر فقد أنشأ فيه ما لم يكن فيه من الحصون والقشل والسفن والذخائر حتى ان مبانيه الخاصة به لم تزل منتفعا بها الى الآن كبستان منوبة الذي صار قشلة للخيالة وداره بتونس المسماة الآن بسراية المملكة وأعانه مقام وزيره يوسف صاحب الطابع الملقب بأبي الخيرات من كثرة أياديه في طرق البر مع الانصاف والاقتصاد الذي لم يكن القطر يتحمل سواه حتى ان حسين باشا لما توسع في الرفاهية زيادة عما تقدم توقفت حكومته في دين قدره خمسة ملايين ريالات أي ثلاثة ملايين فرنك باع بها زيتا سلما للتجار الافرنج ولم يمكنه احضاره لهم فنشأ من ذلك ولاية شاكير صاحب الطابع ✽ الادارة بشروطه الشديدة على الوالي في تقصير يده عن التصرف في المال وفي العمال وأخذ من دار الوالي أغلب ما فيها من فضة وذهب واحتسب على خاصة مصاريفه الذاتية وتحملت الاهالي أول ولايته مظالم مالية الى ان خلص الدين وعمر خزائن الحكومة وموجبات الاقتصاد الكلي هي ضعف واردات الحكومة للاقتصار على الحد في المداخيل الشرعية أو ماله شبهة بها كما تقدم في توزيع جرايات العساكر تحفظا على الديانة وللسير على ما تساعفه الديانة أيضا في غالب الاحوال الا ما ندر كالعقاب بالمال على الراجح من منعه شرعا وأمثاله كما تقدم طرف منه ما دامت الرعايا راضية به ثم ان الاقتصار على ذلك لا يجتمع منه مبالغ تقتضي الترف لان طبيعة أرض القطر ولان كانت غنية غير ان كثرة توالي الحروب عليه والامراض والمظالم في الدول السابقة أفنت من السكان القدر الاوفر فقد نقل بعض المؤرخين ان عدد سكان افريقية في صدر الاسلام ويعني بها ما يشمل برقة المعروفة الآن ببني غازي وطرابلس وتونس والجزائر هو تسعة عشر مليونا مع ان عدد الجميع الآن لا يبلغ ستة ملايين ثم مع قلة السكان ضعفت أعمالهم واقتنعوا بما يسد الخلة وبقيت الارض معطلة لوجوه منها عموم الجهل بصناعة الفلاحة وتعمير الارض وتكثير الاشجار ومنها خوف صاحب الثروة على نفسه وماله فيرى انه يعمل لغيره فينزع منه الباعث ومنها الاكتفاء بما خف لسهولة الرحيل في الفتن ومنها عدم الثمرة اذا كثرت الغلال والحبوب لصعوبة نقلها للمدن وعلى تقدير

وصولها الا تجد لها مشتريا لمنع اخراجها من القطر لاجل الحروب المستمرة مع أوربا الا لبعض
الاجناس أحيانا لوقوع الصلح معه فاذا بقيت النتائج فى البلاد رخص سعرها لزيادتها
✽ على قدر الكفاية واستمرت السيرة على نحو ما مر الى (ولاية أحمد) باشا فأخذت الحكومة
فى طور جديد وتبعها الاهالى على مقتضى قاعدة الناس على مذهب أمرائهم وذلك ان
هذا الوالى كانت له همة عظيمة اكبر من حالة القطر وقد وجد فى ولاية أبيه ابتداء
تنظيم العسكر النظامى فاعتناه وبهم وبمهماتهم وتعظيم رؤسائهم ثم جد فى تفخيم هيئة
الحكومة تفخيما لا يخرجها عن المقام الحقيقى فلم يقل فى مكاتيبه القابا تشعر
بالاستقلال كاطلاق لفظ الدولة والمملكة ولم يطلق على نفسه لفظ ملك متحاشيا عن ذلك
كل التحاشى هو وابن عمه محمد من بعده والغا غيرما لا يمس الحقوق حتى غير الالقاب
✽ المارذ كرها آنفا فى الوظائف الشرعية لقب رئيس المفتين الحنفية محمد بيرم الرابع
بشيخ الاسلام وفى العساكر النظامية صير لها رؤساء على مقتضى أصل اصطلاحهم وأهمها
على الترقى بين باشى ثم آلاى امينى ثم قائم مقام ثم اميرآلاى ثم أميرلوا ثم اميرالامرا
أو فريق وأنشأ النياشين المسماة بالافتخار وجعل له خمسة رتب ثم العليا وتسمى افتخارا
اكبر ومعه شريط من الحرير أخضر يسمى بالفاشه ويلبس على الكتف والصدر
والظهر على هيئة حمائليه ثم نيشان آل بيته خاص بهم ويعطى للملوك وأعيان بعض
الكبراء وشكل للوظائف السياسيه وزراء ولقب كلا منهم بالوزير فى خطاباته الرسمية
الا اذا عرض ذلك فى مكاتيب الدولة العليه فانه يتحاشا عنه وأول من تلقب بتلك الالقاب
فى هذا القطر هم الوزير مصطفى صاحب الطابع وهو رئيس الوزراء عند اجتماعهم
وصاحب التقدم عليهم لسنه وسابق تربيته للوالى لكنه لا تصرف له فى شئ معين ثم
الوزير مصطفى خزنه دار وزير العمالة أى الداخلية والمالية ثم مصطفى أغا وزير الحرب
ثم محمود كاهيه وزير البحر ثم جوزاف رافو وزير الخارجيه وفى آخر مدته لقب الداى بوزير
التنفيذ وهو اذ ذاك كشك محمد وكان كل من هؤلاء الوزراء يباشر بنفسه فيما يتعلق
بوظيفته ولا يتداخل واحد فى وظيفة الآخر بشئ ولا نفوذ لاحدهم على الآخرين
رسميا الا الوزير الاول لكنه لرزانته وخموله وفهمه مغزى الوالى كان يقتصر على
نصح الوالى فيما يراه أو يبدى له رأيه عندما يستشيره وصاحب النفوذ الحقيقى هو
مصطفى خزندار لتقريب الوالى اليه ولان مقتضى وظيفته التعلق بالاهالى والعمال
وجميع أصحاب الادارة وحيث كان هذا التفخيم يستدعى زيادة المصاريف والميل

الى

الى الترف مع ما فى نفس الوالى من الكرم على أهل اصطفائه وكبراء العساكر
دعاه ذلك الى زيادة الضرائب على الاهالى باسماء سموها أثقلت الظهور وأوجبت
الفقر وزعيم ذلك المضمار هو محمود بن عياد باتحاد مع الوزير مصطفى خزندار مع *
انحصار جميع أنواع مصاريف الحكومة فى يده من قوت العساكر وملابسهم وجميع
المهمات للحكومة ولذات الوالى ولذلك وظائف باسماء وهى الرابطة وهى قبض
الاعشار ودفعها والكوشة وهى عمل الخبز والغابه وهى قبض اعشار الزيت وخرجها
والغرفة وهى اشتراء جميع مهمات الحكومة والوالى وانحصر جميع ذلك وغيره فى ابن
عياد وتغاضى الوالى عن المذكور وكادت ان تنحصر فيه ولايات جميع العمال ووظائف
سائر جبايات الاموال لشركة سرية بينه وبين ذى اليد وقدم ابن عياد لاقتداره على
ارضاء الوالى باحضاره فعلا وعدا ما يطلبه من المهمات والاموال وامتدت يده بزيادة
المظالم على ما ترسمه الحكومة باضعاف مضاعفة ومن اشتكى لا يجاب الا بقول الوالى
الخاص مع عامله وتوصل الى كتب الاوامر بخطه سرا هو والوزير ويمضيها له الوالى
من غير علم أحد مع تحسين الوزير لذلك عند الوالى بان ما يربحه ابن عياد يكون خزينة
حاضرة متى ما طلبها الوالى وجدها بالاستيلاء على كسبه وجمع ابن عياد بذلك أموالا
عريضة قدرها رشاردو ودقنسل الانكليز بتونس الذى أقام بها ما ينوف عن
العشرين سنة فى رسالته التى ألفها قدحا فى طريقة تلزيم مداخيل الحكومة بثمانين
مليونا وهو المشتهر على السنة العارفين فى تونس وأرسل ابن عياد تلك الاموال الى فرانسا
واحتال على السراح للسفر الى هنالك للتداوى عندما علم هو وشريكه ان عاقبته وخيمة
وأحس بمباديها وسرحه الوالى ولم يحاسبه الوزير حتى سافر من غير حساب فلما سافر
الى هنالك احتمى بدولة فرانسا وأعلن بعدم الرجوع كما طلب الحماية لشريكه وحصل
على الاذن فيها غير ان دولة فرانسا تفطنت لامره ورجعت عن حماية الوزير وعلمت ان
سببها هو خيانته لبلاده وهو عندهم من أعظم الذنوب كما هو فى نفس الامر لكن ابن
عياد لما تم الشروط الواجبة فى نيل الجنسية الفرانساوية وحصل عليها بالفعل قبل
الاطلاع على أعماله لم يكن فى وسع دولة فرانسا نزع ما ناله اذ قوانينهم لا تسمح بذلك
وعندما علم أحمد باشا بامتناع ابن عياد مع الاموال الذريعة التى نهبها ولم يحاسب على
تصرفه قيض لخصامه الوزير النصوح خير الدين واتفق الفريقان على تحكيم امبراطور
الفرانسيس نابليون الثالث فامر بعقد مجلس من ثقات المعتبرين فى الوزارة الخارجية

للنظر في النازلة وعرض الوزير خير الدين مطالب الحكومة وعرض ابن عياد مطالبه وألف كل منهما نحو ثمانية عشر رسالة في النازلة وأرسى الامر فيها بعد مدة سنين على صدور الحكم من الامبراطور بما ملخصه

﴿ريالات﴾

٠ ١٤١٧١٤٩٥	ثبوت مال عين قبل ابن عياد للحكومة
٠ ٢٠٩٠٢٧٥٠	وثبت عليه أيضا قيمة رسوم بانكه وتذاكر سراح
٠ ٣٥٠٧٤٢٤٥	
ـه. ٧٨٤٥٩٠٧	وثبت لابن عياد على الحكومة
٠ ٢٧٢٢٨٣٣٧	فاذا طرح ذلك من مجموع ما ثبت للحكومة بقي

قبل ابن عياد سبعة وعشرون مليونا ومائتان وثمانية وعشرون ألفا وثلاثمائة وسبعة وثلاثون ونصف كما صدر الحكم عليه بان يحاسب في تونس على الرابطة وغيرها مما لم يمكن الحساب عليه في باريس وقد أفردت هاته النازلة بتأليف مخصوص للوزير حسين حيث كان له خبرة بالنازلة لانه كان بمعية الوزير خير الدين عند خصامه فيها وسماه حسم الالداد في نازلة محمود ابن عياد وما انفصلت هاته النازلة الا بعد ما نشبت في الحكومة نازلة مثلها اذ الوالي مرض في تلك الاثناء بمرض الفالج وطالت مدته واستبد الوزير مصطفى خزنه دار وعوض ابن عياد بالقائد نسيم الذي وظيفته انه قابض للاموال وكذلك عوض ابن عياد فيما يرجع للعمال بسعد بن عبيد وغيره ولم يمكن لبقية الوزراء انهاء الامر الى الوالي لمرضه وبقي الحال على ذلك الى ان توفي ذلك الوالي سنة ١٢٧١ في نصف رمضان ولم يترك على الحكومة ولا دانقا من الدين بالربا ولا بغيره الا ما لا يمكن خلو الوجود منه كدفع أثمان بعض مهمات مما لم يحل أجله ولقد أعان على عدم حصول الدين الوزير خير الدين لان الوالي كان أرسله لعقد قرض في فرانسا عند ارسال العسكر لحرب الروسيا سنة ١٢٦٩ ولم يمكن له معارضته لانه مستبد لكنه تشدد في شروط القرض وسوف حتى توفي الوالي المذكور وساعده وريثه محمد باشا على عدم الاستقراض ومع ما تقدم فاحمد باشا مدة صحته لم يستبد عليه وزير وله مآثر حسنة في القطر أهمها احياء العلم بعد ان كاد يندثر فرتب في جامع الزيتونة ثلاثين مدرسا بجارية قدرها ستون ريالا في الشهر وهذا المقدار اذ ذاك له موقع عظيم لما تقدم لك في مقادير مرتبات العلماء ثم رتب اثني عشر مدرسا أخر بمرتب خمسة عشر ريالا في الشهر وخصص للاولين مواريث

من لاوارث له الراجع ذلك لبيت المال وللثانيين احباسا تلاشت بها أيدى العدوان كما
أقام بالجامع خزائن كتب بها نحو سبعة آلاف مجلد ونتج من ذلك احياء العلم وكثرة
العلماء بالقطر ومنهم فحول يعز نظيرهم ولا زال ذلك مستمرا ولله الحمد ولما ولى محمد باشا فى ✽
سنة ١٢٧١ لم يغير شيأ من فخامة الحكومة لكنه جعل أكبر همه رفع المظالم على
الرعايا وجاب ثروتهم لما كان يتيقنه من المضرات التى كانت حاصلة لهم وأبقى وزراء
ابن عمه على ما كانوا مع ما فى نفسه من حالة مصطفى خزنة دار لكنه غلبه على أمره فيه وزيره
المستنصح لديه اسماعيل السنى صاحب الطابع فكان كالباحث على حتفه بظلفه
عفى الله عن الجميع كما يرد خبره (والسبب) فى ذلك هو تخوف اسماعيل من تقدم أحد ✽
اقرانه للوزارة المعتبرة وهى وزارة العمالة فانفت نفسه من ذلك وواعده وعاهده
مصطفى خزنة دار على الالتحام به وتقديمه على غيره اذا أبقى فى الوزارة فسارع للوالى
وقال له لاغنى لنا عن مصطفى خزنة دار لعلمه بما لم يعلمه غيره من أسرار الحكومة
وأموالها الى غير ذلك ولم يزل به الى ان أقره وعاهده على الصفاء والنصح وأما الوزير
مصطفى صاحب الطابع فقد أبقاه شيخ الوزراء من غير مباشرة وأما محمود كاهيه وزير
البحر فانه توفى وولى عوضه الوزير خير الدين وافتتح الوالى أمره بتنقيص كمية العساكر
بعد انفصال الحرب مع الروسية مع مراعات ضباطهم فابقى فى الخدمة القادر العارف
على قدر الحاجة وجعل لغيرهم نصف مرتب مع ابقاء المقام وكذلك أسقط جميع المظالم
على الاهالى وعوضها باداء واحد على كل فرد ذكر بالغ قادر على السعى وهو ستة وثلاثون
ريالا فى السنة أى ثلاثة ريالات فى الشهر وهى قدر فرنكين الذى لا يجحف باحد مع
امكان ضبطه وضبط أيدى العمال عن التجاوز فيه مع تحجير العقوبة بالمال وعمم ذلك
الاداء على جميع القبائل والبلدان بالسواء ولم يبق عليهم غيره الاعشر الحبوب من القمح
والشعير وعشر الزيت أو عوضه من القانون وقانون النخيل أى الخراج على اعداد النخيل
ولم يستثن من ذلك أحدا الا أهالى المدن الكبيرة وهى تونس والقيروان وسوسه والمستير
وصفاقس فابقى بها أنواع الاداء السابق المختلف الاسماء على أنواع المكاسب وتلقت
الامة ذلك أجمل بالسرور والانقياد الا السادات المعاوين الاشراف من أهالى الوطن
القبلى لعدم سابقية أداء عليهم وكذلك ضبط اعشار القمح والشعير وجعل على كل ماشية
قدرا معينا هو أقل ما يمكن حصوله فى الغالب الا ان يكون قحط بالمرة واذا ثبت القحط
يسقط على صاحبه وذلك المقدار هو ربع القفيز من كل نوع وان زاد العشر الحقيقى على

ذلك القدر فهو موكول الى ديانة صاحبه يدفعه لمن شاء كل ذلك تحاميا عن أبواب المظالم وهكذا رتب اعشار الزيت وجعل لها مكاييل منضبطة ولا يأخذ الا العشر وشيأ يسيرا مقدارا معينا للكراء المعصرة وشدد النكير على العمال فيما اذا امتدت أيديهم الى شئ زائد من الرعايا لانه جعل لهم مرتبات على حسب أعمالهم يأخذونها من الحكومة ولم تنفع جناية العامل قرابته لانه كان صلبا فى الحق حتى عاقب اصهاره بأخذ ما أخذوه من الرعايا وسجن بعضهم بمساكنهم وسجن أتباعهم الذين شاركوهم فى الاخذ وتوسطوا فيه ولذلك انكمش الوزير مصطفى خزنه دار وصار على حذر الا ماندر أوا خر مدة الوالى المذكور وكان هذا الوالى جريا على الحكم ولو بالقتل فيما يراه من الحقوق واشتد خوف الوزير منه باطنا الى ان حصل من أحد أتباع القائد نسيم اليهودى سبا للدين الاسلامى علنا فى مجمع عظيم من المسلمين وكان أمر الدين اذ ذاك وشعائره بالمكان الاعلى على ما تقدم بيانه فاهتزت البلاد تعظيما للخطر سيما وقد رأوا أن الرجل لا تناله الاحكام لانه انما اقدم على مثل ذلك اعتمادا على الاحتماء بسيده الذى هو من خواص الوزير و بلغ ذلك للوالى وقد كان منذ قريب قتل عسكرى بالقتله يهوديا على مقتضى المذهب الحنفى من قتل المسلم بالذمى مع ان احكام قتل النفس فى القطر جارية على مقتضى المذهب المالكى لانه يرى القود بغير الحدود وهو الموافق لحالة أهل القطر ولمذهب أغلبهم وهذا المذهب لا يرى قتل المسلم بالكافر فخالف الوالى عادة البلاد وأجرى حكم المذهب الحنفى فلزمه نظرا للهيجان العام توجيه النازلة الى المجلس الشرعى فحكم المالكية بقتل اليهودى ووافقهم أغلب الحنفية وكتب فيها الشيخ بيرم الرابع بالموافقة مع نقل نصوص مدارها على التعزير المغلظ وقد يبلغ به للقتل وهو المبين فى معروضات أبى السعود وقد تحقق ما ظنته العامة فان الوزير عارض انتصار التابعة فى انفاذ الحكم وطلب من الوالى ان يحكم هو فى الجانى بغير القتل وألح عليه فامتنع لما تقدم واحتال الوزير حتى باغراء قنسل الفرانسيس بالتداخل فى النازلة وأنفذ الوالى الحكم فانتهزها الوزير فرصة ولاذ بفرانسا بواسطة قنسلها الى ان أتى الاسطول الفرنساوى فى المحرم سنة ١٢٧٤ وألح رئيسه وقنسلهم وعضدهم قنسل الانكليز على انشاء عهد الامان ومما استدل به كل منهم عمل الدولة العثمانية بالتنظيمات الخيرية حتى صرح بذلك وزير الخارجية لفرانسا فى مكتوبه المرسل فى ذلك الشأن الى قنسله المأمور بقراءته على الوالى وتفاوض الوالى مع خاصته ووزرائه فى ذلك واستقر الامر على انشاء عهد

الامان

الأمان وقرئ في موكب شامل لجميع المتوظفين وأعيان البلاد ونواب الدول ورئيس الاسطول الفرانساوى (ونصه) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أوضح للحق سبيلا وجعل العدل لحفظ نظام العالم كفيلا ونزل الاحكام على قدر المصالح تنزيلا ووعد العادل وتوعد الجائر ومن أصدق من الله قيلا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى مدحه فى كتابه بالرؤف الرحيم وفضله تفضيلا وبعثه بالحنفية السمحا فبينها تبيينا وفصلها تفصيلا ورتبها كما أمره به اباحة وندبا وتحريما وتحليلا فلن تجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا على معالم الهدى علما لمن اقتدى ودليلا وفهموا لشريعة نصا وتأويلا وأبقوا سيرتهم العاطلة وأحكامهم العادلة أمانا حليلا ونستوهبك اللهم توفيقا يوصل الى الاسعاد برضاك توصيلا وعونا على أمور الامارة التى من حملها فقد حمل عبئا ثقيلا فقد توكلنا عليك والتجئنا اليك وكفى بالله وكيلا (أما بعد) فان هذا الامر الذى قلدنا الله منه ما قلده وأسنده الينا من أمور خلقه بهذا القطر فيما أسنده ألزمنا فيه حقوقا واجبه وفروضا لازمة راتبه لا تستطاع الا باعانته التى عليها الاعتماد ولولاها فمن يقوم بحق الله وحق العباد فمحضنا النصيحة لله فى عباده وأرضه وبلاده والامل أن لا نبتغى فيهم بحول الله ظلما ولا هضما ولا نخرم لهم فى اقامة حقوقهم نظما وانى ينصرف عن هذا القصد بعمله ونيته من يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يحب الظالمين فى بريته فقد قال لنبيه المعصوم الاواب ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والله يرى انى آثرت فى قبول هذا الامر على خطره مصلحة الوطن على ذاتى وعمرت بخدمته الفكرية والبدنية غالب أوقاتى وقدمت من التحقيقات فى الجبايات ما علم خبره وظهر بعون الله أثره فانتشرت الآمال وتشوقت النفوس الى ثمرات الاعمال وانقبضت عن التعدى أيدى العمال واستقصاء المصالح يقتضى تقديم اجمال ومن رامها عاجلة فقد عرضها بسبب التعذر الى الاهمال ورأينا غالب أهل القطر لم يحصل لهم الامنية باجراء ما عقدنا عليه النية وجرت عادة الله أن العمران لا يقع من [illegible] الانسان الا اذا علم ان برأته هى الامن له والامان وتحقق أن سياج العدل [illegible] عنه خوف العدوان وان لا وصول لهتك [illegible] من حرماته الا بقوة الدليل ووضوح [illegible] هان ولا يكفى لتحققه

الواحد والاثنان فاذا رأى الجانى تعدد الانظار غلط ان كان منصفا حدسه وقال ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد رأينا سلاطنة الاسلام والدول العظام الذين على سياستهم الدنيوية اعمال الاعلام فى النقض والابرام يؤكدون الامان من أنفسهم للرعية ويرونه من الحقوق الواجبة المرعية وهو أمر يستحسنه العقل والطبع واذا اعتبرت مصلحته فهو مما يشهد باعتباره الشرع لان الشريعة جاءت لاخراج المكلف عن داعية الهوى ومن التزم العدل وأقسم عليه فهو أقرب للتقوى وبالامن تطمئن القلوب وتقوى وقبل هذا كاتبنا علماء الملة الاركان وبعض الاعيان بعزمنا على ترتيب مجالس ذات أركان للنظر فى أحوال الجنايات من نوع الانسان والمتاجر التى بها ثروة البلدان وشرعنا فى فصوله السياسية بما لا يصادم القواعد الشرعية هذا وأحكام الشريعة جارية مطاعة والله يديم العمل بها الى قيام الساعة وهذا القانون السياسى يستدعى زمنا لتحرير ترتيبه وتدوينه وتهذيبه وأرجو الله الذى ينظر الى قلوبنا أن تستقيم بهذا الترتيب أحوال الرياسة ولا يخالفه ما ورد عن السلف الصالح من اعتبار السياسة وأنا العبد الفقير نجعل لمرضاة ربى بما تطمئن اليه النفوس وتكون منزلته فى النفس منزلة المشاهد المحسوس وتأسيسه على (١١) قواعد الاولى تأكيد الامان لسائر رعيتنا وسكان أيالتنا على اختلاف الاديان والالسنة والالوان فى أبدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة الا بحق يوجبه نظر المجلس بالشورى ويرفعه الينا ولنا النظر فى الامضاء أو التخفيف ما أمكن أو الاذن باعادة النظر (الثانية) تساوى الناس فى أصل قانون الاداء المرتب أو ما يترتب وان اختلف باختلاف الكمية بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته ولا يحط عن الحقير لحقارته ويأتى بيانه موضحا (الثالثة) التسوية بين المسلم وغيره من سكان الايالة فى استحقاق الانصاف لان استحقاقه لذلك بوصف الانسانية لا بغيره من الاوصاف والعدل فى الارض هو الميزان المستوى يؤخذ به للمحق من المبطل وللضعيف من القوى (الرابعة) أن الذمى من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانته ولا تمتهن مجامعهم ويكون لهم الامان من الاذاية والامتهان لان ذمتهم تقتضى أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا (الخامسة) لما كان العسكر من أسباب حفظ النوع ومصلحته تعم المجموع ولا بد للانسان من زمن لتدبير عيشه والقيام على أهله فلا نأخذ العسكر الا بترتيب وقرعة ولا يبقى العسكرى فى الخدمة أكثر من مدة معلومة كما

شعرزه

نحرره في قانون العسكر (السادسة) ان مجالس النظر في الجنايات اذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمة يلزم ان يحضره من نعينه من كبرائهم تأنيسا النفوسهم ودفعا لما يتوهمونه من الحيف والشريعة توصى بهم خيرا (السابعة) اننا نجعل مجالسا للتجارات برئيس وكاتب وأعضاء من المسلمين وغيرهم من رعايا أحبابنا الدول للنظر في نوازل التجارات بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول العظام في كيفية دخول رعاياهم تحت حكم المجالس كما يأتي ايضاح تفصيله قطعا للتشعب الخصام (الثامنة) ان سائر رعايانا من المسلمين وغيرهم لهم المساواة في الامور العرفية والقوانين الحكمية لافضل لاحدهم على الآخر في ذلك (التاسعة) تسريح المتجر من اختصاص أحد به بل يكون مباحا لكل أحد ولا تتاجر الدولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها وتكون العناية باعانة عموم المتجر ومنع أسباب تعطيله (العاشر) ان الوافدين على ايالتنا لهم ان يحترفوا بسائر الصنائع والخدم بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي يمكن ان تترتب مثل سائر أهل البلاد لا فضل لاحد على الآخر بعد الانفصال مع دولهم في كيفية دخولهم تحت ذلك كما يأتي بيانه (الحادية عشر) ان الواردين على ايالتنا من سائر أتباع الدول لهم ان يشتروا سائر ما يملك من الدور والاجنه والارضين مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يتبعوا القوانين المرتبة والتي تترتب من غير امتناع ولا فرق في أدنى شيء من قوانين البلاد ونبين بعد هذا كيفية السكنى بحيث ان المالك يكون عالما بذلك ودا خلا على اعتباره بعد الاتفاق مع أحبابنا الدول فعلى عهد الله وميثاقه ان نجرى هذه الاصول التي سطرناها على نحو ما بيناها واوراءها اليه ان لعناها وأشهد الله وهذا الجمع العظيم المرموق بعين التعظيم في حق نفسي وعلى من يكون من بعدى ان لا يتم له أمر الايالتين على هذا الامان الذي بذلت فيه جهدى وجعلت سائر الحاضرين من نواب الدول العظام وأعيان رعيتنا شهداء على عهدى والله يعلم ان هذا القصد الذي أظهرته وجعت له هؤلاء الاعيان واشهرته هو ما أودعه الله في نيتي واجراء أصوله وفروعه فورا أعظم أمنيتي والمرء مطلوب بجهده ومن عاهد الله لزمه الوفاء بعهده والحق هو العروة الوثقى والآخرة خير وأبقى واستحلف من لدى من هؤلاء الثقات والحماة الكماة ان يكونوا معى في اجراء هذه المصلحة يدا واحدة بقلوب سليمة متعاضدة واقول لهم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون اللهم من أعاننا على مصالح عبادك فكن له معينا وأورده من توفيقك عذبا معينا اللهم اجعل لنا من عنايتك واعانتك مددا

وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا منك الاعانة على ما وليت ولك
الشكر على ما أوليت الهدى من هديت والخير كله فيما قضيت هذه مقدمة أنتجتها
الاستشارة ورآها العبد الفقير ناجحة صالحة فاعنا اللهم ببركة القرآن وأسرار الفاتحة
والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد باشا باى صاحب المملكة التونسية
فى ٣٠ محرم الحرام سنة أربع وسبعين ومائتين وألف صح من كاتبه المشير محمد باشا
باى والله على ما نقول وكيل (ثم عقد الوالى) مجلسا رئيسه الوزير مصطفى خزنة دار
وزير العمالة وأعضاؤه مصطفى آغه وزير الحرب وخير الدين وزير البحر والوزير
اسماعيل السنى والوزير محمد وكاتب أسرار الوالى أحمد ابن أبى الضياف وأذنهم
باستخراج أحكام سياسية تدور عليها أعمال الحكومة واستخراج احكام فرعية فى
الحقوق الشخصية يجرى بها الحكم فى القطر وأذن أن يكون شيخ الاسلام محمد بيرم
الرابع أحد أعضائه فامتنع من الحضور دون مشارك من العلماء الحنفية والمالكية
واستقر الراى على اضافة الشيخ محمد ابن الخواجه المفتى الحنفى والشيخ أحمد بن حسين
رئيس الفتوى فى المذهب المالكى والشيخ محمد البنا المفتى المالكى وهؤلاء الاعلام
الاربعة هم أكبر علماء القطر اذ ذاك فحضروا اولا ثم امتنعوا واكتفوا بان يكتب كل
منهم شرحا منفردا على الاحدى عشرة قاعدة المارذ كرها أبدوا فيها الاحكام الشرعية
المطابقة لتلك القواعد واقتصروا على ذلك متعللين بان الذى بدا لهم من مغزى الجماعة
هو الميل البحت للسياسة الساذجة من غير التفات الى محاذاة الشرع بل وربما عرض
ما يصادم القواطع وحيث كان عمل المجلس على ما يستقر عليه رأى الغالب لم يأمنوا ان
يسند الى المجلس ما يخالف الشرع ويحمل ذلك على عاتقهم والذى تبين لكل من
الفريقين فيما بعد مما ولدته الليالى ان الصواب فى غير مسلكه على ما يتحرر ان شاء الله
تعالى فى الخاتمة ولم يتم هذا المشروع فى مدة الوالى المذكور مع حرص القناسل عليه
وتأكيدهم بانه لا محيص مما أشهدهم عليه بالنيابة عن دولهم ولم يخل الوالى بذلك
لانه محب طبعا للعدل وانما عاقه عن اتمامه الاجل وفى آخر مدته أغراه وزيره بتعاضد
مع روش قنسل فرنسا حيث كان العامل فرانساو يا على ما يأتى وحسنا للوالى جاب ماء
زغوان الذى كان جار يا القرطاجنة فى قنوات من البناء على حنايا بان يجاب على يد جمعية
فرنساو ية فى قنوات من حديد ويوصل الى المرسى والحاضرة وانما يحصل من ثمنه للديار
وللزارع يوفى بالمصروف عليه فى مدة يسيرة وينشأ منه فوائد للزراعة حول الحاضرة

والمرسى

والمرسى وكان الوالى مغرما بحب العمران والفلاحة وبالمرسى أيضا وهى معطشة من قلة الماء الحلو فوافق على ذلك واتفقوا على جلبه وعلى بناء دار القشلات فرانسا بهية خارج باب البحر من الحاضرة بمقدار للجميع قدره اثناعشر مليونا تدفع على اقساط أربعة كل قسط فى سنة بثلاثة ملايين وقد عد بعضهم ذلك مبدأ محن القطر حيث آل الى دين بالربا ولحق انه لا لوم على الوالى فى ذلك لان الحكم على ماهو موجود وعلى اعتبارهم بان الامر على الاستقامة ولا يحمل عليه فساد غيره وان بناءه على شئ من أعماله هو فى نفسه سليما اذ المفسد يبنى فساده على ما يريد والنظر فى الحقيقة للعمل من حيث هو فينظر فيه هل فيه مصلحة أم لا وجلب ذلك الماء على الكيفية المذكورة فيه مصلحة وهو تعطش البلاد فى أغلب السنين لان شربها من المواجل المحبوس فيها ماء المطر ومن بير خارجها ماؤها غير خالص العذوبة تسمى بير كلاب ويستعمل لغسل الصابون مياه فساقى حول الحاضرة لان ابارها ماؤها ملح لا يصلح الا لاستعمال تنظيف البيوت وكثيرا من السنين تحصل الشدة للاهالى من قلة الماء صيفا حتى يبلغ ثمن القلة لمقادير وافرة مع التعب فى جلبه ثم اعزام الوالى بالفلاحة ترغيبا للسكان فى العمران الذى أثر اقبالهم عليها على ما سيرد يستدعى جلب الماء الحلو على ان مالية الحكومة اذ ذاك وافية بذلك المقدار لان الفلاحة التى هى ركن ثروة هذا القطر قد تكاثرت فى تلك المدة واقبلت عليها الناس اقبالا عجيبا حتى غلت أسعار الاراضى ملكا وكراء وغلت أسعار الحيوانات وغلى قرض الأجير المسمى بالخماس غلوا فاحشا حتى بلغ قرض الخماس الى ألف وخمسمائة ريال وذلك لكثرة استغناء الاهالى سيما الاعراب وانفتهم من صناعة الخماسة لاقتدار كل على أن يصير فلاحا مستقلا بنفسه ونتج من ذلك ثروة الحكومة ثروة زائدة على المعتاد مع نقصان المصاريف على العساكر فكان دخل الحكومة فى الاول نحو نيفا وعشرين مليونا فى السنة وبيان تقريبه ما يأتى

﴿ريالات﴾

٠٩٧٠٠٠٠٠ عدد النفوس التى تؤدى الجباية ٢٧٠٠٠٠ على كل نفس ريالات ٣٦

٠٦٠٠٠٠٠ مدخول مكس الغلال فى الحاضرة المسمى فندق الغلة

٠٥٠٠٠٠٠ دار الجلد أى محل دبغ الجلود

٠٥٠٠٠٠٠ كرلة الدخان

﴿ريالات﴾	
٠٦٠٠٠٠٠	كرك السلع الداخلة والخارجة
١٠٠٠٠٠٠	سراح خروج الزيت والقمح والحبوب
١١٠٠٠٠٠	قانون زيتون الساحل وصفاقس
٠٩٠٠٠٠٠	قانون نخيل الجريد
٠٥٠٠٠٠٠	محصولات المدن وغيرها أى الاداء على ما يباع فى الاسواق
٠٥٠٠٠٠٠	لزامات صغيرة فى الحاضرة وغيرها كالحوت والخيل وغيرها
٦٧٥٠٠٠٠	اعشار القمح والشعير على كل ماشية ربع قفيز قمحا ومثله شعيرا وعدد ١٢٠٠٠٠ المواشى فيجتمع من ذلك اقفزة ٣٠٠٠٠ قمحا ومثلها شعير سعر ١٥٠ الاول وسعر ٧٥ الثانى
٠٣٠٠٠٠٠	اعشار الزيت متوسطا كل سنة امطار زيتا ١٢٠٠٠ سعر ٢٥ المطر
٢٢٩٥٠٠٠٠	الجمع

فالحكومة التى دخلها ماتقدم ومصاريفها الاعتيادية لاتتجاوز الاثنى عشر مليونا الان أحمد باشا مع كثرة عساكره ومصاريفها كان دخل الحكومة زمنه نحو خمسة عشر مليونا الى الثمانية عشر ومصاريفها مثل ذلك لانه لم يتداين شيأ ومحمد باشا انقص كثيرا من العساكر فلم يكن مصروفه الاعتيادى مجاوزا الاثنى عشر مليونا نعم له مصاريف غير اعتيادية فيما يخص ذاته وماذا عساها ان تبلغ فاذا دفع من دخل الحكومة ثلاثة ملايين فى السنة مدة أربع سنين لمنفعة عامة لايكون فيه ضرر ولااعتماده على مثل ذلك اشترى له الوزير المذكور مصطفى خزنة دار مصوغا بقيمة خمسة عشر مليونا مقسطا ثمنه أيضا ليكون ذلك ذخرا للحكومة عوضا عما باعه أحمد باشا من ذخائرها الثمينة فى مصاريف حرب الروسيا لان المال الناض يسهل اليه امتداد الايدى بخلاف الجوهرات مع ما فى طبع الوالى من الميل الى طبائع الاقدمين ومنها ادخار المصوغ وهو ولان كان مسرفا فيما يتعلق بذاته وحرمه بالنسبة لاسلافه لكنه يؤثر الاقتصاد للعامة واتباع الحكومة بان يستلطف لهم لكى يقتصدوا فى مصاريفهم فقد قدم عليه المولى الامام الشريف سيدى محمد الشريف فى رمضان وكان محبا للاشراف معظما لهم شنشنة أهل تونس الاسلامية

فأدخله

فأدخله لقصر حرمه محتفيا معه مباسطا ومؤانسا له فعرض فى اثناء الخطاب لومه للشريف على التقصير فى القدوم اليه فأجابه معتذرا ببعد مسكنه حيث كان مسكن الوالى بالمرسى وبتعب الركوب على ظهر مركوب للوصول اليه لانه ليست له كروسة أى عجلة فاجابه الوالى بان مثله للكروسة مضر لما يلزمها من المصاريف السنوية وهو لا يبخل عليه باعطاء كروسة له بلوازمها ولكنه يخشى عليه كثرة مصاريفها فلذلك رأى أن يعطيه ثمنها وثمن ما يجرها على شرط ان يشتغل به فى ماله ويدخل فى مصالحه وأما ركوبه فانه مهما أراد الركوب يرسل اليه ليبعث له كروسة ليركبها وأعطاه خمسة آلاف ريال ولعمرى انها من نصح الاصدقاء وله فى مثل ذلك كثير من المساعى سيما فيما يعود الى تكثير الفلاحة وغراسة الزيتون والاشجار من الاهالى حتى رغب أهالى الحاضرة أيضا وأنشأ وافى مدته القصيرة ما ينيف على الستين ألف شجرة من الزيتون فى أرض تعرف بهندى خوجه من مرناق وتوفى رحمه الله ولم يترك على البلاد ولا دانقا دينا بل ترك الاموال المقسطة فى مقابلة الاشياء المار ذكرها وبقايا أثمان أشياء مما لا يخلو الامر عن مثله مع انه ترك خزائن من الحديد مملوأة بمسكوكات الذهب التى أنشأ ضربها كما ترك خزانة مهمة جدا ملآنة بالمصوغ والياقوت الابيض المسمى بالالماس أو الديامنت المتجمع من النياشين التى أبطلها وأخذها من أصحابها وعوضها بنياشين من الفضة على حسب مجرى الدول وعوض أصحاب الرتب العسكرية علامات فى أعناق لباسهم وقد كان كل من أرباب نياشين الافتخار ومن أهل الرتب العسكرية له نياشين من الديامنت مختلفة النوع والنفاسة على حسب الرتب فمنها نيشان يبلغ خمسة عشر ألف ريال ومنها دون ذلك وهى كثيرة جدا فاجتمع منها مع ما اشتراه مقدار وافر يعرف ذلك كل رجال الحكومة وأتباعهم بل وجميع آل بيته واستولى أخوه محمد الصادق باشا فى (٢٤) صفر سنة (١٢٧٦) ولما كان هذا الوالى يتقى الصعوبات ويأتمن من يرى أمانته ويطلق له التصرف من غير معارضة كانت الوقائع تختلف فى مدته اختلافا بينا بحسب الوزير الذى بيده التصرف مع ان الوالى متحد فلذا لزم ان نذكر كل وزير بانفراده والوقائع التى جرت مدة ولايته ومساعيه لان الوالى يأتمنه ويعمل على رايه وهى القاعدة الجارى بها عمل الممالك المتمدنة لو تمت شروطها وهى جعل محتسب من الامة لمراقبة أعمال الوزير حتى لا تضر به ولا بالامة غير انه ينسب الى الوالى تفخيم أمر الحكومة فاطلق عليها لقب الدولة وعلى نفسه لقب الملك وأدمج ذلك فى ألفاظ القانون المسمى بقانون الدولة ووزع منه

نسخا على سائر الدول ليكونوا شهداء عليه وسلم بيده الى يد الامبراطور نابليون الثالث نسخة منه عند الاجتماع به فى الجزائر وكتب تلقيب وزرائه باسم الوزير فى مكاتيبه للدولة العلية وقيل له فى ذلك من بعض رجال حكومته فقال الدولة لها السيادة علينا وطاعتها واجبة ولكن لا نهين أنفسنا وكذلك اخترع زيادة النياشين وقلدها نفسه ورجال حكومته وغيرهم فمنها نيشان العهد وهو مرصع بالياقوت الاحمر والاخضر جعل للابسه قانونا وعددا ويتبعه شريط أبيض مثل الذى سبق ذكره فى اختراع أحمد باشا ومنها نيشان عهد الامان على شكل آخر وخصصه بأصحاب المباشرة فى الوزارة الى غير ذلك من الاشياء التى مدارها على الابهة مع رأفة نفسه ورقة قلبه وأول ما افتتح به حلفه باليمين اللازمة فى قبول بيعته على مقتضى عهد الامان وسرد عند البيعة العامة التزاما نصه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تبارك من جعل الامان أقوى أسباب العمران والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان (أما بعد) فيقول العبد الفقير الى ربه المشير محمد الصادق باشا باى وفقه الله لما يرضاه وأعانه على ما أولاه انى قبلت البيعة من الاعيان الحاضرين على ما وقع الالتزام به فى العشرين من محرم الحرام سنة (١٢٧٤) من المرحوم المقدس أخينا المشير سيدى محمد باشا باى وهو عهد الامان لسائر السكان على الاعراض والاموال والاديان وما حواه من القواعد واللوازم والاركان وحلفت وأحلف بالله وعهده وميثاقه على مقتضاه وان لا أخالفه ولا أتعداه وهذا الكلام صدر منى ونقله الناطق به عنى وخطى وختمى فيه أقوى شاهد وأوضح اعلان لكل من حواه هذا الديوان وسائر الرعية والسكان وعلى مقتضاه عليكم السمع والطاعة ويد الله مع الجماعة حرر يوم السبت الخامس من صفر الخير سنة (١٢٧٦) ثم التفت الى الوزراء فوجد الوزير مصطفى خزنه دار هو صاحب الشفوف على الكل لالتفاف أغلب أتباع الحكومة عليه وانقيادهم اليه رغبة ورهبة لما له من اليد وكذلك قناسل الدول فسلم اليه أمر الحكومة ولقبه بالوزير الاكبر وبقى منفذا لرأيه ملازما للسير على نهجه فى كل أمر حتى فيما يعود الى خاصة ذاته فكثيرا ما كان يلبس الوالى ثيابه ويتقلد بمنطقته تهيئا لركوبه الى الحاضرة فى كل يوم من رمضان لكون عادته ذلك ويبقى منتظرا للوزير ليركب معه لانه لا يركب دونه فيرد عليه رسول الوزير معتذرا له بأنه غير قادر فى ذلك اليوم على الخروج لمرض أو شغل

فيلوى

فيلوى الوالى عزمه ولا يتوجه للمحاضرة وحده وكان لا يباشر فيها شيأ من الادارة وانما يذهب لمجرد التنزه والتفرج على الاسواق من شبابيك قصره وحيث علمت ما تقدم نذكر لك بعض حالات هذا الوزير وما طرأ من تصرفاته كما نذكر لك غيره من الوزراء

* ﴿المطلب الخامس﴾ في وزارة مصطفى خزنه دار (اعلم) انه رجل أصله من قرية قرب ساقس جلب الى تونس وسنه دون العشر سنين وأخذه أحمد باشا وربّاه وتعلم القراءة والكتابة وبعض الفروض العينية كالتجويد والوضوء والصلاة ونشأ على مسايرة أخلاق سيده بشوشا غير متفحش غيورا على من انتمى اليه جالبا لهم الارباح بكل وجه كما أنه كان غيورا على تقرب أحد من الوالى ومع ذلك كان كثير الاعتقاد في الصالحين ومن انتمى الى معرفة المحدثان مواظبا على قيام الثلث الاخير من الليل وله فيه أوراد مخصوصة الى ان يصلى الصبح ثم ينام وكان أولا قبل كبر بنيه ذا كرم كثير العطاء لحاشيته ثم صار شحيح النفس حريصا على الامساك والتقتير ولم يعهد انه باشر أحدا بشتم أو كلام منكر مدة وزارته على طولها وهى خمسة وثلاثون سنة الارحلين يقال لاحدهما على زيد وللآخر عثمان هاشم وكان لا يقدم اليه أحد يطلب شيأ منه الا يعده بقضاء حاجته كيفما كان حالها مع أنه ربما كان الوفاء ببعضها غير ممكن وقيل له في ذلك فأجاب بأن سليقته تأبى أن يقنط الطالب ويؤيسه بل يصرفه بالوعد وان كان عازما على عدم اعطائه ويرى أن تعليق الآمال أولى من الاياس منها ولذلك كثيرا ما حصل منه الخلف بما يعد وصاهره أحمد باشا على أصغر أخواته ثم ولاه خزنه دار ثم لما أحدث أحمد باشا القاب الوزراء ولاه وزارة العمالة وهى عبارة عن التصرف في الداخلية فراكن اليه محمود بن عياد وتشاركا سرا حتى صار المحتسب والمحتسب عليه شريكين وحصر دخل الدولة وخرجها في محمود كما تقدم وللنجاة بما حصلا معا سهل خروج محمود الى فرانسا من غير حساب وخانه محمود فأظهر عقد الشركة مع مصطفى خزنه دار وطلب على يد مجلس الحكم الزام الشريك بدفع نصف قيمة السلع المجلوبة لصالح الحكومة واستولت هى عليها بعد خروجه من تونس وعرض هذا الحكم على الوزير مصطفى خزنه دار بواسطة قنسل فرانسا في تونس كما أظهر ان شريكه خزنه دار كافه بطلب حماية فرانساله كما قرره في الصفحة الرابعة من الرسالة الاولى التى عرضها على مجلس التحكيم وبعد ان كاد يحصل على الحماية عدلت فرانسا عن ذلك والحال انه لم يبدله من سيده موجب لذلك بدليل بقائه على منصبه وتصرفه الى ان مات سيده ثم بعد سفر محمود بن عياد استعوضه بسعد بن عبيد وجعله سمسارا على بيع

الوظائف فكان المتولى يدفع ما اتفق معه عليه والمعزول يغرم ما يدعى به عليه أهل
عمله مع كونه مضطرا اليه لانه ما دفع المال لشراء الوظيفة الا ليربح ما يتعيش به وما
يدخره للمستقبل وعظم بذلك الخطر والفقر على الرعايا حتى شاهدت قبيلة أولاد عيار ان
كثيرا منهم يستاقطون حب الزيتون بالاجرة لاربابه وعندما يتم عملهم يأتون الى
الفلاح ليحاسبوه عما تجمع لهم من المال ومعهم أحد أتباع هذا العامل فيحصى لهم جميع
أجرهم بعد اخراج مقدار ما أخذوه لقوتهم ويرسله الفلاح معهم الى دار العامل ليقبضه
لانه حاجر عليهم فى قبضه وأشباه ذلك كثيرة كما انه استعوض عن ابن عياد فيما يتعلق بشراء
مهمات الحكومة ودفع أموالها أناسا منهم عطية الذى وقع منه أمور عجيبة منها انه
ولى على اعشار الزيت ودفعها فى مصار يفها المعينة ومنها الاجحاف فى مؤنة العساكر
فكان يدفع اليهم الردىء من الزيت زيادة على مضاعفة الكيل من الدافع بل من سوء
عمله انه كان يدفع للعساكر أوساخ الزيت الذى يحمل فى قفاف الحلفة ولا يسيل منها كما
كان يحك ما لصق بحيطان مراجل الزيت ودنانه المسماة بالجرار وما تجمع من ذلك
الدسم الوسخ يغلى فى الماء السخن ويدفع للعساكر على انه زيت والارباح التى تحصل
لعطية كان يصرفها لمصالح الوزير خزنه دار ومنها انه ابتدأ فى بناء جامع قرب باب
القرجانى ونسبه الى نفسه مع أن المصروف عليه من مال الحكومة بعض منه على يد ابن عياد
والبعض الآخر كان صرفه على يد عطية المذكور والدليل على ان ما صرفه لم يكن له أنه
مات مفلسا ومع ذلك لم يتم الجامع الى الآن وقد بنى الوزير خزنه دار سبيلا ببطحاء القصبة
ووقف عليه حوانيت بجواره ولا زال مستمرا الى الآن وقد استعوض عن ابن عياد أيضا
القائد نسيم شمامة وجعل وظيفته كونه قابض الاموال وكان يشترى المهمات بسعر
ويحتسبها على الحكومة باضعاف كما انه حصل بواسطة الوزير المذكور بناء لعدة
زوايا فمنها تجديد زاوية الولى الصالح القطب سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه
الكائنة بجبل الجلاز بنيت على شكل حسن متقن حيث كان الوالى اذ ذاك أحمد باشا
تلميذا للشاذلى رضى الله عنه وكذلك جدد بناء زاوية الولى الصالح سيدى على الحطاب
رضى الله عنه الذى هو أحد تلامذة الشاذلى الكبار وهى فى الجهة الغربية من تونس
تبعد عنها ثمانية عشر او عشرين ميلا فى الوطن المسمى بالمرناقية وبنيت أيضا بناء حسنا
ومنها زاوية الحاج على شيحه الكائنة قرب الحلفاوين من ربض باب سويقة من
حاضرة تونس وهو منتسب للولى الصالح سيدى عبد السلام الاسمر رضى الله عنه وبنيت

بناء

بناء حسنا ومنها تجديد بناء زاوية الولى الصالح ملاذ أهل تونس وعمدتهم سيدى محرز بن خلف رضى الله تعالى عنه وهو رجل كبير فى العلم والصلاح من كبار رجال مذهب الامام مالك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبنيت بناء حسنا وما صرف على جميع ذلك من مال الحكومة كما انه استوهب من الوالى محمد الصادق باشا سبخة السيجومى التى بقرب الحاضرة من الجهة الغربية الجنوبية وأنفق على تنشيفها عدّة مئين من الالوف من مال الحكومة وحفر لذلك خندقا يمرّ فى واد بين جبال المحل المعروف ببئر القصعة ثم يمرّ على الوهاد المعروف ببحيرة باش حانبه ثم يصل الى الأرض المعروفة بدار ابن عروس وهنالك ينهمل الماء المنحدر من السبخة فحصل بذلك تلف الاراضى التى على مصب ذلك الخندق لانه لم يجعل لها سبيلا الى الوصول الى البحيره مع كون مائه ملحا اجاجا وتعطلت عند مصبه الطريق الموصلة الى مرناق والى حمام الانف ثم ماوالاه من الجهة الجنوبية فى وقت الشتاء لتعطل طريقه الاصلى من الوحل فصار الطريق الشتوى أيضا اما معطلا أو صعبا جدا مع ان نفس السبخة لم تنشف لان ارتفاع قعرها على سطح البحيرة انما هو نحو ميترين ونصف فقط ويلزم لانحدار الماء فى الاقل صانتى ميتر لكل ميتر وطريق الخندق لما كانت طويلة لم يكن فيها الانحدار المطلوب فلم تنشف السبخة وقد أنذر بذلك أحد حذاق المهندسين وقال لا يمكن تنشيفها الا بنفق تحت جبل المنوبية لقرب المسافة الكافية للانحدار فلم يعمل بقوله ولم يحصل المقصود وبقى الامر على ذلك الى ان سد الخندق فى بعض جهاته باذن الحكومة فى وزارة خير الدين لرفع الضرر عن الطريق وعن الاراضى المشار الى جميعها كما شرع فى عمل طريق صناعى بين تونس وحلق الوادى فعمل فيه من جهة حلق الوادى نحو أربعة أميال ومن جهة تونس نحو خمسة أميال ثم ترك فأما الذى من جهة حلق الوادى فأبطله جمعية طريق الحديد وأما الذى من جهة تونس فلم يزل منتفعا به لكنه محتاج الآن الى التدارك بالاصلاح لانه ضرورى فى وقت الشتاء حيث ان الارض التى يمرّ عليها المسماة بالخضراء صعبة المرور لكثرة الوحل ولما ولى محمد باشا وأقرّ الوزير المذكور بمعاضدة الوزير اسماعيل السنى حصل الاغراء للوالى على محمد المرابط أمير امراء عساكر القيروان وصهر أحمد باشا وعلى صالح شيبوب أمير لواء عساكر غار الملح وغيرهما من خاصة أحمد باشا من أبناء البلاد فنزعت رتبهم واستؤصلت جميع أموالهم وسمع الثقات من وزراء أحمد باشا الحاضرين مواطن الاغراء شدة انفعالهم من ذلك ولما وقع استقراره بالوزارة عند محمد باشا بواسطة

مائة ثم أراد أن يبرهن على صدق ماوسمه به الوزير اسماعيل السني من الصدق والنجابة وعلم مالا يعلمه غيره فطلب من الوالي عمل حسابه عما مضى وبعد اتمامه جاء بالدفاتر وبتلخيصها وعرضه على الوالي محمد باشا ورأيت في صفة الموطن بخط الوزير ابن أبي الضياف ما نصه وقال له بحضر الوزراء ورجال الدولة هذا حسابي قد مضت في مدة خدمتي ماهو مرقوم في هذا التلخيص وصرفت في المدة ماهو مرقوم أيضا وكان المصروف أكثر وأنا غير طالب له ولم أدفعه من مالي وليس على دولتك المباركة دين فقال له بعض الحاضرين من الوزراء بديهة أنا أول قادح في هذا الحساب ومن أين جاءت هاته الزيادة فأجابه الوزير بلين وسياسة لك أن تنظر في فصول القبض هل نقص منها شيء وفي فصول الدفع هل زاد فيها شيء وماوراء ذلك نتيجة أصابعي ولي أن أطلبه لو استحللت الخيانة ولهذا أتيت بالدفاتر ليطلع عليها كل من يريد الانتقاد فخجل القادح الخ والكاتب المذكور عالم بالبلاغة حيث ورى بقوله فخجل أي خجل من الجواب لانه قبل ان المال من الاشياء التي لاتمويه ذاتها فالقسمة العقلية اما أن يكون من فصول المقبوض شيء لم يرسم كأن يكون المقبوض من الطوارئ التي لاتنضبط كالاخذ من العمال زيادة على الموظف أو يكون بعض وجوه المصروف لم تصرف حقيقة أو يكون المقدار الحقيقي منها دون مارسم في الدفاتر أو يكون الدافع دفع من عنده أو اقترض وهذان الاخيران قد اقر الوزير بعدمهما واقرار الانسان ماض عليه فلزم بالضرورة أحد الوجوه السابقة ولعلها هي المرادة بقوله بأصابعي ثم انه في مدة محمد باشا لم تقع مظالم الرعية من العمال لما تقدم من سيرة ذلك الوالي وانما يقال انه جعلت له حصص من المال والمصوغ جعلا من الجالبين لماء زغوان وباني المصوغ ليكون العقد بتلك المقادير وفي آخر مدة الوالي المذكور لما رضخت قدمه حصل الاخذ للوزير من بعض العمال بدعوى انه مع تشديد الوالي في قبض أيديهم لابد أن يسرقوا وجعل السمسار رجلا يقال له خليفة الساسي مشاركا لسعد بن عبيد مع التحذير من ان يظهر أدنى تشك من الرعايا وقد أدركت المضرات حذاق القطر حتى قال أحد العلماء قصيدة يستغيث بها القطب الصالح سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه لما دهي القطر من تلك الاعمال

(مطلعها)

كادت تنبطر جاهها بالياس * مهج فغوثنا يا أبا العباس

(الى ان قال)

انا

انا اليك نبث ماقد نابنا * من مكر ذى شر شديد الباس
درب على فعل القبائح قائم * بالجور ناء عن مدى القسطاس

﴿ثم قال﴾

نشبت مخالب كيده فى قطرنا * وبدت مضرته على أجناس
ومراده والله يمحو رسمه * الحاقه بالأربع الادراس
خفيت مدارك كيده فتحيرت * فى غورها النبها من الاكياس
حار اللبيب ولم يفد تخمينه * مع ضربه الاخماس فى الاسداس

﴿ثم قال﴾

واستأصل الاموال من أربابها * ورماهم بالذل والافلاس
كل تراه وقد أمض فؤاده * يشكو القديم وللجديد يقاسى

الى آخرها وهى طويلة مع أن التباعد بين وظيفة المشتكى والمشتكى منه مما يؤيدان الشكوى عن غير اغراض شخصية ودليل صدقها الخارج ثم لما استولى محمد الصادق باشا وكان الوزير يخشاه لما هو مشتهر عنه من الصلابة جد الوزير فى اتمام قوانين عهد الامان سيما واليد كانت فيها جائلة من قبل للاطمئنان على نفسه بدليل ما جرى بعد وأظهر ميله اليها لعموم العدل لكى يستعين بمحبى الانصاف على انفاذها فتممها وشرع فى العمل بها فى ١٥ شوّال سنة ١٢٧٧ وحلف الوالى على انفاذها وعدم مخالفتها وكذلك سائر المتوظفين واستغرقت جميع مداخل الحكومة فى المصاريف التى عظمت وكثر المتوظفون والكتبة على ما تستدعيه القوانين وزيادة ووفرت المرتبات على نحو غير معهود فى القطر حتى صار لذات الوزير بخزنه دار من المرتبات ما بيانه فى السنة

ريالات	
١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة العمالة
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٠٦٠٠٠٠	مرتبه على نيشان آل بيت الوالى الذى هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجمع

مع انه يصرف مصاريف غير ذلك من أموال الحكومة كما تبين من الحسابات فى الحكومة

وجعل القائد نسيم لايدفع لمن يطالب مالا من الحكومة الا باسقاط مقادير رابحة زيادة على الارباح من شراء المهمات واستغرق بمثل ذلك جميع مداخل الحكومة ثم جعل جميع المال المطلوب للعاقدات المار ذكرها من ماءزغوان وغيره دينا بالربا واستقرض له مبلغا بالربا من أوروبا قدره نحو تسعة عشر مليونا فرنكا حسبما هو محرر بالتقرير المعمم بخطه وخط المجلس الاكبر وقد برح اذ ذاك الخفاء وبان لعقلاء رجال الحكومة سوء تصرفاته فكان أعظم المضادين له من كان أكثرهم قربا اليه وألحوا عليه فى الكف عن تلك السيرة فصار لهم بالمرصاد وصار يشينهم عند الوالى ويقدح فيهم ضد ما كان يقول فيهم لانه علم حالة الوالى وانقياده اليه ورام نقض القانون أو ابقائه صورة لان مقصد الامن على خصوص ذاته قد حصل بجريان الوالى على رأيه وابعاده كل أحد عنه الا الخدمة لخدمة ذاته واشتدت المشاحنة بينه وبين الوزير خير الدين الى ان استعفى من وظائفه ثم تبعه الوزير حسين والوزير مصطفى أغه والوزير رستم وخلا الجو لخزنه دار وأخذت السيرة فى طور آخر جديد ورام ان يضاعف أداء الجباية على الاهالى ويصيرها اثنين وسبعين ريالا على الرأس عوضا عن الستة والثلاثين ريالا التى أسسها محمد باشا وطلب موافقة المجلس الاكبر فامتنعوا واستبد هو بامضائها مع تحذير العقلاء له فلم يلتفت اليهم مع ان الاهالى فى ثروة من أثر سيرة محمد باشا تقويهم على الدفاع عن انفسهم مع ما استأنسوا به من تلك السيرة وسماعهم بأن العدل والانصاف قد شملهم بالقانون وان لهم الكلام على حقوقهم فامتنعوا قاطبة وأراد غصبهم على ذلك فثار القطر كله ثورة واحدة لم تعهد من قبل على غاية من الرياضة والامن بحيث لم يتعرضوا بالاذية لاحد مع أمن السبل وكثرة الغادى والرائح وضبط كل جهة بعض أهلها لردع السفهاء وحفظ الراحة والامن وكان متولى أكبر الجهة الغربية والمتفق عليه أكثر قبائل الاعراب رجلا يسمى على بن غذاهم وذلك سنة (١٢٨٠) ولا زالت هذه الثورة تسمى ثورة ابن غذاهم وكاتب الجهات بانا اخوان ووطننا واحد وليس المراد منه الافساد فالواجب حفظ الامن والراحة وتأمين السبل ولا نتعرض لاحد بشئ سوى اتباع الحكومة فاذا أرادوا غصبنا على الظلم ندافع عن أنفسنا وأنذرت القبائل عمالهم الذين كانوا بين أظهرهم فمن أراد منهم التوجه الى الحاضرة أوصلوه بأمان ومن أراد الاقامة منكفا عن التداخل فى أمرهم أبقوه بأمان ولما توجه أمير الامراء فرحات الى الكاف لاجبار قبائل ما جرى على ذلك الاداء تعرضوا له وقتلوه فشدد النكير عليهم على بن غذاهم وقال لهم أصل اتفاقنا انما هو على الدفاع عن أنفسنا وما ضركم

قدوم

قدوم الرجل الا اذا حاربكم فدافعوا عن أنفسكم وكاتب المذكور رئيس الفتيا العلامة الشيخ أحمد بن حسين وطالب منه التوسط فى الصلح مع الحكومة وحاصل مطالب الجميع ابطال الاداء الجديد وعزل الوزير مصطفى خزنه دار ومحاسبته فامتنع الوالى أولا من جميع مطالبهم واشتد الكرب على الحكومة حتى لم يبق أمر الوالى نافذا الا فى الحاضرة ونحو اثنى عشر ميلا حولها واشتد الخوف فى الحاضرة وقدمت اساطيل الدول وأسطول الدولة العثمانية وفيه رسول سياسى انزل فى قصر المملكة بالحاضرة وتداخلت نواب الدول فى النازلة وفى قبائل القطر وبلدانه كل بما يوافق سياسته وكان من جملة الحاح قنسل الفرانسيس على الوالى لارجاع الراحة عزل الوزير خزنه دار لكنه خاطبه بذلك شفاها كما هو مشهور فى البلاد ورأيته بخط الوزير ابن أبى الضياف وأصر الوالى على الامتناع الى ان أحضر الوالى معسكرا قليلا وجهه تحت رياسة اسماعيل السنى ليميل الاعراب له لصدقه ثم خلفه الوزير رستم عند مرض الاول ووقع الاتفاق مع جمهورهم على اعطاء الوالى الامان الى الجميع واسقاط الاداء المطلوب وعفا الله عما سلف وكتب الوالى بذلك أوامره وباشر باعطاء الامن كل من وفد عليه من الرؤساء وانتهز الوزير الفرصة لابطال القوانين بدعوى ان الثورة قامت لطلب ابطالها وما سمع ذلك من أحد لان أصولها لا تنافى الشريعة وغاية ما تكلمت فيه الناس هو فروع منها وذلك انهم أنكروا كون قوانين الاحكام الشخصية لم تكن شرعية فى كثير من المسائل ونسب الجهلاء الى انها كلها مخالفة للشرع لجهلهم ولرؤيتهم هيئة الحكم على خلاف ما تعودوه فى هيئة الاحكام الشرعية وللتصريح بقصر الاحكام الشرعية على أبواب خاصة دينية ولعدم ادخال الحكام الشرعيين فى الحكم بالقوانين ولان بعض من ادخل فى الحكام لا جدارة له بها حتى خرج عن طوره بما لم تحمله انفس المعاصرين ولانه أجريت القوانين دفعة واحدة فى جميع الانحاء حتى فى القبائل التى لم يوجد ان يوظف فيها من يعرف القراءة والكتابة التى هى ضرورية فى المتوظف وصاروا يخبطون خبط عشواء وكذلك مل الاهالى من التطويل الزائد فى الاحكام على ما هو عادة الاشياء فى مبدئها فهو فى الحقيقة ارادة لاصلاح نفس القوانين لا كره ذاتها بدليل ان المجلس الاكبر لم يتعرض له أحد من العامة والخاصة بالقدح فيه الا بعدم اشتماله على افراد من جهة المملكة حذاق لكى يعرفوا بما يليق بأحوال اطراف القطر والحال ان المجلس الاكبر هو روح القوانين لمحافظته على أساسها الكن الذى لم يكن له قصد سوى الامن على نفسه

وقدوجد الوالى لايخشى منه أشاع هو ومن كان على شاكلته ان الناس يطلبون ابطال القانون وقد اعقدت تلك الاشاعة وابطل القانون والدليل على ان الناس لم يطلبوا ذلك المكاتيب التى أرسلها قنسل الانكليز تعجيلا على ابطال المجالس ومفهومها قاض بموافقته قنسل فرانسا على ذلك وان كان سر الامر والاغراء من قنسل فرانسا بابطالها لما ذكر فى سياسة فرانسا بتونس ونص تعريب مكتوب قنسل الانكليز الاول فى فبراير سنة (١٨٦٤ م ١٢٨٠ ﻫ) المعروض على جنابكم الرفيع انى نرى من الواجب على ان نذكر جنابكم فى هذا الوقت الذى أحواله الزمت جنابكم الرفيع توقيف تراتيب الحنان المؤسسة على الحرية فى بلادكم فان هاته التراتيب وقعت الوصاية فى شأنها وكان ترتيبها بملاحظة الدولتين الحبيبتين الانكليزية والفرنساوية وجنابكم وعدهما اذ ذاك رسميا باتمامها وابقائها على جميع قوتها وعدم تغييرها ووكيل الدولة الامبراطورية الفرانساوية ورد له الاذن من دولته كما ورد لى الاذن من دولتى لانهما على اتفاق واحد فى النازلة وفى الحث على طلب ترتيب المجالس المختلطة بسرعة لفصل نوازل الجنايات والنوازل المتجرية لما يلزم من الوقت لعمل القانون المتجرى ولما كان الاذن المذكور الصادر لنا من دولتنا الذى تشرفت بعرضه على جنابكم بمكتوبى المؤرخ فى (١٧) اشتنبر سنة (١٨٥٧) وهو نظير المكتوب الذى خاطبكم به موسيو روش نصاسواء ولم تزل المكاتيب موجودة يجب ان تكون سير نواب الدولتين فى هذه المملكة على مقتضاها ولهذا يجب ان نطلب من جنابكم بشدة حرص أمرا زائدا على ابقاء المجالس وهو المبادرة الى المجالس المختلطة الموعود بها منذ زمان طويل وبمقتضى ماتقدم من الاذن طلبت مشاركة قنسل جنرال دولة فرانسا فى هذا المطلب كما يطلع جنابكم على نسخة مكتوبى اليه وهو موسيو دين بوفال هذا وزيادة على الوعد الرسمى الذى اعطاه جنابكم الى ملكى انكلاتيره وفرانسا بحفظكم التراتيب المبنية على الحنان والتمدن التى أعطاها جنابكم لبلاده لايخفى عليكم ان دولة انكلاتيره عقدت مع دولتكم شروطا تقتضى دوام التراتيب المذكورة لانها هى الحافظة لحقوق رعايا انكلاتيره فى هذه المملكة ومع وجود ذلك فتبديل تراتيب الحكومة الآن والرجوع الى الكيفية القديمة بدون سبقية اعلام للدولتين الانكليزية والفرنساوية بمقصود جنابكم يظهر منه فى السياسة انه فعل يدل على نقصان الاعتبار ولاشك فى عدم وقوع ذلك من جنابكم مع دولتين حبيبتين وايضا يظهر منه انه غير صواب مع الدولة

الانكليزية

الانكليزية التى فى شروطها الاخيرة صدقت امان الحكومة التونسية ومحبة الدولتين
الى جنابكم توجب على عدم الزيادة فى المشاق الموجودة فى حكومتكم بمطالب تشق
فى هذا الوقت ولكن واجبات خدمتى تلزمنى ان أطلب منكم رسميا دوام الاصول
المؤسسة عليها ادارة الحكومة وخصوصا انى اترك لجنابكم انتخاب الكيفية التى تظهر
لجنابكم انها الائقة ومناسبة لاجراء تلك الاصول والجنوس المتقدمة فى التمدن ربما
لزمهم فى أزمان متعددة بدون أن يتعرضوا للاصول المؤسسة عليها قوانينها تبديل كيفية
العمل بها وهذا الباب مفتوح لتونس اقتداء بالدول الاوروباوية الذين لاشك فى
فطنتهم وحكمتهم وهذا الامر يظهر لى انه سهل حيث ان التشكى الواقع من زيادة الاداء
ومن تطويل المجالس فى الحكم يمكن دواؤه بما تتهنى به البلاد وترجع الى حالها
الاصلى وهذا أعظم دليل على حسن خلق الرعية المستنتجة من هذه التراتيب لانه لم يوجد
فى تواريخ تونس مثل سيرة القبائل فى هذا الزمن لما لهم من الشكايات وهم مقسطون
على عاداتهم السابقة فى سالف الزمن لكن لم يتعرضوا بسلاحهم الالاحقيا من أداء
ثقيل فوق طاقتهم اه ثم كاتب الوالى أيضا بما نص تعريبه فى مايه سنة ١٨٦٤ *
الواضع اسمه أسفله يتشرف بتقرير ما يأتى وهو انى لما اعتبرت شأن الحال الغير المترقب
الذى عرض لحكومة تونس رأيت من مقتضى الوداد أن لا أعطل سير عمالها بما
لا يقتضيه الحال ومع ذلك حيث لم يبلغنى اعلام رسمى منكم بشرح كيفية مقدار التوقف
الوقتى الذى وقع فى قيود العمالة علاجا لامرها فقد وجب على الواضع اسمه أن يطلب
التعريف فى ذلك كما أنه يجب عليه المحافظة بمقتضى هذا المكتوب على ابقاء ما حصل
لدولة بريطانيا العظمى من الحقوق التى لا نزاع فيها بمقتضى شروطها مع على جناب
الباى محافظة متعلقة بما يمسها بمقتضى التوقيف الوقتى المذكور فالواضع اسمه يقرر
للجناب أن تلك الحقوق معتقدها الاعتقاد العمومى وقد لزم شرح الاسباب المبنى عليها
تقريره وهو أن المرحوم سيدى محمد باى والجناب العلى أدام الله عزه لما أصدرا عهد
الامان فهما ووزراؤهما والمفتون والقضاة وجميع علماء الشريعة الشريفة حلفوا يمينا
وأكدوا يمينهم باستدعاء حضرة وكلاء الدول الاجانب بانهم يحافظون على الوفاء بعهد
الامان بجميع شروطه وأبانوا أن عهد الامان جزء من شروط الشريعة الشريفة
والعلماء الكرام المذكورون ورجال الدولة أشهدوا الله على صدق نيتهم فى ابقائها
على الدوام والاستمرار من يوم صدورها فصاعدا وأن دولة بريطانيا العظمى اعتقدت

على الوفاء والاعتقاد الذى لايمكن منه فسخ لعهد الامان بمقتضى هذه الايمان وعقدت مع على جناب الباى اتفاقا متعلقا بامور منصوصة فيه فينتج من ذلك ان الحقوق المسلمة لرعية الانكليز ولوازمها التابعة لتلك الحقوق بمقتضى الاتفاق المذكور معتمدها هو عهد الامان والقوانين الناشئة منه وبذلك صار حقا من حقوق الدولة الانكليزية يقتضى ان تطلع بسبب ذلك على حقيقة الحال فى شأن عهد الامان هل هو عامل بجميع شروطه أم لا وكذلك توقيف القوانين الناشئة منه هل هى معالجة وقتية ثم هل الحكومة التونسية مرادها ان تجرى فى المستقبل الاصول المقررة به على صورة مناسبة لحفظ مكاسب الانكليز فى العمالة التونسية وتأمينها والواضع اسمه يطلب بحرص واجتهاد لاينافى الادب والتواضع جوابا شافيا شارحا للاستفهامات المذكورة ليخبر بها دولة مالكته المعظمة وكذلك ان الواضع اسمه يبقى ويتحفظ على لسان دولته فى حقها على جميع الحقوق ولوازمها والكفالات التى أعطيت لرعايا الانكليز بمقتضى ماهى مبينة بالاتفاق المذكور ويقرر أيضا ان ذلك الاتفاق اتفاق عمومى لايخالف فيه من الجانبين

اه واعاد الكتابة فى يوليه الموافق لاواخر صفر سنة (١٢٨١) ونص تعريب المكتوب ❋ الواضع اسمه أسفله نائب وقنصل جنرال حضرة المعظمة مالكة بريطانيا العظمى قد تشرف بمخاطبة الجناب العلى بمكتوب مؤرخ فى مايه سنة (١٨٦٤) طالبا منه الشرح فى شأن التوقيف الوقتى الذى وقع فى رسوم العمالة بسبب أمر غير متوقع وقد أبقى وحافظ على لسان دولته فى حقها على الحقوق التى يستحيل النزاع فيها الحاصلة لدولة المعظمة المالكة بموجب اتفاقها المعقود مع على جناب الباى بمقتضى عهد الامان والقوانين الناشئة منه وتوقيفها يمس الحقوق المذكورة وان الواضع اسمه لايمكن ان لا يحصل له فى النازلة شئ من الفكر لانه يرى انه مضى شهران ونصف ولم يتشرف من الحضرة برد الجواب عن مكتوبه ولمراعاة الحكومة التونسية لم تقع معارضة غير ضرورية فى سبيل اطلاق عملها واعتنا الواضع اسمه أتاه الاذن بعد ذلك فى تقوية عهد الامان بسند مع ان دولة المعظمة المالكة لها اعتماد بان عهد الامان لما كان مبنيا على شروط الشريعة الشريفة لايمكن نقضه الا بنقض نفس الشريعة ولم تتخيل ولايخطر ببالها بوجه من الوجوه ان السادة الاجلاء المفتيين والمدرسين للشريعة الذين حلفوا يمينا على ابقاء عهد الامان ان يرضوا بان يشيع فى العالم مالايناسبهم من وقوع الشك فى وفائهم بما عاهدوا عليه ومع ذلك دولة المعظمة المالكة ترى فى الامور المتعلقة باتفاق

عمومي بينها و بين الحكومة التونسية أعظم اعتمادها دون الاعتقاد العمومي وهو صدق
الباي ومحبته في اجراء العمل كما يجب بمقتضى الاتفاق المذكور فلذلك الواضع اسمه
يرجو ان على جناب الباي يتفضل بالجواب عن الاسئلة المبينة في مكتوبه المؤرخ في مايه
وذلك لاعلام دولته بجواب مقنع فأجابه الوالي في ذلك التاريخ بان عهد الامان باق
على قوته ومفهومه فلو كانت الاهالي طلبوا ابطال القانون لما استطاع القنسل
ان يعمل ضد الرأي العام فيما يرجع اليهم على انه قد صرح رسميا بما هو
مطلوبهم كما هو بين لمن تدبر عبارة مكتوبه وكذلك ما نسب الى قنسل الفرانسيس ولو
كان امتناع الاهالي من القوانين موجود الكان للوالي أعظم حجة في التعلل بدليل انه
يحتج به في خلواته على من لا يقدر على معارضته ومن وقتئذ تسلطت أيدي العدوان
على الاهالي بسلب الاموال والقتل والضرب بالسياط المؤدي الى القتل لان الوزير
اشتد حنقه عليهم حتى دخل عليه أحد الاعيان يوما وهو يقول طلبوا دمي فلا ارضى
الابدمائهم طلبوا مالي فلا أرضى الا بأموالهم ولعل مراده بطلب دمه هو طلب عزله وقد
اعتادوا في بعض الوزراء السابقين قتلهم فظن ان العزل يؤدي للقتل والانفس قتله
لم يطلبه أحد أما المال فنعم قد طلبوا حسابه وأول باكورة بعد ابطال القوانين افتتح بها
لاهل الحاضرة مع انهم هم وحدهم الذين بقوا خاضعين للحكومة الا انه كثر بينهم
الكلام في انصاف مطالب الاهالي فجلد أحد أعيانهم المسمى محمد بن مصطفى عجم الشهير
فيهم بالوجاهة بمجرد تهمته انه أغرى بعض غلمان القصر الاميري بالهروب فجلد خمسمائة
سوط مؤلمة بحضور أحد خواص الوالي لاتقانها واكمال عددها وسجن مع الاعمال
الشاقة في الكراكة ومنهم محمود بن سالم أحد الاعيان من التجار وأحد أعضاء مجلسهم
ادعى الوزير انه اشتكى به اليه من جماعة المجلس وسجنه ومن أغرب الامور انه لما الاذ
أهل المسجون بالوزير طالبين تسريحه أو بيان ما هو مطلوب فيه ارسل الى جماعته يسألهم
ماهي شكوا كم التي سجنا بها الرجل فأجابوه ان جنابه أعلم بها منهم لانه اعتمدها حتى
عاقب الرجل بالسجن كما حصل لرجال الحكومة اشياء فمنها انه حجر على الوزير اسماعيل
السني الذي اعتمد في حل عقدة الثورة وعلى أمير الامراء رشيد الذي سافر بالعساكر الى
الاستانة في حرب القريم وأمير اللوا الشريف السيد حسن المقرون الذي له اليد
البيضاء في حفظ الراحة في الثورة في الحاضرة وحسين ورديان باشا وخميرف وعلى جهان
ويونس الجزيري أمير لوا وحسن المدبلي أمير ألاي والسيد محمد المقرون ومحمد بن الحاج

رئيس عساكر زواوة الذى جمعهم له عند عدم وجود غيرهم فى الثورة واعانه بما استطاع فجبر على جميع هؤلاء فى الخروج من بيوتهم وخلطة الناس لانه كان يوجس منهم الاعتراض على التصرفات ثم قتل الاولين فى بضع دقائق من غير سماعهم لدعوى ولا حجة ولا استشارة وارتجت البلاد لذلك وشنعت القناسل سيما الفرانساوى والانكليزى وسجلوا تسجيلا شديدا فكاتب الاول اى الفرنساوى الى الوالى بما نص تعريبه انى اتمم خدمتى التى ساعنى اتمامها وهى اعلام دولة الامبراطور بالحادث الموجع الذى لوث قصر باردو بالدم فان الفريق رشيد وزير الحرب كان رئيس العساكر التونسية فى حرب القريم والفريق اسماعيل السنى صهر جنابكم وقع قتلهما فى القصر بمجرد تهمة لم يقع اعلامهما ممن صدرت ومن غير ادنى وجه من أوجه الحكم فلم يتيسر لى السكوت فى مثل هذا الامر وكان همى ان أقرر لجنابكم التأثير الذى لابد ان يقع من ذلك وفى سيرتى هذه سبقت اذن جناب دولتى التى استحسنت فعلى المذكور استحسانا تاما وان كنت مأذونا باعلام دولة جنابكم واعلام حضرتكم العلية نفسها بالتأثير الذى وقع لجناب دولة الامبراطور من قتل الشخصين المذكورين ولم تتوقف دولة جنابكم فى تحملها تلك المسؤلية العظيمة كما انى مأذون أيضا بان أقرر لجنابكم التشويش الواقع من مشاق هذه الاحوال التى لم تزل تعظم من سائر جهاتها (انتهى) وكتب الثانى أى الانكليزى للوالى أيضا بما نص تعريبه ان الملحوظات الشفاهية التى تسامح الواضع اسمه أسفل هذا المكتوب فى عرضها على جنابكم فيما يتعلق بالامور الموجعة التى وقعت بقصر باردو فى شهر التاريخ لابد انها افادت جنابكم بانها صادرة من التأثر القوى الذى عندى فى شأن همة جنابكم ومصالحكم وفى شأن التأثير الموجع الذى سيقع بانكلترة من ذلك ودولتى لا توافقنى اذا ادعيت التداخل فى تصرفات الدولة الداخلية التى يظهر لجنابكم استعمالها لحفظ الراحة العامة من مقاصد بعض الاشرار و بعد الشرح والتفصيل الذى تفضل به جنابكم على لا يبقى لى شك فى وجود حجج كافية أظهرت لجنابكم توقع مقاصد موجهة نحو ذاتكم العلية لاتلافها فى قصركم نفسه ولا شك بناء على كونكم كبير الدولة ان يكون لكم الحق فى استعمال سائر الطرق اللازمة لحل تلك العقدة التى مؤداها اتلاف ذاتكم العلية وتراب المملكة ولكن بسبب كون جنابكم هو شخص الدولة المرتسمة شرعا فمصلحتكم تقتضى ضرورة انكم لا تسعوا الا باسم الشرائع وعلى مقتضاها فانها أحسن ضمانة لكم ولا يبعد عنها الا المتعدى عليها بفساده و بعد ان راضت نفس جنابكم وتأملتم فى الاحوال

لاشك انكم تحققتم ان الخطر الحال الذى كان فيه جنابكم لم يكن حجة كافية فى قتل
فريقين من دولتكم لان فى تباعدكم عن طريقة سيرتكم المعتادة بعدا عن القواعد السالمة
المرتسمة فى القوانين التى منحتم بها بلادكم وهى وان توقفت بالضروب الموجعة الخارقة
للعادة فانها لم تزل موجودة مع ان دولتكم مطلوبة بالشروط المنعقدة بينها وبين
بريطانيا العظمى وجنابكم معترف بهذه الحقائق غاية الاعتراف لانكم لم تتوقفوا فى
اقراركم الرسمى بانكم تحترمون القواعد المذكورة وذلك بمكتوبكم لمسيو اوود المؤرخ
فى (١٨) اغسطس واسنادنا ناظر عن مدة توقيف القوانين وقد حصل لى سرور لما حقق
لى جنابكم بانه لا يقع فى المستقبل مثل هذه الامور الموجعة التى وقعت واعيد القول
لجنابكم انى لا اتداخل فى البحث عن جرم الجناية التى يمكن ان الشخصين المذكورين
ارتكباها الان انسانية جنابكم التى كثير من أدلتها كافل لى بان جنابكم كان متحققا بانهما
قتلا على حق ومع هذا التحقق كان وددان كيفية الحكم تكون على الصورة التى تقتضيها
القوانين دفعا لما عسى ان يتهمكم به اعداؤكم فان جنايتهما لم تثبت ولا يوجد شك فى
مساعدة ان القوانين هى أقوى الضمانات التى تستند اليها الملوك كافراد الناس وقد
رأينا فى كل وقت ان كل من بعد عنها يستعمل القوة المادية فى تصرفه يكون سببا
لاعدائه فى أن يفعلوا معه كذلك مقتفين آثاره وأرغب من فضلكم المسامحة فى هذه
الملحوظات فانها لم تقصد الامور والاحوال التى فاتت لسوء البخت ولا يتيسر لاحد
إصلاحها وانما المقصود بها الطلب من فضل جنابكم أن تتذكروا ان بلادكم لم تبعد كثيرا
عن أوروبا وانها اذا لم تتقدم مع تقدم العصر فان قواعد التمدن المتداخلة فى كل مكان
تعمها ولا يتيسر التصرف الآن كما كان فى زمن الجدود لان كل عصر له احكامه وأحكام
هذا العصر لا تقتضى ان الحكم الذى سيقع على الاسرى الذين لم يزالوا فى العسكر ان الامير
يتصرف فيهم بما عنده من القدرة ويرى ان الحق له فى التأمل بذاته فى نازلة شخصية بل
يلزم توفية حق المتهمين لدى مجلس وانه يسمع مقالهم ويخاصمون على انفسهم ويبرؤون
انفسهم من التهمة الموجهة عليهم فاذا أثبتت جنايتهم فالقانون يحكم وبهذه الكيفية
تستحفظون على همتكم ولا تأخذون من القانون الا الرفيع العالى فى حق الملك وهو العفو
عن المحكوم عليه (انتهى) ثم جمع الوالى جميع رجال الحكومة وأخبرهم وابلى فى ذلك
اليوم الوزير خير الدين البلاء الحسن بقوله القرائن التى ذكرت لا تثير لوثا فضلا عن القتل
ثم على فرض صحة التهمة فبعد ايقافهما كان الواجب اقامة الدعوى عليهما وسماع

جوانبها علها الى غير ذلك من الاعمال الواجبة وغاية الحجة فى قتل الشهيدين هى التهمة باعانة أخ الوالى محمد العادل باى على الهروب مع انه لم يذكر فى معرض الاحسان معه الارشيدا ولم يعرج على اسماعيل بشئ ورشيد نفسه لم يسمع الدعوى ولا قامت عليه حجة وادمج فى اثر ذلك نفى جميع من تقدم ذكره وكان فى اثناء ذلك الوزير حسين خارج المملكة لما وقع من عظم كربها بعد تسليمه فى جميع وظائفه فحالما لحق غيره ولحق به الوزير رستم فلم يبق من يعترض على التصرفات من رجال الحكومة وأما أهالى بقية القطر فقد أحيى فيهم ما دثر خبره ونسى ذكره من تسليط الحزب الحسينى على الحزب الباشى الى ان خضدت شوكته والصق بالارض ثم كرّ على هذا الحزب أيضا ولحق بصاحبه فعاثت أيدى الاول بأهل الساحل وقتلوا النساء والصبيان مع معسكر الوزير أحمد زروق الموصى بالنكال وأحدث فيهم ما تقشعر من سماعه الجلود من قتل أربعة من رؤس الساحل حكما هنالك ولما أتى أهل المجلس الشرعى بالمستير رئيس المعسكر أحمد زروق قابلهم بعسف وأحكم الاغلال والقيود فى أعناقهم وارجلهم وأمر بازالة عمامة رئيس المفتين بلفظ مستهجن وعامل وفد صفاقس بما يقرب من ذلك وسجن القاضى وحكم ايدى النهب فى الجميع وقد رايت بخط الوزير الكاتب لاسرار الولاية فى معرض ما حصل من أحمد زروق ما نصه وبالجملة فجميع ما ينسب فى هذه الوجهة لاحمد زروق انما هى نسبة تنفيذ لانه مقيد التصرف بما يرد اليه فى الامر فى كل نازلة الخ مما يصدق نسبة ما ذكرناه الى صاحب التصرف وان كان أحمد زروق تفاخر بما صنع حتى رآه بعض رجال الحكومة الكار داخلا الى جامع الزيتونة وهو لابس لنعله وقد جرى العمل باحترام الجوامع بعدم دخولها بالنعال فقال له فى ذلك فأجابه بمرأى من الناس ومسمع بقوله لولاى لربطت فى هذا الجامع خيل أهل الساحل مع ان أهل الساحل معلوم اسلامهم وعلى فرض منعه المسجد من ذلك لا يسوغ له ذلك جواز اهانته وهذا الرجل أعنى أحمد زروق لم يزل مقربا عند الوزير خزنه دار الى ان انفصل عن التصرف ومن تصرفاته فى تلك الوجهة انه فاس الشيخ محمد الصويلح رئيس الفتوى بالاعراض وغرم أهالى تلك الجهات أموالا كثيرة افنت الطارف والتالد وبقوا فى قيد ديونها المثقلة للاجانب الى هذا الوقت بحيث يصح أن يقال ان جميع ما يمكن ان يباع قد بيع وما لا يباع كالاوقاف وجميع ما تحصل من كسب أبدان أهل الساحل كله دفع للاجانب بسبب ديونهم ولو افردت نازلة الساحل وحدها بتأليف لجاء مستكملا لزيادة على القتل والسجن مع الاعمال الشاقة

وضرب

وضرب السياط الموجع أو القاتل حتى ان الوزير خزنه دار المذكور لما رأى خروج
الضرب عن حده فى السيد الشريف على بن عمر من أهل مساكن ممن أتى معه الى محل
حكم الوالى أظهر الشفقة وأرسل الى الاعوان وقال لهم ان سيدنا أمر بضرب هؤلاء
لا بقتلهم فان للقتل آلات تخصه وانما أسند الامر للوالى لان ذلك هو دأبه كما تقدم من
عدم مكافحته لاحد بما يوجع ويسند جميع الاعمال للولاة وأما جهات القطر الآخر
التى سافر اليها العسكر تحت أمر الوزير رستم فلم يقع بها من المضرات ما وقع بالاولى لانه
اقتصر على مجرد قود الطاعة واستخلاص المال الممكن للاهالى وعمل بالمثل القائل ولى
أذن عن الفحشاء صماء عن الاوامر التى ترد عليه فى سلب اللحم والعظم ومن ذلك
التاريخ حصل تغير الوزير خزنه دار عليه لما ذكر مع تعرضاته لتصرفات العمال على
غير الوجه المعقول وكذلك العسكر الذى سافر تحت امرة ولى عهد الولاية أمير الامحال
أبى الحسن على باى فقد اقتصر فيه على مثل ما ذكر واستعطف أباه فى العفو عن كثير من
رؤساء تلك الجهات وانكرت عليه تلك السيرة ممن يريد الخراب حتى أرسل معه ابراهيم
ابن عباس الرياحى قائد ريد وأمر أمير الامحال باتباع اشارته وتنفيذ أمره لكى لا يجد
الامير سبيلا للاعتذار عن الناس مع ما هم فيه من الفقر وضاق الخناق بسبب ذلك بين
جذب ودفع لما فى طبع هذا الامير من النفرة عن تلك السيرة وكان ذلك سببا للوشاية به
لاخيه واتهم مستشاره المقرب محمد الطاهر الزروش باذية الاهالى ونسب اليه بعض
ما صدر من ابراهيم بن عباس المذكور والحال انى رأيت بخط كاتب اسرارهم الوزير
أحمد بن أبى الضياف المذكور فى وصف المستشار المشار اليه ما نصه واعتمد باى المحلة
فى الوساطة بينه وبين الناس وحمدت بذلك سيرته الخ وذلك هو المعروف عند السكان
فى الثناء على أعمال المستشار وتوصل الوزير خزنه دار بما تقدم الى ابطال سفر الامير
المذكور بالعسكر على عادة اسلافهم واستعوض عن ذلك بسفر أحمد زروق المذكور
ثم ان ما رقعه كل من الامير على باى والوزير رستم قد خرقته أيدى العمال والبعوث التى
وجهها الوزير خزنه دار وأتى باعيان من قبائل الجهات الغربية والشمالية يبلغون نحو
المائتين وأغلبهم كان فى خدمة الطاعة وابلوا فى قود الاهالى وارجاعهم للسكون البلاء
الحسن ولا ذنب لهم الا كسبهم وأوقفوا فى صحن البرج من قصر الحكومة بباردو وخرج
لهم الوالى وخاطبهم بانه لولا شفاعة الوزير لامر بقتلهم وليته لم يشفع لانه أى القتل أهون
الموتتين ثم حكم عليهم بالجلد بالعصا ورأيت بخط الوزير الكاتب المذكور فى قصة هؤلاء

الرهط الذين منهم الشيخ الهرم المنسوب الى الصلاح الحاج مبارك صاحب زاوية تاله مانصه فتقدمت مردة العذاب الى ما كرم الله من أبدان بنى آدم يكبون الواحد على وجهه ويسحبونه على الارض موثوق اليدين والرجلين ودام الضرب فى أولئك المساكين يومين أو ثلاثة بمرأى ومسمع وفى خلال أيام الضرب قدم ابن عم الكاتب الاول كاتب تونس فلم يقع الضرب يوم قدومه خشية وقوع الشفاعة منه عند مشاهدته تلك الحالة الفظيعة الشنعاء ولما تم الضرب باعداده واتقانه سحبوا بسلاسلهم وأغلالهم ومات منهم بسبب الضرب الذى لا تتحمله القوى الحيوانية على بن عباس شيخ تاله وخرجت روحه قبل كمال عدد الضرب فكملوا العدد بضرب شلوه وهو ميت ومات بعد الضرب الحاج مبارك شيخ الطريقة بتاله المار ذكره ولم يسمع منه حالة الضرب الا قوله يا ربى يا ربى الى ان أغمى عليه والحاج صالح بن النايلى من بيوت العراشيش وغيرهم وعدد من مات بالضرب فى أقل من عشرة أيام ستة عشر رجلا اهـ كلامه باختصار وسجنت خلائق مع الاعمال الشاقة ومنهم على بن غذاهم بعد تأكيد الامان اليه وقدومه مع ابن القطب الصالح سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وبقى فى حبس مظلم ندى الى ان مات وكذلك كثير ممن سجن ولا يمكن أحصاؤهم وفشا الخبر فى الآفاق واستفظعه من سمعه حتى ان نابليون الثالث امبراطور الفرانسيس اثر رجوعه من الجزائر الثورة وقعت فيها ومهدها بالطف وتحبب للاهالى بسعيه بنفسه وكان ذلك فى أثناء الهرج بتونس خطب عند رجوعه وذكر أسباب ثورتهم من جهلهم بما يراد منهم وعدم سلوك الطريقة المناسبة لوصولهم وأثنى على عساكره ثم قال وبعد الحرب واطفاء الثورة لم يقع منا انتقام ولا شدة ولا ما ينقص نفر النصرانى وكان الدولة الاسلامية لم يبلغها الحال الذى لم يزل شبهه الى الآن مع نص الفرمان المخالف لذلك ومع هذا التعذيب فى الابدان فقد اتى على أموال الاهالى عن آخرها ولم يبق للبلدان والقرى وقبائل العرب شئ مما يسد العوز ومن كان له أدنى شئ من القوت كان يخفيه ويرسل نسوانه لالتقاط العشب وعروق الاشجار لقوتهم ولقد ذكر لى أحد بيت وثات دريد انه كان يرسل نسوته اللائى لم يعهدن التطوف فى البرارى لجلب عروق الترفاس وينشره على ظهر بيته ليراه أعوان العامل ويطبخ الا القمح فى الماء من غير طحن لكى لا يسمع الناس حس الرحى فيتهم بالمال وذكر لى أحد الثقات من التجار انه كان يوما جالسا عند ابراهيم العامل المذكور وهو يوصى نائبه العازم على السفر الى القبيلة ويحرضه على خلاص المال فاجابه النائب بانه يعمل غاية جهده بحيث يبيع كل ما يجد فى وجد

عنده

عنده نعجة باعها ومن وجد عنده عنزا باعها ومن ومن الى ان قال وفى أقرب وقت تخلص مال الدولة ونرجع فحنق عليه ابراهيم ووبخه وقال ان مال الدولة لا يضيع وانما القصد مال الوزير فقال له الحق معك هو مقدم وذهب على ذلك العزم هذا كله بعد تأكيد الامن الذى خدع الرعية بالكتابة والكلام فزيادة عن الظلم هو شين على الخائن وقد ذكر الوزير حسين قبل خروجه من القطر الوالى بامانه عند قدوم أهل الساحل طالبين فحنق عليه واجابه بما يكره مع وجوب الوفاء بالعهد عقلا وشرعا وما كفى الناس ما هم عليه من الفقر المدقع او المظالم التى لم تعهد اذ دهمهم الجوع والقحط المتسببان عن حبس المطر ا كثرة الظلم وعن فناء الاموال التى تعمر بها الارض فى الفلاحة واشترك فى العسر حتى أهل الحاضرة لاتساع مكاسبهم المكاسب بقية أهل القطر فاقبلت أفواج الاقوام تراهم من كل حدب ينسلون متوجهين الى الحاضرة والمدن وما وصل اليها الا القليل لفشو مرض الحمى الخبيثة فيهم وكان مرضا ستوبيا أفنى خلائق لا تحصى وبقيت أكثر جثثهم فى الفلاة للوحوش بعد ان أفنت منهم الكوايرا عددا وافرا فمن ساعده الاجل ووصل الى الحاضرة مات منهم أكثرهم فى الطرقات ثم ابتدر أفراد من أهل الحاضرة لاغاثة أولئك المساكين وعقدت لهم جمعية برأسها المقدس سيدى حسين الشريف نعمه الله وأذن الوالى فى عقدها وجعلوا يجمعون المال من الاهالى كل على حسب استطاعته على حالة ضعفهم الحالى الشديد التى كادت ان تلحق كثيرا منهم بأولئك الوافدين المساكين وشمرت الجمعية عن ساعد الجد وخففت بعض الضر بالقوت والمسكن وان كان المرض تمكن منهم وصاروا الى حالة ضعف لا توصف وفشا فيهم الموت الى ان صاروا يرفعون خمسة فادون فى نعش واحد رحمهم الله وقد كنت كتبت لصديق وهو غائب يوصف الحالة فى القطر عندما طلب منى ان أرسل اليه نسخة من ضرب مثل للحالة المذكورة فى القطر التونسى واصور ذلك بصورة واقعة تاريخية مما ينسب لرؤيا رآها بعض ملوك المانيا فى القرون المتوسطة ونصها رأى بعض ملوك المانيا فى القرون المتوسطة من تاريخ المسيح عليه السلام رؤيا افزعه أمرها فبحث عن معبر يعبرها له ﴿وهو عندهم المنجم لان أصحاب التنجيم هم الذى كانوا يدعون معرفة علوم الحدثان﴾ فحضر المعبر بين يديه وقال له الملك انى رأيت البارحة فى المنام ما هالنى أمره ولا يبعد شأنه عندى من منام فرعون فى مصر فى ايام يوسف الصديق عليه السلام وذلك أنى رأيت ثلاثة جرذان مجتمعة فانتبهت أولا قبل استكشاف حالها ثم نمت ثانية فرأيت جرذة من تلك الجرذان على غاية

من الضعف والهزال بحيث ان سائر ضلوعها بادية ولا تستطيع الثبات على رجليها ورأيت الجرذ الثاني على غاية من السمن يترعرع في مشيه ترعرع القنفذ ثم تأملت الجرذ الثالث فرأيته أعمى من كلتي عينيه لا يبصر بهما شيء فانتبهت ثم نمت الثالثة فرأيت الجرذان الثلاثة معا على تلك الحالة فالسمين يقود الاعمى والاعمى يقود الهزيلة فانتبهت وهم يتقاودون فافتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون فاجابه المعبر بقوله سيدي ان رؤياك أشهر من ان تعبر ولكنها تكتب وتسطر أما الجرذة الهزيلة فهي مملكتك والسمين هو وزيرك والاعمى هو أنت أيها الملك يقودك وزيرك الى ما فيه صلاح نفسه وتقود أنت رعيتك الى ما فيه هلاكك وهلاكهم انتهى وكتبت الى صديق في ذيلها ما نصه هذه حال رؤيا القرون المتوسطة أما رؤية حال القرون الاخيرة * في هاته الحضيرة * مما دهاها من النفوس الشريرة * فهي سنو يوسف عليه السلام التي كانت تعبير الثلاث الرؤيا * على ما فيها من البلاء * فلو رأيت ما عليه القرار * لملئت رعبا ولوليت منه الفرار * من ذئاب تغتال * وثعالب تحتال * مجتهدة في قلب الرجال * وتشتيت الرجال * وثعبان شاغرفاه لابتلاع الاموال * فيا لها من حال يرثى لها من رام النزل * وتخراشد تها شامخات الجبال * اقتضحت فيها ربات الحجال وهوت الابالة الى الزوال * وتمكن من القلوب الزلزال * وتقاربت الآجال وانقطعت الآمال * وعدا الصلاح من الخال * فقد فاز من نهض بنفسه * واستراح من فتنة باطنه وحسه * اذ الآيات وردت على ذلك ناصة * فقال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * ففاز المخففون * وابتلي المتأهلون والله العظيم * ونبيه الكريم * طالما نهضت عزائمي الى الترحال * فاثقلتني قيود العيال * مع ما انا عليه من الوحدة عن أخ شقيق * أو قريب يخلفني فيهم عند الضيق ولم استطع التخلص بكلي * لما يخفى مما يثقل كلي * وأقسم بالقرآن * وصفات الرحمن * انى عرضت للبيع أملاكي * لاتخلص بها من اشراكي * واستعين منها بالاثمان فلم أجد من يصرف لهذا الوجه عنان * ولو من أعيان الاعيان * فالناس حيارى في الاقوات * تائهين في جلب الضروريات * يكادون من القحط ان يأكلوا الحديد * ويقولون هل من مزيد * وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد * الى غير ذلك من زفرات تتصعد * وجمرات تتوقد * وانين بقوارع الطريق * وصياح على الابواب ونعيق * وضجيج بالاسواق * حتى خالها قد التفت الساق

بالساق

بالساق * فلا تسأل عن القلوب * وما دهاها من الخطوب * وقد فوضنا الامر الى علام الغيوب اهـ ومع تلك الحالة في الاهالي فغاية مارحمهم به الوالي من الخزنة خمس عشرة الف ريال وله العذر لانه كثيرا ما باتت أتباعه بل قيل عائلته طاوية الى بعد نصف الليل حتى يرسل وزيره أحد أعوانه الى حميدة بن عياد المكلف بعمل الخبز ليستقرض ما يمكن ان تتعشى به عائلة الوالي والوزير غاية ما تكرم به على أولئك المساكين سبعة آلاف ريال وان كان سيدي حسن الشريف الح عليه في اعانة المصابين مرارا فيعطيه من خزنة الحكومة كما انه في هاته الشدة ابلى البلاء الحسن كثير من الاهالي والاجانب سراوعلنا وقاموا بكثيرين قوتا وكسوة وسكنا ودواء وأطباء جزى الله الجميع بفضله وفي أثناء المدة هرب العادل باي أخو الوالي الى جبل باجه حيث كان أهله اذذاك ثائرين بعد ان نسي مثل ذلك في البيت الحسيني منذ نحو مائة سنة وسبب ثورته الضيق الحالي الذي حصل له من تعطيل مرتبه ومثله سائر آل بيته واذذاك اضطروا لاعادة سفر ولي العهد بالعسكر فارجع أخاه وقاد الطاعة ثم أعيد ترك سفره هذا وبينما كان القطر على هذا الحال فالاموال المستخلصة لم تكف وجعلت الحكومة تستقرض من أروبا قرضا بعد قرض فاول استقراض كان خمسة وثلاثين مليونا لاستهلاك الدين السابق الذي قدره تسعة عشر مليونا ولم يزل باقيه لم يستخلص الى ان تشكل الكومسيون الآتي بيانه وهكذا كل قرض يدعى فيه مثل ذلك ويبقى الاصل على ما كان واشترى من تلك الديون بوانر حربية باضعاف قيمتها بلغت أكثر من سبعة سفن منها فرقاطه سميت بالصادقية أصلها كرويت فزيدت فيه طبقة وصار شكلا مضحكا لارباب ذلك الفن وقد شاع عند الخاصة والعامة ان القصد من شراء تلك السفن وغيرها مقاسمة الارباح من الوزير مع أصحابها ثم بما يستفاد من القرض وقد بيع بعض ذلك الاسطول بثمن مؤجل واكترى بعضه باصلاحه وذلك عند عجز الحكومة عن القيام به بعد شرائه بنحو أربع سنين فأفلس المشتري والمكتري وذهبت السفن وثمنها المتجاوز خمسة عشر مليونا فرنكا سدى مع ان أصل شرائها لا حاجة اليه سوى تحصيل الربح من ثمنها والربح من الاستقراض لدفع الثمن وشاهده ما وقع في شراء مائة مدفع مسدسة بمليون فرنك فلما أرى السمسار صك الاتفاق الرسمي للبائع الذي باع تلك المدافع بثلاثمائة ألف فرنك تعجب البائع من فحش التباين بين الثمنين فأجابه السمسار بان وزير تونس أراد ان يربح خمسمائة ألف في هذا البيع وانا لا نقدر على منعه واستحق مكافأة بصالح حكومة تونس فربحت أنا أيضا ما زاد على ذلك هكذا افشا الخبر ولما

قدم ضابط فرانساوي باستدعائه للتأمل في سلامة تلك المدافع فوجدها بدون المائتين ألف فرنك لانها غير سالمة وبقيت ملقاة على الارض بلا فائدة وبامثال ذلك ربح السماسرة في الاستقراضات وفي الشراءات ما صاروا به أغنياء حتى ان أحد أهالي الشام المسمى برشيد الدحداح الذي انتقل الى فرانسا وصار فرانساويا توسط بوسائل لان يخدم في حكومة تونس راضيا بمرتب قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك أي ستة آلاف ريال في السنة قد رجع الى باريس بعد ثلاث سنين أو أقل وبنى بها قصرا بهيا شامخا ورأيته في أعز حارات البلدة وهي قرب شانزيلزي وأخبرني أحد الثقات هنالك ان تجارة الرجل التي يخوض فيها بكسبه الخاص نحو خمسة ملايين فرنك حتى تصدق على احدى معابد النصارى بستين ألف فرنك كل ذلك من تعاطيه السمسرة للوزير المذكور ومثل ذلك القائد نسيم المار ذكره مع زيادة ربح ما يسقطه الطالبون من الحكومة لانه يسوف أصحاب المرتبات وغيرهم ممن يطلب المال حتى يسقط له مقدارا مما يطلبه ويصحح في الحجة انه قبضها كاملة وتفاقم الامر أواخر المدة الى ان بلغ الاسقاط أحيانا الى ثلاثة ارباع المطلوب والوزير لا يقبل فيه الشكاية ولما خشي القائد نسيم في أثناء الثورة العامة على نفسه سرحه الوزير الى أوروبا من غير أن تعمل معه الحكومة حسابا ومات في بلد قرنه من ايطاليا وأرادت الحكومة التونسية بواسطة الكومسيون الآتي ذكره فصل مطالبها من ورثة المذكور بالتراضي من غير خصام وجنحوا هم أيضا الى ذلك وبينما العمل جار في ذلك فاذا بالوزير خزنه دار جلب أعيان الورثة الى بستانه وهم مومو شمامه ونا تان شمامه ويوسف شمامه وعرض على كل منهم كتبا بين أحدهما يتضمن اعطاء خمسة في المائة للوزير خزنه دار مما يصح لهم من الارث والثاني يتضمن ابراء عاما للوزير المذكور مما عساه أن يطلب من جهة نسيم فامتنعوا من الامضاء على ذلك وتخلصوا بطلب مهلة للتروي وهرب مومو الى قنسلات فرانسا ويوسف ونا تان الى قنسلات ايطاليا وأرسلت الحكومة محمد البكوش مستشار الخارجية والمترجم الاول بها كونتي والقابض لياه شمامه الى سؤال المذكورين عن سبب هروبهم فاجابوا بما ذكر من مطلب الوزير خزنه دار وكان ذلك بمحضر من القناسل وكتب التقارير في ذلك موجودة بالوزارة والقنسلاتوا ولذلك سافر الورثة قبل فصل النازلة ووجهت الحكومة لتحرير الحساب والخصام معهم الوزير حسين ودامت الخصومة نحو تسع سنين ولا زالت الى الآن منشورة ولما تفاقمت الديون في أوروبا وعلموا ان القائض يستقرض اضعافه كل مرة لاجل خلاصه امتنعوا من الاقراض حتى جعلت

رسل

رسل الوزير يترددون كل باب لذلك ولم يحصلوا على شيء حتى ان الياس مصلي المستشار
الثاني بوزارة الخارجية ذهب لمثل ذلك وأخذ لمصاريفه تذاكر وسندات على المالية
باسم الحامل وطفق يبيع منها المائة بخمسة فرنكات وترتب على الحكومة بذلك
أزيد من المليونين فرنكا لاجتناب أصحاب الاموال من ضياع أموالهم فلذلك عدل
الوزير الى الاقتراض من الاجانب المقيمين بالحاضرة على أخذ كل منهم رهنا في يده
يتصرف فيه من مداخيل الحكومة وهي المسماة باستقراض الكونفرسيونات
واستعان في تصرفاته فيما يرجع الى ذاته ولو من وظائف الحكومة بولده الاكبر واستغنى
به عن السماسرة وخالطه بل واشتهر انه شاركه في استلزام بعض مداخيل الحكومة
وفي التجارة في رقاع أموالها ورقاع الدول الاجنبية حاي الصباغ أحد تجار اليهود كما
داخله وقيل انه شاركه في عمل الخبز وقبض اعشار الحبوب وصرفها وغير ذلك من موارد
مصاريف الحكومة أميراللواء حميدة بن عياد وولاه على عمل ابن زرت وأطلق له التصرف
بعد ان كان الوالي وأخوه من قبله يجتنبونه في الولاية لما استقر في النفوس من مظالم محمود
ابن عياد وأغلب عائلته ولان حميدة المذكور محتم بالانكليز فلا تناله الاحكام ومع ذلك
فان حميدة المذكور لم يضر بالرعية وفيه جهة للرفق وأعان أهالي ابن زرت على مساعيهم
باقراضهم المال والحبوب ولم يجحف بدافعي الاعشار ولا بقابض الحبوب وعامل أهل
العلم معاملة حسنة واقتصر في الارباح الوافرة على ما يربحه من الحكومة مثل الربح من
عمل الخبز فانه تبين بمقتضى الحساب الذي جعله الكومسيون أي اللجنة المالية في
السنين التالية بعد خروج العمل من يد المذكور ان أرباحه كانت تقرب من الخمسين في
المائة ثم لما رأى الوزير عسر خلاص أموال الحكومة لفقر الاهالي وتكاثر الطلب من
الاجانب لاموالهم نقل وزارة المال بالاسم الى الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور باش كاتب
لكي يتحمل المصاعب ويبقى متحملا للقضاء بلا كره ولا رضا والاموال يرسل اليها ابن
الوزير أعوانه ليخلصها من العمال باسماء مختلفة منها شراء مطالب من له مطلب على
الحكومة مالي سواء كان من الطواري أو المرتبات ومنها اخراج تذاكر باعداد من المال
يؤمر فيها وزير المال بدفع ذلك القدر الى محمد بن الوزير في مصالح على يده من غير بيان
وكانت ترد تلك التذاكر مكتتبة الى وزير المال ليختم على جريدتها لترسل لامضاء الوالي
فلم يكن في وسعه الا الامضاء من غير أن يعلم شيئا من تلك المصاريف وذلك معلوم عند الجميع
ولذلك لم يعرج على طلب وزير المال بشيء الكومسيون المالي على ان ما يمكن ان يرسله

العيال الى الحكومة ليسكت به الاجانب أصحاب الديون كانت تختطفه أعوان الوزير خزنه دار من الطرقات حتى وقعت خصومات شديدة من الاجانب في مثل ذلك ولما كثر القيل والقال من الاجانب في خراب القطر ووقوف حاله وانه تلزم مساعدة الحكومة للاهالي لرجوع شيء من رمقه كان الوزير خزنه دار يقول لخواصه عجبا لهؤلاء القوم أفأنا المطلوب بابطال العرب للفلاحة أليسوا بعارفين بكيفية الحرث والارض موجودة فما منعهم عن ذلك كأنه لا يعلم السبب لكنه أراد اسكات الاجانب فاعطى الى الكنت صانس الفرانساوى أربعمائة ماشية أرضا أى نحو أربعين ألف وستمائة هكتار بحساب كل ماشية مائة واثنان وتسعون حبلا والحبل خمسون ذراعا ويكون اعطاء المواشى مدرجة على أربعة اقساط ومن شرطها أن تكون قابلة للزرع والسقى وان تعفى من جميع الاداآت التى بواسطة والتى بدون واسطة فى جميع ماينبت فيها ومايربى من الحيوانات ونتائجها ولزم بسبب ذلك الحكومة مشاق سيرد تفصيل بعضها كما منح لجنة انكليزية احداث طريق حديدية من تونس الى حلق الوادى ومنح لجنة طليانية صيد نوع من السمك كبير يسمى التن فى مصيده بالمنستير ومنحها أيضا معدن جبل الرصاص واكترى لها أرضه المسماة بالجديدة التى حصلت فيها الخصومة المشار اليها عند الكلام على سياسة القطر الخارجية ونشأ من كل منحة مما ذكرنا اسمها من الصعوبات القاضى بها عدم الفائدة وعدم اتحاد الحكم وزادت المشاكل بكثرة الديون وعدم المال وروج فى القطر سكة من النحاس كل قطعة منها بنصف ريال وكان مقدار ماروّجها فيه يبلغ اثنى عشر مليونا ريالا وعظم الخطب لامتناع الاجانب من قبولها فى أثمان سلعهم وديونهم العامة لاهل القطر وبلغ سعر الصرف الى أن المائة ريال فضة تصرف بنحو ثلثمائة ريال وبلغ سعر الويبة من القمح الى السبعين ريالا بتلك السكة وبعد انفاق ماضربته الحكومة منها واشتداد الحال أنزل قيمة السكة النحاسية الى أصلها حقيقة وهو الربع مما نفقت به فصار نصف الريال ثمن الريال وضاعت على الاهالى تسعة ملايين سدى مع مازاد على ذلك مما جلب من نوع تلك السكة خفية وأكثر ما أصيب بالخسارة أهل الحاضرة فكانت قسطهم من غرم المال ولما بلغ الحزام الطبيين شدد الاجانب فى طلب ديونهم وفائضها وقطع القنسل الفرانساوى المخالطة مع الحكومة ثم استرضته واستقر القرار على تشكيل لجنة مختلطة من الاهالى والاجانب وسميت بالكومسيون المالى ونص الامر الصادر فى ترتيبه ﴿أما بعد﴾ فقد اقتضى نظرنا لمصلحة مال مملكتنا والرعية والمتجر ان ترتب

كومسيونا

كومسيونا ماليا على صورة الامر الصادر فى الرابع من ابريل من العام الفارط المؤكد بامرنا المؤرخ فى التاسع والعشرين من مايه الموالى للشهر المذكور على الكيفية الآتية ﴿الفصل الاول﴾ الكمسيون الذى صدر به أمرنا المؤرخ فى الرابع من ابريل سنة ١٨٦٨ يجتمع بحاضرتنا فى مدة شهر التاريخ ﴿الفصل الثانى﴾ ينقسم الكومسيون المذكور الى قسمين متميزين قسم للعمل وقسم للنظر والتصحيح ﴿الفصل الثالث﴾ قسم العمل يتركب على الصورة الآتى بيانها وهى عضوان من متوظفى دولتنا اسميهما نحن أنفسنا وناظر مالى فرانسيس نسميه نحن أنفسنا أيضا بعد تعيينه من طرف دولة جناب الامبراطور ﴿الفصل الرابع﴾ قسم العمل هو المكلف بحصر المداخيل التى يتيسر للدولة أن تخلص بها ذلك ﴿الفصل الخامس﴾ قسم العمل يجعل دفترا فيه يقيد جميع الديون المنعقدة خارج المملكة وداخلها وهى التذاكر المالية ورقاع سانى عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٥ وأما الديون الغير المحصورة بكنترانوات فعلى حاملى تذاكرها ان ياتوا بها فى خلال مدة شهرين وكذلك يسعى قسم العمل فى الاعلان عن ذلك فى جرنالات تونس واوروبا ﴿الفصل السادس﴾ مهما أراد قسم العمل الاطلاع على جميع الحجج الصحيحة المتعلقة بالداخل والمصاريف فان وزارة المال تجيبه الى ذلك حق الايجاب ﴿الفصل السابع﴾ بعد ان يقع حصر مداخيل الدولة ومقابلتها بجامعة المصاريف مزادا عليها مبلغ الدين يبحث قسم العمل عن توزيع المداخيل العمومية على وجه الانصاف باعتبار جميع الحقوق على طريق العدل وكذلك يجعل تجريدة المداخل التى يمكن زيادتها على جميع الضمانات السابق تعينها الارباب الديون ﴿الفصل الثامن﴾ لقسم العمل ان يجعل جميع التأويلات والتراتيب المتعلقة بالدين العمومى وتمده بكل ما يلزم من الاعانة لانفاذ ذلك الانفاذ التام ﴿الفصل التاسع﴾ قسم العمل يتولى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء ولا يسوغ اخراج تذاكر مالية من أى نوع كان الا بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التفويض اليه فى ذلك من قسم النظر والتصحيح واذا اضطرت الدولة لعمل سلف فلا يسوغ لها ذلك الا بموافقة القسمين وجميع التذاكر التى تخرج فى مقابلة المبلغ الذى يعينه الكومسيون لمصاريف الدولة تكتب باسم الكومسيون ويمضى عليها قسم العمل وقدر هذه التذاكر يلزم ان لا يتجاوز المبلغ المحدد فى قائمة المصاريف ﴿الفصل العاشر﴾ قسم النظر والتصحيح يتركب على الكيفية الآتى بيانها يعنى من عضوين فرانساويين ينوبان عن حاملى رقاع سانى عام ٦٣

وعام ٦٥ ومن عضوين انكليزيين وعضوين طليانيين ينوبان عن حاملى رقاع الدين الداخلى وهؤلاء الاعضاء يكونون بوكالات مخصوصة من قبل حاملى رقاع السالفين وحاملى كونفرسيونات مملكتنا ويصدر لهم اعلان فى ذلك منا تحت نظر قسم العمل

﴿الفصل الحادى عشر﴾ قسم النظر والتصحيح له الحكم فى جميع تصرفات قسم العمل وهو المكلف بتحقيقها وبالموافقة عليها عند الاقتضاء وموافقته ضرورية حتى ان الذى يستقر عليه رأى قسم العمل مما يتعلق بالمصلحة العمومية يصير بذلك واجب العمل به

﴿الفصل الثانى عشر﴾ اذنا وزيرنا الاكبر بالعمل بما تضمنته الفصول الاحد عشر المذكورة أعلاه وتعين العضوين وطالب الناظر المالى الفرانساوى المذكورين بالفصل الثالث فى أقرب وقت ممكن كتبت الاثناعشر فصلا أعلاه بسراية حلق الوادى فى السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ١٢٨٦ ستة وثمانين ومائتين وألف فانتظم هذا الكومسيون واستولى رياسته الوزير خير الدين والعضو الاول فى قسم العمل هو صاحب رتبة الوزارة فى فرانسا فيليت والعضو الثانى الوزير محمد خزنه دار وسيأتى تفصيل ما نشأ عن هذا الكومسيون وجمع ديون الحكومة فكانت ما يأتى

جملة الجوامع	فرنكات	
	٣٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى بباريس لايفاء الدين السابق الذى لم يخلص بتمامه وقدره نحو تسعة عشر مليونا كما تقدم
	٠٩٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من بينار بباريس سنة ١٨٦٣
	٢٥٠٠٠٠٠٠	الاستقراض من دار ارلانجى وغيره سنة ١٨٦٥
٦٩٠٠٠٠٠٠	٦٩٠٠٠٠٠٠	الجملة تسعة وستون مليونا
٦٩٠٠٠٠٠٠		

الاستقراضات الداخلية المعروفة بالكونفرسيونات

جملة الجوامع	فرنكات	
٦٩٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	الاول
	٠٩٦٧٠٠٠٠	الثانى
	١٧٨٥٠٠٠٠	الثالث

	٧٨٠٠٠٠٠	الرابع
٤٨٨٢٠٠٠٠	٤٨٨٢٠٠٠٠	
٣٦٨٠٠٠٠٠		جملة الدين الغير المنضبط بالتذاكر الراجحة
١٥٤٦٢٠٠٠٠		
٠٢٠٣٨٠٠٠٠		جملة الفوائد المتأخرة تقريبا
١٧٥٠٠٠٠٠٠	ريالات	

	ريالات	
	٢٨٠٤٣٧٥٠٠	جملة صرف تلك الديون بالريالات التونسية
٠٥٨٤٠٠٠٠٠	٠٩٠٠٠٠٠٠٠	فاذا أضفنا الى ذلك مداخيل الحكومة من وقت تعطيل القانون الى انتصاب الكومسيون الذى هو سنة ١٢٨٦ بحساب كل سنة خمسة عشر مليونا ريالا الذى هو اقل ما يمكن نظرا الى ما تركها عليه الوالى السابق محمد باشا ونظر الدخلها فيما بعد فيكون المجموع للستة سنين
٢٣٣٤٠٠٠٠٠	٣٧٥٤٣٧٥٠٠	
٠٤٠٠٠٠٠٠٠	٠٦٠٠٠٠٠٠٠	تقريب الغرم الذى دفعه السكان على مصاريف الثورة لانه ثبت بالحساب ان أهل الساحل وحدهم دفعوا من ذلك عشرين مليونا
٠٠١٠٠٠٠٠٠	٠٠١٦٢٥٠٠٠	ما أعانت به الدولة العلية الحكومة وقت الهرج
٠٠١٠٠٠٠٠٠	٠٠١٦٢٥٠٠٠	ما اهداه صاحب القرض الاول باسم المارستان واخذته الحكومة
٢٧٥٤٠٠٠٠٠	٤٤٣٦٨٧٥٠٠	

فكانت جملة الاموال التى خاضت فيها الحكومة فى مدة نحو سبع سنين مائتين وخمسة وسبعين مليونا فرنكا وصرف بها بالالات ماهو مرقوم بآثارها مع مزيد التضايق المالى بتعطيل الجرايات حتى امتدت الايدى الى الاوقاف وعطل ارسال مال الحرمين الشريفين من أوقافهما عدة سنين وكذلك عطل مرتب المدرسين والعلماء من بيت المال الذى اسسه أحمد باشا الاستيلاء الحكومة على مافيها من المال ولم يحصل من تلك الاموال فى القطر ما يمكن ان يذكر او يعد سوى ما تقدم ذكره من السفن والمدافع البالغ مجموع ثمنها الى ثمانية عشر مليونا وان اضفت الى ذلك ماخسره القطر والحكومة مما ضاع عند ابن عياد ونسيم وكله بواسطة الوزير المذكور كان مجموعه مع ما بين يزيد على خمسمائة مليون ريالا وحيث كان الحال مما لا يمكن اخفاؤه على الوالى بالمرة ذكر له وزيره خزنه دار انه خزن له فى بعض بانكات اوربا عشرين مليونا فرنكا احتياطا لما عساه ان يقع لان الثورة العامة انذرت مما يخشى من مثله فلابد أن يكون له ذخر خارج المملكة وذكر ذلك له مرة بمحضر أحد قناسل الدول ثم طالب هذا القنسل اسقاط الطلب عنه بتلك الملايين عند عزله ومن وقت انتصاب الكومسيون المالى قصرت يد الوزير خزنه دار عن التصرف وكاد أن يكون اسناد الوزارة اليه اسما بلا مسمى وحنق من ذلك أشد الحنق ورام ان يغير الحال فلم يوافقه الوالى لاطلاعه على حقائق الامور وعلمه ان رجال الحكومة لم يبقوا على ما كانوا عليه من الاتفاق على الوزير وبقى على ذلك الى ان ظهرت نازلة ارلانجى البنكير بطلب مالى وادعى انه بروسيانى وكان ذلك فى خلال محاربة فرانسا مع المانيا وشدد القنسل البروسيانى فى مطلبه ولم يكن للحكومة مال وظهر للوالى ان يستقرض من وزيره المال المطلوب فيه الحكومة فاقرضها اياه باورهن آجام وغابات طبرقه بفائدة عشرين فى المائة فى السنة ثم ظهرت نازلة الالفى رقعة وحاصلها ان الكومسيون المالى لما حصر جميع الديون ووحدها فى دين واحد جعل له رقاعا جديدة وشرع فى ابدال القديمة بالجديدة فعند ذلك تبين ان الرقاع الجديدة المقدرة على ماضبط من مقدار الدين لا تفى بالرقاع القديمة التى جاء بها أصحابها للتبديل فاستقرى الكومسيون اسباب ذلك وتبين انه لما انتصب الكومسيون المالى وجهت له الحكومة حسابا رسميا فيه بيان حساب الرقاع الرائجة من سابق سنة ١٨٦٣ و سنة ١٨٦٥ بعد طرح الرقاع التى رجعت بالخلاص للحكومة فى الاقتراعات وبعد طرح الالفى رقعة اشتريت على يد البنكير ارلانجى للحكومة من ديونها فلم يعتبر الكومسيون فى ديون الحكومة الامابقى

من

من رقاع السلفين بعد طرح القسمين المذكورين لان كلا منهما هو خلاص لمقدار من الدين وأذن الكومسيون بطبع عدد من الرقاع جديد بمقدار ما بقي من الدين ولما شرع في تبديل الرقاع وجد في رقاع سلف سنة ١٨٦٣ أكثر مما كان قدره على مقتضى الحساب الرسمي المشار اليه فظن أول الامر ان الزائد مزورة فتأمل في جميعها ولم يجد فيها ما يحمل على الزور فحاول حينئذ الكشف عن منشأ هاته الزيادة واستفسر من الوزير خزنه دار عن الالفي رقعة المشتراة على يد دارلانجي وما كان فيها فلم يجب واصر على السكوت مدة أكثر من سنة مع تكرر السؤال له كما يتبين ذلك من تقرير الجلستين المنعقدتين من الكومسيون في ١٥ أغشت سنة ١٨٧٢ وفي غاية سنة ١٨٧٣ ولما ألح الكومسيون على الوزير في طلب الجواب زعم أن الحكومة لم تتصل بالرقاع المذكورة وان دارلانجي هي المطالبة بذلك لكن الكومسيون قبل أن يطلب من ارلانجي البيان تحرى فيما يلزم من الاطلاع على الحساب مع الدار المذكورة وعلى الرسائل الواردة منها لكي يعتمد في المخاطبة ما هو الواجب فاذن الوالي في ذلك وأطلع عليه الكومسيون وثبت عنده أن الدار المذكورة سلمت تلك الرقاع للحكومة وكان من المعلوم لدى الكومسيون انه كان بين الوزير خزنه دار وبين رشيد الدحداح المتقدم ذكره معاملة خصوصية وان الوزير رهن ستة آلاف رقعة من سلف سنة ١٨٦٣ فظهر للكومسيون أن يطلب بواسطة ثاني الرائس وهو قنسلات الجائزتية الوزارة من رشيد الدحداح المذكور جريدة أرقام الرقاع المذكورة كما يطلب من دارلانجي جريدة أرقام الالفين رقعة التي استرجعتها الحكومة فاتصل بالجريدتين وكشف الحال أن الالفي رقعة روجها الوزير خزنه دار على يد الدحداح بعد خلاصها فعرض ثاني رائس الكومسيون على الكومسيون تقريرا مفصلا فيما ثبت لديه في النازلة وتضمنه تقرير جلسة الكومسيون المؤرخ في ٤ يونيه سنة ١٨٧٢ وملخص تقرير الجلسة أن الرقاع المذكورة سلمت في ١ فبراير سنة ١٨٦٤ للحكومة التونسية على يد شميت النائب عن دارلانجي وقيدت ثمنها في الحساب الواقع بين الحكومة والدار المذكورة المؤرخ في ١٧ مايه سنة ١٨٦٧ ثم روجها الوزير مصطفى على يد الدحداح القاطن في باريس وان استعمال الرقاع المذكورة على الوجه المذكور أضر بالحكومة وأرباب الديون وان رأى كل الكومسيون أجمع على طلب التعويض والخسائر من الوزير مصطفى المذكور اهـ وعلم الوزير بما وقع ونصحه الوزير خير الدين بفصل النازلة عن محل

فابى لانه لاتناله الاحكام وبلغ ذلك للوالى سرا بواسطة مصطفى بن اسمعيل اقرب المقربين لديه لتعصب الوزير خير الدين به فى انهاء نظائع خزنه دار اليه وافهامه ان الوزير خير الدين مضاد حقيقة لذلك الوزير وان كانت له عليه يد المنة والمصاهرة لما ذكر من سيرته فامتلأ وطلب الولى من انكاره اعمال وزيره ولم يزل الوزير مصرا على الامتناع من بيان الوجه فى رواج تلك الرقاع ثانيا الى ان واجه الوالى ثانى رائس الكومسيون بمحضر المذكور وعرض على الوالى ملخص النازلة وطلب منه امضاء الحكم فباشر الوزير ثانى رائس الكومسيون بكلام شديد الى ان انتهره الوالى وقال له ان جوابك له اما ان يكون بالحجة فى تبرئة نفسك أو تدفع الحق الذى عليك وانفصل الموطن وتيقن الوزير تغير الولى عنه لكنه لم يكن يظن انه يعزل فكاتب الوالى بالاقرار باخذه للاذن فى رقعة وطلب عفوه وادى للكومسيون ماطلبه ولما تيقن الوالى فظاعة النازلة وتيقن عدم الخوف من عزل الوزير بعد ان جس جميع الجهات أبرم عزله فى غرة رمضان سنة ١٢٩٠ وكان مبدء تقلده منصب الوزارة فى سنة ١٢٥٥ وارتحت البلاد عند سماع عزله فرحا وكادت لا يصدق بعضهم بذلك لشدة تمكنه من الولاة حتى ينقلون عن بعض الصالحين انه يقول له انه يخدم ثلاثة امراء يكون مع أولهم بمنزلة الابن ومع الثانى بمنزلة الاخ ومع الثالث بمنزلة الوالد سيما ذلك من آخر مدة أحمد باشا وزينت البلاد عند عزله ولم يسمع بمثل ذلك فى هذا القطر وتبع عمل الافراح جميع البلدان والقبائل وسخون على عزله افراد من خواص حاشيته ومن توفرت ارباحهم على يديه وافراد قليلون من الاجانب ورام من له وجاهة منهم ان يتداخل فى ارجاعه لمنصبه أو فى الاقل ان يواجه الوالى كآحاد المتوظفين فامتنع الوالى وجعل اتباعه يرودون كل وجه لارجاعه حتى سافر احدهم الى اروبا والى الاستانة واجتمع برجال الدول وبذل فى التوصل أموالا فلم يجد من يتداخل فى توليته وزيرا فى حكومة مختارة فى اداراتها وحيث تيقن الوالى كثرة الاموال التى توصل اليها الوزير المذكور من أموال الاهالى والحكومة سيما الاموال التى أخذها ابنه الاكبر بتذاكر على المالية مكتوب بها يدفع فلان وزير المال مقدار كذا من المال لامير الامراء ابننا مجهد فى مصالح على يده الخ ويقبض الابن المال ويمضى بخطه على القبض مع انه لا وظيفة له رسمية تقتضى صرف تلك الاموال ومع عدم بيان الجهة المصروف فيها المال فاراد محاسبته ومحاسبة ابنه على أموال الحكومة فتبرأ الوزير خير الدين من مباشرة ذلك على ماجرت به العادة من ان صاحب الوزارة يباشر مثل ذلك مع كل المتوظفين وعقد

لذلك

لذلك مجلسا مخصوصا يرأسه ولي عهد الولاية الامير أبو الحسن علي باي واعضاؤه المفتي الحنفي الشيخ أحمد بن الخواجه والقاضي المالكي الشيخ محمد الطاهر النيفر والوزير محمد خورشيد كاهية ووكالة الحكومة على طلب حقوقها الشيخ عمر بن الشيخ أحد كبار المدرسين بالجامع الاعظم وأرسل المجلس يدعو المطلوبين لسماع الدعوى كما أرسل الوزير خير الدين مكتوبا الى الوزير السابق يعلمه فيه بعقد المجلس للتأمل في نازلة المطالب المتوجهة عليه وعلى ابنه وجوابه عنها فامتنع من الحضور ولما ألح عليه بالحضور أرسل الى قنسل فرانسا يطلب حمايته وتوجيه أحد اعوانه ليحميه عند ذهابه للمجلس فتعجب القنسل من الطلب وأجابه بانه لا يتداخل في أحكام البلاد سيما ولم يجر عليه ظلم يقتضي مثل ذلك ثم أرسل وكيلا عنه من أحد رعايا الاجانب فلما دخل الى المجلس سأله الرئيس هل هو داخل تحت أحكام البلاد أم لا فاجابه بلا وتفاوض المجلس في قبوله وعدمه على تلك الصفة فظهر لهم انه يجب ان يكون الوكيل داخلا تحت أحكام البلاد ليؤاخذ بأعماله وأقواله فيما يتعلق بوكالته وفيما يعود اليه ولما علم الوزير خزنه دار بذلك أرسل ابنه الثاني محمد المنجي الذي هو بريء من جميع الاعمال السابقة وجعله وكيلا عن والده وأخيه وعلم ماهي مطالب الحكومة منهما وحيث علم ان الحجة قائمة عليهما ركن الى طلب الصلح فصالحته الحكومة وقال بعض الاعيان ان الصلح كان لا ينبغي وقوعه لان المال مال بيت المال فاما ان يتحقق مقداره ويؤخذ بتمامه وعلى فرض لدده يجبر بالحبس ولا مقالة لقائل اذا كان يصدر الحكم عليه من ذلك المجلس واما ان تثبت براءته ولا يؤخذ منه شيء وأجاب الوزير خير الدين بان اجباره يحصل منه القيل والقال سيما وشيعته يشيعون ان أصل المطالب غير صحيحة لقصد تداخل الاجانب في أمره وحيث طلب الصلح فالصلح خير ووقع هذا الصلح بخمسة وعشرين مليونا فرنكا وملخص صورة الصلح هو ما يأتي بيانه

		فرنك
أصل المبلغ الذى صولح عليه يطرح منه ما اسقطته عنه الحكومة		٢٥٠٠٠٠٠٠
		٠٥٠٠٠٠٠٠
		٢٠٠٠٠٠٠٠
بيان مادفع	فرنك	
ماسبقه للحكومة فى منابها من ربح دار السكة	٠٠٦٠٠٠٠٠	
ماهو بقية قرضه لما برهن طبرقه	٠١٢٣٥٩٢٢	
مادفعه عينا	٠٠٢٠٠٠٠٠	
قيمة ماملك من الربع والعقار والمنقول واستثناء قصر الحلفاوين والخشب المقطوع من طبرقه	١٠٩٦٤٠٧٨	
	١٣٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠
فبقى قبله سبعة ملايين مقسطة لاقساط كل قسط بنصف مليون فى سنة وضمن الولد الاكبر اباه مع خيار الحكومة فى الطلب وكتب بشرح ماتقدم صك امضى فيه الجميع وختمه شاهدان من عدول الحاضرة		٠٧٠٠٠٠٠٠
يطرح ما اسقط عنه فى مقابلة اسقاطه الاتفاق فى عمل دار السكة الذى احاله اليه حميدة بن عياد		٠١٥٠٠٠٠٠
		٥٥٠٠٠٠٠

فكان الباقى على النحو المار ذكره خمسة ملايين ونصفا فرنكا ولم يدفع الاقساط التى حلت عليه منها لدعوى الافلاس وذكر الاعيان ان المقادير التى دفعها لم يكن فيها شئ من العين الامائتى ألف فرنك ومابقى من الاملاك كلها الا ماندر أخذها بهبات من الولاة كما تشهد به رسومها أو اشتراها من الحكومة باثمان ضعيفة دفع فيها املاكا كانت الحكومة وهبتها له مثل قرنباليا التى اشتراها من الحكومة بنحو ثلاثمائة ألف ريال تونسية ودفع فى ثمنها أرض سبخة امام حمام الانف مع الحمام المذكور الذى كان أخذ

حميده

جميعه هبة من الوالي الحالي ثم بعد أربع سنين عند الصلح المشار اليه عرض ان تكون ذمة قرينته اليه المذكورة أربعة ملايين ونصف فرنكا ومما ينافي دعوى الافلاس أيضا ان كثيرين ممن لهم علاقة بالكومسيون المالي ومجلس ادارة المداخيل علموا ان الوزير المذكور كان قبل عزله يرسل من يستخلص له فوائض أربعة وعشرين مليونا فرنكا من خصوص الدين التونسي ثم بعد انبرام الصلح صدر له اذن الوالي بان يخالط من شاء ويذهب أين شاء داخل القطر وخارجه والعود اليه متى شاء هو وابناؤه الا زوجه وزوج ابنه الاكبر لكونهما من عائلة الوالي ولم تكن عادتهم تسمح بخروج أحد عائلتهم خارج القطر ولم يستثن عليه الا الاجتماع بالوالي وكان يظن ذلك بسعي الوزير خير الدين المتولي بعده لكنه كشف الحال انه من ذات الوالي لانه دام على الامتناع من مواجهته حتى بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة وبقي الوزير المذكور على حالة انفراده في قصره بالحاضرة يتردد عليه قليل من اتباعه والاجانب الى ان توفي سنة ١٢٩٥ رحمه الله (المطلب السادس) في وزارة الوزير خير الدين هذا الوزير أصله من ابناء الجراكسة القاطنين في جبال القوقاز ونشأ بالقسطنطينية ثم شب في تونس بقصر الوالي أحمد باشا واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العينية ولحدة ذهنه أقبل بها على تحصيل الفنون العسكرية والسياسة والتاريخ ومشاركة في الفنون الشرعية حصلها بمثافنة أهلها ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنساوي فكان فصيحا في العربية عارفا بالتركية والفرنساوية شديد التوقير للشريعة والعلماء محافظا على شعائر الدين عالي الهمة وقورا حتى يخاله من لم يخالطه متكبرا فاذا ثافنه رآه حسن القبول عفيفا عن الرشا راسخ الطبع ثابت الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازما في العمل ترقى في الخطط العسكرية في مدة أحمد باشا مع استنجابه اليه وقربه الوزير مصطفى خزنه دار حتى صاهره على ابنته ثم ولاه أحمد باشا أمير اللوا الخيالة سنة ١٢٦٦ ولما وقعت حرب القريم أرسله أحمد باشا المذكور الى باريس ليبيع مجوهرات للحكومة يستعين بثمنها في مصاريف العسكر المرسل لاعانة الدولة العثمانية وناضل هنالك على التعرض في ارسال العسكر بما تقدم شرحه ولم يبع المجوهرات الا بعد عرضه لاثمانها على الوالي أحمد باشا مع انه فوض اليه وانكر عليه التأخير بسبب الاستشارة وكتب له تفويضا تاما كما كلفه في تلك الوجهة بعقد قرض مع احدى ديار المال فباع الجوهرات وأرسل ثمنها وحاسب عليه وقدره نحو مليونين فرنكا وأخذ حجة تامة من محمد باشا في الحساب وبراءة ذمته وماطل في العقد للقرض وكيفية

شروطه لما يراه من المضرة على القطر وراجع الوالى مرارا الى ان توفى الوالى المذكور ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وقد رأيت بخط كاتب اسرار الولاة الوزير أحمد ابن أبى الضياف فى هذا الغرض مانصه وشكر رأى محمد باشا خير الدين فى عدم الاستعجال وانقذبها البلاد من هاوية الخ ثم عرض للوزير المذكور فى اثناء سفرته المذكورة هروب ابن عياد وتكليف الوالى أحمد باشا الوزير المذكور بخصامه فدام فى خصامه سنين مبدأها من سنة ١٢٦٩ ومنتهاها سنة ١٢٧٣ ونجح فى عمله بما تقدم شرحه عند الكلام على ولاية أحمد باشا ورأيت بخط الوزير أحمد بن ابى الضياف فى ذلك مانصه ولو تم مراد ابن عياد وجد من خير الدين اذنا صاغية لمواعيده لكانت المملكة فى أسره لوقتنا هذا لكثرة ما بيده من الاوامر والرسوم الى ان قال لولا تدارك لطف الله على يد خير الدين الخ ثم فى سنة ١٢٧٢ قدم الوزير خير الدين من فرانسا اتهنئة الوالى محمد باشا فاكرم مقدمه وعرف له نصحه فى النوازل المذكورة ورقاه الى رتبة الفريق وعاد لاتمام الخصومة المذكورة فولاه محمد باشا وهو غائب وزارة البحر لموت صاحبها محمود كاهية سنة ١٢٧٣ وعند انبرام الحكم على ابن عياد رجع الوزير خير الدين الى تونس واعتنى بمباشرة وزارته مع اعتماد الوالى عليه فى الاستشارة فحسن حالة حلق الوادى التى هى أعظم مرسى فى القطر بما استطاع ورتب هيئة خدمة الوزارة بتقييد المكاتيب الصادرة وضبط جميع الحركات اليومية فى دفتر وكان أول من عرف ذلك فى القطر وكانت الامور تجرى بلا ضبط وجعل اتفاقا مع الاجانب الذين استولوا على أكثر أراضى تلك البلاد بلا وجه فجعل معهم الاتفاق على ثلاثة أوجه فمن كانت بيده حجة من الوالى فى الاذن بالبناء جعل له قيمة كراء الارض خاوية سنويا على حسب الكراء المؤبد ولورثته ميراثها من بعده ومن كانت بيده حجة فى البناء من خصوص وزير البحر فقط فله ابقاء البناء مدة حياته لخصوص ذاته ومن بعده تر جع للحكومة وان امتنع قلع بناؤه أو تراضى مع الحكومة فى شراء الارض أو كرائها ومن لم تكن بيده حجة لزمه التوافق مع الحكومة أو قلع بنائه ووافقه على ذلك قناسل الدول وحصل من ذلك نفع كثير وتحصل من الكراء المؤبد ما هو وقف الآن على جامع حلق الوادى وقام به أحسن قيام ثم أحدث معملا لبخار يالما تحتاج اليه السفن من الادوات الحديدية والخشبية وأبدل الجسر الذى كان على الخليج بجسر حسن متين وأوسع الطرق ونظمها و بنى محلا لادارة الوزارة حسنا وجعل امامه بطحاء وحسن لباس العساكر البحرية ثم لما

أنشأ

أنشأ عهد الامان كان الوزير المذكور فارس ميادين انشا القوانين المؤسسة للحرية والعدل وكان المجلى فى مضمارها بتدابيره وفصاحته وعدم استحيائه من الحق حتى ان الوالى المذكور لما أراد جلب ماء زغوان وجمع رجال حكومته واستشارهم وكان أغلبهم ذاهبا الى عدم الموافقة فاجابهم الوالى بانى أعطيت كلمتى للقنسل بالموافقة على جلبه فتنفس الوزير خير الدين وقال أى فائدة لجمعنا حيث أعطيت كلمتك وحسبنا سماع هذا الخبر من سيادتكم كذا رأيته بخط كاتب أسرارهم الوزير أحمد بن أبى الضياف ولما ولى على القطر محمد الصادق باشا أرسل الوزير خير الدين المذكور الى الدولة العلية لطلب فرمان الولاية على العادة واستقبله استقبالا حسنا وقضى مأموريته ولما أنجز الوالى المذكور القوانين كان الوزير خير الدين عضوا فى مجلسه الخاص الذى يرأسه بنفسه كما ولاه رياسة المجالس الاكبراى مجلس النواب وكان فى مبدء الامر رئيسا ثانيا للوزير مصطفى صاحب الطابع وهذا هو الرائس الاول غير انه أخذ اقب الوظيفة فقط مراعاة لمقامه وسنه وعجزه سناوه ما رفاعن الوفاء بتلك الخطة ومن انصافه رحمه الله كان يصرح للوزير خير الدين بذلك ويقدمه حتى ان القانون بعد اتمام تأليفه عين الوالى أعضاء المجالس حسب الانتخاب وأمرهم بقراءة القانون وفهم معناه قبل العمل به فلم يحضر الرائس الاول وقام مقامه الوزير خير الدين وقال فى شأن ذلك الوزير أحمد ابن أبى الضياف ما نصه وأبدى فى تقريره أى القانون وبسطه وتفسيره من حسن البيان وفصاحة اللسان ما أعجب السامع وشنف المسامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه واعترف له بالفضل كل من حضر من العلماء وغيرهم ثم توفى الرئيس الاول وصار الوزير خير الدين هو الرئيس بالاسم والرسم والعمل وقد كان على غره ظانا أن القانون مراد لذاته حقيقة فشمر عن ساعد الجد وطفق يبرهن على المصالح ويفتح البصائر الى مغزاها وتنقاد الاعضاء لسد أبواب المفاسد الى أن نشبت مخالب التضاد بينه وبين الوزير السابق كما تقدم شرحه واضطربت أعضاء المجالس ورأى ان المآل الى جعل المجالس صوريا لانفاذ الاغراض على عاتقه فاستعفى من الرياسة وبقى عضوا فى كل من المجلسين وقال فى ذلك الوزير احمد بن أبى الضياف وانتفع المجلس باعانته أى انتفاع متردياً بحلية نبله وعفافه وانصافه الخ ثم أرسله الوالى سفيرا عنه الى دولة السويد والبروسيا والبلجيك والدانمرك وهلاندا مكافأة بارسال نياشين الى ملوكهم عما أرسلوا به اليه من النياشين اكراما له على انشائه القوانين وكذلك فعلت غالب دول أوروبا وفى اثناء عضويته عرض على المجلس الخاص

ان فواضل الاوقاف تصرف للقيام بالعسكر وافقه أحد العلماء المالكية معه اذا الفتوى بما جرى عليه العمل من غير المشهور من مذهب امام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه من ان فواضل الاوقاف تصرف فى طرق البر ورأوا أن القيام بالعساكر من طرقها فالفهم الوزير خير الدين محتجا بان القيام بالعساكر له نصيب معلوم شرعا من بيت المال فان كان النصيب المعين شرعا صرف جميعه على العسكر ولم يف بذلك فحينئذ ينطبق النص ونوافق على ماذكرتم وأما اذا كان دخل بيت المال يصرف فى غير وجهه الشرعى كما يعلمه الجميع فلا أرى انطباق النص على ماذكرتم ولعمرى انه لهو صميم الحق فثمرة العلم تحقيق المناط وان ذهبوا الى العمل بما رأوا وكان ذلك من أسباب ايغار صدور الخاصه والعامة كما تقدم ولما راموا أن يضاعفوا الاداء المسمى بالاثنين وستين الذى كان سببا فى الطامة الكبرى كما مر قال الوزير المذكور للوالى حسبما رأيته بخط الوزير ابن أبى الضياف الحاضر فى المجلس ياسيدى ان أخفيت ماظهر لى من نصح سيدى وبلادى أكون خائنا الامانة الاستشارة نرى ان هذه الزيادة فى مال الاعانة تؤدى الى زوالها بالمرة أو تلجئ الى مال أكثر منها لتجهيز الجيوش لغصب الناس ولا نجد فى السنة التى بعدها مايقارب الاعانة الاولى هذا باعتبار القدرة على الغصب ولعمرى أنها مقالة دين ونصح تجد ثوابها يوم تجد كل نفس ماعملت الخ كلامه وصرح بمثل ذلك فى المجلس الاكبر أيضا ولما سأله بعض أعضائه سراعما أوجب تسليمه قال انى رأيت السقف يريد أن ينقض ولم استطع استدراكه ولا وجدت اذنا صاغية فخرجت من تحته وعلى بخويصة نفسى ثم لما أبطل القانون بقى الوزير خير الدين فى بستانه مقبلا على شؤون نفسه لايختلط بالحكومة الا نحو يومين فى الشهر يتوجه الى الوالى للسلام عليه أوعندما يدعو لامر ما كما وقع عند قتل الشهيدين اسماعيل السنى ورشيد لان الوالى جمع بعد ذلك جميع رجال حكومته وأعلمهم بالقتل ورأيت فى صفة المواطن بخط الوزير ابن أبى الضياف الذى كان حاضرا فيه مانصه وقال له الوزير المنصف أبو محمد خير الدين نرجوا الله أن يكون هذا حد البأس وان لاتقع ندامة على هذا الاستعجال بعد وصولهما الى محبسهما الان امع الزمان ينافى هذا الاستعجال فاغتاظ الوالى وكاد أن يستهويه الغضب لولا لطف الله بخير الدين الخ وله فى أمثال ذلك من النصح والاقدام كثير وفى اثناء استعفائه كان التزاور بينه وبين الوزير مصطفى خزنه دار مستمرا للقرابة المصاهرة ولا يتداخل معه فى رأى من تصرفاته كما كان الاعيان من المتوظفين

المتوظفين والاهالي يزورونه ولا يخوض معهم في شيء من أحوال سياسة البلاد متجنبا القيل والقال مستكفيا في التأنس وراحة البال بخواص من أصحابه مقبلا على مطالعة الكتب والتآليف فألف كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وهو أول كتاب مبتدع في السياسة التي يقتضيها الحال والشرع وكفى بتقاريظ العلماء فيه مع أن الرجل اذذاك بعيد من شائبة التملق اليه ثم لما شددت الاجانب في طلب أموالهم وأنشئ الكومسيون المالي باتفاق الدول دعاه الوالي الى رياسة ذلك الكومسيون فامتنع ولما ألح عليه الوزير السابق قال له ما معناه ان الحال قد بين التباين بين مهيعي ومهيعك في طريق السياسة وانت رجل مثل والدي لك التقدم على فان وافقتك خنت ديني وأمانتي وان خالفتك صرت الى العداوة معك فالاولى بقائي على ما أنا عليه فاجابه بترك جميع ما مضى وان الحال قد بلغ النهاية وانه لا يريد في المستقبل الا الاصلاح وموافقة الرأى فأعاد الوزير خير الدين مقاله وان تابع الوزير مصطفى خزنه دار لا يوافق السيرة التي يراها هو فاكد له مزيد الموافقة في عدة مواطن وقبل اذذاك الوزير خير الدين رياسة الكومسيون ومن هذا الوقت وهو سنة ١٢٨٦ تنسب التصرفات اليه وان رجع الوزير السابق عن وعده وتحمل الوزير خير الدين بسبب ذلك مشاقا صعابا لكنه لم يتنح للوزير مصطفى خزنه دار مراده الى ان انفصل عن الوزارة بالمرة كما تقدم شرحه فاول ما ابتدأ به الوزير خير الدين من الاعمال انه رأى تداخل الكومسيون المالي في مالية الحكومة يتسع نطاقه الى التداخل في السياسة كما يقتضيه صريح فصول تركب ذلك الكومسيون ودليله انه بعيد انتصابه وجه تقريرا للوالي في أمور تقتضيها وظيفته من مباشرة العمال في استخلاص الاموال وغير ذلك وتوقف عن امضائها الوزير السابق لانها تؤول الى خروج التصرف عنه بل وعن الحكومة أيضا فاشتكى أعضاء الكومسيون الاجانب الى قناسلهم بان اعمال الكومسيون توقفت لان أساسها توقفت الحكومة في امضائه فكتبت القناسل للوالي بالتعجيل والحث على اجراء ما التزم به للدول الثلاثة وهي فرانسا وايطاليا وانكلترا فجمع الوالي جميع رجال الحكومة وعرض عليهم الامر وكان من الحاضرين الوزير أحمد ابن أبي الضياف وكتب حسبما رأيته بخطه فيما وقع في المجلس ما نصه وتكلم الوزير خير الدين بالمجلس بما يكتب على صفحات الايام الى أن قال انكم دفعتموني الى هذه الخدمة وأنا عبد لخدمة سيدنا وبلادنا على كل حال وأطلب الاعانة من جميعكم فان أعنتموني فلكم الفضل وان أسلمتموني لا أجمع

للهروب وانما أقول اخدم برهة من الزمان وأنا انو ليقدم غيرى من أمثالى يخدم مثل مدتى وهلم جرا فضمن الجميع له الاعانة كل على حسبه وانفصل الموطن الخ وأمضى الوالى مطلب الكومسيون وخاطب القناسل بذلك وكان ذلك مما يجر الى ابقاء الحكومة صورية لان استخلاص الاموال يستدعى تحسين الادارة وهو يستدعى العدل فيتداخل الكومسيون فى جميع ذلك وتهرع اليه الاهالى ولا يبقى للحكومة الا التزرفلذلك أشار الوزير خير الدين على الوالى بوجه تمضى معه حقوق الكومسيون وتحفظ به حقوق الحكومة وناموسها وهو توظيف رئيس الكومسيون بوظيفة وزير للوالى فى رتبة الوزير الاكبر بحيث يشاركه عند حضوره وينفرد عند غيابه وتنقل خدمة الكومسيون الى محل الوزارة ويكون مصدر جميع الاعمال واحدا فاستحسن الجميع ذلك الرأى ووظف الوالى الوزير خير الدين وظيفة سماها بالوزير المباشر فرتب أشغال الوزارة على الصورة الآتية وهى الوزارة الكبرى وتحصر فيها جميع شعب الادارة الا الوزارتين الآتيتين بمعنى أن الوزير الاكبر ثم الوزير المباشر هما اللذان يباشران جميع المصالح اما بواسطة أو بدونها ثم قسم ادارة هاته الوزارة الى أربعة أقسام (فالقسم الاول) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه جميع الامور السياسية العامة وأحوال المالية الخاصة بدخل الحكومة وخرجها دون ما يتعلق بالكومسيون المالى (والقسم الثانى) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بشكايات الرعية من المتوظفين والعكس (والقسم الثالث) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالحقوق التخصيصية ثم اتحد هذا القسم بالقسم الثانى (والقسم الرابع) تحت رياسة مستشار ويرجع اليه ما يتعلق بالخارجية كما جعل كلا من وزارتى الحرب والبحر مستقلا بنفسه كل منهما له وزير خاص غير انه تحت نظارة الوزارة الكبرى فهذا ما يتعلق بكيفية الارادة وأما ما يتعلق بما حصل من الادارة فان ديون الحكومة حصرت فكانت مائة مليون وخمسة وسبعين مليونا فرنكا كما تقدم تقريبه آنفا وكان الفائض الذى يدفع سنويا نحو العشرين مليونا فرنكا فاسقط من الاصل نحو مليون فرنكا ثم طرحت العشرون مليونا التى هى الفائدة التى لم تدفع وجعلت دينا بلا فائض يستهلك من الدخل المضروب جديدا على البضائع الداخلة للقطر وبقى المقدار الذى يؤدى الفائض نحو مائة مليونا وخمسة وعشرين مليونا فقط فجعل له فائضا خمسة فى المائة وصار مقدار الفائض السنوى نحو ستة ملايين فرنكا وخمسمائة ألف فرنك الذى هو نحو الثلث مما كان جاريا

وخصص

وخصص له أنواع مخصوصة من مداخيل الحكومة لان نواب أصحاب الديون وهم قسم النظر من الكومسيون المالى لم يرضوا بان الحكومة تتعهد لهم بدفع الفائض بل أرادوا ان تكون ادارة المال الراجع اليهم تحت أيديهم فجعل لذلك مجلسا يسمى مجلس الادارة أعضاؤه أجانب منتخبون من قسم النظر من الكومسيون وعددهم خمسة وعضو تونسى ينتخبه قسم العمل وفوض اليهم قبض المداخيل الراجعة الى الفائض تحت احتساب قسم العمل ثم قسمت مداخيل الحكومة الى قسمين (القسم الاول) يتولى قبضه ذلك المجلس والانواع التى سلمت الى ذلك هى ما يأتى بيانه مع بيان تقريب دخله حسب الميزانية المسلمة من الوزارة السابقة

فرنكات	
٠٣٥٠٠٠٠	لزمة فندق الغلة أى الاداء على الخضراوات والفواكه المباعة فى الحاضرة
٠٤١٢٠٠٠	محصولات سوسه والمستير أى الاداء المرتب على نحو ماذكر وعلى بيع الحيوانات وغيره
٠٠٩٧٠٠٠	الرحب أى الاداء على بيع حبوب القمح والشعير وشبهه
٠٥٠٠٠٠٠	القمرق أى الاداء على السلع الداخلة والخارجة للحاضرة من الممالك
٠١٠٠٠٠٠	خروبة الاكرية بالحاضرة أى أنه يؤدى على كل ريال المنقسم الى ستة عشر خروبه خروبة واحدة أى جزء من ستة عشر على كل مكان يكرى
٠٠٤٥٠٠٠	قمرق صفاقس
٠٠٠٨٠٠٠	قمرق وادى قابس
٠٠٢٥٠٠٠	قمرق سوسه والمستير والمهدية
٠٢٢٠٠٠٠	قمرق الدخان أى انحصار بيع الورق المدخن به والمستنشق فى الحكومة
٠٠٥٥٠٠٠	قمرق الخل أى ما يؤدى على المسكرات
١٨١٢٠٠٠	

فرنكات	
١٨١٢٠٠٠	نقلت
٠٠٤٥٠٠٠	فندق البياض أى ما يؤدى على بيع الفحم
٠٠٦٠٠٠٠	الجبس أى انحصار بيع الجص فى الحكومة
٠٠١٠٠٠٠	صيد الحوت أى الاداء على صيد السمك وانحصار أماكن البحر فى صيد الحكومة
٠١١٠٠٠٠	الملح أى انحصار بيعه أيضا فيها
٠٠٥٥٠٠٠	الاداء على النشاف والقرنيط أى الاسفنج ونوع السمك المسمى بالقرنيط
٠٨٥٠٦٠٠	قانون الزيتون فى سوسة والستير والمهدية وصفاقس أى الخراج على شجرة الزيتون عوضا عن العشر
٣٠٣٢٠٠٠	
٠١٥٠٠٠٠	قانون زيتون الوطن القبلى
٠١٠٠٠٠٠	محصولات صفاقس مثل ما بيناسابقا
٠٠٩٠٠٠٠	محصولات جربه وقرقها
٠٠٨٠٠٠٠	محصولات بنزرت
٠٠٢٠٠٠٠	محصولات حلق الوادى
٠٠٠٨٠٠٠	لزمة صيد المرجان أى المقدار الذى يؤدى على ذلك من الفرانسيس
٠٠٨٥٠٠٠	محصولات الوطن القبلى
٠٣٠٠٠٠٠	التنبر أى الاوراق المختوم عليها من الحكومة ليكتب فيها الاحتجاجات بحيث لا تقبل حجة فى غير ورقة مختومة
٢٦٤٠٠٠٠	السراحات أى الاداء على ما يخرج من القطر من الحبوب والزيت والتمر والصوف والصابون
٢٥٠٥٠٠٠	

وقد أقيم الحساب على مقتضى هاته الميزانية فلم توف فى أغلب السنين للغلط الذى وقع فى

في تقدير فصل السراحات وهو الاخير لان ذلك غير صحيح كما أبانه الواقع وسبب ذلك عدم امكان ضبطه في الوزارة السابقة فقرب تقريبا بالقياس على سنة كانت خصبة مع الطلب في الثمن الى أوروبا ولذلك لزم الحكومة ان تكمل من دخلها الخاص ما ينقص من ذلك الدخل عن الوفاء بالفائض حسبما هو مشروط في اللائحة التي جعلها الكومسيون المالي أساسا لاعماله فان منها ان فائض الدين الذي هو ستة ملايين ونصف فرنكا كما تقدم ان وفت بها المداخيل المعطاة لمجلس الادارة فبها ونعمت والا فالحكومة ملزومة بان تكمل من باقي مداخيلها ما يوفي بذلك المقدار غير انها في السنة الاولى لا تكون ملزومة الا بكمال خمسة ملايين وما نقص يذهب مجانا على أرباب الديون وفي السنة الثانية تكون ملزومة باكمال خمسة ملايين ونصف وفي السنة الثالثة تكون ملزومة باكمال ستة ملايين وفي السنة الرابعة تكون ملزومة باكمال الستة ملايين ونصف وهكذا فيما بعد للاسباب التي تقدم شرحها في ضعف القطر ومن الشروط أيضا ان الحكومة لها ان تستقرض من خزانة مجلس الادارة مليونا متى أرادت لسبب قوي على ان ترجعه قبل مضي ستة أشهر ولا تؤدي عليه فائدة ومنها أيضا اذا زاد دخل القسم المذكور من المداخل على القدر اللازم فانه يبقى منه نصف مليون للاحتياط وما زاد على ذلك يشترى به رقاع من الدين وتستهلك وهكذا في كل عام الا اذا زاد الدخل على ثمانية ملايين فرنكا فان ما زاد يقسم أيضا فالنصف يلحق بما تقدم في استهلاك رأس مال الدين والنصف الآخر تصرفه الحكومة على نظر قسم العمل من الكومسيون في المصالح العامة كالطرقات وغيرها (وأما القسم الثاني) من مداخيل الحكومة وهو ما بقي من أنواع المداخيل كاعشار الحبوب والزيت وخراج النخيل ومدبغة الجلد والاداء على الرقاب المسمى بالجبا أو الاعانة الذي هو نحو خمسة ملايين ونصف فرنكا فانه يتولى قبضه قسم العمل من الكومسيون وهو الذي يتولى دفعه الى الحكومة على مطابقته للميزان الذي يجعل في رأس السنة لمصاريف الحكومة في مصالحها ومرتبات العائلة الاميرية ولسائر المتوظفين وتكون بطاقات الاذن لحافظ الخزنة بالدفع صادرة من الوالي غير انه لا يختمها بامضائه ما لم يجد عليها امضاء اعضاء قسم العمل من الكومسيون اعلاما بان البطاقة موافقة لاصول الميزان المالي ولا يكتب من تلك البطاقات في وقت من الاوقات الا بمقدار ما في الخزنة من المال بحيث لا تقع المماطلة لصاحب البطاقة من القابض الذي هو حافظ الخزنة حتى ربما يضطر صاحبها الى اسقاط شيء مما بها اندفع اليه أو انه يبيعها لغيره

مما يوجب احداث دين جديد على الحكومة هذا هو الرسم الذى جرى عليه العمل فى الظاهر ورعما وقع ما يخالفه على وجه تصعب مراقبته فهذا ما يتعلق باحوال الديون وما جرى عليه العمل فيها وقد رفعت فوائضها فى السنين الاولى على نحو ما تقدم من مداخيلها المعينة لها ثم فى بعض السنين أكملتها الحكومة من مداخيلها وفى بعضها زاد الدخل المعين لها حتى اشترى منه شئ من أصل الدين وفى بعضها رهنت الحكومة دار الجلد أى مدبغته لاكمال الفائض بحيث ان جميع مدة تصرف الوزير خيرالدين لم يبق على الحكومة شئ من فائض الدين وانتسق دفعه فى أوقاته ثم جعل هذا الوزير معاهدة متجرية مع سائر الدول الاجنبية على ان يزاد فى اداء القمرق على السلع الداخلة من ممالكهم الى القطر والمقدار المزاد خمسة فى المائة وعين هذا المقدار الى استهلاك الدين الذى يبقى بلا فائض وأصله فائض الديون السابقة الذى لم يدفع وقدره نحو عشرين مليونا على نحو ما تقدم ثم بعد خلاص ذلك الدين يرجع ذلك المقدار مع بقية دخل القمرق الى فائض الدين المتحد واستهلاكه وصار اداء القمرق على السلع بين المزيد والمزيد عليه ثمانية فى المائة واما ما يتعلق بتحسين الادارة المالية والحكمية فى القطر فاحدث أمورا عديدة نافعة فمنها انه أبطل أنواع المجابى التى اختلفت كيفيتها وكميتها فى السنين المتقدم ذكرها وجعل على كل ذكر بالغ قادر على التكسب أربعين ريالا تونسيا فى السنة مدرجة على أربع سنين (ففى الاولى) يدفع المطلوب خمسة وعشرين ريالا (وفى الثانية) يدفع ثلاثين ريالا (وفى الثالثة) خمسة وثلاثين ريالا (وفى الرابعة) أربعين ريالا وبجرى بها العمل من غير زيادة وشدد فى الاخذ على أيدى العمال بحيث لا تمتد يد أحد منهم الى شئ زائد عما ذكر وجعل لهم أجرهم ستة فى المائة يأخذونها من ذات الاموال المستخلصة على أيديهم الراجعة للحكومة منها أربعة للعامل وريالان للشيخ ثم أبطل هذا الاجر وعوض بواحد على كل عشرة تستخلص من الدافع زيادة على العشرة بحيث صار على كل نفر أربعة وأربعون ريالا فى السنة وذلك الواحد الزائد يجمع عند العامل فيأخذ هو النصف والنصف الآخر يقسم بين مشايخ العمل ونواب العامل المعين بالخلفاوات (ومنها) جعل قانون معلوم لرسل الحكم فى استخلاص الاموال سواء كانت راجعة للحكومة أو للاهالى أو للاجانب بحيث يأخذ المرسل نصف ريال على كل عشرة يستخلصها من الملة هذا اذا كان رسولا من الحكومة أى من أعوان الوالى اما اذا كان من أعوان العامل وغيره من الحكام غير أهل الشرع فانه يأخذ ربع ريال على كل عشرة وقد كانت قبل ذلك على

حسب المشيئة (ومنها) ترتيب استخلاص أعشار الحبوب التي اضطرب حالها أيضا فضر
ه شركل ماشية أي ما يحرثه الرجل الواحد في السنة الواحدة على الحيوانات المناسبة
بحسب كل جهة وبذرها مما يطلق عليه اسم الماشية هنالك في خمسة ويبات قمحا
ومثلها شعيرا الذي هو أقل ما يمكن ان يكون عشر الخارج من النبات في أغلب السنين
وما زاد على ذلك من العشر الحقيقي فهو في عهدة ديانة صاحب الزرع يدفعه ان أراد
واذا أثبت صاحب الزرع ما احتاج زرعه فانه يسقط عنه بمقدار ما ضاع له ويؤدي أجرة
الكيل والتقييد والتقدير أربعة ريالات على كل ماشية هذا كله في الجهات التي تدفع
العشر من ذات الحبوب النابتة وأما الجهات التي تدفع عوض ذلك دراهم لبعدها عن
محل الدفع فان الدافع يدفع خمسين ريالا على كل ماشية في كل سنة وريالين أجرة
المستخلص وهذا المقدار مراعى فيه حالة صاحب الفلاحة لان ثمن الخمسة ويبات من
القمح وحده تبلغ الخمسين ريالا بحسب ثمن كل ويبة عشرة ريالات الذي هو السوم في
أغلب السنين وروعي فيه أيضا جهة الحكومة لما يلزمها من كثرة مصاريف الحمل لعدم
الطرق الصناعية ثم ان ذلك المقدار قسط أيضا تدريجا على أربعة سنين يبتدئ بثلاثة
ويبات ونصف من كل نوع على حدته ويزيد في كل سنة نصف ويبة الى ان يوصل في
العام الرابع الى خمسة ويبات من كل نوع ومثله ما يقابله من المال وقد نتج من ذلك
عمران الايالة بدليل انه عند ولاية المذكور وزيرا مباشرا لم يكن في الايالة عشرة آلاف
ماشية أرضا مزروعة وعند خروجه من خطة الوزارة ترك في المملكة أكثر من مائة ألف
ماشية مزروعة (ومنها) التخفيف على خراج الزيتون المسمى بالقانون في الوطن القبلي
الذي كان أجحف بأهله في المدة الماضية حتى سلمت أصحاب الاملاك فيما يملكون ولم
يقبل منهم وأقروا البوادي باحراقه للاستراحة من مطالبه فنزل من رتبة الريال والنصف
ريال على كل شجرة الى الثمانية نواصر على كل شجرة والناصري هو جزء من تجزئة
الريال الى اثنين وخمسين ناصري ثم اسقط عن أصحاب الزيتون احدى وثلاثين ألف
شجرة زيتونا احترقت واسقط عنها اداءها وبه يعلم مقدار ما كانوا يتحملون ومقدار
نقصان العمران فيما سبق ونشر ذلك في العدد الثاني من رائد سنة ١٢٨٦ الذي هو
الصحيفة الرسمية للحكومة ثم اسقط هذا الاداء بالمرة ورجع الامر الى الوجه الشرعي وهو
العشر على ما يحصل من الزيت وفرح بذلك أصحاب الاملاك وأقاربهم فرحا شديدا
لارتياحهم من اعياء ذلك الثقل العظيم (ومنها) تخفيف قانون النخيل ببلد نفزاوة من عمل

الجريد حيث كان منفقا سائر غل الجريد مع انه غير مساو لما فيه من شجرة النخيل خصبا وحسنا فلذلك جعل على كل شجرة من نوع الدقلة ريالا ونصفا وعلى بقية أنواع النخيل ستة خوارب على كل شجرة والخروبة جزء من ستة عشر جزاء من الريال كما تقدم (ومنها) ترتيب مجلس محاسبة العمال والمتوظفين عما تعاطوه بحسب وظيفتهم ولم يوصلوه الى الحكومة وبقيت قبائلهم وبلدانهم مطلوبين للحكومة ببقايا ما عليهم فتحرر من ذلك مبالغ جسيمة قبضت الحكومة بعضها وبعضها لم يقبض اما الاعدام من قبضه أو للعفو عنه واسقط ذلك من المطالب الباقية على أصحابها من أهل الجريد ودريد وجندوبه والساحل وأولاد عيار وأولاد مجور ومن ذلك محاسبة أحمد زروق واتباعه وابراهيم بن عياس واخوانه وعلى السامى وعبد الرحمن بن عمر والحاج الحسنى وملخص الحسابات ما يأتى بيانه ريالات

٨٠٠٠٠٠٠٠	من الساحل حسبما أفاد أحد اعضاء مجلس المحاسبة
١١٥٨٠٨٥٣	من بقية الاعمال المذكورة حسبما اشرت المحاسبات
٩١٥٨٠٨٥٣	

٥٨١	منها أيضا غنم	ر ١٣	منها أجرة
٠٦٤	منها بقر	١٣ ر ٠٧	منها اقفزة قمحا
٠٢٠	منها خيل	١٢ ر ١١	منها اقفزة شعيرا
٠٠٣	منها ارطال فضة	ر ٠٤	منها بغال
٣٤٠	منها ابل	ر ٢٦	منها طرحات تبن

(ومنها) تنقيح المتوظفين بالاولى غرا الصدور الامن تفاقمت سقطاته فدحض واما غيرهم فلم يؤثر من كان من حزبه على غيره ولو على اضداده فلم يفد فهم الاحسان ونقص بذلك اعتبار حزبه حتى رآه الوالى مفقود الاعوان واتخذها ذريعة لعزله من الوزارة وصدقت وصايات الحكماء الاقدمين الحاثين على جلب الاصدقاء والاعوان وعدم الركون الى الاعداء لان تقريبهم لا ينفع والاصدقاء يضمحلون بذلك واما دعوى التحزب بالجمهور فذلك أمر لا يتم الا للملوك الذين رسخت قدمهم فى الملك بالتوارث وصار انقياد الانفس اليهم طبيعيا مألوفا فهم أشد الاصناف احتياجا الى معونة الاصدقا (ومنها) الترغيب فى غرس الزيتون والنخيل بان جعل لكل من غرس منها شيأ ان لا يؤدى عليه شيأ من الاداآت

الاداآت المرتبة على ذلك النوع مدة خمسة عشر سنة (ومنها) رفع الضرر عن أهل الساحل من وطأة أصحاب ديونهم فانهم كانوا يسجنون المدين مع قيام الرهن بيد الدائن ويبيعون غلة الاحباس المشتركة مع المدينين وغيرهم ويستولون على الجميع ويطلبون الضامن قبل فلس المدين مع عدم اشتراط ذلك ويستولون على مخلفات من مات من المدينين ويبيعونها على غير يد الحكام واذا أفلس المدين لا يتركون له ما يستر بدنه ولا ما يقتات به ويتركون المدين فى السجن بلا تحديد مدة فأبطل جميع ذلك وأجرى فيه أحكام البلاد الشرعية والعرفية (ومنها) ارجاع من هاجر من القطر من الاهالى بالامن لهم والعفو عمن سبقت منه جناية واسقاط ما عليهم من المطالب الى الحكومة وكذلك العساكر الذين فروا من القطر شملهم بمثل ذلك (ومنها) ارجاع من نكب من أتباع الحكومة وتأمينهم وتقليدهم بمثل ما كانوا عليه من الوظائف اذ لم يكن من ذنب معقول لابعادهم أو نفيهم أو نكبتهم فرجع للقطر وللوظيفة السيد الشريف أمير اللواء حسن مقرون وأخوه والوزير رستم والوزير حسين وأمير الامراء محمد المرابط وأمير اللوا يونس الجزيرى وأمير اللوا مرادو وأمير الالاى حسين ورديان باشا وأمير الالاى حسن مدلجى والقائم مقام على جهان وغيرهم (ومنها) حصر الديون التى على أهل الساحل من الاجانب وبناؤها على أساس لائق بالجانبين بحيث انقطع تفاقم الربا وتضاعفت زيوت السلم وجعل لخلاصهم مدة معينة على اقساط (ومنها) ان أمير لواء العسة اذ ذاك على ابن فريجه نقم عليه الوالى وأرادوا ان يأخذوا منه أهم مصوغه وكسبه باوجه من الدعاوى بلا بينة ولا ترافع كما وقع مع الشهيد ابن اسماعيل السنى ورشيد فامتنع الوزير خير الدين واقام له مجلس المحاسبة ومكنه من مصوغه وما ثبت عليه بعد الحساب دفعه باختياره (ومنها) بذل وسعه فى استحصال فرمان سنة ١٢٨٨ السابق ذكره على ما مر شرحه ومن فرح الوالى به واكرامه على ما تم على يده ان وجه له وهو مقيم بالطه لمدة الحمية مصطفى ابن اسماعيل أقرب المقربين اليه ومستشار الخارجية محمد البكوش لاكرام خاطره وابلاغ الشكر اليه وأرادان يلبسه نيشان البيت الحسينى فتعرض له الوزير مصطفى خزنه دار وأبدل له نيشان الصنف الاكبر بنيشان منه مرصع ثم كافأه على ذلك بمرتب عمرى قدره خمسة وسبعون ألف ريال تونسيه فى السنة ثم عاوض له هذا المرتب بهنشير أى أرض وسيعة تعرف بالنفيضة (ومنها) اسقاط جميع البقايا الباقية على الاهالى من مداخيل الحكومة على اختلاف أنواعها مما سبق تاريخه سنة ١٢٨٦ الذى هو

مبدأ مباشرته للوظيفة وانبعثت بذلك آمال الاهالى الى تعمير الارض حيث كانوا يرون ان ثمرة أعمالهم يستأثر بها غيرهم للوفاء بتلك البقايا الباهظة التى دفعوا أضعافها (ومنها) تركيب المجلس للحكم فى نازلة الوزير مصطفى خزنه دار عند عزله كما تقدم شرحه وتجنبه للعادة فى مثل ذلك من كون الوزارة هى التى تباشر مثل تلك النوازل لينفى الشكوك والتهم ومنذ ذلك التاريخ انفرد الوزير خير الدين بالوزارة حساً ومعنى ولقبه الوالى بالوزير الاكبر وابطل لقب الوزير المباشر وقلده بنيشان بيته الحسينى مع بقائه على رياسة الكومسيون المالى وذلك فى غرة رمضان سنة ١٢٩٠ فزينت البلاد وعقد الاهالى محافل ليلية مع التنوير وهكذا سائر بلدان المملكة وقبائل عربانها بما أذكرهم احتفالهم بفرمانه سنة ١٢٨٨ حسبما سبقت الاشارة اليه لتيقنهم بالاستراحة من تصرفات السابق وأملهم بازدياد اصلاحات المتولى لما عرفوا من اياديه مما مر ذكره وفى هاته الاثناء تم اسقاط خراج الزيتون المسمى بالقانون فى الوطن القبلى الذى مر ذكره وجعل عوضه لخزنة الدين تعميم الخروبة على جميع الاملاك سواء اكتريت أو سكن فيها المالك بان يقوم كراءها ويدفع بحسبه خروبة على الريال أى جزأ من ستة عشر جزأ وعم ذلك البلدان والقرى والبساتين لان نواب أصحاب الدين لم يرتضوا باسقاط القانون الا بعوض عنه فى الدخل ومن تصرفاته بعد ذلك انشاء جمعية الاوقاف بان جعل نظار الاوقاف مطلقا فى جميع انحاء القطر لجماعة من أعيان الاهالى مركبة من رئيس ونائبه وعضوين وكان الحقير متوليا ادارة هاته الوظيفة التى صحابها ينظرون فى مصالح الاوقاف سواء كانت أهلية أو على أعمال البر لكن الاهلية نظرهم فيها بارشاد أهلها لاقامتها وحراستها من الاتلاف والتى على أعمال البر يتولون ادارتها وحفظها اذ كانت تلاعبت بها أيدى الاهمال وكانت كانها مناط التفضلات فما من وقف له شئ من الدخل قليل أو كثيرا الا ويعطى لاحد ذوى التقرب أو الاستناد ان بيده التصرف فتعطلت منافع الاوقاف وأهمل الموقوف عليه الى ان خرب أكثره وقد عينت ثقاة لتحرير ما يكفى لاصلاح الموقوف عليه وحده فكان تقدير ما يكفى ٣١٦٦٧٧٥ ريالات مع تعطيل مرتبات الشعائر وترا كم ديون القوانين الراجعة للحكومة من الموظفات على الاوقاف حتى صار عليها من الدين ما يقرب من نصف مليون فتدارك أمرها بذلك الترتيب وأقيمت الجوامع والمساجد والمدارس فى كل جهات القطر وهكذا الاوقاف على قراءة القرآن وغيره من أنواع البر وكان دخل الاوقاف عدا أوقاف الحرمين الشريفين

وعدا

وعدا أوقاف جامع الزيتونة لان ذلك مستثنى من العموم لكل ادارة مخصوصة وهكذا
أوقاف المدرسة الصادقية الآتي بيانها فما عدا ماذكر وعدا الاوقاف الاهلية
والزوايا التي لها ذريه كان دخله في السنة الاولى من مباشرتي وهي سنة ١٢٩١
١٢٠٤٠٠٠ وصار دخلها في السنة الخامسة وهي آخر السنين التي باشرت الادارة فيها
بتمامها وهي سنة ١٢٩٥ ماقدره ٢،١٥٤٠٧٣ وأصلحت في مدة الخمسة سنين
٣٣٣٠ مكانا وكان المصروف في سنة ١٢٩٥ على خصوص اقامة الشعائر
٥٦٧٠٨٢ وما دفع للحكومة في قوانينها على ما يخص الاوقاف ١٩،٩٣٤ وكان
المصروف في الاصلاحات ١٦٨٠٧٢ فمجموع ذلك ٩٣٠،١٢٣ ثم كان
المصروف من الداخل المذكور على عموم المصالح غير الموقوف عليه ٥٥٦٤٠٩
الجميع ريالات تونسية كما نشر جميع ذلك بالرائد التونسي الذي هو الصحيفة الرسمية
للحكومة ومن تصرفاته التي قت باجرائها اجراء مرتب لاهل المجلس الشرعي بالحاضرة
وقد كان هذا المرتب عين لهم في مبادي ولاية محمد الصادق باشا على ان يكون من فواضل
الاوقاف وجعلت اذذاك الاوقاف انظار محتسب فلم تقم بنفسها ولا وفت بتلك المرتبات الا
في بعض أشهر واستخلصت اذ ذاك معاوضات كثيرة وصرفت في ذلك المصرف
وضاعت الموقوفات ومع ذلك لم يحصل المقصود حتى انيطت وكالة بعض الاوقاف باهل
المجلس الشرعي مفرقة عليهم لكي يستنفعوا منها بما يقابل المرتب فجرى فيها مثل
ما كان ولم يحصل لهم المقصود حتى ذكر بعضهم انه كان يناله في جميع السنة خمسمائة
ريال فأجرى لهم الوزير خير الدين من فواضل الاوقاف خمسمائة ريال في كل شهر على
مجرد الخطة الشرعية ولكل من شيخ الاسلام ورئيس الفتوى من المالكية
ثمانية آلاف في السنة عدا ما لكل منهم من مرتبات وظائف أخرى وجرايات من
القمح عشرة أقفزة ومثلها شعيرا واثنى عشر مطرا زيتا ويزيد لكل من الرئيسين
المذكورين على ماذكر قفيزين من كل نوع وثلاثة امطار زيتا واطرد جريان ذلك ولم
يتأخر عن أصحابه ولا شهرا واحدا مدة مباشرتي (ومنها) أيضا الزيادة في مرتب
المدرسين بجامع الزيتونة الذين مر ذكر ترتيبهم من أحمد باشا فزاد لكل مدرس من
الطبقة الاولى ثلاثة ريالات يومية ولاهل الطبقة الثانية ريالا واحدا وكان اجراء ذلك
أولا من مال الحكومة ثم أجريته لهم من فواضل الاوقاف (ومنها) جعل مرتب
للحكام الشرعيين في جميع بلدان القطر على خصوص وظيفة الحكم الشرعي. ولم يكن لهم

ذلك من قبل بل كانوا مقتصرين على مرتبات من دروس وامامة وخطابة فاجريت لكل قاض ببلد فيها مفاتي مائة وخمسين ريالا في الشهر ولكل مفتي مائة وعشرين ولكل رئيس فتوى مائة وخمسين ولكل قاض في بلد لا مفتي بها وهي البلدان الصغيرة تسعين ريالا في الشهر (ومنها) جعل وكيل للخصام عن الناس العاجزين عن الخصام بأنفسهم والعاجزين عن أجرة الوكيل (ومنها) احداث طريق صناعي بين تونس وحمام الانف طوله نحو اثني عشر ميلا وقد كان ذلك الطريق الذي هو أهم طرق جهات القطر يتعطل المرور فيه زمن الشتاء لكثرة الوحل وتموت فيه حيوانات كثيرة للمارة ولا يكاد يصل صاحب العجلة فيه مع قوة مراكبه التي تجر العجلة الا في نحو نصف يوم هذا ان سلمت عجلاته حتى ان الامراء والوزراء يربطون في عجلاتهم أربعة من الخيل أو البغال أو أكثر ان يسوغ له ذلك ولا يصل الى حمام الانف الا في أربع ساعات أو أزيد أما الضعفاء فلا يستطيعون المرور فيه وترى المارة يردون الطرق البعيدة باضعاف طول ذلك الطريق الذي هو ضروري لجميع من كان في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر كاهل الساحل وصفاقس والاعراض والجريد وغيرهم فزال جميع التعطيل باحداث ذلك الطريق وان عده بعضهم انه من التحسينات التي تأخر عن غيرها فهذا لجهله باسباب العمران وعدم تفرقته بين الضروري والتحسيني (ومنها) التحجير على معاوضة الاوقاف بمال من النقود بل لابد بعد المسوغ الشرعي من أن يعوض مكان الوقف بمكان آخر يدا بيد حيث كان ضاع على الاوقاف بسبب مخالفة تلك الطريقة أموال طائلة اذ حررت الاموال التي وجدتها مقيدة بدفاتر القضاة والمفتين بانها ثمن أوقاف عوضت ولم يشتر بثمنها شيء فكان مجموع المال ٢٤٠٠٦٧٣ هذا عدا ما عوض ولم يرسم في الدفاتر وانما كتب في رسوم أصحابه ولم يبق للوقف حجة فيه وهو أيضا كثير ثم ذلك المبلغ أكثره ضاع بالمرة اما الجهل من أمن تحت يده حيث يقال في الرسم وأمن تحت يد من يوثق به أو لانه أمن تحت يد اناس قد ظهر افلاسهم حتى انه مع غاية الاجتهاد انما أمكن ان يستخلص من المليونين ونيف المذكورة نحو مائتي الف ريال فقط واشترى بها أملاكا وقفت على مرجعها وزالت اسباب الضياع بسبب ذلك التحجير (ومنها) التحجير على العدول الذين يكتبون رسوم بيوع الاملاك بانهم مهما وجدوا في رسم معاوضة أو انزالا أي كراء مؤبدا الا واخبروا به جمعية الاوقاف لكي يتحرر بذلك الوقف فنتج من ذلك ظهور أموال للاوقاف تبلغ قيمتها مئات الالوف كما ظهر بالبحث أيضا

أيضا أملاك أخرى أصلها وقف واستولت عليها أيدى العدوان ورجعت الى أوقافها بالمرافعة والاحكام الشرعية وكان من جملتها نيف وسبعون هنشيرا أى قطعا من الارض المترثة ما بين كبير وصغير زيادة على الزياتين وغيرها من الاملاك التى تتجاوز قيمة المليون (ومنها) ابراء من كانت عليه رسوم فى أموال من المعاوضات المذكورة مثبتة فى دفاتر القضاة مع ان أصحابها دفعوها أو اشتروا بها أملاكا رجعت الى أوقافها ولم يكتب على الرسوم فى الدفاتر ذلك حتى لو ضاعت حجة الخلاص على المدين لبقيت رسوم الدين عليه قائمة والحال انه خالص وكان الذى تحرر من ذلك القبيل ما يبلغ ما بين ألف ريال أو تزيد فابرئت أصحابها وعلم على رسوم الدين بالخلاص (ومنها) ان عائلة حاى الصباغ الذى مر ذكره انه كانت له علاقة بالوزير السابق قد نال الحماية من دولة المانيا مع انه تونسى ولم يجر عليه ظلم فتكلم الوزير المذكور مع دولة المانيا بوسائط سياسية الى ان صدر مكتوب منها رسمى بان الصباغ المذكور لا تناله حماية المانيا فى خصوص القطر التونسى بل تجرى عليه أحكام بلاده وانما يكون المانيا اذا كان فى غير ذلك القطر (ومنها) انشاء مجلس مختلط من متوظفى أغلب قنسليات الدول الاجنبية الذين لهم كثرة رعايا فى القطر ورئيسه أحد المتوظفين التونسية للحكم فى نوازل الديون والمعاملات المالية الواقعة بين أهل القطر والاجانب فيما اذا كان لا يتجاوز المال الالف ريال ولم يتخلف عن الدخول فيه الا دولة ايطالية لخلاف وقع فى المقدار الذى يجوز التحاكم فيه لدى ذلك المجلس لان قوانينها انما تسوغ الحكم فى رعاياها على خلاف قانونهم فى مقدار لا يبلغ الالف ريال فقط ودامت المذاكرات فى ذلك المعنى الى ان انفصل الوزير المذكور عن الوزارة وحصل من هذا المجلس قطع تشعبات عظيمة وهرج كثير فى الخصام لان الديون القليلة والمعاملات الضعيفة كثيرة الوجود واختلاف الحكم فى بلد واحد من المصائب العظمى فزال ذلك بوجود ذلك المجلس (ومنها) شروعه فى المذاكرة مع الدول العظام على اتحاد الاحكام فى القطر ولما كان يعلم ان دول أوروبا لا ينقادون الى ادخال رعاياهم تحت أحكام الشريعة الاسلامية فى تونس اذا بقيت حالة القضاة على ماهى عليه الآن حيث انه يوجد لكل من المذهب الحنفى والمذهب المالكى قاض مطلق الحكم فى النوازل مع ما يوجد بين المذهبين من الخلاف فى كثير من الفروع بل وفى المذهب الواحد تختلف الاقوال ويكون للقاضى الاجتهاد فى الترجيح والتطبيق باعتبار الاصلح والعرف فيحكم هذا القاضى فى حادثة بما يخالف حكم قاض آخر فى

مثلها والاروباويون يريدون ان تكون الاحكام المدخول عليها معروفة لهم من قبل مضبوطة بما لا يتوهمون معه ميل الحاكم الى غير ما توجبه الحجة فلذلك أحضر الوزير خير الدين القوانين المعمول بها في الدولة العلية المتعلقة بالاحكام وكذلك القوانين المعمول بها في مصر وكلف أحد المهرة العارفين بالاحكام الاروباوية بان يستخرج من أحكامهم ما يوافق حالة القطر وعرفه وبعد ذلك عقد الوزير المذكور مجلسا مؤلفا من شيخ الاسلام من العلماء الحنفية وهو الشيخ أحمد بن الخوجه ومن عالمين من المجلس الشرعي المالكية وهما الشيخ محمد النيفر المفتي والشيخ عمر ابن الشيخ قاضي باردو ومن احد الوجهاء العقلاء العارفين باصلاحات البلاد وتجارتها وهو الوجيه حسونه الحداد ليستخرج هذا المجلس من مجموع ما تقدم قانونا شرعيا مطابقا للاحكام الشرعية والعرفية التي عليها عمل القطر من غير تخصيص باحد المذهبين ولكن عاق عن الاستفادة من ثمرة هذا العمل خروج الوزير المذكور من الوزارة فترك المجلس مع ان اتحاد الحكم على سكان قطر واحد ضروري (ومنها) انشاء المدرسة الصادقية لتعليم مبادي الفنون الشرعية كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد والفقه الحنفي والمالكي والنحو والصرف والادب والتاريخ والخط والمعاني وتهذيب الاخلاق والحديث وتعليم اللغات التركية والفرانساوية والطليانية وتعليم الفنون الرياضية كالحساب والهندسة والهيئة والجبر والجغرافيا والفلك ورتب لها معلمين لكل فن وجعلها تقبل مائة وخمسين تلميذا من جميع ابناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من ابناء العاجزين عن القيام بهم وهؤلاء يسكنون بالمدرسة وتقوم بهم زيادة على التعليم بالاكل واللبس والمسكن مجانا وأما المائة الباقية فالمدرسة تقوم بالكهم نهارا مرة فقط وبالتعليم مجانا ويلزم ان تكون جميع التلامذة في لبسهم على شكل واحد وأوقف عليها من أملاك الحكومة أوقافا لها بال يزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين ألف ريال ونتج من أبناء البلاد ما شهد لهم به الوافدون من أهل أروبا والحاضرون لامتحانهم ومثل هاته المدرسة ضروري للممالك الاسلامية سيما في العلوم الرياضية التي اضمحلت من الامة وانما خص التلامذة من أبناء المسلمين من خصوص الاهالي لان ابناء الاجانب لا يمكن اجراء التراتيب في حقهم مطلقا الا اذا وافق اولياؤهم والموافقة منهم كانها غير مامونة في كل وقت سيما مع اختلاف الاحكام التي مر ذكرها وأيضا من خصوصيات المنح للتلامذة عند استكمالهم للمعارف ان يتقدموا في جميع الوظائف المحتاج اليها في القطر على غيرهم

وهذا

وهذا انما يليق بابناء القطر اما الاجنبي فانما يتقدم بل يستخدم بخصوصيات أخرى واما تخصيص المسلمين فلان غيرهم بالنسبة اليهم قليل جدا كما مر ذلك في فصل صفة القطر ثم أولئك القليلون لا يرغبون في اتباع جميع تراتيب المدرسة التي منها تعلم العلوم الشرعية التي هي المقصد الاهم لكي يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم الرياضية و يوفقون ما بين ما يظهر بحسب بادى الامر انه مخالف للشرع من بعض العلوم الرياضية ثم ان الوزير المذكور عزم على ايجاد مدرسة على ترتيب آخر صالح لدخول غير المسلمين فيه (ومنها) تحبيس كتب رجعت للحكومة من صلح الوزير السابق تبلغ نحو ألفي مجلد فالحقها بنحو تحبيس الكتب من أحمد باشا بالخزائن التي عمرها صدر جامع الزيتونة (ومنها) ما أنشأته بامره من احداث المكتبة الصادقية حول جامع الزيتونة وجعل لها ترتيبا لم يسبق في البلاد على نحو التراتيب الجارية في الاستانة والممالك المتمدنة بحيث لا يخرج الكتاب من المحل و يستنفع المريد بما شاء من الكتب وأنواع الاستنفاع مع تحسين هيئة المكان واحضار فرشه والمحابر والاقلام وساعة للاعلام بالوقت والرسم بان كل الاوامر الرسمية العامة العمل يحفظ منها بتلك المكتبة نسختان لكل من أراد مراجعة ذلك وانتظام وضع الكتب وترتيبها على نسق يسهل الاستنفاع بها ومناولتها وأوقف عليها جميع كتبه العربية وكانت تبلغ نحو ألفي مجلد كما جمع بها سائر الكتب التي كانت مفرقة في الجوامع والمدارس وتلاشتها أيدى التلف حتى ضاع أكثرها فان خزانة الكتب الحنفية بالمدرسة الحسينية وجد بها مكنسة ولم يوجد بها ولا ورقة مع انها كانت تشتمل على مئات من المجلدات وهكذا أغلب الخزائن مع عدم النفع بها الا لمن كانت بيده وهم افراد قليلون يعسر عليهم وجدان الكتاب الذى يريدونه لعدم ترتيب وضعها وضبطها بدفتر واعداد فضبطت وعم النفع بها لكل مريد من المسلمين حتى قال بعض من كانت بيدهم تلك الخزائن أقسم انى الآن استنفع بما كان تحت يدى من الكتب أحسن مما كان عندى (ومنها) انشاء مجلس مكلف بنظافة البلاد كانه شعبة من المجلس البلدى لكنه يزيد عليه بدخول أعضاء من الاجانب لتيسر اداء الاجانب ما يلزم للنظافة وحصل به شئ من النظافة الضرورية (ومنها) انشاء ترتيب للعلوم وتدريسها بالجامع الاعظم جامع الزيتونة حتى لا تهجر علوم ولا يزاد على قدر الحاجة من غيرها وتضبط الدروس وتجرى على الوجه المطلوب للوصول وجعل امتحانا للتلامذة في كل سنة حتى لا يتقدم للوظائف العلمية

الامن قدمته نجابته وتحصيله (ومنها) انشاء ترتيب فى ادارة المجالس الشرعية لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الاحكام وتسهيل المراجعة بينهم وتحديد أجرا تباعهم وتعيين محل للحكام الشرعية خارج الحاضرة حيث كان كل يحكم فى مكانه بحيث صارت المحاكم الشرعية معلومة مضبوطة أوقات الانتصاب فيها الى الحكم وان كانت لذلك سابقية فى خصوص الحاضرة من مدة محمد باشا لكن اعتراها الخلل فجدد انتظامها على حسب الوقت (ومنها) انشاء ترتيب لاعمال العدول المنتصبين للشهادة وضبط عددهم بالموجودين وحصر المحتاج اليه فى كل جهة بعدد مخصوص وعدم تولية غير الموجودين الى ان يصل العدد الى القدر المحصور فيه فاذا نقص منه أحد لا يزاد الا بانتخاب أهل الشرع مع ضبط كيفية أدائهم للشهادة وتحملها وكتبها مما يندفع به حصول الزور وتبعد به التهم (ومنها) احياء ارسال محصل أوقاف الحرمين الشريفين للمستحقين من أهلهما بعد ان مضت على ابطال ذلك سنوات وأكلت أموال تلك الاوقاف على غير وجهها فمنذ ولاية الوزير خير الدين اطرد ارسالها (ومنها) انشاء سجن عمومى للنساء وآخر للرجال على صفة السجون فى البلاد المتمدنة من النظافة وتخلل الهواء والطبيب والفرش الضرورية للنوم ومحل للطهارة ومسجد للصلاة وجعله مقسما على عدة اقسام بحسب الجنايات التى يسجن فيها وبحسب حال المسجون من السن والمرض بحيث صار سجنا لا كما كان مقتلا وان حصر دخوله بمن يحكم عليه بالسجن أما الموقوفون فقد بقوا يوقفون فى السجن القديم فكانوا أشد عقوبة ممن ثبتت عليهم الجنايات ولذلك كان الوزير خير الدين المذكور عازما على احداث محل لا يقاف (ومنها) حصر أجر أعوان الحكومة وأتباعها المرسلين فى الاتيان بالجناة فى مقادير معلومة معلنا بها للعموم على حسب الجنايات وبعد مكان المطلوب بحيث صار ذلك القدر معينا بالحكم بمقدار غير مجحف لا كما كان من تفويضه لارادة المرسل الذى كثيرا ما أضر بالجناة بل بالذى تثبت براءته أكثر مما يناله من الحكم (ومنها) جعل خزانة يجمع بها أجر أولئك الاعوان المتوجهين من الحكومة ويخرج منها فى رأس كل شهر أجر معين للاعوان المسمين بالبوابة الذين كانوا يأخذون مقادير ممن يريد الشكاية ويقع بسبب ذلك محاباة فى تقديم بعض المشتكين على بعض ثم يقسم الباقى على الاعوان الاخر الذين فى نوبة الخدمة على حسب رتبهم ويحصل بذلك تعادل فيما

يحصل

يحصل للاعوان وتحسين فى هيئتهم وشارتهم لانه قبل ذلك كان المقرب عند رئيسهم يحصل على مال كثير وغيره يبقى على الاعدام مع اتحاد الوظيفة (ومنها) ان من يجلب من المشتكى بهم وتثبت براءته لا يؤدى أجر جالبه سواء كان فى مال أو جناية فان كان للمشتكى شبهة راجحة فى شكايته لا يؤدى هو أيضا الاجر ويحسب المتوجه فى النازلة كان لم يتوجه فيها ويعاد توجيهه فى نازلة أخرى لان أجره فى الواقع يخرج من عموم ما فى خزنة الاعوان والا بان ظهر تعمد المشتكى للباطل فهو أحق بالحمل عليه (ومنها) حصر أجر ما يكتب من التسجيلات فى خصومات الاهالى على أيدى العمال فى مقدار معين وهو ريالات ١٢٣ بحيث لم يبق الامر على مشيئتهم الذى كثيرا ما كان سببا لامتداد أيديهم لاموال الاهالى (ومنها) الامر بعدم التشديد فى توثيق الكاف على من يجلبه أعوان الحكومة من الجناة اذ كان وسيلة لهم فى التوصل الى المال (ومنها) ابدال السكة الفضة التى كانت ناقصة فى الوزن ومن كانت فى يده تبدل له فى الحال بسكة الذهب الكاملة يدا بيد على خلاف ما سبق كما مر ذلك فى واقعة الفلوس النحاس (ومنها) ضبط العرف الجارى به العمل فى الفلاحة التى هى اهم اشغال أهل القطر ومورد ثروته وضبط ما يتعلق بشركة الخماس فى قانون معروف يرجع اليه عند الحاجة وقد كان من قبل لا يعرف له مرجع الا الاستخبار من افراد أصحاب الفلاحة وكثيرا ما يقع بينهم الاختلاف فى الاخبار عن العادة والعرف حتى يحتار الحاكم فيما يحكم به (ومنها) ترتيب مجلس التحفظ العمومى على النحو الجارى به العمل فى الممالك المتمدنة وجعل له قانونا خاصا يرجع اليه وأدخل فى اعضاء المجلس اعيانا من متوظفى الحكومة مع قناصل الدول الذين هم اعضاء لذلك المجلس (ومنها) انشاء ترتيب لكيفية أعمال العمال فى مواصلاتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم وأحكامهم فى دفاتر لتكون حجة فيما يراد الرجوع اليه وليعلم الداخل للوظيفة ما هى أعمال السابق عليه هذا وأما ما يرجع الى تحسين مالية الحكومة والاهالى فقد شدد النكير على العمال وسائر المتوظفين وحصر أوجه الدخل والخرج وبناها على ميزان سنوى على نظر قسم النظر من الكومسيون المالى وضبط كيفية القبض من الرعايا بان كل من يدفع ما عليه من المال المعين الذى استوت فى معرفة مقداره الاهالى جميعا يأخذ بيده حجة من نوع خاص من البطاقات على شكل خاص مختومة من شيخ القبيلة أو عاملها مقطوعة من دفتر خاص بذلك بحيث يبقى نصف الرقعة فى الدفتر مرسوما بها نظير ما بيد صاحب المال لينضبط الاستخلاص ولا تمتد

الايدى الى الاموال ومن خالف ذلك عوقب على حسب جنايته ثم خفف كثيرا من الاداء على السلع الخارجة من القطر الذى هو الامر المعقول لتكثير الثروة فى القطر بنفاق نتائجه واستعواضها باموال غيره وذلك يحصل بترخيصها وتسهيل نقلها واخراجها فصدر لذلك مكتوب الوالى للقناسل معلما بما ياتى بيانه (الاداء على البضائع)

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
٣٠	١٠	قنطار الشمع
٤٠	٣٠	الصوف المغسوله عدا ما يؤدى للقمرق ودار الجلد وهو ٤
١٢	٦٠	قنطار الجلد القربق
٣٠	١٠	قنطار الصوف بونتوف أى المركبة من المغسولة وغيرها
٢٠	١٠	قنطار الصوف غير المغسوله عدا ما للقمرق ودار الجلد وهو ٣
٢٥	١٠	قنطار التمر الدقلة
٦٠	٣٠	قنطار التمر الحرة
٦٠	١٣	تمر قابس
٠٢	٠٢	البسر
٣٠	١٠	جلد المعز
١٥	٠٨	بطانة الغنم أى جلدها
٣٠	١٠	القطن الغير المصنوع
٣٠	١٠	النيله
٠٥	٠٥	القماعة كاصله نوع من الابزار
٠٤	٠٤	القنطس مثله
٢٥	١٠	العسل
٦٠	٣٠	النشاف أى الاسفنج المغسول
٤٠	١٠	الغوه نوع من الصبغ
٧٢	٠٣	الحنة
٢٥	١٠	القرنيط نوع من السمك

ما كان سابقا	ما استقر عليه الحال	
ريالات	ريالات	
١٠	٠٥	رطل العلق أى دود الماء يستعمل لامتصاص الدم من الانسان فى الامراض
١٥	٠٥	قنطار بيض السمك ولحم التن
١٥	١٥	قنطار النشاف أى الاسفنج غير المغسول كاصله
١٥	٠٧	قنطار النحاس أسقط عنه الاداء بالمرة قنطار الصابون
١١	٠٨	صابون سوسه مع ان اداء الطبخ داخل فى ذلك
٠٠	١٦	الزيت وقد كان من قبل يؤدى بالمطر فصيره وزنا

وعلى النسبة المذكورة وقع التخفيف على مصنوعات الصوف والقطن فى جربه التى هى أعز صنائعها على ما مر فصار على ما يأتى

على مايباع من الغزل	٦	فى المائة
على مايخرج من جربه الى مراسى المملكة	٣	فى المائة
اداء للعامل على كل شدادة من المصنوعات	٣	ريالات
على مايباع من المصنوعات	٦	فى المائة
على كل شداده للزام	١٢	ريال ونصف

(ومنها) انشاء مراكز للقمرق فى جهات الحدود وضبط القمرق (ومنها) انتساق دفع المرتبات لاصحاب الوظائف سيما الوالى وآل بيته بحيث يقبضون مرتباتهم من أول الشهر الا ماندر اما الوالى فلم يتخلف مرتبه ولا شهرا واحدا عن ميعاده وقد حصل فى بعض السنين زيادة فى الدخل عن المقدار المعين للمصروف فاشترى به مقدارا من دين الحكومة لذاتها لأنه مما يرجع الى مجلس الادارة النائب عن أصحاب الديون واستفادت منه الحكومة فى وقت قلة الدخل لكن لم تتم الفائدة حيث ان بعض المغرضين سعى فى اسقاط اعتبار مالية الحكومة على ما سيأتى بيانه فلزم لرفع ثمن سهام الدين اقراض الحكومة بعض التجار لتظاهر الرغبة فى شراء الرقاع بما يطمئن به التجار فرهنت الرقاع المشتراة للحكومة لذلك القرض ولم ينفع ذلك فى ارتفاع الثمن بل زاد فى الانحطاط الى ان خسرت الرقاع بالمرة وبيعت فيما رهنت فيه وأفلس التاجر الذى أقرض المال ومما

حصل من أعمال هذا الوزير مدة ولايته جعل مراكز من العربان في الطرق المخيفة واعفاء أصحاب المراكز من الاداء الموظف على بقية السكان واجراء شئ من الحبوب اليهم على ان يعمروا تلك الجهات ويكونوا مطلوبين بما يحصل في أماكنهم من الجنايات على المارة حيث انهم هم الحارسون وبذلك وبانفاذ الاحكام من غير محاباة امنت السبل واستقر الامن حتى صارت القوافل والفرادى في الامن وعدم الخوف سواء (ومنها) الاحسان الى المحسن من الاهالي بامنه في ماله وعرضه ونفسه وان كان مع قتاعدة انتباه الوزير واجراء العقاب بلا ضعف على من يحب الراحة ولا يطيع أوامر الحكومة حتى انه لما ظهر من فرقة من قبيلة الهمامة عصيان وتحير للامن بانتهابهم لغيرهم من القبائل واخافة السبل وجه لهم معسكرا تحت رياسة وزير الحرب رستم وزجرهم وعاقبهم عند ما اظهروا حربه وارجعهم الى الطاعة وأمن تلك الجهات وعند ما رجع للحاضرة وعلموا باستقراره عادوا الى ما كانوا عليه ظنا بعجز الحكومة عن ارسال معسكر اثر السابق فلم يكن من الوزير خير الدين الا ان وجه عليهم فرقة من العساكر الفرسان المسمين بالحوانب والصبايحية مع أوامر لمن يمرون عليهم من قبائل العربان بان يتوجه معهم فرسانهم في أقرب وقت لردع البغاة فلم تكن الا بضعة أيام حتى عاقبوا البغاة وخضدوا شوكتهم بما استقر معه الامن منهم الى الآن وبمثل هاته الشدة في ابانها والرفق واللين في ابانه خضعت القبائل وبادروا الى دفع أموال الحكومة في ابانها ونفذت أوامر الحكومة فيهم وانقادوا لها بطيب نفس لاجرائها العدل فيهم بما لم يبق لهم معه خوف من امتداد الايدي الى مكاسبهم فاقبلوا على العمران وكثرت ثروتهم حتى ان في العام الثاني والثالث من ولاية هذا الوزير كثر شراء الاعراب للحلي من الفضة لما سبق من عدمهم منها وتكاثر ذلك تكاثرا فاحشا الى ان صار الصياغ لا يوفون بحاجتهم وصارت دار السكة كل يوم تصنع علامة السلامة والصحة مع المصوغ المذكور بما يبلغ وزنه الى عشرات أو مئات القناطير الى ان كتبت اخباره في الصحف العربية والاوروباوية (ومنها) جعل صندوق مقفول له منفذ لوضع المكاتيب فيه لمن أراد رفع نازلته للوزير أو انهاء مصلحته بان يشرح مقصوده ويبين دليله ولا يلزمه التصريح باسمه ليسهل رفع المظالم وعدم الخوف وجعل مفتاح المحل الذي يمكن وصول كل الناس اليه عنده والتزم ان يفتح هو بنفسه جميع المكاتيب ويوقع عليها بما يراه من الملاحظات فيها ويوجهها الاحد أقسام الوزارة الراجعة اليها النازلة بحيث تكون النوازل على ذكر منه لكي لا يقع التحريف في تلخيصها

أو

أو اهمالها ممار بما يمكن ان يحدث في بعض النوازل وان نسب اليه بعض المتوظفين في ذلك عدم الثقة ببعضهم وحب الاستبداد بكل الاشغال وهو يقول انه انما جعل التعب على نفسه ولم ينقص من مراتب المتوظفين شيأ الاعدم القدرة على فتح المكاتيب الا باذنه (ومنها) تحسين حالة مطبعة الدولة التي هي ضرورية في هذا الزمان لطبع الكتابات الرسمية وغيرها مما يعجز عن الوفاء به الكتاب وتيسير نشر الكتب في الفنون ليسهل تناولها بالثمن اليسير ويتوصل للانتفاع بهاذوا الجدة وغيره الذي هو من أعظم الاسباب لترقي الامة في المعارف والعلوم وهكذا تحسين ادارة الرايد التونسي الذي هو الصحيفة الرسمية للحكومة وصار صدوره موقتا مثل سائر الصحف بعد ان كان لا يخرج منه الاعدد يسير ربما بلغ النصف أو أقل مما يلزم خروجه سنويا والحال انه أسس وعمي ثم الافادة فيه بافكار الوزير في المسائل السياسية بما كان ينشر فيه من المقالات المرشدة الذي هو ضروري للحكومة في ايقاظ أهلها والسكان وارشادهم لما تراه بالطف الى غير ذلك من فوائد الصحف على ماسيأتي في الخاتمة ان شاء الله تعالى زيادة على نشر الاوامر الرسمية ليستوى في معرفتها القريب والبعيد ودليل ماذكرناه اختلاف مخي الرائد بعد خروج الوزير من الوزارة عما كان من شحنه بالمقالات السياسية كمقالة المدار على الرجال غيرها مما هو كثير والزم المتوظفين بقراءته وأخذه اذ يقبح بالمتوظف ان لا يعلم أحوال حكومته فضلا عن غيرها بل ذلك شرط في المتوظف في الممالك المستقيمة (ومنها) جعل خزائن لمكاتيب الحكومة وجمع العتيق منها على ترتيب يسهل به معرفتها والتوصل اليها في أقرب وقت وذلك من أهم الامور (ومنها) تعميم أمر تعظيم المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بجعل لهمواكب في جميع البلدان بالقطر مع اطلاق المدافع عند الوقوف لسماع الابيات (وهي قوله)

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب
اما الله تعظيما له كتب اسمه * على عرشه يارتبة سمت الرتب
فقم أيها الراجي لنيل سعادة * قيام محب صادق الحب والادب
ففي الذكر لاسم الحب احضار ذاته * بقلب له في الحب وجد له لهب
ورب جليل عظم الناس ذكره * فكيف وهذا سيد العجم والعرب
عليه صلاة الله ثم سلامه * يكونان للرضوان من أعظم السبب

ص في

وعمل جميع ما يعمل مثله في الحاضرة على نفقة الحكومة (ومنها) تحرير المكاييل والاوزان وتحريره كيال الجبس أي الجص (ومنها) انشاء معمل الغاز بيد الجنة الانكليزية في الحاضرة (ومنها) انشاء بطحاء القصبة وتحسينها وانشاء قصر للوالي على الوجه المطل على البطحاء المذكورة من قصر المملكة الذي بناه حموده باشا واكمال بناء السوق المحيط بالبطحاء المذكورة وتعميره بتجار من الاهالي وترغيبهم بالشراء منهم والجلوس بحوانيتهم وقدوم الوالي اليهم في بعض ليالي المواسم وتحسين الحصن المطل على البطحاء المذكورة (ومنها) فتح باب للجامع العتيق الكائن بالقصبة على الطريق العام حتى عمر بالمصلين وانتفع به المسلمون وقد كان من قبل لا تكاد تصح فيه جماعة لان له بابا واحدا داخل القصبة وقد خليت من السكان منذ زمان (ومنها) تدارك السور الخارج المحيط بالحاضرة بالاصلاح فاصلحته من الاوقاف وأصلحت الحصون المحيطة بالحاضرة وكذلك أغلب حصون البلدان التي بها حصون كصفاقس والقيروان وسوسه وغيرها و(منها) انشاء بطحاء عظيمة خارج باب البحر واستقامة الطريق الموصل منها للبحيرة وهكذا انشاء عدة طرق في البلاد واصلاح غيرها (ومنها) العناية باحياء صناعة النقش حديده أي النقش على الجص المطلي على الحيوط والقباب التي هي أغرب صناعات تونس والمغرب في البنا وقد انعدم صناعها من البلدان فجاء عارف بها من المغرب فجعل له الوزير خير الدين اجرا وصاحبه بعدة اناس من الاهالي وأحسن اليهم الى أن تعلموا الصناعة الغريبة بعد اندثارها والحاصل انه أجرى مصالح عديدة ومن أعظمها اقطع مادة الرشا وبيع الوظائف الذي هو أساس العدل حتى نمت المكاسب وانكفت أيدي المتوظفين الا ما كان على وجه الاختلاس مما لا يمكن التحرز منه ولم يرفع أمره اليه أو لم ينتبه بواسطة من الوسائط اليه بحيث يقال في مدة ولايته في القطر ان حكومته استبدادية عادلة ناحية منحى الشورى لان أغلب ما مر ذكره من الخصال كان يعقد له لجنات من اعيان الاهالي أو أعيان المتوظفين أو العلماء والاغلب ان تكون تحت رياسته ولا يتم امرا الا بعد التوافق والتدبير فيه وأحبته الاهالي واعترفوا بفضله سيما وقد أتاهم بعد شدة اندمر ذكرها حتى انه لما اتم امتحان تلامذة المدرسة الصادقية في السنة الاولى ورأى اباؤهم ما لم يعهدوه في التعليم اظهروا ممنونيتهم وشكرهم بان اتخذوا مصحفين كريمين وجعلوا لهما سفرين فاخرين وكتبوا على الاول منهما بالياقوت الابيض على احدى الدفتين المحفوظ بالسرور والاسى وعلى الثانية محمد الصادق باي وعلى الثاني منهما بالياقوت

الابيض

الابيض أيضا على احدى الدفتين الناصح الامين وعلى الثانية الوزير خير الدين وذلك اللقب هو الذى جرى التعارف فى اطلاقه عليه عند أغلب الاهالى ودفع ثمن ذلك اباء التلامذة من انفسهم كل على قدر ثروته فمنهم من دفع ريالا واحدا وهو ما فى وسعه وتكدر ان لم يؤخذ منه ومنهم من دفع عدة آلاف وأهدوا المصحفين للوالى وللوزير مع خطبة مفصحة عن الباعث على ذلك وهو نتايج المعارف لابنائهم ثم بعد سنتين اجتمع اعيان من التجار البلدية وغيرهم من اعيان العربان وبعض أصحاب الاملاك المثرين وصنعوا فى لندره مكتبة أى مائدة للكتابة من خشب رفيع مذهبة وملونة وادواتها من ذهب وعليها ميزان اشارة الى العدل وكتب عليها اسم الوزير خير الدين واهدوها فى رأس العام الى الوزير المذكور مع خطبة مفصحة عن الباعث وهو ما حصل من ثمرة أعماله فى عموم القطر حتى ازدادت الثروة وغلت اسعار الملك وراجت التجارة وهكذا كانت علاقة سياسته فى الخارج على سلم وهناء ولم يحدث مع احدى الدول أدنى صعوبة ولا ظهر من أحد القناسل تشدد فى نازلة ما من متعلقات دولهم ورعاياهم مع أن بعضهم كان ينفر من ذاته لصحبة أو منفعة له من الوزير السابق ومع ذلك لم يجد شيئا يستند اليه فى انشاء صعوبة أو تعكير هناء ولم يعترض على ما حدث مدة ولايته فى الداخل أو الخارج الا ما يأتى بيانه وهو اعطاء منحة لشركة فرانساوية فى احداث طريق حديدية من حاضرة تونس الى الجهة الغربية فانتقم هذا العمل بان سياسة فرانسا فى تونس معروفة وذلك الطريق يؤل الى تسهيل استيلائها على البلاد وهنا العقول على فرقتين فبعضهم يرى السهولة من تسهيل نقل العساكر من الجزائر الى تونس فى أقرب وقت ومنهم من يراها بالتسهيل المعنوى وهو زيادة النفوذ والاختصاص بالمتجر بل يقول بعض الانكليزيين ان مراسى تونس تصير خالية وتصير عنابه أى بونة هى مرسى تونس وهى فرانساوية وذلك لان السلع التى توسق من تونس لاتدخل الى فرنسا الا باداء بليغ عليها فى مراسى فرانسا بخلاف ما يوسق من مرسى عنابة فانه اذا دخل الى مراسى فرانسا لا يؤدى شيأ فيكون سببا فى التزام التجار توجيه البضائع الى عنابة وتبقى مراسى تونس خالية وزاد للمعترضين قوة فى أن المقصد بذلك الطريق أمر سياسى ان الاتفاق فيه تم فى أقرب وقت حتى أشاعوا أنه وقع من غير استشارة بقية الوزراء هذا مدار الاعتراضات ونحن نقص قصص ما وقع فى النازلة وأحوال متعلقاتها ونكل الحكم فيها الى المطالع وهو أنه فى سنة ١٢٩١ قدمت شركة انكليزية وطلبت منحة لاعمال طريق حديدية بين تونس ودخلة جندوبة فى الجهة

الغربية من القطر المعتنية بافريقية التي هي أهم الجهات في الفلاحة على ما تقدم بيانه في الفصل الاول من الباب الثاني من المقصد على ان تمر الطريق حذو بلد باجه وتصل الى معدن دجبه المركب من الرصاص والفضه وتختص بتشغيله على أن يكون للحكومة قسط من دخله بعد طرح المصاريف فقسطها يكون من الربح وحيث كانت منافع طرق الحديد في الممالك من أعظم أسباب عمرانها على ما سيرد ان شاء الله في الخاتمة وكانت تونس من أحوج الاقطار اليها لعدم وجود الانهر والترع التي تمكن بها المواصلة بل ولا مجرد الطرق الصناعية وكانت نتائج الزرع في الاماكن الخصبة يتعذر نقلها بل يستحيل زمن الشتاء والوحل وكان نقلها في زمن سهولة الطرق يكلف مصاريف فيها باهظة ربما لا يوفي بخلاصها ثمن الحبوب عند بيعها حتى كان الشعير لا يجلب من تلك الاماكن لمراسي المملكة ولا لبلدان اسواقه لعدم وفاء ثمنه باجرة حمله فضلا عن التبن فان كلا منهما يترك في مكانه الى ان يضيع على أصحابه ولا زال مثل ذلك الى الآن في جبال ماطر وغيرها بل وكان جلب الحبوب من الاماكن الاجنبية في البحر ايسر وأرخص من جلبها من داخل القطر ورأيت في رسالة كابيزول القنسل الفرانساوي بثغر حلق الوادي من تونس التي ألفها في التعريف باحوال القطر ما معناه ان هاته البلاد التي كانت تسمى بمخزن حبوب أروبا في الزمن السالف ها هي الآن يجلب اليها القمح من خارج ويباع بارخص مما يجلب من داخلها حتى كان ذلك سببا في تعطيل أكثر أراضيها وفقر أهلها (الخ) ولقد صدق في ذلك وكان تأليفه لتلك الرسالة في حدود سنة ١٢٨٠ التي مر تفصيل أهوالها فلما ذكر كان احداث الطريق الحديدية ضروريا للقطر فبقي الكلام فيمن يصنعه والامر منحصر في ثلاثة أوجه الاول ان تصنعه الحكومة وقد علمنا مما مر ان أغلب ماليتها راجع للاجانب بسبب ديونهم وما بقي من دخلها انما يوفي بضرورياتها التي لا مندوحة عنها فلا سبيل لها لاعمال الطريق المذكورة لما يلزمها من كثرة النفقات (والوجه الثاني) ان يتولى عملها الاهالي وهذا أيضا اما متعذر أو صعب جدا الآن لسابقية الفقر فيهم قد أخذت مأخذها وما تراجع لهم من بعد لم يكن موفيا بالمقصود وعلى تسليم اقتدارهم فانهم لا يلتفتون الى ذلك (اما أولا) فلعدم معرفتهم بفوائد الشركات لان مثل ذلك لا توفي به قدرة الواحد وقد علمنا ان فتح أبصارهم لمثل العلوم الرياضية والاقتصادية والمدنية انما كان بعد ذلك التاريخ وعلى فرض حصول مبدأ التعليم من قبل فلا بد له من زمان ليرسخ ويعمل به (واما ثانيا) فانهم لا يأمنون على اظهار أموالهم وما بالعهد من قدم قد

رأوا

رأوا نقض عهد الامانة الملتزم به بعهد الله وشهادة الدولة العلية وسائر الدول الاجنبية وحرص دولة فرانسا فى اتمامه ورأوا باعينهم كيف جرى قتل النفوس وتعذيب الابدان واستئصال الاموال فما هى قدرة الوزير وحده فى حفظ حقوقهم وأمنهم وهل ذلك الامؤقت بوقت تصرفه على انه من الضامن لهم فى بقاء الوزير على ما هو عليه وهل هو الا شرقا بل لتغير الافكار وبهذا يعلم أيضا عدم امكان حمل الاهالى غصبا على منفعتهم فى ذلك الطريق من الوزير خير الدين ولانه كان لهم فيه نفع لكنه يظلمهم باتلاف أموالهم لما أشرنا اليه بل ولا بمسامع ما يتوقع من استيلاء الحكومة على مداخيل الطريق والتداخل فى ادارته لا يدوم شغله كما حصل بالفعل فى معمل الملف الذى كان انشاه أحمد باشا ويؤيد ذلك ما حصل من الخلل فى أشياء أسسها وهو مما مر ذكره وسيأتى كيفية خلله فتعين حينئذ (الوجه الثالث) فى أعمال الطريق الحديدية وهو أعمالها بيد لها اقتدار على المال وتأمن عليه وليس ذلك الا الاجانب ولما قدمت الشركة الانكليزية المار ذكرها وطلبت تلك المنحة عقد الوزير عدة مجالس من بقية الوزراء والمستشارين وكان بعضها تحت رياسة الوالى نفسه وتفاوضوا فى مصالحها مما مر ذكر بعضه واستقر الرأى على عقد الاتفاق مع تلك الشركة فى احداث الطريق المذكور وسميها وقد سبقت شركة انكليزية لاحداث طريق بين الحاضرة وحلق الوادى وتم الاتفاق على شروطه التى منها ان للشركة ان تمد فروعا من الخط الاصلى يمينا وشمالا كل فرع طوله خمسون ألف متر وأى نحو خمسة وأربعين ميلا اينما أرادت ومنها انه اذا مضت سنة ولم تشرع الشركة فى العمل يفسخ العقد فشرعت الشركة فى جمع المال لذلك غير انها لم تنجح لان الانكليزيين ليس لهم هم فى تجارة تونس ولا فى سياستها ولا يصرفون المال الا بغلبة الظن فى الربح وقد علموا ان الطرق الحديدية غالبا فى أول أمرها تخسر وشاهدوا فى طريق حلق الوادى عدم الربح الذى أطمعوهم فيه فبعد انقضاء الاجل طلبت الشركة أجلا ثانيا لعلها تحوّل الرغبة فلم تحصل على شئ وآل أمرها ان طلبت من حكومة تونس ان تتعهد لها بربح خمسة فى المائة على ما تصرفه فان وفى دخل الطريق بذلك أو زاد فهو لها وان نقص او لم يحصل شئ فالحكومة تلتزم بايفاء الخمسة فى المائة أو ان الحكومة تدخل شريكة مع الشركة المذكورة بالربع من رأس المال ولا يخفى ان ذلك لا يتيسر لان الوزير خير الدين على علم من ضعف مالية الحكومة ومن خسارة الطرق فى أول أمرها ومن الشك فى حصول الربح من المعدن ومن صعوبة المحاسبة والاحتساب مع الاجانب

مع اختلاف الحكم زيادة على كون مثل ذلك لا يتم الا بموافقة الكومسيون المالى الذى هو المحتسب على مالية الحكومة من الاجانب فرفض مطالب الشركة الانكليزية المذكورة وفسخ الاتفاق معها واشتهر ذلك فجاءت فى أثره شركة فرانساوية وهى المسماة الآن بشركة بون كالمة وطلب زعيمها من الوزير خير الدين احالة الاتفاق الذى فسخ مع الشركة الانكليزية لعجزها الى الشركة الفرانساوية المذكورة بلا اشتراط الضمان المذكور لكن على شرط ايصال الطريق بطريق الجزائر فاجابه حالا بعدم تيسر ذلك لجلبه مسائل سياسية لا داعى لفتحها فرجع الزعيم وقال نكتفى بالحلول محل الشركة الانكليزية التى سمحتم لها وارتضيتم بشروط الاتفاق معها فذلك الاتفاق يحال الينا فاجابه بانه يعرض المطلب على الوالى وأخبر الوالى وعقد مجلسا مركبا من سائر الوزراء والمستشارين الا الوزير حسين حيث كان فى بلد قرنه لخصام ورثة القايد النسيم واستقر رأيهم على نقل المنحة لما تقدم من البواعث والاسباب ولان الامتناع من خصوص الفرانساويين بعد حصول المنحة لغيرهم وعدم الفرق فى الشروط ربما لا تسوغها المعاهدات والحجاج نعم وان كان هنالك فرق فى سياسة أصل كل من الجنسين لكنه لا يمكن الاستناد اليه فى الحجاج سيما وصريح المعاهدات مع الدول قائل ان كل منحة أو امتياز أو اعتبار يحصل لاحد الاجناس يكون للجنس المعقود معه المعاهدات مثله بل فى بعضها يقول انه يكون له مثل الجنس الاكثر اعتبارا (الخ) فكيف مع ذلك كله يمكن الامتناع ولذلك أحيل الاتفاق المشار اليه الى هاته الشركة مع زيادة التحرى فى شروطه للحكومة فكان مما زيد على الشروط السابقة ان قسط الحكومة الذى تأخذه من المعدن يكون من ذات الخارج قبل طرح المصاريف ومنها ان الجهات التى تمد اليها الفروع يلزم الاتفاق فيها من قبل العمل مع الحكومة على المركز المنتهية اليه وعلى محل المرور ومنها أن لا توصل الطريق بطريق الجزائر وعند هذا الشرط طلبت الشركة المذكورة ان يزاد أيضا وان ليس للحكومة ان تمنح الوصل بالجزائر لغير الشركة المذكورة فزيد ذلك بحيث ان المنحة كانت خاصة بمثل منحة الشركة الانكليزية مع زيادة شروط لفائدة الحكومة ولم يقع الايصال ولا طلبه مدة الوزير المذكور وانما وقع فيما بعد على ما يأتى شرحه فى المطلب الثامن ان شاء الله تعالى ويشهد لما فى ذلك من المنافع وعدم المضرة المكتوب الذى أرسله قسم النظر من الكومسيون المالى الى الوزير خير الدين اثر انعقاد الاتفاق ونصه سيدى فان اعضاء قسم النظر من الكومسيون المالى رأوا ان

من

من واجبات مأمور يتهم ابداء سرورهم لجنابكم بالاتفاق المنعقد في هذه الايام على احداث طريق حديدية بين الحاضرة ووطن باجة لان ما يلزم لنقل نتايج الوطن من المصاريف الباهظة عطل وسق النعمة فكاد ان يبطل أهم فروع متاجر المملكة مع الاقطار الاجنبية فكان من الاكيد ازالة هذه العوائق بتيسير اشتغال الفلاحة والمعاملات وقد عرض فيما سبق قسم النظر على جنابكم صورة احداث طريق اعتيادى بين الحاضرة والوطن المذكور رجاء لحصول الثمرات الاكيدة فلما وقع الآن ماتؤمل به اتمام هذه المصلحة بما لا يثقل مالية الدولة مع استيفاء الشروط الواجب اعتبارها في مثل هذه المشروعات صار فرضا علينا نظرا الى مصالح البلاد التى هى لامحالة مصالح أهل المملكة والاوروباويين المستوطنين بها على اختلاف أجناسهم كما هى مصالح أرباب الدين ان نهنى جنابكم باتمام هذا المقصد المبارك ولم يبق لمحبيكم الا ان يؤملوا المناجزة فيه في أقرب وقت بحيث تستكمل به رغبة الاهالى فيرون ان شاء الله اتساع نطاق التعامل ونمو أسباب العمران في تلك الجهات ويفتح ما بقى مرتجا الى الآن من أبواب الفلاح وموارد الثروة وهذا أول ما ترتبط به فيما بعد سائر جهات المملكة من الطرق السهلة السريعة فلا حاجة (حينئذ) الا الى المداومة ومساعدة الوقت لتجديد شباب المملكة وفلاحتها والصناعة والمالية بما فيتم بذلك ما لم يزل جنابكم ساعيا فيه حق السعى منذ ثلاث سنين من تمهيد هذا القطر والكتب من معظمى السيادة أعضاء قسم النظر من الكومسيون المالى فى ٣٠ مايه المسيحى سنة ١٨٧٦ وصحح من الاعضاء الانكليزيين والطليانيين والفرانساويين فلو كان فى تلك الطريق ما يخل بالسياسة لما صحح الانكليزيون والطليانيون لان ذلك مباين لسياستهم ولو فرضنا جهلهم بها لنبههم أهل سياستهم لكى يكون لهم مستندا يوما ما بل ان أهل سياستهم لم يتعرض منهم أحد رسما لذلك على ان توهم الاستيلاء الحسى بمجرد الطريق المذكورة من الفرانسيس ليس هو الا وهم لان قوة فرانسا ومنعها من الاستيلاء على تونس ليس هو لتوقفها على صعوبة الطريق فان بين مرسى عنابة ومرسى حلق الوادى مسير اثنى عشر ساعة فقط بالبوابر في البحر بل ان مرسى ابن زرت لا تبعد عنها اكثر من ثمان ساعات وسفن فرانسا التى توصلت بها من فرانسا الى الجزائر بل ومن فرانسا الى سانيغال بافريقية الغربية والى كنبوديا بالهند الشرقية لا يصعب عليها قطع تلك الساعات ﴿تنبيه﴾ قد أيد هذا الرأى ما حصل بالفعل فى خارج

القطر من هجوم عساكر فرانسا برا وبحرا على القطر سنة ٩٨ ولم تركب ولا فرقة منهم طريق الحديد المذكورة مع وصولها الى حدود الجزائر وأما الاستيلاء المعنوى فان كان المراد منه زيادة النفوذ وزيادة المتجر فسيأتى عليه الكلام فى المطلب الثامن ان شاء الله وان كان بالمعنى الذى مر نقله عن أحد الانكليزيين وبقاء مراسى القطر خالية فهو مدفوع بان السلع التى تؤدى عند دخولها الى فرانسا تصير تؤدى ذلك فى حدود الجزائر وغاية الامر ان يتبدل الطريق ومحل الاداء وأما ذات الاداء فهو واحد وبه يتحدد ثمن البضائع سواء شحنت من هاته المراسى أم من هاته وقد اجتمعت فى موطن مع الوزير خير الدين بعد الاتفاق المذكور وشيوع ذلك الاعتراض بما تقدم ذكره فذاكرنى فى دفعه بما يقرب مما شرحناه وزاد فى الجواب وهو متبسم بان قال ان الاعتراض بان مآل ذلك الطريق هو اخلاء مراسى القطر التونسى وانحصار الشحن فى مراسى الجزائر (الخ) هو مما لا يقوله الا جاهل أو متجاهل بما ينشأ عن الطرق الحديدية من العمران وسهولة المواصلة مما يكفى فى البرهان عليه الوجود الخارجى فى الممالك الحاوية لتلك الطرق والخالية منها فان ازدياد عمران الاولى وتوفر مكاسبها وعكس ذلك فى الثانية مما يغنى فيه العيان عن البيان فاما المتجاهل فالكلام معه ضرب فى العبث وأما الجاهل فجوابنا له ان المضرة من نقل البضائع بطريق الحديد الى الجزائر على ما قالوا لا يخلو اما ان تحصل للاهالى أو للحكومة فان قلنا انها للاهالى بالنظر اليهم فرادى فالجواب ان الافراد مدار نفعهم على زيادة أسعار بضائعهم بقطع النظر عن المحل المشحون منه وذلك لا يحصل الا بتسهيل النقل المنحصر فى طريق الحديد نعم اذا خشى من خروج النتايج الغلاء فى البلاد فللحكومة منع الاخراج من أى طريق كان سواء كان من مراسيها أو من الحدود البرية وان قلنا ان المضرة تحصل للاهالى بالنظر لمجموعهم من حيث نفع الوطن فهو يرجع (حينئذ) الى منع الحكومة فيكون الجواب شاملا لكليهما معا وهو ان مضرة الحكومة مندفعة بما تقدم شرحه من أخذها اداء الشحن الى خارج القطر سواء خرجت النتايج من المراسى أم من الحدود البرية على السواء بل نقول ان بالطريق الحديدية يحصل النفع ودفع الضرر فى خصوص الاداء المذكور بخلاف وقت انعدام الطريق وبيانه ان الحدود ما بين تونس والجزائر ممتدة على جميع طول الحد الغربى للقطر التونسى المتجاوز أربعمائة ميل وأغلب سكانه اعراب رحالة يتكسبون بما يحملونه على ظهور ابلهم فاذا وجدوا أثمان النتايج أغلا فى الجزائر لدخولها الى فرانسا

بدون

بدون اداء لاشك انهم ينقلون نتائجهم الى المحل الذى تسوى فيه اكثر من غيره كما هو واقع ويتحملون غلو الكراء بالحمل على الابل لاجل ذلك فاذا جعلت الحكومة مراكز لاخذ الاداء عند الاخراج من الحدود لا يخلو الحال اما ان تجعل المراكز على طول خط الحدود أو تجعلها فى اماكن مخصوصة هى اكثر مرورا وعبورا من غيرها (فاما الاول) فهو ممتنع لكثرة ما يلزمه من الحراس الذين لا يوفى بمؤنتهم مدخول ذلك الاداء (واما الثانى) فلا يحصل منه المقصود لانه لما كانت جهات الحدود كلها سواء فصاحب النتائج يتحمل مسير نصف يوم زائد على جهة مركز الحراسة ويخرج نتائجه بدون اداء شئ فتلخص من ذلك ان النتائج تخرج الى الجزائر دون اداء للحكومة التونسية بخلاف ما اذا وجد طريق الحديد فان رخص الحمل فيه يعادل اضعاف الاداء على النتائج للحكومة فالاهالى تعدل عن الحمل على ظهور الابل لغلوها وتؤدى اداء الحكومة فى مركز الطريق الحديدية ولا يضرهم ذلك لانهم يربحون ما توفر لهم من الكراء مع قرب المسافة وقصر الوقت والحكومة يمكن لها ضبط مركز الاداء بجعل حراس عليه لانه متحد وبعد هذا كله اذا فرضنا توجه الاعتراض وصحته لما ذا يحمل علينا وحدنا والحال ان المنحة انما أعطيت بمشاركة جميع الوزراء والمستشارين ممن تقدم بيانهم فاذا تشارك جماعة فى رأى فلما ذا يحمل منكره على واحد منهم فقط لمجرد مباشرة تنفيذ ما استقر عليه رأى الجميع هذا كله مع ان هذا كله مفروض عند وصل الطريق وقد علمنا اشتراط عدم وصله لمجرد الاسباب السياسية التى يأتى بيانها لا لما تقدم ذكره فلا يتأتى الاعتراض الا عند ذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان فى موضعه ان شاء الله تعالى كما وقع الاعتراض على هذا الوزير فى كون الفائض جعل للدين اكثر من القسط الذى عينت مداخيله لذلك حتى لزم الحكومة اكمال الفائض فى بعض السنين من دخلها او الاستقراض فى بعض السنين برهن مدينة الجلد للايفاء بالفائض ايضا ومن المعلوم ان خلاص الدين بالدين يؤدى الى تفاقمه وأجيب عن هذا الاعتراض بما تقدم شرحه فى كيفية الوجه الذى أعمل فى الديون فقد علمت ان الفائض قد حط من عشرين مليونا فرنكا الى ستة ملايين ونصف بمشاركة نواب الدائنين ثم تأسيس ذلك المقدار على معدل الميزانية التى ارسلت من الوزارة السابقة التى وقع فيها الغلط فى تقدير فصل السرحات كما بيناه هنالك سابقا وقد رأى الحكوميون الوفاء بذلك فى بعض السنين ورأى اقتدار الحكومة على الايفاء فى بعضها فلا يسلم صاحب المال فى

وجه بسهولة الا بعد تيقنه العجز ولا يحصل ذلك الا بعد اخلة قسم النظر من الكومسيون في أحوال ميزانية الحكومة الراجعة اصاريفها الخاصة وربما كان ذلك غير ملائم لسياسة الحكومة لمزيد التضيق عليها والتحجير على تصرفاتها فاختير أخف الضررين الى ان يكشف الواقع على ماهو في الاقتدار حقيقة بطول المدة والتجربة وتنقاد وكلاء أصحاب الديون عن بينة لكن الوزير خير الدين خرج قبل حصول ذلك كما لام الوزير المذكور افراد قليلون من المتوظفين على عدم احيائه للقوانين لكن على ان تكون على غير الكيفية التي سبق بها العمل في تونس بل على وجه يندفع به الاعتراض الذي مر فيها بان تكون موافقة لاحكام الشرع والمباشرين للاحكام الشخصية هم نفس الحكام الشرعيين بضبط نفس الاحكام في قول واحد شرعي وجعل مجلس شورى لصالح القطر اعضاؤه من جميع جهات القطر الى غير ذلك مما يناسب الحال من القوانين لما هو معلوم من ميله اليها كما مر في الكلام على قوانين عهد الامان وحاصل جوابه الذي علمناه منه عند ابلاغ الاعتراض اليه وهو بتونس هو ان الدول الاسلامية لا يتيسر ذلك فيها الا بارادة الملوك أو الامراء الذين لهم استقلال في الادارة وقد كان والي تونس اجراها ثم لما ابطلت بالكيفيات التي مر ذكرها كان الوالي المذكور أشد النافرين عنها فلا يصغي الى انشائها وليس في ذات الاهالي من يرغب فيها بالالحاح في طلبها الا أفراد قليلون كما بان بالكاشف فيما وقع عند ابقائها وكما بان بالاستخبار للاعيان عند اعلان الدولة العلية بالقانون الاساسي فلم يبق الا أحد شيئين وهما اما بقاء الوزير خير الدين في الخطة بدون القوانين لرفع ما يستطيعه بذاته أو انه لا يبقى في الخطة الا بوجود القوانين فاختار هو الوجه الاول بدعوى عدم امكان الوجه الثاني وهاته الدعوى المستندة لما تقدم ذكره رجح عند البعض خلافها لانه لو تيقن والي تونس في أول الامر اصرار الوزير على عدم البقاء في الخطة الا بوجود القوانين لكان يحصل المقصود وتدوم القوانين معمولا بها في الاقل مدة بقائه ولا لوم عليه بعد انفصاله ومن بلغ المجهود حق له العذر وقد كنا اطلعنا على تحرير للوزير المذكور بعد انفصاله عن الخطة بتونس في الجواب عن الاعتراض بما ذكر فاثبتنا خلاصته هنا ليحكم المطالع بين الشقين وحاصله انه بلغنا ان أناسا لاموا على عدم تأسيسنا في مدة وزارتنا التنظيمات السياسية المعبر عنها بالكنستيتوسيون التي كنا أوضحنا في كتابنا أقوم المسالك الادلة النقلية والعقلية على لزوم تأسيسها واجراء العمل بها ولما كان صدور مثل هذا اللوم منبأ عن عدم فهم من صدر منه لما كنا شرحناه في الكتاب المذكور

المذكور من الاحوال التى تبنى عليها التنظيمات وجب اعادة الكلام على ذلك وبذلك يتضح الجواب عما ذكر فنقول ان تأسيس التنظيمات السياسية الحاملة على اتباع المصلحة قد شوهد انها نشأت فى الممالك المستقرة بها باحدى طريقتين احداهما ان يكون تأسيسها من الراعى وثانيتهما ان تطلبها الرعية والصورة الاولى هى الممكنة فى الممالك الاسلامية اذا انتبه الراعى لفوائد التنظيمات فيسعى بجد واجتهاد فى تأسيسها وحمل الناس عليها مستعينا بالله وباهل الدراية والمروءة حتى تدرك العامة منافعها ويتمسكوا بها ويحصل لمن تسبب فيها فخر وأجر من اسس ما يدوم به العدل الذى فضل الحكماء صاحبه على فاتح الاقاليم الكثيرة ووجه ذلك ظاهر وهو ان مصير الفتوحات المؤسسة على غير العدل الى النقاص والاختلال ومصير المملكة ذات العدل الى البسطة والاعتدال والحكيم من لاحظ العاقبة والمآل وعند ذلك تدوم معمولا بها اذا كان فى العامة استعداد الى فهمها وقبولها وبدون ما تقدم لا يمكن اجراء ما ذكر فيما علمت فلا يكفى لذلك معرفة الوزير وحده بمصالحها وميله اليها ولا اظن احدا من رجال السياسة العارفين باصول مبنى التنظيمات يخالفنى فى هذا فكان الواجب على المعترضين ان يبحثوا اولا عن معرفة حال أمير تونس هل هو ممن يسعى فى تأسيس ما ذكر على الوجه المذكور وعن حال الايالة هل فيها من يعتبر لفظها وقبولها وفى ظنى ان كلا الامرين لا يوجد منه ما يسوغ الاقدام على تأسيس التنظيمات وفى يقينى عدم نجاحه بدون ذلك كما اعطته التجربة فان التنظيمات التى اسست فى هذه المملكة سنة ١٢٧٧ المتقدم بيان أصولها الكافلة بتأمين السكان ابطلت تمشيتها مع الحلف على اجرائها بسعى الوزير واتباعه حتى آل امر المملكة الى ما قد رأيت من تصرفات الحكومة زمن وزارة السيد مصطفى وما نشأ عنها من المضار فى النفوس والاعراض والاموال ولم يتعرض احد لذلك بادنى انكار (فلما) كان الحال ما ذكر وأيست من الوالى بتونس فى تأسيس التنظيمات سعيت فى تحسين ادارة المملكة وتأمين راحة السكان بقدر الطاقة والامكان مستعينا بالله وبمن كان من أهل المروءة من رجال الحكومة الى ان آل امرى الى الاضطرار الى الخروج وان ترتب عليه ما حصل لنا بعده من الصعوبات بمنع الناس من مخالطتنا ولم أتحصل على الحقوق البشرية الواجبة شرعا وطبعا مع ان ذلك وقع فى حق رجل تقلب فى سائر رياسات الحكومة وحصل على يده مصالح حسب الوسع ويسوغ له ان يقول حكاية للواقع انه

باعانة الله وعنايته حمى وحده مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدى عليهم بدليل انه بعد خروجه من الخطة رجع الامر لما كان عليه قبل ذلك لان الوالى فى الحكومة لايزال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الذين خدموا مع السيد مصطفى أيضا لايزالوا متوظفين وهؤلاء قسمان عفيف فى نفسه غير قادر على منع غيره من الظلم وظالم كان محجوزا بنا عن ظلمه فانطلق بخروجنا من الخطة هذا وانى لازلت أقول ان تونس لا تستقيم بدون تنظيمات وانها لابد لاجرائها من الطريقة المار ذكرها والا فالتنظيمات فى تونس بدون ماذكر كالعنقاء اسم بلا مسمى فلا تغترن بقول من لا يدرك الحقائق والله تعالى يرشدنا واياهم الى ما يرضيه عنه آمين انتهى وبما تقدم من انتقاد بعض التصرفات وجد اضداد الوزير خير الدين السبيل الى ايقاع التنافر بينه وبين الوالى الا مسألة القوانين فلم يعرجوا عليها غير ان ذلك لم يفدهم لانه مدفوع بما تقدم شرحه والوالى على علم منه فلذلك نزعوا الى أوجه أخرى وبيانها يستدعى بيان منشاها واسبابها وحاصله ان الوزير خير الدين لما باشر الوظيفة بلقب وزير مباشر لم يكن له ضد فى نقض اعماله الا الوزير السابق مصطفى خزندار لكنه لم ينجح لتبصر الوالى فيه ومعرفة سائر المتوظفين والاهالى بتصرفاته التى نفروها حتى ذات خدمة الوالى فى نفسه وقصره فكان الجميع يدا واحدة مع الوزير خير الدين ولما عزل الوزير السابق مصطفى خزندار وولى مكانه الوزير خير الدين واستقر أمره بعد الانفصال معه على ما مر شرحه طمعت نفسه للرجوع الى المنصب أو فى الاقل مواجهة الوالى واسقاط خير الدين عن الوزارة واستعان على ذلك بافراد من الاجانب وباحد خاصة الوالى وهو الوزير مصطفى بن اسمعيل واعتضد الجميع كل على حسب فوائده فتارة يقدحون فى التصرفات العامة واشاعة ذلك فى الصحف الاجنبية ويبلغونها بذاتها أو بتعريبها للوالى بواسطة خاصته المذكور لكن لما رأوا عدم نجاح المقصود بذلك لانه لا يروج على الاهالى لمشاهدتهم حسن ادارة الوزير رجعوا الى اشهار اراجيف تتعلق بالسياسة الخارجية فمنها ما يرجع الى تنفير الوالى وعائلته من الوزير خير الدين وأشهروا ان المذكور اتفاقا سياسيا سريا مع الدولة العلية ومنها ما يعود الى تنفير الاهالى من الوزير المذكور واشهروا ان مراده تسليم البلاد للفرانسيس ومنها ما يعود الى تخويف اصدقاء الوزير خير الدين وعموم الناس فاشهروا ان مراد الوالى ارجاع الوزير السابق مصطفى خزندار لخطة الوزارة حتى أثر كل قول فى أصحابه ونشأ من الاخير التشويش فى عقول

العامة

العامة وتجارأوربا مما أوجب انحطاط اسعار الرقاع للدين التونسي عدة مرار للتخوف من تبديل السيرة فى السياسة الموجبة لتعطيل فائدة الدين حتى اعلن الوالى بتكذيب تلك الاشاعات فكتب للوزير خير الدين مكتوبا ونشره فى الرائد التونسى ونصه بعد الحمدلة والصلاة اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى فانه بلغ لحضرتنا ان بعض اشخاص كادت ان تكون اسماؤهم معروفة ممن كان لهم فى تصرف امير الامراء ابنناء مصطفى منافع شخصية تعطلت عنهم بسبب مساعيكم الجميلة بالادارة المنوطة بعهدتكم اشاعوا اراجيف لا حقيقة لها حملهم عليها الميل لما يوافق شهواتهم وهى وان كانت مما لا يترتب عليه أثر ولا يكون لها موقع لاولى الاحلام الا انها ربما توجب لمن كان خلى البال شغلا عما يعنيه مع ان الاسباب التى اقتضت عزل المذكور لم تزل تعضدها انظارها والآثار التى أنتجتها مساعيكم الجيدة لم تزل تحمد اخبارها وتظهر للاعيان آثارها ولعلمنا بما فى شغل الاسماع وملء الآذان بسماع هذه الاراجيف التى لا توصل قائلها الى مقصوده من اضاعة الوقت بنقلها والالتفات اليها حررنا لوزارتكم هذا الرقيم لنهى من يشتغل بذلك وليتحقق السكان ان استحساننا للادارة المنوطة بعهدتكم لم يزل والمنة لله تعالى متزايدا بتزايد آثارها وان ما ارجف به أولئك الاشخاص لا يجدون اليه مستندا وتشهر ذلك للسكان ليزول عنهم الشك الذى قصدوا ايقاعهم فيه وشغل بالهم به لترتاح افكار من يريد مصلحة وطنه ونجح خدمته فالعمل ان تجتهدوا بالاستمرار على تلك السيرة الحسنة التى ظهرت آثارها للدولتنا والله تعالى يحرسكم ويمدكم بحفظه واعانته والسلام من الفقير الى ربه تعالى المشير محمد الصادق باى وفقه الله تعالى عنه كتب فى الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة احدى وتسعين ومائتين والف (التوقيع) صح من كاتبه محمد الصادق باى فانت ترى ما صرح به الوالى من حسن نتيجة خدمة الوزير خير الدين وهو الذى تشهد به سكان الايالة على اختلاف اجناسهم ومع ذلك لا زالت الاعداء تسعى بالفتن بين الوالى والوزير حتى كان فى خلال تلك المدة جميع رجال الحكومة فى كدر من خوف تفاقم النفرة بين الوالى ووزيره الموجبة لانفصال الوزير عن الوظيفة ولما تيقن الوالى ذلك دعى الوزير خير الدين ووعده بقطع التعرضات وامر مصطفى بن اسمعيل بالكف عن سيرته وموالاة الوزير خير الدين وكان ذلك أواخر سنة ١٢٩٢ فدام على نحو ذلك بضع أشهر ثم عادت الكرة فى أواسط سنة ١٢٩٣ واثرت الاقوال فى الوالى الى ان صار يستفهم من عمده عن

رأيهم في فصل الوزير عن الخطة فرأى منهم استعظام الامور ربما قال بعضهم ان بلدنا صغيرة وليست متأنسة بفصل الوزراء على التتابع سيما مع رؤية الرعية لسيرة هذا الوزير برفق بما نشأ من فصله ما يسوء العموم فأحجم الوالي عن فصله في اثناء تلك المدة وقال احد المحبين للوزير خير الدين ان استناد الاضداد في اختراعاتهم يؤول الى الاستبداد منك على الوالي ورؤساء المتوظفين وذلك ينقطع بامرين أولا أن تتشارك مع بقية المستشارين والوزراء في اعطاء رأيهم مع مستشار القسم الاول من الوزارة ومع أعضاء قسم العمل من الكومسيون بحيث يشترك الجميع في الرأي عند تحرير ميزان الحكومة في الخريج في رأس العام وثانيا تقسيم الادارة في الرسم تبعا لما هو جار في المعنى في أقسام الوزارة حتى يكون مستشار كل قسم يلقب بوزير ويمضي هو على المكاتيب ويتحمل مسؤولية ما يعود عليه ولما بلغ ذلك الكلام الوزير خير الدين لاحظ فيه ما يأتي وهو أن الاول واقع بالفعل لانه بعد تحرير الميزان من قسم العمل ومستشار القسم الاول يعرض على بقية الوزراء والمستشارين ويبدون ما يظهر لهم فيه ثم يعرض بعد ذلك على الوالي للتروي فيه ويمضي ما يستقر عليه الرأي وأما الثاني فانه حالة ضيق القطر وصغر الادارة لا تقتضي تعدد المصادر بل ربما أوجب ذلك التعاوض في الاوامر لأمور واحد في حادثة واحدة مع ما في ذلك من زيادة المصاريف بتعدد المأمورين في كل جهة وكل قبيلة وذلك لا تطيقه مالية الحكومة ولا تتحمل الرعايا الزيادة عليهم هذا خلاصة جوابه الذي لم يقنع الناصح حيث أن العرض في الاول انما هو صوري والتضايق في الثاني مدفوع بالاقتصاد وحسن التقسيم مثل ما هو واقع بين المستشارين لكن الاهم من جميع ما تقدم امتناع الوالي من اجراء المطلوب بدليل ما جرى من بعد خروج الوزير خير الدين عن الوزارة واستمرار نوع الادارة على ما سبق من انحصارها في شخصية الوزير الاكبر كما نصح الوزير المشار اليه لابعاد التهم عنه بانه ينبغي له أن يسوي بين نواب الدول في المعاملة ولا يزيد في تقريب نائب فرنسا وهو يقول ان معاملته مع ذلك النائب شخصية لا تعلق لها بالادارة على انه لو قيل ان تلك المعاملة مما يقتضيها الحال في دفع غائلة فرانسا لما بعد ذلك لان ترجيح كفتها بتونس ضروري وارتكاب اخف الضررين واجب فان لم تر لنفسها رجحانا تكالبت الى أن تصل الى قصدها ولو بالتغلب على تلك البلاد كما أوضحنا خلاصة سياستها سابقا ولما تقدم عادت المصافاة بين الوزير خير الدين والوالي حتى كتب الوالي الى قنسل الفرانسيس بتكذيب ما أشيع تارة بعزمه على ابدال الوزارة

وتارة

وتارة بالعزم على التنقيص من مقدار الفائض مما أوجب عدم الاطمئنان بمالية الحكومة وانحطت أثمان رقاع دينها فكتب اليه فى جمادى سنة ١٢٩٢ بما نصه الحمد لله وحده اما بعد فقد رأينا فى الجرنالات الفرنساوية ذكر ظنون ابرزت فى صورة مقدمات مسلمة واستخراج نتائج منها يريد صاحبها التنفير من ادارة دولتنا وتنقيص ثقة حاملى الرقاع بما بايديهم من رقاع الدولة مع أن تلك الظنون لا حقيقة لها فى الواقع ولا أصل وما استخرج منها ترده الادلة المشاهدة زيادة على كونه مبنيا على غير الواقع وهذه الاراجيف وان كانت باطلة عند المنصف وعند من يعلم حقيقة الواقع ولم يترتب عليها ما قصده من الامور السياسية فانه نشأ عنها التغير من ذكر وان لا اعتناء له الا بالتحفظ على ماله بمراعاة كل ما يطرق سمعه خوف ترتب عليه بعض انحطاط فى سعر الرقاع مع أن كوبونها يدفع فى أوقاته كاملا وادارة مداخيله جارية على الوجه الكافل بحفظه وغير خفى على جنابكم ما يلحق كلا من الدولة والمتجر من ضرر هذا الارجاف الذى مع كونه لا حقيقة له ومضاد للواقع لا داعى اليه الا اغراض غير خفية ولما كنا على يقين من أن جنابكم يود الخير لبلادنا كاتبناكم بهذا مؤملا منكم السعى الجميل بحسن وساطتكم فى ايقاف هذا الضرر اذ لا شك فى أن المتصدى لنشر ذلك والحالة هذه لم يكن له قصد الا ما ذكرناه ولحرصه على ترويج ما أبرزه تكلف ما يظن انه يعينه على مقاصده وهو توزيع نسخ من الجرنال وتبليغها لمساكن اناس لا معرفة لهم به ولا اشتراك لهم فيه مجانا من غير أن يطلب منهم عوضا عنه خلافا للعادة ونشر ما هو من فروع مقصده بغيره فتعين بما أشرنا اليه ان ذلك لم يكن للارشاد ولا للنصح اللذين ابرز كلامه فى صورتهما وانما هو للقصد المشار اليه الذى تحقق ان جنابكم لا يرضاه ويبذل الجهد فى تعطيله ولو باشهار هذه الاعانة لنا بما تقتضيه المودة على ما املناه من الخير وتأييد الحق باظهار الواقع كما هو المقطوع به من انصافكم ومحبتكم ودمتم فى أمن الله وكتب فى ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ ألف ومائتين ثلاثة وتسعين ثم حدث بعد ذلك فى الآستانة ولاية السلطان مراد فتوجه الى تهنئته من تونس على لسان الوالى وزير الحرب رستم وله مودة اقتضتها المعاشرة الطويلة مع الوزير خير الدين كما له معه مصاهرة حيث أن الاول زوج بنت الثانى وكان ذلك فى جمادى الثانية سنة ١٢٩٣ وحصلت اذ ذاك الحرب بين الدولة العلية والصرب فظهر من جهات الاسلام الاعانة للدولة العلية بالمال لضيق ماليتها وبمقتضى الحقوق الدينية والارتباط السياسى بين تونس والدولة لزمت الاعانة بالمال أيضا من

تونس وكان حال الحكومة فى ضيق المالية وعدم امكان القرض ما علمت فاجتهد الوزير
خير الدين بعد الاستشارة والمفاوضة فى حصول الاعانة بالمال من الاهالى عن طيب نفس
وصدرت بذلك مكاتيب الوالى والوزير الى الجهات من الحرص فى التعجيل فظهر من
الاهالى غاية الرغبة الى ان حصل مقدار مليون وأربعمائة ألف فرنك مع مصاريف
الصرب والحوالات لارسال المال سكة رائجة فى الاستانة وقدر ما دفعته الاهالى
ريالات ٢٣٨٤٠٤٫٣ ونشر حسابه فى الصحيفة الرسمية ووصل بتمامه للباب العالى
وفى اثناء ذلك رجع وزير الحرب رستم المذكور ثم حصل فى الدولة العلية صعود سلطاننا
المعظم عبد الحميد على تخت السلطنة وأعيد ارسال وزير الحرب المذكور للتهنئة أيضا وأقام
بالاستانة ثمانية أشهر لتثبيطه من الباب لاحضار جوابه واحضار ما تتفضل به الحضرة
السلطانية على الوالى مع كثرة شغل الدولة اذ ذاك بحرب الصرب والجبل الاسود
والبلغار وهرسك وبوسنه وبالمؤتمر الذى عقد فى الاستانة وبانجاز القانون الاساسى ثم
بحرب الروسية وكان وزير الحرب اثناء اقامته بالاستانة فى المدة الاخيرة قدر شهرين
أو ثلاثة لم يرسل مكاتيب تبين سبب تأخره لان كل أسبوع يظن انه يرجع فيه وطالت
غيبة المكاتيب وجاء اهل الاغراض على ما سيتلى (ثم طلبت) الدولة العلية الاعانة
العسكرية لحرب الروسيا ولم يكن لحكومة تونس من العساكر التى تحت السلاح الا
مقدار ما يكفى لحفظ الراحة فى القطر كما أن المال الضرورى لذلك حاله ما علمت فرأى
الوزير خير الدين المسألة مهمة جدا ولم يكتف برأى الوزراء ورؤساء الحكومة
وطلب من الوالى عقد مجلس عام من ولى العهد فى الحكومة وأهل المجلس الشرعى
والوزراء وأعضاء جمعية الاوقاف والمجلس البلدى ورؤساء سائر أقسام الادارات ورؤساء
الكتبة والمستشارين وضباط العساكر من أمراء الالوية والفريقان وأعيان الاهالى
ورؤساء ديانة اليهود وكبرائهم العرفيين فاسعف الوالى على ذلك وانعقد المجلس تحت
رياسة الوالى بنفسه وأذن وزيره خير الدين بالقاء المراد على المجلس فقال ما معناه ان الدولة
العلية قد أعلمت الوالى بان الروسيا أعلنت عليها حربا وان لها فى الحدود للمدافعة عن
الخلافة الاسلامية والوطن نحو ستمائة ألف وانها مع ذلك لازالت محتاجة الى كثرة العدد
والعدد وانها تطلب من الولاية ارسال العسكر وعلله بسرد ذات التلغراف الوارد من
الدولة ثم قرر أن للدولة حقوقا على تونس وان تونس لها عادات مع الدولة لا محيص عنها
وان حالة الحكومة فى العسكر وفى المال معروفة للجميع وان الوالى جمع هذا المجلس
ليشير

ليشير عليه بما يراه فى الطرق الموصلة للمقصود فخاض المجلس فى الكلام وطالت المذاكرات وحصل التشاحن فى الرأى الى ان علت الاصوات وحاصل آراء المجلس هو ان بعضهم يرى ارسال العسكر بالمقدار الذى يطيقه القطر من العسكر النظامى المسرح أكثره وتقريبه نحو ستة عشر الفا لكن فيهم من عجز فلا أقل من وجود ستة آلاف تقدر الاهالى على القيام بهم بما يلزم من الكسوة والقوت واما السلاح فالحكومة من المدافع من الانواع الجديدة أزيد من بطرية كاملها من المكاحل المسدسة أزيد من عشرة آلاف وان كانت تعمر من أفواهها من النوع العتيق فالحكومة حينئذ تقوم بالسلاح وتعين مليون من المال الذى لها ان تستقرضه من خزنة مجلس الادارة لمدة ستة أشهر بلا فائض وترجعه بالاقتصاد من مرتبات ذوى المرتبات كل على ما يقتضيه حاله فان بعضهم اراد اسقاط جميع مرتبه لذلك ويتم التجهيز وترسل العساكر ويحمل على الاهالى تقسيط ما يقوم بهم يدفعونه منجما مع جريان الاقتصاد من الحكومة على نحو ما تقدم مع الاعلان بان كل من أراد القتال بنفسه فله ذلك ويعلل هذا القسم رأيه بان احكام الدين قاضية بذلك مع ان نص فرمان سنة ١٢٨٨ مصرح بشرط ذلك وانه على فرض الاعانة بالمال الذى يمكن ان يوازى مصروف العسكر فلا يزال التبكيت على القطر بانه لم يوف بشرطه وأصحاب هذا الرأى قليلون وبعضهم يرى ان الاعانة انما تجب بالابدان واما المال فلا يجب على أحد شئ ومن قدر ببدنه وماله فعليه ان يذهب وليس على هذا الرأى الا اثنان وجميع العلماء والعامة ضدهما وسقط اعتبارهما وقتئذ من اعين بعض رؤساء الحكومة سيما الوزير خير الدين وبعضهم يرى ان العسكر يحتاج الى التدريب والى السلاح الجديد وبدونه العسكر كالعدم والمال لاقامة ذلك غير موجود لان الغصب على أخذ المال من الرعية غير سائغ لما هم عليه ولجهل الحال فى الملا والفقر فلذلك يلزم ان يوكل الامر الى الاختيار كل بما يستطيع وبهاته الصورة لا يعلم مقدار ما يتحصل حتى يمكن الاعتماد عليه وتجهيز العساكر على مقداره وعلى فرض حصول شئ أولا فلا تحقق لجريانه فى المستقبل للقيام بالعسكر فى المؤنة والذخائر ولذلك يكون اللازم هو احضار المال لاعانة الدولة العلية بالمال واعانتها واجبة لا محالة غير ان جمع المال يوكل الى اختيار الدافع واجتهاده كما حصل فى اعانة الحرب مع الصرب وهذا هو الرأى الغالب الذى استقر عليه أمرهم وهذا القسم يدفع تعليل القسم الاول من شرط الفرمان بوجوب ارسال العسكر بان شرطه الطبيعى ان

يكون ذلك فى الامكان وقد تبين ان الامكان غير موجود وعمل بهذا الرأى لانه رأى الغالب وحكم المسئلة شرعا أفردناه برسالة فيما كتبناه على باب الجهاد من صحيح البخارى جامعة لحكم المذهب الحنفى والمالكى ثم جمعت الاعانة المالية على نحو ما تقدم وارسل بعضها فى مدة وزارة خير الدين وقدره فرنك ٣٠٠٠٠٠ ولم يعلم حسابها بالتحقيق لان الوزير خير الدين خرج قبل نهايتها وبعده لم ينشر حسابها مثلما انشر حساب السابقة ثم أرسلت الدولة العثمانية بطلب سفاتة بغل لجر الاثقال الحربية وان كانت خيلا وبغالا فلا بأس به فعمل الوزير خير الدين جزمه فى طلبها من أعيان المتوظفين وقبائل العربان والبلدان بان عين لكل فرد ما يدفعه من عدد البغال أو الخيل وكذلك القبائل والبلدان على ان يسعر ما يدفعه أهل البلدان والقبائل من الحيوانات بالمال ويقسط ثمنه على جميع الاهالى على حسب الجدة ويدفع الثمن لصاحب الحيوان بحيث لا يناله من المال الا امثال غيره فتسابقت الناس الى ذلك وتنافسوا فيه وكثير من أصحاب الحيوانات فى القبائل والبلدان امتنع من أخذ الثمن وجعلها فى سبيل الله واحضرت الحيوانات وبقيت تنتظر سفن الدولة لحملها الان حملها فى السفن التجارية غير مأمون عليه خشية تعرض سفن المحارب الذى اشاعه من يريد اجتناب تونس من الدولة العثمانية وشحنت تلك الحيوانات للاستانة بعد خروج الوزير خير الدين من الوزارة ببضعة أيام وفى مبداء الحرب سأل أحد نواب الدول الوالى والوزير عن قصد الحكومة فى التداخل فى الحرب وحذرها من عواقب قدوم الاسطول الروسى الى مراسيها وخسارتها من ذلك مع عدم كبير الفائدة من اعانتها للدولة فاجابه الوزير بان الوالى لا يستطيع ربط نفسه بالكلام فى عدم التداخل فى الحرب ثم جاء قنسل الروسيا وانذر واحتج بان الوالى صرح بانه لا يتداخل فى الحرب فكذبه الوزير وان الوالى لم يصرح بشئ ينزع حريته كما ان الرائد التونسى نشر من المقالات السياسية المنتصرة للدولة العلية ما هو مشهور وهو لا ينشر الا ما يوافق مشرب الحكومة لانه هو الصحيفة الرسمية لها والوزير هو الذى يشير بالمقاصد التى تنشر فيه فمن جميع ما تقدم اتخذه اضداد الوزير خير الدين سبيلا لتنفير الوالى منه واسقاطه من الوزارة فقالوا ان وزير الحرب كان سبب طول مكثه فى الاستانة السعى بما يضر بالوالى وانه يكاتب الوزير خير الدين وهو لا يظهر مكاتبه للوالى لانها ضده وان زيادة ميله للدولة العثمانية ظاهرة مما تقدم بيانه والوزير يقول ان تأخر وزير الحرب لا علم له بسببه لان واقعه فى نفس الامر هو

ما

ماتقدم شرحه وانه لو تروى القائل فى قوله لوجده غير صحيح لانه لو كان بينهما شئ حقيقة للزم ان يأتى من وزير الحرب مكاتيب صورية ليطلع عليها الوالى ولما ساغ عدم اظهار ولا مكتوب واحد حتى يتفطن الوالى مما لا يفعله عاقل فدل ذلك على بطلان أهل التهمة وقد حققه الخارج كما يقول الوزير ان ما فعل مع الدولة العلية هو الواجب بمقتضى فرمان سنة ١٢٨٨ وهو الواجب ديانة ولا قصد الا حفظهما ولكن لم يحب ذلك فى السعاية بل أثرت فى الوالى لانه كان حصل قبيل تلك المدة نازلة ادعاء مصطفى بن اسمعيل على يوسف بن عطار أحد تجار اليهود بتونس انه يطلبه بسبعة ملايين أو أزيد من جهة رقاع مالية ومصوغ اعطاه اله للتجارة بها وأنكره المدعى عليه واستظهر وكيل مصطفى بن اسمعيل بحجة تدث فى الوزارة زورها على ما يسرد تفصيله فى المطلب الثامن وأراد الطالب ان يكون هو الخصم والحكم ورفع المطلوب أمره للوزير بهروبه الى قنصلاتو انكلترة وحمايتها له وتداخل القنصل فى النازلة له فرأى الوزير ان يعقد لفصلها مجلسا وانف من ذلك الطالب ووافقه الوالى وامتنع الوزير من الحكم فى النازلة تجنبا من الكلام فيها من الجهتين فازداد حنق مصطفى بن اسمعيل من الوزير ومن ذلك التاريخ اشتدت الوشاية واشاعوا ان الوالى نفر من الوزير بسبب ما تقدم وانه بلغه عدم ارتضاء رؤساء الحكومة بسيرة الوزير مستندين الى ما سبقت الاشارة اليه ثم اشاعوا ان الوزير يريد تسليم البلاد الى فرانسا مستندين بسكة الحديد المار ذكرها والى عدم ارسال العسكر الى اعانة الدولة العثمانية وازداد اشاعة هذا بعد انفصال الوزير خير الدين عن الوزارة لقصد تنفير الاهالى منه حيث ان الوجه الاول لم يؤثر فيهم والوزير يجيب بنفس الوقائع وأدلتها مما وقع فى الخارج واستوفينا ذكره وكثر الكلام فى هذا المعنى الى ان خاطب الوزير الوالى بحكاية مضمون ما تقدم شرحه من كثرة ما أشيع فى شأنه وان الاشاعات صادرة من خاصته وان ذلك مما يقدح فى نفس المنصب ويعطل الادارة وانه يلزم أحد شيئين اما توثق الوالى به ورفع العوائق أو استعفاؤه وقد كان الوالى اذ ذاك صمم على قبول استعفائه لا لاعتقاده ما أشيع بل لان مصطفى بن اسمعيل غير متداخل فى الادارة بما يرضيه لان الوزير مانع له لما يراه من تصرفاته حسبما يأتى ان شاء الله فى المطلب الثامن وعلم ان الحامل للوالى هو ما ذكر بما صرح به مصطفى بن اسمعيل عند ولايته فانه قال ما معناه لو ان الوزير خير الدين ساعفنى لما خرج عن الوزارة فلما ذكر اجاب الوالى الوزير خير الدين بسؤاله عن رأيه فى النازلة فاجابه بان رأيه

ماذكره فقال اعدعلى الكلام يوم السبت عند اجتماع الوزراء بعد الاشارة الى ان أوداءه خانوه بما أوقعه فى تلك الحال وذلك مما يؤيد القول بان الوشايات لم يصدقها حقيقة وان يريد تغيير الصدور بينه وبين أحبته فاجتمع الوزير خيرالدين بالوزراء والمشارين قبل الدخول على الوالى وقص عليهم الخبر مما كان ذكره لهم فرادى ومجتمعين وكان مآل كلامهم ان الاولى به تحمل المشقة وعدم فتح باب الكلام فى الاستعفاء وقال الوزير محمد الذى تولى بعده وكان معلوما عند جميع الناس انه هو الذى يتولى باشاعة العرض المتقدم ذكره واتباعه بان لهم اتفاقا مع الوزير محمد على ولايته وابلغوا للوالى رضاه بذلك وكان على بن الزى صاحب مصطفى بن اسمعيل الخاص كثير التردد على جهات مسكن الوزير محمد ليظهر للناس صدق الدعوى فقال الوزير محمد للوزير خيرالدين اما انا فانى لا اتولى مكانك ولو دقت عظامى ولكنى اخدم مع كل من يوليه الوالى كذا شاع وجعل كلامه ذلك على تكذيب ماشاع عنه ولما دخلوا على الوالى اعاد الوزير خيرالدين الكلام فى الاستعفاء على نحو ما مر فاجابه الوالى بانه هو أبو عائلة وقد حصل له التعب ومحتاج للراحة فيأمره ببقاءه مرتاحا فى محله فرجع لبستانه بقرطاجنه وكان ذلك فى رجب سنة ١٢٩٤ ومنع الوالى المتوظفين من الاجتماع بالوزير خيرالدين حتى خواص احبائه بل واتباعه الذين على ايديهم متعلقات كسبه الى ان خرج من القطر للآستانة ولم يعمل حسابه معهم وفى عشية يوم انفصاله عن الوزارة تذاكر بعض رؤساء المتوظفين فى زيارة الوزير المذكور وذكر أحدهم عن أبلغ اليه النهى بواسطة انه عازم على زيارته تلك العشية متغافلا عما بلغه فحذره الحاضرون من الوزراء والمستشارين من وقوع ذلك قبل الاستشارة وانهم هم فى أنفسهم عازمون على مثل ذلك واغياء لقوه على استشارة الوزير الجديد فلما استأذنوه احالهم على اذن الوالى ولما استأذنوه اعلن بالمنع وجعلت عيون على كل من يقدم اليه فبقى منفردا وتكاثرت الاقوال فى الخوف عليه ونازلة الشهيد بن اسمعيل السنى ورشيد لم تبرح من البال وكان هو مقلدا متغافلا عما يظهر اليه من الغضب وطلب مواجهة الوالى لمجرد الزيارة فاضطرب فى أمره ثم اذن له فى وقت خاص ووقع بين الوالى وقنسل الفرانسيس كلام سأل فيه القنسل الوالى عن سبب خروج الوزير خيرالدين عن الوزارة فاجابه بان خروجه ليس كخروج الوزير السابق لان الوزير السابق ارتكب مايشين العرض واما خيرالدين فلا سبب لخروجه الا الخلاف السياسى الواقع بينى وبينه

وأنت

وأنت تعرفه وهو اشارته الى ميل الوزير للدولة العلية لان الوالى كان تحقق لوم قنصل فرنسا على سياسة الوزير مع الدولة العلية والاغضاء هو الخلاف السياسى الذى يعلمه القنصل دون غيره وهذا يؤيد الكلام السابق فى حقيقة أسباب انفصال الوزير المذكور من الوزارة ولما تفاقم التنافر طلب الوزير خير الدين السفر لمداواة مرض عصبى فاذن له بعد التصعب التام وودع الوالى ولما استقر فى أوروبا حذر من العود خوفا عليه فكاتب هو الوزير محمد بما مضمونه انه كان أرسل اليه مكتوبا جوابا عن مكتوب به بان الوالى سأل عن حاله وعن وقت رجوعه وانه انما كان سافر لاجل التداوى أولا وثانيا لاجل التباعد عن القيل والقال وهو المقتضى لتطويل الغيبة فاذا رأى رجوعه لا بأس فيه فليأمر الوالى به لان غاية مراده هو ان يعيش فى بلاده مع عائلته تحت ظل الوالى مع حريته الشخصية من غير ان يتداخل فى شئ من الامور كما هى عادته عند انفصاله من الوظائف بدليل سيرته فى التسعة سنين السابقة التى بقى فيها بلا مأمورية وانه كان ينتظر الجواب من ذلك المكتوب الذى تضمن الاعلام بعزمه على السكنى بالقطر خلافا لما يشيعه المغرضون متعهدا بعدم التداخل فى شئ من الامور السياسية وانه طالب حريته الشخصية حيث صدر الاذن للاهالى والمتوظفين باجتنابه ومع انتظاره للجواب مدة من الزمن لم يرد له الجواب الا بكون رجوعه لا يتوقف على اذن مع التغافل عن الموجبات المشار اليها مع انه لم يطلب الا ما كان الوالى سمح به للوزير مصطفى خزندار فى صفر سنة ١٢٩٢ من الرخصة فى مخالطة من يشاء والسفر الخ مع ان ذلك الوزير كان مطالبا بمال جسيم وليس خروجهما من الوظيف سواء لاختلاف الاسباب وما طلبه الوزير صاحب المكتوب هو ضرورى فى حقه لما صدر من الاذن فى المنع من الاجتماع به حتى ان وكيله المالى امتنع من القدوم اليه هذا زيادة على الصعوبات التى وقعت عند ارادته السفر ولم يجب عن هذا المكتوب وكان القصد من اضداده اما حمله على عدم العود أو انه اذا عاد يتسبب له بايقاعه فى محذور وخيم ومع ذلك قدم الوزير خير الدين لتونس عندما شاع ان بعض بواخر الروسيا قادمة الى تونس وكانت حالته مع الوالى أشد مما سبق فارسل اليه بان يقصر من القدوم اليه الا باذن متعللا بان الوزير مصطفى خزندار تشكى من منعه هو من زيارة الوالى مع عدم منع الوزير خير الدين وقال كثير من الناس هو قياس مع الفارق ثم عاد الوزير خير الدين الى السفر أواسط سنة ١٢٩٠ ورجع الى ان أتاه اذن بسلك الاشارة من الاعتاب السلطانية بالقدوم الى الاستانة فاستأذن الوالى وامتنع من

الاذن له حتى دعا القناسل المعتبرين واستشارهم فى ذلك فكلهم اشاروا عليه بان لا وجه فى منعه والاوفق له الاذن بطيب نفس منه فاذن له عن كره ومنعه من وداعه وسافر فى رمضان سنة ١٢٩٥ وترقى فى عناية الخليفة به الى ان صار صدرا أعظم فى ذى الحجة من تلك السنة وجاءت عائلته فى باخرة سلطانية ومن ذلك الوقت خرج الكلام على هذا الوزير عن موضوعنا الذى نحن فى صدده وقد انحصرت دعوى اعداء خير الدين فى أمرين احداهما ارادته تسليم البلاد للفرانسيس والثانى ميله الى الدولة العلية فلا شك ان الخلاف السياسى الذى ذكره الوالى لقنسل فرنسا لا يتعلق بالدعوى الاولى وعليه فلا سبب الا الثانى وعلى كل فقد أشهد الوالى قنصل الفرانسيس بعد خروج الوزير خير الدين من الخطة باستحسان سيرته الا الخلاف المذكور فعلى الواقف المتأمل فى ذلك اذا الحق ما شهدت به الاعداء فعداوة الوالى لخير الدين بعد خروجه من الخطة لا يجهلها أحد والحجة القطعية فى ذلك امتناعه من مقابلته عند صدور الاذن بالقدوم لدار الخلافة وطلب الوداع (المطلب السابع) فى وزارة محمد خزندار (اعلم) ان هذا الوزير أصله من اليونان وحضر الى تونس فى ولاية حسين باشا وربى فى الحكومة وتعلم الفروض العينية والقراءة والكتابة ونشأ على صحة التعفف عن الرشا موسوما بحسن الرأى جدى الطبع كثير الصمت صبورا محبا للسادة الاشراف صاهره أحمد باشا بالمولى الشريف سيدى محمد الشريف على ابنته صاحب صدقات سرية متباعدا عن الشفوف متحد السيرة كان قربه الوالى حسين باشا مراعاة به صاحب التصرف اذذاك شاكير صاحب الطابع وصار من خواصه وزادت به عناية الوالى المذكور حتى أولاه خزندار وكذلك أخوه من بعده مصطفى باشا فى استنجابه الى ان قيل انه حصلت غيرة منه لشاكير صاحب الطابع المذكور واتهم بانه أغرى بعض خواصه به فى المعسكر الذى توجه تحت رياسة صاحب الطابع المذكور لثورة أهل جبل باجه فاطلق على الوزير محمد الرصاص فى واقعة حربية هنالك فاصيب فى رجله وعوفى مع بقاء تأثيرها ثم استنجبه أحمد باشا وولاه عاملا على الساحل وحسنت فيه سيرته وطالت مدة ولايته عليه من حدود سنة ١٢٥٣ الى سنة ١٢٨٠ ودافع عن أهله ما استطاع من تعديات محمود بن عياد بتكفله بخلاص كلما يطلب منهم ابن عياد على أن لا يباشرهم ابن عياد بتوجيه أعوان لخلاص الملتزمات التى يطلبها منهم وأعان على مصاريف عسكر حرب القريم بالف قفيز من الشعير ووجهه أحمد

باشا

باشا رسولا عنه للدولة العلية فى استطلاع نيتها فى ترتيب الاداء على تونس والاعتذار اليها ثم وجهه أيضا لاحضار مهمات العسكر فى حرب القريم ثم عاد مع العسكر وأقام هنالك مدة ثم رجع ولما ولى محمد باشا أرسله بالهدية والنجدة الثانية من العسكر وطلب تقرير ولايته فقضى مأموريته وعاد وكان فى عزم الوالى المذكور تقديمه لوزارة الداخلية فعاقه عنه ما تقدم فى ابقاء الوزير مصطفى خزندار ولكن الوالى المذكور قربه واعتمده ورفع شأنه وأرسله رئيسا على العسكر الموجه الى الاعراض والجريد لجلب رئيس قومه من اعراب طرابلس المسمى بغومه عند ثورته على الدولة العلية هنالك ثم التجائه الى تونس عند خشيته الاستيلاء عليه وأحدث فى أطراف الجهة الجنوبية من قطر تونس شيأ من الاختلال فوجه عليه الوالى المذكور معسكرا تحت امرة الوزير محمد المذكور ولقبه فى تلك الوجهة بامير الاعراض واستقال الوزير محمد من اللقب ولم يساعفه الوالى وفى ولاية الصادق باشا ولى الوزير محمد وزارة الحرب عند استعفاء وزيرها منذ ولاية احمد باشا وهو مصطفى أغا ثم ولى عوضا عنها وزارة الداخلية ثم عوضها بوزارة البحر كما ولى رئيسا ثانيا بالمجلس الاكبر عند وجود القوانين حينما استعفى الوزير خير الدين ثم لما حدثت الثورة العامة سنة ١٢٨٠ بقى الوزير محمد فى زوايا الخمول الى ان حدث الكومسيون المالى فولى فيه عضوا وأرجعت اليه الولاية على الساحل وابلى فى التخفيف على أهله من مصاعب الديون ما تقدم شرحه باعانته للوزير خير الدين ثم سنة ١٢٩٠ ولى مستشار القسم الثانى من الوزارة الكبرى مع التلقب بوزير الاستشارة ولما حصلت مبادى استعفاء الوزير خير الدين شاع التعاضد بالوزير محمد اقصد تقليده الوزارة الكبرى حيث كانوا على علم بان نقل الوزارة من خير الدين الى ابن اسماعيل صعب عظيم فى اعين العامة والخاصة ويلزم مدة الاستئناس بمباشرة مصطفى ابن اسماعيل للسياسة تحت رياسة غيره فلما استعفى خير الدين قلد الوالى الوزارة الكبرى للوزير محمد خزندار بعد ان استقاله منها وبكى واعتذر بكبر السن ومرض البدن فلم يساعفه الوالى فتلقاها والبس نيشان البيت الحسينى وطلب من الوالى أن لا تتغير سيرته عن الطور المعتاد له فى الابهة اللازمة لرياسة الوزارة كما قلد أيضا رياسة الكومسيون وكان ذلك فى رجب سنة ١٢٩٤ وولى فى وظائفه التى كانت بيده مصطفى ابن اسماعيل وبقى الوزير محمد فى الوزارة متحفظا فى ما يستطيعه على ابقاء ما كان على ما كان وصاحب النفوذ هو غيره على ما سيأتى شرحه ومع اكثر الجزئيات التى تعرض له

لا يبدى فيها أمرا الا بالاستشارة ولم يحدث فى مدته شئ جديد سوى حرص الدولة العلية على ارسال العسكر فاعتذر الهايان غاية ما فى الوسع هو الاعانة الماليه للاسباب التى مر شرحها فلم تصغ لذلك وزادت الحاحا وتهديدا بلزوم العسكر وطالت المراجعات والاعتذارات من تونس الى ان صرحوا للدولة العلية بان غاية ما فى الوسع والقدرة هو احضار أربعة آلاف من النفوس بابدانهم فقط وسلاحهم من النوع القديم وما عدا ذلك يلزم أن يكون جميعه على الدولة فرضيت بذلك وأعلمت بانها ترسل الى جلبهم على محل سفنها فتجب المبادرة باحضارهم فاحضروا وصرف على كسوتهم ولوازمهم مدة حضورهم وانتظارهم للسفن مما جمع من الاعانة المالية من الاهالى التى سبق ذكرها فى وزارة خير الدين وانعقد الصلح قبل سفرهم فورد الاذن بسراحهم وكذلك حدثت نازلة انتهاء اجل الكنت دى صانسى لكنها لما كان كل من الحرص فيها وانتهاء خصامها فى مدة الوزير مصطفى ابن اسماعيل وهكذا نازلة وصل الطريقة الحديدية المار ذكرها بطريق الجزائر فانها وان وقعت فى وزارة الوزير محمد لكنها فى الواقع منسوبة لسعى مصطفى ابن اسماعيل حيث كانت التصرفات بين هذين الوزيرين فى مدة وزارة محمد مثل التصرفات بين الوزير مصطفى خزندار والوزير خير الدين بعد ولاية هذا وظيفة وزير مباشر وغاية الفرق بينهما ان وزارة محمد وابن اسماعيل لم يظهر فيها جهرة التباين والعناد ووزارة خزندار وخير الدين بخلاف ذلك فليس من الانصاف نسبة مساعى احد الرجلين الى الآخر كما ذكرنا مثل ذلك سابقا سيما مهم المسائل الخارجية فقد كادت ان ينفرد بها الوزير ابن اسماعيل وليس للوزير محمد فيها الا الاجراء ودام الوزير محمد على ذلك متجنبا الكل صعوبة مقتصرا على امتناعه من الرشا وبيع الوظائف فى نفسه مشيرا بلطف الى استقباحها لمن يريدها مدار بالسائر المتوظفين الى ان احس بالكلام بارادة استعفائه بعد ولايته بستة اشهر فعرض بذلك للوالى متعللا بالعجز والمرض فاشار عليه الوالى بالتحمل والبقاء فى الخطة الى الوقت الذى يشير عليه الوالى بالاستعفاء فعمل بذلك وفى ربيع الاول من سنة ١٢٩٥ كثر الكلام فى عود الوزير الاسبق مصطفى خزندار فكذبته الحكومة بنشرها فى صحيفتها الرسمية فصلا طويلا فى ان ذلك الكلام مما يشوش على السكان ويحير الافكار وانه بهتان والوالى لا يعمل به وانه من الافتراء والارجاف وذلك فى عدد ١١ من الرائد فى ١٦ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ وانما ذكرنا ذلك ليتيقن ان نفرة الوالى للوزير المذكور لاعماله حقيقية

لا

لا كما قيل من أنها بسعى الوزير خير الدين حيث انه فى ذلك التاريخ بعيد عن الوالى واشغاله ثم ان الوزير محمدا بقى منتظرا الاشارة لاستعفائه كما بقى من جهة طالب المنصب وصاحب الولاية انتظارا عادته هو ولاستعفاء أو التعريض به وبقى هكذا الحال كل شق ينتظر صاحبه مدة أشهر الى أن أظهر الوالى كثرة الكلام فى الرغبة فى استعفاء الوزير وأحضر نيشان آل بيته الذى صار علامة ملازمة للوزارة الكبرى وفطن بذلك الوزير محمد فقدم للوالى معرضا بالاستعفاء على حذر حيث اعتمد الوصاية بان الوالى هو الذى يشير عليه فقبل بالرحب والبشر وأوصاه بان يكتب غدا مكتوب الاستعفاء فلما حضر الجميع الى قصر المملكة من الغد امر الوالى قبل أن يصل اليه مكتوب الاستعفاء الوزير محمدا بان يستصحب معه الوزير مصطفى بن اسماعيل الى محل الوزارة ويعلن لجميع المتوظفين بعد جمعهم بان الوالى أولى مصطفى الوزارة الكبرى ورياسة الكومسيون بعد أن ألبس الوزير مصطفى نيشان البيت ولاطف الوالى الوزير محمدا وأمره بان يعود اليه بعد ذلك الموكب مصاحبا للوزير الجديد فعمل بذلك على هيئة استغربت اذ لم يعهد مثلها و بعد ذلك كتبت مكاتيب الاستعفاء وقبوله ونشرت فى الرائد وكان ذلك فى شعبان سنة ١٢٩٥ فمدة وزارة محمد عام وشهر ولقب فى ذلك الوقت بوزير الاستشارة وجعل له مرتب عمرى وقدره ستون ألفا فى السنة وأمره الوالى بان يقدم اليه فى كل أسبوع فى يوم السبت مع جملة المتوظفين أو عندما تدعو حاجة لحضوره وجعل منزلة حضوره فى موكب الوالى فوق منزلة الوزير الحالى بحيث لم ينزل عن مرتبته ثم استقال هو من ذلك ونزل تحت الوزير ثم ولى عضوا فى مجلس الشورى الآتى ذكره وبقى على ذلك الى الآن (المطلب الثامن) فى وزارة مصطفى بن اسماعيل هذا الوزير من الناشئين فى حاضرة تونس ولما شب رباه أحد متوظفى قصر الحكومة الملقب بزهير حتى نسب اليه فى اللقب ثم أخذه منه الصادق باشا الوالى الحالى وصار من خدمته وقربه ورقاه الى رتبة أمير لواء مع انضمام رتبة أمير لواء ثانيا فى عسته العسكرية الخاصة وهى وظيفة مقصورة عليه لم تكن من قبل ولا بقيت من بعد ومن حدود تلك المدة عرف بالقب ابن اسماعيل نسبة الى والده الذى يقال انه مسمى بذلك وهو متواضع بشوش كثير التردد على الصالحين وزيارتهم شديد الاعتقاد فيمن ينتمى الى علوم الحدثان شره على الاشياء الجديدة كثير الانفاق على ما يعود الى لذاته محب للتجمل بالملابس المجوهرة حتى تتعدد الخواتيم المكالة بأصابعه وترى الجوهرات على صدره وسلسلة ساعته

عارفا بأخلاق سيده ملازما في سيرته معه لرضائه حتى تمكن ميله اليه واشتدت رغبته في استرضائه الى أن قدمه على معاصريه وأبناء جنسه فبلغ الى الرتبة المشار اليها ثم رقاه الى رتبة أمير لواء العسة وأبطلت الرتبة الثانية المشار اليها وفي أواخر مدة التنافر بين الوزير خير الدين ومصطفى خزندار انتهزت تلك الفرصة الى التنويه بشأن مصطفى بن اسمعيل ورقي الى رتبة الفريق وأرسل من الوالي كما تقدم الى مالطه لابلاغ العناية بالوزير خير الدين وكان يظهر الميل عن مصطفى خزندار ثم ولي عاملا على الوطن القبلي أواخر مدة مصطفى خزندار وأخذ مستلزمات العمل المذكور بنقلها اليه بدون انتهاء مدة من كانت بيده وامتدت الايدي الى ارزاق أهالي العمل المذكور بالرشا في الاحكام وغيرها حتى قال كثير من أهله لقد زال العناء عن أهالي القطر الا نحن فانا لم نر شيأ من اثر ذلك لاغضاء الوزير خير الدين النظر عنه لمعاضدته اياه واستولت بعض حواشيه على الاوقاف ببلد سليمان الى أن آل أمرها لما كنا شرحنا بعضه فان جامع الحنفية والمدرسة ببلد سليمان لم يكتف فيهما بأخذ دخل الوقف واهمال الموقوف عليه حتى خرب وتعطل جريان الشعائر بل نقل منهما مهمات من الرخام وغيره الى دار المتولي كما أقيمت في ذلك حجج من أهالي البلد وقدموها الى جمعية الاوقاف وجرى على الاهالي من المتاعب ما بلغ الى قتل النفس كما ذكروا ذلك في قتل محمد بايوض احد أهل الحاضرة الذي انتقل بالسكنى الى هنالك وذهب دمه هدرا وسودت في موته رقعة على انه مات حتف أنفه تبرئة عند الحكومة رسما من دمه وشدد على الاعيان من أهل الحاضرة وغيرهم في خلاص قانون الزيتون الذي كان مرتبا على الوطن القبلي الذي مر ذكره وتحملوا من مباشري الخلاص اهانات لم تعهد لهم حتى ان بعضهم كان جالسا بحانوت أحد أصحابه في العطارين فجاءه المستخلص وألزمه بالخلاص حالا مع ان العسر عمومي فضلا عن كون الرجل لم يكن مستعدا ولا مال معه ولا معه فأهين بما أذرف دموع المشاهدين من ذلك الملأ ومثل ذلك متعدد ثم ولي الوزير ابن اسمعيل وظيفة صاحب الطابع أواسط سنة ١٢٩٠ ويوم ولاية الوزير خير الدين الوزارة الكبرى ولي الوزير ابن اسمعيل وزارة البحر غير انه لم يباشرها به الوظيفة في محل الوزارة وانما جعل ما يتوقف على امضائه يحمل اليه أين كان ليمضيه حتى يقال انه انفصل عنها وهو لا يعلم مضمون تلك الوظيفة اذ لم يكن التصرف على نحو ارادته ولانه يعتمد من ينيبه من غير احتساب عليه ثم عزل عن ولاية الوطن القبلي لان الوزير خير الدين قد استقر في

الوزارة

الوزارة الكبرى وظن انه غنى عن معاضدة ابن اسمعيل حينئذ فاتفق مع الوالى صعوبة الالحاح بعزله ومن ذلك التاريخ برح الخفاء فيما كان كامنا من منافرة الوزير ابن اسمعيل للوزير خير الدين وان اظهار الميل اليه لم يكن حقيقيا والتفت عليه عصبة الوزير الاسبق خزندار من الاجانب وبعض المأمورين لترويج اغراضهم مما تقدم شرحه وفى اثناء تلك المدة كانت اموال الوالى وذخائر الحكومة من الجوهرات والياقوت الابيض الذى تركه محمد باشا كلها فى تصرفات الوزير ابن اسمعيل المذكور الا ما أخرج من ذلك مما أرسله فى هدايا الدولة العلية وما اعطاه الوالى الى الوزير خزندار وله قسط وافر او غيره وكان القحم فى تلك المدة بالوزير ابن اسمعيل شخص من سكان الحاضرة يقال له على ابن الزى كانت الناس تتقيه من قبل ثم ازدادوا منه اتقاء لما التحم بالمذكور وتفصيل حالة هذا الشخص لا تناسب هذا التأليف على ان من شاهدها لا يبلغ ما نذكره لما يعلمه ومن لم يشاهده لا يكاد يصدق بوجودها ولذلك لا نذكر الا ما يتعلق به من حوادث سيده فمنها انه حسن اليه معاطاة التجارة فى رقاع ديون الدول وراد له تاجر بعد تاجر الى ان استقر امره مع احد تجار الاقمشة الحريرية من يهود الحاضرة المسمى بيوسف بن عطار وارسله الى فرنسا للتجارة هنالك ثم لما عاد التاجر حصلت بينه وبين على ابن الزى نفرة فاغرى به سيده لارادة استئصاله وسجن التاجر فى سجن الضابطية لان الضابطية كانت لا تسأله عمن يريد سجنه وانما حسب التنفيذ لما يراه وادعى على التاجر بخمسة ملايين فرنكا او تزيد بين مال ومصوغ وحجارة كريمة من الياقوت الابيض على انها من اعلى نوع وانه سافر بذلك الى فرانسا ولم يؤخذ منه حجة فى بيانها وانه ارجع اليهم بالارسال من فرانسا مقدارا وافرا من الياقوت الابيض من النوع الردىء على انه لم يبع مما تسلمه منهم وقبلوا ذلك وبقى التاجر الى ان احضر بالضابطية وأخذت منه حجة على انها صحيحة وانكرها هو وطال الامر الى ان تخلص التاجر من السجن وهرب الى قنسلات الانكليز محتميا بها طالبا اجراء الانصاف فى نازلته وتداخل القنسل الانكليزى مع الحكومة فى انصاف الرجل ولاحت علائم الزور على الحجة ولم يكن معها من القرائن أو الاسلوب التجارى ما يؤيدها سيما فى مبلغ وافر مثل ذلك بل ربما كان معها من القرائن عكس الدعوى اذ ان المدعى به عليه من الياقوت هو من أعلى نوع وهو المصرح به فى الحجة ثم النوع الذى ارجعه اليهم وقبلوه وارسلوا له فيه مكاتيب بوصوله من غير انكار لكونه من نوع

مااعطوه ولا تعريض بذلك مع ان ذلك المقدار البالغ يعطى لانسان من غير بيان ولا حجة ولا دفتر ولا تؤخذ عليه الحجة الا بعد رجوعه بمدة وهو تحت الغضب زيادة عما كان عند انتهائها فان جميعه يؤيد كلام التاجر فانه بعد ان رفعت النازلة الى الوزير خير الدين وارادته تشكيل مجلس للنظر فيها وامتناع الوزير ابن اسمعيل من ذلك حسبما تقدمت الاشارة اليه وبقى التاجر محتميا بالقنسلاتو تصالح معه الوزير ابن اسمعيل بمائة الف فرنك وعشرين ألف فرنك وتعجب كل من سمع بالدعوى التى هى نحو ثمانية ملايين كيف يصالح عنها بذلك القدر لو كانت حقا والنازلة مقررة فى الوزارة وفى القنسلاتو ولو نظرنا الى ما وقع فى النازلة من الكلام على ألسنة الناس الذى منه ان مما قاله على ابن الزى الى الوزير ابن اسمعيل ان التاجر المذكور لما عاد من فرانسا ارجع له مصوغا أو أتاه بمصوغ بقيمة بليغة من المال وانه اكتشف عن حالة المصوغ بعد الانفصال بالصلح مع التاجر فاذا هو من البلور المقلد على الياقوت فاذنه الوزير ابن اسمعيل ببيعه حيث لم يكن فيه من فائدة فاخبره بانه بيع ببضع آلاف وأدخلها له فى حسابه ولما وقعت الواقعة الآتى بيانها مع ابن الزى تبين ان عين ذلك المصوغ لم يزل بخزائنه وانه من الياقوت حقيقة وامثال ذلك لطال الكلام فى النازلة لكن لا داعى لنا فى ذكر ما يقال على ألسنة الناس سيما وهو مما يعود الى ما بين الخادم والمخدوم وانما الداعى الى ذكر ما تقدم هو بيان كونه سببا فى خروج عائلة التاجر المذكور من رعايا تونس وصيرورتها تحت الحماية الانكليزية كما أنها كانت سببا فى تمكن النفرة واظهارها بين الوزير خير الدين والوزير ابن اسمعيل وميل الوالى الى معاضدة هذا لانه مكنه من جميع أمواله حتى ان نفقته ونفقة عياله كانت على يده وقد نشرت أخبار متواردة فى الصحف الخبرية عربية وغيرها فيما تقتحمه العائلة من تباعة ذلك ولم يقع تكذيبه وحيث كان من الخصوصيات فلا نحليه هنا أيضا وانما أشرنا اليه لتعلم خلاصة التصرفات المالية وبما تقدم وغيره حصلت الاشاعات التى أشرنا اليها فى أسباب استعفاء الوزير خير الدين وقرائن الحال دلت على انه كان القصد توجيه الوزارة الى الوزير مصطفى ابن اسمعيل غير ان معرفة حال المتوظفين والاهالى فى التسليم لذلك كانت مجهولة فقدم للوزارة الوزير محمد وقدم الى استشارة القسم الثانى من الوزارة الوزير مصطفى ابن اسمعيل لكى يباشر العمال والاهالى فى شكاياتهم ويتأنس بمباشرة التصرفات العامة فكان لا يتعرض لتصرفات الحاضرين

من

من اتباع الحكومة عند ورود الدعوى الان تكون نازلة لهم باخبرة بواسطة أحد
علائقه وتقررت له من قبل قدومها الى الوزارة فحينئذ يأذن فيها بما كان وقع عليه
الانفصال وحصلت في اثناء هاته المدة الرشوة التي كادت تتناسى سيما في توظيف العمال
ولم يقدر الوزير محمد على دفاعها غير انها لم تتفاحش اذ ذاك كما ولي الوزير مصطفى ابن
اسمعيل عاملا على الساحل لاستعفاء الوزير محمد عنه فجرى أول الامر العمل فيه على
ما كان ثم ولي على المستير رجلا تابعا عن العامل بجعل ينيف عن المائة ألف وكان ذلك
الرجل مدينا للاجانب من قبل واشترى الوظيفة لخلاص ما اشتراه به ولخلاص دينه
وتكسبه وامتدت يده الى الاهالي والى النواب الذين تحت نظره وتفاقم الامر مع شدة
الضعف المالي في الساحل واشتكت رعايا الاجانب الى قناسلهم هناك لان أهل
الساحل لم يزالوا في رق دينهم فما يحصل لهم من المال عوض ان يدفع لدائنهم صاروا
يدفعونه الى المتولي وبقي أمرهم على ذلك الى نحو ما سيرد خبره وفي أول مدة تداخله في
الادارة وجه قصده الى التداخل في المسائل الخارجية والمداخلة مع نواب الدول
فاستعطفه أحد نواب الاجانب على أمير اللواء الياس المصلي لعلاقة بينهما ذاتية على
ارجاع المذكور الى خطته التي كان فيها وهي وظيفة مستشار ثان في الوزارة الخارجية
وقد كان عزل عنها في أواخر وزارة خزندار اثناء ولاية خير الدين وزيرا مباشرا بسبب
واقعة وهي ان احدى الجمعيات الاجنبية التي تجمع المال لنوع من أنواع المرحمة
توسطت اذ ذاك بقنسل فرانسا لتعينها الحكومة التونسية بشيء من المال على وجه
المرحمة فارسلت الحكومة بواسطة المستشار المذكور مقدارا من المال ولما اجتمع
القنسل بالوزير شكر صنعه وذكر له المقدار الواصل لتلك الجمعية فاذا هو غير مطابق لما
أعطته الحكومة ووقع التحقق في النازلة الى ان عزل المستشار المذكور وبقي بلا
وظيفة ولا مرتب الى ان قدم من الاجانب من عطف على المذكور رفقه وتوسط له لدى الوزير
خير الدين في وظيفة فافهمه ان ذلك غير لائق لما تقدم فألح على ان يحصل له نفع ونال
بواسطته مرتبا سنويا قدره ستة آلاف ريال وقطعة من أرض مقدار ما يبني بها دار
للمذكور وكبر ذلك على الوزير بن اسمعيل اذ ذاك وجعلها هجيراه فلما تعاطى هو
الاشغال السياسية وتوسط لديه في ارجاع المذكور للخطة السابقة بادر بالاجابة
بالقبول ولما انتهى الامر للوالي استفظع النازلة سيما وقد سمع بعض القناسل بذلك
وأوغر بالانكار بل ربما قال بعضهم انه يعد ذلك اهانة لهم وحصل من المتوسط أيضا

التشديد في الاتمام بمقتضى القبول الذي اجابه به الوزير بن اسمعيل وهو وان لم يكن
اذ ذاك وزير الخارجية الا انه علم ان كلامه رسمي مثل وزير الخارجية وانكر ابن
اسمعيل التعهد بالقبول انما قال اني وعدت بابلاغ الوالي المطالب فقط وتفاقم الخلاف
الى ان استرضى الطالب ووظف المذكور وظيفة مخترعة وهي كاتب سر الوالي
بالفرانساوي وجعل له مرتب اثنا عشر الفا سنويا ثم ابتدأت نازلة الكنت دي صانسي
فالح الوزير بن اسمعيل في تعجيل فصلها اذ كان فيها ما سيرد خبره ثم جاءت نازلة وصل
السكة الحديدية التونسية بسكة الجزائر وذلك ان الشركة التي بيدها المنحة وشرعت في
العمل بها بعد ان قربت ان تصل بيا باجة لزمها وصل السكة المذكورة بسكة الجزائر لانها
ان لم تصلها تتوقع الخسارة ويفوتها تيقن ربح الخمسة في المائة لان دولة فرانسا ضمنت
للشركة المذكورة ربح الخمسة في المائة على ما تنشئه من الطرق الحديدية بافريقية
وتتصل بالجزائر ودولة فرانسا انما ضمنت ذلك لانه مما يعمل به كثيرا في الممالك
الاوروباوية لترغيب أرباب الاموال في انشاء المنافع العامة مع تحقق الربح من أموالهم وهي
لا يثقل عليها مثل ذلك لنمائها وكثرة مواردها من الطرق الحديدية فعلى فرض خسران
جهة من الجهات في الطرق يعدل بازائه الربح الحاصل من الجهات الاخرى واذا بقيت طريق
تونس غير متصلة بالجزائر لا تحصل الشركة على الضمانة المذكورة فلذلك قدم الى
تونس زعماؤها طلبوا وصل السكة مستندين الى الفصل الثالث عشر من الاتفاق الذي
بايديهم في أصل المنحة من الشركة وهو ان الشركة يسوغ لها مد فروع يمينا وشمالا
عن الخط الاصلي بعد الاتفاق مع الحكومة على جهة المركز الواصل له الفرع وعلى
جهة مروره وان المقدار الذي بين نهاية الخط الاصلي وبين حدود الجزائر لا يبلغ الى
مقدار طول الفرع الذي لهم الرخصة فيه وهو خمسون كيلومتر واي نحو خمسة وأربعين
ميلا وانهم غاية ما يطلبون الاتفاق على تعيين المركز المنتهى اليه وتعيين جهة المرور كما
يطلبون مد فرع الى جهة الكاف بمقتضى الرخصة الاولى أيضا فنالت النازلة في البلاد
وعند رجال الحكومة أهمية تامة لا بالنظر الى فرع بلد الكاف لانه خال عن كل شائبة
وليس فيه الا النفع وانما الاهمية من حيث وصل الطريق بالجزائر وكثرت الاقوال في
وجود مليون ومائتي الف فرنك لتيسير أسباب الوصول الى المقصود وتولى أمر الحرص
فيها الوزير ابن اسمعيل وكان القنسل الفرانساوي معينا الى الشركة على غير الطريقة
الرسمية وانما هو من باب المجاملة والنصح ويود فصل النازلة من غير ان تدعو الى تداخله
الرسمي

الرسمي باستنجاده من الشركة على ما يمكن ان تدعيه فيبرا الوزير محمد اذ ذاك من تحمل
العبء وعقد لها مجلسا تحت رياسة مستشار الخارجية واعضاؤه ثلاثة تونسيون واثنان
فرانساويان واثنان طليانيان وكاتب انكليزي والجميع من موظفي الحكومة
فتفاوضوا في المسئلة لكن مع الاشارات المتواردة بالتعجيل واختلف رأي المجلس هل ان
الفصل ١٣ المستند اليه من الطالب يقتضي ذلك أم لا لانه بالنظر للخريطة يتبين ان
المقدار المطلوب ليس بفرع بل هو تطويل لاصل الخط حيث يتجاوز منتهاه النقطة الاصلية
المنتهي اليها الخط لاصلي في العقد ولكن الذي ترجح عند أغلب المجلس أنه يصدق عليه
انه فرع اذ لم يقيد الفرع بعدم تجاوزه نقطة الاصل ومع هذا فان الاستناد الى ذلك الفصل
لا ينتج المطلوب لانه ولان تضمن امكان امداد أحد الفروع ضمنا يعارضه التصريح
القطعي بفصل خاص وهو أن الوصل بطريق الجزائر ليس للشركة عمله ولا رخصة لها فيه
الا باتفاق جديد ولهذا خصص ايضا بان الحكومة ليس لها اعطاؤه لغير الشركة المذكورة
وهو حجة قطعية بان ايصال طريق الحديد لحدود الجزائر لم يعط مدة وزارة خير الدين بل
انه شرط عدم الايصال للحدود وان اعطاء الرخصة للشركة الفرانساوية في ايصال
الطريق للحدود هو امتياز جديد أعطته الحكومة التونسية بعد خروج الوزير خير
الدين من خطة الوزارة ولهذا انتقل الكلام الى أن الوصل هل للحكومة عمله أم لا فتذاكر
الجميع في منافعه ودفع الاعتراضات والمضرات الناشئة عنه بما تقدم بيانه عند الكلام
على وزارة خير الدين بل زاد بعضهم ان قال انه اذا لم يوصل تتحقق المضرة المالية للحكومة
بان ما يصل الى المركز النهائي يقرب من الحدود مع عدم انحصار جهة الخروج منها
فتحمل الاقمشة على ظهور الحيوانات وتخرج الى الجزائر من غير أداء ضرائب الحكومة
الى غير ذلك من المصالح ودفع المضار وما عساه ان يقع من الارتباكات السياسية عند
الامتناع من الوصل ولما كنت أحد أعضاء ذلك المجلس وافقت على ما ذكر غير اني
لاحظت شيئين (أولهما) ان الوصل الى الحدود يلزم منه تعيين الحد وهو واقع فيه
خلاف وطال النزاع فيه مدة أحمد باشا وليس للحكومة أن تعين الحد وانما ذلك يتوقف
على اعلام الدولة العثمانية وهي التي تعين الحد (وثانيهما) ان وصل الطريق ينشأ عنه
كثرة القادمين من رعايا الجزائر لسهولة الانتقال وقرب الوقت ورخص المصروف وذلك
هو موجب رواج التجارة وان الخلق من كل نوع فيهم المستقيم وغيره فاذا كثر الوارد
من رعايا الفرانسيس وحصلت كثرة المخالطة استدعى ذلك كثرة الخصومات الطبيعية

وليس لحكام تونس الحكم فى نوازلهم بل النوازل ترفع الى القناسل وأين هذا فى قبائل العربان التى يمر بها الطريق بل وفى نفس البلدان ليس لاتباع الحكام وضع اليد على المطلوب فيفعل المتعدى ما يريد ويركب ويرجع الى بلاده قبل ان يصل العلم الى حاكمه فيجر ذلك الى ضياع الحقوق سواء كانت للاهالى وهم الاكثر أو لغيرهم ويضطرون الى اعمال وجوه يتوصلون بها الى حقوقهم ربما أوقعت البلاد فى ارتباك أو خروج الرعية عن حكمها ولا مندوحة عن هذا الا باتحاد الحكم وقد كان السعى فيه من قبل ودولة فرانسا موافقة على أصله فلم يبق الا انجازه ولذلك لا تمكن الموافقة على وصل الطريق الا بالوجهين المذكورين فقيل لى ان هاته المسئلة التجارية من تعليقها بمسئلة الحكم وهل ترضى باتحاد الحكم جميع الدول حتى تدخل فرانسا معهم اذ لا ترضى بذلك وحدها فقلت ان كانت نازلة الطريق تجرية بحتة فلا ضرورة لنا تحملنا على اقحام المسئلتين السياسيتين المشار اليهما الا بعد التخلص منهما ومضرتهما تعدل وتفوق على المنافع المشار اليها أولا وان كانت النازلة فيها شائبة سياسية ففرانسا تعيننا فيما يتعلق بها بجلب موافقة الدول على اتحاد الحكم وتبدأ بنفسها الان الداعى معها وهو اتصال المملكتين وسهولة الوصلة بالطريق الحديدى على ما مر شرحه لا تشاركها فيها بقية الدول فاذا رأوا اجريان العمل بذلك مع جلبها لوفاقهم يغلب على الظن توافق الجميع وكانت هذه الملاحظات هى مبدؤ رميى بضدية قوم ومعاكسة آخرين وأغلب الاعضاء انصفها وتكررت المذاكرات حسبما هو طبيعى فى تعدد الآراء وكاف فى اثناء ذلك أحد الاعضاء بصورة الشروط التى يمكن أن يقع عليها التعاقد وبينما المجلس يوما فى اثناء المذاكرات واذا بالخبر بان الوزير بن اسماعيل أخبر بان القنسل قادم على الوالى ذلك اليوم للعرض على النازلة وانها لا تتحمل زيادة الطول فمن ذلك التاريخ خرجت النازلة عن كونها شورية حقيقية وعدلت الشروط المشار اليها فى أقرب وقت ودفعت أولى الملاحظات المشار اليها بالنص على أن مركز القمرق لا يكون ملاصقة على الحدود وانظر هل يجدى ذلك أم لا كما دفعت الملاحظة الثانية بان تكتب بانفرادها فى أوراق الوزارة لتكون اشارة على الحكومة فى السعى على مقتضاها وأبقيت فى خزانتها مع تقرير كل ما وقع فى المجلس وأمضيت المنحة وسمع ممن ناجزها وسعى فيها انها من تصرفات الوزير خير الدين والواقف على كل ما قررناه يحكم بانصافه ثم أرسل هذا الوزير من الوالى لتهنئة ملك ايطاليا أمبيرتو بالولاية عوضا عن والده ثم سافر الى معرض باريس

واحتفل

واحتفل به الوالى العام بالجزائر واجتمع فى باريس برئيس الجمهورية ورجال السياسة وذاكر بعضهم فى فتح البحر بالصحراء الكبيرة من خليج قابس وعدد له منافع تنشأ من ذلك للجريد وذكر له أوصاف الجريد التى هو عالم بها الآن فتخلص الوزير ابن اسمعيل من الخوض فى النازلة لانه يخشى من المذاكرات السياسية بانه كان فى سن الصغر لما كان الوالى يسافر الى تلك الجهات ولذلك لم يكن يعرفها وان المذاكرة فى النازلة تجرى فى الوزارة بتونس فتعجب المخاطب من الجواب ثم شاع الخبر بالاستعانة ببعض نواب الدول على توجيه الوزارة الكبرى الى الوزير ابن اسمعيل وان بعض النصحاء صرح له بان الوظيفة مآلها اليه لتوجه عناية الوالى اليه فلا داعى الى الاستعانة بالاجانب على ذلك لانه يفتح بابا غير مناسب فان الذى يستطيع ان يعين على الولاية يستطيع ضدها عند ما يريد فلم يفد ذلك ثم استقرت ولاية الوزير ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فى شعبان سنة ١٢٩٥ على الكيفية التى تقدم ذكرها فى استعفاء الوزير محمد واستبد الوزير ابن اسمعيل بالتصرفات وحصلت فى البلاد تزينات تشبها بما وقع عند عزل الوزير خزندار وقد علموا ما بعثهم على ذلك اذ ذاك واماهاته فكانت امتثالا لما أشير به عليهم بالايعاز من الاتباع فحدث فى هاته المدة أمور فى الحكومة والقطر (فمنها تفاقم) الامر فى نازلة دى صانسى وخلاصتها ان هذا الرجل الفرانساوى كان شرع فى وزارة مصطفى خزندار ان تعطى له أرض قدرها اربعمائة ماشية كل ماشية كيل مائة واثنين وتسعين حبلا وكل حبل طوله خمسون ذراعا على ان تكون الارض قابلة للزرع والسقى ويعطى له ذلك المقدار على أربعة أقساط مهما وفى بشروطه فى سنة يعطى له قسط وعلى ان تعفيه الحكومة من جميع الاداآت واشترط عليه ان يربى فى الارض المذكورة أنواعا ثلاثة من الحيوانات وهى الخيل والبقر والغنم فى كل مائة ماشية عدد خاص من الانواع المذكورة على ان تكون الانواع من أحسن الموجود فى القطر أو خارجه الى غير ذلك من شروطه وهو يبيعها لمن شاء وليس للحكومة شئ فى عوض ذلك الا تحسين الانواع المذكورة فى القطر فمضت آجال منذ قبوله للارض الاولى وادعت الحكومة عدم وفائه بالشروط وادعى هو التعلل بانها هى لم توف له أيضا حيث طلب الاعفاء من الاداآت التى بواسطتها أيضا وكان ذلك فى مدة وزارة الوزير خير الدين فآل الامر بعد ان كادت ان تفصل النازلة بالمرة وبعد ان عقد لها مجلس من متوظفى الحكومة الى اجرائه مطلبه وأخذه القسط الثانى من الارض واسقاطه كل

دعوى فيما تقدم تاريخه فلم يوف بما اشترط عليه أيضا وادعى ان سبب ذلك تداخل
تونس في حرب الروسيا وان الارض التي اخذها ليست كاملة المقدار وانها ليست
بكاملة الصفات وانها لم تعف مما هو مشروط وان الحكومة لم تحم حقوقه من التعدى
عليه من الاهالي فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الوزير ابن اسمعيل في مدة وزارة الوزير
محمد وطالت المراجعات بين الحكومة وبين دى صانسى والقنسلاتو الى أن ولي الوزير
ابن اسمعيل الوزارة الكبرى فحرص في اتمام النازلة وتخليص الارض من يد المذكور
وانعقد لذلك مجلس من متوظفي الحكومة من الاهالي والفرانسا وبين وتكررت
المراجعات الى أن استقر الرأي على ان لا حق للكنت المذكور فارسل الوزير ثلاثة من
متوظفي الحكومة مع مصاحبة قنسل أوستريا لحوز الارض المذكورة والشهادة على
كيفية الحوز وقبل ارساله أعلمه قنسل فرانسا بان الاولى الصلح في النازلة بان يضرب
لصاحب المنحة أجل ثان للوفاء بشروطه ويسقط جميع دعواه فان لم يوف تخلص
دولة فرانسا الارض منه وترجعها للحكومة تونس وبدون ذلك لا يمكن تسليم الارض
الا بمجلس تحكيم مختلط وانه لا يسمح لاتباع الحكومة بالدخول الى الارض وان أتوا
للاستيلاء يجدون من يعارضهم من أتباع القنسلاتو فلم يقبل منه ذلك وعند وصول
الرسل منعهم أتباع القنسلاتو من الدخول بالكلام فرجعوا وكتبوا التسجيل حالا فورد
من قنسل فرانسا طالب (أربعة) مطالب (أولها) طلب الترضية من الحكومة (ثانيها)
القصاص المسؤلية على من تسبب في النازلة (ثالثها) عقد مجلس مختلط للنظر في اثبات
دعاوى دى صانسى أو عدمها (رابعها) الجواب عن ذلك قبل مضي يومين والا فانه
يقطع الخلطة وشاع بالايعاز ان المراد بالقصاص المسؤلية هو عزل الوزير فاضطرب الوالي
والوزير واشتد الخوف وقال بعض الاجانب ان قطع الخلطة لا يعقبه الحرب فتربصوا
حتى تعلم الدول ولعله يكون منهم التداخل فتنفصل النازلة بوجه آخر ولم يقع من أحد
القناسل جواب مقنع في عدم خوف الحكومة لعدم وصول الاخبار التلغرافية وضيق
الوقت ولم يعلموا الدولة العثمانية وسعى أمير اللواء الياس عند القنسل بالوجه
الخصوصي بان يكون الوزير في امان ويجاب لجميع المطالب على ان يعزل الكاتب
الذي توجه في النازلة وهو الحاذق الفطن المتفنن دابيدستطليانه الذي على صغر
سنه كان يحسن سبع لغات ومطلع على السياسة ونصوح لتونس كاعز النصحاء ووفي بجميع
لوازم وظيفته و يقال ان سبب الرضاء بعزله هو شخصيات نفسانية فارسل الكاتب

استعفاءه

استعفاءه قبل العزل وقبل ووقع الرضا الشفاهي بان يكون ذلك نهاية المسؤلية التي هي احدى المطالب ووقعت الاجابة الى المطالب من الوالي بعد ان كتب تلغرافا الى وزير خارجية فرانسا بانه يريد ان يرسل له رسولا خاصا ليشرح له النازلة فأجيب بواسطة القنسل بان لا فائدة والحالة هاته في ذلك وان القنسل معتمد من قبل دولته فاجاب الوالي حينئذ بالقبول ونزل الوزير ابن اسمعيل الى القنسلاتو باللباس الرسمي ترضية عن الواقعة ثم عقد مجلس يرأسه موسيو فولون أحد أعيان الحكام الفرانساويين وكان رئيس مجلس التحقيق بالجزائر وهو رجل منصف عفيف واعضاء المجلس اثنان تونسيان واثنان فرانساويان وبعد التروي في مجرد دعاوى دي صانسي هل هي واقعة أم لا عدا دعوى التعطيل بالحرب استقر الرأي على ان مقدار الارض بالقيس الهندسي الذي لم يجر بكيفيته العمل في تونس هو ناقص وان صفتها مطابقة للشروط وان الاعفاء لم يقع لان شروطه لم تقع وان حماية الحقوق موفاة من جهة الحكومة ثم بقيت الارض بيد دي صانسي الى الآن وعند قبول الشروط كوفئ أمير اللواء الياس بولايته مستشارا ثانيا بالوزارة الخارجية ومما حصل أيضا انه ورد على تونس أحد الفرانساويين وطلب انشاء مرسى أمنية للسفن على شاطئ قرطاجنة قرب حلق الوادي والح على ذلك وتخوف من منعه فاعطى خمسة وعشرين الف فرنك لكي لا يتشدد وأعطى الى أمير اللواء الياس عشرة آلاف ريال لتوسطه عنده بان يرضى ولا تعطى المرسى وكذب في الصحيفة الرسمية ان كون اعطاء المال كان بسبب طلب قنسل فرانسا (ومنها) جعل موكب لاحراق تذاكر الكبون أي الفائض الذي استخلص من مبدء الكومسيون الى ذلك الوقت وجازى الوالي الوزير بن اسمعيل على ذلك الاحراق بالسيف المرصع الذي أنعم به من طرف الخلافة (ومنها) ان أحد العمال من اشراف مساكن ولي على قبيلة المثاليث فادعى عليه بانه أخذ منهم زائدا عن موظفات الحكومة نيفا ومائتي ألف ريال ولم يجر الحساب على مقتضى الانصاف المطلوب فطلب تحرير الحساب بمحضر أعيان من ثقات الحكومة فلم يجب وقبض به اثنان من اعوان الوزير ومنعوه من الخروج من داره الى ان تخلص منهم بحيله ورمى بنفسه من احدى طواقي علوه والتجأ جاريا الى قنسلاتو انكلاترة فدخل بها صائحا مستغيثا وأغمى عليه ولما أفاق سأله القنسل عن سبب حاله فقرر انه عذب بربط يديه واحراق الحطب في وسط بيته والسكر فيها وصب الخمر أو القاذورة على رأسه وغير ذلك من أنواع التعذيب

ليؤدى المال وأخذوا منه ما جرا على ذلك خمسة عشر ألف ريال وآل الامر الى طلب القنسل اعادة الحساب فامتنع الوزير من ذلك وحصلت بينه وبين القنسل نفرة ودامت مدة الى ان ابدل القنسل المذكور لفراغ مدة خدمته بالسن وهو مرير يتشارد وود ورقته دولته ثم جاء خلفه وصولح العامل المذكور باقل من ربع ما ادعى عليه يدفعه على اقساط (ومنها) ان أحد اغنياء الساحل الملقب بابن الحفصية ادعى عليه بانه اشترى زيتا من الوزير وكتب عليه حجة بنحو ثلاثين ألف ريال فتلطف بالتخلص فلم يفد ثم طلب ان يتوجه الى جهة الافرنج ليستقرض منهم ويدفع فارسل معه أحد الاتباع لمراقبته ولما وصل تجاه قنسلاتو فرانسا دخلها مستغيثا فتلقته أعوان القنسلاتو وقرر نازلته واجتهد القنسل فى حمايته لما ثبت عنده ظلمه وحماه من ذلك ولم يخرج من هنالك الا وهو وجميع عائلته تحت الحماية الفرانساوية وتراقم الامر فى الساحل على ذلك النوع الى ان كتب أحد القناسل الى نوابه بقبول كل من يلتجئ اليهم وكتب تقريرفيما هو واقع فاحس الوزير ابن اسمعيل بذلك فاستعفى من ولايته عاملا على الساحل وتلطف للقنسل بان يكون ذلك ختام النازلة فانفصلت على ذلك (ومنها) ان أحد التجار الملقب بالصباغ الذى تقدم ذكره عند الكلام على الوزير مصطفى خزندار اقرض أهل مساكن فى نكبة الساحل العامة سنة ١٢٨٠ اموالا اسلما على الزيت وتضاعف أمرها الى أن عجزوا وسجنوا مدة طويلة فلما ولى الوزير ابن اسمعيل على الساحل توسط فى الصلح مع التاجر على ان يتحمل هوله بما يطلبه منهم وهم يدفعون ذلك للوزير على اقساط فسرحوا على ذلك ونقل الناس عن التاجر المذكور ان المال اسقطه هو عن الوزير ابن اسمعيل لتوسطه فى ارجاع بستان الوزير مصطفى خزندار عنوبه الذى كان دفعه فى الصلح من مطالب الحكومة منه كما سبق ذكره وان لم يرجع البستان الا لورثة خزندار عند موته واغا فعل التاجر ذلك للعلاقة بينه وبين خزندار المذكور وبقى الوزير ابن اسمعيل يستخلص المال من أهل مساكن شيأ فشيأ هكذا شاع عند من سمع من الصباغ (ومنها) ان أحد اتباع الوزير ولى على قبائل جلاص فالبث فيهم مدة الا واقبل منهم فوج عظيم شاكين الى الوالى بانهم ضربت عليهم غرامة بنحو مائتى ألف ريال زيادة على أموال الحكومة ووقع فى النازلة مبادى هرج الى أن صولحوا برفع الغرامة وابقاء العامل (ومنها) تكاثر الجعائل على الوظائف من العمال فقسمت لذلك بعض القبائل كالهمامه وعادما تخوف الناس منه من

امتداد

امتداد الايدى الى الاموال حتى أشاع بعض العمال انه شريك للوزير فيما يستلزمه من
أنواع الدخل وبسبب ذلك انحطت بعض المداخيل فلزمة غابة الزيتون سنة ١٢٩٧
أخذها تابع الوزير ابن اسمعيل بسبعة وعشرين الف مطرزيتا وأحجم عن الزيادة
عليه سائر الاهالى لما أعلن التابع ان أخذه لها شركة مع الوزير وليست هاته
مما يتقدم اليها الاجانب الذين لا يخشونه لانها تحتاج الى ممارسة الاعراب ولم تسبق
لهم عادة باستلزامها (ومنها) ان قبيلة تسمى بالقوازين من المنتسبين الى أحد
الصالحين وعددهم لا يبلغ الى الثلاثمائة رجل يسكنون فى الجهة الجنوبية فى حدود
الصحراء كانت الحكومة منذ قديم معفية لهم من الاداء لقلتهم وقلة كسبهم واستمر الامر
على ذلك الى سنة ١٢٩٦ فاريد الزامهم بالاداء فامتنعوا معتلين بالعادة والحال فالح
عليهم وتهددوا بالغصب فتحملوا باداء شئ من المال سنويا على انهم يوزعونه على أنفسهم
من غير أن يتداخل العامل فى عددهم وتوزيع المال عليهم مثل ماهو جار فى بعض
القبائل المتوحشين كورغمه ومطماطه وشبههما وكان الفرق بين ما يمكن ان تحصل عليه
وبين ما أرادوه هم اعطاءه بانفسهم لا يتجاوز الالفى ريال على ما قرره أحد العارفين بهم
فامتنع الوزير من مساعفتهم وأذن بغصبهم واستعمل لذلك بعض القبائل الذين لهم معهم
عداوة مع بعض العساكر الخيالة الغير المنضمين المعروفين بالجوانب والصبايحية فعاثوا
فيهم وقتل منهم كثير حتى النساء والاطفال بتمزيق جثثهم رحمهم الله (ومنها) ان رئيس
أطباء الوالى طلب أن يكون بالحاضرة مستشفى على النحو الاروباوى فتم ذلك بمال
الاوقاف وانتظم أمره وقد وفيت فيه بكل ما تحتاج اليه المرضى وتم به راحتهم حيث
كنت أنا المباشر الى انشائه وجعلت فيه قسما منفردا خاصا بالنساء وكل ما يصرف على
الداخل من المستشفى يكون من فواضل مال الاوقاف ولا يعطى المريض شيأ ولهذا
اشترط أن يكون الداخل اليه فقيرا كما جعلت به قسما منفردا خاصا بالاغنياء ويقوم
المستشفى بجميع لوازمهم على أحسن حال علاجا وسكناو يعطون عوض ذلك قدرا
زهيدا من المال وجميع أدوات هذا القسم من الاسرة والخدم والفرش مماثل لحالة بيوت
الاغنياء المقتصدين فى مصاريفهم وفائدة هذا القسم ان كثيرا من أهالى الحاضرة اذا مرض
لا يجد من يوفى له بواجبات العلاج للجهل من العائلة مع انهم يستكثرون أجرة الطبيب
فيندفع عنهم ذلك فى المستشفى وهنالك فائدة أكبر من هاته وهى أن أغلب بلدان القطر
خالية عن الاطباء وكثيرا ما يأتى منهم أناس لتتداوى بالحاضرة فلا يجدون مأوى سوى

منازل المسافرين التي تنتهي وكانل وهي غير صالحة لمثل ذلك فتحصل لهؤلاء هاته الثمرة مع الاشتراك في الفائدة المقررة لاهل الحاضرة (ومنها) أن الوزير ابن اسماعيل استوهب من الوالي الاوقاف التي كان حبسها علي باشا الثاني على الاناث من ذريته فسعى في جعل بنات تشهد بالكيتها في مدة وزارة خير الدين وعطاها اذذاك الوزير المذكور ثم بعد تزوجه تمت الهبة وبقيت الاوقاف عنده بالهبة ولما تكاثرت عنده الاراضي المسماة بالهناشير المختلفة كبرا وصغرا باع منها عددا وافرا الى لجنة فرانساوية وغيرها (ومنها) انه استوهب من الوالي أيضا مصيدة السمك ببلد المستير المسماة بالتنارة ثم احالها الى لجنة أخرى كذا اشاع أيضا (ومنها) عمل طريق بين باب البنات وباب سويقة من الحاضرة قرب دار الوزير وفيها أكثر مروره الى جهة باب البحر (ومنها) أن أحد الاغنياء من الاهالي توظف في الحكومة المسمى بمحمد عريف توفي رحمه الله عن غير ولد وكانت له بنات من ابنه فاوقف كسبه عليهن وعلى من يتزايد له وبعد وفاته وضعت زوجه حملها فكان ولدا ذكرا ثم توفي في أثر ذلك وكان للمتوفى ابن عم فتعاضد مع الزوجة وأرادا أن يبطلا الوقف المذكور ليصير المخلف ارثا فيرثان أغلبه واستعانا بتابع الوزير المسمى على ابن الزي على مواعيد له وقد كان القاضي جعل وصيا على البنات وحفظ الوقف والمنقول فطلب التابع ان ينقل حكم النازلة من الشريعة الى الوزارة على خلاف الديانة والعادة من تحكيم الشرع في المواريث والاوقاف وارسل الوزير الى القاضي مكتوبا بان يسلم رسوم الوقف الى كاتبين أحدهما من خواص الوزير والثاني من الوزارة مع الوعد في المكتوب بان الوزارة بعد الاطلاع على الرسوم ترجعها وكان المتسلم لها أبو الزوجة وهو وكيلها مع أحد الكاتبين فطال الزمن وأبلغ الوصي الى القاضي التخوف على الرسوم اذ شاع انها سيقع فيها تغيير فارسل الى أبي الزوجة والى الكاتب اللذين تسلما الرسوم بطلب ترجيع الرسوم اليه فاحضرهما فامتنعا فسجن ابا الزوجة حيث انه هو المتسلم وأخبر بان الرسوم بعلو في داخل المحكمة الشرعية هو محل اشتغال الكاتب المذكور حيث كان من شهود الاوقاف وذلك العلو هو مكان اجتماعهم فبعد أن الح القاضي على الكاتب وامتناعه أمر بان يمنع من دخول العلو خشية اخراج الرسوم منه وبقي القاضي بمحل حكمه على الهيئة الشرعية حسبما سبق التعريف بذلك من كون أهل الشرع بتونس لهم من التعظيم والتوقير قريبا مما كان عليه الحال في الاعصر المعظمين للديانة وشعائرها فما كان غير بعيد الا وعلى ابن الزي المذكور وقارم فضرب باب العلو برجله وكسر قفله وأمر الكاتب بالصعود

واخراج

وانواج الرسوم واخرج المسجون وامره بالذهاب حيث شاء وقدم على القاضى وباشره بما لا يناسب ذكره وفشا الخبر وعظم الامر عند العلماء والعامة الى درجة لم تعهد فأبطلت الدروس من الجامع الاعظم واغلقت دار الشريعة وكثر اللغط وسرى الى خارج الحاضرة وأبلغ أمر النازلة الى الوزير ابن اسماعيل فاراد أن يهون النازلة بمنع تابعه من القدوم الى تونس وأرسل معلما الى القاضى بانه سجنه فلم يلتفت لذلك العلماء وتقدم الشيخ أحمد بن الخوجه شيخ الاسلام وجمع العلماء مرارا واظهر أشد الانتصار للشرع وكتب جميع المجلس الشرعى مكتوبا وأرسلوه الى الوالى قصدا بلا واسطة الوزير على خلاف المعتاد وقدم به رسولهم على الوالى فى مجلسه العام فقرئ عليه فاذا فيه تفصيل الواقع والاشارة الى ان الخطب عظيم فاهتز الوالى وتوقى عاقبة الامر وأحضر الجانى وأمر بنزع رتبته وحبسه ثم نفيه الى حصن جربه وقدم على أهل المجلس باشكاتب ووزير الشورى وتأسف لهم على ما وقع وهدأ بالهم بما صدر من الحكم فاقتنعوا فى الجانى بما وقع ولكنهم طالبوا مواجهة الوالى وقصوا على باشكاتب المذكور ما هو حال بالقطر مما تقدم شئ منه الى أن بلغ الحال الى تلك الدرجة وتوقعهم لما هو أعظم وكان شيخ الاسلام يبكى على حالة من لا أرب له فى الدنيا وكل تكلم بما بدا له من فظاعة الحال فابلغ باشكاتب ما سمع ومارأى فاضطربت أفكار الوالى وتكاثر الكلام فى الناس وكانوا كلهم على كلمة واحدة فى اتباع أهل المجلس الشرعى ومما ذكرا ادتهم انهاء الامر والشكاية الى خليفة المسلمين وطلب اجراء ما تضمنه الفرمان المؤرخ فى شعبان سنة ١٢٨٨ من اجراء العدل والانصاف فى الرعايا وبلغ الوالى قصد العلماء وهو طلب تشكيل مجلس للنظر فى المصالح وفى أعمال المأمورين لكى لا يقع مثل ما وقع وخشى مما شاع من تداخل الخلافة الكبرى لظنهم ان السلطان لا يرضى بضياع أهالى تونس لمخالفة السيرة الادارية لما هو مشروط فى الفرمان السلطانى سيما وقد بلغ الامر الى ما هو راجع الى الشرع وحمايته وان ذلك أيضا يجرى الى تداخل بقية الدول العالمين بقبح السيرة مع كون الصدر بالدولة العثمانية اذ ذاك هو خير الدين باشا الذى يراه عدواله فارسل الوالى الى العلماء ثانيا يقول لهم امهلونى بضع أيام فان جعلت ترتيبا سياسيا يقنعكم فاقدموا الى حينئذ شاكرين والا فلكم ان تبدوا ما يظهر لكم وكان هذا رأى اشير به على الوزير بان يعمل كما قيل بيدى لا بيد عمرو وخشية تفاقم المطالب على ذلك النحو ووقع اذ ذاك مبادى انحلال فى عزم أهل مجلس الشريعة لان رئيسهم تقرب اليه الوزير سرا فانحط

حرصه وتوجهت أطماع البعض الى المسابقة لارضاء الوزير فاجابوه بنعم ثم جمع الوالى وزراءه وأعلمهم متأسفا من مطلب أهل الشريعة بانه يريدان يجعل مجلسا مركبا منهم أى من الوزراء ورؤساء الادارة دون غيرهم من الاهالى للنظر فى المصالح وجريان السياسة فاجابوه بان ما يظهر له حسن فهو حسن وكان هذا الجمع من الوزراء والمستشارين مشتملا على جميعهم حتى ان الوزير حسين كان اذذاك قدم من ايطاليا بالمصالح فى مأموريته فصادف الواقعة وكان ممن وافق الوالى على رأيه فى جعل المحتسب والمحتسب عليه واحدا خلافا للمعقول ولما يعلم من طبعه من لزوم الاحتساب الحقيقى على تصرف المأمورين بثقات من الاهالى الى غير ذلك من أوجه العدل ومع هاته الموافقة فلم يسلم من القدح ثم ان الوالى أرسل لاهل الشريعة يعلمهم بانه انشأ مجلسا مؤلفا من عشرة أعضاء تحت رياسة الوزير ابن اسماعيل وأعضاؤهم الوزراء والمستشارون وبعض رؤساء الادارة ولما بلغ لاهل الشريعة ذلك قالوا ليس قصدنا المتوظفين لانهم دائما تحت الامر ولا خبرة لهم بما فى أطراف القطر وانما المراد أن يكون المجلس من المتوظفين والعلماء واعيان من البلاد والعربان ولا أقل أن يكون عددهم ثلاثين عضوا وانهم لا يقصدون الا مصلحة البلاد لانهم ليس لهم غرض الا هناء القطر وهناء الوالى وقيل أن قنسل فرانسا صرح بانه لا يتعرف بالمجلس وانه ان أراد الوالى الاستعانة بعساكره لردع الطالبين فهو حاضر له حيث أن طريقة الوزير هى التى تبلغه الى قصده كما ذكرناه فى محله ثم لما بلغ الوالى جواب العلماء أرسل اليهم بانه يزيد اثنين من رؤساء المتوظفين وأن هذا المجلس ينظر فيما يقتضيه الحال من الكيفية ويجرى العمل به وكان فى اثناء هاته الايام دبت السعاية بالترغيب لبعض العلماء والترهيب لهم من تداخل الاجنبى بلا مستند فرضى عددهم بذلك وكان سببا فى تمكن الفيض على من زيد حيث انتهى رضاء المقترحين عند ذلك وصرح الوالى بما يشف عن ذلك والله المطلع على السرائر ثم جعل هذا المجلس فى نفس الامر اذا اجتمع يعرض عليه ما يريده الوزير والاغلب أن يكون المعروض هو بعض النوازل التى تعرض بقلة ولما كان أغلب الاعضاء يسايرون الوزير لم يظهر لوجوده من أثر اذ لا يتداخل فى نصب ولا فى عزل ولا سيرة عامل او رشا وشاهد ذلك الخارج فانه لم يمض عليه شهران حتى وردت الرسل على شيخ الاسلام بان يتشفع فى الجانى على الشرح فلم يوافق جهرة بل أظهر زيادة الامتناع ثم سودت سرا بطاقة الى المنفى ليكتب على غطها مكتوبا لاهل المجلس الشرعى ولما ورد مكتوبه على نحو ما

كتبوا

كتبوا الى الوالي مستشفعين بعد ان امتنع بعضهم وقيل عند ما سمع بذلك ليت شعري ماهو وجه كتبهم مع علمهم بالحقائق ومنها انه شرع الوزير اثر ماتقدم في بناء دار شيخ الاسلام المذكور بتونس وكذلك داره بجبل المنار وكثر تردد تابعه الجاني المذكور عليه حتى نشأ عنه قيل وقال يسوء جانب العلم والخطة ومنها انه اشتكى بعض السكان في مطالب له من تابع الوزير المذكور الى القاضي فلما دعي للجواب امتنع وورد الاذن الى القاضي الشرعي بان المذكور لاترفع نوازله الا للوزارة فليس له النظر فيها وقد علمت سابقا ماهي حالة احترام الشريعة وحكامها ومنها بناء محل للكرنتينة أي الاحتماء للواردين من الاقطار التي يكون بها مرض عام معدي وبني ذلك بحسب رغبة الاجانب وحرص رئيس أطباء الوالي وجعل له طبيب خاص وكان بناؤه باحدى المراسي المسماة غار الملح ومنها حصول الهرج في القبائل بالجهة الغربية حتى ادعى قبائل الجزائر التعدي من قبيله وشتاته التونسية فأرسل عليهم الوزير بعض أتباع الحكومة وشاع انهم اغتصبوا منهم نحو ثمانمائة راس من البقر أعطوهم الى قبائل الجزائر وأخذوا الانفسهم وكبيرهم خمسمائة رأس من البقر ومنها ان تابع الوزير بن اسمعيل استلزم لزمة الصاغة أي دخل الحكومة مما يؤخذ على المصوغ المباع من الفضة فادعى على أحد أهالي القيروان الاغنياء من الذين يتعاطون التجارة بانه أخفى مايلزم الاداء عليه للزام وسجن وكاد أن يفلس ورادلنفسه وجها للحماية في المستقبل ومنها ان شركة طليانية طلبت مد سلك كهربائي بين تونس وايطاليا ولم يجبها الوزير الى ذلك وكان ذلك سببا في تعكير الخلطة مع ايطاليا بدعوى ان شروط أصل انشاء التلغراف لايقتضي منعهم ومنها جعل اداء على العجلات التي في الحاضرة حسبما هو جار في سائر البلدان لاصلاح الطرق ومنها منح لجنة فرنساوية لانشاء مرسى في شاطئ البحيرة بالحاضرة بعد ان طلبت ان تكون المرسى حول حلق الوادي مع انشاء طريق حديدية اليها من الحاضرة مارة على طريق رادس فمانعت في ذلك الشركة الطليانية التي اشترت من الشركة الانكليزية الطريق الحديدية الواصلة بين تونس وحلق الوادي المارة على العوينة مستندة الى شروطها وكادان يتفاقم الخلاف الى ان أرسى على ماتقدم ومنها منح اللجنة الفرانساوية المذكورة وهي صاحبة طريق الحديد الواصلة الى الجزائر بان تنشئ طريقا حديدية الى الساحل وأخرى الى ابن زرت وان تستبد بالطرق الحديدية في المستقبل الى أي جهة ومنها ان أحد أقارب صهر الوزير ابن

اسمعيل قتل حلاقا باطلاق مكحلة عليه فى دكانه لمشاجرة بينهما ولم يقتص منه ومنها ان أحد التجار الطليانية كان يدعى بان جده كان أتى لمحمود باشا الذى توفى سنة ١٢٣٩ بشئ من السلع ولم يأخذ ثمنه وهو نحو خمسة عشر الفا وكانت نشرت النازلة مرارا ولم تقبل حتى عند الكومسيون المالى المختلط وحفيد ذلك التاجر صهر لامير اللواء الياس المتقدم ذكره فاعطى حينئذ ما يطلب ولما كانت مالية الحكومة ضيقة والكومسيون غير متعرف بالدعوى أعطى الطالب أرضا قيل ان قيمتها نحو ستين الفا ولما ورد الاذن من الوزير على الكومسيون بان يأذن وكيل أملاك الحكومة بتسليم الارض المذكورة للطالب توقف المحتسب العام الفرنساوى فى وجه ذلك ولكن قد تمكن الطالب من الارض ومنها ان فى راس سنة ١٢٩٧ صنع بعض أتباع الوزير مصحفين على النحو الذى تقدم فى وزارة خير الدين وقدموهما للوالى والوزير بن اسمعيل فى موكب باسم الاهداء من الاهالى وانظر ماهى الخصلة التى كانت سببا لذلك ثم فى ربيع الاول من تلك السنة قدموا للوزير أيضا مثل ما تقدم سيفا مجوهرا ثم فى شوال من تلك السنه قدموا له أيضا دواة مجوهرة بقلمها باسم اليهود من الاهالى لكن الخصلة التى استحقت ذلك لم تعين ولا فى واحدة من تلك الاشياء ومنها ان أحد المهندسين الفرانساويين كان ادعى انه مطالب للحكومة بمال مدة وزارة مصطفى خزندار وتوملت مطالبه فلم تقبلها الحكومة وكذلك عند انتصاب الكومسيون المالى عرضت عليه تلك المطالب واستقر الامر على عدم قبولها ومهما ادعى بها لم تقبل ولا وجدت قناسله مستندا لتدعيم دعواه ففى وزارة الوزير بن اسمعيل قبل ان يجعل فيها تحكيم وعقد لذلك مجلس مختلط من التونسيين والفرانساويين ورئس عليه اولا أحد رؤساء الاحكام فلون الذى تقدم ذكره فى نازلة دى صانس غير انه لم يقبل كانه علم غيره لا يتم الماه وعليه فقدم للرياسة غيره وصدر الحكم على الحكومة باداء المذكور نحو ثلاثمائة ألف وخمسة وخمسين ألف فرنك ومنها ان التاجر الصباغ الذى تقدم ذكره أيضا كانت له دعوى من نوع السابقة ولم تقبل لا من الحكومة ولا من الكومسيون المالى فكذلك الوزير بن اسمعيل قبل فيها التحكيم وصدر الحكم باداء الحكومة نحو أربعمائة ألف وخمسين ألف فرنك والحال ان الحكم كان صدر من الكومسيون المالى الذى هو مختلط من تونسيين وفرانساويين وطليانيين وانكليزيين وفيه أحد كبراء الموظفين من دولة فرانسا وانتصابه باتفاق الدول المذكورة على التراضي به فى جميع النوازل المالية ورده وكلا

من المطالب المارذكرها واستمرالعمل بذلك أزيد من عشرة سنين مع مافيه الحكومة من العسر المالى كما تقدم شرحه وأضيف اليه استيهاب ما بقى على ملك الحكومة من مهم الاملاك للوزير بن اسمعيل حتى تمم ما بقى مما يعتبر منها عندما تزايد له مولود بل حتى الاحباس التى أوقفتها الحكومة على المدرسة الصادقية اراد ان يأخذ منها أهمها هو وبعض من المقربين عنده بوجه الانزال أى الكراء المؤبد وعند امتناع القاضى من ذلك جعلت الاوقاف المذكورة من أملاك الحكومة وخوطب بذلك رئيس الفتوى من المالكية فانزلوها على يده فالعمال يشترون الوظائف والاهالى تتحمل أعمالهم المالية والسياسة والشرعية على ماتقدم ذكره وآخر المخ التى بلغتنا انها حصلت فى هذا العهد ان وقع الالتزام الى دولة فرانسا بان لا يحدث شئ جديد فى القطر من الاعمال العامة النافعة الا بعد عرضه على الفرانساويين فان لم يوجد منهم من يريد عمله فاذذاك يسوغ ان يباشره غيرهم بحيث وقع التقيد فى ذلك بارادتهم وهذه خلاصة التاريخ فى القطر التونسى الى هذا العهد وهو مبدؤ سنة ١٢٩٨

تنبيه قبل طبع هذا الجزء طرأ الحادث العظيم على القطر وسنفرده بذيل خاص فى الجزء الثالث ان شاء الله تعالى عند الكلام على سياسة فرانسا الخارجية

(فصل فى بعض عوائد أهل القطر وصفاتهم)

(مطلب فى الاوصاف العامة) قد تقدم ان السكان مسلمون الا ماقل من يهود ونصارى الذين مجموعهم نحو مائة ألف وأما التبصر فى أحوال الديانة فانما هو فى المدن وبعض القرى وأما فى القبائل الساكنين بالخيام فلهم معرفة اجمالية خصوصا ذوى الثروة والذين تنشأ فى أوطانهم زوايا لبعض الصالحين فيرشدهم مشايخ الطرق وأما باقيهم فيعرفون من عقائد الاسلام الوحدانية لله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم صادقة وربما كان بعضهم لا يعرف عدد أوقات الصلوات وغيرها من الفروض العينية وكأنى بأئمتهم يتحمل به من يعلم حالهم ولا يرشدهم والكل على مذهب الامام مالك رضى الله عنه الا قليلا منهم على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه والجميع أهل سنة الا بعض أهل جربة فهم على مذهب الاعتزال ولهم علماء ومساجد خاصة وللاهالى تعظيم لشعائر الدين ومنها الحياء فان الابن مثلا من الاعيان لا يجلس أمام والده الا باذنه ولا يستنشق التبغ ولا يدخن به أمامه أبدا وكذلك أمام والدته هذا فضلا عن الكلام الفاحش أو خطاب زوجته بل حتى اذا كان له ابن صغير فانه لا يحمله ولا يلاعبه أمام

والديه ويقبلون أيدي والديهم في السلام عليهم وربما كان ذلك كل صباح وهي تحية
التلامذة لمشايخهم وتحية السادات الاشراف وجميع الاهالي تعظيم كامل لهم وأما سلام
الاكفاء فهو التقبيل في الكتف الا الاعراب فان بعضهم يقبل يد بعض أو رأسه ولا
تكاد تسمع أحدا من ذوي المروءة يغني فضلا عن النساء اللاتي صوتهن عورة بل لهاته
الصناعة أناس خاصون وفيهم من النسوة عاهرات وهن يسكن بديار في حارات مخصوصة
وماذكر من الغناء ومثله الرقص خاص بالحاضرة وأكثر البلدان بخلاف الاعراب
فعندهم ذلك غير معيب كما ان الاكل في الطريق أو في الاماكن المكشوفة للمارة
معيب تسقط به العدالة وكذلك دخول القهاوي تتجنبه أصحاب المروءة حتى ان الاعيان
ليس لهم محل اجتماع عمومي وغاية تفسحهم بالمشي في الطرق النزهة أو أماكنهم
الخاصة مع أحبابهم نعم يتساهلون في دخول القهاوي في أماكن النزهة خارج
الحاضرة ولكن أعيان الاعيان لا يدخلونها أيضا والتدخين بالتبغ لازال معيبا
عند ذوي المروءة وليس ذلك الا مجرد اتباع للعادة والا فلا فرق بينه وبين النشوق مع
كثرة استعمالهم لهذا جهرة وحكم الجميع شرعا على مذهبنا الحنفي الجواز وكذلك
المعمول به من المذهب المالكي لابتنائه على مسئلة الاصل في الاشياء الاباحة
وهي مسئلة خلافية فقالت طائفة الاصل الاباحة حتى يرد المحرم وقالت طائفة
بالمنع حتى يأتي المبيح وقالت طائفة بالتوقف والصحيح الاول لقوله تعالى هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا فجميع ما في الارض خلق لمنفعتنا فنستعمل كل شئ في محله الا
ما ورد فيه المنع ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من
سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسألته وقوله عليه الصلاة والسلام دعوني
ما تركتكم فانما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وكل من
الحديثين منقول في الصحيح وكان ورود الحديث عقب السؤال عن أشياء لم يرد فيها
حكم بالتحريم فدل على الاباحة وهذا التبغ لم يكن معروفا زمن البعثة وانما عرف بعد
الاكتشاف على أمريكا كما تقدم فيكون حكمه هو الاباحة الاصلية وكان الاستحياء من
استعمال التدخين مطلقا أو النشوق أمام الوالد والكبراء مبني على أصل آخر غير التحريم
وهو انه لما كان فيه خلاف فالورع تركه اذ الورع هو ترك ما لا بأس به حذرا مما
به البأس ولما كان الاصل في المؤمنين هو السلوك على أكمل الصفات فكان أهل
تونس يستحون من ترك الورع أمام ذوي المقام كما انه لا يوجد في الحاضرة أماكن

للملاهي

للملاهى أى الملاعب الا فى رمضان فتكون فيها أماكن للصبيان ليلا يلعب فيها بتصاوير من وراء الستار بالخيال من الصور فى نور المصابيح ويسمى المكان خيال الظل وربما أحضر فيها نوع من السماع وصورة اللعب هى تشخيص حكاية بصور من الجلد على هيئة المحكى عنه واللاعب يتكلم على لسانها والجميع من وراء الستار بحيث يشخص للناظرين من خارج الستار كان الواقعة مشاهدة وان كانت الصور صغيرة طولها قدر شبر والاغلب أن تكون الاماكن وسخة ولا يدخلها الا الصبيان وبعض من لامروءة له من الرعاع لتقضية الاوقات فيما لا فائدة فيه سوى السخرية والضحك واضاعة الزمان والاغلب فى الحكايات أن تكون مضحكة مما يدركه الصبيان وربما شخصوا المستحيلات العادية كالغول والشيطان اذ هذا لا يرى ولا تعرف صورته بحيث يصح أن يقال ان آلات الملاهى لا ثمرة فيها الا مجرد لهو الصبيان وكان الاصل فى اساغتها ما نص عليه فقهاؤنا فى كتاب الحضر والاباحة من جواز شراء اللعبة للصبيان فقاسوا عليه اتخاذ ملاهى لهم ليلا فى رمضان لكى يسهروا ولا يستيقظوا مبكرين فيوقظون والديهم اذ عادة الناس فى رمضان هى السهر أغلب الليل ومنهم من يستغرق جميع الليل بحيث لا يشتغلون الا قرب نصف النهار وكان هاته عادة مبنية على العبادة اذ قيام ليالى رمضان بالعبادة مندوب اليه بيد أن الكثير يشتغل بالملاهى كسماع آلات الطرب فى القهاوى أو لعب الورق المسمى بالكارطة وهو الكثير ولهم منه أنواع شتى أشهرها ما يسمى بالتريستى أو لعب النرد أو الدامة أو الشطرنج وهى الالعاب الموجودة فى القطر ويوجد أيضا لعب المنقلة والخر بقة بقلة فى الحاضرة وبكثرة فى غيرها لكن الاعيان انما يسهرون فى رمضان أو غيره بديارهم أو ديار أصدقائهم وبعضهم بعد صلاة التراويح يسردون كتابا فى السير أو الحديث ثم يتسامرون بالكلام وبعضهم يتعاطى أحد الالعاب المذكورة وأما فى غير رمضان فعموم الناس يبكرون الى أشغالهم ولا يرجعون الى ديارهم الا عند الظهر للفطور ثم يعودون الى اشغالهم الى قرب الغروب وبعضهم ممن تكون ديارهم بعيدة عن محل اشغالهم يفطرون فى حوانيتهم ويوجد فى حارات الافرنج ملاهى على نحو ملاهى أوربا كما يوجد فيها قهاوى كثيرة على نحو قهاوى أوربا ومنازل للمسافرين منها ولكن أعيان الاهالى يتحاشون عن الدخول الى الجميع وان كانت مخالطتهم مع الاجانب وغيرهم حسنة وقد كان لعموم الاهالى ولوع بالفروسية ولهم فى مسابقة الخيل مواكب تسمى ملاعب يعقدها كبراء الحكومة أو كبار العمال ومن له انتساب الى الاعراب

خارج الحاضرة فى احدى الجهات المتسعة ويستدعون اليها الفرسان فيأتون باحسن الملابس والسرج المزركشة بالذهب والفضة والسلاح مثل ذلك وتارة يلبس الفارس على رأسه شيأ من ريش النعام يسمى عرج والاصل فيه تعليم النبى صلى الله عليه وسلم لسيدنا حمزة فى احدى الغزوات بريش كما فى عيون التواريخ والحاصل ان لبس الفرسان جميل جدا ولهم براعة فى الحركات الحربية فترى الفارس فى حال السباق يطلق ويعمر مكحلته عدة مرار وتارة يطلق اربعة مكاحل كل بجعبتين ثم يطلق ترابيبه ثم اربعة طبانجات ثم يخترط سيفه وجميع ذلك السلاح محمول عليه ولا يعطل له شيأ من خفة حركاته وتراه اذا اخترط السيف يصير بين كر وفر وبعضهم فى حالة السباق يدلى يده الى الارض فيحمل منها قبضة من تراب وبعضهم يفرش له بحاذاة ميدان السباق رداء من حرير فى نهاية الصفاقة ففى حالة الركض النهائى يمد يده ويرفع طرف الرداء ثم وسطه ثم آخره وبعضهم يركض فرسه وبينما هو فى حالة السباق واذا بالفارس يقف على رجليه فوق السرج ويطلق البارود ثم يجلس ويلتصق بيد الفرس ثم يلتصق بحزام الفرس ثم يقف على رأسه ويديه فوق السرج ورجلاه الى فوق وعليه مكحلة ثم يدفع المكحلة ويلتقفها بيده ويجلس ويطلقها كل ذلك والحصان فى نهاية ركضه وجميع اعماله فى بعض دقائق وهذا العمل الاخير من النادر فى الفرسان ومنهم من يلعب فى دائرة لا يتجاوز قطرها عشرة اذرع والحصان فى حالة الرباع بل رايت من يركب على حصانه ويركز الحصان رجليه فى الارض ويرفع يديه معا ويلتفت يمينا فيطلق فارسه القرابينة ثم يرفع يديه كذلك ويلتفت شمالا فيطلق فارسه القرابينة ايضا والحال انه عمرها فى حصة رفع الحصان يديه ويستمر ذلك كذلك بالتتابع نحو نصف ساعة وليس بين الطلقة والطلقة الا بضع ثوان من الدقائق الزمانية على غاية من السرعة والتتابع وهذا ايضا نادر ومنهم من يخترط السيف ويصير مع راجل او فارس مثله فى غاية الطعان والكر والفر والحاصل انهم يشخصون حالات الحرب بالخيل على انواع شتى وتكون اذ ذاك طبول الحرب تعزف ومعها مزامير للعربان وذلك اعظم العاب الاهالى التى يفتخرون بها ويتبادرون فى اتقانها وذلك مبنى على امر دينى وهو ما ورد من ان كل لهو حرام الا ثلاث منها ملاعبة الفارس لفرسه وورد ايضا الحث على الفروسية وعلى السباق وابيح فيه المخاطرة اذا كانت مع ثالث فلذلك كانت هاته الخلة مما يتنافس فيها من رجال الحكومة وغيرهم فى جميع القطر لكن فى هاته المدة الاخيرة تناقص الامر منذ كثرت الكراريس

وربما

وربما صار الكبراء يتنزهون عن اللعب بخيلهم جهرة نعم بقى ركوب الخيل مرغوب فيه كما ان الصفات الاولى لازالت عامة فى البلدان والاعراب وهو الحق لانها من صفات الرجولية والدين ومما يشملها (قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وهاته الخلة تستلزم الرماية التى هى من مشمولات القوة المأمور بها فى الآية الكريمة وقد تجرد منها أغلب أهل الحاضرة حتى ان بعضهم لا يكاد يستطيع ان يطلق طبانجة كما انه لازال فى الحاضرة وبعض البلدان تعليم الخيل والبغال من نوع الهملجة وهى ان يرفع الحيوان يدا ورجلا معا من أحد شقيه على الاستقامة ثم الشق الآخر ليكون سيرها لينا لا يتعب الراكب بخلاف الخبب ثم يتقدون ذلك التعليم الى أن يصير الحيوان به يجارى الراكض ولهم فى ذلك اعتناء بحيث تجد منهم جماعات يخرجون كل عشية صيفا وخريفا الى حد الاماكن القريبة من الحاضرة النزهة كسيدى فتح الله قرب شوشة رادس أو منوبة فى قهوة سيدى ابن الابيض أو سبالة الاحواش وبعد الاستراحة هنالك يركبون ويتسابقون بالسير المذكور وربما اعتنى بعض غير الاعيان حتى بالمسابقة على الحمير بالسير وقد يوجد بعض منها يسابق الخيل والبغال مع ان هاته يمكن ان تجارى الحصان فى ركضه اذا لم يكن شديد الجرى والخيل على حسنها فى القطر يعتنون بتربيتها وتهذيب أخلاقها كى تصيره ساعدة للفارس فى جميع أغراضه ثم ان الاهالى ينقسمون الى ثمانية أقسام فالاول الاصليون من البربر والثانى العرب وهم الذين قدموا عند الفتح ثم بعده على أجيال عديدة والثالث الاندلسيون وهم الذين قدموا عند تغلب الاسبنيول على بلادهم والرابع الترك وهم الذين وردوا عند الاستيلاء على تونس ثم من ورد منهم بعد ذلك والخامس السودان وهم الذين جلبوا من دواخل أفريقية لبيعهم والسادس الجزائريون الذين رحلوا بعد استيلاء الفرانسيس على الجزائر والسابع اليهود وهم قدماء فى السكنى والثامن الوافدون من أوربا فالاقسام الستة الاول تخالط نسلهم ولم يبق تمييز بينهم الا قليلا من البربر فى جهات الاعراض لازالوا يستعملون لغتهم وكذلك قليل من السودان متميزون بلونهم وقليل من أهل الجزائر يمتيزون بمجرد نحلتهم وانتمائهم واللون الغالب على الجميع هو لون البياض المشوب بسمرة ومنظرهم جميل يكثر فيهم الحسن وهم أقوياء ليّون أهل مروءة وتواضع وبشاشة وحسن معاشرة

(مطلب فى التجارة) اعلم ان أغلب الاهالى تقاصر وا فى هذا الميدان وقصارى

الامرانهم يتجرون فى البضائع التى تنفق فى البلاد الاسلامية باخراجها اليها ويجلب مايروج من بضائعها فى القطر مع ان أغلب الخارج منه والمجلوب اليه من بلاد أوربا وكله منحصر فى الاوربا وبين الانادر من الاهالى ثم ان قيمة التجارة بين الداخل والخارج لا يتجاوز معدلها الاربعين مليون فرنكا فى السنة فاما البضائع الخارجة فهى الحبوب من قمح وشعير وفول وغيرها وكذلك الزيت والصوف الساذجة والمنسوجة والقطن والاسفنج و بيض السمك ولحم نوع منه ومنسوجات الحرير والقطن والشاشية وأشياء أخر زهيدة وأما البضائع الداخلة فهى كثيرة فمنها المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية وانواع الاخشاب والحديد والقرميد والسكر والقهوة وأوانى النحاس وغير ذلك مما هو محتاج اليه فى الحضارة ولا وجود له من نتائج البلاد وحمل السلع الى خارج القطر فى السفن البحرية وقد أرسى باعظم مراسى القطر وهو حلق الوادى فى سنة ١٢٩٥ مايتان وسبعة وخمسون باخرة وأربعمائة وثمانون سفينة شراعية كلها للاجانب الاعددا يسيرا وأغلب الاجانب رواجا فى التجارة هى التجارة الفرانساوية والطليانية وأما حمل السلع فى البر فهو على ظهور الابل والخيل والبغال والحمير والعجلات المسماة بالكرطونات وواسطة المواصلة هم فرق من تجار القطر يسمون بالحمارة تكون لهم دواب وافية ويكونون ذوى عرض وامانة تسلم اليهم التجار البضائع وهم يبلغونها الى جهاتها بعدت أوقربت ولكل جهة حمارون مخصوصون ولا يكون ذلك الا بين البلدان وأما القبائل الاعراب فلهم قوافل يجتمعون عند قصد احدى البلدان أو الاسواق التى تقام فى أيام من الاسبوع باحدى الجهات كسوق الخميس قرب الركبة وامثاله ويحملون على دوابهم مااشتروه و يرجعون الى أماكنهم ولما كانت الطرق الصناعية قليلة تعطل أغلب التجارة زمن الشتاء فى دواخل القطر لكن الطريق الحديدية المارة الى الجزائر سهلت التجارة الى الجهات الغربية كما انه رتبت بواخر للبريد والسلع بين مراسى القطر الشهيرة زيادة على البرد التى هى ثمانية تأتى اسبوعيا من أوربا فاثنان الى فرانسا والجزائر واثنان الى ايطاليا وأربع الى مالطا وقد يأتى غيرها على غير انتظام وليس للاهالى من السفن شئ الاقليلا من ذات الشراعى لاهل جربة وصفاقس والساحل

(مطلب فى ترتيب الاحكام والادارة) الآن الوالى يجلس يوم السبت فى كل اسبوع غالبا بمحل من قصر الادارة الكائن فى باردو يسمى هذا المحل بالمحكمة وهو بيت كبير مستطيل

مستطيل وبصدره كرسى ذو درج مموه بالذهب وعليه تاج معلق والدرج مكسوة بالحبر نوع من منسوج الحرير الثخين الغالى يجلس عليه الوالى ويوضع بجنبه زوج طبانجة ويقف عن يمينه وشماله على الدرج من حضر من اهل بيته ويقف الوزير عن يمينه من اسفل الدرج بحيث يكون مواجها الى الجهة اليسرى من الوالى ويليه بقية الوزراء على حسب اسبقيتهم فى الوظيفة ثم يليهم كبراء العساكر النظامية ثم رؤساء العساكر الخيالة غير النظامية المسمون بالاغوات ثم العمال والاظاباشية والكواهى أى الصنف الثانى والثالث من رؤساء العساكر الخيالة الغير النظامية وعند نهاية الصف عن اليمين يتممون الصف عن اليسار فان زادوا جعلوا صفا ثانيا وراء الصف الاول ويجلس باشكاتب على مسطبة على يسار الوالى مقابلا للاول الصف الايمن ثم يليه مسطبة طويلة يجلس عليها كتبة من أقسام الوزارات على حسب رتبهم ثم يقف تجاه الوالى عن بعد فى آخر الصفوف مخوسة رجال يسمون شواش السلام والشطار بلباس أحمر مقصب بالفضة وعلى رؤسهم شواش حمر وشرابتها فضة وعليها مما يلى الجبهة قطع من النحاس الاصفر ومغروز فيها أنواع من ريش أجنحة الطير الطويل وبايديهم معاول طوال من النحاس الاصفر يركزونها ويتكؤن عليها وعند جلوس الوالى فى ذلك المجلس يرفع صوته كبير هؤلاء الشواش بكلام باللغة التركية معناه دعاء بالنصر والتأييد للوالى ثم يرفع صوته بقوله سلام ورحمة الله ثم يقف وراء هؤلاء رؤساء البوابة أى اصحاب الباب وتعزف الموسيقى العسكرية عند دخول الوالى لذلك المحل ويأذن اذ ذاك الوالى بادخال أصحاب الشكايات فيرفع صوته رئيس البوابة بقوله باش حانبا اى يارئيس الحوانب ادخل وهو الترجمان بين الوالى والمشتكين لا لكون الوالى يحتاج الى فهم لغة المشتكين بل لكونهم يهابون فى الوقوف عنده وربما يكون بعضهم لا يحسن الالقاء لدعوته لرهبة أو انخفاض صوته فيبلغ باش حانبه للوالى معنى كلام المشتكى وهاته الوظيفة لها كبيران احدهما من العرب والآخر من ابناء الترك وللاول تقدم على الثانى فالمشتكى ان كان من المالكية يمسكه الاول وهو الذى يتولى الوساطة فى امره وان كان من الحنفية رجع الى الثانى ولكن لهؤلاء هيئة أخرى فى القاء الشكاية فان باش حانبه لا يمسكه ويقدمه الى قريب من الوالى وبعد استقرار باش حانبة بنوعيه أمام الوالى يرفع صوته بقوله باش بواب شكاية أى يا كبير أصحاب الباب أدخل المشتكين فيرفع صوته هذا خارج باب المحل بقوله ياسعد ثم يدخل المشتكون فردا فردا على حسب الصدفة وتقدم المشتكي

بالازدحام وربما صار التقديم باعطاء شيء من المال لكنه لا يتجاوز عشرة ريالات فادونها وكل مشتك في حال شكايته في ذلك الموكب الحائل زيادة عن باش حانبه المقبض به تكون محدقة به الحوانب والاوظاباشية واذا كانت له حجة مكتوبة قدمها او أخذها من يده باش حانبة ومكنها الباشكاتب ويؤخراذذاك المشتكي ويؤتى بغيره وبعد قراءة باشكاتب للحجة يقول مضمونها للوالي مع الاشارة الى صحتها او فسادها فيأمر الوالي بما يراه وتنفصل بذلك الكيفية عدة خصومات في نحو ساعة أو ساعتين اذا طال المجلس وربما انهيت في ساعة واحدة ستون نازلة بلا تعقيب للحكم وكثيرا ما يستشير الوالي وزيره سرا في النوازل أو يسأله عما يعلم فيها كما ان الوزير كثيرا ما يشير عليه في بعض النوازل ابتداء وكثيرا ما يأمر الوالي بارجاع بعض النوازل الى الشرع أو الوزارة واذا كان هنالك بعض من يحكم عليه بالقتل فانه يؤخر دخوله الى آخر المجلس والغالب ان يكون هذا النوع اما حكم عليه في مجلس الشريعة ورفع للوالي لينفذ الحكم المكتتب بعد اجراء جميع اللوازم الشرعية وطول مدة المناضلة والمدافعة لدى المجلس الشرعي أو يكون قد حررت نازلته في الوزارة وفي النادر ان يؤتى بالمشتكي به من ذلك النوع بديهة للمحكمة ويصدر الحكم بقتله في الحين فيخرج في اثر المحكوم عليه بالقتل أحد الشطار أي الجلادين ويقطع رأسه قدام باب باردو أو باب البلدة التي فيها الوالي او يشنق هنالك في مشنقة من خشب وهو ان يربط عنقه في حبل وتكتف يداه ويعلق من عنقه فيختنق وتارة يعلق كذلك في سور المدينة القديم قرب باب سويقة وعند انتهاء المشتكين أو ملل الوالي يقول يا باش حانبة عافيه فيرفع صوته بها باش حانبة فيرفع صوته بها باش بواب ويقوم الوالي وينفصل الموطن فيجري اذذاك باش حانبة ما أمره به الوالي من ارسال الاعوان لجلب المدعى عليهم أو خلاصهم وكذلك باشكاتب يحضر المكاتيب التي صدر بها الاذن ولا تحضر الا من غد فيختمها الوالي على نحو ما سيأتي وجميع من حضر في ذلك الموكب من المتوظفين يكون بلباسه الاعتيادي الا من له رتبة عسكرية فانه يتقلد سيفا في منطقته وقبل دخول الوالي للمحكمة يجلس في بيت أنيق في سراية الحكومة على كرسي أصغر مما سبق ويدخل عليه الوزير وحده أو انه يأتي معه من قصر سكناه ثم يجلس الوزير عن يمينه وأهل بيت الوالي عن شماله وقوفا ثم يأذن للمتوظفين بالدخول فيدخل أولا الوزراء وبعض مشيخة المتوظفين الكبار المتقاعدين وكل من وصل منهم الى الوالي قبل يده واذنه بالجلوس فيجلسون يمينا وشمالا وأعلاهم شمالا باش كاتب واصحاب اليمين يجلسون دون الوزير ثم

يدخل

يدخل كبار المتوظفين على صف واحد وكل من انتهى الى الوالى قبل يده ورجع خارجا ثم الذين يلونهم ثم وثم الى ان يصلوا الى اصغر المتوظفين كالاعوان الذين يرسلون لجلب المدعى عليهم والهيئة المتقدمة فى المحكمة هى الهيئة فى سائر المواكب الكبار كالاعياد غير ان هاته تكون فيها الناس باللباس الرسمى المزركش بالفضة والنياشين وتكون ايضا فى محل آخر أكبر من المحكمة وهو بيت عظيم يصعد اليه بدرج كثيرة مكسوة بالملف نوع من المنسوج الصوفى الاحمر والبيت مفروش بالزرابى والستائر الحريرية الرفيعة وكرسى الوالى أكبر وأضخم من السابق والكتاب لا يجلسون فى هذا الموكب والناس كلهم وقوف ومتولى ادارته هو أمير لواء العسة وعوضا عن دخول المشتكين يدخل المعيدون أفواجا أفواجا على نحو ما تقدم فى تقبيل يد الوالى من المتوظفين ويجرى ذلك على كل القادمين من جميع المتوظفين وأصحاب الرتب العسكرية النظامية وغيرها والاهالى والتجار الا أهل المجلس الشرعى وخواص السادات الاشراف والمدرسين فان الوالى يجلس لهم مجلسا خاصا بعد الموكب العام بحصة يسيرة فى بيت أنيق أسفل الاول وتدخل عليه كل فرقة من الفرق الثلاث وحدها واولها أهل المجلس الشرعى معا الاول فالاول فيقف اليهم ويتقدم لهم خطوات ويتعانقوا ويقبل كل منهم كتف الآخر ثم يجلس ويجلسون الحنفية عن اليمين والمالكية عن الشمال ويؤتى اليهم باطباق من الفضة فيها شئ من الحلو ويطعمه الوالى معهم ثم يرشون بالطيب ويقرؤن الفاتحة ويقوم الوالى لوداعهم ويقبلونه أيضا مثل ما صار عند دخولهم وينصرفون وهكذا غيرهم غير انهم لا يقوم لهم الوالى ويقبلون ذراعه الا بعضا من السادات الاشراف فانهم يقبلونه مثل اهل المجلس الشرعى وبعض المدرسين من الطبقة الثانية يقبلون كفه كسائر الناس وكذلك لا يجلسون ولا يأكلون وانما بعد فراغ آخرهم من التقبيل وأولهم وقوف يمينا وشمالا يقرؤن الفاتحة وينصرفون وهكذا كل فرقة دخلت عليه فى الموكب الاول الا المتوظفين فانهم يقفون ويزدحم بهم الموكب لانه يجتمع فيه أغلب المتوظفين ولو من جميع جهات القطر والذين يقفون هم أصحاب الرتب من العسكرية أو الكبار من غيرهم وموكب المعايدة يدوم يومان أولهما أعظم من الثاني وكلاهما صباحا وفى اليوم الثانى يقدم عليه قناسل الدول ويدخلون عليه على حسب أسبقيتهم فى الوظيفة وكل منهم معه متوظفو قنسلاته فيجدونه واقفا ويصافح القنسل ويتخاطبون بالترجمان بكلمات فى التهنئة والموكب محتبك كما سبق ذكره الى أن يتم فيجلس الوالى على كرسيه ويتم بقية الاهالى على نحو

ما سبق ولا يختص هذا الموكب باعيان الاهالي بل حتى أصحاب الصناعات وفي بقية ايام يكون الوالي في قصره لا يجتمع به الا الوزير الاكبر يوميا بل هو الآن ساكن معه في قصر واحد وفي يوم الاثنين قرب الزوال يقدم عليه الوزير ومن كان في الوزارة من المتوظفين واذا كانت هناك نوازل تلزم فيها المذاكرة أمام الوالي تكون في أحد ذينك اليومين أعني يوم السبت والاثنين أو يدعوهم الوزير بالخصوص ليوم معين وجميع الولايات انما تكون باذن الوالي وكتبه لرقعة في ذلك تسمى أمرا وأما كيفية ادارة الوزارة فقد سبق ذكرها في الكلام على وزارة خير الدين باشا ولا زالت على تلك الهيئة والمتوظفون يأتون في بكرة النهار اليها يوميا الا يومي الخميس والجمعة وينفصلون منها عند الزوال وعندما يأتي الوزير ويجلس في البيت الخاص به يتقدم الى السلام عليه جميع كبراء الاقسام ثم يتوجه كل الى محل مأموريته وكل في بيت خاص يجمعها قصر واحد في ناحية من قصر الوالي لادارة الحكومة ولكل من اقسام الوزارة كتاب وأعوان وتكتب في النوازل سجلات ويمضي الوزير على الرأي فيها ثم تعرض على الوالي وهو يمضي على ما يراه الوزير وتسمى تلك السجلات معاريض وتجري على مقتضاها الامور وكثيرا ما تجري بامر الوزير شفاهيا وترسل تلك المعاريض مع بطاقات الاوامر في ظرف مختوم ليمضيها الوالي بخطه في المعاريض وختمه في الاوامر ولكل عمل من الاعمال التي مر ذكرها عامل خاص الا الحاضرة فحاكمها يلقب رئيس الضابطة والغالب أن يسكن العامل في محل عمله وله نائب يلقب بالخليفة وتحته مشايخ على عدد أفخاذ القبائل ولكل عامل أعوان على حسب كبر عمله وصغره وترفع اليه الشكايات فيحكم فيها برأيه وكذلك خليفته والشيخ عند مغيب العامل ولا يختص حكمهم بنوع من أنواع الخصومات وانما الغالب ان نوازل صحة التملك في غير المنقول والزواج والاوقاف والمواريث يرجعون للحكام الشرعيين وهؤلاء لهم مجلس في الحاضرة فيه قاض حنفي ومثله مالكي ومفتيان حنفيان وخمسة مالكية ورئيس للحنفية يلقب شيخ الاسلام ومثله للمالكية يلقب أحيانا أيضا بذلك وقد يزاد أو ينقص من عدد المفتين ولهم محل خاص يسمى دار الشريعة يجلس به يوميا صباحا القاضيان ومفتيان من المذهبين على التناوب وفي يوم الخميس يجتمع جميع المجلس ببيت كبير وينضم اليهم رئيس الضابطة للشورة في النوازل التي يريد الخصم فيها العرض على المجلس ولا يرضى بحكم القاضي أو المفتي وحده ورئيس الضابطة ينفذ ما يلزم فيه قوة الغصب الا القتل فانه يرفع الى الوالي وفي كل من بلدان

القيروان

القيروان وسوسة والمستير وصفاقس والاعراض وتوزر ونفطة والكاف وباجة مجلس شرعي أقل ائتلافه من قاض ومفتي ورئيس فتوى يجري به العمل مثل ما هو في الحاضرة لاجراء التحقيق فيها من مجلس الشريعة والمنفذ هو العامل كما أن في نابل والمهدية وجربة وقفصة مفتي مع القاضي وبقية الاعمال ان كانت كبيرة ففيها قاض فقط وللوالي التصرف في جميع النوازل نقضا أو ابراما وكذلك الوزير وأما القابض لاموال الحكومة أو العمال فهو من اليهود الا قليلا من العمال لمجرد عادة في ذلك ويتوظف منهم مترجمون ونظار على الصاغة ودار السكة كما يتوظف من النصارى في الترجمة وغيرها الا الاعمال والوظائف الدينية ثم أن جميع العقود التي تحتاج الى الشهادة وكذلك كتب الحجج وصكوك الاملاك لها طائفة من العلماء والمنتسبين الى العلم يوليهم الوالي ويسمون الشهود أو العدول وهم بالخصوص الذين يباشرون ما ذكر ولاغلبهم حوانيت مفتوحة لهاته الصناعة في سائر البلدان وكذلك قبائل الاعراب ويوجد في خصوص الحاضرة مجلس بلدي لمصالح الطرقات والبناآت ومجلس مختلط للاحكام بين أغلب الاجانب والاهالي فيما دون الالف ريال وجمعية للاوقاف ولها نواب في سائر القطر ومجلس تجارة ومجلس لحفظ الصحة أعضاؤه القناسل ومستشار الخارجية ورئيس المجلس البلدي وشيخ المدينة ولكل من المدينة والربضين شيخ لبعض النوازل العرفية وحفظ الامن ليلا وأما الضابطية فهي موجودة غير منتظمة وأمور المعاش يقومها القاضي المالكي ولها أمناء يطوفون عليها حراستها من الغش وأما بقية المملكة فليس فيها الا الحكام المار ذكرهم أو بعض امناء على الصنائع أو المعاش

(مطلب في المعارف) الموجودة الآن ومنابعها جامع الزيتونة من الحاضرة هي العلوم الدينية ووسائلها وهي القرآن والتفسير والمصطلح والحديث رواية ودراية والعقائد وأصول الفقه حنفية ومالكية وشافعية والفقه الحنفي والمالكي والمنطق والمعاني والبيان والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والادب والتاريخ والحساب والهيئة والفلك واللغة ولكل كتب معينة للاقراء بها من الحواشي كما هو معين في قانونها الذي أحدث في وزارة خير الدين باشا ومنها فنون وكتب لا بد من وجود اقرائها كما أن مواد المطالعة والتحصيل سهلة بخزائن الكتب المعروفة في الاسلام الا ما ندر مما هو في اللسان العربي وقليل جدا بالتركي والفارسي والفرانساوي ومشايخ جامع الزيتونة الموظفون ولهم مرتب مائة وخمسون ريالا شهريا عددهم ثلاثون مدرسا والطبقة الثانية مرتبها

تسعون ر يالا شهريا وعددها اثناعشر مدرسا والذين لا مرتب لهم واغا لهم اعانات سنوية مما يحصل من تخلف المدرسين والخصم عليهم من مرتباتهم عددهم نحو ستين وهم يزيدون وينقصون وعدد التلامذة بالجامع المذكور نحو الثمانمائة ويزيدون وينقصون أيضا وكيفية الدرس حسنة الالقاء والسؤال والجواب ولا يطول الدرس أكثر من ساعة كما توجد مدارس نحو الخمسة عشر مدرسة يقرأ بكل منها درس أو درسان من الفنون المذكورة وكذلك بعض جوامع بها قليل من الدروس وتوجد المدرسة الصادقية تقرئ مبادى فنون الديانة واللغة مما مر ذكره وتقرئ الفنون الرياضية واللغات التركية والفرانساوية والطليانية ومن الرياضيات الحساب والجبر والهندسة والهيئة والفلك والجغرافية ومبادى الطبيعيات وهى تعلم مجانا المائة وخمسين تلميذا وتقوم باكلهم نهارا ومنهم خمسون تقوم بهم حتى فى السكنى واللباس وكذلك يوجد مكتب أنشأه قسيسو الفرانسيس فى صان لويس يعلم العلوم الرياضية واللسان العربى والفرانساوى والطليانى وتلامذته لا يبلغون الخمسين الآن ويوجد مكتبان للفرانساويين أيضا بالحاضرة يسميان مكتبا الفرير تلامذتهما نحو اربعمائة وكذلك مكتب للطليان به نحو مائتى تلميذ وكذلك مكتب لجمعية اليهود به نحو تسعمائة تلميذ كلها تعلم مبادى الرياضيات واللغة الفرانساوية والطليانية والعربية ويعلم بعضها من الصنائع كشئ من الفلاحة والموسيقى ويعلم اللغة العبرانية وكلها تعلم الاغنياء بالمال وبعضها يعلم الفقراء مجانا كما يوجد فيها مكتب للبرتستنت من الانكليزية نحو مائتى تلميذ كما يوجد بالحاضرة نحو مائة واحدى عشر مكتبا للقرآن العظيم وللكتابة العربية نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة تلميذ وأما جهات القطر فلا يوجد الا فى قليل من البلدان شئ من العلوم الدينية كالفقه والعقائد على قلة والنحو وأشهر البلدان بذلك القيروان وصفاقس والمستيروسوسة وجربة والاعراض والكاف وباجة وابن زرت وبعضها يزيد بشئ من الادب والحديث كما يوجد فى بعض زوايا الصالحين بالقبائل شئ من القراءة والكتابة والفقه وجميع الجهات انما يقرأ فيها الفقه المالكى الا المهدية والمستير فيوجد أحيانا الفقه الحنفى أما غير ذلك فلا نعم توجد مكاتب للقرآن ومبادى الكتابة العربية فى جميع البلدان والقرى بحيث لا تخلو قرية عن ذلك فضلا عن بلد ويقرب جميع تلامذتها بنحو اثنى عشر ألف تلميذ لكن هيئة التعليم قاصرة للغاية فى هاته المكاتب الابتدائية ولو فى الحاضرة بحيث يمكن أن يبقى التلميذ فيها عشر سنين

ولا

ولا يحصل على حسن القراءة والكتابة وانما النجيب منهم يخرج حافظا للقرآن المجيد فقط وأما بقية التعاليم المار ذكرها فهى جيدة سيما العلوم الدينية بجامع الزيتونة تخرج منه فحول تزين المسلمين ولهم براعة فى كل الفنون سيما الانشاء بالعربية الذى كاد أن يشبه أسلوب الاعجام فى عدة جهات فان علماء تونس لهم براعة فى ذلك وهم محافظون على الاسلوب العربى ومحترزون عن اللحن وان وجد فى الكتبة أو الشهود من يلحن فذلك من تقليد الوظيف لغير المستحق كما أن أصحاب الاقلام أو الشهود مطلقا محافظون على الشعائر الدينية فى كتابتهم بحيث يفتحون كتبهم بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله ومن ولاه

(مطلب فى الصنائع) أهم صنائع الاهالى هى الفلاحة ومازالت آلاتها على الطرز القديم ويأخذونها عن بعضهم بالمشاهدة مع انها فيها كتب عديدة بخزائن الكتب لا يلتفت اليها احد ولذلك انحطت رتبة هذه الصناعة عما كانت وقل العمران مع انضمام أسباب سياسية كما تقدم شرحه وصناعة التلقيح فى الاشجار لا يعلمها الا القليل ولذلك حصل الاروباويون على تقدم عظيم فى القطر فى هاته الصناعة ولو فى زرع الحبوب وكان فيها أكثر ربحا من الاهالى وكذلك من أعظم مكاسب أهل القطر زيت الزيتون فاما جمعه واستخراج زيته فهو بيد الاهالى ثم يبيعونه اما للاهالى أو للتجار الاجانب واما التجارة فيه لخارج القطر فهى بيد الاجانب الا قليلا من الاهالى كما انه دخل فى جمعه واستخراج زيته قليل من الاجانب عندما استخدمت المعامل بالبخار لاخراج الزيت وهى قليلة بل ليس منها الا واحدة فى الحاضرة وهناك قليل من المعاصر على النحو المخترع فى أوربا والاكثر على النحو القديم الذى صنعه الاندلس أو نوع آخر أقدم منه وكلاهما لا يتقن اخراج الزيت من زيتونه واما صناعة الشاشية فانها كانت هى عيال أكثر اهل الحاضرة ومنذ صنعت الشاشية بالمعامل فى أوربا رخصت ولا زال صناعها فى تونس متمسكين بالآلات القديمة وهى تكلفها غالية فلا زالت فى تناقص الى أن كادت أن تكون مقصورة على أهالى القطر وقليل من غيرهم وبقى من حوانيتها نحو ثلاثين أعنى الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هاته الصناعة تبلغ نحو الالف وبسبب ذلك بقى أكثر الناس فى الحاضرة بلا صناعة ويوجد من الصنائع فى الحاضرة صنعة البلغة وهى نوع من الاحذية وهى رائجة وصناعة الكنترة نوع مما ذكر وهى رائجة وهى بيد اليهود والافرنج وأصحاب صناعة السبابط التى هى نوع مما ذكر افلسوا الا انهم لازالوا

متمسكين بخياطتها على الهيئة القديمة والناس تركوها وأنفوا من جعلها على أسلوب الكثرة لمجرد الاعتياد الى أن أفلسوا ولم يجدوا ها ديا يحملهم على مصلحتهم وكذلك توجد صناعة العطارين أى الطيب والحرائرية أى نساجي الحرير وصناعتهم متقنة وفيها بعض رواج ويصنعون أشياء مخلوطة من الحرير وخيوط الفضة ونوعا من الحرير الصرف المسمى بالمختم وفى بعض أنواعها رغبة فى حواضر أوروبا ويوجد لها مروج سيما الطيلسانات ويوجد أيضا صناعة النوارزية أى الخياطين ولهم براعة فى خياطة الابريسم على اشكال من النوار بديعة فى سراويل النساء وغيرها وكذلك صناعة الحياكة للمنسوجات الصوفية وفيها رواج كبير لاوروبا وغيرها ولو تجد المروج لكانت من أعظم اسباب الرفاهية للقطر وتوجد صناعة الصاغة وصناعة السروج ولاصحابها براعة فى الطرز فى الحرير والفضة والعدس اى قطع من الفضة مموهة بالذهب مثقوبة الوسط ليمسكها خيط الطرز وكذلك صناعة الحدادة وهى قاصرة وان وفد من الاروباويين التقدم التام على الاهالى وكذلك صناعة النجارة أى نحت الاخشاب ولاهلها براعة فيها وكذلك البناية وكذلك النقاشة أى نحت الاحجار وكذلك صناعة طرز الحرير والصوف والخيط والقطن والفضة والعدس على المنسوجات وهى خاصة فى النساء وزدن فى هاته المدة تقدما فيها بما تعلمن من الاوروباويين حتى صارت تقوم بها آلات وتوجد صنائع السلاح بأنواعه لكنها متأخرة ويوجد معمل للمدافع وآخر للسفن وكلاهما معطل وتوجد معامل كثيرة للكراريس وكذلك توجد صناعة النسج للقطن وهى ضعيفة رديئة وكذلك صناعة تجليد الكتب وهى حسناء وصناعة النسخ وهى قليلة وكذلك صناعة نقش حديدة أى النقش فى الجص التى هى من أبدع الصناعات التحسينية على الجدران وكذلك صناعة الدهن أى التلوين وصناعة الفخارين أى صنع الاوانى من الطين وكذلك نوع يسمى بالجليز مما يلصق على الجدران وعلى أراضى البيوت ولكن نوعه ردىء ولاهله اقتدار على ايصاله للحسن المعهود فى أوروبا اذ كان عندهم قديما أحسن منه وانما يحتاجون الى الاعانة وأما الموسيقى فلهم مهرة فى معرفة الالحان يأخذونها على قواعد وانما هى بالسماع من بعضهم ويعتنون لاخذها فى بعض الزوايا التى تعقد فيها جمعيات لاجل الذكر كسرد البردة ومدائح قادرية وهذا العمل اختلف فى جوازه لكن الراجح جوازه شرعا ان لم يكن فيه تشويق لمحرم فالتحريم على كل حال ليس لذاته وانما هو لما يتوصل به اليه ثم بعد الجواز ليس هو بطاعة كما

يظن

بطن العوام وسيأتى للمسئلة بسط فى الخاتمة ان شاء الله تعالى كما أن لهم معرفة فى فن
الموسيقى أى دق آلاتها وأخذونها عن بعضهم والآلات هى الرباب والعود والجرانة
وكلها من ذات الاوتار والطار والدف والدربوكة وهى أكبر منه والطبل والجميع من
نوعه والكرنيطة والناى والغيطة والشبابة والصفارة والفحل وكلها من آلات النفخ
ويضربونها بدون أوراق امامهم بل من حفظهم وفهم المهرة وهاته الصناعة فى الموسيقى
قد ذكر فى الاغانى انها كانت محفوظة على نمط واحد بحيث لا يخرجون عما كان مسموعا
من الطرق يأخذها الخلف عن السلف الى أن دخل فيهم ابراهيم ابن المهدى عندما أراد
الامن على نفسه بتنصله من سمات الخلافة فزاد فيها ونقص على حسب ما يستلذه هو
ثم جعل من اتبعه يسلك ما يستلذه السامع ولو خالف الطرق الاصلية وتمادى الامر على
ذلك الى أن فقد الآن ما يعرف به الالحان التى كانت تستعمل فى تلك الاعصار ولهذا
لا يمكن فهم ما يشير اليه فى كتابه الاغانى من الطرق والالحان ثم ان حكم سماع آلات
اللهو وهو عندنا حرام الا الدف وما كان على شاكلته مما لا وتر فيه اذا ضرب فى الافراح
الجائزة لكن رأيت رسالة لسيدى عبد الغنى النابلسى مال فيها الى الجواز ان لم تؤد الى محرم
مقطوع به كما رأيت سؤال النووى فى أيهما أشد حرمة الغيبة أو السماع لآلات اللهو
أجاب عنه بان لا مقايسة بين الامرين فان الغيبة محرمة باجماع بخلاف سماع آلات
الطرب فانه مختلف فيه وللمقلد سعة بالتمسك بقول أحد المجتهدين ثم توجد بقية الصنائع
الضرورية كالبقالين والجزارين والقصابين والفحامين والحلاقين وغيرها بحيث يقال
ان أغلب الصنائع الحاجية معروفة ولكنها غير موفية بالاستغناء عن جلب المصنوعات
من خارج القطر بحيث من نظر الى لباس أهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجد أغلبها من
مصنوعات الاجانب وذلك موجب لفقر المملكة وأما خارج الحاضرة فالآن يوجد فيها
ما يقرب مما تقدم بأقل بدرجات الا بعض صنائع فلها فيها التقدم على الحاضرة فمن ذلك
منسوجات الفرش فى الجريد فان ما يصنع منه فى طوزر هو من أرفع ما يوجد فى العالم
وكذلك يصنع فى جربة ولها نوع يسمى بالسوسى من الصوف والحرير صفيق من أرفع
المنسوجات وكذلك يصنع فى القيروان الاوانى النحاس وفى نابل أنواع من الطين الرفيع
المرغوب فى كثير من الجهات وكذلك يصنع فى الكاف نوع من البرنس رفيع وأما أهل
البوادى فلا يعرفون الا صناعة الفلاحة المتداولة والرعى للحيوان والفروسية والصيد
ولاهل جبل باجة وماطر معرفة صناعة البارود وسائر القبائل تعرف نساؤهم صناعة

نسج الصوف لفرشهم ولباسهم ونسج بيوت الخيام من شعر المعز والابل والعدل كما ان لبعضهم اتقانا فى صناعة البسط من الصوف كقبائل دريد وجلاص ومثلهم القبر وان وبخصوص أهل الجريد اتقان كلى فى الاردية التى تتردى بها الرجال من الحرير والصوف

﴿مطلب فى المساكن والطرقات﴾ الحاضرة ذات بلاطات وطرق صناعية محصبة أو محجرة بحجارة منحوتة لاتتعب فيها على الماشى ولا الراكب حسنة المنظر ولقليل من طرقها المتسعة أشجار يمينا وشمالا وجميع البناآت من حجر مبنى بطين الرمل والجير وتارة يبنى بالآجر والقرميد وهو أقل من الاول وتارة يعوض الطين بالجص وهو أيضا أقل ثم ان دورها اما ذات طبقة واحدة أو طبقتين وقليل ما يزيد على ذلك وصورة الدار ان تدخل من الباب الذى على الطريق فتجد محلا مسقفا ان كان كبيرا سمى دريبة أى دهليزا والا سمى سقيفة ثم آخر أصغر منه ثم وسط الدار والاغلب أن تكون الابواب المدخول منها اليه غير متقابلة لكى لا يكون مكشوفا لمن بالسقيفة وهو محل مربع الشكل مكشوف الى السماء وبه أبواب وشبابيك الى البيوت وهو مفروش الارض اما بالرخام أى المرمر الابيض أو الكذال والجميع على شكل مربع متقن الاثبات فى الارض حتى يصير كأنه قطعة واحدة مخطط فى المنظر بخطوط الحدود وحيوطه مكسوة بالزليز اما الى نهايتها واما الى النصف والنصف الاعلى مطلى بالجص الابيض وبه نقش حديدة ونهاية الحيطان عليها قرميد أخضر والابواب التى به من الاربعة الى الاثنى عشر يدخل منها الى بيوت ومرافق والبيوت غالبا بعضها أحسن من بعض فأكبرها على شكلين فالشكل الاول أن يكون اذا دخلت من الباب تجد البيت طويلا يمينا وشمالا وقبالة الباب بهو ذو قوس مرتفع وفى نهاية أرجل القوس تجد مرفعا أى شيأ من الخشب المتقن النقش المزوق بالالوان دائر امع حيطان البهو توضع عليه أوانى رفيعة من الخزف والصينى والبلور وفى نهاية البيت يمينا وشمالا تجد اسرة عليها فرش النوم مسواة باتقان وأمامها مساطب ومتكئات وجميع الحيطان على نحو ما مر فى وسط الدار مع زيادة اتقان النقش والابواب كلها ذات زواية كاملة ليست بمقوسة الاباب الدريبة ثم لكل باب أو شباك عواضد من الاربع جهات من الرخام أو الكذال أو الخشب كل جهة فى قطعة واحدة غالبا وعرض العاضدة من شبر ونصف الا العواضد السفلى فى الابواب فانها تكون منخفضة لا ترتفع على الارض أكثر من أصبعين والاغلب ارتفاع السقف

من

من الستة الى اثنى عشر ذراعا وهى أى السقوف ما بين بناء بالآجر او الحجر المعقود او أعمدة من حديد وآجر او قرميد او انها خشب مما يجلب من السويد المسمى باللوح الطرطوشى والبندقى من النمسا وعلى أى نوع كانت فانها ان كانت من الخشب نقشت و زوقت والاطليت بالجص ونقشت وزوقت وتارة يطلى النوعان بالفضة المموهة بالذهب على اشكال بديعة مع التزويق بالالوان والاغلب فى سقوف الخشب ان تكون على هيئة خشبات ممدودة على عرض البيت وعمقها نحو شبرين أو شبر ونصف وعرضها نحو ثمانية أصابع وكل الابواب ذو دفتين وتارة يكون ذا اربع دفف وهذا فى خصوص أبواب البيوت وأما غيرها فلا أكثر من دفتين ثم عن يمين البهو وشماله مقاصير اثنان فما فوق اما للنوم أو الجلوس أو المرافق وعلى الابواب جميعا ستارات متعددة على حسب الرفاهية ويوضع فى البيت أيضا مرايات كبيرة على المرفع وراء قطع البلور والخزف وكذلك حول اسطوانتى البهو وهذان يوضع أمامهما خزنتان من خشب الجوز المتقنة الصنعة وعليها ساعتان وفوانيس بأوانى من الزهور المصنوعة وغير ذلك من التحف وفى الشتاء تفرش أرض البيت بحصير وعليها بسط صوفية وأما الشكل الثانى فى البيوت فانه يكون براحا واحدا امامربع أو به استطالة والحيوط والسقف والفرش كلها على نوع واحد غير انه يغلب فى هذا الشكل أن يكون السقف من خشب وعيدانه مغطاة من أسفل مما يلى البيت بألواح من خشب مزوقة أيضا حتى ترى كأنها قطعة واحدة والاغلب لحسن المنظر وعدم ظهور القطع بين الالواح أن تغطى الالواح من أسفل بمنسوج من الكتان أو القطن على عكس امتداد الالواح وتدق بمسامير ثم تلون وتزوق كما مر وفى وسط هاته السقوف على أى نوع كانت توضع قطع من خشب مرتفعة منقوشة باشكال بديعة مذهبة وتمسك فى السقف بقضيب حديد مناسب ويعلق فيها ثريات من البلور وما دون ذلك من البيوت يكون أقل اتقانا فى طلى الحيطان ومفروش الارض والستائر فقط أما أصل الطلى وتبليط الارض بنوع صلب فلابد منه وفى قليل من الديار الكبرى للاغنياء يوجد بيت واحد ذو ثلاث بهوات أو اربع ووسطه مربع والجميع فى أعلى نوع من اتقان المواد والصناعة وكذلك يوجد بقلة جنائن فى الديار وانما كثرت بعد وجود ماء زغوان فى الحاضرة وكل دار لابد فيها من بئر ومأجل ومطبخ وبيوت لخزن القوت وادواته ولابد أن يكون خارجها مخزن للدواب أو بعض الضروريات ولا أقل أن يكون أسفل وسط الدار او السقيفة دهليز لذلك ان لم يكن لها مخزن وقليل أن يكون لها علو

بابه فى السقيفة الخارجية أو الدهليز خاص بالرجال والواردين على أصحاب الدار والاغلب أن يكون ذلك للاعيان ويكون العلو تام المرافق والفرش وأكثر من ذلك أن يكون فى عوضه بيت واحد يجلس به صاحب المحل ومن يفد عليه من الرجال واذا كانت الدار ذات طبقتين فان الهيئة السابق ذكرها هى هى ولا يزاد فيها سوى رواقين أو أربعة أمام البيوت فى صحن الدار تكون مرفوعة السقوف على حيطان وجوه البيوت من جهة ومن الجهة الثانية على أقواس مستندة على اسطوانات من الرخام الابيض المتقن أو من حجارة الكذال والاقواس مطلية بالجص المنقوش بالنقش حديدة وفوق هاته الرواقات رواشن للطبقة العليا ولها درابزين من الجهة المطلة على صحن الدار ومن تلك الرواشن يدخل للبيوت التى فى الطبقة العليا وهى مبنية على البيوت السفلى وهيئة البناء والفرش على النحو الاسفل سواء ويصعد الى هاتيك الطبقة بدرج فى أحد الابواب التى بوسط الدار والاغلب فى الدرج القديمة أن تكون على هيئة غير مناسبة لبقية بناء الدار لانهم لا يعتنون بها سوى كونها موصلة للاعلى فتارة تكون ضيقة وتارة تكون مرتفعة تتعب الصاعد لكن فى الابنية الجديدة صارت الدرج متقنة الهيئة من الاتساع والارتفاع المناسب بحيث لا يكون ارتفاع الدرجة أزيد من شبر وعرضها قدم ونصف وطولها ستة أقدام فما فوق وعلى أى هيئة كانت فلا بد لها من التبليط بالزليز أو الرخام وكثيرا ما تكون كل درجة من قطعة واحدة من الرخام الابيض أو الاسود أو الكذال أو الصوان وجميع الحيطان اما مكسوة بالجليز أو مطلية بالجص ولا يكون فى السفلى ولا شباك واحد على الطريق وان احتيج الى الضوء ولا بد تجعل له منافذ قرب السقف لكى لا يسمع صوت النساء نعم فى الطبقات العليا توجد شبابيك على الطرق ولها أبواب غير منفكة من القصب الخشب وجميع الشبابيك سواء كانت لوسط الدار أو للطريق لا بد لها من قطع من الحديد على أشكال مزونقة وفى القديم كانت جميع الاشكال مربعة هذا فى أماكن النساء وأما أماكن جلوس الرجال فليس فى شبابيكها مقصب الخشب نعم للشبابيك مطلقا أبواب من الخشب وأبواب بسطار من خشب وطيقانها من البلور أو الزجاج والحاصل ان الديار من داخلها فى غاية الاتقان والنظافة على حسب الرفاهية لكن خارجها لا يعتنى باتقانه فوجه الحيوط مما يلى الطرق كثيرا ما يكون غير مجصص وانما يبيضونها بالجير والسطوح كلها مستوية وتبيض سنويا بالجير فلذلك لم يكن منظر البلاد فى الطرق جميلا مثل ما هو فى الدار هذا كله فى غير حارات الافرنج أما هى فانها

على

على النحو الاروباوى الذى سيأتى شرحه ولذلك كانت أنظر ونظافة الطرقات متوسطة بحيث انها ليست بعفنة ولا انها متقنة النظافة وفى الشتاء يحصل فى بعض الطرق التى لم تبلط كثير من الوحل والطين وهذه لم تبق الا نادرا فى المدينة وأما فى الربضين فهى لا زالت كثيرة وبواسطة المجلس البلدى لا زال يتدارك فى تبليطها وتحصيبها وقد عمت الطرق الاكثر مرورا بسير العجلات والطرق خارج الحاضرة ليس منها طرق صناعية سوى طريق بين تونس وحمام الانف وأخرى الى باردو ومنوبة وأخرى الى جهة العوينة وطريق حديدية الى حلق الوادى وأخرى الى الجزائر ويراد مد أخرى الى الساحل وأخرى الى ابن زرت وأما فى الحاضرة فالطرق منقسمة الى مناهج وهى متسعة أقلها تمر فيه عجلتان متحاذيتان وهى قليلة والى طرق وهى لا تمر فيها الا عجلة واحدة وهى أكثر من الاولى وكثيرا ما تتعارض فيها العجلات ويوجد بها بعض جهات متسعة لرفع ذلك التعارض والى زناق وهى التى لا تمر فيها العجلة بل بعضها لا يمر فيها الا انسان واحد وأغلب هاته فى وسط الحارات ولا زال المجلس البلدى يوسع فى الكل مهما خرب حائط على الطريق الا أخذ من محله توسعة للطريق وأغلب أنواع الطرق غير مستقيم بل فيها تعاريج وانعطافات وتحت الطرق خنادق تجرى فيها القذورات والمياه الخارجة من الديار تحت الارض وأكثرها غير متقن البناء والتسقيف ولذلك يكثر فى الشتاء خرابها فتتعطل الطرق عن مرور الحيوانات والعجلات وتلك الخنادق تصب فى البحيرة التى هى فى الجهة الشرقية من الحاضرة هذا واما قصور الوالى وعائلته والوزراء والاعيان فانها وان كانت بعضها على نحو ما تقدم وبعضها على النحو الاروباوى لكنها تفوق غيرها فى اتقان البناء والكبر وحسن الفرش والتزويق والتزيين وكذلك بساتينهم واما الحوانيت والاسواق فليست بجميلة المنظر لان أغلب الاسواق ضيق الطريق ومسقف بالخشب الغير المنتظم وبعضها مسقف بالآجر وهو أحسن منظرا لكن الجميع لا يتأنقون فى نظافة الحوانيت وحسن هيئتها وأغلبها صغير نحو أربعة أذرع فى مثلها وأرضها مرتفعة على أرض الطريق فى البناء نحو ذراع وبعضها أبوابه من خشب غير منحوت وهى قطع مفرقة يضع صاحبها لوحة حذو أخرى الى ان يمتلئ عرض الباب فيجعل قفلا على الوسطى من تلك الالواح يمسكها بالمواضد فى الفرض التى تدخل منها الالواح ويكون المسك بواسطة حلق صغيرة بعضها فى الواح وبعضها فى العتبة بالتخالف فى الوضع ويدخل القفل فى تلك الحلق ثم يقفل بالمفتاح وصورة القفل فى الاغلب على الشكل العتيق وهو قضيب من

حديد فارغ الوسط به لولب ينجذب و يندفع بواسطة ادارة المفتاح الذى يدخل فى فراغ ذلك القضيب وهنالك فى خارج القضيب قوس يدخل فى تلك الحلق و يدخل طرفه فى ثقب فى طرف ذلك القضيب ثم يدار المفتاح الى ان ينجذب اللولب ويدخل فى ثقب فى طرف القوس الذى أدخل فى القضيب ثم ينزع المفتاح ولكن لازال هذا الشكل يتناقص ويجعل على النحو المتعارف فى أغلب المدن فى الابواب و بسبب ذلك مع وجود الخراب فى عدة جهات وعدم تبييض جميع الحيطان كل عام لم يكن منظر البلاد اجمالا جميلا لمن رأى المدن الجميلة والاقواس أغلبها نصف دائرة والسقوف المبنائية لابد فيها من شئ من الانحداب ثم فى المدة الاخيرة حدثت الاقواس والسقوف المبنية المبسوطة هذا وأما منازل المسافرين ففى حارة الافرنج منازل مثل ما هو فى أوربا وقل ان يسكنها احد المسلمين وانما يسكنون فى خانات وفنادق ومحلة فيها بيوت لا فرش لها ولا مطابخ فيلقى المسافر العناء من ذلك الا اذا تعود على السفر لبلاد المسلمين فان الجميع فيها متماثل وكان السبب فى هذا مع كثرة أسفار المسلمين هو خصلة دينية وهى ان الكرم والضيافة مندوب اليها فمهما دخل المسافر بلدا للمسلمين الا كان حقا على اخوانه ان يستضيفوه فلم يكن من داع لاتقان محلات المسافرين اذ غايتها هو وضع الدواب والسلع التجارية (وكان ذلك هو سبب) عدم وجود لفظ مفرد عربى دال على نزل المسافر لما جبلت عليه العرب من الكرم والضيافة ولكن حيث تغيرت الطباع اليوم فينبغى الاعتناء بمثل تلك المنازل وما ذكر جار فى سائر انحاء القطر وعلى عموما تقدم فى هيئة الحاضرة بقية المدن والقرى لكنها على حسبها فى التصغير والغنى غير ان الطرق الصناعية لا توجد فى غير الحاضرة نعم ان البلاد التى احدثها الاندلسيون هى انظم طرقات من غيرها اذ طرقاتها مستقيمة متسعة متقابلة بل بعضها يراعى فيها حتى تقابل أبواب الديار وفى غير المدن لا تجد البناء الا من طبقة واحدة بل وهو الاغلب حتى فى المدن وكثرة الخرابات فى بعض البلدان سيما القرى وعدم تبييض وتحصيص الحيطان من خارج تجعل الرائى يحسب الجميع خرابا وكثيرا ما تكون ديار القرى غير مبلطة وانما تمهد بالطين والجير المسوى (وأما البطروى) فمساكنهم خيام من شعر المعز والابل تنسجها الاهالى وتارة تجلب من طرابلس وللاغنياء خيام من ذلك النوع فى غاية الاتساع والارتفاع بحيث يقدر ان يدخلها الراكب على فرسه ويقسم البيت لاقسام بأردية وستارات قسم للنوم وآخر للمؤنة وآخر لاولادهم

وآخر

وتحولا ولاد بعض حيواناتهم وأهل الغنى يجعل لكل نوع من ذلك بيوتا خاصة كما أن للضيوف وجلوس صاحب المكان بيتا خاصا ويفرشون بيوتهم بنحو ما يفرشه أهالى الحاضرة الاعيان من المرايات والساعات والتحف الخزفية والمفروشات الحريرية والاسرة المذهبة والفوانيس والشموع الى غير ذلك من أنواع الحضارات لكن العموم يفرشون فى أرض البيت حصيرا وفراشهم أردية من الصوف مثل ما يلبسونها ووسادات وغطاء ومبيت الرجل وزوجته واولاده كلهم فى فراش واحد ويطبخون فى فم البيت أو أمامه وكثير منهم من لا ينور فى الليل الا بما يوقد من الحطب وبعض القبائل يسكن فى خصوص أو بناء شبهها

(مطلب فى اللبس) لباس الحكومة والعساكر النظامية هو اللباس الافرنجى غير ان للعساكر علامات على الرتب وهى صورة نجم من فضة خالصة لرتبة الفريق ويجعل ستة نجوم فى رقبة سترته ثلاثة من كل جهة وهو نهاية رتبة يعطيها الوالى ثم أميرا للواء له أربعة ولامير الآلاى اثنان وللقائم مقام والامين آلاى ستة من طرز خيط الفضة المذهبة وللبينباشى أربعة وللقلاغى اثنان ثم للرتب التى تليه ثلاثة من الفضة الغير المذهبة وهكذا من يليه على النحو السابق وهاته الرتب تعطى أيضا بعينها لغير العسكر من ذوى الوظائف السياسية اذ ليس هنالك رتب ملكية وفى المواكب يلبسون اللباس الرسمى المطروز بقصب الفضة المذهبة الا الضابطية فطرزهم من غير المذهبة وتعلق فى صدورهم النياشين التى هى من الفضة المزوقة بالمينا وللصنف الاكبر منها له شريط أخضر ولنيشان العهد شريط أبيض على نحو ما سبق ذكره فى الكلام على أحمد باشا والصادق باشا والوالى يلبس بشاشيته ثلاثة نياشين كبار أحدها كانت الدولة العلية أعطته لاحمد باشا عندما كان ذلك من رسوم المشير ثم زاد هو ثانيا مثله ثم زاد الصادق باشا ثالثا مثله وهى نياشين من ذهب على صورة أوراق من النبات وبوسطها ترصيع بالياقوت الابيض كما يلبس نيشان المشير المرصع الذى كان أيضا من رسوم الدولة العلية ويلبس نيشان أل بيته المرصع والعهد المرصع والصنف الاكبر المرصع والغير المرصع وجميع نياشين الدول التى اهدتها له مع شرطانها وكذلك جميع المتوظفين كل منهم يلبس ما عنده من النياشين ثم كل من له رتبة أميرا لاى فما دون له علامة تلصق بشاشيته من نحاس على صورة شارة الحكومة مكتوب بها اسم الوالى الصادق

باشا اذ هو مخترعها واما أهل المجلس الشرعي بالحاضرة فيلبسون قلانس بيضا مكورة غير ان المالكية قلانسهم مفلطحة والحنفية مرتفعة ويلبسون عليها طيلسانا من الكشمير ويلبسون جبائب اكمامها واسعة وهي طويلة الى الكعب أو قربه وهنالك فرق بين جبائب الحنفية والمالكية فالاول جبائبهم مشقوقة الجيوب الى أسفل والاخر مشقوقة الى السرة فقط ويزيد المالكية برنسا واسعا من الجوخ الصوفي له حواشي وشرابات من الحرير وفي أرجل الجميع حذاء من النوع المسمى بشمق وريحية لونه أصفر وهو لبس لا يتحمل المشي به في الطين ولو قليلا اذ هو أشبه شيء بالنعل لكن له وجه على اصابع القدم ويلزم للمشي به تعلم وتعود لكي تمسكه أصابع الرجل اذا رفعت الرجل سيما اذا كان مع الريحية فيقع الازدلاق بين ملوسة جلد البشمق وجلدها نعم ان منظره جميل وأما أهالي الحاضرة فيلبس الرجال قميصا وصدرية وأخرى تسمى فرملة غير انها بلا صدر ومنتان أي صدرية بلا صدر ولها ايدى ضيقة الى الرسغ وتارة يكون في هاته الايدى فتح من أسفل قرب الرسغ وتارة لا وتارة تكون قصيرة الى أسفل المرفق فقط وتسمى كنبرة وسراويل رجلاها أسفل الركبة بيسير ووسطها غير متدل كثيرا ولا مرتفع كثيرا وهي عريضة بحيث اذا لبست كان فيها انكماشات بين الرجلين ولا يبلغ تدليها الى الركبتين واحذيتهم من أنواع فمنها الكنترة وهو من لباس الافرنج على أنواع شتى ومنها البلغة ولونها أصفر ومنها السباط الاحمر والاسود لبعضها شرابات من الجلد وبعض الاعيان يلبسون البشمق والريحية وعلى رؤسهم شواشي حمر لها شرابات من الحرير الاسود وعليها عمائم ملوية اما بيض أو مطرزة بطرز الهند أو بطرز البلاد وعلى الجميع برنس شتاء وصيفا غير ان كيفية استعماله كانه حمل لا لبس اذ يلقونه على أكتافهم بميل لاحد الشقين فقط وهيئة البرنس هو رداء متسع طويل الى القدمين وله رأس يسمى بالطربوش وكله في قطعة واحدة وأسفله مقصوص معرج على هيئة نصف الدائرة ثم ان الاعيان والاواسط يزيدون تحت البرنس جبة مشقوقة الى السرة فقط وليس لها اكمام بل انها مشقوقة من أعلى الجنبين لاخراج اليدين منها فهي عباءة غير مشقوقة الاسفل ويلبسون أيضا الجورب من القطن فقط أو مع الصوف من تحته وبعض قليل يلبس الجوخة والقفطان وهما جبتان ضيقتان مشقوقتان الى أسفل ولا فرق بينهما غير ان ما تلبس من أعلى اكمامها مدورة قصيرة الى قرب المرفقين وأسفلهما يتحزم عليها بالحزام الذي لا بد منه لكل

احد

أحد كما أن البرنس لا يمكن خروج الانسان فى الطريق بدونه وغاية الفرق بين لباس الاغنياء وغيرهم هو رفعة المنسوجات وحسنها وكلاهما مع مفروشات الديار من الصنائع الاجنبية الا البرانس والشاشية وبعض أنواع حريرية كما يحمل الاعيان والاواسط ساعات بسلاسلها من الذهب أو الفضة أو النحاس واما التختم فقليل جدا وكثيرا ما يعدانه من سمات ذوى الدناءة الا لبعض اعيان الاعيان ومع ذلك كثير منهم يتحاشاه عنه ومثل هذا اللباس لباس أغلب المدن والقرى أو قريب منهم وبعضهم يلبس جبة من الصوف وسراويل منها كلها من صناعة الاهالى وعوضا عن البرنس يلبسون كبوطا وهو شبيه البرنس غير انه ضيق وله ايدى وقصير الى الحزام فقط وهو أيضا لابد من لبسه لسائق العجلات للاعيان فى الحاضرة غير انه من نوع الجوخ المطرز بخيوط الفضة وله منظر جميل واما البوادى فلباسهم قميص ورداء من الصوف يسمى بالحرام وبرنس من الصوف غير انه يلبس لبسا بان يدخل الرجل رأسه فى الطربوشة وتارة يبقيها على رأسه وتارة يلقيها الى ورائه على كتفيه وهما من منسوجاتهم وعلى رؤسهم شواشى وعمائم من خيوط من وبر الابل أو صوف الغنم الاسود أو الاحمر وفى أرجلهم البلغة والاعيان منهم يلبسون فوق القميص مثل لباس أهل الحواضر وحوامهم يكون من الصوف الجيد الرفيع والحرير وكذلك عمائمهم مثل الحواضر ومثلهم أهالى بعض البلدان كبلدان الجريد والكاف وباجة وتبرسق وأما لباس النساء ففى الحاضرة يلبسون القميص لكنه قصير الى أعلى الفخذ وفوقه مثل الصدرية بلا صدرية أتقن فى اتقانها وتحليتها بالفضة أو الحرير أو العدس وتسمى فرملة وفوقها جبة ضيقة بعض الضيق بلا أكمام وقصيرة مثل القميص المذكور وسراويل ضيقة جدا مثل سراويل رجال الافرنج لكنها مخروطة الرجلين مع اتقان تحليتها والتغالى فيها وعلى رؤسهن على الشعر منديل حرير أسود يسمى تقريطة وفوقه قوفية أى نوع من العراقية محلاة ولها جبين مرتفع من أصبعين الى الثمانية أصابع صلب بالطرز الحرير الاسود على خيطان من الكتان الصلب وفى مؤخرها ذيل من الحرير مدلى الى قرب ذيل الجبة ويطرز بانواع جميلة من الفضة والحرير ثم تلف رأسها ورقبتها باللثام من أنواع الحرير والقطن ويطرز أيضا كما مر على هيئة متقنة وتعصب على الجميع بتقريطة ملونة أو مزوقة بالفضة بعد طيها على عرض أربعة أصابع بحيث يكون ما فوق القحف من غطاء الرأس مكشوفا من تلك التقريطة وتربط أطرافها من جهة الجبهة على هيئة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكون بصورة التاج مسوكة بمساسك من النحاس دقيقة صغيرة ويكن أذرعهن مكشوفات ويلبسن في أرجلهن أنواع الاحذية الافرنجية والاعيان يلبسن الجوارب والخادمات يلبسن على نصفهن الاسفل فوق جميع الثياب ازارا من القطن أو مخلوطا بالحرير أو الحرير الصرف ملون أغلب ألوانه مائلة الى السواد لتحمل الوسخ ولما تقدم لم يكن شكل النسوة جميلا من لبسهن واذا خرجن للطريق فالاعيان يلتحفن برداء أو طيلسان واسع ثم يدخلان في الكروسة وتدخل أى الكروسة الى داخل الدهليز لتركب المرأة فيها ثم تسدل ستارات الكروسة بحيث لا يرى من ركب فيها ونسوة الاواسط يلبسن عند الخروج رداء عريضا بالغا قرب القدم ومغطا للرأس على هيئة ساترة لجميع أجزائها وعلى وجهها بخمار من الحرير الاسود وأطرافه مزوقة مغروز في غطاء رأسها بمساسك وتمسك طرفيه بيدها مع لفهما في ردائها وعلى رجليها ساقان عريضان من منسوج ثخين مطرز ونعلها خاص بالخروج وأما الاسافل فهن مثل ذلك أيضا سوى الخمار فيعوض بلثام أسود ملفوف على الوجه ثخين لا تظهر منه البشرة ولا تبان الا عيناها ونسوة اليهود مثل ذلك الاستر الوجه فهن مكشوفات وأما لباس نسوة البلدان فهو على ذلك النحو غير أنه ساترا أكثر لانه متدلى الى قرب الكعب والجبة أوسع وبعضهن يتمنطقن بحزام وأما نسوة الاعراب فهن مثل ذلك أيضا سوى الجبة فعوضها رداء واسع تمسكه المرأة بمساسك كبار من فضة أو ذهب أو نحاس حذو كتفيها الى الصدر وتتمنطق عليه بحزام ويكون ساترا حتى الى القدمين مع الاتساع غير أنهن لا يلبسن السراويل ولا يتقنعن على رقابهن فغطاء رؤسهن أجل من نسوة الحواضر وكثير من نسوة القرى مثلهن والجميع يلبسن من الحلى أنواعا شتى من القرط فى الاذنين بعد ثقبهما منذ صغر البنت والاساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من الجوهرات الثمينة والمكللة بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وبعض الحواضر والقرى والاعراب يتخلخلن فى أرجلهن أيضا كل على حسب الثروة واليسار

(مطلب فى الاكل) أما أهل الحاضرة فأكلهم جامع بين أنواع أكل أهل المشرق والمغرب والاوربايين بحيث لهم من كل أحسنه سيما الاعيان والغالب فى البلد واعرابها وسائر بلدانها هو طعام الكسكوس أو العصيدة وتزيد البلدان بالشكشوكة طعام من زيت وقديد وبصل وطماطم وفلفل واغلب السكان يأكلون الطعام الحريف المسمى عندهم بالحار من الفلفل ويكثرون من الابزار الا البوادى فاغلب طعامهم بسيط

من

من دقيق القمح أو الشعير أو الذرة واللبن واللحم المشوى وفى ولائم الاعراس بالحواضر يكثرون أنواع الحلويات وهيئة الاكل عموما هى الجلوس على الارض اما على متكآت أو بسط أو حصير ويوضع الطعام جملة ويأكلون من اناء واحد ثم غيره وهكذا والغالب طعام واحد وأهل البلدان يصنعون مائدة يوضع الطعام عليها وهى من خشب مدورة ارتفاعها عن الارض نحو شبر وبعضهم يجعل عليها أو على كرسى مثلها طبق من النحاس وفى بعض الاعيان ومتوظفى الحكومة صارت هيئة الاكل كما هى عند الافرنج وبعضهم صيرها بين بين بحيث يؤكل من اناء واحد لكن بالشوكات والسكاكين والخبز له أنواع ففى العربان اما أن يكون منضجا فى فرن يسمى الطابونة وهو حسن جدا سيما السميذ منه واما أن يكون العجين غير مخمر ويشوى فى اناء من الطين وهو ردىء لقلة نضجه وعدم تخميره وكلا النوعين موجود فى البلدان الا الحواضر فيوجد الاول بقلة عند الاعيان على وجه التفكه والخبز الغالب فى المدن هو خبز مرتفع صغير قليل النضج مخمر لذيذ ينضج فى الفرن المعتاد ونوع آخر كبير وهو الذى يصنع فى الديار أنضج من الاول والاول لا يأكله الا من لا عائلة له أو الفقراء ذوو العيال وأما خصوص الحاضرة ففيها اثنا عشر نوعا من الخبز كلها جيدة سليمة ناضجة على النحو الذى يعرف فى المشرق بالافرنجى وعادة الجميع فى الطبخ ان النسوة هن المكلفات به ويطبخن فى اليوم مرتين فطورا وهو عند الزوال وعشاء وهو بعد الغروب كما توجد مطابخ فى الاسواق يطبخ بها الرجال لمن لا عائلة له أو داره بعيدة عن محل صناعته وأغلب طبخها ردىء الا قليلا ومن طعام السوق الجيد القليل النظير بيض البيض فيشتريه حتى الاعيان فى ديارهم للذة أكله والغالب ان الاهالى زمن الصيف يدخرون مؤنة السنة من الكسكسو ونوع مثله يسمى المحمص والقديد والابزار وأما الحطب فانما يخزن فى أواخر الشتاء عند تنقية شجر الزيتون لانه هو أغلب الحطب والفحم لا يطبخ به الا قليلا وبقية المأكولات تشترى يوميا كاللحم والخضراوات ومنها شهريا أو أسبوعيا كالزيت والسكر والقهوة

(مطلب فى الاعراس والمواكب) أول المواكب فى عيد الاضحى والفطر وقدمر كيفية التعييد على الوالى وأما الاهالى فيتزاورون لبعضهم أربعة أيام ويحصل من ذلك تعب كثير سيما اذا لم يجد الزائر المزور فانه يعود اليه ولو مرارا ويعطى للزائر قهوة والاقارب يعطى لهم أنواع من الحلويات وفى جميع المواكب التحية بالتقبيل فالعظماء بتقبيل أكفهم ثم من دونهم بتقبيل المرافق ثم المتساويان فى الاكتاف وقليلا فى الافواه

وبعض الاعراب يقبل كل يد صاحبه وتارة رأسه وكذلك يحصل موكب في المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام على نحو ما مر تفصيله في الكلام على السياسة وأما بقية المواسم فلا موكب فيها وانما فيها الصدقات والقراآت والتوسع على العيال وفي عاشوراء تطلق النيران والبارود اعتقاد انها من تفريح الصبيان وكانها نزعة باقية من آثار الخوارج الذين كانوا بالقطر وفي رمضان تتأنق أهل الحواضر سيما القاعدة في الاكل وكل يدعوا أحباءه للعشاء عنده ولا أقل أن يتعشى ولو انسان واحد مع صاحب الدار ويصرفون في ذلك زيادة على العادة وأما الختان فانهم يجعلون له وليمة مثل العرس وسيأتي بيانها وفي هذا زيادة وهي ان الطفل المختون يؤتى به قبل الختن من مكتبه وهو لابس لاجل لباسه الذي كثيرا ما يكون مقصبا بالفضة أو مطرزا بطراز الصراجين ومعه تلامذة المكتب بملابس جميلة أو نظيفة ويرفع رجل على رأس المختون لوماز وقاو يطوفون في حوالي حارتهم وأمامهم أو خلفهم فرقة من الرجال يذكرون قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتجيبهم التلامذة ببيت القصيد على الحان جيدة رافعين أصواتهم الى ان يصلوا الى دار المختون فيقدم لهم موائد من الحلويات ثم يختن الولد أحد الحلاقين المجازين في ذلك بمقص من حديد ثم يوضع في فراشه المزوق ثم يهدي اليه من أقاربه وأوداء أبيه اما مال أو مصوغ وأعلى الهدية قدر أربعمائة ريال فما دون وقد قلت هاته العادة فصار الختان أكثره خفيا بدون هدية ولا غيرها ويتناقلون في اخفائه روايات منها قولهم أعلنوا النكاح وأخفوا الختان ولم توجد في كتب الصحيح ولم نر نصا لاصحابنا في المسئلة سوى اني رأيت في الاحياء للغزالي الذي هو شافعي انه عد في أنواع السماع المباح السماع عند الختان وعند حفظ القرآن الخ فهو دال على ان اشهار الختان غير منهي عنه كما انه غير مندوب لقوله وهو أي السماع مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه الخ فهو دال على عدم النهي عن اشهاره فقط وأما الاعراس فان الزوج بعد الخطبة يرسل المهر واعلاه ألفا ريال الا الامراء والوزراء فيزيدون على ذلك الى العشرين ألفا ثم يرسل مع المهر هدية تسمى الملاك وهو صندوق صغير مجلد بصفائح الفضة أو خشب مرصع بالصدف وفيه المهر مصرور في مناديل من حرير مخلط بالفضة ثم صندوق آخر أصغر من الاول من فضة أو ذهب أحيانا مقسم الوسط به قنينات مملوءة اعطارا وأسفلها أنواع من طيب البخور العنبر

والقماري

والقمارى ثم حقة من ذهب أو فضة فيها قطعة كبيرة من سكة الذهب اما دبلون من سكة الاسبنيول أو قطعة مائة ريال ذهبا التى توضع فى كف العروس عند وضع الحناء ثم حصير أو أزيد مملوءة بالحناء الورق مخيطة على شكل مدور لكى تحفظ وتلف الحصير فى ملاحف من قطن أو حرير ثم صحن من الزجاج أو الفضة به شكل كالعصيدة من الحناء موضوع فى طبق من الزعف مكسو بمنسوج من الحرير أو الفضة مغطى بمنديل مثل ذلك ثم قطعة من مصوغ مكلل بالاحجار ثم حزم من الشمع الابيض كل معصبة بالقراطيس الحريرية أو الفضة من ثلاثة حزم الى العشرين ثم شمعتان أو أكثر كبيرتان نحو الاسطوانة معصبة أيضا مثل ما ذكر ثم خمسة أى شمعة صورة كف ادمى كبيرة طولها نحو ذراعين فما فوق وتارة تكون أزيد من واحدة كلها من الشمع معصبة كما ذكر باشكال حسنة ثم أطباق كبار من الزعف بها قنطار فما فوق من السكر الابيض ويرسل ذلك الى دار العروس مع أقارب الزوج من النساء عشية وفى الليل تسرج دار العروس التى قد زينت ودعى اليها النسوة من الاقارب والاحبة وتزين العروس باجمل لباس ويوضع على رأسها رداء من منسوج الفضة الثخينة وعلى وجهها برقع من الحرير الصفيق وتوقد تلك الشموع المهداة لها وتجلس فى بيت أبيها على مسطبة ومتكئات من الحرير أو الفضة ثم يهدى اليها ممن حضر مال لا أزيد فيه من مائة ريال ثم تحنى يداها بالحنة المهداة بعد وضع قطعة الذهب فى كفها الايمن وينفصل الموكب بعد ان تتعشى النسوة الضيوف ويفطرن صباحا ويتهيأ أبو العروس الى انفاق الاموال فيجعل لابنته ملبوسات لا تلبس الا يوما كالقمجة الكبرى وماوالاها وهى جبة كبرى من نوع من الفضة المنسوجة ثخينة ثقيلة تتكلف بنحو ألف ريال ويتبعها سراويل مثلها وهكذا مما لا يلبس الا يوما أو يومين مع البسة أخرى معتادة للتجمل والعادة مما يكفيها سنة أو أزيد مع كسوة لبيت زوجها من فرش الصوف والاردية والستائر للابواب والاسرة والمتكئات كلها من نوع القمجة من الفضة والمدس الذى لا تكسى به البيت الا أسبوعا واحدا فيصرف أبوها اضعاف اضعاف من المهر وبعد أسبوع من عرسها تباع تلك الاشياء بما لا يبلغ الربع من ثمنها الاصلى وعند العرس يحضر الزوج داره ويبقى بيته فارغا الا أحد مقاصيره منه لا يجعل فيه ما لا تأتى به المرأة كما يجعل الاسرة فى البيت والساعات والمرايات والبساط وقبل ليلة العرس بيومين تستدعى الاحباب من كل على ان تكون الملاقاة فى أحد المساجد عند صلاة العصر ان دعاه الزوج وأما المدعوون من أب الزوجة فيقدمون الى

داره ثم يقدم أب الزوج أو وكيله مع من دعاه لدار الزوجة وبعد الجلوس والدار مزينة وبوسطها جميع الجهاز الذى أحضر للعروس ليرفع لداره على هيئة منظمة يخطب الخطيب وهو أحد الشهود المتخذين الشهادة صناعة وتارة لبعض الاعيان يخطب أحد أهل المجلس الشرعى أو غيرهم من العلماء ويقع الايجاب والقبول ولا يكون من الزوج والزوجة بأنفسهما بل ان كان لهما أب فهو أو ولى أو ولى آخر أو وكيل وبعد ذلك تقرأ الفاتحة من الحاضرين الذين يبلغون أحيانا الى ألف فما دونها وتضيق بهم دار الزوجة وربما لا تحملهم الدار لانه كثيرا ما لا يتفاهم الاصهار على عدد المدعوين وان وقع التفاهم وكانت الدار لا تحملهم جعل العقد فى أحد المساجد ليسع الجميع ثم يسقى الحاضرون ماء محلى بالسكر فيه أنواع الطيب ثم يرشون بماء الطيب وينصرفون الا الخواص من الاحباء فيرفعون الجهاز على حيوانات ويطاف به فى البلاد ليرى ويسمع ويسمع واع وتفرش به بيت الزوج وقبل ليلة العرس بيوم تصنع وليمة بالحلويات الخفيفة على مائدة مستطيلة كبيرة فى احدى البيوت حولها كراسى ويدعى اليها مئات من الناس من أول النهار الى ما بعد نصفه كلما جاء فوج أدخل أعيانه ليرى بيت الزوج ثم أدخلوا جميعا الى المائدة فيأكل كل شيأ يسيرا من الحلو ويشرب قليلا من المشروبات الملونة الحلوة ويقرؤن الفاتحة وينصرفون ثم ترفع المأكولات والمشروبات لتعود كاصلها ويدخل اليها فوج آخر وهكذا الى الختام وقد يعوض عنها بعشاء فى النصف الثانى من النهار وهو يحتوى على مطبوخ من اللحم والطير والسمك والحلويات على مائدة واحدة وتدخل عليه الناس أيضا كما مر غير ان الاكل منه أكثر من السابق وان لم يكن حقيقيا لا شبع وقد يعوض عن الجميع بوليمة ليلة العرس لمجرد أحباء الزوج وأقربائه ثم يؤتى بالعروس بعد الغروب هى وقرابتها فى كراريس يرسلها الزوج أو وليه ويذهب للاتيان بها أحد قرابات الزوج ويهدى الى العروس فى ليلة العرس ما يسمى قمصان الدلال والهدية على أقرباء الزوج وكذلك فى ليلة الوطئة الكبرى وهى قبل العرس بثلاثة أيام للحنة للعروس والمهدى قرابة العروس كما تهدى العروس للزوج وبعض الرجال من قرابته كابيه وأخيه شيأ من الملبوس وبعد خروج العروس من دار أبيها تجتمع حثالة النسوة اللاتى يرون الذهاب لدار الزوج ويوقدن تلك الشموع ويذهب معهن أقرباء العروس من الرجال ومن أتى لمصاحبتهم من أقارب الزوج لكن هؤلاء يمشون فى مقدم الموكب والآخرون فى آخره والنسوة فى الوسط ويصرن يولولن

فى

في الطريق ويدقون الابواب ويصرخون ياسعد ياسعد ثم يدخل الزوج على عروسه
ويعمل الخلوة الصحيحة ويخرج ولا يبات ولا يعرسون الا ليلة الجمعة والاثنين والخميس
ولا يعرسون في المحرم تشاؤما بسبب ما تقدم من كثرة المصار يف عضلت بنات من
يخشى على عرضه وتفقرت أقوام ولا حول ولا قوة الا بالله وقريب مما مر ما يقع في البلدان
والقرى يخرج فيه ذلك بعادات العربان وهي ان بعد الخطبة والعقد يرسل المهر ومعه
شيء من الملبوس أو المصوغ والطيب ثم أبو الزوجة يكسو ابنته وعليه شيء من لباس
الزوج ثم يأتي بالعروس لبيت زوجها في محفل على ظهر جمل مزين بالثياب الرفيعة
والحلي وحوله أفواج من قرابة الزوجين بأحسن لباسهم والطبل يعزف والبارود
يصرخ وتارة الخيل والفرسان تلعب الى ان تصل لبيت زوجها ويجعل لهم أبو الزوج
وليمة قسم للرجال وقسم للنساء فيعطى لكل شخص لحمة في يده من رجل أو امرأة
واللحم موضوع في قفة ثم تقدم قصع الكسكسو ولمن أخذ لحمة فوجدها عظما أن
يردها ويأخذ غيرها ثم يدخل الزوج على عروسه ويتزوجها واذ ذاك يطلق البارود
وتعلن النسوة بالولولة ثم يفرقون بين غناء وسرور والغناء من الغنائين والرجال تدهم
بالمال شيأ فشيأ لكن يعطون قطعا من النحاس فلا يصرفون كثيرا غالبا والنسوة
ضاربات خدورهن على جيوبهن وهن منصتات وتارة يغنين والرجال يسمعون كما ان
اهل الحاضرة يحضرون اهل الموسيقى في ليلة العرس وعند الوليمة ويحضرون عاهرات
مغنيات اذ مطلق النسوة لا تغنين أبدا ولو بين ايدي ازواجهن والغالب على اصحاب
الموسيقى ان يكونوا من اليهود لان أكثر المسلمين يتحاشون منها لما تقدم في مطلب
الصنائع وذلك كله في غير الموسيقى العسكرية فانها على النحو الاروباوي ومثلها
موسيقى الاروباويين في تونس ويصنع مثل ما تقدم ايضا ليلة السابع من العرس وهي
ختامه وتارة تجعل ولائم للولادة وحتى حضر احد كبار العلماء أسكت الموسيقى
لكن وقع التساهل في ذلك الآن واما المآتم فاذا مات انسان بكى عليه النسوة برفع
صوت وتارة ينحن عليه وقد قل ذلك ولله الحمد والمنة وعند خروج الجنازة يفعلن مثل
ذلك ثم عند الاتيان بما يغطى به النعش بعد الدفن يفعلن ذلك وعند الموت يفرغ بيت
الرجل مما بها من الاثاث واما المرأة فلا ثم يحضر قراء يقرؤن القرآن حوله وهو مكروه
شرعا للاجتماع على صوت واحد ولانه قبل غسل الميت ثم عند الغسل يؤتى بخواجات
يكبرون ويهللون بصوت عال وهو من البدع ثم يؤتى بالقراء والمنتسبين الى زوايا

الصالحين بعد التكفين وكل يقرأ اما القرآن أو أورادا للشيخ المنتسبين اليه وهو من البدع ثم يحمل على نعش وتارة يوضع فى تابوت من خشب ويحمل على النعش ويصير كل من أولئك الفرق يصيحون بالقراءة والتكبير وغير ذلك وهو حرام أو مكروه اذ قراءة القرآن فى الطريق لا تجوز لما فيه من النجاسة المحققة سيما بعض الطرق فى الحاضرة ثم يصلى عليه فى صحن المسجد أو عند القبر وهو الافضل ثم يدفن وتقف أقرباؤه للعزاء فيتعبون ويتعبون من تقبيل كل من قدم للجنازة وقيم الحلقة يصيح بقوله أثابكم الله كل خطوة بحسنة الخ من البدع ثم فى اليوم الثالث والسادس والخامس عشر والاربعين والعام يجعل فى دار الميت موكب تجمع فيه النسوة للبكاء سرا وتارة جهرا وتجتمع الرجال بالاستدعاء الا فى اليومين الاولين لمشاهدة قراءة القرآن والبردة وتارة تكون بتغن والحاصل أن جميع ما يفعل فى ذلك هو من البدع المحرمة لابتداعها فضلا عما تشتمل عليه من الافعال المحرمة لذاتها الا ما كان منها مشروعا كالغسل والكفن والصلاة والدفن واهداء الاكل لاهل الميت أيام موته لا فى السادس وما بعده وما أحق ذلك الموطن باتباع الشرع اذ هو واجب فى كل حال فضلا عن حال هو أول درجة من درجات الآخرة ومن ملحقات ذلك البناء لذات القبر وبناء القباب والرخام والاسرافات فى المقابر وهى أغلبها خارج البلدان الا قليلا فى الحاضرة وهاتيك البدع قليلة فى قبائل العربان لكن فيهم النائحات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

﴿مطلب فى اللغة﴾ لغة جميع أهل القطر هى العربية وهم أفصح من رأيت على العموم بالنطق بجميع الاحرف العربية الا القاف فيبدلها غير الحواضر بكاف أعجمية وقد ورد أنها لغة ويستند بعضهم حتى الى حديث لكنه مروى مناما ومن المعلوم أن مثل ذلك لا يبنى عليه حكم ثم اللسان وان كان عربيا فقد أدخلت فيه كلمات كثيرة بربرية أو أعجمية فمنها ما كان من أصل لغة السكان البربر كالفظ كشطة أى عمامة وتوأى الآن وللا أى سيده ولا زالت لغتهم فى جهات جبال ورغمة من الاعراض وجربة مستعملة فيما بينهم ومنها ما كان من لغة الطليان كالفاظ فيتو أى جيد ومركاتى أى تاجر كبير وكارته أى ورق اللعب ومنها ما كان من لغة الترك كقولهم هم كذا وهم كذا وقولهم فى النسبة قهواجى وبلغاجى وحماجى الى غير ذلك ومنها تحريف للاختصار كقولهم ما نحبش أصلها ما نحب شيأ ولهذا كثر استعمال الشين فى لسانهم حتى كاد أن تكون عندهم كشكلة مع أنهم يبتدؤن بالساكن والحاصل أن لسانهم عربى محرف وفى الحواضر

لا

لايذكر الانسان غيره الا بزيادة لفظ سى فيقول سى فلان وكانها مختصرة من سيدى ثم فى المكاتبات الناس على ثلاث درجات فيكتب الاكفاء لبعضهم سيدى فلان ومن كان دونه بيسير يكتب له السيد فلان ثم الاسفل يكتب له سى فلان واما اذا كان خادمه أو تابعه فيكتب ابننا أو ولدنا فلان وهى اصطلاح خطاب الوالى فى جميع مكاتباته الا للعلماء فيكتب الشيخ سى فلان ثم ان اللقب لابد منه فى الكتابة بحيث لا تجد انسانا بدون لقب والشهودين يدون فى كتابتهم الكنية لكن بالكنية العامة مثلا كل من اسمه على يكنى أبا الحسن وهكذا (واما) البوادى وغالب القرى فمخاطباتهم وكتاباتهم من دون تسييد ولا لقب وانما ينسبون الى الاباء فيقال فلان بن فلان وأغلب البلدان لهم نحلة فى لغتهم يكاد الماهر ان يعلم بها المتكلم من أى بلدة والغريب أن ذلك كائن ولو مع تقارب البلدان فان اريانة التى لا تبعد عن الحاضرة أربعة أميال لغة أهلها فيها نحلة بعيدة عن لغة أهل الحاضرة بل الاغرب أن اليهود الساكنين فى الحاضرة مع أهلها الحارة جنب الحارة ترى لغتهم فيها تمييز كبير عن لغة المسلمين فى كلمات كثيرة كقولهم الحين بفتح النون أى الآن وبلغة أهل تونس تو وكقلبهم الشئ سينا وغير ذلك وأظن أن العلة فى ذلك هى التربية من الصغر فى الدار فيجرى عليها اللسان ولو بعد الكبر والمخالطة وهذا واقع فى اللغات الاخرى أيضا فأصل اللغة وان كان واحدا لكن النحلة مختلفة كما فى أهل مرسيليا وباريس فى اللغة الفرانساوية وكما فى لغة أهل الاستانة وبقية الاناطولى فى اللغة التركية بل هذا موجود حتى فى أصل اللغة العربية فان قبائلها كل منهم له نحلة ولغة لا تفهم عند غيرهم وقد عد من معجزات نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معرفته بالجميع بل وقيل حتى فى غير اللغات العربية وليس ذلك بغريب ومما ثبت فى الصحيح فى اللغات العربية ما رواه القاضى عياض فى الشفاء حيث قال فصل وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى

وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من قبائل حضرموت وملوك اليمن * وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح * وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لاتلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفى كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال أين هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لأنس فى الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط وأكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه السلام فى حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك أى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر وأما كلامه المعتاد صلى الله عليه وسلم وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها مالا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله

عليه

عليه الصلاة والسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن الى ان قال وقد جمعت من كلماته التى لم يسبق اليها ولا قدر أحد أن يفرغ فى قالبه عليها كقوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين الخ كيف لا وقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ومنابع الحكم عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات

فصل فى قوة الحكومة الحربية والمالية

نفـــرا

٠٢٠٠٠ العساكر النظامية العاملة

٠٠٥٠٠ الخيالة غير النظامية العاملة

٠٠٣٠٠ العساكر المعروفين بزواوة العاملين

٠٠٣٠٠ العساكر المعروفين بالحنفية العاملين وكل هذين غير نظامى

١٤٠٠٠ الرديف النظامى

٠٢٠٠٠ الرديف من الخيالة

٠٧٠٠٠ الرديف من الزواوة

٠٤٠٠٠ الرديف من الحنفيه وكل الاعداد على التقريب لان الضبط غير متيسر

٠١٥٠٠ العساكر البحريه

٣١٥٠٠

٠٠٠٠٢ السفن الحربية بابورتان من نوع الكرويت

فرنـــك

١٤٠٠٠٠٠٠ دخل الحكومة مع انضمام القسم المعطى لاصحاب الديون ودخل الاوقاف

١٤٠٠٠٠٠٠ خرجها الاقليلا من فواضل الاوقاف

٤٠٠٠٠٠٠٠ قيمة متجر القطر الداخل والخارج

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثانى
بتاريخ أوائل المحرم الحرام سنة ثلاث وثلاثمائة وألف
فى المطبعة الاعلامية لصاحب التأليف الشيخ
محمد بيرم افندى الخامس وتحرر تصحيحه
على يد الفقير اليه تعالى
مصطفى محمد
قشيشه

و يليه الجزء الثالث افتتاحه الباب الثالث فى ايطاليا

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الاعلاميه بمصر سنة ١٣٠٣)

(تنبيه)

يوجد في جدول الاحصاآت بالجزء الاول ميم مفردة وهي علامة على مجهول و (لا) وهي علامة على معدوم أي لا وجود له وقد غفلنا عن اثبات ذلك في محله فأثبتناه هنا تنبيها للقارئ

(فهرست الجزء الثاني من صفوة الاعتبار)

صحيفة

صحيفه

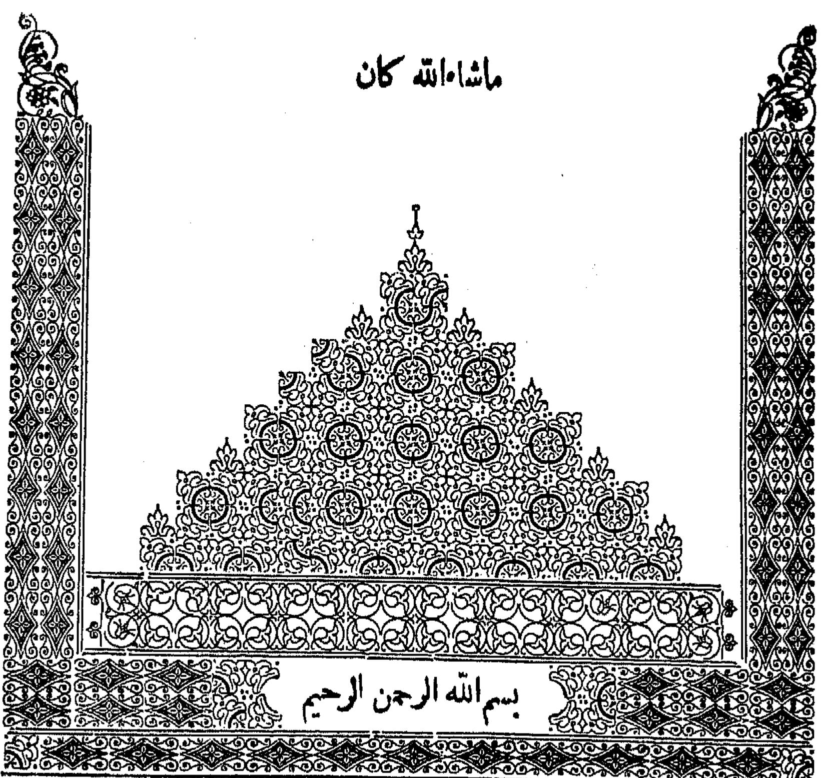
(تمت)



الجزء الثالث من كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء
وحيد عصره وفريد دهره
الشيخ محمد بيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿طبعة أولى﴾

﴿بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية﴾



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في ايطاليا

فصل في سفري اليها وما رأيته بها لما تكاثر بي المرض العصبي في صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره في الباب الاول من المقصد وأشارت على الاطباء بالسفر الى أوربا عزمت على ذلك في شوال سنة ١٢٩٢ الموافق الى أواخر نبر الاعجمي واستأذنت الحكومة فكتبت لي على عادة المسافرين بطاقة الجواز بالاذن في السفر من مرسى حلق الوادي وهي بطاقة عليها اشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرانساوي وتارة بالعربي وذلك على حسب المكان المسافر اليه فان كان بلدة أفرنجية كتبت بالفرانساوي وان كانت اسلامية كتبت بالعربي وهذه العادة بتذاكر الجواز معمول بها في أكثر الممالك وبعض الممالك يتركونها فلا يحتاج الداخل ولا الخارج لاذن وركبت من المرسى المذكورة في التاسع عشر من شوّال سنة ١٢٩٢ وكان معي خادمان أحدهما يتكلم باللسان الطلياني والفرانساوي والالماني والعربي وصاحبني في هاته الجهة العالم النحرير المتبحر في علمي المعقول والمنقول الشيخ سالم ابو حاجب احد افاضل مدرسي

جامع

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية في ايطاليا مع وزير الاستشارة أمير الامراء حسين في خصومة تتعلق باحد اتباع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمامة الذى كان مكلفا بقبض أموال الحكومة وشراء المهمات لها وخرج من القطر بدون تحرير للحساب معه كما مر في ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك في حدود سنة ١٢٨٩ وبقى يتردد بين فرانسا وايطاليا الى ان مات في بلد ليفرونو من ايطاليا وطلبت الحكومة من ورثته تحرير الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم خرج الورثة كما مر ذكر ذلك في ترجمة الوزير المذكور ولذا لزم الحكومة أن عينت أحد وزرائها وهو أمير الامراء حسين ومعه العالم الشيخ سالم لطالب الحساب وتوقيف التركة فذهبا الى هنالك وباشرا النازلة وطالت المدة فرجع الشيخ المشار اليه الى تونس لبعض مصالح ثم عاد الى مأموريته وكان من المنة الالهية التصاحب معه فركبنا باخرة البريد الطليانى المسماة بفوريا ونزلنا في الطبقة الاولى وكان كراء الواحد فيها من تونس الى نابلى مائة وعشرين فرنكا وأما في الطبقة الثانية فثمانون فرنكا وأما في الثالثة فعشرون فرنكا لان الاولى والثانية كلاهما يعطى الاكل والفرش بخلاف الثالثة فانها للحمل فقط مع الاختلاف في المكان والفرش والاكل فكل بحسبه فأقلعنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بخمس ساعات وكان في البحر شيء من الاضطراب فحصل لى شيء من الدوار واشتد الامر لما جاوزنا رأس غار الملح فاضطجعت في فراشي وأوفق الحالات للانسان هي الاضطجاع وهذا الدوار البحرى من أشد الامراض لمن يصاب به وبعض من الناس لا يعتريه شيء منه وان لم يكن متعودا وقد كنت قبل الركوب استعملت باشارة الطبيب ثلاثة حقنات في الجلد من العلاج المسكن لكى لا يزيد على ألم البحر الالم العصبي ومن فضل الله لم يعترضني ذلك الالم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك الى ان وصلنا الى جزيرة سردانيا واقرب مرسى كالارى فدخلت الباخرة في جون محاط بالجبال عن بعد فسكن البحر ونشطت وهو من غرائب مرض البحر اذ شدته تقضى ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الا قليلا ولما نشطت صعدت الى سطح الباخرة فرأيت الجبال محيطة بنا وهي جبال أكثرها صلدة لا غابات بها ومنظرها اليبس بحسن وأقلها خال عن العمران لان التمدن لم ينبسط في تلك الجزيرة ولم نزل سائرين في ذلك الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال في الساعة الى ان أرسينا في مرسى كالارى التى هي تابعة لايطاليا وكان ذلك صبيحة يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

بالمرسى مبنية بالرصيف لأمن السفن بحيث تستطيع أعظم سفينة أن تلتصق بالبر مع الامن من اضطراب البحر واللاصقة بالبر ينزل سلمها على ذات البر وفي المرسى كثير من السفن والبواخر لان موقعها متوسط فيأتيها البريد من جهات و يفرق على بواخر كل تذهب الى جهة من الممالك المشرقية والمغربية ثم يحمل من الجزيرة في السفن الملح والغلال والاثمار الى كثير من الجهات ثم نزلنا من الباخرة في زورق كراؤه فرنك واحد والزوارق كثيرة تحيط بالبواخر وأصحابها سيئو الاخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب قبل المساومة في الاجر فاذا نزل طلبوا منه أضعاف القيمة وربما سرقوا ما وجدوه معه ان امكنهم وذلك ديدنهم في كل المراسي لكننا ساومنا قبل الركوب ودخلنا البلد فاذا هي بلد غير متمصرة وأغلب طرقها ضيق وأبنيتها على النحو الاوروباوي الآتي بيانه ولا تزيد طبقات دورها على أربعة وهي بلدة متصاعدة في الجبل وطرقها جميعا مبلطة فالذي تمر فيه العجلات يكون مرصصا وغيره محجر بحجارة غير مسواة ولذلك كان منظرها والمشي بها متعبا وترى الحبال ممتدة بين شبابيك الديار من احدى الجهات الى ما يقابلها لنشر الثياب المغسولة عليها وفرش الديار مثل الفرش الاوروباوية وبأعلى البلد بستان عمومي منتزه للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية لبسط العامة عشية الاحد والاعياد وفيه ماء نابع حلو وبه أشجار صغيرة مهيا آت للبيع في أوقاتها وفي البلد منازل للمسافرين منها الحسن ومنها ما هو دونه وبها حوانيت وبطحا آت غير متسعة جدا وبها قهاوي ويباع بحوانيتها جميع ما يوجد غالبا من الضروريات والحاجيات والتحسينيات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم في مبادئ الفنون وبها مطابع أيضا وفيها صحف يومية نحو الاربعة وهواء البلد ردىء تكثر فيها الحميات في الصيف لمجاورتها السبخة وهاته السبخة يستخدم فيها أصحاب الجرائم الثقيلة المحكوم عليهم من محاكم ايطاليا وفيها معمل كبير من البناء لذلك يجلب له الماء في قناة من البناء مجتازة قرب شاطئ البحر ظاهرة للناظر وبسبب تلك السبخة فسد هواء كالارى حتى يقال ان عدد أهلها كل عام في نقصان وقد شرع في مد طريق حديدية من هاته البلدة التي موقعها في الجنوب الغربي من الجزيرة التي هي مستطيلة من الجنوب الى الشمال وينتهي الطريق في الشمالي الشرقي من الجزيرة غير انه لم يتم الى الآن ولا زال العمل فيه ثم اهل البلد على قسمين (الاول) الاعيان والوافدون وكلاهما لباسهم مثل لباس الاروباويين (والثاني) بقية الاهالي ومثلهم بقية سكان البوادي والقرى في الجزيرة

يلبسون

يلبسون جلود الغنم بصوفها فالصوف مما يلى البدن والجلد من أعلى وهيئة اللبس هى صدرية ومنتان وسراويل نحو السراويل التونسية لكن يجعلون على الساق ألبسة مربوطة والنعال خشنة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عرارق من الصوف أو قلانس من الصوف المنسوج طوال مدلاة على أكتافهم والنسوة يلبسن قريبا من نسوة أوربا لكن على شكل غير نضر وفى أرجل أغلبهن قباقب من خشب ولغتهم طليانية والغالب هو عدم التمدن والاكل رخيص هنالك فالقهوة الثلاثة منا طلب صاحبها منا ستة صولدى والفرنك به عشرون صولدى كل صولدى خمسة سانتيم ثم ركبنا باخرة أخرى وهى التى توصلنا الى نابلى بعد ان أحسنا الى خدمة الطبقة التى كنا فيها وذلك من اللوازم فى البواخر وكذلك الاحسان لخادمى المطاعم والقهاوى ومقدار الاحسان نحو خمسة فى المائة مما يدفعه الدافع فان كان أقل نوزع فى ذلك وان زاد شكر ونقلنا رحالنا الى الثانية فاقلعت قرب الغروب وتوجهنا الى نابلى فلم تزل الباخرة سائرة والبحر ساكن الى أن خرجنا من الجون والتفتت الباخرة متوجهة الى الشرق وأرخى الظلام سدوله فنمنا فى مضاجعنا الى الصباح فاستفقنا بكرة وحيث كان البحر فى سكون كان يستطيع الانسان أداء جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على أكمل حال وبعد شروق الشمس أول ما كتشفنا قرب نابلى جزيرة اسكيا وبها جبل مرتفع وهى تحتوى على قرى كثيرة ولها منظر جميل من بعد لارتفاع مبانيها وتزويقها من خارج ثم ظهر بركان نابلى وهو جبل مرتفع متصاعد من قنته دخان ثم وصلنا الى مرسى نابلى والبلد فى سفح الجبل وهى أكبر مدن ايطاليا وكانت تخت الملك النابلطان وسكانها نحو أربعمائة ألف نسمة وهى محيطة بجون فى البحر على شكل هلال والمرسى فى الوسط وهى مرسى صناعية أكبر من مرسى كالارى غير أن السفن فى وقت وصولنا اليها أقل من الاولى فتعرض لنا عند ارساء الباخرة أحد المعارف فى زورق لانه بلغه خبر قدومنا بسلك الاشارة من كالارى فاصطحبنا جميعا ومررنا بوسط الكمرك ونظر المكلفون به رحالنا فلم يجدوا به شيأ يؤدى الكمرك سوى شئ من النشوق وماء الزهر فاخذوا ما عليهما من الضريبة ثم ركبنا بكروستين من الكراريس الموجودة فى بطحاء الكمرك مهيأة لمن يريد الركوب وهى كراريس نظيفة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذى يفتح سقفه الى خلف ومثلها موجود فى أغلب الجهات الكثيرة العمران من البلاد وتجرها الخيل وأما عجلات حمل الاثقال فتجرها الخيل والبغال والبقر وهكذا فى غيرها من البلدان غير ان البقر

لا تستعمل في الجر في أعالي ايطاليا وفرانسا ثم نزلنا باحد منازل المسافرين بعد أن ردنا فيه
بيوتا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبقات له شبابيك تفتح على نهج واسع
يسمى طريق البوسطة وله شبابيك على بطحاء واسعة بها فوارتان للماء العذب المجلوب
من الجبل الموزع على البلد وعلى ديارها وسائر مساكنها وكان الكراء لاربعتنا في اليوم
للسكنى والأكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه
الانسان يؤتى به اليه لكنه يحسب عليه بثمنه كالورق للكتابة والشمع وغير ذلك بحيث
انه كلما يطلبه يجده وانما ينبغي للانسان أن يساوم مدير المنزل قبل الاتيان بالشئ
المطلوب والا فانه يحمل عليه باسعار باهظة وأما الاشياء الضرورية فهي داخلة في
اجرة السكن والاكل وهي ان يجد الانسان بيتا ذا فراش للنوم بغطائه ولوازمه وكراسي
مكسوة بالحرير وخزنة وعليها مرآة وساعة وسائر الضروريات ومصباح وشمعة
ومائدة لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا
سائر الضروريات الا الأبريق للمستراح فينبغي حمله الى جميع جهات أوربا اذ لا يوجد
عندهم وليسوا يتعودين عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية والنظافة كما
انهم في أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الاكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الانسان يديه
ووجهه في بيته ويأتي بيت الطعام بثياب نظيفة غير ان من أراد غسل فمه وأصابعه بعد
الاكل فله أن يطلب من الخادم في بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بصحن فيه
قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كاس به ماء حار قليلا مخلوط بشئ من روائح الطيب
فيتمضمض به ويمج الماء في القدح ويدخل أصابعه في الكاس ويمسح بها شفتيه ثم يتمسح
في منديل ثم ان بيت السكنى مفروش بالزرابي وعلى أبوابه أردية رفيعة وهو في غاية
النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهيئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعو الساكن الخادم
فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الاكل صباحا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل
واردية الفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهيئ
للاكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة اخرى لحضور الساكنين من
بيوتهم الى بيت الطعام وهو بيت متسع فيه مائدة كبيرة أو أزيد يجلس عليها
الحاضرون فوق كراسي ويفرق عليهم الاكل سواء والاغلب أن يكون أربعة أنواع أو
خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الجبن ثم فاكهة ثم ينصرفون ومن أراد
الاكل في بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه بزيادة في الثمن أو يعطى أقل من ألوان
المائدة

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو فى الاغلب بعد الفطور بسبع ساعات ولما كان المسافر يريد التفرج فالاولى أن لا يكترى المنزل الا للسكنى وأما الاكل فيجعل له سوم خاص لكل أكلة ان حضر أكل والا فلا يحسب عليه شئ لكى لا يلزمه الحضور والاكل فى محل واحد أو انه يخسر ثمنين للاكل باعطاء ثمن الاكل فى منزل السكنى ثم فى المكان الذى يأكل به واذا خرج المسافر يقفل بيته ويعطى مفتاحه لصاحب الباب لكى يكون رحله فى أمن اذ يعترى السرقة فى البيوت أحيانا سيما فى نابلى ولا يطالب صاحب المنزل بما يسرق الا اذا كانت الاشياء المسروقة ضروريا وضعها فى البيت كالصندوق وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولذلك ينبغى ان له شئ من ذلك ان يحمله معه أو يضعه فى أحد البنوك لان وضعه عند صاحب المنزل مخطر وان أخذ منه حجة فى ذلك اذ يحتمل افلاسه فتذهب الامانة سدى ولذلك يكون الاوفق للمسافر أن يحمل معه من المال العين شيأ قليلا وبقية ماله يصرفه بتذاكر بانكات معتبرة كبنك فرانسا أو انكلترة ويحملها معه اينما ذهب لخفتها ويستريح ومهما أراد عين المال يصرف تذكرة من تلك التذاكر عند أى صراف أراد بل ربما ربح فيها اذ خصوص تذاكر البنك الفرانساوى والانكليزى يرغب فيها أزيد من المال العين ولذلك يؤخذ عليها نصف فى المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذاكر بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف فى غيرها لكنها وفى ذات مملكتها تعطى الصرف أقل من قيمتها فمثلا التذكرة المسمى بها مائة فرنك من بنك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطى مائة فرنك عينا وتأخذ مائة وثلاثة عشر ورقا وهاته الاوراق هى التى بها الرواج فى ايطاليا بحيث انها هى المعنية عند الاطلاق وفى ايطاليا عدة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذاكر بنك الدولة فانها تروج فى جميع ايطاليا سواء وأما تذاكر بنوك صيارفة أخر فلا تروج الا فى خصوص البلدان التى فيها البنك فمثلا تذاكر بنك نابلى لا تصرف فى رومة أو غيرها من مدن ايطاليا فضلا عن غيرها فينبغى لمن سافر أن يتنبه لهذا وقد أقمنا بنابلى ثمانية أيام وتفرجنا على أغلب جهاتها وغرائبها وأشهر طرقها الحسنة البهيجة هو طريق توليدو وهو متسع عامر بهيا وشمالا بالقصور الشاهقة وبأسفلها الحوانيت للبضائع والتحف الانيقة ويقرب منه فى المنظر طريق الموسطه وطريق الدوموثم طريق جديد يسمى فوريدو وهو أوسع من غيره وأنزه وعلى حافتيه الاشجار لكن القصور التى حوله لم يكمل انتظامها اذ ذاك وهو فى الجهة العليا من البلاد وبها عدة بطحاآت أشهرها وأكبرها التى أمام قصر

الملك ويحيط بها قهاوى ومحلات للاكل ومن المبانى الشهيرة التى رأيتها فيها قصر الملك الذى فى البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار ونوابع مياه تطل عليه شبابيك القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها لسكن الملك هى الطبقة الثانية وهو قصر ضخم متقن البناء والتحسين والتزويق يشتمل على كنيسة وعلى ملهى خصوصى للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها فى السكنى من فرش وأوانى طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منتظم كان الملك ساكن فيه والحال أنه لا يأتيه الا أحيانا فى بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لان مقر الحكومة مدينة رومة لكن لما كانت نابلى سابقا قاعدة مملكة النابلطان وكانت ملوكها مستبدين أشادوا وانشاؤا قصورهم وبقى التحفظ عليها على ما كانت عليه ولها خدمة ومكلفون حتى ان الملك اذا قدم الى هنالك لا يستحق لجلب شئ معه سوى ملبوسه ويمكن له عقد الولائم الحافلة هنالك كأحسن ما تصنعه الملوك وهكذا فى كل بلد كانت قاعدة الملك فى ايطاليا وبلصق هذا القصر الملهى الكبير المسمى بصان كارلو وله منفذ من القصر الملوكى وهو من أكبر ملاهى أروبا وأتقنها ضخامة وتزويقا ويحمل من المتفرجين نحو ألف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فمنها أربع طبقات كل واحدة تشتمل على احدى وثلاثين بيتا ومنها طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية وعشرين بيتا وكل بيت تجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التى فى صدر الطبقة الثانية مواجهة للملعب هذا عدا المحل العمومى فى الوسط الذى به مقاعد عددها ستمائة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذ ذاك منذ سنتين اقتصادا من الحكومة لانه يلزمها فى كل ليلة لفتحه ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة فرنك لان دخل المتفرجين لا يكفى مصاريفه ومما شاهدته أيضا قصر الملك الذى خارج البلد فى رأس الجبل ويسمى كابودى منتانى وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوته بها فرش عتيقة جدا لملوكهم الاقدمين موضوعة هنالك للتفرج عليها وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته حتى كان منها بيت مملوء بصور أجساد آدميين متدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب اختلاف الزمان ومنها صور فرسان بخيلهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم والدروع كانت حقيقية مستعملة حقيقة فى الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن

حتى

حتى بالرصاص من المكاحل وبقيـة بيوت القصر خاوية والجميع بناؤه أنيق ثمين وشاهدت أيضا أكبر كنائسها وهى كنيسـة صان جينارو وهى ضخمـة ذات أعمدة من المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث يبدو ما تحته والحال انه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضا أكبر مارستان لهم وهو ❁ ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراشين وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربع وهو على سرير من خشب يحتوى على فراش وعليه ازار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لابس القميص وعلى رأسه قلنسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الابيض وكل بيت يحتوى على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع ولكل بيت خدمة بالاجرة يوفون للمرضى بجميع لوازمهم واعطاء الدواء فى أوقاته حسب اشارة الطبيب وزيادة على ذلك كثيرا ما تأتى نسوة من الاعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرأفة بهم حنانا منهم ورغبة فى عمل الخير وللمارستان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر عليها ومنهم من يداوى مجانا ما رغبـة فى الخير أو لاتمـام تعلمه لفن الطب حتى يأخذ الشهادة ممن له الاجازة على قوانين لهم فى ذلك وللمارستان أيضا بيت أدوية ومواعين الجراحة والدواء وفيـه قسم للرجال وآخر للنسـاء المرضى وهكذا كل مارستان غير ان بعضها يداوى مجانا وبعضها له أماكن لمن يريد التطبب من ذوى اليسار فيعطى مقـدارا معينا يوميا والمستشفى يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوى فى المستشفيات لانها أتقن من مساكنهم سيما فى التحفظ على ما يتعلق بالدواء واداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير الاطباء الذين يلزم لاتيانهم لمساكن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين فى المستشفيات أنقى وألطف وأبهى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يبقى فى بيت خاص به صغير موافق فى الهواء بحيث ان جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على مقتضى الحكمة الطبية ثم ان مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها ما تقوم به المجالس البلدى ومنها ما تقوم به لجنات من الاهالى وهذا فى كل جهات أروبا سواء ويقبلون الصدقة ممن يريدها ولو من السواح وشاهدت فيها أيضا الدار التى بها الآثار العتيقة ومنها الاشياء التى استخرجت من بلدة بونباى التى يأتى خبرها وهاته ❁ الآثار لو أراد الكاتب استيعابها لالزم لها مجلد ضخم اذ هى مشتملة على أنواع وأشكال شتى من أقطار مختلفة فمما جلب من مصر المومى وهى ذات انسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شئ سوى ان اللون اسود وجوفه
مثقوبة لاخراج جميع احشائه وبقية حاله على ما كان عليه وفي هاته الدار نحو اربعة
أجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لا تختلف عن ذوات البشر
الموجود الآن لكن ليس فيهم ذو جسامة ولعل ذلك بسبب ان الميت المصبر انما يكون
عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالبا الا بالامراض والامراض تضعف الاجسام فلذلك
كانت أجسام المومياء ضعافا والاقان التصبير يحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك
النوع من التصبير قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطلع عليه
* فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار أيضا قطع من
ثياب منسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانتو وهو الآن معروف وموجود
لكن كيفية تمديده حتى يصير مغزولا وينسج منه مجهولة الآن وقد كان في الاعصر
السالفة معلوما ومن فوائد تلك الثياب انها لا تحرق واذا توسخت فغسلها بالنار وهي
ثياب لينة تنطوي فيما انها ثخينة ومن غرائبها أيضا ما وجد من آثار بونباي وهي أشياء
كثيرة من المأكولات وغيرها فرأيت فيها التمر والقمح والزيتون وغير ذلك مما مضى عليه
الفاسنة او ازيد لم يتغير منه شئ سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه أيضا لم يتغير
وسمعت انهم زرعوا حبوبا مما وجدوه كالقمح ونبت واثمر مثل الجديد مما يدل على أن
النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن
الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعة المنضمة في اماكن محفوظة نظيفة وعليها
قيمون وتفتح يوميا لمن يريد التفرج بأجر زهيد وتسمى هاته الدار موزاي ناسيونال ومما
* شاهدته في نابلي دار الفنون المسماة اونيفرسيتادي نابلي وهي يعلم بها فنون الطب
والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة
والهندسة والابعاد وجر الاثقال ولكل فن قسم ومدرسون وبها محل لاجسام
الحيوانات فيه أغلب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات
البحرية لكنها كلها ميتة مجعولة بوا أى منزوعة اللحم وغيره مع التحفظ على هيئة الجلد
ويحشا الجلد هامدا ونباتية ويرسم على هيئة أصل الحيوان حيا وتجعل عيناه من زجاج
فيراه الناظر كانه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع
* في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها واغرب ما رأيته من حيواناتها ولم اره
في غيرها عصفور في حجم القملة ملون الريش وذيله ذو ريشتين فقط طويلتين كل منهما
في

فى طول ما يقرب من الشبر لها الوان جميلة وكذلك رأيت فيها تنين البحر أعظم حجما من الفيل لكنه أقصر منه لان جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من رأس الفيل وعيناه واسعتان جدا وفمه مفتوح وجلده منكمش وبجملته له منظر بشع منفر ويوجد فى هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواره منذ يتكون مضغة الى ان يصير شيخا فانيا ثم يوجد تشريح اعضائه منفردة سواء كانت ظاهرية أو باطنية ذكورية أو أنوثية وجملة جسمه من الجاميع الاصلية كل منها منفرد عن الآخر فتجد جسما ليس فيه الا العظم فقط على نحو خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير ان بعض هاته الاجسام هو حقيقى وبعضها صورى من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى كانه هو الاصل لان اللحم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره فى الهواء وكذلك توجد أجسام المولودين على خلاف المعتاد كمن يكون وجهه فى بطنه وآخر ذو ثلاثة رؤس الى غير ذلك وكلها مصبرة فى زجاجات كبيرة مملوءة بمياه روحية لكى تقى الجسم من التعفن وفى هذا المحل يتعلم فن التشريح الذى هو جزء من الطب وفى هذا المحل أيضا خزنة كتب عظيمة بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع الا النادر بخط اليد وبها كتب عربية كثيرة فمما رأيته فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجرى ثم كتاب يسمى الكمال المسيحى للراهب الفونس رودريكوس موضوعه تعاليم ديانتهم وهو فى مجلدين ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على توراتهم وانجيلهم مكتوب بلغات ستة وبخطوطها واللغات هى العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجارتياتو والسريانية بنوعيها ويوجد بهاته الخزنة الكتبية كورتان محيط دائرة كل منهما نحو ثلاثة ميترو احديهما صورة الفلك وأخرى صورة الارض مرسوم بهما خريطات متقنة مكتوب عليهما بالخط العربى الثلثى الجميل قيل انهما من صنائع علماء الاندلس وبقرب نابلى على مسير نحو عشرين دقيقة فى الرتل بلدة بمباى وهاته البلدة كانت منذ الفين سنة مصرا متمصرة وكان أهلها مولعون بالانكباب على الشهوات وقساوة القلب حتى ان من ألعابهم فى الملاهى والمراسح أن يخرجوا الحيوانات المفترسة ويلقون اليها بالناس الذين يريدون عقابهم فتختطفهم الحيوانات وتمزق أجسامهم شر تمزيق والمتفرجون محدقون فى البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم يكن ذلك مقصورا على رجالهم بل حتى النساء اللاتى هن أرق طباعا كن يتهورن وينبسطن من مثل تلك المناظر وتمادى تمرد أهل تلك البلد على جورهم وقهرهم فأرسل

الله عليهم هيجان جبل الفيزوفيو الذي هو بركاني وهو بقربهم على نحو ثلاثة أميال
فزلزلت بهم الارض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار الى الفضاء خارج
البلد فأدركهم سيل العرم من النار التي قذفها الجبل فاحمر الافق بعدان أظلم واحلولك
وطاف عليهم طائف من بحر النار فأهلكها وكل من فيها في بضع دقائق وتراكمت عليها
المادة السيالة النارية حتى صار مكان البلد وما حولها جبلا وامتد الى البحر وسبحان
الملك القهار وتمادى عليها ذلك الحال وتنوسي أمرها الان الواقعة وقعت عليها قبل
التاريخ المسيحي بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزرع والنبات ففي عشرة
الثمانين والمائتين وألف هجرية كان أحد الزراعين هنالك يحرث فنشب محراثه في
عروة احدى الاواني التي كانت في البلاد فبحث عليها فتراءى له ما ظنه كنزا وتبين انه كنز
رفيع وهو البلد الغابرة فعينت دولة ايطاليا مقدارا من المال سنويا وكلفت مهندسين
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئة بنائها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
مستمرا الى الآن وانما كان السير بطيئا في العمل لان المادة النارية تحجرت وصارت
صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتعسر الفرق أولا بين ما كان من البناء وبين
ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كلما وجد بها اذ ما كشف عليه وجد
كأنه على حالة أصله فأرباب الصناعات والمحلات على الهيئة التي أدركهم عليها الغرق
والحرق والردم معا وكل الاجسام التي وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء لها سوى
الاجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء لها تضمحل فعمل العاملون حيلة لابقاء صور
الاجسام بان جعلوا كلما تفطنوا لمس آلة الحفر لجسم حيواني أتوا بالجص وحلوه في الماء
ورفعوا ذلك آلة الحفر عن المحل الذي لمسته وأبقوا الهواء مماسا للجرم الحيواني من ثقب
آلة الحفر فينتفش الجسم في الهواء ويبقى محله في المادة النارية خاويا فيصب فيه الجص
وعند جفافه وانعقاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
ورأيت في بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبل ومما يدل على جراءة أولئك
الاقوام في ذلك العصر وتجبرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوقاع حتى كان منها
جنازة رجل وامرأة متداخلي الارجل لكن الرجل لما أدركه الموت انزعج على قفاه وهو
ناعظ وبقيت المراة على حالتها منكبة على وجهها ومقعية على ركبتيها فانظر الى ذلك
التجبر مع سابقية الزلزال ولم يؤثر في شهوتهم حتى أدركهم الهلاك على شهوتهم وأما أبنية
تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها انهدم بالزلزال وما بقي منها قائما منه المتصدع والمنشق

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون الحائط ضيقا نحو ذراع فما دون والسقوف
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تكوّر او ينظمون تقابل الابواب فاذا
دخلت بابا الى دار من الطريق تجد سقيفة مربعة ثم بابا الى وسط الدار وفيه أربعة أبواب
الى كل بيت واحدى البيوت وراءها جنينة وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالدكاكين
وجهة الوسادة بناء مرتفع يسيرا على سطح السرير ولا تختلف دور الاغنياء عن غيرهم الا
بالكبر والصغر ولكل بيت طواقى الى وسط الدار وكل الطواقى والابواب متقابلة
والحمام الذى رأيته فى البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن فى البلاد الاسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب ورأيت محل الحكومة
وتحته السجن وعند مجلس الحاكم عند رجليه طاقة يطل منها على المسجونين أسفله
والسجن مظلم لا يتخلله الهواء ولا الضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملاهى الاروباوية غير ان مرسح اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلطة بالحجارة الصلبة المنحوتة ومنقسمة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق
منخفض عن جانبيه لمرور العجلات ومفروض لها على جانبيه سكة لمرور ذات العجلة فيها
وعن اليمين والشمال محل مرور الماشين وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة ميتر وفى محل
مرور العجلات يقسم وسط الطريق بحجارة منحوتة مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها
نابتة على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها وتتلاقى على زوايا حادة
غير ان كل طريق لما كانت لا تمر فيها الا عجلة واحدة حسبما هو مفروض للعجلات فيلزم
بالضرورة ان تكون كل طريق لا تمر فيها العجلة الا لجهة واحدة كى لا تتلاقى
وفى محل الادارة لكشف تلك البلاد محل لوضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلى وتوضع فى محل الآثار القديمة كما مر والمادة النارية المتصلبة يصنع منها تحف كثيرة
فى نابلى وفيها سوق نافقة وجميع الاماكن المعدة للتفرج اما أن يدخلها الانسان
بأجر قليل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليها سهل بواسطة إحد
الاعيان أو نواب الدول وقد أعطانا تذاكر الدخول قنسل الترك وقد اجتمعت فى نابلى
بأكبر حكامها وهما توماسى وكنتانى وكان الثانى يعظم الاول جدا لكبر سنه حيث
أنه بلغ نحو الثمانين ولمشيخته عليه وكانت أجرة كل منهما فى كل زيارة ستون فرنكا
وبقيت فى نابلى ثمانية أيام وكان المسافر فيها يقدر أن يقيم كل يوم متوسط المعيشة
باربعة فرنك يوميا للاكل ويقدر أن يأكل فى المحلات السافلة بنصف فرنك يوميا كله

فى المحلات العالية بعشرة فرنك فى الاكلة الواحدة وقد دعانى هنالك أحد أعيان البلدة الساهرة فى داره حيث كان حبيبا الى مصاحبنا من أهل البلد فرأيت كيفية مسامرتهم ورقصهم وفى آخر يوم من اقامتى بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة اضطربت علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلد رومة وكان ذلك صباحا ولما وصلنا الى قرية كزرتا التى هى قريب نابلى مسير نحو ساعتين فى الرتل نزلنا هنالك وتغدينا فى احدى منازل المسافرين وأمامه صناديق حوائجنا فانها ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وتنتظرنا فى الكمرك فى محطة الرتل الى ان نقدم الى هنالك ثم ذهبنا الى قصر الملك فى بستانه المسمى بقصر كازرتا فاذا هو أعظم وأتقن قصر رأيته من جهة التأنق فى مواد بنائه المتخذة من الاشياء الباقية كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المنحوتة وان كان غيره أشد تأنقا من جهة صناعات النقش والتذهيب والتزويق وهو مربع الشكل كل جهة منه فى طول مائتين ميترو وأمام الباب بطحاء عظيمة على جانبيها أماكن للعساكر فاذا دخلت من الباب تجد القصر منقسما الى أربعة أقسام وكل قسم فى زاوية يشتمل على بطحاء وله مطالع الى القصر والمطلع الكبير المعد للوقت الرسمى يشتمل على مائة واحدى عشرة درجة من المرمر المورد اللون كل واحدة فى قطعة واحدة الا قليلا منها فى قطعتين طول كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدمان وارتفاعها ستة أصابع ومبدأ الدرج منفرد فاذا انتهت الى نصفها رجعت الى قسمين يمينا وشمالا فينتهيان الى ايوان عظيم مرفوع سقفه على ستة عشرة اسطوانة من المرمر المزركل فى قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو عشرة أذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان الكامل الاحاطة به بذراعيه ومنه يدخل الى البيوت الفخام المتناهية أنواع السقوف وكسوة الحيطان والارض بانواع من المرمر أو الطلى أو الموزاييكو أى القطع الصغيرة من المرمر كل قطعة نحو الانملة من لون مرصفة على أشكال بديعة أو من المنسوجات الصوفية أو الحريرية من المصانع الشهيرة فى العالم ويحتوى القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طبقات وقد تم منه بالبناء والادوات داخلا وخارجا ثلثه والثلثان لم يتم منهما الا بناء الحيطان والسقوف وبقيا ناقصى الادوات وليس فى القصر شئ من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفى منتهاه جبل منحدرة منه عين ماء عظيمة مجعولة على نحو شلالة لانحدار مائها دوى واذا قابله الداخل من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كأنه منارة متصاعدة فى الجو من الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك الماء نهر وبحيرات بها كثير من الطيور المائية وأنواع السمك.

السمك ويحتوي البستان على مماشي وغياض متقنة ذات أنوار وأزهار كما يحتوي على آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركبنا قرب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو احدى عشرة ساعة وليس هنالك من العمران مثل ما في خيره بل أكثر الاراضي معطلة والجبال لا منظر جميل بها وانما توجد القرى وما حولها معمورا نسبيا وكانت القرى تبعد عن بعضها في أكثر الاحوال سير نصف ساعة في الرتل فوصلنا بلدة رومة التي هي تخت المملكة بعد نصف الليل وفتشوا في الكمرك رحالنا أيضا مع انا قادمون من احدى بلدانهم وذلك لان لكل بلد اداءه على ما يدخل اليها لمصالحها الخاصة زيادة على ما تأخذه الدولة من الكمرك العمومي ونزلنا في احدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التي وجدناها في الكمرك غيرانا وجدناها سرق منها برنس ووقع الخلاف بين مستخدمي المحطات فيمن سرقه فجماعة رومة يتهمون جماعة نابلي وهم يتهمون الآخرين والحاصل ان البرنس ضاع وسببه هو خروج طرف منه عن غطاء الصندوق فامكن للسارق جذبه ثم أقمنا برومة ستة أيام واجتمعت بأشهر أطبائها وهو الحكيم باشلي الذي هو أحد اعضاء مجلس النواب واجمال صفة هاته البلدة انها بلدة وسيعة سكانها نحو ثلاثمائة الف نسمة ولهم حضارة على أهالي نابلي وطرقها كلها مبلطة نظيفة أما الطرق الخارجة عن البلد فهي وان كانت صناعية غير انها سابها الطين بكثرة وان لم يعطل العجلات وأحسن ما يقصد بالتفرج عليه في رومة هو كنيستها الكبرى المسماة بسان پاولو التي هي أشهر ما في العالم في ارتفاع قبتها وضخامة بنائها وهي مستطيلة الشكل ذات قباب كثيرة ووسطها بالي أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمر منه الخلقي ومنه الصناعي كل قطعة في طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الحيطان مكسو بقطع من الموزايكو متقنة التصوير والقباب كلها مكسوة بذلك أيضا والقباب مرفوعة على اسطوانات من المرمر الخلقي وبعضها صناعي وليست مستوية السمك وبعضها في قطعتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الخلقية أربعة عشر شبرا وقواعد القباب مبنية بناء ضخما جدا بحيث ان هاته الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من احد حذاقهم لما اشتملت عليه من اتقان البناء وضخامته و بلصقها قصر البابا و يسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور الملكية يحتوي على اثني عشر الف بيت و به خزانة كتب رفيعة هي احسن خزائن ايطاليا وبها كتب كثيرة بالخط منها العتيق ومنها نسخة من الانجيل باللغة الحميرية العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقد اطلع على تلك النسخة أحد الانكليزيين في هذا القصر ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة شيء كثير حيث كانت تجبي الى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من ممالكهم تقربا اليه بالملك الروحاني زيادة عن الملك الجسماني الذي كان له في مملكة رومة وقد زال ذلك باتحاد ايطاليا وآخر بابا كان جامعا بين الملكين هو بيو التاسع وهو الموجود حين مررنا على رومة لكنه منذ افتك منه الملك الحسي بقي منعكفا في قصره وله التصرف في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك سواء وأبقت له دولة ايطاليا جميع ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عدا ذلك وبعد أن تفرجنا في الكنيسة الكبرى سألناه هل يمكن التفرج في قصر البابا فاجبنا بان ذلك اليوم لا يتيسر بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد استئذان البابا ومن غد اجتمعنا بالمطران درعوني الذي هو من نصارى الشام وله دير في أعالي رومة ومعه كثير من نصارى الشام المتقسسين وهو ذو اخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به انه ساكن حذو كنيسة متقنة الشكل والبناء مما يقصد بالتفرج عليه فحصلت المعرفة معه من هنالك وكان مما ذكر لنا ان البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول الى قصره وانه كلفه بالحضور ليكون ترجمانا عنه فاعتذرنا اليه بأنا على سفر ولا تيسر التأخير لذلك فلم ندخل القصر ولا اجتمعنا بصاحبه اذ لا ملجئ الى تعظيمه مع ان الداخل عليه يلزمه تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون اليه مزيد التعظيم كأنه هو مالكهم ولا داعي لذلك الأمر ديني وديانتنا الاسلامية تمنع التعظيم الذي يكون مسببا عن ذلك واعلم انه منذ استولت دولة الصاردو على جميع ممالك ايطاليا واجرت الحرية حتى في الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يفعل شيأ يخالف ديانته فكانه يتفرج في قصر من القصور كما انه ليس له أن يفعل شيأ من الاهانات وحيث ان المسلم يدخل اليهم بامان فليس له التعرض لاذايتهم كما انه ليس له خيانتهم ثم ان أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطحاء عظيمة وسيعة جدا وبها عدة فوارات واشجار وفوانيس وهكذا كل بلاد تشعل بالفوانيس ليلا ويشق بلد رومة نهر يحمل القوارب واذا طمى ربما اضر بالمجاورين وهو آت من جهة الشمال ذاهب جهة الجنوب وخارج البلدة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب وانما

يوجد

يوجد منها أساسها والطلال من جدرانها وقد علت الارض عليها كثيرا فكشف عنها وبقيت عبرة للناظرين وهى أوسع من الكنيسة الموجودة الآن الكبرى كما يوجد بقربها ما هى قديم مثلها فى الخراب على نحو ما سبق فى صفة ما هى بونباى وقيل انه دار الندوة اذ ذاك وهو كبير جدا وفى رومة أيضا منزه عمومى فى الجبل ذو مماشى وحدائق
❋ وفورات فى أعلى الجبل وهو نزه أما غيرها كرفليس فى رومة معامل أو اما كن تقصد للتفرج سوى ما هو خارجها من آثار بنا آت الرومان فى القديم وفيها ملاهى كثيرة متقنة اللعب لشهرة الطليانيين بذلك على غيرهم ودور الاهالى غالبا ليست بمتقنة النظافة وأسعارها فى السكنى والمأكل وغيرهما غالية بالنسبة لبقية ايطاليا وهواء رومة وخم بسبب أن المرج التى قربها يركد فيها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر كما ان الكنائس بها كثيرة ولكل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس من جميع الجهات وصار لها دوى يقلق الساكن ويقرب من ذلك نابلى أيضا ثم انا
❋ قدمنا الى مجلس النواب الذى كان اذ ذاك مفتوحا وهو يشتمل على خمسمائة عضو فاذا هم أناس يتدبرون فى أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصادفنا فى حضورنا البحث فى نازلة مالية وهى أن وزير المال عرض على المجلس أن دخل الدولة غير واف بمصاريفها ولتعديل ذلك تلزم الزيادة فى الدخل وقد رأت الدولة ان الانسب فى الزيادة هو زيادة الضريبة على السلاح فوقع نزاع فى أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب جزيرة سيسيليا الى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا فى الزيادة فى الدخل بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرتموهم لكى تأخذ أنت المرتبات الوافرة من دمائنا وكذا اذا لم نقل بصرفك الاموال فى شهواتك ومخفياتك فنهره رئيس المجلس وألزمه الادب فى الكلام فعاد الى كلامه وقال انهم يأخذون خفية ويحملوننا ما لا نطيق فى اغراضهم وشهواتهم فأسكته الرئيس وأطال عليه اللوم والنكير بعبارات شديدة حتى وسمه بالوحشية وأنه يضطر الى اسكاته أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج حزب المتعرض وقالوا ليس لكم منعنا من الدفاع عن حقوقنا وما أتينا الى هنا الا لحفظ حقوق الامة من التلاعب بها فأجابهم الرئيس بان الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب فانقادوا اليه وطال النزاع فى النازلة وأبقيت للمفاوضة يوما آخر وكان مكاتبو الصحف جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا نفس حضورنا لانا كنا بلباسنا التونسى وذلك أوجب التفات الانظار الينا فى أى مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التى ليس لاهاليها مذهب تام كان يزدحم علينا فى الطريق العوام الى أن يوقفونا بازدحامهم وأكثر ذلك فى أهالى نابلى الى أن التزمت فيها أن لا اخرج فى الطريق الا راكبا فى عجلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا

* وصفة هيئة مجلس النواب هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التربيع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مزوق فى جدرانه وسقفه وأرضه وفى وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو مترونصف على الارض وفوقها كرسى وامامه مائدة ويصعد الى ذلك المحل بدرج يمينا وشمالا وهذا محل جلوس الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض وبقربهم فى وسط البيت كراسى الوزراء وفى وسط البيت كراسى أربعة كتاب مخصوصين بمعرفة كتابة سريعة يتناوبون اثنين بعد اثنين فى كتابة كل ما يلفظ به متكلم فى المجلس وبقرب الرئيس منبر مرتفع قليلا يصعده خطباؤهم على التناوب بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون فى مصالحهم ثم كراسى منصوبة صفوفا صفا وراء صف على نحو دائرة مستطيلة ينتهى طرفاها حول الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذى وراءه كراسيه على سدة من خشب أعلى من الذى امامه بدرجة من خشب ثم الذى وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية الصفوف والدرج التى يصعد منها الى الكراسى مقسمة لتلك الدائرة وكل قسم من الكراسى امامه مائدة مستطيلة وفيها لكل كرسى مجر ودواة وأقلام لما يحتاجه صاحب الكرسى وكل كرسى عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكرسى وفى أعلى البيت محيطة به من جهاته الا الجهة التى بها الرئيس رواقات يجلس بها المتفرجون ولصاحب الملك بيت بازاء محل المتفرجين يأتيه اذا أراد كما له كرسى فى المجلس واما وظيفة المجلس فسيأتى الكلام عليها

* ثم رحلنا من رومة وقصدنا ليفورنو راكبين الرتل فاذا بقرب رومة آجام راكدة فيها المياه وفيها من البقر شئ كثير مسرح هنالك للاهالى بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على المكان قيمون يؤتى اليهم بالبقر ويستودع هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه ما لا مالك له فيتناسل هنالك وتبيع منه الدولة لمن أراد الشراء ومررنا فى سيرنا على مرسى بيشى تافيكيا التى هى أقرب مرسى طليانية الى رومة قاعدة المملكة وفى آمال مهندسيهم ان يفتحوا خليجا من تلك الجهات من البحر ليصل الى حدود بلد رومة لان الارض هنالك منخفضة وبه ينصلح الهواء من تعفن المروج التى يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو فى الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد مسير احدى عشرة ساعة وقد توقف الرتل فى

المسير

المسير عندما وصلنا الى جسر على أحد الانهر حيث ان فيضان النهر هدم الجسر فنزلنا من الرتل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر نازل ثم ركبنا رتلا آخر مهيأ في الناحية الاخرى من النهر الى أن وصلنا الى ليفورنو فاذا هي بلدة واسعة الطرق نظيفتها متقنة التحصيب والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها قليل من البطحاآت الوسيعة أشهرها ما تسمى بياص دى كافورو وكافور هذا وزير ايطاليا الذي جدد في وحدتها الاخيرة فرسم تمثاله بتلك البطحاء وسميت به وكذلك البطحاء الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسور وهذا الخندق كاد ان يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدتين الاولى هي ان البلد أرضها سبخة ندية فذلك الخندق تنجذب اليه المياه مما حوله و يحصل جفاف الارض وما أخرج من ترابه الكثير علت به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مراسى التجارة لاعفائها من الاداء ترغيبا في عمرانها فتكثر فيها السلع وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من السفن الى المخازن اذ ماء البحر بالخندق عميق وبخارجها على الشاطئ منتزه عمومي ممتد نحو ميلين به حدائق الاشجار والانوار ومغاطس من البناء أو الخشب على البحر وقهاوى وملاهي تقتدها الناس زمن الصيف من أهالي البلد وغيرهم والطريق للمارة وسيع جدا وعلى حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن ورائها القهاوى والملاعب والمغاطس ومن ورائها البحر وهي في الصيف ليلا ونهارا منتزه مريح ويسمى ذلك المكان البساجاتا وبرت ماري وفي البلد خزنة للماء مسقوفة ببناء ضخم شديدة النظافة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر بينة والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزنة ومحل استقرار الماء منقسم على عدة أقسام فيدخل الماء المجلوب من عين غزيرة الى أحد الاقسام الى أن يمتلئ ثم يخرج منه من أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث ان كل قسم يكون مملوا ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لتصفية الماء وترويقه حتى لا يخرج الى عموم البلد الا بعد انتهاء ترويقه وهاته البلدة موقعها على البحر وهو غربيها وهي من المراسي الشهيرة للتجارة والحرب وقد بني بها مينا مأمنا للسفن ذات حوضين قيل أنفق عليها مائة وعشرون مليونا فرنكا وبها مرفى للسفن ولانشائها ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي قصدنا البلد لاجله غائبا في فرينسا فمتنا بدار سكناه حيث كان تابعه هنالك ثم وادعت صديقي الشيخ سالم أبو حاجب حيث كانت مأموريته هنالك وركبت بكرى ليلة وصولنا

قاصدا الوزير المذكور فى بلد فيرينسا وابقيت غالب رحلى واحد تابعى هنالك لاحتمال العود فسرنا فى الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليفورنو بعض غياض ليست حسنة جدا ومررنا على بلد بيزة مناخ علم الطب سابقا فاذا هى من مدن ايطاليا الشهيرة و يخترقها ✻
نهر وحوله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شئ من مبانى العالم وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كليا الى جهة الجنوب حتى يخالها انها ساقطة لا محالة وهى ليست بمرتفعة جدا و بناؤها من حجارة منقوشة ومرمر ودرجها كل فى قطعة واحدة من المرمر وهى فى وسط بطحاء قرب كنيسة واسفل قاعدتها مائل أيضا غائر فى الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابله وقد اختلف النقل فى سبب ميلانها فقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها ومعرفتهم بفن الاثقال وقيل انها بعدما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها فمالت وعلى كل فسبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيل ان ميلان أعلاها عن مساواة أسفلها أربع ميترات ومثلها فى الميلان صومعة أخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها ليست فى اتقان الاولى ولا فى ارتفاعها وقد بنى حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها وبقى أثر الميلان ظاهرا وثانى الشيئين الغريبين الكنيسة وهى ليست بكبيرة ولكنها كثيرة التانق والرونق سيما من ظاهرها وزيادة غرابتها فى الصدى الذى يحصل فيها من الاصوات اذ يدوم فيها الصدى و يعتلى على وجه خارق للمعتاد والسبب فيه شكل البنا وطى الحيطان وبعد أن جاوزنا بيزة بدلت الارض غير الارض التى عهدنا منظرها فى بلادنا وما مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفى الوصف والقلم بتصويره وتقريبه وبالجملة فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهدها بل عهدنا امثالها ولنا قطع تضاهى أفراد تلك القطع سواء كانت فى البساتين أو فى القصور والتى بها أو فى اثارة الارض وتعميرها لكن الذى لم يعهد لنا هو اتصال ذلك العمران وامتداده وتماثله الى ما لا يحيط به البصر مع تحسين جهات الاتصال العامة فانها تحدث من ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرينسا فاذا موقف الرتل بها جميل انيق واذا بالبلد ✻
وسيعة لكن طرقها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتهذيب أخلاق السكان والحضارة و يخترقها نهر على جانبيه رصيف منحوت وفى مجرى الماء

عرضا

عرضا وأرض مبنية لحصر الماء كي يكون عمقه حدا محدودا ونشأ من ذلك غدير عظيم له دوي وعلى جانب النهر منتزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه فوارات وحدائق وأنوار وفي نهاية المنتزه عند ملتقى النهر المذكور بجدول صغير بطحاء بها قبة من رخام صغيرة بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات جيدة رخامية عالية على الارض وبوسطها صورة مجسمة من الرخام لاحد أمراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمي وكان ذلك الامير سائحا في أروبا وبعد زيارته لمملكة الانكليز مدة وبالساحل بفيرينسا مات وكان مجوسيا فأرسلت عائلته مكلفا انكليزيا لرسم صورته في ذلك المحل الذي أحرقت جثته فيه على عادة المجوس ودفن رماده تحتها وكان من عاداتهم ان مكان الاحراق يكون في ملتقى نهرين فلذلك فعل به ذلك هنالك وجعل على ذلك المحل قيم ووقف وكان ذلك في عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منتزه آخر في جبل مرتفع نزه جدا ذو بساتين وقصور وطرق وسيعة سهلة لصعود الكراريس وفي منتهى ارتفاعه بطحاء وسيعة ذات مصاطب ومنازه وبقربها كنيسة قديمة مرصفة الحيطان من خارج بالرخام الابيض والاسود تقصد بالتفرج وجملة ذلك الجبل منتزه ولما صعدت الى هنالك أحسست ببرد شديد لارتفاعه وابرد الزمن ومن أحسن ما بالبلد قصر القارية الذي به بيت أغلب حيطانه من البلور وهو قصر ضخم وبه من التصاوير المرسومة في الخرق المنسوجة مع النسج وفي الورق شيء كثير وكذلك المجسدة من الحجر والنحاس وقال بعضهم أن مجموعها مليون من التصاوير كلها في غاية الاتقان تعتني لها المصورون من الآفاق لتقليدها ومما بها من التصاوير صور الملوك من جميع الآفاق في أعصار مختلفة ومنها صورة محمد باشا الاول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى الملك عند استقراره الحكومة هنالك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لاحد السكان فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشتملا على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر نابلي ومن غرائب البلد ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الابيض والاسود على أتقن صناعة وبها من الاسطوانات الجيدة اللاصقة بذلك الرخام ومن النقش الغريب فيه ما جعلها من أتقن البناآت وارتفاع القبة مائة وسبعة عشر ميترو وبازائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وسبعون ميترو وهي في البناء على نحو الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضا وبالبلدة عدة ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما اعتدناه وقد أقمت بها ضيفا

* عند صديق الوزير حسين التونسي وترجمة هذا الوزير باختصار هو رجل من الجراكسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فربى فى سراية الوالى حسين باشا وأدخل الى مكتب المهندسين العسكرية فحصل مشاركة جيدة فى النحو والادب والفقه ومهارة فى الفنون العسكرية واجادة للغة الفرانساوية ثم وظف فى عساكر الخيالة بعية أميرلوائها اذذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرانسا فى خصام محمود بن عياد فى ولاية أحمد باشا ثم ولى رياسة المجلس البلدى بحاضرة تونس وأحدث فى الحاضرة اصلاحات عديدة فى ولاية محمد باشا ثم عند ولاية الصادق باشا ولى رئاسة مجلس الجنايات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم استعفى من الجميع عند ايقاف القوانين ورحل الى أروبا وساح سياحات وسيعة اذ كان قد لا عرف أكثر ممالك أوربا كالمانيا والدنمرك والسويد وهولاندا والبلجيك وايطاليا وفرانسا وانكلتره والجزائر والاستانة فى سفارته منفردا أو مع خير الدين باشا سفيرا عن الوالى المذكور وعند استعفائه المذكور رحل الى المغرب واسبانيا والنمسا والروسيا وأمريكا ومصر والحجاز ثم استدعته الحكومة عند ولاية خير الدين وزيرا مباشرا هو وغيره ممن ابتعدوا عنها فولى مستشارا فى القسم الثانى من الوزارة ثم سافر الى ايطاليا لخصام ورثة نسيم فى حساب مورثهم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليفورنو حيث مات المورث ولازال فى الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار المعارف وهو ذو أخلاق كريمة وصفات عظيمة ومعارف وسيعة وفصاحة مريعة له عدة رسائل فى كثير من المسائل وكانت اقامتى عنده فى فيريانسا فى احدى منازل المسافرين الضخمة قريبا من النهر واجتمعت بأشهر حكماء البلد المسمى شيف وبعد ان استقرأ تقرير المرض واستخبر الجسم أشار الى فى مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة فى الاكل والمسكن وارتياح الفكر والبدن والابتعاد من هواء البحر وحسن سكنى الجبال وان كثرة الادوية مضر قليل الجدوى ولقد صدق ثم طلبت تلغرافيا بقية رحلى وتابعى وسافرت قاصدا باريس مارا

* على تورين للاستراحة بها فركبنا الرتل صباحا وسرنا فى الوهاد نحو الساعة على ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا فى الجبال وكان للرتل حينئذ مزجيتان ومهما ازددنا تقدما فى الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقا الى أن انتهينا فى الصعود فكان منظرا ترتاح له النفوس ويجلى عن القلوب كل بوس ياله من جمال و يالله من بدائع

بدائع صنع بتكوينه وبخلقه باعمال الرجال فالقرى البهجة منتشرة على مد الابصار والاشجار تمد أغصانها لتناول الدرارى من الافلاك تخالها بقايا قد انتثرت منها من الثمار اذ قد استعوضت عن خضرتها الزبرجدية بالثلوج الياقوتية والارض والجبال قد بسط عليها بساط الفضة الزلال مع الاتقان فى تنضيد الاشجار واثارة الارض بالحرث وتدفق المياه من ينابيع العيون وسيول أمياه الثلوج المذابة المنحدرة فى جداول ثم نهيرات ثم أنهر متبحرة ولا يسير الرتل نصف ساعة الا ويقف على قرية نضرة وتارة يمر حذو رواشن القصور وأخرى حول سطوح الديار وطورا ترى البلدان تحتك فى أسفل سافلين وهكذا مناظر بديعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات فى الجبال وعلى الاجمال أن السفر فى جبال أورو با المتمدنة ذات العمران ليس له من لذة عندى توازيه سيما مع الركوب فى الرتل فى الطبقة الاولى فى مخدع منفرد للشخص وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساجله فى سائر المقاصد فان ذلك من نعم الدنيا الكبرى ومن هنالك حجبت عنا الشمس بكثرة الابخرة المتصاعدة من الجبال والثلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعد ان خرقنا الجبال صعودا ونزولا خمسة وأربعين نفقا فمنها ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقتين وكل نفق مظلم ويشتد ظلامه ويخف حسب طوله وبعد ان سرنا فى الوهاد نحو ساعة وتكاثر نزول الثلج وصلنا الى بلد بولونيا ✻ وهى بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بجميلة سيما القديم منها وأغلبها على ذلك الصون بها منتزهات نزهة وأغلب الطرق بحفها يمينا وشمالا ارواقات لشدة حرها صيفا وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتتقى المارة بتلك الرواقات وفيها موقف للرتل عظيم جدا لانها مناخ للتجارة لتوسطها بين بقية ممالك ايطاليا وسفيسرة وفرانسا والنمسا والمانيا فترد اليها الارتال من الجميع ونزلنا فى الموقف وتغدينا فى محل الاكل هنالك وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سرنا الى تورين فى ذلك المنظر البهيج المنبسط على الوهاد لكثرة اتقان الزراعة واثارة الارض وتعميرها وكثرة الابنية فى الاراضى الزراعية كل ذى أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتزيين ظاهره ومع ذلك منظر الجمال فى الجبال ابهج وعندما أراد الليل أن يسدل حجابه تبدى وجه الغزالة محمرا من برقع السحاب على وجه الافق فياله من منظر بديع يشهد للبارى تعالى بحسن الصنيع وما ودعنا نور الشمس الا بعدما استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك أواسط شهر ذى القعدة فتفضض الافق والنواحى ببريق البدر وكان جمال الليل مزهرا فى تلك المناظر الجميلة مستمرا الى أن

وصلنا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم من جميع ما رأيناه سابقا واستمر سير الرتل من مبادى متعلقات الموقف الى ان استقر فيه أزيد من عشرة دقائق فكنت ترى فيها العزجيات والمركبات منبثة فى جميع الجهات ماثلة لاركابها والرتل وارد وصادر من كل أوب ومحل نزول الركاب

✻ هو ساحة عظيمة مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرصف فيها الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضئ كالنهار فاسترحنا فى بيت الجلوس الى ان نزل رحالنا فى الكمرك وفعلوا فى تفتيشه ما فعل فى البلدان السابقة ثم ركبنا أحد الكراريس الكبيرة المعدة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كراريس كبيرة تسع الواحدة ثمانية من الركاب فما فوق تحملهم من المواقف الى المنزل والعكس وذهبنا الى المنزل فلم نجده لائقا فانتقلت الى منزل آخر حسن وأقمت بهاته البلدة يومين وهى مصر عظيمة ذات اتقان فى الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها أن طرقها تكاد أن تكون كلها متقابلة تتقاطع على التربيع بزوايا مستوية كما أن من مميزاتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها محفوفة برواقات يمينا وشمالا قائمة سقوفها على أعمدة من البناء أو الحجارة المنحوتة ولا يمشى الراجل الا تحتها وفوقها أبنية القصور والمساكن واليها تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأواسط الطرق للركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاحها البطحاء التى امام قصر الملك وهى متسعة جدا فى صدرها القصر الملكى وعلى جانبيها مساكن للعساكر والجهة الرابعة قبالة القصر فى وسطها طريق كبير وعن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين الذى نزلنا فيه

✻ وفى وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت التراموى فى هاته البلدة وهو مركبة ذات عجلات صغيرة من حديد تجرى فى صفحات من الحديد غائرة فى الارض ممتدة مع الطريق الى نهاية ما يريدون ايصال السير اليه ويجرها اثنان من الخيل ولهم فى كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كى ترجع الى المكان الذى ابتدأت منه كيفيات فاحديها ان فى محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب تدور عليه بسهولة فبادارة الدائرة تدور المركبة وثانيتها ان المركبة يكون مقدمها ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تحل الخيل الجارة من تلك الجهة ثم تربط من الجهة التى كانت مؤخرا وتسير المركبة راجعة الى المكان الذى ابتدأت منه وثالثها أن تكون الصفائح التى تجرى فيها العجلات فى نهاية الطريق مرسومة على نحو

دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذى جاءت منه وكل كيفية من هاته فى طريق خاصة وبمخاض وسبب اعمال هذا الطرق ولتسهيل جر المركبة على كبرها الذى يركب بها نحو العشرين نسمة فى داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجرها سوى فرسين وهى وسيلة كبرى لترخيص أجرة الركوب وسهولة الانتقال فيقف فى مراكز معلومة كما تقف لكل من يطلب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدى الاجرة زهيدة نحو ثلاثين سانتيم أى ثلاثين من تجزئة الفرنك الى مائة هذا اذا كان المكان نائيا وأما اذا كان قريبا فبنصف ذلك المقدار والقرب والبعد على حسب اتساع البلاد وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر عظيم ومنظره خارج البلد بهيج وبقربه فى احدى تلك الجهات منزه عمومى كبير نزه وجبل به أماكن للأكل والقهاوى وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع مونق فى تزويقه بالذهب والالوان وبه جميع فرشه وحوائجه وقد كانت هاته البلدة هى قاعدة مملكة السارد والذى استولى على جميع ايطاليا واتحدت أخيرا تحت ملكها وبها خزنة للكتب عظيمة جدا وعندما دخلتها علمت كبير الفرق بين أهالى هاته البلاد وأهالى نابلى فان الثانية لما دخلت خزنة كتبها لم أجد الا أفرادا لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لما دخلت الى خزنة كتبها وجدتها مفعمة بمئات من الرجال وقليل من النساء كل منهم منكب على المطالعة فى كتاب ولا تجد حسا الواحد الا همسا لكى لا يشوشوا على بعضهم فمن مطالع ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفكر والكتاب بين يديه فعلمت ان أهالى هاته البلدة معارفهم أوسع وسوقها لديهم أروج وذات الخزنة كتبها أكثر مما رأيته سابقا وبها مصاحف كريمة ذات خطوط أعجمية أنيقة مذهبة ومونقة للغاية القصوى ولها صناديق وجهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحلها الا القيم عندما أكد فتحها لى وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته البلدة قاصدين باريس فى مرحلة واحدة ولما كانت المرحلة بعيدة آثرت كراء مخدع فى الرتل ذى فرش ومستراح ولزم لذلك اعلام مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكى يحضره على الصفة التى نريدها ولكى يعلم موقف الرتل فى حدود فرانسا باحضار مثله فى رتلهم حيث ان الراكب ينتقلون هنالك من الرتل الطليانى الى الرتل الفرانساوى فركبنا فى الساعة الثامنة بعد الظهر ليلا فى مركبة ذات مخدع له ثلاث مساطب فرشها حريرية وكل مسطبة تنفتح فتستطيل الى أن تصير فراشا له وسادة وقد اخترتها بحيث يكون الراكب فيها مواجها الى جهة السير لان عكسه يورث لى

دوارا وفى وسط المخدع باب يدخل منه الى محل ذى مستراح فى أحد جهتيه ومقابله محل
ذو أنبوب للماء ينفتح وينغلق يجرى منه الماء وذو اناء ينزل منه الماء المغسول به وبه
مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضى هناك واصلاح لبس ثيابه وفى المخدع أيضا مرآة
ومائدة تنفتح من جهة الحائط الموالى لمحل المرافق حتى ان الانسان يقضى هناك جميع
حاجاته بغاية الراحة واغاير فقنا معنا مناديل الوضوء وبيت ابرة لمعرفة القبلة فى
صندوق صغير من الجلد فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلى
بلا تعب سوى ان الاتباع ينزوون الى جهة غير القبلة ولمثل هذا الاطلاق يتحرى الانسان
فى الركوب مع الرفقاء لكى لا يكون عليهم حرج فيما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل
ووقف الرتل فى احدى المواقف على البلدان ننزل الى محل الاكل فنجد فيه الوان الطعام
والفواكه فنشترى ما نريد ونحمله الى مخدعنا لكى نأكل بالاستراحة اذ الاكل فى المواقف
يلزم أن يكون عاجلا لخوف سفر الرتل والرتل ولان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة
أو ساعة على البلدان غير ان وقوفه لا يطول الا بقدر ما ينزل الركاب القاصدين تلك
البلدة ويركب منها غيرهم أو أخذ المزجية الماء أو الفحم أو لبدلها بغيرها اذا تمت ساعات
نوبتها بحيث ان الحصة أطولها عشر دقائق (أما) فى وقتى العشاء والفطور فيقف الرتل
نصف ساعة أو أزيد بقليل ويعلم الركاب جميع ذلك من المنادى الذى ينادى عند
وقوف الرتل رافعا صوته بقوله بلد كذا ويسمى البلد الذى وقف عليه وكذا دقائق أى
يقف كذا دقائق ويفتح الابواب للركبات فينزل من يريد النزول ولو لقضاء ضرورة
✱ ويرجعون على عجل واستمر بنا السير الى أن وصلنا الجبال المسنى الشاهقة وطفق
الرتل يجرى بين صعود ونفوذ فى انفاق واحدا بعد آخر الى أن جاز فى نفق استمر فى الجرى
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير المعتاد وهو أطول نفق فى أوروبا وصناعته من
عجائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع فى الحد بين فرانسا وايطاليا فناحيته الشرقية
الجنوبية الى ايطاليا والشمالية الغربية الى فرانسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديديه
اتفقوا على خرق الجبل فجعلت عملة كل من الجنسين تشتغل من جهتهم وبعد الاشتغال
بضع سنين اتصل العاملون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال
تقريبا وتنور فيه فوانيس ليلا ونهارا ويقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن
منحوتة وأماكن وسيعة لوضع الضروريات التى يحتاج اليها اصلاح الطريق ومراكز
السلك الكهربا والرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينما

كنا

كنا سائرين فيه واذا برتل آخر مقبلا من فرانسا ذاهب الى ايطاليا فمرا منا كمتنين متحاذيين مع اشتداد دوى العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير فكان منظرا هائلا واشتد البرد هنالك اشتدادا خارقا للعادة حتى أن بخار النفس كان يجمد على شاربى وزجاج طواقى المخدع كان يجمد عليه بخارنا الى أن يمنع الضوء ويتكسر بالتكسير قطعا كالجليد وأيقظتنى شدة البرد من النوم مع التردى بالثياب الثخينة الصوفية واحدها مستبطن بجلد الفراء العالى وفى المخدع قنوات من النحاس ملآنة بالماء الحار جدا ملفوفة فى خرق من الصوف وعندما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة فرانسا نزلنا للانتقال للرتل الفرنساوى وابتدأ الامر فيما شاهدته بفرانسا فلنعد الآن لبقية الكلام على ايطاليا فانى عدت اليها ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م وزدت معرفة بالبلدان التى ستذكر وهى ابرندزى التى هى أكبر المراسى جهة شرقى ايطاليا ولها مرسى حسن وحصون وبقية البلدان الاتية محتوية على لوازم أهلها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بارى وهى مرسى أيضا دون الاولى ولكنها أكبر منها بلادا وأحسن حضارة سيما الابنية الجديدة التى لها اتقان فى انتظام الطرق وسعتها وأقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقدمر ذكرها وجميع مامررنا عليه كان فى غاية العمران والانتظام فى الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المعمر لجميع تلك الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بادارة الدواب حميرا وخيلا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة منتشرة وحيث كان مرورنا وقت الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشتغلا أهلها فبعضهم يحصد الزرع حتى الذى تحت أشجار الزيتون وآخرون يتبعونهم بسقى الارض وفى أثرهم آخرون يثيرون بالحرث ماجف من الارض وهكذا بحيث لاتبقى الارض مدة بوارا ويزرعون فى بعض الجهات اذذاك بقولا بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من ايطاليا أعمر من الغربية وبعد اقامتى ليلة فى بولونيا توجهت الى قرية منتكاتينى التى بها مياه معدنية عليها حمامات تهرع اليها الاهالى صيفا لنفع المياه وفيها شئ من التحسين غير أنها شديدة الحر لاكتنافها بالجبال المعمورة بالقرى والاشجار ذات الغلال الصيفية والحاصل ان الجهات البعيدة عن البحر صيفا فى أوربا هى مساوية أو أشد حرا من شمال أفريقية ويشتد تعب الراكب فى الرتل من الحر لانه ان فتح الطواقى اسود لونه وربما أوذيت عيناه من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حميت عليه نار لظى

وحالة البلدان فى الحر كما مر ولذلك لم نطل الاقامة هنالك وتوجهت الى ليفورنو التى هى على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها السفينة ثم عدت اليها مارا على مدينة ميلانو التى أعد فيها اذ ذاك معرض عام لمصنوعات ايطاليا ومخلوقاتها فاذا هى أى ميلانو أجمل بلاد ايطاليا وأكثر حضرية وانفردت بالسوق المسمى الغلارية الذى هو فى غاية الجمال والبهجة ومن غرائبه انه توقد قبته الوسطى بزجيجة تمر على طريق حديدية لسرعة الايقاد للبخار الغازى وهى مزجية صغيرة نحو ذراع طولا وأما المعرض فهو انموذج من معرض باريس الآتى ذكره وانما هذا أصغر بكثير وخاص بمتعلقات ايطاليا وشاهدت فيه تجربة جرار تل بالقوة الكهربائية السارية فى قضبان طريق الحديد لكن التجربة افادت انهم لم يبلغوا المراد لحصول الوقوف احيانا عن غير اختيار لكن بلغنى فيما بعد انه تم أمره فى المانيا وصار مشتغلا به

فصل

(فى تعريف ايطاليا)

(اعلم) ان ايطاليا قسم من أوربا الجنوبية وهى شبه جزيرة فى البحر الابيض تتصل من جهتها الشمالية بالقارة فيحدها شمالا اسفيسره وفى الشمال الشرقى النمسا وفى الشمال الغربى فرانسا وفى الغرب والجنوب البحر الابيض وفى الشرق بحر البنادقة وهى على شكل مستطيل من الشمال الى الجنوب يميل الى الشرق على هيئة تشبه جزمة ذات عقب ومهماز وقبالة منتهى أصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن بسيسيليا يفصل بينهما خليج ضيق يعرف بخليج مسينا وتبتدئ من الشمال من عرض ستة وأربعين درجة وأربعين دقيقة وتمتد الى الجنوب الى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالى وتبتدئ جهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة الى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو الف ميل وذلك من جبل مون بلانه الى رأس سبارتيفينتو وأما عرضها فيختلف جدا فمن جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفى بعض الجهات الوسطى نحو أربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر أشهرها وأكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردانيا ولها اقرب تونس جزيرة بنتلريا فهى ذات شطوط وسيعة جدا وبها كانت دولتها دولة بحرية وأما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها اجبال الپا وجبال البنين

وجبل

وجبل كورنوو هو أعلاها وارتفاعه على سطح البحر ٢٠ ٩٥ قدما وجبل فيلتيو وفيها عدة جبال بالكانية منها ما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة وسيمين وبرسيانو وباسنا كلها فى الجبال وأما الباقى منها بالكانا فهو جبل الفوزوفيو قرب نابلى الذى ارتفاعه ١٢٠٠ ميترو وجبل اتنا فى سيسيليا وارتفاعه ٣٣١٣ ميترو والثلج دائم عليه وجبل الترنبل فى جزائر ليبرى ويظن ان بين هاته الثلاثة منافذ تحت الارض وبقرب نابلى عدة جبال تقذف بخارا كبريتيا وتسمى سلفتارو وبقرب ليفورنو جبل يقذف بخارا مائيا ويسمى سوفيونى وأما انهارها فهى كثيرة لكنها لا تعظم جدا لقربها من البحر واعظمها نهر بو الفاصل بينها وبين النمسا ونهر تيبر الذى يجرى الى رومة ونهر ارنو المار على فيرينسا وبيزة واديج جهة ولاية الترول التابعة الى النمسا وغيرها وكلها لا تحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الاول فانه يحمل القوارب الكبيرة وان كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رملية به نعم ان نهر اديج يحمل السفن من بلد تيرنتو الى البحر وبها أيضا ترع صغيرة أشهرها الترعة التى بين بيزة وليفورنو تحمل القوارب الصغار وكذلك الترعة الموصلة بين نهرى التيفر وارنو وبها أى ايطاليا عدة بحيرات منها المسماة لاغوماجورى أى الكبرى وكومو وغاردا وليكو ولوغانو وايزيو وأما هواؤها فهو جيد فى كل الجهات الا فى الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات الماء المسماة بونتين فانها يحدث منها امراض عامة فى الصيف لاهالى البلاد رومة كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فينسيا وقرب نهر بو وفى ولاية كالابريا الجنوبية ولازالوا مجتهدين فى ازالة تلك العوارض فان بلد ليفورنو كانت من أشد الاماكن وخامة لذلك السبب وكان أهلها قليلين جدا فاجتهدوا فى تنشيف المياه ورغبوا فى عمرانها حتى أعفوا الساكن بها عن كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بهوائها كثيرة العمران يقدمها الناس صيفا من كثير الجهات العليا من شمال ايطاليا فانها متنزه جيد وكذلك جهات نابلى وجزيرة صقلية والهواء فيها على الاجمال مائل الى الحر المعتدل والصيف فى جنوبها يطول واذا هبت ريح السموم فعلت بها من المضرة بالجفاف ما تفعله بتونس وأما شمالها فهو الى البرد اميل وأما نباتها فينبت بها الحبوب من القمح والشعير والذرة فى جهاتها كلها والبطاطس ونبات التكرورى الذى يصنع منه الحبال والكتان والقطن والقهوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية بالبردقان والموز والنخيل والهندى أى التين الشوكى والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يثمر التمر وتنفرد

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقسطل والحبة الحلواء والجوز كما يعم بها الزيتون والتفاح والكمثرى والاجاص والتوت والتين واللوز والفزدق وعروق رب السوس وبها عدة آجام وغابات غير انها في الجهة الجنوبية مهملة وغير منتظمة واشجارها متفرقة وانواع هاته الاشجار هي الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره في غابات تونس (وأما حيواناتها) ففيها الخيل لكنها قليلة واحسنها في فينسيا وما حولها ومنها نوع قصير جدا وحشي يوجد في جزائر سردانيا ومنها البغال وأكثرها في الجهات الجنوبيه وكذلك الحمير ومنها البقر والمعز والضأن بقلة والجاموس والخنزير ودود الحرير والنحل والسمك بأنواع شتى في الانهر والابحر ومن الحيوانات الوحشية الضبع والثعلب والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والدب (وأما الطيور) ففيها أغلب ما في القطر التونسي وتزيد بالغيران بانواعه وأكثره أباق اللون بين السود والبياض وهو أكثر ما رأيناه في البراري وهو ثقيل الطيران وحجمه أكبر من الحجل وأصغر من الدجاج وفيه أنواع حضرية كبيرة ولها الوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التي توجد في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انها ليست بشديدة الخبث بالنسبة لحشرات أفريقيا ومن غريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربى عند قسيسين في جبل صان برنانو في الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد البرد وحدثت زوابع فالقسيسون يسرحون كلابهم وفي عنق كل واحد اناء صغير معلق مملوء بشيء من الارواح المسكرة الحادة وله انبوب ينفتح فتذهب تلك الكلاب وترود الجهات لعلها تجد انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما برقبتها لكي يسخن به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معها دلته على محل أصحابها وان رأته لم يتبعها ذهبت لاصحابها وأعلمتهم بهيئة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة البرد فتتفرق الكلاب على ذلك النحو وتكون سببا لنجاة من تظفر به وهؤلاء القسيسون لا يبيعون من اناث هذا النوع ليكون خاصا بهم (وأما معادنها) فليس فيها معادن كثيرة ولا غنية سوى شيء من الفحم الحجري في التوسكانه وقرب مدينة من سسيليا ونوع من الطين يشعل بعد التجفيف مثل الفحم الحجري وفيها زيت البترول أي النفط وفيها الحديد بكثرة في عدة جهات منها اللمبارديه وسردانيا وسيسيليا وكلابريا وجزيرة الباو وفيها النحاس في جبل لمبارديه وفي فينيسيا والباو وتوسكانا وفيها الرصاص أيضا في عدة جهات والزاوق والزنبكو ومعدن انتمونيو ومعدن منغنيز والكبريت

وأعظمه

وأعظمه فى سيسيليا بالقرب من بلدة قطانيا سيما وهو الذى تشتغل منه جميع أوربا وفيها معادن الحجارة كثيرة غنية منها الرخام الابيض الشفاف الذى تصنع منه التحف والمرمر الاحمر والرخام الاسود والبرسلانه والطين الملون والمرمر الرفيع والرخام الابيض المعتاد وفيها سباخ عديدة للملح ومعادن فحمية ومعدن التنكار الذى يشغله الصاغة وفيها مياه معدنية كثيرة أهمها فى ولاية البيمنت وولاية فينيسيا وولاية التوسكانا وفى نابلى وأشهر الجميع منتيكاتيني فى التوسكانه (وأما مدن) هاته المملكة فقاعدتها رومة التى أحدثت سنة ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحى وموقعها كأنها متوسطة بين الجنوب والشمال فى المملكة وتقرب الى الشاطئ الغربى وقد تقدمت صفتها وقد انقسمت هاته المملكة الآن باعتبار الادارة الى اثنتى عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة أوطان فينقسم جميعها الى تسعة وستين وطنا كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه

فاما الولايات الكبرى فنذكرها باسمائها ونذكر عدد أقسامها فقط بدون ذكر لاسماء بلدان الاوطان الثانوية لطول الكلام وقلة الجدوى فالاولى من الولايات البيمنت وقاعدتها تورينو وسكانها ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانيها لمبارديه وقاعدتها ميلانو وسكانها ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثها فينيسيا وقاعدتها مدينة فينيسيا التى أغلب طرقها خلجان بحرية يمرون فيها بالقوارب وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعها ليفوريا وقاعدتها جنوة وسكانها ١٣٠٠٠٠ ولها وطنان وخامسها أميليا وقاعدتها بولونيا وسكانها ١١٦٠٠٠ ولها تسعة أوطان وسادسها توسكانا وقاعدتها فيرينسا وسكانها ١٧٦٠٠٠ ولها سبعة أوطان وما تقدم كله جهة الشمال ثم فى الوسط وسابعها ماركى وقاعدتها انكونة وسكانها ٤٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنها الومبريا وتختها بروزه وسكانها ٥٠٠٠٠ ولها وطن واحد وتاسعها لاتسيو وقاعدتها رومة قاعدة الجميع وسكانها ٢٤٥٠٠٠ ولها وطن واحد ثم فى الجنوب عاشرها نابلى وقاعدتها نابلى وسكانها ٤٠٠٠٠٠ ولها خمسة عشر وطنا وحادى عشرها سيسيليا وقاعدتها بالرمو وسكانها ٢٢٠٠٠٠ ولها سبعة أوطان وثانى عشرها سردانيا وتختها كالارى وسكانها ٣٣٠٠٠ ولها وطنان

(وأما مراسى) هاته المملكة فهى كثيرة فمنها جنوة فى الشاطئ الغربى الشمالى ثم ما يأتى بليها جنوبا على الترتيب الآتى وهى اسبيسيا ثم ليفورنو ثم شيفيتافيكيا ثم نابلى ثم كستالامارى التى هى أعظم الكل لاشتمالها على معمل كبير للسفن ولو

المدرعة ثم مسينا وهى فى الجنوب وهى حربية تجارية ثم تارنتو فى شاطئها الشرقى على بحر اليونان ثم مرسى ابرنديزى ثم انكونة ثم فينيسيا وهما على بحر البنادقة فهاته هى المراسى الكبيرة وهناك غيرها كثير (وأما الاهالى) فعددهم على ما تحرر ١٣٩٨ ﻫ سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليونا وهم فى الاصل من أبناء الاصليين وهم من الامم الذين ارتحلوا الى هناك من المشرق والشمال فى أوقات مختلفة ولكن صاروا بالاسموة جنسا واحدا بيضا مع سمرة قليلة حسان تامى الخلقة أهل جد فى الشغل وأهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة أكثر من أهل الجنوب اذ أهل الجنوب والوسط لا زال فيهم أناس على سذاجة تقرب من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاتوليكى الا خمسة وثلاثين ألفا فهم على مذهب البروتستانت وثلاثة وعشرون الفا من اليهود ومن الاهالى ستون الفا من جنس الارناؤوط

فصل

(فى اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

(فى تاريخها القديم)

(اعلم) ان أول ما تسمت ايطاليا بهذا الاسم حسبما وجد بتواريخ الرومان الاقدمين فى أواسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحى نسبة الى ملكها أحد العائلة التى أتت من الموره واسمه ايطاليوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساتورينا وكانت مسكونة بأمم أصليين اسمهم أبوريجان ثم وفدت عليهم أمم فى أزمان مختلفة من اليونان وأهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان العظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه فى مملكة رومية التى هى قطعة من ايطاليا وامتد شيأ فشيأ وتكاملت أوصاف الفخر فى الرومان تدريجا فى المائة الثانية والثالثة قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعتبر وفى اذ ذاك تحت تسلط الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التى يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع التقلبات والحروب الى أن انقسمت فى سنة ٣٩٥ مسيحية الى سلطنة غربية وهى الاصلية وسلطنة شرقية مقرها

فى

في سوريه وآسيا الصغرى وماوالاها وأصحاب هاته هم المذكورون في سورة الروم وهم المعنيون بذلك اللقب أي الروم والسلطنة الغربية التي مقرها ايطاليا تخربت وتسلط عليها أمم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افتكها منهم أمة لومبارد لكن بقي للشرقيين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الاغريقية أو الرومانية ثم انخرمت أيضا وتأسس تسلط البابا في رومية من ١٠٤ ه سنة ٧٢٢م لكنها ما سلمت حتى ودعت فاستولى الفرانسيس على قسم من ايطاليا وقوم اللنباردي استولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور شالمان ملك فرانسا وغيرها ثم استقلت ايطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات وانقسامات الى أن جدد ملك البابا ٤٦٦ ه سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ ه سنة ١١٣١ م حيث تأسست مملكة الصقليتين واضمحلت بقية السلطنة اليونانية وغيرها وصار ملكها جيرو الاول تابعا للبابا ثم ثارت الثورات في عدة جهات وانقسمت ايطاليا أقساما بعضها جمهوري وبعضها ملكي وتعاقبوا على رومية مقر سلطنة البابا ونفوه منها وحدث في الجنوب مملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير منها بعبورهم البحر من تونس واستولى فتح قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد كان جامعا بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هنالك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب النصارى عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انتشأ بها مملكة نابلي ثم رجع البابوات الى ايطاليا من نفيهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينجح الاهالي في ابعاد الاجانب من الاستيلاء عليهم مع الجهد فيه وتعاظمت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على ايطاليا الى ان تم الامر الى اسبانيا ٩١١ ه سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عليها الا البندقية ثم تقهقرت اسبانيا هنالك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور الفرانسيس أوائل القرن الحالي هجري وأولى الامبراطور على ايطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها الا صقلية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردانيا تحت حكم أحد عائلة ساقويا ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ ه سنة ١٨١٤ م انقسمت ايطاليا الى سبع ممالك كل منها مستقل وهي مملكة رومية تحت حكم البابا الروحي والملكي ومملكة سردانيا تحت حكم عائلة ساقويا ويتبع الجزيرة قسم من القارة الشمالية الغربية ومملكة اللنباردية تحت ولاية امبراطور النمسا ومملكة بارمة تحت ولاية نسل امرأة نابليون الاول ومملكة مودينا تحت ولاية دوك من عائلة امبراطور

النمسا ومملكة توسكانا تحت ولاية دولة من تلك العائلة أيضا ومملكة نابلي ويتبعها صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطلب

﴿في تاريخها الجديد﴾

اعلم ان دولة الساردو احدى الممالك المذكورة قد أسست القوانين والحرية الشخصية ومشاركة الامة في السياسة الكلية من عهد شارل البرت المتولي ١٢٤٧ هـ سنة ١٨٣١ م وكان من همه استقلال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه لم يصادف رجالا ذوي همم تعينه على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فكتور امانويل ١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته لها التقدم من جهة القوة المعنوية لانها ذات قوانين وحرية عادلة وان كانت مملكة نابلي أعظم قوة صورية وأما بقية الاقسام فما كان منها تحت النمسا او معنى فالاهالي نافرون منه وان كان بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجري فيه الظلم بحسب الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وتعاضدت فرانسا وانكلترة على اعانة الدولة العثمانية وكان ملك دولة الساردو المذكور عاقلا واستوزر وزيرا ذا دهاء وفطنة وهو كافور وكان يأتمنه ويصغي الى نصائحه كما ان الاهالي لهم اعتماد على صدقه ووفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الاهلية ما أعانه على اتحاد ايطاليا بتدبيره وسعيه كما سيتلى عليك فقد عمل الجهد واتفق مع فرانسا على اعانة الدولة العثمانية في الحرب المذكورة وأرسل عساكره البالغة اثني عشرة ألفا وستمائة مع قوات الدولة الكبيرة وكان ذلك أول خطوة لايطاليا في الدخول في زمرة الدول العظام في الاعصر الاخيرة ثم بعد وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة الساردو ودولة فرانسا على اخراج ما بيد النمسا من ايطاليا وضمه الى دولة الساردو على أن تعطى هاته الى فرانسا وطني ساقوي ونيس اللذان هما في حدود فرانسا جهة ايطاليا حول الشاطئ بدعوى أن أصلهما من جنس الفرانسيس وأسس نابليون الثالث ملك فرانسا من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أي ان كل جنس من البشر له حق الوحدة في انشائه دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك وساعده على هذا المقصد كون مملكة فرانسا كلها جنسها متحد فرانساوي فلا يخشى على مملكته

مملكته من تلك القاعدة كما ان مستعمراتها يدعى ان ليس لاهلها أهلية لدعوى الوحدة وعند حصولها لهم لا يمنعهم من ذلك وعند اشهاره لهاته القاعدة وارادته الاعانة على انفاذها فى العالم كان عقلاء الفرانسيس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين له تيرس ذو الشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرخ فى مجالس الندوة ان هاتيك القاعدة تؤل بالوبال على فرانسا لا من حيث الخوف من تفرق أهلها لانهم من جنس واحد ولكن من جهة تقوى جيرانها كايطاليا والمانيا فان الجار اذا كان ضعيفا لجاره القوى يكون آمنا منه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوى فانه يأبى الضيم ويقع معه التشاحن المؤدى الى الحرب التى تجهل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة فى الدماء والاموال غير أن صراخه لم يثمر شيأ لان دولة فرانسا فى مدة امبراطورية نابليون الثالث ولان كانت قانونية شورية ظاهرا فانها فى الباطن استبدادية فى السياسة العامة وكلما ير يده الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعلنت دولة فرانسا بطلب النمسا أن تسلم فى الولايات الطليانية لدولة الساردو وأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرانسا والساردو على حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية وحدة ايطاليا تحت رياسة رجل منهم شهير بالشجاعة وحب الوطن وهو كاريبالدى وتعسكر تحته كثير من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات ايطاليا وأعانوا الساردو والفرانسيس واستعرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث فى معسكراتهم وان كان قسم وحدة ايطاليا كله تحت رياسة امبراطور الفرانسيس وانخذلت النمسا ووقع الصلح المسمى بصلح زوريك نسبة للبلد التى امضيت فيها الشروط وبمقتضاها سلم امبراطور النمسا فى مملكة لمباردية الى امبراطور الفرانسيس وهو احالها الى ملك سردانيا كما سلم له هذا فى ولايتى نيس وساقويا وذلك ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٥٩ م وبينما كانت الحرب مستعرة فى ميادين لمباردية واذا ببقية ايطاليا ثارت من جميع الجهات منادية بالوحدة تحت راية كاريبالدى الى ملك الساردو فاما الممالك الشمالية فعقدوا مجامع فى عدة مدن للتدبير فى أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الامة فانخلع ملوكهم طوعا وسلمت ممالكهم الى ملك الساردو (وأما) الجهة الوسطى وهى مملكة رومية فخرج منها ولايتان اتحدتا مع بقية ايطاليا وبقيت مدينة رومة وما تبعها للبابا لان الفرانسيس أبى على الساردو اذاية البابا حيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية فى فرانسا والامبراطورية فى جانبهم فالزم الساردو والحيادة عن البابا وأرسل الفرانسيس الى رومة لحماية البابا من

ثورة رعاياه قسما من العساكر الفرانساوية تواسطولا على مرسى شيفى تاويكيا (وأما الجهة) الجنوبية فثار أهلها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدى ثم وردت لهم عساكر البارد و واشتدت الحرب مع ملك نابلى الى أن قهر وفر هارباو تمت وحدة ايطاليا بذلك ١٢٧٧ . هـ سنة ١٨٦٠ م وقبل فيكتور امانويل الثانى الملقب بملك ايطاليا غيرانه بقى خارجا عنها بقية مملكة رومية وولاية فينيسا التى تحت النمسا الان امبراطور الفرانسيس فى الحرب المار ذكرها استشعر بان الروسيا تريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فعجل بايقاع شروط الصلح مغتنما بهرجة النصر ما أمكن و بذلك وحماية الباپا لم تتم منة الفرانسيس على ايطاليا ثم ابتنت على قاعدة الوحدة الجنسية المار ذكرها دعوى المانيا التى كانت اذذاك تحت رياسة النمسا الحق فى الاستيلاء على ولايتى الهولستين والشولسويغ اللتين هما من جنس الالمان وولايتهما كانت بالوراثة راجعة الى ملك الدانيمرك وأجرى فيهما قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجهما ولحوقهما بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الرياسة ومعها دولة البروسيا التى هى أكبر دول المانيا و بين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاته بكبار دول أوروبا وكانت دولة انكلترة مع مصاهرة عائلتى الملك بينها و بين الدنيمرك مسلمة بالحق للدنيمرك ومتيقنة بان حرب المانيا معها مضر بالآخرة بالموازنة الاروپاوية حتى قال اللورد بالمستون كبير وزراء انكلترة اذذاك ان هاته شرارة ألقيت فى أوروبا لاتلبث أن تشتعل منها نارا غيرانه أحجم عن العمل لان فرانسا كانت مخالفة له ومقضية لقاعدة الوحدة فاشتبكت الحرب بين المانيا والدنيمرك وغلبت هاته فى أقرب وقت وأخذت الولايتين منها غيرانه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا و بروسيا وذلك أن المانيا كما تقدم فى المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الرياسة عليها متداولة بين دولتين النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقتدار واستقرت منذ مدة الرياسة بيد النمسا غير أن الدولة البروسيانية حانقة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للغرض وقد كان ولى عليها ملك عاقل ذو خبرة وتبصر بالعواقب وهو افريدارك الكبير فاعطى الحرية للاهالى من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا فى التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها ان الاهالى كلهم تجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم فى وقت الحرب يكونون كلهم عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غيرانها مع ذلك لم تساعفها الظروف الحالية لانفاذ مقصدها فى الاستيلاء على الرياسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالى

فاستوزر

فاستوزر رجلا ذا تبحر فى السياسة وجد فى العمل وهو الامير بيزمرك وكان الملك عاملا بافكاره حتى حصلت له ضدية من بطانة الملك وأهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة أيضا عندما رسم بوجوب الزيادة فى القوة العسكرية اذ علم انها الوسيلة لاتمام الامل مع حسن اجراء السياسة فى الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه قول قائل لسيره لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب أمر بحله وانتداب الامة الى انتخاب غيره تحفظا على سياسة وزيره وبقى الوزير فى خطته وعمل بما رسمه ثم وقعت الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة البروسيا أوعزت الى فرانسا استحسان قاعدة الامبراطور نابليون الثالث فى وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد لو تساعدها ولو معنى فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما أن بيزمرك أوعز الى بقية ممالك المانيا بالتنفير من رياسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هى مركبة من أعضاء متعددة وليس الالمان فيها الا جزءا من الاجزاء ودام اغراء صدورهم الى أن أثر فيهم أشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على الاستيلاء على الولايتين المأخوذتين من الدانيمرك وفى اثناء النزاع أغرت البروسيا دولة ايطاليا بالمعاضدة معها لاخراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فاعلنت الحرب بين البروسيا ومعها ايطاليا وبين النمسا فكانت النمسا غالبة لايطاليا لكنها مغلوبة غلبا قطعيا لبروسيا وذلك لان البروسيا كانت اخترعت نوعا من المكاحل مستحشى من أسفله ويثور بارودها باندفاع ابرة من أسفل المكحلة ويسمى هذا النوع المكحلة ذات الابرة وكان أبعد مرمى وأسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم رمى عدوهم المتوالى كالمطر الدافق من غير أن يصيب رميهم عدوهم ولو بواحدة وكان صف العساكر يخر ميتا دفعة من قبل أن يتمكن من رمى عدوه الى أن ضجت عساكر النمسا ولم يكن لهم من وجه للتخليص الا عقد الصلح بمطالبة البروسيا ومن العجب أن ذلك السلاح كانت عساكر البروسيا مقلدة ومحاربة به للدانيمرك عند تعاضدهم مع النمسا ولم يلتفت اليه أحد اذ ذاك ولا تهيأت النمسا لمقابلته فوقع الصلح ١٢٨٣ هـ سنة ١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولايتين وتدخل فيها أيضا مملكة الهانوفر والهاس ودوكاتوناسو وبلد فرنكفورت الحرة وان تخرج النمسا عن رياسة العصبة الجرمانية بالمرة وتبقى ممالك جرمانيا فالشمالى منها داخل تحت رياسة البروسيا مستقل بادارته والجنوبى منها له معاضدة مع البروسيا لكن ليس داخلا تحت رياستها تماما الى

أن وقعت الحرب مع فرانسا كما سيأتى فى محله كما تضمنت شروط الصلح أيضا تنازل النمسا عن ولاية فينيسيا الى امبراطور الفرانسيس وهو سلمها للطاليان وذلك لانه هو الذى تداخل بالصلح عندما رأى فظاعة تقهقر النمسا ثم لما انهزمت فرانسا فى حربها مع المانيا ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م واضطرت الى اخراج جيشها من رومة تم اتحاد ايطاليا بجعل مدينة رومة تختا للمملكة فدخلتها جيوش الملك فيكتور امانويل والثائرون بعد محاربة ضعيفة من عساكر البابا وبقى البابا حاكما روحيا على الكاتوليك واتحد الحكم السياسى لمملكة ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى صان مرينو التى أهلها نحو سبعة آلاف نسمة فانها مستقلة بنفسها وكذلك صان بيترو وهى كنيسة رومية الكبرى والفاتيكان وهو محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا الحاوية لمرسى ترست تحت يد النمسا وفى نفوس الطليانيين الدعوى باستحقاقها ثم ان المزية فى ذلك الاتحاد ولئن كانت الى الملك فيكتور امانويل لاجرائه للقوانين فى مملكته حتى أحبته سائر ايطاليا وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور لمهارته وحزمه فى ادارة السياسة العامة وجلب المساعدة من الخارج وتقديم الاهم فالاهم لكن للامة الطليانية أيضا الحظ الاوفر من ذلك الفخر حيث هيأت نفسها واستعدت لانفاذ ذلك المراد بفتح بصائرها وتمييزها السقيم من المستقيم ومعرفتها بما يؤول لخيرها حتى كانت تنعقد لذلك الجمعيات السرية فى أقطار المملكة وتتواصل المخابرات بينهم فى الاستعداد وغرس حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك الجمعيات الجمعية المسماة بالفرمسيون التى نهاية سعيها نشر الحرية من غير اذاية لاحد على شروط عندهم وتحملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة فى عدة جهات ومع ذلك لم يفتر عزمهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية الى أن وجدوا يد المساعدة من دولة السارد والمستعدة لما يرومونه فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاريبالدى مظهر وجود تلك الجمعيات التى كانت تنفق على متطوعيه كانفاق دولة على عساكرها وذلك الزعيم لما تم مقصد ايطاليا رامت الدولة مكافأته بترقيته فى الرتب العالية فاحتسب عمله لفخر بلاده وأبى قبول شئ مامع احتياجه ومن أهم مساعدات البخت وجود قاعدة نابليون الثالث المارذ كرها ويقال انها مؤسسة منه قصدا لانه يدعى بانه كان من أعضاء الفرمسيون وانه لما كان منفيا بايطاليا وعد جماعته بالمساعدة اذا تولى ملك فرانسا واعانته لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة النمسا ذات الشأن فلو لم تقع مساعدة فرانسا لكانت النمسا أول مخضد لشوكة الاتحاد ولو انها ترى الحرب لاجل ذلك مع غيرها

(كنابلى

(كنا بلى مثلا) لانها تعلم ان المآل بالمضرة لها حسبما قيل أقسم بحكم فتنة فرانسا الا تنكر في ذلك لان احياء الامة بعد الاندثار وتغلب الدول العظيمة عليها لا يمكن بدون مساعدة دولة ذات شأن واقتدار كما بينه الاستقراء ومن غرائب ما سمعته من جهة علوم الحدثان هو أن نابليون الثالث زار ايطاليا اثر اعانته لها وفي مسامرة الوليمة التي أعدت له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاختلت بالامبراطور مع بعض الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صدقا فقال نعم فقالت لكن ما أدري كيف الحال في الباقي فسقطها وفض المجلس فسألها أحد الحاضرين عن معنى كلامها فقالت انها تعلم نوعا من الحدثان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا قبل ولايته على فرانسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد بان وقتها ولذا قطع الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرانسا وبروسيا ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها اذ كان بعض أنواع ذلك الفن لا يتوقف على صلاح ولا على دين بل كأنما هو صناعة وفي مقدمة ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (وأما أسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ملكان فقط (الاول) فيكتور امانويل الثاني ابنه امبيرتو (وذلك) لقرب العهد بالاتحاد نعم ان الملك الاول كان ملكا على السردوه وهو من عائلة ساقويا التي لها رسوخ في الملك والامارة من قديم

مطلب

(في الادارة الداخلية)

(أعلم) ان الادارة عندهم منقسمة الى كليتين (الاولى) هي ما يتعلق بالادارة العامة (والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى ولا دخل لها فيها وكل من الادارتين راجعة الى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا دولة ملكية والملك بها ادارة السياسة العامة داخلية وخارجية ورياسة القوات الحربية برية كانت أو بحرية وعقد المعاهدات والحرب والصلح ورياسة الاحكام الشخصية وتنفيذها لكنه لا يتصرف في كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب معلوم وملخص كليانه ان الملك يتصرف في جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول أي صاحب رياسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن توفرت فيهم شروط

الاهلية وبعد اختيارهم يعرضهم على الملك وهو يوظفهم فى وزاراتهم وهى وزارة الداخلية والخارجية والمال والاحكام والتجارة والمعارف والنافعة والديانة والحرب والبحر وقد يتقلد رئيس الوزراء احدى تلك الوزارات مع الرياسة وقد يجمع بين صغارها كالتجارة والنافعة والمعارف وكل وزير له حد ردفى ادارته يكون هو المسؤل عنها (وهنالك) مسائل تجتمع فيها المسؤلية على الجميع وما يستقر عليه رأى الوزراء منفردين أو مجتمعين يمضيه الملك وان لم يره يعرضه على المجلس الآتى بيانها فان وافقوا الوزراء امضى الملك وان خالفوهم وأصر الوزراء على رأيهم لزمهم الاستعفاء وينتخب الملك غيرهم كما انه اذا وافق الملك الوزراء وخالفهم المجلس فللملك الخيار ان شاء انتخب وزراء آخرين وان شاء حل المجلس واذن العامة بانتخاب غيره ومن حقوق الوزراء الحضور فى مجلس النواب والاعيان للمناضلة عن أعمالهم ثم وراء أعمال الوزراء مجلسان (أحدهما) يسمى مجلس الاعيان ووظيفة أعضائه عمرية وينتخبهم الملك من عموم اهل المملكة لاعيان وأعيان المتوظفين وجميع أعضاء العائلة الملكية اذا بلغ الرجل منهم احدى وعشرين سنة ولكن ليس له رأى وصوت يقبل الا اذا بلغ خمسا وعشرين سنة ولذلك لم يكن عدد أعضاء المجلس محصورا وكان مقتضى قواعدهم أن يكون من أعضائه كبراء الديانة لكنه لما كان البابا مضادا الملك ايطاليا حيث نزع منه السلطة المملكية كان جميع رؤساء الديانة مضادين الحكومة الطليانية ويرونها عاصية فلا يتداخلون فى أمرها بل لهم سعى فى ابطالها واعادة سلطة البابا لكن العقلاء منهم الذين يؤثرون نفع الامة عموما على حظوظ نفوسهم يميلون ماذكر ظاهرا فقط قياما بوظائفهم الدينية وأما باطنهم فهو مع الدولة (ووظيفة) هذا المجلس هو الرأى فى الاحتساب على أعمال سائر المتوظفين وفصل النوازل التى يقع فيها الخصام بين المتوظفين مما يرجع الى الوظيف واستحسان أو استقباح مايرد من مجلس النواب بحيث لايمضى شئ من تراتيبه الا بعد مصادقة مجلس الاعيان عليه وهو الحاكم فى الجنايات السياسية (والمجلس الثانى) هو مجلس النواب وأعضاؤه تنتخبهم الاهالى من عموم المملكة فكل قسم من المملكة ينتخب عددا على قدر عدد سكانه بأن يكون على كل خمسة وثلاثين ألف نسمة عضو واحد بشروط فى الذين ينتخبون وأن يكون كل منهم ذكرا طليانيا بالغا من العمر خمسا وعشرين سنة وأن يكون غير محجور عليه وأن يعرف القراءة والكتابة وأن يكون مؤديا للدولة أربعين فرنكا فى السنة من أى طريق كان من أنواع الاداء ويستثنى من هذا أقسام لهم

امتياز

امتيازا بالعلم والتجارة فلهم الانتخاب مطلقا كما يشترط فيمن ينتخب لان يكون عضوا أن يكون طليانيا وأن يعرف بالرشد وأن يبلغ ثلاثين سنة وأن لا يكون متوظفا له مرتب من الدولة نعم يغتفر فى الشرط الاخير اذا لم يبلغ عدد أهله فى المجلس قدر الخمس ووظيفة هذا المجلس هى المحافظة على القوانين الموجودة وتغيير ما يرى تغييره وتحرير ميزان الدخل والخرج وترتيب كيفية توزيع دخل الدولة على الاهالى والاحتساب على جميع أعمال الدولة ويوجد مجلس آخر يسمى مجلس الشورى ينتخب أعضاءه الملك من أعيان المتوظفين ووظيفة هذا المجلس هى اعطاء الرأى فيما يعرضه عليه الوزراء من المسائل وتهذيب القوانين لتعرض على من له قبولها من المجالس ثم ان تنفيذ جميع الاعمال مناط بالوزراء وهم المسؤلون عما يقع من الخلل بمباشرتهم أو بواسطة من يعينونه للمباشرة فى الوظائف ومسؤليتهم لمجلس النواب ولمجلس الاعيان فهذا هو ترتيب تصرفات الدولة (وأما) الادارة فى الولايات فقد تقدم ان المملكة منقسمة الى اثنتى عشرة ولاية كبرى وكل منها لها أقسام حتى صار مجموعها تسعة وستين ولاية ثم الولايات فى ذاتها لها (أقسام) صغرى وهاته تحتها أقسام أصغر منها فلكل ولاية وال معين من الدولة وله مجلس يسميه الملك ومدة وظيفتهم ليست محددة ومأموريتهم هى تنفيذ أوامر الدولة وتنفيذ ما يستقر عليه رأى مجلس الولاية الآتى ذكره ولهم التدبر فيما يصلح بولايتهم وامضائه بعد موافقة المجلس المذكور عليه وفى كل ولاية أيضا مجلس أعضاؤه تنتخبهم الاهالى لمدة خمس سنين ويبدل خمسهم كل عام وعددهم على حسب عدد سكان الولاية لكنهم لا يتجاوزون الستين نفسا فيما اذا كان عدد السكان أزيد من ستمائة ألف وينقصون ان كان عدد السكان أقل ومدة اجتماعه مرة فى السنة تدوم على قدر الحاجة ومأموريتهم هى تعيين المقادير اللازمة لمصاريف مصالح الايالة كتمهيد الطرقات وبناء الجسور والمكاتب والمستشفيات وتحسين البلدان وغير ذلك وأول ما يعتبر فى مقدار الدخل المقدار الذى يحصل من الاوقاف المعينة لمصالح الولاية ثم ما يزيد عليه من المصاريف يوزع على الاهالى على نسبة ما يدفعونه لمداخيل الدولة ومن وظائفه أيضا تعيين حدود الولايات وتغييرها فيما بينها على حسب ما تقتضيه المصلحة (ويوجد) فى كل ولاية (أيضا) مجلس مركب من الاعضاء المنتخبين من تلك الولاية لمجلس النواب العام ومأموريتهم مستمرة ما داموا أعضاء لمجلس النواب وادارتهم هى قبض وصرف المبالغ المعينة من المجلس السابق بواسطة الوالى ومجلسه ولهم الاطلاع على سائر أعمال المجالس

والمصالح المدارة فى ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالى مأمور بتعهد الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الآتى ذكرها وايقاف ما يراه من أعمالهم مخالفا للقوانين وانهاؤه الى الوالى ثم فى كل جهة وبلد مأمور من الدولة وله أعوان مكلف بحفظ راحة السكان وحراستهم من الجنايات والمشاجرات وهم المعروفون بالضابطيه كما (يوجد) فى الاوطان أقسام من العساكر ومكلف بكيفية أخذ العساكر من الاهالى على مقتضى القانون (وكذلك) يوجد فى كل بلد قرية أو مدينة مجلس بلدى لا تتجاوز أعضاؤه الستين نفسا فى البلدان الكبيرة وينقصون فى غيرها على حسب كبرها تنتخبهم أهالى البلد مدة خمس سنين كما تقدم فى غيرهم وشروط انتخابهم كشروط مجلس النواب بنقصان فى شرط مقدار الأداء للحكومة ومأموريتهم ما يتعلق بمصالح بلادهم والاحتساب على الضابطيه ومدة اجتماعهم مرتان فى السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة لا تزيد أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رياسة شيخ البلد لاجراء المصالح المتفق عليها فى بقية السنة ومن حقوق صاحب الملك أن يغلق جميع المجالس المتقدم ذكرها اذا رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم هو فيما يرجع الى انتخابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها فى مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر وفى مدة التعطيل يكلف الملك من يجرى المصالح التى ترجع الى المجلس المعطل وتكون عليه مسؤلية ما يجريه ولا يعزل صاحب وظيفة الا عن ذنب أو نقل لغيرها فهذا كله فى القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثانى وهو الادارة الحكمية فان فى كل بلد مجلسا يحكم فى الحقوق الشخصية ثم فى كل قاعدة من قواعد الاوطان مجلس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة لتلك القاعدة عندما يطلب الخصم تحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة ثم وراء ذلك مجلس آخر لتحرير أحكام مجالس التحقيق اذا طلب الخصم ذلك أيضا فى نوازل معينة ثم فى كل بلد مجلس للجنايات الخفيفة ومجلس للصلح يدعو الخصوم اليه وأحكام هاته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقلية مستخرجة من عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة الحقوق الى مستحقيها على ما يرونه وزاجرة عن الجنايات ومراع فيها حالة البلاد وأخلاق الاهالى وعوائدهم واصطلاحهم ومجلس النواب يغير من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان والعرف وقوانين الحكم معلنة بحيث يتوصل اليها كل أحد ليعرف ماله وما عليه واذا تغير

عندهم

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكى يكون الناس عالمين به واحكام مجالس الحكم وسماعهم للدعوى والجواب يكون عاما ولكل من اراد الحضور فى تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس فى مكان معد لذلك ليسمع ويرى لكنه ليس له التداخل فى الشئ من اعمال المجالس نعم اذا رأى شيأ مخالفا للقوانين فانه يرفعه لمن له النظر فى حفظ القوانين أو يكتبه فى الصحف الخبرية ويعلن به وليس فى قوانينهم العقاب بالجلد وانما يعاقبون بالقصاص فى النفس وفى غيرها بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية فى درجة عذاب السجن ومدته واحكام المجالس تنشر فى الصحيفة الخبرية المعدة لذلك لكى يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها عزل عقاب ولا تأخير ليكون فى اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون فانه يعزل ويعاقب نعم يترقى العضو من مجلس الى غيره ومن بلد الى غيرها وذلك بيد وزير الاحكام على قانون لهم فى ذلك ولعموم الاهالى والواردين أيضا الحضور فى مجالس النواب ومجالس الاعيان لسماع مفاوضاتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتبون يحضرون فى تلك المجالس لينشروا جميع المفاوضات وكذلك فيها بيت معد لذلك اذا اراد الحضور الغير الرسمى وفيها بيت معد لمن اراد الحضور من أعيان الاهالى والسفراء والوافدين تعطى لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة انما يدخلون بورقة الاذن من الرئيس والحصول عليها سهل وانما يلزم الاذن لكى لا يزدحم الحاضرون فى مكان الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المحل ولان فى المجالس جلسات سرية يضر افشاء خبرها فلا يسمع عندها بحضور غير الاعضاء بل ربما اعترى ذلك فى وسط الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا هى دولة ملكية قانونية شوروية وللاهالى الحرية الشخصية والسياسية فاما كونها ملكية فلان الرياسة والتصرف العام هو بيد ملك وراثى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الاكبر فى عائلة مخصوصة ومن هذا الى ابنه الاكبر وهكذا وبقية العائلة الملكية تستخدم فى الوظائف كسائر أعيان الاهالى على حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان التصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها منضبطة بقواعد عقلية مدونة معروفة (وأما) كونها شوروية فلان تطبيق تلك

القوانين على الحوادث منالحا بآراء متعددة ووراءها أنظار أخر متعددة بحيث لا يمضى شئ الا ما يستقر عليه غالب آراء أهل الحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية للاهالى فلان كلا منهم له الاطلاق فى التصرف فى نفسه وكسبه داخلا فى دائرة حدود القوانين لا يخشى من مجاوزتها عليه وهى كافلة له بالامن فى دينه ونفسه وماله وعرضه (وأما) كون الاهالى لهم الحرية السياسية فلان كلا منهم اذا توفرت فيه الشروط المؤهلة من صفاته الذاتية فله التداخل فى تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نشر أفكاره على العموم بواسطة المجامع أو الكتب والصحف الخبرية على شرط عدم الخروج عن حدود القوانين المراقب لها فى جمهوريتى جنسه

مطلب

﴿فى السياسة الخارجية لايطاليا﴾

(اعلم) أن دولة ايطاليا الآن هى سادسة الدول الاوروباوية الكبار وهى المانيا وفرانسا وانكلترة والنمسا والروسيا وايطاليا فهاته الدول بما لهم من القوة واتساع نطاق التمدن صار لهم المداخلات فى كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة بعضهم لبعض لا تترك احديها تتداخل فى شئ يمكن منه لمس حقوق الآخرين ولو فى الوجاهة والنفوذ ولكنهم عموما يتجنبون المداخلات فى أحوال الدول ذات الانتظام لا لمجرد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يشيد حصونا على أبواب المداخلات باستناد أصحابها الى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم فى أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الاجنبية ومع ذلك فالقوة فى الدول الكبيرة تغرى بالتداخل فى أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الغيرة والتحاسد بين الكبار يوجب ردع بعضهم بعضا فاذا كان المصوب اليه سهام التداخل مستقيما فى نفسه وجد بقية الدول الكبار مستند الردع الجانى منهم على الضعيف اذ اختلاف منافعهم ومباينة مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار به لا يمكن ان يوفى بأغراض جميعهم فلا يسمح أحدهم برجحان كفة غيره على كفة نفسه ولذلك يجد الضعيف راحة من اختلافهم الذى كانت أعماله باستقامته سببا فيه (أما) اذا كان فى نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التى تقلق جميع الدول الكبيرة فيتحمون تحمل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب التشاحن من قبيل ارتكاب أخف الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ الا فى الجهات التى تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التى تخص بعضا منهم فان المشاحنة انما تقع بين من له تشارك فيها فقط ولذلك كان لدولة ايطاليا مراقبة لاحوال شطوط البحر الابيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنيها ما يقع فى غربى أوربا ولا ما يحصل فى الصين والهند وأمثال ذلك نعم ليست درجة غربى أوربا عندها كدرجة الصين والحاصل ان تداخلها هى أو غيرها على حسب منافعها السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التى لها معها علاقة فى السياسة أو التجارة وهاته الدول هى جميع دول أوروبا والدول التى على شطوط البحور من آسيا وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء نواب عنها فى تخوت تلك الممالك وهم على طبقات فى المقام فلها سفراء من الدرجة العليا فى الدول العظيمة التى لها معها خلطة سياسية معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية فى غيرها من الدول المستقلة التى لها معها معاهدات ولها قناسل وهى رتبة أقل من السفير فى الحكومات الغير المستقلة أو التى هى صغيرة وتارة تكلف بعض المها نواب بمجرد الشرف بالرتبة من غير مرتب أو تكلف نواب بعض الدول الاخرى كل ذلك فى الممالك التى تقل خلطتها معها ولكل سفير أو مكلف نواب وأعوان ومحل ادارة يسمى بالسفارة كانه وزارة تنفق عليها الاموال فى المرتبات وغيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هى أيضا سفير فيها على قدر مصالح تلك الدولة وهى قاعدة مطردة فى سائر الدول بالنسبة لسيرتهم فى الخارجية ومنذ سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا فى عقد المعاهدات العامة بين الدول الكبيرة وان كانت اذذاك دخلت بصفة دولة سردانيا حيث انعقد الصلح بين الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التى اجتمع لها نواب الدول الكبار الست الاوروباوية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب سردانيا لدخول دولتهم فى الحرب كما سبقت الاشارة اليه

فصل

(فى بعض عوائد أهالى ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم ان سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الامم الذين وفدوا عليها قديما واتحد الجميع بصفة الطليانيين منذ قديم وديانتهم عموما مسيحيه على المذهب الكاتوليكى وهو مذهب الدولة وكثير ممن تفننوا فى العلوم الرياضية قادتهم الطبيعيات فصاروا لا يعتقدون شيأ من

الديانات ظناً منهم انها جميعاً مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصارى واليهود لكن عقلاؤهم يقرون بالخالق جل وعلا ولو اطلعوا حقيقة على حقائق الديانة الاسلامية لما وسعهم من الانصاف الا اتباعها لمطابقتها للعقل وسطوع برهانها والمسؤل عن عدم ابلاغ الشريعة اليهم على حقيقتها هم من أناط الله بهم ذلك على ما سيأتى ايضاحه فى الخاتمة ان شاء الله تعالى وسكان ايطاليا هم بعض أقوياء منهم أكثر اهاليها مهذبون

* (وأما القرى) والبوادى فهم على الخشونة والاعتقاد التقليدى البحت للقسوس وهم أصحاب جد فى العمل والاشغال وأصحاب الاعمال البدنية يبكرون الى أشغالهم (وأما) ذوو الترف والاحكام فانهم يطلبون السهر ويفيقون من نومهم مؤخرا ولا يبتدئون الاشغال الا قبل الزوال بساعة أو ساعتين أو عند الزوال وكثيرا ما يدعو الاحباء بعضهم بعضا للسمر والرقص فى منازلهم وتارة يستدعونهم للعشاء مع ذلك وتارة يقتصرون على تقدم فواكه وحلويات وخمور وليس من عاداتهم الحياء مثل ما هو عندنا فترى البنت تخاطب زوجها وتفاكهه أمام والديها بل وتفعل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع الرجال أمامهم هذا فى البنات فكيف بالبنين وعندهم ان الغناء ليس بعيب من النساء فترى أكبر الاعيان يحتفل فى داره بدعوة عامة وتصير بنته أو زوجته أو احدى النسوة الاعيان المدعوات تغنى فى ذلك الملأ وترقص مع الرجال على اشكال شتى من معانقة ومخاصرة وغيرها ولا تأثم من ذلك بل يرونه اكراما بحيث أن المسلم الغيور يكاد يتفطر مما يرى

* (وأما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو فى المواكب غير معيب لكن الغناء منهم معيب والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويتعاطين من الاشغال مثل الرجال الا الاشغال الشاقة والتعاليم للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قرابتهن مثل الرجال ويقول رجالهم ان الذى حمل المسلمين على حجب النساء ما فى طباعهم من الخيانة وشدة الحجب توجب شدة الشوق وحيث انا على خلاف ذلك فالامن على نسائنا محقق والتى لا يحميها عرضها لا يحميها انتظارها هذا مدار كلامهم وهو خطأ فاحش اذ موجب الحجب أمر طبيعى فى سائر البشر بل فى سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ سببا فرؤية الذات والوجه مكشوفا ثم المكالمة ثم المداعبة ثم الرقص فى حالة شرب الخمر والطرب ثم المخاصرة كلها أسباب تدعو الى الاتفاق طمعا الى ما وراءها بلا شك واثبات ذلك بالوجود أقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هى التى لم تتزوج صاحبتها من غير نظر الى حقيقتها الاصلية والزيادة على هذا فى الاستدلال خارج عن موضوعنا

ومنصفهم

✽ ومنصفهم يقر بذلك لامحالة وقد غلط من ادعى ان ديانتنا تبيح النظر لوجه المرأة وهو جهل بعدم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاها وقدماها حتى يجوز لغير محرمها النظر الى تلك الاعضاء وكذلك للنسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره عن الرجال الاجانب مطلقا لخوف الفتنة بنص الكتاب فى قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت على ذلك قلت فيها الفاحشة حتى كادت أن لاتقع وكل بلاد تساهلت فى خروج النساء كاشفات الوجوه بالبراقع الصفيقة وغض النظر عن مكالمة النسوة للرجال والمزاحمة فى الاسواق والمجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها حيراء مسارتهم التكلم بوقاحتهم مع النساء سواء كانت بلدة اسلامية أو افرنجية وقلب الحقائق واخفاء الجهر وعكس الطبائع ليس فى الوسع ولا يحاوله ذو انسانية وأهالى ايطاليا يستعملون الموسيقى ذات ✽
آلات النفخ وذات الاوتار وهم برعاء فيها والحانهم هى ألحان الاوروباويين وهى ألحان مخالفة للالحان المعروفة عند المشرقيين والعرب وأهالى أفريقية الشمالية حتى ان هاته الالحان لايحصل منها مايحصل من السماع لهؤلاء وبالتعود تصير موثرة فى النفس ولها تعاليم مخصوصة معتنى بها ولا يدقونها الا على تطبيق لما هو مرسوم فى أوراق خاصة على اشكال يتبعها صوت النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون أمامه تلك الاوراق ينظر فيها ويدق على نحوها ولا يدقون من محفوظاتهم الا قليلا وأهل البادية وبعض القرى لهم آلات من مزامير بالجلود ينفخونها بلا أوراق وفى كل بلدة مراسح للعب والتلاهى على حسب كبر البلدة تفتح ليلا للسهر وتشكل فيها ألعاب على صور تاريخية مرئية أو للغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة فى ذلك على سائر أهالى أروبا والاهالى عموما ذوو رجولية فى التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لايحمل السلاح الصغير الخفيف مخفيا ويركبون الخيل رجالا ونساء غير أن المرأة تركب السرج بلا فتح لرجليها بل انها تثنى رجلها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى تضعها فى الركاب وعادة الاهالى فى السلام عند الملاقاة هى المصافحة مع هز اليد ويقول احدهما للآخر يوم حسن أو ليل حسن واذا قدم مسافر على حبيبه أو قريبه قبله فى فمه ولو الولد مع والده أو امرأة مع قريبها لكن النسوة يزدن ان الحبيبات متى اجتمعن قبلن بعضهن فى الافواه والرجال لابد فى سلامهم من كشف رؤس بعضهم لبعض والرفيع بالنسبة للوضيع يضع يده على قلنسوته كانه يريد رفعها موافقة واذا دخل وارد على آخر فى بيته لايجلس

الاوهـامكشوفا الرأس وهى عادة جارية فى جلوسهم فى بيوتهم مكشوفى الرؤس الا من كان به أذى من رأسـه ومن عاداتهـم أن لا يبعـدوا المشى لتلاقى القادم لكنهم يبعدون التشييع ومن الآداب أن يحـدث أحـدهم كلا ما لصاحبه عنـد الفراق فيتبعه فى حالة الوداع و يتصافحون أيضاعند ذلك

مطلب

(فى التجارة)

الطليانيون لهم مهارة فى التجارة كغيرهـم من أهالى أوربا فرادى ومجتمعين والذى وسع تجارتهم هو عقـد الشركات فأموال الواحـد لا تكفى لمزيد الاتساع فى التجارة ولذلك يعقدون شركات ذات أسهام عديدة ويقيضون للمباشرة بعضامنهم ممن يأتمنونه وتكون الشركاتهم فروع فى الاقطار التى يواصـلون معهم التجارة و يعلمون كيفية التجارة والبضاعة وأسعارها وكيفية ايصالها بواسطة الصحف الخبرية وبأوراق وكتب يودعونها تجانا و يرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والاقطار وان بعدت و يشهرون بها تجارتهم ودواتهم تحميهم فى أنفسهم وأموالهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على نتائج بلادهم ثم اذا لم توف أموال الافراد أو الشركات بالمقصود من التجارة تراهم يقترضون من ديار الصيارفة وهؤلاء الصيارفة هم ذوو الاموال اما ان تكون لواحد أو لجماعة أو للعموم بان يكون كل من له شئ من المال ولا يريد التعب فى ترويجه وارجع منه الجزء أو غيره فانه يدفع ماله لاحدى ديار الصرافين المسماة عندهم بالبنوك و يأخذ منها حجة فى مقدار مادفع وتاريخه و يأخذه لى ذلك ربا فى كل سنة وهو لا يتجاوز ستة على المائة فى السنة ومهما أراد رأس ماله فانه يحاسب على مقـدار ما بقى عند الصراف و يأخـذ ربحه ورأس ماله حالا وكذلك اذا أراد أخـذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك اذا أراد ارجاع ما أخذ أو أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد و يأخذ متى أراد و يحاسب متى أراد فسهل بذلك ادارة أموال العاجزين مع أرباحهم ثم ان البنك الذى يأخذ الارباح على النحو المذكور يدفعه لمن يريد الاستقراض بزيادة فى مقـدار الرباعلى ما يعطى هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز العشرة على المائة فى السـنة وكل من مقـدار المدفوع والمأخوذ يختلف بحسب البنوك والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحدود المذكورة لمنعه بالقوانين حتى ان من تجاوزها يعد سارقا ثم اعطاء البنوك المال للمستقرضين انما يكون برهن أولمن له اعتبار

يأتمنه به صاحب البنك ثم ان بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بان يخرجوا أوراقا تتداولها الناس عوضا عن النقدين بشرط أن لا تتجاوز الضعف مثلا من مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضها بالاطلاق وبما تقدم تجد التجارة رائجة بين أيدى السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التى يزيدها الحوالات المالية وهى ان التاجر يشترى شيأ أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حوالة بقبض ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه على تسعين يوما وهو الاكثر دورانا وتارة يكون أقل أجلا وتارة يكون أكثر وعند بلوغ تلك الحوالة للمحال عليه يوقع عليها بالقبول ليدفع فى الاجل وقبل حلول الاجل يرسل المحيل المال اما مما باعه أو مما قبضه من حوالة أخرى بحيث ان المحال عليه يدفع المال فى أجله من غير أن يخرج من ماله شيأ مع ربحه لجزء من المال لانه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والمحال عليه فى قبول الاحالة وفى مقدار ما يربحه ولا يتجاوز النصف فى المائة وتارة يكون بلا ربح بالمرة لصداقة أو معاوضة بمثلها بينهما كما ان المحال عليه يربح بقبضه ماله نسيئة أيضا جزأ يسيرا والمحيل يربح لانه يتجر بمال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يعترى الافلاس تجارهم وبنوكهم لان من أحكامهم انه اذا حان الاجل ولم يدفع المؤجل ما عليه فى الحال يفلس ولذلك كانت أكثر البنوك بايطاليا التى لها أوراق مالية لا تصرف الا بخس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتداول خارج المملكة بل ولا خارج بلدانها الا بنك الدولة فانه رائج فى جميع مملكته فقط وفى كل مدينة محل ضخم للمناداة على المتاجر العالية يسمى بورسه يفتح بضع ساعات عند الزوال اذا دخله الانسان يجده مشتبكا بالخلق واضجيج بأصوات السماسرة ينادون على أوراق ديون الدول وأوراق الشركات التجارية الكبيرة ذات الحصص كطرق الحديد وخليج السويس واشباههما وكثير من التجار يفلسون فى تلك المتاجرة لان بعضهم لا يشترى ولا يبيع الا يدا بيد وهؤلاء لا يعتريهم الافلاس الا نادرا لانه اذا انحطت أسعار ما اشترى لا يطالبه أحد بشئ وانما يصبر على خسران نفسه الى ان ترتفع الاسعار وبعضهم يكون ليس له رأس مال لما يشترى به وما يشتريه أيضا ليس بحاضر بل هو مؤجل لرأس الشهر ويعتمد على أن ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غدا أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحيل المشترى على البائع فيما اشترى ويخرج من البين بالربح فكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا ما يفلسون فى أقل مدة بأن ينحط السعر عما اشترى به ويحل الاجل فيلزمه دفع الثمن

وأخذ المبيع أو دفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عن كرات وهذا النوع لا يحكم به الحاكم عندهم لانه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالمفلس يفلس نفسه بغير حكم لكي لا يسقط اعتباره رجاء ان يربح مرة أخرى بمعاملة التجار اليه فما تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في الخاتمة ان شاء الله تعالى ما يجوز لنا شرعا عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أنفع وسيلة لذلك حسبما تقدم في الكلام على تونس ولكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لانها انما تمر على الاماكن الاكثر عمرانا فيلزم لها طرق فرعية صناعية لجلب البضاعة بسهولة لمراكز
* الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في ايطاليا لها طرق صناعية ومن أنفع وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تجعل أماكن في سائر البلدان لوضع المكاتيب في محل منها ويؤدي صاحب المكتوب أجرة على حمله أجرة زهيدة بالمرة بان يشتري بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة وبظاهرها عليه صمغ قبيل الصمغ ويلصق البطاقة على المكتوب بحسب ثقل المكتوب في زيادة الاجرة ويكتب عنوان المكتوب باسم المرسل اليه وبلده وحارته وعدد منزله فتحمل المكاتيب من كل بلد في الرتل ولها مركبة خاصة بها مرافع ذات أقسام ومستخدمون فعندما تأتي المكاتيب الى المركبة في وعاء يسير الرتل ويشتغل المستخدمون في توزيع المكاتيب على أسماء البلدان ويميزون كلا على حدة ومهما وصل الرتل الى بلد أقبلت أتباع البريد عن محل الى تلك المركبة ودفعوا لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت المكاتيب من الرتل يؤتى بها المحل البريد وتعطى لموزعين يوزعونها على أصحابها بحسب ما هو معنون عليها واذا وجدوا مكتوبا غير خالص الاجرة يوصلونه للمرسل اليه فان دفع أجرة حمله وهي اذ ذاك مضاعفة سلم اليه المكتوب والا أرجع الى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة أشهر فان جاء صاحبه باحثا عنه أدى أجرته وأخذه والا فتح فانه وجد به اسم مرسله ومحله أرجع اليه وأخذ منه الاجرة مضاعفا والا أحرق وهكذا فيما اذا لم يوجد المرسل اليه بالمرة وكان خالص الاجرة فانه يرجع من غير أجرة واذا كان المكتوب ذا أهمية فلصاحبه تضمينه أي يجعل صاحب البريد ضامنا لايصاله بان يجعل عليه خواتم بالشمع ختمة أو علامة أخرى ويأخذ من صاحب البريد حجة في ايصاله الى صاحبه ويؤدي عليها اجرا ضعفين على المعتاد واذ ذاك لا يسلمه البريد الى صاحبه الا بأخذ حجة منه في الوصول اليه فاذا فرض

ضياعه

ضياعه من صاحب البريد فانه يؤدى للمرسل ستين أو خمسين فرنكا وهكذا سائر الاوراق المكتوبة على النحو المتقدم غير ان الصحف الخبرية أجرتها يصالحها زهيدة بالمرة وكذلك الكتب وقد جربوا انهم مهما رخصوا فى الاجرة الازداد الدخل للبريد وما تقدم فى كيفية الحمل للبريد فى الاماكن المتصلة فى البر أما اذا كانت الاماكن يتوصل لها بحرا *

فان الدولة تتفق مع احدى الشركات التى لها بوابير سيارة للتجارة على ان تحمل البريد باجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على ان تقلع البوابير فى أوقات معينة وتصل الى أماكنها فى أوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير واذا تأخرت الباخرة عن ميعادها فلابد أن تبين بحجة السبب الاضطرارى الذى حملها على التأخير والا فتخسر شركتها أموالا بالغة ضمانا عن التأخير وكذلك الرتل اذا كان لغير الدولة أعنى فى الاتفاق معه على حمل البريد أما فى تعيين الاوقات وانضباطها فالكل سواء برا أو بحرا ولذلك تجد السفر مع البريد فى غاية الانضباط لانه لا يتخلف عن مواعيده فالمسافر معه يكون مرتاح البال عالما بيوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله الا أن يعرض عارض سماوى ثم ان السفر فى بوابير البريد هو أحسن من غيرها من البوابير التجارية لان تلك أتقن نظافة وأقل ازدحاما وأرفق خدمة بالركاب حتى اذا كان البحر راكدا كان السفر نزهة ولكن قلما يصفو الحال بسبب اضطراب البحر أما السفر فى الرتل فهو على نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملا للبريد أم لا ولكل رتل رقاع مكتوب بها الاعلام بوقت سفره من كل بلد ووقت وصوله وكم يقف بها من الدقائق ويحافظون على تلك الاوقات للغاية وعند ما يصل بلدة ترى خدمته يصيحون باسمها وعدد الدقائق التى يقف بها اعلاما للمسافرين ووقوفه لا يتجاوز نصف ساعة فى وقتى الاكل وأما غيرهما فأكثر وقوفه عشر دقائق الى الدقيقتين وبلدان الوقوف للاكل يجد بها فى المواقف بيوتا ضخمة بها موائد الاكل والمأكولات المطبوخة والفواكه كلها مهيئة فمنهم من يأكل هنالك ومنهم من يشترى ويحمل أكله معه والاثمان فى تلك الاماكن أغلى من غيرها كما ان البلدان الاخرى يوجد فى محطاتها الاكل لكنه دون ذلك وفى كل محطة تعد المستراحات فالركوب فى الرتل منتزه على كل حال سيما مع ما أحدث فيه من المخادع المنفردة حتى يستطيع الانسان أن ينام ويقضى جميع ضرورياته بغاية الراحة وفى أيام البرد تسخن المخادع بأوانى نحاسية مملوءة ماء حارا ويزيد أجرة هاته المخادع على الاعتيادية نحو عشرة فى المائة وقد أحدث نوع من المركبات ذو مقاصير للانفراد وبيت للاجتماع

فيكون الانسان كأنه فى دار مع جيران وهو مسافر ولا يزيد الاجر فى هاته المركبات على المركبات من الطبقة العليا الا نحو الثلث ومن وسائط رواج التجارة ورود الاخبار بالاسلاك الكهربائية فأصحاب الشركات يخبرون أصحابهم كل حين بما يروج عندهم فى الاقطار المختلفة وما يكسد من البضائع فيكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك فى متاجر محلات البورصه فترى الاخبار تتساقط عليها كالمطر وبذلك ترتفع أسعار أوراق الديون وغيرها أو تنحط وأعظم ما يؤثر فى ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من قواعد الممالك السبع الكبيرة وهى الاستانة وباريس ولوندره وبرلين وفيينا وروما وصان بطرس بورغ اذ هاته الدول هى التى عليها مدار السياسة العامة وقد اتخذ التجار الاخبار السياسية ملعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا أراجيف سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتتلقفها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار ونقل البضائع مضر بارباح التجارة وان الارباح انحطت عما كانت عليه فى القديم وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن فى نفس الامر قد ازدادت كمية التجارة وذلك ان التاجر ذا البضاعة من الصوف مثلا كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها ألف قنطار من الصوف والمكاتيب المعلمة بالاسعار الا بعد عدة أشهر فيبنى عليها عمل تجارته ويشتهر خبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فيربح فيها فى السنة عشرين فى المائة ان ساعده البخت والآن صار يأتيه فى كل أسبوع نحو ذلك القدر مثلا وتأتيه الاخبار كما تأتى غيره فيبيع صوفه بربح عشرة فى المائة فقط فى شهر ثم الشهر الذى بعده كذلك وهكذا فعوضا عن كونه كان يدير رأس ماله مرة فى السنة ويربح فيه عشرين فى المائة صار يديره اثنتى عشرة مرة يربح فيها أزيد من الضعف فبالنظر الى كمية الربح كل مرة تجد الارباح القديمة أوفر لكن فى الحقيقة الناتج فى السنة من الارباح الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلناه مبالغة بدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا فى القطر المجلوبة اليه لم تزدد فما يأتى زائد الاحتياج وبيان فساد ذلك ان الادارات والحركات كلها مرتبط بعضها ببعض فكما سهلت المواصلة سهلت آلات النسج بالمعامل البخارية والبلاد التى كانت تنسج ألف قنطار صوفا فى الشهر بالآلات اليدية صارت تنسج اضعافها بالآلات البخارية وتلك المنسوجات تنفق مهما ازدادت بانحطاط أسعارها فيكثر راغبها فمن لم يكن قديما قادرا على لبس الملف وهو الجوخ لغلوه صار

الآن

الآن يتوصل اليه لرخصه برخص ثمن الصوف بما نقص من أجرة جلبها وقلة ربح تجارها وبرخص آلات النسج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت سكان الممالك المتمدنة وكثر المتمدنون وكثر اتساع التجارة وايصال البضائع الى الاقطار الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتبطت الاشياء بعضها ببعض واتسعت التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه وأضف الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل ليست متينة مثل عمل الايدي فصار أغلبها يبلى ويتمزق بسرعة بالنسبة للمنسوجات المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها بيد أهاليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت سابقا تجارتها أغنى مما رجعت اليه ثم انحطت بتقدم الممالك المجاورة لها وتأخرها عند انقسامها وظلم ولاتها لكنها الآن تراجعت للغنى وأغلب ما يخرج منها الحرير الغير المصنوع والدقيق وانواع العجين المصنوع والحبوب والحيوانات المأكولة والجلود وزيت الزيتون والكبريت وهي كما سبق لها انفراد به وقد خرج منه في عام واحد مائتان اثنان ألفا وخمسون ألفا قونولاته أي قنطار ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ وكذلك يخرج منها المرمر والرخام الابيض والكتان والحشيشة المعروفة بالنكرورى والمنسوجات الحريرية والاعطار والتبن المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر سيسيليا الذي هو لبين خفيف وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بايطاليا وقيمة تجارتها في سنة واحدة وهي سنة ١٨٧٦ مليار دان وستمائة ألف فرنك والمليارد ألف مليون وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة لكن أكثرها مع انكلترا وفرانسا ثم بقية الممالك ويخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

﴿في الصنائع الفلاحية في ايطاليا﴾

(اعلم) ان هاته الصناعة لها ترق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ومع ذلك لم تبلغ الى درجة النهاية نعم هي في الجهة الشمالية مناكبة لما جاورها من فرانسا وغيرها اذ لاهلها اعتناء واتقان للزراعة وتربية الاشجار وتنميتها حتى ترى الارض كأنها حديقة متقنة ولا تجد أرضا خالية من الاشجار ولو الاراضي الزراعية بحيث تجدها مقسمة بصفوف من الاشجار وبينها براحات للمزروعات فصاحب الارض ينتفع بغلال الاشجار والحطب والزرع معا وترى الارض مقسمة بتقاسيم لها منظر بهيج ونفع عظيم هذا زيادة عما

يحصل من الأشجار من السبب فى المطر وذلك لان الله بحكمته البالغة جعل عروق الاشجار تمتص الماء من عوامق الارض ثم تنفثه بخارا من أغصانها وأوراقها و ينشأ من البخار السحاب واذا كانت الاشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطئ السير حتى يمطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه فى الارض فيكثر خصبها وقد بانت سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم ان صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليد فى العمليات بل انها علم مخصوص يدرس و يصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة و يعتمد كثيرا من الكيمياويات وحول المدارس أراضى للبيان بالعيان والتجربة والعمل وأراضى الرعى مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة الحكم لا يتجاسر أحد بالرعى ولا غيره فى أرض ليست له اما بالملك أو بالكراء حتى انه ليس لبساتينهم حوائط تمنع الداخل ولا تقع عندهم سرقة الغلال الا نادرا وأما بقية الصنائع فلهم كفاية فى كل الصنائع الضرورية والتحسينية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التى هى من أعظم أسباب الثروة والترقى وان كانوا الآن مجتهدين فى ترقياتها الى بلوغها المثل درجة الامم البالغة للنهاية فى المعارف والتمدن والحاصلون عليه الآن هو ان لهم معامل للسلاح بأنواعه ومعامل لانشاء السفن والبواخر المدرعة ومعامل للتحليلات الكيمياوية وللأعطار وللشمع المتخذ من الشحم وللدباغة للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والشاشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع الفاخر المسمى بالامبرأو القطيفة ومعامل للطرز كما انه يصنع بالايدى أيضا ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية وآلات المرايا المكبرة وآلات الموسيقى وخصوص أوتار بالدنابلى لها صيت كبير فى جميع الجهات وفى نابلى وميلانو معامل متقنة للكراريس أى عجلات الركوب كما ان فى ايطاليا اتقان لصناعة الاحذية وسائر الانعلة وخياطة الملبوسات وهم فائقون فى صناعة نحت المرمر ونقشه وكذلك صناعة المرجان والصياغة والكهربان والمادة المتجمدة النارية المنقذفة من أفواه البراكين والموزايكو اى القطع المرمر التى الواحدة منها قدر الظفر ترصف على أشكال بديعة و يلصق بعضها ببعض بنوع من الطين والجير وقد شاهدت فى معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم ايطاليا فى سائر الصنائع ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها فى سائر الحاجات والتحسينات فضلا عن الضروريات حتى ان ملكها لما دخل المعرض مع رجال الامة تعجب مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا المعرض

المعرض تشخيص سائر أصناف الطاليانيين بصور على ألوانهم وهيئة لبسهم فرأيت أكثر من ثلاثين صنفا كل منهم له سحنة وشارة خاصة وأعظم ترقيهم فى مصنوعات الجلد والطين والمجلات ولهم مشاركة فى سائر المصنوعات

مطلب

﴿فى المعارف﴾

المعارف الدينية المسيحية لها سوق رائجة من القسوس ولهم صوامع ومدارس لكنهم قد منعوا نوع القسوس الجزويت من التجمع فى المدارس لانهم يخلطون التعاليم الدينية بالتعاليم السياسية ويتخذون المدارس كالقشل للعسكرية فمنعوا من ذلك لخوف الدولة من تشويش سياستها المخالفة مشرب الجزويت لمشرب الدولة فى أصول السياسة (وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا فى التقدم فيها وعلى الاجمال فاهالى الشمال متقدمون على غيرهم فى سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلومهم الاصول ثلاثة (أحدها) علم جر الاثقال (وثانيها) علم الكيمياء أى تحليل الاجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطبيعيات والكل منها فروع كثيرة ومن فروع الثانى والثالث علم الطب الذى كانت اشتهرت به بلاد بيزة قديما والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففى ايطاليا الآن مدارس ومكاتب على ثلاث طبقات والمكاتب العليا فيها الى الآن لم تناسب مكاتب فرانسا والمانيا وفى ايطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف الخبرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزنة كتب تحتوى على ٣٨١ و٣٤٩ و٤ مجلدا من الكتب المطبوعة و٥٧٠ و٣٣٠ من كتب الخط وفى خصوص مكتبة قصر الفاتيكان ٠٠٠ و٣٠ كتاب وهى أحسن المكاتب من جهة حسن كتب الخط

مطلب

﴿فى هيئة المساكن والطرقات﴾

(اعلم) ان ايطاليا يكاد ان لا تجد بين بلدتين فيها طريقا غير صناعية بل كلها متصلة ببعضها بالطرق المحصبة المتقنة الصناعية غير ان الطرق فى البرية لا تنظف واغلبها قيمون لاصلاح ما يفسد منها كان يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوى اليه وفيه من آلات الاصلاح الخفيف ما فيه كفاية ويكون هو طول يومه متفقدا لما فى

عهدته ومهما وجده مكانا متغيرا بادر لاصلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق واحتاج للتجديد باشره بذلك المكلف من المجالس البلدية وعلى أولئك القيمين متفقدون فى كل الاوقات كما ان سائر أطراف المملكة متصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية وكذلك تتصل بسائر الممالك المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك الممالك متصلة بغيرها بذلك أيضا فكانت أوروبا كلها كانها بلد واحد فى سهولة الانتقال والسرعة من مملكة الى أخرى ومن بلد الى آخر ومع ذلك فلم تزل ايطاليا مجتهدة فى زيادة الفروع للطرق الحديدية (أما الطرق) فى دواخل البلدان فزيادة على كونها صناعية لها خدمة ينظفونها مرات فى اليوم ولا تجد فى البلد مزبلة لان خدمة التنظيف يرفعون الازبال الملقاة من الدور فى آخر الليل ومن طرح الاوساخ من داره فى غير الاوقات المعينة عوقب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفى الليل منورة بالبخار الغازى والفوانيس نظيفة وغاية ماهنالك هو الفرق بين البلدان فى شدة النظافة والتنوير واتساع الطرقات فقط (أما الاصل) فهو موجود فى الكل ولو فى القرى والطرقات أغلبها يمر فيها عجلتان ومنها ماهو أوسع وفى البلدان القديمة لم تزل طرق ضيقة لا يمر فيها الا الماشى وأما هيئة المساكن فان المدن لا تكاد تجد فيها الديار ذات طبقتين فقط بل تزيد الى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتئما بعضه ببعض قريب الشبه كله فى الصورة مع التحسين الظاهرى والتنظيف وطول الطرق واتساعها وجعل البطحاآت فيها والاشجار على أوسعها فكانت مدنهم بذلك ذات منظر بهيج حتى ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب مايشير به المهندسون من المجلس البلدى وأما داخل الديار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة ثم درجا متصلا بعضها ببعض متصاعدة اما على شكل دائرة أو مربعة الى أن تنتهى لاعلى طبقة ومهما وصلت الدرج الى طبقة تجد فيها فسحة ذات أبواب بقدر ما فى الطبقة من المساكن فاذا دخلت مسكنا تجد ايوانا مسقفا وبه أبواب للبيوت وباب الى ممر به بيوت ومطبخ ومستراح وتارة يكون فى احدى البيوت الاخرى مستراح آخر وجميع الحيوط مطلية والسقوف اما خشب أو بناء مطلية مدهونة وكل البيوت لها طواقى كبار ويعتنون بمقابلة الابواب والطواقى والابواب وعواضدها من خشب متقن الصنعة وسائر الاماكن مبلطة اما بالجليز أى نوع من الآجر المطلى المتقن أو المرمر وكذلك الدرج ومن اقتصادهم ان كل بلد تقتصر على ماعندها من مواد البنيان ولا تأخذ من بلاد أخرى

أخرى شيأ الا مالا يمكن الاستغناء عنه بما فيها ولو كان الشئ من بلد فى نفس المملكة ثم البيوت التى بكل دار أكثرها مائل الى شكل التربيع واحدها بيت للجلوس وآخر للأكل وهما أكبر البيوت ثم آخر النوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضوعه وفرشها مختصرة متقنة مروقة من كراسى كبار وصغار وساعات ومرايا وزرابى وأسرة يعتنون بنظافتها ويعتنون باتساع الاريج وراحتها وكل مسكن لعائلة فتجد الدار الواحدة يسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة فى احدى المساكن على قدر كبرها وطبقاتها وأما دور الاعيان والاغنياء المنفردين بديارهم فهى على ذلك النحو أيضا لكنها كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزيد على الثلاث أو الاربع وكثير من أغنيائهم يسكنون فى الديار المشتركة من النوع الاول لكنهم يختارونها وسيعة وكل مسكن يكون بابه مغلقا وعند الباب الخارجى للدار بيت يسكنه بواب بالاجرة من جميع أصحاب المساكن للحراسة وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات فيها أولها دهاليز والجميع مغطى ولا يفتح للاصلاح أو التنظيف الا ليلا وسطوح الديار فى جميع الجهات الشمالية مسنمة لئلا يتثاقل عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض من السطوح مبسوطة

مطلب

﴿فى اللبس﴾

الرجال يلبسون قميصا وسراويل وصدرية تسمى جيلى وسترة أى جبة مفتوحة الطوق الى أسفل قصيرة الى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقتين وسراويل أخر طوال الى أسفل القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جدا كأنها لاصقة بالعضو وفى بعض المواكب يلبسون سترة مقطوعة الذيول من امام وفى الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الاولى وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم يلبس قمصان ضيقة من الصوف وفى أرجلهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤسهم قلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو من الجوخ ومنها ما هو سعف أو تبن ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يجلسون الا على الكراسى وما شاكلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها ملائمة لذلك نعم لهم جبائب وسيعة ذات ألوان يلبسونها فى الاوقات التى لا يخرجون فيها ولا يأتيهم فيها أحد وكل

ألبستهم غير القمصان والجوارب لونها أسود أو ما قارب به وأغلبها من الصوف ولا يلبسون الحرير الا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا اما اسود أو ما قاربه وكذلك في رقابهم يلبسون روابط ولقمصانهم رقبات بيض يطلونها بالنشا وكذلك أطراف أكمامها الضيقة وصدورها ويحفظون على نظافتها ويرسلون شعر رؤسهم لكنه لا يتجاوز شحمة الاذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة بايديهم تارة يحلقون الكل وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون الكل فتجد الوجوه على اشكال شتى ولكن من يحلق تراه يحلق يوميا لان ابقاء أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس النسوة فقميص وسراويل وسيعة من كتان وصدرية مضبوطة على الصدر لها عيدان من شعر سمك البالين لتصغر البطن والخصر وترفع النهود وتعلي الردف وفوقها جبة طويلة الى الارض ضيقة النصف الاعلى ولها أكمام ضيقة الى الرسغ ووسيعة الاسفل من الخصر الى الارض ذات تكاميش ويتنوعن في هيئتها وقد يطلن ذيلها من ورائه حتى يصير يجر على الارض نحو ذراعين أو أزيد من ورائها ويلبسن جوارب في أرجلهن وأحذية ذات أعقاب عالية وصرن يجعلن العقب قرب نصف القدم ليتراءى للناظران قدمها صغير مع انه لا يرى لطول ذيولهن واضراره بهن كما يذكره الاطباء من انه يؤذي الرحم لنزول ثقل البدن على وسط القدم أي الاخمص وتارة يزدن فوق اللباس أردية أو معاطف عند الخروج في الطريق ويسدلن على وجوههن خمارا شفافا صفيقا لمجرد التزين ويطوين شعورهن الحقيقية أو التقليدية بهيئات حسنة على أنفوخهن ويلبسن قلانس ظرافا ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الحلي اقراطا وسوارا وخواتيم وقلائد وما سلك من أنواع الجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان لباسهن مائل الى السواد ثم الابيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمي لاصحاب الوظائف من الرجال فهو على الشكل الذي تقدم غير ان السترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو الفضة على صدرها وعنقها ويديها وظهرها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل شريطان من القصب وعلى القلانس علامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك النياشين أي علامات الفخر ولبس العساكر ظريف جدا متقن من ذلك الشكل غير ان سترتهم مقفولة الصدر وتبلغ في الطول الى الخصر فقط الا ضباطهم فهي طويلة كغيرهم مقفولة الصدر

مطلب

مطلب

﴿في الاكل﴾

هيئة الاكل عندهم هي موائد مرتفعة يجلس حولها على كراسي وتغطى برداء أبيض وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأتي الخادم بآناء الطعام فيأخذ منه الآكل في صحنه مقدار ما يريد ومن اصطلاحاتهم ان تجد حذاء الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها ألوان الطعام الحاضرة لتلك الاكلة حتى تأخذ منها ما تشتهيه وهاته العادة هي من المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الاحياء لكن لا بخصوص الكتابة وانما هي بأي اعلام للضيف بانواع الطعام ثم كل صحن حوله ملعقة وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يبدل الصحن والسكين والملعقة بغيرها نظيفة وكذلك يوجد حذو الصحن كيسان على قدر أنواع المشروبات التي تكون لتلك المائدة من أنواع الخمر وفي وسط المائدة أواني بالزهور بحيث انها في غاية المنظر الحسن والنظافة ويحافظ الآكلون على النظافة والعادة أن لا يزيدون غالبا على خمسة ألوان الا في الضيافات والمواكب ثم بعدها يؤتى بنوع من الحلويات ثم بجبن ثم بفاكهة من احدى غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوي وأغلب أنواع الطعام مائل الى التحرز عن كثرة الاخلاط والابزرة حتى يضعون على الموائد أواني لطيفة بالملح والفلفل الاسود والخل والزيت لما لعله يطلب منه الآكل اذا وجد الطعام غير لائق به في الملح كما انه يجعل على المائدة أوان ظريفة بالخردل المسحوق المخلوط بالخل وقنينات بالماء وآخر بالخمر المعتاد عندهم للاكل ثم في أثناء الطعام يؤتى بأنواع أخر من الخمر أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يؤتى بنوع منه يسمى شنبانيا اذا صب في الكاس غلى وارتفع واذذاك يخطب خطباؤهم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع اما قائما أو جالسا ثم في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم الى بعض بالكؤس كناية عن التوادد ويشربونها ولكن هذا لا يقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وانما يقع في الضيافات والمحافل وتارة يصرخ الحاضرون بعيش كذا ما فلان أو مقصد سياسي ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعيبون عليه ذلك بل يعرض له صاحب المحل تعريضا خفيفا بمدح نوع الخمر فان امتنع فلا تثريب عليه ويوجد فيهم افراد لا يشربون كما ان غالب متبصريهم يعلم ان الخمر حرام عند المسلمين والنسوة في الديار هن المتكلفات

بأحوال الاكل والطباخون يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة فى تركيب الاكل والطبخ

مطلب

(فى المواكب)

أما المواكب الرسمية فان الملك له بيت كبير فى القصر الرسمى وبصدره عرش على نحو ما تقدم فى عرش والى تونس وبريدبان يكون على يسار محل جلوس الملك كرسى لزوجه وقبل حضور الملك يحضر المأذونون بالحضور بملابسهم الرسمية ويقفون يمينا وشمالا على حسب رتبهم ولما يحفل الموكب يخرج عليهم الملك لابسا لباسه الرسمى الذى هو على نحو ما تقدمت صفته غير ان بعض الملوك يزيد على ذلك بلبس رداء طويل الاذيال واسع جدا ليس له اكمام وانما يوضع على ظهره وكتفيه ويغلق حول العنق بأزرار ثمينة ويرفع أطراف ذيوله من ورائه بعض أبناء الكبراء من العائلة الملكية أو من أقاربهم الى أن يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على راسه مع اللباس الرسمى المقصب ويخرج فى المواكب من حجرته ومعه زوجه وأهل بيته ويصعد على كرسيه ويكشف رأسه مسلما بالايماء الى ميمنتهم ثم الى ميسرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مناسبة لمقتضى الحال مومياً الاحوال السياسة الراهنة وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزراء وتارة يلقيها الملك بنفسه وتارة يلقيها رئيس كتبته ويكون الحاضرون كلهم مكشوفى الرؤس فيحيونه بالدعاء له بطول العمر وينفض الموكب وهاته المواكب هى فى رأس السنة وهو شهر يناير الاعجمى وفى عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح مجلس النواب والاعيان من كل سنة ويكون ذلك فى محل المجلس وكذلك تنعقد مواكب أخرى على حسب الحوادث (وأما) المواكب الاهلية فهى رأس العام ولا يحتفلون لغيره من الاعياد وانما يكثرون استدعاء بعضهم الى بعض للمسامرة ليلا فيما بين المعارف زيادة على الاجتماعات فى أماكن العموم كالملاهى والمنتزهات وبسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المريدين للتزوج فتكثر المخالطة بينهم فى حالات مختلفة فاذا حسن عند كل طبع الآخر وسيرته خطب أب الزوج أبا الزوجة فى بنته لابنه فاذا حسن لديه أيضا أجابه واذ ذاك فى الغالب يجمعون خواص أحباب كل من الفريقين فى بيت الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والخمور وان لم تكن الدار لائقة للاجتماع تجعل الوليمة

الوليمة فى احدى منازل المسافرين فيوصى صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد ويعين له الوقت وعدد الاشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين يجدون المحل على أحسن انتظام وكذلك يصنعون فى الولائم فى الديار اذا كان صاحب الدار ليس له عدة الضيافة مع ان داره قابلة فان صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل ما يكفى من أوان وأطعمة وخدمة وغيرها وليس على صاحب الدار الا دفع الثمن مع الراحة وحسن الانتظام فى سائر أنواع الولائم ثم اذا حان زمن العرس يحضر أبو الزوجة ويدفع للزوج مهرا بنته من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة فى يده ثم بعد ذلك يتوجهون الى الكنيسة فيجدون المدعوين هنالك ويحضر القسيس ويبارك على كل من الزوجين ويأخذ خاتما من ذهب من أصبع الزوج ويدخله فى أصبع الزوجة ويرش عليهما ماء وتكون العروس اذ ذاك لابسة لاحسن لباسها فى لون البياض ومتحلية بما لها من الحلى ثم يحلق الزوج يده اليمنى على صدره وتدخل الزوجة يدها اليسرى فى ذراعه وينصرفون ويقف آباؤهم معهم فى محل عند باب الكنيسة لقبول الهناء من المدعوين ثم يسافر العروسان حالا الى أى بلد أرادوا مدة ما على حسب الرفاهية والجدة وذلك لامرين أولهما عدم الحياء من معارفهم بالاستراحة من الاشتغال بحركاتهم وسكناتهم وثانيهما اتقضى مدة فى الانكباب على لذاتهما من غير تعب وأدنى كلفة مع الاقتصاد فى المصاريف للوليمة لاجل المعارف وينفقون ما ينفقون فى لذاتهما هذا فى الاغنياء (أما الفقراء) فيستعوضون عن السفر بالخروج لاحدى المنتزهات ثم ان الزوجة لا تكسو فى العرس الا نفسها والزوج هو الذى يكسو بيته وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة فى أكلها ولبسها وسكناها على زوجها وذلك المال الذى أعطته مهرا للزوج باق على ذمتها وانما يصرفون دخله على كل منهما ومن ولائمهم أيضا وليمة بلوغ البنت فيلبسونها لباسا كله أبيض وبرقعا أبيض صفيقا وتذهب الى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها ويصنع لذلك وليمة (واعلم) ان ما ذكرناه من الذهاب الى الكنائس ليس أمرا حتميا بل هو عادى لمجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الاحكام الديانية فى الاحوال المدنية وموكب المات عندهم لا يجهرون فيه بالبكاء وبعد قدوم القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الايام لتحقق الموت حيث انهم وجدوا بعض الذوات يظهر عليها الموت وهى فى الحقيقة لم تمت مع تعسر الاطلاع ولو من حذاق الحكماء ويكون هذا بالخصوص فى موت الفجأة وأمثالها وكان هذا الامانع فى ديانتنا منه اذا استحباب

التعجيل بالدفن انما هو عند تحقق الموت بيقين (اما قبله) فيحرم لانه ربما يكون حيا وقد شوهد ذلك في كثير ممن نبشت قبورهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غير التي يوضع عليها الميت ويجدون الاكفان ممزقة وخيوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبه لمثل ذلك وقد قالوا ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستوبية وقد سمعت بذلك في بلادي مرات متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استولى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز ذاهبين بها فاطالم المارة على حركات في الميت وأوقفوا الجنازة ووجدوه حيا وتارة ينادى هو من نفسه متفجعا من الحالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفنون الميت في لباسه النظيف ويجعلونه في صندوق من خشب ملفوف في رداء اسود عليه شرطان من قصب الفضة وتحمل الجنازة في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنازة في كراريس معدة للعزن كلها اسود وأغنياؤهم يربطون في كروستهم خيلا اسودا أيضا وعدتها اسوداء و يذهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء عليه ويجعلون على القبور رهيا كل من الرخام ويتأنقون فيها (وأما) الفقراء فتجعل جنائزهم في سراديب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تنوسى في هاته الجهات ولم يبق الا عند بعض الهنود وهو احراق الميت فانهم يجعلونه في فرن من حديد محكم السد لكيلا تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان عزيز في دار أهله و بعض الاغنياء العزيز على أهله تصبر جثته بعد اخراج امعائه ويلبس ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزنة وجهها زجاج

مطلب

(في اللغة)

لغة عموم الاهالي تسمى طليانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة مساعدة في النثر والنظم على بحور عندهم معلومة ولذلك تجد أشعارهم بها جيدة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فمنها ما يستحسن عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة العامة والرسمية في الكتابة والعلوم وغيرها لكن توجد في أطراف ايطاليا لغات شتى حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضا بالتخاطب اما اذا رجعوا للكتابة فيرجع الكل الى لغة واصطلاح واحد

مطلب

(فى القوة المالية والحربية)

فرنك

٩٦٥و٥٨٣و٩٤٣و٢٥١٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٩٦٥و٥٨٣و٩٤٣و٢٥١٠	خرجها
١٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	دينها
٢ر٦٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	قوة التجارة فى المملكة بين الداخل والخارج من السلع

عساكر

٣٩٥ر٩٥١	تحت السلاح
٤٣٣ر٨٧٦	رديف
٨٢٩ر٨٢٧	
١٠ر٥٠٠	بحرية
٨٠	سفن حربية مدرعة وخشبا منها مدرعة تسمى الدويلو هى أكبر مدرعة فى البحر
٦٥٥	مدافع
٥و٠٩٨	امتداد سكك الحديد أميالا سنة ١٨٨١

الباب الرابع

(فى مملكة فرانسا ومارأيته فيها)

الفصل الاول

(فى سفرى اليها)

قد تقدم أنا وصلنا الى بلد مودان التى ينتقل فيها المسافر الى الرتل الفرانساوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة منورة والخدمة متدرعين باللباس الثخين للتدثر من الثلج والبرد وبأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

الركوب فى الرتل الفرانساوى وجدنا المخدع الذى أوصيناعليه بسلك الاشارة حاضرا فى الرتل وسألنا المكلفون عن ورقة الجوار فلما أخبرناهم أنامن تونس وأردنا احضار الورقة ورأوا الباسـنا رحبوا وقالوا لا يلزم اخراج الورقة ولا فتح الصناديق لنظرما بها فركبنا حالا فى غاية الراحة وقطع الرتل سابحا على الارض بسرعة أزيد من الرتل الطليانى غير أن المخدع كان أقل انتظاما من المخدع السابق فأردنا النوم بقية الليل لكن شدة البرد منعت من استراحة النوم ولم يزل الرتل سابحا ولما بدا الفجر وظهر منظر الارض والحاصل انه على نوع متشابه مع أعالى ايطاليا غير أن الفرق الذى يرى هو كثرة البلدان والقرى بأرض فرانسا على ايطاليا وكثرة الديار المنفردة فى الحقول والاراضى بايطاليا على فرانسا ثم وصلنا الى باريس فى الساعة السادسة قبل نصف الليل فكانت مدة السير من تورين الى باريس احدى وعشرين ساعة وكانت باريس تظهر من بعد فى الليل كانها سماء زينت بالكواكب واستمر الرتل سائرا من مبدأ علائق المحطة الى أن وقف نحو خمس عشرة دقيقة فاذا هى محطة أضخم وأوسع من جميع مارأيناه فنزلنا ودخلنا الى الكمرك ولما نظرنا المكلفون قالوا الازم لتفتيش رحالكم وأنتم مصدقون هل عندكم من سلعة تؤدى الكمرك فقلنا ليس الا نشوق وماء زهر وورد فقالوا هو بمقدار حاجتكم أم للتجارة قلنا بقدر حاجتنا فاذنوا بسراح الرحل بدون تفتيش ولا أداء فركبنا كروسة كبيرة لمنزل المسافرين المسمى أوتيل دى كابوسين الذى هو من المنازل الحسنة الواقعة بأعظم طرق باريس وأكثر التونسيين نزولا به فاستمر السير خببا من الخيل نحوا من ساعة من المحطة الى المنزل وكانت الطرق كلها منيرة بالفوانيس نورا زائدا على غيرها وهى طويلة وسيعة أزيد من غيرها بحيث ينتهى النظر فى طول الطريق فأقمنا بذلك المنزل تلك الليلة وتعشينا وفى الصباح أفطرنا فطورا خفيفا وطلبت الحساب حيث لم أساوم قبل النزول فاذا أجرة البيوت ليلة وثمن العشاء والفطور الصباحى لثلاثة أنفس نيف وسبعون فرنكا فخرجنا من هنالك وتلاقينا مع المعارف واكتروا لى منزلا خاصا ذا أربع بيوت بجميع لوازم فرشها وخدامها بثلاثمائة فرنك فى الشهر غير أن الاكل خارج عن ذلك بل يأتون به من احدى أماكن الاكل القريبة هنالك وهى كثيرة اذ كان المنزل على النهج العظيم فى باريس المسمى بلغاردى كابوسين وهو من الاماكن الشهيرة بالعمران فى باريس ثم ان كثرة قرقعة العجلات التى تفوق عن الرعد فى تلك الطريق ليلا ونهارا كدرت لى الاستقرار هنالك حيث انها لا يخف دويها الا بعد

نصف

نصف الليل بساعة وما بقى النهار الا ونعود لما كانت عليه فانتقلت الى منزل آخر أوسع من الاول ويحتوى على مطبخ وبيت جلوس وبيت أكل وثلاثة بيوت للنوم بجميع لوازم ذلك كله مع تغيير الفرش والمناديل بالنظيفة والكراء قدره ثلاثمائة فرنك فى الشهر وأحضرت طباخا بأربعين فرنكا فى الشهر وخادما بعشرين فرنكا وكان المصروف اليومى على لوازم الاكل نحو العشرين فرنكا فى اليوم مع الاقتدار على قبول بعض من الضيوف والارتياح من الاحتراس فى الاكل وكان هذا المحل أيضا باحدى الاماكن الشهيرة النزهة المسمى بشانزيلزى لكنه لما كان طريقه شديد الاتساع ومحل مرور العجلات فيه يبعد عن حيطان الديار نحو العشرين مترا وكان تحصيب الطريق بالحصا المسواة بالرمل بخلاف الاول لانه مبلط بالحجارة الصلبة التى فى قطع الشبر فكانت أذية الدوى مفقودة فى الثانى مع حصول المنظر الجميل واجتمعت فى باريس بأشهر أطبائها فى المرض العصبى اذ لكل نوع من الامراض عندهم مشاهير مخصوصون به والحكيم الشهير فى هذا المرض عندهم هو الحكيم شاركو وأحضر معه الى فى بعض الايام اثنين من مشاهير أطبائهم وكانت أجرة زيارة الواحد فى المرة الواحدة ستين فرنكا واذا زار الحكيم فى داره يعطى أربعين فرنكا ومما يدل على شهرة هذا الحكيم وغناه بعلمه انه دعى يوما لمريض فى بلد برلين قاعدة مملكة المانيا فذهب عشية الجمعة ورجع عشية الاحد فى الرتل وأعطى خمسة عشر ألفا فرنكا لاجل تلك الزيارة وعلى ذلك فقس وهو انما يقبل المرضى فى يومين فقط من الاسبوع وبقية الايام يقرئ فيها درسا عالية فى الطب العصبى وله مستشفى خاص بالامراض العصبية تحت نظارته يحتوى على نحو ثمانية آلاف مريض ذكر لى يوما الطبيب فيفر والذى هو بمعية الحكيم المشار اليه ومباشر للعلاج بالكهربا ان ذلك اليوم كان فى المستشفى مرضى أخذوا الاكل سبعة آلاف وثمانمائة ونيف عدا من لم يستطع الاكل ومن كان ممنوعا منه وذكر ان المستشفى حوسب على الاطباق الزجاجية الموضوعة فى أبواب الطواقى فاذا هى ثمانون ألف طبق وذلك الحكيم مع سعة معارفه هو بشوش مؤانس حتى صار ودودا لى وله ولزوجه ولوع كبير بالثياب والمفروشات والاوانى وغيرها الصينية والمشرقية والعتيقة من صنائع أوربا حتى كانت بيوت داره مكسوة بأشياء بديعة ذات قيمة عالية جدا ثمنها وزمئات آلاف فرنك ومن مصائب الجهل بالالسن ما حصل لى يوما وهو أن الطبيب أخبرنى بان المسكن الذى تعودت عليه بالاحتقان تحت الجلد ربما تأنس به البدن فلا يبقى مؤثرا ولذلك يريد أن يعمل

وجها في ذلك وان الاولى بي ان أنقص من مقدار الاستعمال منه بان أصنع ربع الحقنة فقط هكذا أفهمني المترجم ثم أتي بالعلاج المسكن من الصيدلاني فتحير على الالم بين العشائين كما هو عادته طروءه في الاغلب فعملت المقدار مثل ما قال الطبيب فلم يسكن وظننت ان الدواء هو المعتاد فزدت نصف حقنة فلم البث قدر ثلاث دقائق الا وأيقنت بالموت ووجدت المعالم أعهده ولا أقدر على التعبير عنه وانما أقول أظلم الجو في نظري وأحسست بنفسي ساقطا في جب لا قعر له وغاية ما أدركت ان طلبت المصحف الكريم وضممته على صدري واستشعرت انى أتلو آية لقد جاءكم سيما ولساني لا يكاد يصحح الحروف ولم أدر ما وراء ذلك فلم يبتدئ شعوري بالوجود الا بعد نصف الليل بثلاث ساعات فرأيت أتباعي ومعارفي حولي يبكون وجميع ما أراه أحمر ثم رجع الاغماء ثم الاستيقاظ ولا زال الامر يتدرج في الخفة الى الصباح وأنا في غاية الضعف وسألت الطبيب عن السبب فأخبرني أن العلاج قد غيره بمسكن آخر يسمى الاتر وبينا مضاد لمسكن المرفينا وأقوى منها بأضعاف كثيرة وانه كان شدد الوصاية في التحذير منه للترجمان اذ ذاك المقدار الذي عملته يكفي لقتل عدة أشخاص وان من لطف الله أن كان في مزاجي من المرفينا مقدار وافر من استعمالها سابقا حتى كانت مضادة لذلك السم القتال ولله الحمد على لطفه وعفوه وماذاك الامن جهل اللسان واضرار المترجمين وقد أقمت بباريس في هاته السفرة نحو شهر ثم عدت اليها سنة ١٢٩٥ وأقمت بها شهرين ثم عدت سنة ١٢٩٦ وأقمت بها شهرا وها أنا أفرد لصفتها فصلا خاصا

الفصل الثاني

﴿في باريس وصفاتها﴾

باريس وما أدراك ما باريس هي نزهة الدنيا وبستان العالم الارضي وأعجوبة الزمان ولعمري انها أحق باسم المملكة من اسم مصر وهي انموذج لغرائب مصنوعات البشر وحق للفرنساويين التفاخر بها ومباهاة الامم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها فمهما فكرت في احدى هاته الاوقات ان القوم قد انحصرت أعمالهم فيها ثم اذا التفت للاخرى تقول مثل ذلك وهكذا وكأنها فاقت على غيرها باجتماع الكل فيها فصدق عليها المثل كل الصيد في جوف الفرا ولو أراد الكاتب الاستقصاء في كل طرف مما احتوت عليه لضاقت عنه المجلدات واضطر الى الاكتفاء بالاشارات وبالجملة

فالواقف

فالواقف عليها يزداد يقينا في العلم بقدرة الخالق وان أحوال الآخرة فوق عقولنا كما أخبر
به الصادق الامين عليه الصلاة والسلام من وصف الجنان وان فيها ما لا يخطر على قلب بشر
فاذا كانت هاته مصر لم يكن يخطر بالفكر تشخص صورتها الابعد رؤيتها مع انها من
مواد معهودات لنا فكيف بعالم نعهد مادته ولا نتصور طبيعته وربك يخلق ما يشاء ويختار
وهو على كل شئ قدير فاجمال وصف هاته المصر المتمصرة انها بلد في سهل بسارين قليلة
الارتفاع يخترقها نهر السين الذي يحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه في البلد
عشرون جسرا مختلفة الاشكال منها ما هو من قوس واحد من حديد ومنها ما هو من بناء
وتمر تحته البواخر ومنها واحدة في طرف البلد جهة قرية تسمى عليه جسر آخر مرتفع
جدا على حنايا يمر عليها الرتل في طريق الحديد فترى البواخر جارية في النهر وعلى الجسر
المشاة والفرسان والعجلات ومن فوقهم الرتل كانه سابح في الهواء وكل جسر مقسوم على
ثلاثة طرق فاليميني والشمالي للمشاة والوسط للركاب والعجلات وفي وسط النهر جزيرة كثيرة
بها مباني وديار ويخرج من هذا النهر ترعة تذهب جهة الشمال الغربي من المملكة
الى أن تتصل بنهر المارن وهي في أغلب البلد مغطاة بالبناء المنعقد وعليها الابنية
ويحيط بالبلد سور مخفض شديد العرض عليه حصون في جميع انحائه وخارجه
خندق عريض جدا عميق يملأ بالماء من النهر عند الحاجة وللسور أبواب أنيقة من
الحديد ومحيط دائرة السور أربعة وثلاثون ألف متر وتم تقسم المصر الى عشرين قسما
كل قسم منفرد بادارته كانه بلد مستقل ثم يتحد الجميع في الادارة العامة في المجلس البلدي
الذي هو أحق باسم دولة اذ دخله مليون ٢٦١ منها من ايراد الغاز ١٨٠ مليون
ومصاريفه نحو ذلك منها ٩٩ مليون لفائدة الدين و ٢٢ مليون الى المكاتب والنافعة
و١٦ للمحتاجين وما بقي لمصالح المدينة كله يصرف في مصالح البلد وتحسينها وعلى
المجلس من الديون أزيد من ألف مليون صرفت في التحسين اذ انه لم يزل يشتري حارات
ويهدمها ويفتح فيها طرقا وبطحاآت وما فضل يبيعه أو يبني فيه مساكن وحوانيت على
حسب ما يقتضيه المكان وقد شاهدت في سفرتي الثانية لهاته المصر أن المجلس البلدي
فتح طريقا مستقيما متسعا من بطحاء الاوبرة الكبيرة الى بطحاء بالي اروايال وباع
ما فضل من الارض فبلغ ثمن الميتر الواحد من الارض على التربيع أربعة آلاف
وخمسمائة فرنك وبلغ سعر الميتر وحول النهج الموصل الى ابوادي بولونيا الى ثلاثة
آلاف فرنك وهكذا ثم ان طرق البلاد عددها أزيد من ثلاثة آلاف طريق وهي

تنقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) يسمى آفنو وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار يمينا
وشمالا وورائها قصور (والثانى) يسمى بلغار وهو ما كان أضيق من الاول ويزيد عليه
بان يكون تحت القصور حوانيت بهجة (والثالث) يسمى رو وهو بقية الطرقات ومن
محاسن طرقها أنه يوجد فيها غالبا بجانب الطرق العامة محلات للبول مستورة بشكل
ظريف على هيئة قباب فى وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء فى غاية
النظافة وهى أيضا كثيرة وذلك من واجبات البلدان الكبيرة لبعد الماشى عن محله
* وذلك أمر ضرورى وأجل الطرق منظرا هو البلغار الذى يشق البلاد تقريبا من الجنوب
الى الشمال وينتهى فى جهة الشمال الى البطحاء المسماة بلاس لا كنكورد
فتتصل بها حديقة الشانزى لزى وتنتهى الى البطحاء التى بوسطها قوس النصر المسمى
ارك دى ترنيوف ويتفرع منها اثنا عشر نهجا وقد كنت فى سفرتى الثانية سنة ١٢٩٥
نزلت بأحد هاته النهوج المسمى قديما افنو الامبراتريس والآن افنو بوادى بولونيا
وكان الوقت صيفا فركبت احدى الليالى مع أحد أصدقائى من منزلى فى كروسة يجرها
فرسان وتوجهنا الى جهة البلغار وكان ركوبنا فى الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا نحو
ساعة ونصفا ولم نصل لمنتهى البلغار من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السهر فى
الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل والبهجة بنور المصابيح وكثرة ازدحام الماشين
والعواجل وبالجملة فهذا البلغار هو مما انفردت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة
وهو فى الليل أبهى منه فى النهار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها
وتزويق ظاهرها وتنميق ما يوضع بها من البضائع وجمال ذاتها وتنضيد ترصيفها وهذا
البلغار له عدة أسماء باعتبار جهات منه وقد كان انشاء أصل هذا البلغار سنة ١٥٣٦
وكلما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نضارته بالنسبة لنفسه فى الجهات الاخرى والبلاد
وان كانت تشتمل بلغارات أخر كبلغار هوسمان وغيره لكن ولا كالبلغار السابق والذى
زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتناسقها وتشابهها فى الظاهر ثم فى باريس
* أماكن أخر أنيقة منها بالى روايال جوار قصر ملكى سمى به وهو عبارة عن مربعين
يتصل أحدهما بالآخر محيط بهما حوانيت تحت سرادقات وفوقها قصور ومطاعم
وحمامات ومنازل وفى وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات
وحولها قهاوى ومقاعد والحوانيت تشتمل جميع ما يحتاج اليه فترى حانوتا منضدة
بترصيف اليواقيت والجواهر وبازائها حانوت أخرى منضدة باللحوم والخضراوات
وتلاصقها

وتلاصقها قهوة ذات متكئات وهكذا ولا يمل نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع تباين
أنواع المبيعات تجدها فى غاية التناسب لما لها من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هنا فى
غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور سلعهم لان مترفى الاهالى يشترون الشئ لبائعه ومحل بيعه
فباقة الزهر مثلا تشترى من هنا أو من البلغار بخمسمائة فرنك يهديها المترف لعزيزته باسم
صانع ربطها مع انها تشمل زهرة من أمريكا وأخرى من الجابون وورقة من أواسط أفريقيا
وهلم جرا وقد رأيت حانوتا تبيع الزهور فى البلغار كراؤها خمسة عشر ألف فرنك فى السنة
وباع صاحبها باقة فى رأس السنة بخمسمائة فرنك وهكذا حوانيت بالى ارويال وكان
أكثر بياعى اليواقيت مركزهم هو هذا المحل فلذلك كان له زيادة فى حسن المنظر اذ كل
اللئالى واليواقيت ترى مرصفة وراء أطباق الزجاج مكشوفة لكل ناظر وقد كان انشاء
هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلزى وهى غيضة فى طول ميل تقريبا وفى
منتهاها قرب البطحاء تصير كأنها بستان أنيق ذو مماشى وقهاوى ومقاعد وملاهى منها
ما يسمى كافى شانتان فان الانسان يقدر أن يتمشى فيها منفردا بأطيب ما يشتهى والموسيقى
تعزف واللاعبون فى الملهى يشعوذون ويغنون بالمضحكات وكذلك بها كافى لمباشاد
على نحو ذلك وفى أعلى الشانزلزى بطحاء وسيعة يتصل بها اثنا عشر طريقا وبوسطها
قوس النصر المسمى ارك دى ترنيونف الذى بناه نابليون الاول ورسم على حيطانه صورة
جميع حروبه التى انتصر فيها وهو بناء ضخم جدا شاهق للغاية ذو أربعة أقواس متقابلة
متصلة ببعضها يصعد الى أعلاه بدرج داخل احدى زواياه وعدد درجه مائتان واحدى
وسبعون درجة ومنها جردان مابيل الذى يفتح ليلا وتخال أوراق أشجاره وزهوره بما
يبدعون من الانوار حتى يكون فى أرضه وغصونه ما يبلغ عدة آلاف من المصابيح الملونة
الزيت كألوان الزهور غير أن من له عرض يتحاشا الدخول اليه لكثرة من يدخله من
المومسات ويصرن يرقصن هنالك ويعبثن مع الرجال فقد سمعت من أخبار صحيفة الديبا
الانكار على الحكم فى اطلاق تلك العاهرات حتى عبثوا بالصينيين الذين قدموا المعرض
باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا اليلا لذلك البستان للتفرج وسبب كثرتهن هنالك
اعفاؤهن من الاداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع خمس فرنكات مع
حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات فى مقاعد ذلك البستان المنشأ سنة ١٦٧٠
ومنها بلاس لاكنكورد المتصلة بغيضة الشانزلزى السابقة الذكر وبوسطها
حوضان كبيران وفوارات محيطها فوانيس وبين الحوضين العمود المسمى بالمسلة

الذى جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصريين القديم وحروفهم التى هى أشكال
حيوانات ونصب هنالك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما فى قطعة واحدة من
حجر دون القاعدة المنفصلة التى ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكلف جلبه
مصاريف عدة ملايين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور
الكهربائى الذى هو كنور القمر لونا وطول هاته البطحاء ميترو ٢٤٨ وعرضها ميترو
* ١٦٩ وتتصل بالنهر وبالبلغار ومنها حديقة التولرى المتصلة بالبطحاء المذكورة
* أيضا ذات المقاعد والمساطب وهى امام قصر الملك ومنها بلاس فندوم التى بها عمود
نابليون الاول صنع هذا العمود من ألف ومائتى مدفع من النحاس غنمها الامبراطور
المذكور فى حروبه ورسم عليه صور المعامع التى انتصر فيها المذكور ووسط العمود به
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفى قمته تمثال نابليون وقد أسقطه
الكمون أى جماعة الاشتراكيين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء فى
جميع الموجودات وذلك فى ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجمهورية الى مكانه فى يوم
* مشهود وكنت حاضرا سنة ١٢٩٢ ومنها افندودى لوبرة الواصل بين بطحاء الملهى
* العجيب المسمى بلوبرة وبين بالى ار وايال وقد نورت بطحاآته وحافاته بالكهربا ومنها
الباساج أى الاسواق المسقفة بالزجاج التى لا يمر فيها الا الماشى وهى ذات حوانيت
* يمينا وشمالا من أبدع الاشكال والتنميق ومنها غيضة أبوادى بولونيا أى غابة بولونيا
من أبدع الآجام والغابات المشتبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها صناعية وبها ممشى للعواجل وأخرى للفرسان وأخرى للمشاة ومقاعد وشلالات
تنحدر منها المياه وآجام ورياض وقهاوى ومطاعم بأحسن تنظيم وفى البحيرة طيور مائية
وجزر وقوارب يركبها الناس الى الجزر والناس ينتابون هاته الغيضة التى هى خارج
باريس فى الجهة الغربية الشمالية ليلا ونهارا وهى ممشى أهل الترف سيما أيام الاحاد
والاعياد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالعجلات على كثرة وسعها فان طريق الشانزيلزى
عرضه أزيد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع العواجل ان تتحرك فيه
* وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب نحو ميلين فى
مثلهما وفى جهته الغربية ثلاثة أواوين منفصلة عن بعضها ومتلاصقة مستقبلة برواشنها
ومقاعدها جهة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الملك وجميعها هيئة جهة استقبالة

هى

هي ان بعضه أعلى من بعض متعددة زجاج يدخل اليه من ظهره وامام كل منها فسحة بها كراسي ويفصل بينها وبين الميدان درابزين ولا يدخل الى تلك الاواوين الا من كان بيده تذكرة الاستدعاء من الدولة وقد حضر موكب السباق سنة ١٢٩٥ من خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع المحيطين بالميدان بين راكب وراجل فهو ينوف عن نصف مليون من الخلائق وحول الغيضة أيضا ميادين أخر لغير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر المانيا وعساكر فرانسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مرسحا للحرب ولكني لما رأيتها سنة ١٢٩٣ كانت كان لم يكن بها شئ وكانت أشجارها ثابتة فيها منذ قرن حيث انهم لما أصلحوها نقلوا اليها الاشجار العظيمة من الغابات ولهم في كيفية نقلها براعة أعان عليها علم جر الاثقال وآلات البخار حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النابتة بها من غير ان تمس عروقها ويبقى محلها كانه بئر ومنها غيضة ابوادي قنسن وهي خارج البلد من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهي على نحوها وأشجارها أكبر غير انها الارونق عليها وكان ذلك لعدم انتداب الاغنياء اليها واغا يتفسح فيها الاواسط والفقراء لبعدها عن حارات الاغنياء ولكن لقها وبها ساحات لالعاب رياضية بدنية بآلات كثيرة تستعملها الاهالي وهاته الغيضة يوصل اليها بالعجلات والحوافل المسماة بالامنيبوس وبالترامو الذي تجره مزجية بخارية وكلا هذين النوعين لا يستعمل في الغيضة السابقة لكثرة واردها مع الغني والترف ومنها غيضة بارك مونسو قرب الشانزي لزي لها أبواب من حديد مذهب أبهج من أبواب سرايات الملوك المسرفين وهي ليست بكبيرة جدا وفي باريس عدة غيضات على نحوها في كل قسم منها غير انها ادون منها تأنيقا ومنها جردان دي كليماتسيون الذي أنشأته جمعية أهلية للنباتات والحيوانات وقد جمع فيه من كلا الامرين كلما يقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم ولكل نوع من الحيوانات أو النباتات هيئة وهواء صناعي على نحو ما هو معتاد به في قطره وقد تيسر بذلك التحفظ على حياة جميعها غير ان الاشجار المعالج هواؤها اذا أثمرت لم تكن ثمرتها كاصلها ومن ذلك النخل فان تمره لم يكن تمرا ثم الحيوانات التي يصعب جلبها اذا مات منها شئ فانه يصبر جسمه لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته أما ما رأيته فيها من الحيوانات البرية والبحرية فيلزمه كتاب حياة الحيوان ليستوفي الكلام عليها وأقول باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تزيد على المئات فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

البغامن الطيور بألوانها وتذهيبها البديع ومن الحيوانات الغريبة نوع من
الضأن الكبش منه كالحيوان المسبع غير انه لا يأكل اللحم وانما هو جوى وحشى
قوى جدا ومن حيوانات البحر أسد البحر وله صوت عال ويخرج الى البر أحيانا ليأكل
ما يلقى اليه وهو سريع الحركة قويها جدا ومن حسن تربية الاشجار ان شجرة ترى
قاعدتها على أصل واحد ثم تتفرع وتصير كالكورة ثم تجتمع وتصير أصلا واحدا ثم
تختلف على أشكال عديدة وفى هذا البستان عجلات تجرها خيل صغار جدا لمن يريد
الجولان راكبا وفيه عجلة يجرها أربعة من المعز يركبها الصبيان وأخرى تجرها نعامة
يركبها الصبيان أيضا وهناك أفيال برخوتها يركبها كل من يريد ذلك وفيه أيضا
محلات للقهوة وأخرى للجلوس وتلعب به الموسيقى فى أيام من الاسبوع وعلى كل داخل
للبستان أن يؤدى فرنكا واحدا أما اذا أراد شيأ آخر غير التمشى والجلوس فيؤدى أجره
وله أن يشترى من كل ما فى البستان من الحيوان والنبات غير انهم اذا كان لهم من النوع
فرد واحد فلا يبيعونه وقد وجدت فيه سنة ١٢٩٦ ماهى مركبا من سودان أفريقية
يسموهم بالزلوس لوقوع الحرب بينهم وبين الانكليز فى ذلك التاريخ لكنهم فى الواقع
من سودان مصر كما صرحوا الى أنفسهم بذلك ويتكلمون بالعربية ويصورون حروبا
وغيرها ومنها جردان دى بلانت وهو مثل السابق غير ان بينهما عموما وخصوصا فالاول
أبهى منظرا وأكثر حيوانات والثانى يشتمل على الحيوانات المسبعة التى يمتنع
وجودها فى الاول لان الثانى للدولة وفيه كل السباع الا الكركدان فقد كان لهم منه
واحد لكنهم أكلوه عند محاصرة باريس ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م ومن أعجب
ما رأيته من الثعابين ثعبان اسود فى غلظ فخذين وعيناه حمراوان جدا ويظهر عليه
خبث شديد والزجاج المحيط به مزدوج ووراءه اسلاك غليظة من الحديد مشبكة تشبيكا
ضيقا ويقال ان سبب ترديد الزجاج كون شعاع بصر الثعبان مسموما ورأيت فيه
الحيات على أنواع ويلقون اليها أولاد الفار الصغار قبل نبات الشعر بجلدها فتنهشه الحية
وتعرض عنه فيلقى مغشيا عليه يضطرب ثم تعود اليه الى أن يموت فتأكل منه ولعل ذلك
لانها متعودة على أكل مثل ذلك وانظر من هذا المقدار اعتناءهم بتربية كل حيوان
على طبيعته كما ينفرد هذا البستان بكونه فيه دار للتشريح والتاريخ الطبيعى
مجسما فكانت جميع الاجسام من أنواع الحيوان فيه مصبرة ومشرحة والانسان
على جميع أطواره من النطفة الى الشيخ الفانى كما يوجد فيه خزنة للكتب فى الفن
المذكور

المذكور ومنها قصر معرض سنة ١٨٥٧ الذى جعل فيه الآن أنواع الصور والاصنام ❁ ومنها قصر اللوفر الضخم المتقن البناء والتأنيق الملوكى وكان مسكنا للملوك والآن معرضا للظرف والآثار الدهرية وفيه بيت يشتمل على بعض بدائع ملوكهم ومجوهراتهم ومما فيه مائدة من المرمر الابيض مرسوم على سطحها خريطة أرضية بالوان المرمر الاخضر والاحمر وغيرهما بحيث أن كل جهة من الارض بلون خاص وفيه بيت لآثار الصينيين وآخر لدواخل أفريقية وآخر لاعمال فردينانددى لسبس مسمى باسمه وفيه صورة خليج السويس مجسمة مع جميع آلات الحفر والاشغال وعدة بيوت لصور تشتمل على عشرات الآلاف من الصور وأخرى لبلدان مجسمة وبحار وسفن ومراسى وجميع غرائب الاقطار يقضى فيه الانسان مدة أيام ولا يستوفى حصر ما فيه وقد أخذ من هذا القصر قسم لادارة قسم من مالية الدولة ومنها قصر التولرى الذى وصله نابليون الثالث ❁ بالقصر السابق وخربه الاشتراكيون بالحرق فى ثورة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م وعينت الدولة قسطاسنو بالترميمه على أصوله والعمل جار فيه غير ان ما كان داخله من الفرش والظرف لا يمكن استعواضها حيث كان مقر الامبراطور ويحتوى على أنفس بدائع الملوك وأمام هذا القصر حديقة بديعة نضرة بها ملاهى ينتابها الناس نهارا وليلا ورأيتهم ليلة معجبين من أحد العازفين بآلة كل باب كبيرة جدا فى طول الانسان حيث انه أتقن دقها بدون ان تكون امامه ورقة التعليمات ومنها ملهى كراند أوبره ❁ الذى هو أبهى وأنظر من سائر القصور والملاهى واحتوى على الضخامة والتزويق والتأنيق والاسراف فدرجه المرمرية وشكلها ودرابزينها توقف الابصار وهو ذو تسع طبقات للتفرجين وايوانين للمستريحين ويحمل خمسة آلاف من النفوس وينور بالكهربا وأخبرت أنه صرف على انشائه وتنميقه مائة مليون وأربعة عشر مليونا فرنكا ومنها ❁ قصر لكسنبورغ وهو وان لم يلحق نفاسة ما سبق ذكره من القصور لكنه عجيب وبجانبه دار الرصد العجيبة التى هى فى أرفع ربوة بباريس وفيها من المرايا المكبرة أنواع ❁ شتى منها ما هو فى حجم مدفع كبير وفيه بيت سقفه يدور على عجلات لكى تدور المرآة الى أى جهة من السماء من غير مانع وترى منه الكواكب ليلا ونهارا فقد شاهدت نهارا بالمرآة نجم الريفولوس الذى لا يرى ليلا الا بالمرآة وقال المدير ان بعده عن الارض أربعة وعشرون مليونا ميلا والحاصل ان فى هذا المرصد جميع آلات علم الفلك وبه علماء مثابرون على الرصد والتفتيش على ما يمكن لهم الوصول اليه ومنها قصر معرض سنة ❁

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذى جعلت به باريس دار مأدبة لسكان الارض واحتفلت بهم احتفال الكرام هو أبدع من جميع المعارض التى سبقته فى جميع البلاد ولا يفهم من قولى احتفال الكرام ان القادمين تقوم بشؤنهم فرانسا بل كل منهم يصرف على نفسه وانما المراد هو التهيؤ لاحضار ما تشتهيه أنفسهم وتلذ به أعينهم من كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمآدب التى يضعها كبراء الدولة أحيانا و يدعون اليها أعيان المسافرين والاهالى فان دولة فرانسا قد دعت ملوك أروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم فانه يأتى لمشاهدة ما لم يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى أنموذج جميع ما فى الارض كله بمحل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب التواريخ ما قاله فى رحلته تلك وهو قولى مؤرخا (قد زار أروبا الشاه ناصر الدين) ١٢٩٥ لكنه قدم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد منازل المسافرين وذكرت الصحف انه أفطر يوما ببلد فونتبين البلو التى حولها غابة ومنتزهات فكانت نفقته فى ذلك الفطور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت فى تلك السنة فى نهاية الغلاء بباريس لاسيما المأكولات والمشروبات بداخل المعرض لكثرة الواردين من الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم أربعمائة ألف ومثلهم الرائحون فضلا عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من العرب وغيرهم فمن أعزة أبناء وطنى الحازم النصوح محمد الطاهر الزاوش الذى هو من خيار الاهالى وترقى بنصحه لدى الامير ولى العهد بتونس الى ان ولى مسند شاره وأبدى من النصح والنجابة فى اسفاره مع مخدومه لسياسة القبائل والعربان ما أقر له به المنصفون وله دراية جيدة بأخلاق الاهالى وله نصح ووفاء عظيم مع الامير وسائر النصحاء وكذلك قدم من ابناء الوطن الوزير حسين والعلامة سالم أبو حاجب وقد تقدمت ترجمتهما واجتمعت بوحيد دهره الناصح للأمة الباذل فى الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيدا ألا وهو مدحت باشا الذى ولى صدارة الدولة العثمانية وأنفذ بسعيه القانون الاساسى الذى لو جرى به العمل حقيقة لنجت الدولة مما ألم بها لكن لما كان الحق صعب الاجراء الا على من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون ثم نفى الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة فى جزيرة كريد ثم ولى واليا على الشام ثم نقل واليا على أزمير ثم قبض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى اشتراكه فى خلع

السلطان

السلطان عبد العزيز وقتله لكن أكثر دول أوروبا انكرت الحكم مع العدم جريانه بالحق الصراح فعرض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من الحجاز ثم أشيعت وفاته شهيدا للحق رحمه الله ونعمه وكذلك اجتمعت بذى الاصالة داود باشا المصرى حفيد محمد على باشا للبنت وصهر الخديوى الحالى وكذلك بسفير الفرس بباريس نازار أغا وغيرهم من أعيان الاقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المآدب التى أشرنا اليها من دولة فرانسا فقد دعيت مدة اقامتى هنالك تلك السنة لمأدبة في وزارة البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل وداخله على غاية من التنوير والتزيين وجنائنه ملونة الانوار الارضية والفوقية كألوان أزهاره وموائد المآكل والمشروبات والمثلجات مصفوفة والموسيقات عازفة والاعيان من النسوة والرجال يرقصون أو يتفرجون في الملهى المشخص للطربات وصاحب الوزارة المدعو اليها الضيوف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب ارادته ولا يلزمه الوداع عند الرواح ويرى الانسان آلافا من المدعوين بأفخر لباسهم وذوى النياشين متقلدين بها ورئيس الجمهورية يؤانس البعض ونساؤهم يتهن بدلالهن ولباسهن وحليهن فان منهن من تلبس الشفوف المطرز باللؤلؤ النفيس من صدرها الى ذيلها عدا حليها المكللة بالياقوت الملون ولا يكلم بعضهم بعضا في هاته المواكب الا من كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف نعم انهم يتهيئون الى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويؤانسونه وربما اضطرت المرأة زوجها أو قريبها الى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما اذا كان لباسه على خلاف معتادهم وقد عينت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلا عن مصاريف الليلة الحافلة التى أعدوها تذكارا للجمهورية فقد روى أن مصروف الاهالى والمجالس البلدية في التنوير والتحسين والالعاب النارية تجاوز ستة عشر مليونا فرنكا وان ثمن الرايات التى نشرت على طيقان الديار والطرقات تجاوز الاربعة ملايين وكان مركز العاب تلك الليلة هو بركة ابوادى بولونيا وقد اكترى بعضهم طاقة في الطبقة التى فوق من الدار التى نسكنها للفرجة تلك الليلة بسبعمائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير الموصل الى محل الالعاب وكان المهندسون والعملة متهيئين لها منذ نصف شهر وعلقت الثريات والفوانيس على الطرقات قائمة على عيدان ومشبكة بالاشجار وما قرب غروب تلك الليلة الا وانتشرت العساكر والخيالة في جميع المراكز حفظا للراحة وخشية من

الاحزاب المضادين للجمهورية وماغربت الشمس الاوناب عنها نور المصابيح ومنعت العجلات من السير فى الطرق مطلقا وما بدت النجوم الا وتصاعدت لها شماريخ البارود ترمى لها باقات ازهار الوانها المختلفة الاشكال وتراكم ازدحام خلق الله بما يذكر بيوم الحشر الاكبر ودام الحال على ذلك واصوات الموسيقى والبارود تتهادى من كل طرف الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فرجعت العساكر الواقفون على البركة بخيلهم ورجالهم وبايديهم فوانيس على ميدان والموسيقات تصدح بلحن المرسيليايز وهى قصيدة فى اثارة الحمية لاهل الوطن كانوا اعلنوا بها فى الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠ لطالب الحرية وقد كان ترجم هاته القصيدة العلامة رفاعة باشا رحمه الله ونظمها ودونكها بنصها

فهيا يا بنى الاوطان هيا * فوقت فخاركم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا * وشنوا غارة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالى * ونظم صفوفكم مثل اللآلى
وخوضوا فى دماء أولى الوبال * فهم أعداؤكم فى كل حال
وجودهم غدا فيكم جليا * بشا خوضوا دماء أولى الوبال

أما تصغون أصوات العساكر * كوحش قاطع البيداء كاسر
وخبث طوية الفرق الفواجر * ذبيح بنيكم بظبى البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

﴿عليكم الى آخر الابيات الثلاث﴾

فماذا تبتغى منا الجنود * وهم همج واخلاط عبيد
كذا أهل الخيانة والوعود * كذلك ملوك بغى لن يسودوا
تعصبهم لنا لم يجد شيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لمن جعلوا السلاسل والقيودا * وأغلالا وأطواقا حديدا
لاهل فرانسا البروا عبيدا * وليس مرامهم هذا جديدا
أما هذا عجيب يا أخيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وكيف

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا * من الاغراب يبغون ارتفاعا
ويجرى شرعهم فينا شراعا * وانذالا لديهم لاتراعى
رعايا بل تكب على الحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فسلم يا سلام من المذلة * فما نرضى بان نبقى أذلة
ويأسرنا وفتيتنا أجله * فريق بالدراهم قد توله
فكيف وقدرنا أضحى عليا

﴿عليكم الى آخره﴾

الهى كيف يقهرنا ملوك * بسبل العدل ليس لهم سلوك
وأنذال للاستعباد حيكوا * ومالى الفخر يشركنا شريك
ولا أحد به أبدا حريا

﴿عليكم الى آخره﴾

فقل لهم أيا أهل المظالم * وأرباب الجرائم والمآثم
اما تخشون من تلك المحارم * كذا أهل الخيانة للمكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا

﴿عليكم الى آخره﴾

أحلوا الخوف نحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم اماما
ونقضكم لموطنكم ذماما * به تجزون ذلا وانتقاما
وتكتسبون عند القوم خزيا

﴿عليكم الى آخره﴾

فها كم قد تعسكرت الاهالى * وسارت كلها نحو القتال
لتقتحم المهالك لاتبالى * اذا ما مات ليث فى النزال
تولد أرضنا أشبالا صبيا

﴿عليكم الى آخره﴾

صغير القوم منا والكبير * يحب قتالكم فرحا يطير
نحاربكم وليس لكم نصير * وليس لحربنا أصلا نظير
وحاشا فولنا يلقون عيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا وطن به همنا غراما * به تقوى عزائمنا دواما
نصانه ونخشى أن يضاما * ونأخذ ثاره ممن تعامى
وجار وان يكن ملكا عتيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنا حرية في الكون تسمو * تزيد اذا الحرب بدت وتنمو
تمانع من بنيها مايهم * بها ثمرات نصرتهم تتم
على نغم المثاني والمحيا

﴿عليكم الى آخره﴾

تموت عداتنا موتا شنيعا * اذا ما أبصروا عزما منيعا
يحوز جماتها مجدا رفيعا * فويل للذي يبغي الرجوعا
لرق يكتسي خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

سندخل سلك أرباب الجهاد * كاسلاف لهم طول الايادي
ونصو نحوهم في كل ناد * ونقفو فضلهم في كل واد
ونبلغ في العلى شأوا قصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء * وكل فتى بفخر النصر باه
وان لا بعدهم نبقى مساء * اذا لم ننتقم لهم العداه
ويأخذ ثارهم من كان حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوها الحانا خاصا وكانوا يترغون بها في ليلة تذكار الجمهورية ولم ينتظم في تلك الليلة عنزان مع أن بعض اضداد الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينوز فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لضيوف

* المعرض الاحتفال الذي صنع بعرض الجيش حول اوادي بولونيا كما مر ذكر محله فبعد احتباك الموكب بالمتفرجين الذين يجاوزون النصف مليون ومنهم شاه ايران والعساكر ترى من بعد حول تلك التلال والهضاب واذا بالمارشال مكماهون رئيس الجمهورية

الجمهورية اذذاك قادما راكبا على حصان أشهب عربي يقدمه ثمانية فرسان من العرب سكان الجزائر بلباس العرب وبرانيسهم حمر ووجوههم عربية ووراءه وزير الحرب ثم نحو عشرين فارسا من ضباط العساكر والمعينين وكلهم بالملابس الرسمية فلما دخل الميدان وسامت وسط الموكب أومأ بالسلام لجهة المتفرجين الجلوس في الايوان الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العساكر ومهما وصل الى راية الا وكشف رأسه مومئا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كافل المكلف بذلك الموكب هو أمير جيش باريس فجاء راكضا وسلم على رئيس الجمهورية ثم انحاز الى جهة الاواوين وأصدر أوامر الحركات العسكرية فاذا بالجيوش من كل حدب ينسلون وجاء الالاي الاول وموسيقته تعزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومر الالاي ماشيا من الجنوب الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى فجاء غيره ووقفت موسيقته وهكذا الى ان مرت خمسة وأربعون الفا من العساكر المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا سربا يمشون خببا وكل سرب متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت الطبجية أي عساكر المدافع بمدافعهم تجرها الخيول ذاهبين خببا الى ان مرت مائة مدفع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدمها رئيسها راكبا ويقف بين يدي الرئيس الى أن تمر فرقته فيتبعها ومهما مرت راية كبيرة أومأت بالسلام للرئيس وكشف هو لها رأسه ومنذ سلم هو عند دخوله الموكب الى ان انفض الموكب كانت المدافع تطلق من الحصون وعندما مرت العساكر الاهلية أبناء باريس ضج الموكب بالتصفيق والتحيات استحسانا لسمتهم ونشاطهم حتى صارت كأصوات الرعد ووقع لغيرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبل الشمس بلا مظلة وقد سقط عسكري من حر الشمس ففي الحال حمل في نعش مصابي العساكر وجاءه الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقدا وعند خروج الناس للرجوع اشتبكت الطرق واشتبهت الكراريس على أصحابها وكان يوما مشهودا واشتباه الكراريس انما كان مستغربا لانه من عاداتهم في هاته المواكب اذا حضرت كروسة يتلقاها أحد صغار المكلفين ولما ينزل الراكب يعطيه بطاقة بها عدد خاص ومثلها السائق الكروسة ويوقف كروسته في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج الراكب أعلم أحد أولئك المكلفين بنمرته فيرفع صوته بها فتأتي العجلة بمجرد سماع

سائقها بعد غمرته من غير أدنى اختلاط ولا تعب لكن فى ذلك اليوم حيث خرجت الناس دفعة مع كثرتهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم التمييز لكثرة الموكب ومثل ذلك احتفال يوم السباق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق تهيأت خيل السباق وكان الجعل من الدولة للمجلى مائة ألف فرنك وللمصلى عشرة آلاف ثم ألفان ثم علق فى عمود أسماء الخيول المندفعة أولا وكانت ستة عشر فرسا من عتاق الخيل الجياد العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركابها متساوون فى الوزن حتى اذا كان أحدهم أخف حمل شيأ يستوى به مع أصحابه وكل منهم لابس لباسا لاصقا بالبدن وعليه نحو جبة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الالوان لكل لون خاص وكل منها يمسكه رجل ثم يتصافون سواء من مبدأ الميدان فيضرب جرس اذانا بالركض فاندفعوا راكضين وكان الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع ولكل فرقة من الخيل حد فأعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو تسعة أميال وأدناها ما يقطع الاولى فقط فالسرب الاول كان من المتوسط وحاز القصبة حصان أحمر وعلق اسمه واسم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا ولما خرجت الفرقة العليا تهيأت الناس وكثر اللغط فى المخاطرة كل يدعى ان الفرس الفلانى يغلب وكثيرا ما تربح عشرات الملايين فى مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتفرجين ثم اندفعت الخيل راكضة وكانت ستة فقط وكانوا أولا يحتالون على أيهم يحوز الخط الداخلى من الدائرة ولا يطلقون عنان الخيل وعندما توسطوا الدائرة النهائية أرسلوا الخيل على غايتها فتخلف من تخلف ولم يبق الا ثلاث وعندما بقى الربع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل منهما تارة يكون مصليا وتارة مجليا لكن لما قربت قصبة السبق فاز الاحمر الكميت وصار ينط الى ما أراه من شدة نشاط راكبه وكنت تخيلت سبقه من أول الامر لما تفرست فيه من حدة نفسه وتقارب وسرعة حركاته مع ان الكل مستوون فى صفات الجودة غير ان هذا أحد وأخف وقد أعطى صاحبه للراكب عشرة آلاف فرنك من الجائزة لان عادتهم ان يكون لمضمار السباق فرسان خاصون أو ساوس الفرس أما صاحبها فلا يسابق بنفسه الا ماندر مع أمثاله وليس ذلك لزهدهم فى الفروسية بل أنفة لانهم كثير والركوب للخيل نساء ورجالا ويصرفون على تربيتها وتوليدها أموالا جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعين ألفا وأزيد ويكتبون أنسابها مسلسلة وأصلها من العراب وذكر لى ان جد أقدم نسل من خيل انكلاتيرة هو حصان تونسى

اشترى

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذى نحن بصدد ذكره موقعه فى الجهة الغربية الشمالية من باريس يقسمه نهر السين الى شطرين فما كان عن يمين انحدار السين يسمى التروكادرو وبنى به قصر على شكل بديع وبناء متقن ابقى هنالك مستمرا وهو المشار اليه أولا وأمامه رواق وقدامه بركة ماء واسعة جدا على جهاتها صورة أسد وثور وفرس وخنزير كل صورة ضخمة جدا كلها مذهبة والماء متدفق بهيئة عجيبة ويحيط بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بناآت لصورة بناآت الممالك التى أجابت الدعوة فمنها دار أرسلها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة ديار فاس وبها النقش ❊ جديدة وغيرها مما هو عادة لهم وكذلك فرشها ومنها قصر ظريف لشاه ايران على نحو قصره ببلاده ومن عجيب ما به سقف بيت كله من البلور المضلع على هيئة عناقيد وهكذا كل مملكة أجابت الدعوى تبنى مكانا على هيئة ابنيتها فى بلادها وحول تلك الابنية مخادع ومقاعد وحوانيت وقنية فى تلك الحدائق ❊ والشطر الثانى من المعرض يسمى شان دى مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو ميلين فى ذلك العرض كله بناء من قضبان حديد ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل مملكة تأتى بأنموذج ما عندها من الجمادات والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أوجل حقر أوعظم فكان ذلك المحل حاويا بالجميع أنواع ما يعلم فى الدنيا لانه أجابت دعوة فرانسا الى ذلك جميع الممالك ذات الشان الا الدولة العلية لاشتغالها بحرب الروسيا اذذاك فالمعرض حينئذ لما فيه عجب اذ يعجز عنه الواصف وانما أذكر أفرادا من المستغربات التى لم تزل عالقة بذهنى فمنها ساعة ذات أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أزيد من ستة أذرع ورقاصها صورة كورة أرضية معلقة فى القبة التى فوق الساعة ويحيط بالكورة صورة الشمس والقمر وبقية الكواكب السيارة والغرابة من جهة كون الساعة ليس لها آلة تحركها سوى تلك الكورة وذلك بان اعتبر ثقلها وبعدها عن مركز تعليقها ومنعت من الاستقرار بمركزها باعتراض قائم فى رأس الساعة متصل بآلاتها سهل الدوران فكانت الكورة تطلب المركز وتدفع العارض بثقلها وهو يدور وهى تدور معه وهكذا وهى من مصنوعات الفرانسيس وقيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها مقعد من البلور الرفيع ذو ثلاث درج واثنى عشر ضلعا مرفوعة قبته على أسطوانات من البلور يجلس به اثنا عشر انسانا كله قطعة واحدة من البلور المضلع وهو من صناعة النمسا ومنها مطبعة تطبع بلونين فى آلة

واحدة وتخرج عددا وافرا فى كل دقيقة ومنها ارسال الرسائل المكتوبة فى قنوات من حديد مفرغة من الهواء فتصل بسرعة كالسلك الكهربائى وقد صار الآن فى عدة جهات من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها المجوهرات والتحف الغريبة التى اهداها ملوك الهند الى ولى عهد انكلاتيرة وهى كثيرة عجيبة جدا ومن أغربها معولان من العاج فى طول الذراع ورأساهما على صورة رأس أسد وعيناه ياقوتتان حمرا وان لم أر أجل وأضوأ وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الواصف من بدائع الصنائع والمخلوقات وأما بقية اماكن وبناءات باريس الشهيرة فهى كثيرة جدا ومن أهمها ليزانفاليد وهو محل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح فى الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التى غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت فوقه نيشانه وسيفه ادخلونى اليه وارونى جميع جزئيات غرائبه تكرمة منهم وحوله قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو الحروب الذين يريدون الاقامة هنالك فزيادة على القيام بجميع ضروريات لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشى تجعل له عجلة صغيرة يحركها بنفسه ان قدر والا جرها خادم للتروح فى المنزه الذى حول ذلك المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبته أمير آلاى ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما ملاهى باريس فهى كثيرة ومختلفة المقاصد اذ لا يقصدون بالملاهى مجرد التلهى بل ظاهرها التلهى وباطنها فائدة من الفوائد كالاعلام بتاريخ غريب لتجتنى محاسنه وتجتنب قبائحه لان الرائى يشاهد النتائج عيانا فتكون أوقع فى النفس وكالافادة بفائدة علمية مثلما يحصل فى أحد الملاهى من ذكر كورية الارض وان من يقطعها ذاهبا الى جهة الغرب فى نيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذى خرج منه يجد انه نقص له يوم من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل فى يوم الاحد والحال ان اليوم عند أهالى ذلك المكان هو يوم الاثنين وبعكس ذلك من يقطعها ذاهبا الى الشرق فانه يزداد عنده يوم فيرى انه وصل يوم الثلاثا والحال ان اليوم عند الاهالى هو يوم الاثنين وذلك لان السائر الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم بليلته عنده أزيد من أربع وعشرين ساعة فيجتمع فى تلك الايام يوم كامل يضيع على المسافر ويزيد عند مقابله مثله لان اليوم بليلته عنده أقل من اربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافى على هاته المسئلة وما هو الحكم الشرعى فيها اما اذا صادف اليوم المختلف فيه يوم الجمعة فان المقيم يعده يوم الجمعة والمسافر الى الغرب يعده الخميس والمسافر الى الشرق يعده السبت

السبت وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقتة وان الحكم هو الاعتبار بما عند أهل المكان فأولئك اللاعبون يصورون هاته المسئلة العلمية بتشخيصها وصورة السفر براو بحرا وما يعترض من العوائق وثمرة الحال للتوصل به الى الاغراض الى غير ذلك وهناك ملاهى لافادة البراعة والبلاغة فى الكلام وأخر لافادة علم الموسيقى الى غير ذلك من الفوائد ولو السياسية فقد كانوا مدة رياسة الماريشال مكماهون على الجمهورية طلب مجلس الامة ان تعزل ولاة البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية فامتنعت الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما انتظم المجلس الجديد أصر على مطلب سلفه فاراد الرئيس حله أيضا فامتنعوا من ذلك اذ لاحق له الا فى حله مرة واحدة فى نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضى الى شغب فكان أحد الملاهى لاعبا واذا باحد اللاعبين يقول ما ترجمته نظما

المارشال مكماهون يخضع * وان أبى من الخضوع يخلع
كذا الولاة من سياسى تدفع * لان ذلك للبلاد أنجع

فدخل الحرس وفتشوا على القائل فلم يقر لهم أحد ولا وجدوا الكلام فى كتاب الحكاية وآل أمر النزاع الى استعفاء المارشال واعلم ان تلك الملاهى يوجد منها ما هو مضيعة ومشغلة لكنه قليل والحاصل ان ملاهيهم لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم غافلون عما فيها من مفسدة مهمة وهى تعليم الشبان والشابات أوجه العشق ومبانيه ووسائله اذ قل ان يخلو تشخيص عن مثله ويعتذرون عن ذلك بانه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق وشناعة الفضيحة وايثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك التشخيصات وكان ذلك لا يفيد اذ البواعث النفسانية غالبة على عقول الكثير من الناس فتأخذ ما يلائمها وتغفل عما سواه ويؤيد هذا ان الكثير ممن يحضر تلك الملاهى انما يجعلها وسيلة لتمكن من امعان بصره فى اللاعبات والمتفرجات التائهات بدلالهن وجمالهن ولباسهن وترى كلا من الحاضرين بيده مرآة مقربة وهو لا شغل له الا الاشخاص من واحدة الى أخرى ثم يلتمسون الوسائل الى المخالطة عن يعلقون بها بل وكذلك تفعل الابكار والشابات مع الرجال الا العفيفات وأعظم هاته الملاهى هو كران اوبره الذى تقدم ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية ينايرسنة ١٨٨١ الذى هو عام وأربعة أشهر ٤ر٧١٥ر٠٠٠ فرنك ومصروفه فى تلك المدة ٤ر٧٤٩ر٥٠٠ فكانت الخسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسمائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

اعانة له لانها تعين من دخلها في كل سنة اعانة للملاهي مبالغ وافرة فكان معين للملهى
* المذكور وملهى أوبيره كوميك وملهى تياتر فرانيس وملهى لوديون في سنة ١٨٨١
١٣٢٤٠٠٠ فرنك عدا بقية الملاهي للفوائد التي مر ذكرها وكراء البيت الواحد
* في هذا الملهى سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون فرنكا في الليلة الواحدة وبه بيت لرئيس
الدولة يحتوي على مرافق وقد أذن لي بالدخول اليه تكرمة من رئيس الجمهورية
اذ ذاك المارشال مكماهون ومن أهم الملاهي البدروم الذي يلعب فيه بالخيول العابا
عجيبة وكذلك ملاهي السرك فترى الخيل تدرك مثل الانسان الحاذق وكذلك غيرها
من الحيوانات ولو السبعية فان الاسود والفيلة وغيرها لها ملاهي خاصة وتطيع امرها
* كالآدمي حتى رأيت الشاة تسطو على الاسد وتركب على ظهره وتدخل رأسها كله في
فمه وهو منقاد خاضع وحوله في الحجرة التي هو بها أربعة اسود أخر وأربعة نمورة ومثلها
ضباع ثم ذئاب ثم أربعة من الدب كلها وقوف حول حيطان الحجرة كأصحاب موكب
محتفك وذلك الاسد الكبير في وسط الحجرة والنعجة تلاعبه وتركب عليه وصاحبها واقف
معها لكي لا يسطو واحد على آخر وتلك النعجة لا تخشى بأس جميع تلك السباع بل كانهم
هم الخائفون منها غير اني شاهدت هاته السباع في تلك الحالة والضبع واقف بعيد من
الاسود وبوله جار على رجليه ومع ذلك لا يخل بامر صاحبه ومثله الدب فان صاحبه اذا أمره
بالقرب من الاسد الكبير تراه يرتعد ويصيح ولكنه يفعل ما أمر به وكذلك ذلك الاسد
يكفهر ويكره قرب الدب منه ولكنه لا يضره بشيء فالنفرة بين النوعين شديدة بخلاف
* الاسد مع النمر فالتآلف بينهما قريب ومن غريب ما شاهدته هنالك ثعبان في غلظ شبرين
وطوله نحو خمسة عشر ميترو يحمله عدة رجال ويمسه كل أحد ولا يضر شيئا وهو من النوع
الذي ذكرناه بجبال الوارنة بقطر تونس وقلنا انه بين الاهالي مثل القط الاهلي كما لهم ملاهي
* للشعوذة يعملون بها اعمالا غريبة وأما معامل باريس للصنائع فهي كثيرة جدا ومما اختصت
به عن غيرها معمل كبلان الذي ينسج به المنسوجات الثخينة كالزرابي التي يضرب بها المثل
وكذلك معمل السيفر الذي يصنع به الاواني الخزف التي يفضلونها على الخزف الصيني
وقد رأيت به مائدة على ساق واحدة أرفع ما رأيته من ذلك الشكل بالوان وصفاء بديع
ذكروا ان قيمتها ستون ألف فرنك وكذلك معمل التمويه بالفضة والذهب بالجاذب
الكهربائي فترى القناطير المقنطرة من النحاس مصنوعة ساعات وشوكات وملاعق
وغيرها يدخلونها في برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كأنها من ذلك المعدن وأما
* منازل المسافرين فتكاد ان لا تحصى وأهمها المنزل الاكبر في بلفار الطليان فانه من
عجائب المباني والتنظيم وترى فيه ايوان الاكل العام متسعا جدا بقبة واحدة يحيط بها

رواشن

رواشن و يوقد به نحو سبعمائة مصباح وقبته وحيطانه كلها مموهة بالذهب على اشكال جميلة و به سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسون نفسا فترى ثلاثمائة وخمسين نفسا في بيت واحد يأكلون جميعا على غاية الراحة والنزهة والابهة ولا نسمع فيها الاغية والاكل يأكلون سواء والفطور له خمسة الوان والعشاء له سبعة الوان عدا الحلويات والفواكه و زينة المائدة البديعة وثمن الاكل فيها للواحد ستة فرنك عشاء واربعة فطورا و يحتوى المنزل على سمائة حجرة للسكنى وستين بيتا متسعة للجلوس و يصعد الى طبقاته العليا بالجلوس على كراسى تصعدها آلة بخارية وأما حماماتها فهى على نحو ما سيأتى فى الصفات العامة ❀

غير انها اختصت بحمام عربى قرب البلغار وهو فى نهاية التأنق والتزويق والزخرفة شبيه بالحمامات العربية فى كونه له بيت كبير حار للاغتسال والعرق و بيت كبير لنزع الثياب والراحة للمغتسل مستلقى بعد الاغتسال و بين البيتين حوض كبير مملوء بالماء البارد ينزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه الى بيت الارتياح وعند وصوله الى الحائط الفاصل بين البيتين يضطر الى ادخال رأسه أيضا فى الماء لان الماء واصل الى اسفل الحائط وفى الحمام خدمة يكبسون المغتسل و ينظفونه على النحو المعتاد فى البلاد العربية و بعضهم من الجزائر و بعضهم من السودان أما احوال المعارف وترقى العلوم ❀

فالمباب فيها واسع جدا ونقول اختصارا ان فى باريس مكاتب للعلوم العالية واولها مجمع كبار العلماء ثم مكتب فرانسا وهو لنهاية المعلمين ومكتب اركان الحرب ومكتب المعلمين ومكتب الصيدلانيين ومكتب اتقان علوم الطرق والجسور ومكتب علوم المعادن ومكتب تعلم التجارة ومكتب الصنائع الظريفة ومكتب علم الموسيقى وعلوم تشغيل الملاهى وانشائها ومكتب اللغات الشرقية والآثار القديمة ومكتب الصنائع وخمسة مكاتب ابتدائية للدولة وأما الابتدائية للاهالى فغير محصورة وهى كثيرة جدا ومكتب للقسيسين عال ومكتب لهم دونه ومكتب للعمى وآخر للصم البكم يعلمونهم باللمس والاحرف المجسدة والخوارط المجسدة فيصلون الى سائر المدركات كما ان فى باريس ثمانية خزائن ❀

كتب عظيمة للعامة تحوى من المجلدات نحو ثلاثة ملايين مجلدا وأكبرها خزنة الكتب العمومية التى فيها أول ما عرف من آلة طبع الكتب وفيها بعض تحف عتيقة مثل قطع من الشطرنج الذى كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان وجملة ما فيها من الكتب أزيد من مليون مجلد منها أزيد من ثمانين ألف مجلد بخط اليد ومن تلك الكتب الكتب التى أخذها نابليون الاول من مصر ثم الكتب المأخوذة من الجزائر

وقد رأيت فيها كتبا نفيسة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسفار بقطع من الذهب وخطوط جميلة وكان فيها من المطالعين والناسخين نحو خمسمائة نفس نساء ورجالا لكن الرجال أكثر على غاية من الادب والصمت وهاته الخزنة مثل قصر عظيم ذى طبقات ومحل المطالعة واحد ايوان واسع ثم وراءها تلك المكاتب والكتب واعتناء الدولة بواعث أخر للاجتهاد والتقدم فى العلوم وذلك بانعقاد جمعيات للتحريض والاعانة بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود فى خصوص باريس فمنها جمعية اللغة الفرانساوية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الظريفة وجمعية العلوم العقلية وجمعية علوم الطب وجمعية التحريض على الاختراعات وجمعية علم النباتات وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاآت الدنيوية وجمعية الجغرافيا وجمعية علم التاريخ وجمعية المرحمة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النبات والحيوان وجمعية الصنائع الفرانساوية وجمعية لتنمية سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع فمن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت فيها من أنواع أحرف اللغات التى يطبع بها سبعة أنواع منها الاحرف العربية وعدد المستخدمين بها يقرب من ألف نسمة وفيها كتب عتيقة وحديثة فى كثير من اللغات ومنها كتب غريبة عتيقة بالخط الكوفى وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المختصة بطرق الحديد لطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من سبعمائة نسمة وتطبع بالحروف وعلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخر كثيرة للصحف وغيرها فان الصحف لها تأثير كبير فى المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين يومية وشهرية وأسبوعية فى السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يوميا أزيد من خمسمائة الف نسخة وفى بعض الاحيان لا تجد منه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائق الكروسة ليس له صحيفة يطالعها فضلا عن غيره وأما أماكن المرحمة كالمستشفيات وديار اللقيطين فهى كثيرة ويكفى لعظمتها ما ذكرناه فى المستشفى الذى نظارته الى الحكيم شاركو واللقيط ينفق على تربيته وتعليمه مجانا الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة الزنى والزانيات المتجاوز عددهم عشرات الآلاف منهن من هن فى ديار مخصوصة لذلك جهرة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكى يمنعون المريضة بالامراض المعدية ويدخلونها للمستشفى ومنهن من هن فى ديارهن أو فى الملاهى أو خادمات الى غير ذلك ومن أماكن المرحمة الدار الرحيبة المتخذة للفقراء الذين لا يجدون ماوى وهم قادرون على

التكسب

التكسب فان هاته الدار تأويهم ليلا وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشا بشرط ان يغسلوا ارجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا فى الساعة الثانية بعد الظهر وفى السهر يسرد عليهم قارئ كتابا فى تهذيب الاخلاق والحث على العمل ولا يقبل الواحد أزيد من ثلاثة أيام ومع كثرة المراحم فكثيرا ما يموت الناس فى الطرق جوعا أو بردا سيما فى سوق الخضر لان من لا يجد مأوى يتقى به من الزمهرير فيجمد بردا (وأما طرق المواصلة) والانتقال من محل الى آخر فى وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر فى نهر السين تقف على الشطوط يمينا وشمالا من طرف البلد الى طرفها الآخر والركوب فى هاته البواخر اذا لم تكن مزدحمة بالخلائق فيه نزهة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والصيف ومنها ما يمر على القرى المجاورة للبلد ومن الوسائل الترمواى وتجره الخيل فى أغلب الاماكن وفى الطرق القليلة المرور تجره مزجية بالبخار ومنها الامنيبوس وهو مثل سابقه غير ان طريقه ليس حديديا ومنها الرتل يحيط بالبلد مارا حذو السور لكنه تارة يجرى فى نفق تحت البلد ومنها الكراريس ولها ترتيب منضبط فى باريس أزيد عن غيرها لان التسعير المرسوم لا يزاد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من البلدان ومع ذلك فان سائقى العجلات أظن انهم فى كل بلدهم أسوء أهلها أخلاقا الا ماندر وفى عام المعرض أكدت عليهم الحكومة التأكيد الزائد وشددت فى الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع ذلك كانوا كثيرا ما يسيئون السيرة ومن الوسائل أيضا الركوب على الخيل لكنه خاص باصحابها وأما المكثرون فهم أقل استعمالا لها من الكراريس وسائر العجلات وبالجملة فان فى باريس مائة ألف عجلة ومائة وثمانين ألفا من الخيل وهذا كاف فى بيان مقدار الحركة وأما رواج التجارة والسلع فلنكتف بذكر شئ منها وهو قصر البورس الذى تروج فيه كل يوم تجارة تجاوز آلاف ملايين وفى أحوال السلع نقتصر على ذكر مخزن اللوفر الذى هو قصر قدر حارة كبيرة ذو أربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس والخيل التى تجرها واذا دخل اليه المشترى تتلقفه الخدمة بالبشاشة واللين ويطلعونه على كل ما يريد فيختار ما شاء ويذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتون بما اختاره مع صحيفة مبين بها الاثمان ممضاة بالخلاص فاذا وجد شيأ غير الذى اختاره أو سعرا غير الذى سمع به رد ما لا يعجبه وأخذ الباقى وأخذ صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير مماكسة فى السعر ولا يخشى المشترى من الغرر لان السلع هنالك أرخص ما يمكن ان توجد لان صاحب

المخزن يأخذها من العامل ويزيد عليها نصفا في العشرة ربحا وكل من دخل المخزن الذى هو حقيق باسم قصر فله أن يدخل الى ايوان الجلوس ويقرأ فيه ما يشاء من الصحف ويكتب ما يريد ويشرب شيأ من المشر وبات كل هذا مجانا ولصاحب المخزن دفاتر عديدة مقيد بها أسماء السلع باعدادها مع أسعارها يعطيها لكل من أراد ومن يريد بعد ذلك شيأ من السلع ولو من الاقطار البعيدة فليس عليه الا أن يكتب للادارة جريدة بها أسماء ما يريد باعداده فيأتيه مطلوبه مع البريد ويدفع اذ ذاك الثمن ويأخذ المطلوب أما اذا تعرف بتجار وجعل معهم حسابا متصلا فان دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن
❁ مخزن بومرشى وهنالك مخازن أخر عديدة ولكنها دون هذين ومن غرائب ما رأيته بباريس القبة الهوائية الكبرى التى تسمى بالبالون وقد سماها علامة اللغة أحمد فارس بالمنطاد فقد صنعوا واحدة كبيرة جدا ونصبوها فى بطحاء التولرى وربطوها بحبل من التل تجذبه آلة بخارية وعلقوا بها مركبة تسع أربعة وعشرين نسمة وكل من ركب يدفع أجرة الركوب عشرين فرنكا ثم يطلقونها تصعد الى ارتفاع ثلاثمائة ميترو فيرى الصاعد جميع باريس وما حولها كانه تحته وكان أول اختراع هاته القبة سنة ١٧٨٣ فى فرانسا وهى قبة متخذة من منسوج الحرير مدهون بنوع صمغى كالمسمى بالفرنيز تملأ بالبخار الغازى الذى هو أخف من الهواء العادى بأربعة وعشرين ضعفا فتصعد
❁ ضرورة فوق الهواء لانها أخف منه وتحمل ما يتصل بها مما لا يعادل ثقله خفة هوائها ومن محاسن باريس الماء المجلوب اليها من عيون غزيرة وجعلت له خزنة هائلة تقصد للتفرج عليها زيادة على الماء الذى يرفع من النهر بآلات بخارية فالاول للشرب والثانى
❁ للاستعمال ومن أماكن التفرج الدهاليز الكبيرة التى تحت الارض ويقال انها
❁ كانت لقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة لعظام الموتى مرصفة مرتبة وكذلك الخنادق الوسيعة التى تجرى فيها الفضلات والمياه فانها تسير فيها آلات بخارية تحول الرتل لتنظيفها وتقصد
❁ بالتفرج ومن صفات باريس ان أغلب دورها يصلها الماء فى قنوات صغيرة كل دار على قدر استحقاقها وكذلك كل دار لها قنوات للبخار الغازى للتنوير ليلا ولبعض الديار ساعات تحرك بها قوة الكهربا فى مكان متحد فى البلد بحيث تكون جميع الساعات متساوية الوقت على التحرير الصحيح فى المرصد من غير مشقة لاصحاب الديار ولبعض الديار أيضا قنوات لاتيان الحرارة لتسخين الديار على حسب ارادة صاحبها وما يقسمه على بيوتها من غير كلفة لايقاد النار ولا خوف من احراقها لان الحرارة الآتية هى حرارة

هوائية

هوائية وليس لصاحب الدار الادفع ثمن هاتيك المرافق شهريا أوسنويا بغيران عمل القسمين والساعات لم يتكاثر كغيره ولا يلبث أن يعم واتحاد ساعات البلد أمره مهم جدا في كثير من الامور ولهذا كانت أوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعدة تلك المملكة فتجد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

﴿في بقية البلدان التي شاهدتها بفرانسا﴾

فاولها بلد فرسال هي غربي باريس تبعد عنها مسير نصف ساعة في الرتل وهي منتزه الملوك وبها قصور أنيقة وبدائع من تحف الملوك وما آثرهم منها الكراريس الرسمية التي تبلغ قيمتها الملايين لما فيها من الذهب والفضة واتقان الصنعة وحول تلك القصور البساتين والحدائق الجميلة ذات المياه الدافقة والبرك الواسعة قد جعل فيها سنة ١٢٩٥ وهي سنة المعرض عدة ليال للزينة واندفاع المياه فرأيت هاتيك الحدائق ملونة بقناديل الانوار المحاكية كثرة النجوم وشماريخ البارود بألوان وأشكال صاعدة وفائضة ودائرة ومنابع المياه طائرة في الهواء كل عمود منها في غلظ نحو نصف ذراع مرتفع عن منبعه نحو أربعين ميترو فكأنها منائر من الزجاج تبرق بسطوع الانوار عليها وكذلك أنواع أخر من المنابع ترمي الى أمامها على استقامة الى أمد بعيد وكل تلك المياه منبعثة من نهر السين بآلات قوية بخارية والمتفرجون عدة مئات الالوف وحول البلاد غابات وممشى جميلة والبلاد واسعة الطرق نظيفة ظريفة والقصور الملوكية ليس بها من المفروشات الا قليلا من آثار الملوك محتفظين عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها كلا من مجلس الاعيان والنواب اذ كانا نقلا الى هنالك بعد حرب المانيا سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وكان جلوسي في بيت رئيس الجمهورية اكراما منه لي على عادتهم في الاكرام بمثل ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شيء من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو يوم لتصحيح قانون استقر عليه رأيهم في استقراضات واصلاحات للولايات حتى رأيت الاعضاء كل مشتغل بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثر اللغط نبههم الرئيس مرارا للاستماع فكأنه لم يخاطب أحدا واضطر للسكوت وذلك لان ذلك القانون قد تداحثوا فيه مرارا واستقر الرأي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة رسمية ليقع الامضاء عليه فقط وأما مجلس

النواب فتذاكروا فيه على مسئلتين أولاهما طلب وزير المال الرخصة فى صرف خمسة آلاف فرنك على جنازة أمير آلاى بلغ السبعين سنة من العمر مات تحت السلاح فقبل البعد ان ذكر تاريخ حياته ومآثره وطلب اجراء ستة آلاف فرنك سنويا للعائلته وان ذلك المطلب استقر عليه رأى الوزراء فما ختم كلامه الا وارتفعت الاصوات من جهات اليمين منكرين لذلك وردت عليهم أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين الى أن التزم الرئيس باسكاتهم ورام اتباع القرعة فخرجت الاكثرية بموافقة الوزراء فقلت لرفقائى هل رأيتم ماوقع قالوا نعم لكن ماقصدك قلت ان دخل دولة فرانسا نحو ثلاثة آلاف مليون وقد اتفق وزراؤها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل بذل فى خدمة دولته والدفاع عن أمته مجموع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ أمرها فى مال الامة الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم و بمثل ذلك لا يصرف المال الا فى وجهه لا على اختيار فرد ولا على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا فى تجديد معاهدة تجارية مع ايطاليا وان شرح النازلة يوفى به أخوه الذى هو أيضا عضو فى المجالس فقام هذا العضو خطيبا نحو ساعة ذكر ملخص تاريخ التجارة بين المملكتين وان ايطاليا أربح تجارة من فرانسا وطلب تعديل فصول فى المعاهدة السابقة فوافقوه على ذلك (وثانيها) بلد السيفر وهى قرية على نهر السين قريبة من باريس نحو نصف ساعة فى العجلة وبها معمل السيفر للخزف و بستان أنيق وقصر ملوكى (وثالثها) بلد سان كلو بقرب السابقة وقريبة من هيآتها والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة الى فرسال فانك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض و ينتقل من واحدة الى أخرى بالرتل وبالكروسة وبالترامواى وبالامنيبوس . و بالبابورات النهرية سوى فرسال فان النهر لا يحمل السفن الى قربها (ورابعها) بلدة فونتيبلو التى هى اصغر من فرسال وعلى نحوها لكن ليس بها الا قصر واحد ملكى وبه أثاث لنابليون الاول ومنها مائدة كانت أمامه وقت اعلامه بانكسار جيوشه عند تعصب أوروبا عليه وكان بيده موسى فضرب به المائدة غيظا ولا زال أثره فيها لكن هاته البلد تفضل غيرها بما حولها من الغابة ذات الاشجار الفائقة ومحيط الغابة نحو أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاعد ما يفرح النفوس وفى وسط الغابة قهاوى ومعامل لخرط تحف من اخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كبقر الوحشى وغيره والغابة متصاعدة فى جبال جميلة بما كساها الله من النبات وفيها صخرة يعتنى بالتفرج عليها

سقطت

سقطت على حجارة صغيرة كانت فى الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلما حركها أحد مع عظم جرمها وفى الجبال عيون كثيرة ويجرى حول البلد نهر فهى من منازه فرانسا المقصودة (وخامسها) بلدة اليون وهى بلدة كبيرة ذات بطحاآت وبناآت انيقة ويخترقها نهران أحدهما يسمى هارون منحدر بسرعة وتسافر فيه البواخر بقلة وثانيهما نهر السون ثم يجتمع النهران خارجها ويذهبان الى البحر وهى متوسطة بين مارسيليا وباريس ومنظر الجبل الذى حولها جميل سيما جهة منتزهها المطل على النهر الاول ويصنع فى مطاعم ذلك المنتزه طعام من سمك النهر الاحمر ويتغالون فى ثمنه وعلى النهر عدة جسور فى البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المعلق وسطه فى اطرافه بسلاسل وأحسن أماكن هاته البلدة هو بطحاؤها الكبرى التى بها قصر البورس وقصر الحاكم واهاليها يظهر عليهم الجد فى الصناعة لان هاته البلدة هى أشهر البلاد الفرانساوية بمنسوجات الحرير فكانت السكان قليلوا الجولان فى الطرقات اذ أغلبهم معتكف فى المعامل وتجارة أهلها شهيرة فى المعمور ورأيت فيها النفق فى الجبل الذى يصعد فيه الرتل صعودا بينا حيث كان قسم من البلد فى أعلى الجبل وقسم فى أسفله فجعلوا طريقا حديديا ولتقريب الطريق واستقامته ثقبوا له الجبل حتى يصعد مستقيما وجعلت فيه حافلة وسيعة تحمل نحو خمسين نسمة ويجذبها للاصعاد حبل من سلوك من الحديد بآلة بخارية الى ان تصل الى أعلى الطريق فينزل الركاب منها ويسمى ذلك بالتونيل واقمت بهاته البلد يوما وليلة وهى ليست الا شغلا للتجارة (وسادسها) بلدة مارسيليا التى هى أعظم مرسى تجارية لفرانسا بل وفى البحر الابيض وهى بلدة كبيرة ذات جمال ونزهة وفيها حركة عظيمة للتجارة الى سائر الاقطار وفيها اخلاط من السكان من سائر الاقطار واحسن طرقها طريق كانوبيار فيه قهاوى ومقاعد ربما فاقت بجمالها على قهاوى باريس وفيها منتزه يسمى اشاتو دو فى أعلى مكان بها ومنه ينحدر الماء المجلوب اليه على حنايا ذات بناء متين ومحل انقسام الماء له منظر بديع من حسن البناء وتأنيقه وحوله حديقة نزهة وبها حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الآثار القديمة قرب شاطئ البحر وقرب محل السباق وأنزه قصر بها هو القصر المسمى اوتيل دو ديزيرف المتخذ مطعما على ربوة من الجبل المحدق بالبلد يحيط بالقصر من جميع جهاته رواقات على اسطوانات بشكل جميل مع تنميق للبناء وحسن الفرش والآ كل يحيط به حديقة ظريفة فهو نزهة للخواطر ولولا ان منظره للبحر عشية تكدره الشمس لانه غربى المكان أجمل

مارأيته من نوعه أماقوة حركة التجارة بهاته البلدة فهى عبرة للمتبصرين وذلك انك تشاهد من حركة العجلات والسفن والقوارب والارتال وكثرة البضائع من أنواع شتى داخلة وخارجة الى الصين وأمريكا وسائر الاقاليم وترى من المخازن التى هى حقيقية باسم قرى لكبرها وكثرة مافيها من السلع مايحير الفكر كما ان قصر البورس بها يكاد يناكب بورس باريس والحاصل انها هى ثانى بلد لباريس فيما رأيته بفرانسا وأما مرساها فهى ذات حوضين عظيمين لامن السفن وترى فيها من البواخر وغيرها مايشبه الغابات المشتبكة وقد وردت على هاته البلدة ثلاث مرات فى سفراتى وأقمت بها عدة أيام ذهابا وايابا (وسابعها) بلدة طلون التى هى أول مرسى حربى على البحر الابيض وهى بلدة حربية اذ لانضارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والاحواض لانشاء السفن والمدرجات والمعامل لانشاء المدافع والكال والالغام البحرية وغير ذلك من قوات الحرب شئ كثير ورأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشتغل بانشائها منها ماهو على تمام ومنها ماهو فى البداءة والخلائق منكبون على الاجتهاد كالنمل فى المصيف وقد كان سفرى اليها سنة ١٢٩٠ وكان مصاحبالى فى الرتل سفير الصين القادم بالاستدعاء للعرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف على عادة أهل الصين وكل لحيته وشواربه بيض نحيف الجسم ومعه غلمان لا ادرى أهم ابناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثة عشر رجلا وكان راكبا فى حافلة منفردة هو واتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومرافق بحيث لم ينزل منها مدة السير الى ان وصلنا الى طلون فنزل هنالك حيث أعدت له دولة فرانسا باخرة حربية ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده فى الصين وكانت الباخرة مباحة ذلك اليوم للمتفرجين والحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها سمات القوة والشارات العسكرية وأقمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلدة نيس التى هى على شاطئ البحر وهى مأوى الاغنياء وذوى الترف من الفرانسيس وغيرهم من أهالى الاقطار الباردة فى الشتاء وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى فى الشتاء حسنا وكثرت بها القصور والمبانى الجميلة ومنازل المسافرين الرحيبة وجميع ديارها صغيرة لاتزيد على أربع طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الانكليز فى بناءاتهم على ذلك النحو وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا انما يقدم منهم ذووا الترف المتعودين

على

على سكنى الانفراد فلذلك كانت مبانيها جميلة ظريفة وسياج حدائقها من الآجر أو الحجر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجرى فيه المياه عند نزول الامطار فقط وعليه عدة قناطر ولها عدة ملاهى لكن لما قدمت لها صيفا وجدت البلد كانه خال من السكان لقلة من به بالنسبة لكثرة البساتين والديار المنفردة وليس بها ملاهى مشتغلة سوى الملهى الصيفى على شاطئ البحر ويقرب من هاته البلدة عدة بلدان هكذا على نحوها ظرافة ونزاهة وأقمت بها ليلة ويوما (وتاسعها) بلدة أياتشو وهى قاعدة جزيرة قرسكا وهى مرسى امنيـة صناعية ومن عاداتهم فى المراسى ان البواخر مهما وصلت تتمم اشغالها الليل والنهار سواء فتحمل السلع وتنزل غيرها وكذلك الركاب بحيث ان ساعاتها المعينة لا تتأخر عنها وبعد المسافر فى المرسى وحولها ضروريات ما يحتاج اليه وهى منورة وهاته البلدة ظريفة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارنج والليمون فكانت رائحة الزهر عند دخولى اليها فى الربيع عابقة وفيها بطحاء وسيعة بوسطها صورة نابليون الاول والدار التى ولد بها لا زالت على هيئتها وفرشها للتحفظ عليها كالمصالح العامة لانه من رجال السياسة المعدودين فى الدنيا ورقى اسم فرانسا الى درجة عظيمة وهو فى الاصل من عموم أهالى هاته البلدة وأقمت فيها بضع ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا عند الغروب ثم طلع البدر نقصوا النصف منها اقتصادا فهاته هى البلدان التى دخلتها وأقمت فيها بفرانسا فى السفرات الثلاث وعند رجوعى الى الوطن فى السفرة الاولى راكبا من مرسيليا وكان ذلك فى ينايرالموافق لمحرم سنة ١٢٩٣ ليلا صادفت هيجانا عظيما فى البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة بمن فيها وانكسر منها عمود ان من حديد معلق فيهما قاربان ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو من النوتية ان يتحرك من محله وجاء فى السفن صباحا بعد هدو البحر مهنيا بالسلامة وأخبرنى انه لم يرمثل تلك الليلة وانه ربط نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليستطيع الثبات فى مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة كرسكا الا بعد ميعادها باثنى عشر ساعة ومن غرائب المرائى انى رأيت فى الليلة الثانية فى البحران سنة من اسنانى سقطت وكان احبائى سألونى عنها وكنت أسلى نفسى بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد ألما فى نزعها فلما أفقت انقبضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر لى فى أوجه الاحباب الملاقين غبار اوفى اثناء الطريق سرد على الفاضل محمد السنوسى هاته الابيات قال

فاشكر الملك واذكر النعم التى * ردتك بعد تلاحم الاهوال
فاتيت ارضك سالما وأعزما * تلقاه فيها فوزكم بالآمال
فترى بنيك من السلامة فى حلى * موصوفة منكم بكل كمال
وجميع أهلك والاحبة كلهم * يلقونكم بتساحب الاذيال
هذى هى النعم التى لم نوفها * حق الثناء على الولى المفضال
وهو الذى أبقى اليك الاخت كى * تسمو بعزك فى حلى الاجلال
اذلم تصب فى غير ليلة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال
فاشكر الملك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالى

فاعلمنى بوفاة أختى الوحيدة رحمها الله ونعمها وكنت تركتها مريضة بالسل فتوفيت ليلة قدومى بعد تلك الرؤيا بليلتين وحضرت جنازتها ولم أعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت الاقارب الابعدان حللت فى الاستانة سنة ١٢٩٧ فذكرمثل فى الوصول الى المقصود بالملاطفة وهو ان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأتى بمعبر فقال له سيموت جميع أهلك فبطش به ثم أتى بمعبر آخر فقال له ان الملك أطول عمرا من جميع عائلته فأجازه فتعجبت بتذكر تلك الرؤيا الى ان قال لى المتحدث ان أمر هذا مشهور فى علم الرؤيا فقلت نعم ها أنا قد شاهدته فى نفسى لكنى لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا فى الاحاطة باحوال الرائى ووقت الرؤيا والاحاطة بالمرئى الى غير ذلك وربما غفل عن شئ منها فيتغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك فى ثبوته وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويكفى فى ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية فى صحيح البخارى ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وستين جزأ من النبوة وأما سفرتى الثانية الى فرانسا سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا تو ابور الباخرة البريدية على بلد بونة من اعمال الجزائر وكان البحر فى غاية الهدو حتى رأيت على سطح الماء قطعة من نبات بحرى مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهى قليلة الظهور وانما ترى عندما يكون الماء فى غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر منبعثة بقوة مثل أعظم الفوالق فاخبرنى انها من نوع سمك يفعل ذلك وان منها العظيم الذى اذا صادف عمله ذلك احدى السفن الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المرئيات وكذلك عند رجوعى من هاته السفرة كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بلد الجزائر وكان الوصول اليها صباحا بعيد الشروق لكنا لم نر البر وكان السفن أخبرنا بالوصول لكنه لما لم ير البر مع تيقنه بالحساب للوصول

التزم

التزم الوقوف وذلك لكثرة الضباب المتكاثف ذلك الصباح فما انقشع الضباب بحر الشمس الا ووجدنا البركانة فى مقدم الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من لطف الله التدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقرى الى ان تيسر لها الدوران ودخلت المرسى وسيأتى الكلام على مملكة الجزائر فى باب مخصوص (وأما) السفرة الثالثة فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى فرانسا ومنها الى انكلاتيرة وهكذا الرجوع ولم يكن البحر اذ ذاك الاعلى ما هو معتاد ومما حدث فى الوطن فى سفرتى الاولى وبلغنى خبره وأنا فى باريس ظهور دعوى وقعت لها طنطنة من الشيخ المسن التقى أحمد بن المهدى فى العمل بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين واختلاف الروايات فى الواقعة ومدارها تصميمه على رأيه وتعصب العلماء عليه الى ان حكموا بنفيه فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها رحمه الله وتحرير الكلام على المسئلة باختصار حسبما اوعدنا به فى الكلام على ائمة جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسى ذى السيط الشهير علما وعملا غير ان هذا التلميذ هو دون شيخه بمراحل فى العلم فألف رسالة أراد ان يذكر فيها طريقة شيخه فلم يوف بها وتغير المعنى المقصود لشيخه اذ مدار هاته الرسالة ان لا يقلد أحد الا المعصوم ولذلك يجب على الامة ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى أن ظاهر ذلك يوقع فى افساد الشرع حيث انه لا مخالف فى ان لا تباع الى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما فى الكتاب والسنة لكن أين أهل الفهم منهما وأين ادوات ذلك التى كانت فى صدر الاسلام سليقة وصارت على التدريج صناعة وعلوما تتعلم وتدلى الامر حتى لم يبق من يوفيها حقها فاذا اسوغنا لكل أحد ان يعمل بما يفهم مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كانت المجتهدون كثيرين فى الصدر الاول فمنهم من كثرت أتباعه وتسلسل النقل لاقواله الى الآن وهم الائمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم من انقطع النقل عنه فلا يجوز الآن تقليده لعدم صحة السند فى مذهبه بالنسبة لاهل العصر والافكاهم سواء بالنسبة للمقلد وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الادلة ومناطاتها وترجيحها فهو عامى وله ان يقلد من شاء من الائمة المجتهدين لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سند الاجماع هو نص من الشارع وسند القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فرجع الامر الى

ان لا عمل الا بالكتاب والسنة والشيخ السنوسي رحمه الله مقرر لذلك في رسالة له الفها في المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اختصارا مخلا وذلك ان الشيخ السنوسي قرر في رسالته وجوب الاتباع للشارع والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اخراج المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقدر ان يفهم كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير فينئذ المتجئ الى تقليد ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت في السند لكى لا ينسب لاحد مالم يقل به كما يقع كثيرا في تفريعات بعض المتأخرين فيخطؤن في التخريج ومع ذلك ينسبون القول لاحد الائمة فيما لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ماهو عليه من العلم واتساع الباع انى اذا استفتانى مستفت من ملتزمى مذهب مالك فانى لا أفتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو كنت مرجحا لغير قوله حسبما اطلعت عليه من الادلة وذلك لان المستفتى انما سألنى عن قول مالك لا على قولى والحاصل انه في نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل مكلف ابلاغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورأيت في تأليف كثير من أهل العصر في الهند النحو الى هذا المنحى وان من له اطلاع على الادلة ومناطاتها يجب عليه اتباع الدليل وكان هؤلاء العلماء يريدون من هو من طبقة أهل الترجيح المنصوص عليها في كتب الفقه

الفصل الرابع

﴿في التعريف بفرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا من ممالك أوروبا الغربية وتبتدئ من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٣٠ شمالى الى درجة ٥١ ودقيقة ٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة ٥٠ شرقى الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربى لان مبدأ الطول عند كثير من المتأخرين هو باريس التى هى قاعدة هاته المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا وشرقا ايطاليا وسفيسره والمانيا والبلجيك وشمالا البحر المنش وخليج كالى الفاصل بينها وبين انكلاتيرة وغربا البحر المحيط الغربى فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ برا وبحرا في ثلاثة أبحر محيطة بها وتتبعها عدة جزر منها كرسيكا وجزر يارس في البحر الابيض وجزر رى واوليرون وويسان في المحيط وفيها جبال كثيرة واعظمها جهة الشرق كالجورا والآلب وتتصل سلسلة مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربى فتتصل

بجبال

جبال بيرنى الفاصلة بين فرانسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرانسا هو جبل أوروفان ارتفاعه على سطح البحر قدما ٦٢٣٠ وليس بها جبال بالكانية وأما انهرها فهى كثيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وانما البعض منها يحمل الصغيرة وأشهر انهرها نهر السين الذى يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب فى المنش ثم نهر السوار وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب فى المحيط الغربى ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عميق سريع السير ويصب فى البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب فى البحر الغربى الى غير ذلك من الانهر وبها من الترع نحو من تسعين ترعة ولازالوا مجتهدين فى تكثيرها ووصلة الانهر والبلدان بعضها ببعض لنقل الركاب والبضائع زيادة على سقى الاراضى ويبلغ طول هاته الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتها فلم اعلم فيها الا ثلاثة (أولاها) بحيرة ديورجى حذو جبل الموسنى حلوة محدق بها منظر جميل ويمر على شاطئها طريق الحديد (وثانيتها) بحيرة دنسى قرب جبل آلاب وكلاهما اجار يصب فى نهر الرون (وثالثتها) بحيرة آن قان قرب باريس وأما هواؤها فالجهة الشمالية منها باردة والجهة الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعا شتاء ومع ذلك فهواؤها سليم لائق بالصحة ولا يقع فيها الضباب الا بقلة وهو متعب جدا فقد صادفته فى سنة ١٢٩٣ وذلك انى ذهبت زائرا احد معارفى قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت فى الساعة السادسة بعد مضى الغروب بنحو الساعتين فوجدت الطرقات فى غاية الظلمة ولم ادر الى أى جهة الطريق فتعجبت من ذلك وسألت صاحب الباب ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة فقال كلا ولكن الضباب منع نور الفوانيس من الظهور ومع ما عليه باريس من كثرة التنوير فارسلت ليؤتى لى بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت الى تتبع الناس للحائط مع التحذر من المصادمة وكنا نعلم قرب موقف الكراريس فذهبنا الى جهتها ولم نر نورفوانيسها الا عند الوصول اليها فلما أردنا ركوب احديها امتنع صاحبها وكثر اللغط بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية وألزمه باركابنا وايصالنا الى منزلنا فاجابه بانه غير ممتنع لكن الخيل لا تمشى لانها لا ترى فقال اركبوا الى ان نعمل وجها فلم يكن غير بعيد حتى ظهرت المشاعل على وجه الارض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من حبال غليظة تحرق وتدار باليد فى الهواء على وجه الارض على نحو ما تفعله البوادى فاخذ سائق الكروسة رجلا منهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراءه الى ان أوصلنا واعطينا الرجل احسانه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة فى تلك الليلة مع قلة صهيلها هنالك

على كثرتها وكذلك كثر نباح الكلاب وزاد حسها وضوحا هدوحس العجلات ولما وصلنا الى البلفار على كثرة تنوير حوانيته وقهاويه لم يظهر منها شيء الا اذا لصق الانسان بالفانوس فانه يرى نوره مقصورا عليه وقد ذكرت تلك الليلة صحف الاخبار وشيدت بشأنها وان مثلها كثير بانكلترا ليلا ونهارا أما البرد فهم مستعدون له لباسا ومسكنا ولهم عملة لازالة الثلج من الطرقات وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعا من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسا فينبت بها جميع نباتات أراضي الاعتدال والاراضي الباردة بالنظر لجنوبها وشمالها وعلى الاجمال فالجهة الشمالية منها أجمل منظرا الان في الجنوب جبالا صخرية وأحراشا غير صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب سيما جهة بلد بردو وشمبانيا لكن في هاته السنين الاخيرة أصيب بمرض أوجب خسائر بليغة وفيها من الكمثرى أنواع فاخرة لذيذة سيما في الشتاء وبطيخها وخوخها حسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الاخضر المعروف بالدلاع أو الحب وعندهم أكله معرة وبقية فواكهها وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات لاخشاب السفن وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والنعم وخيلها على ثلاثة أنواع (فأولها) العراب العتيقة وهي مخصوصة للركوب (وثانيها) البراذين وهي لجر الاثقال والحوافل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلط من نسل المذكورات ويستعمل لكلا القسمين لكن أكثره لجر الكراريس ومنه الجيد للغاية القصوى والبغال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الحمير ورأيت في باريس ان الحمير الاناث الوالدات يطاف بها بكرى الصباح على الازقة لحلب من يشتري لبنها وهي نظيفة حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسمينه للاكل ولهم على من يفوز بأكثرية التسمين جوائز حتى بلغ مرة وزن ثور منها نيفا وأربعين قنطارا وتستعمل للحرث أيضا ولجر الاثقال بقلة والغنم من النوع الذي له ذيل وذوات الالية قليلة وأما أنواع الحيوانات المسبعة فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقد انقطع من هنالك للاعتناء بقطعه مع كثرة العمران نعم يوجد منها مربى في الامصار كالاسود والنمر ويتوالد الاسد ويرضع بنيه كلاب كبار لتقابل جرأته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين والحيات فهي قليلة ولا يزالون مجتهدين في قطعها فان غابات فنتبلو مجعول لكل من أتى بحية منها مقدار من المال أما في باريس فلم أسمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات ولا خنفسة وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرقات حتى لا تكاد تجد في حائط ما

مفروشة سماروكلها متقنة الطلى ظاهرا او باطنا بالجص أو الرمل والجير سواء الظاهر والباطن مع عدم وجود الخراب فى أى جهة نعم فى الجنوب من المملكة يوجد البق والذباب وغيرهما من الحشرات وهى أيضا قليلة فى المدن بالنسبة لما نعرفه فى البلاد التى تشبه تلك البلاد فى الحر وطيورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها الا فى أوقات معلومة كما انه ليس لاحد أن يصطاد الا برخصة من الحكومة يؤدى عليها معلوما وليس له ان يصطاد فى غير أرضه المعدة لذلك أو اراضى العامة المعدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة ومنها من نوع الفيزان كثير (وأما مدن) فرانسا فقاعدتها باريس وقد تقدم ذكرها وهى مائلة الى الشمال من المملكة وبقية المملكة تنقسم الى ستة وثمانين ولاية كل ولاية لها مدينة هى مركزها ويتبعها عدة أوطان لكل وطن مركز ويتبعه عدة أوطان صغار وهاته أيضا الى أصغر منها فجموع النوع الاول من الاوطان عدده ٣٧٠ والثانى عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠ ولكل منها مدينة أو قرية هى مركزه فهى حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم ذكره منا (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها الغنى للغاية فالذهب لا يكاد يستخرج من محله وان وجد لانه لا يوفى بمصاريفه والفضة موجودة بقلة ومثلها النحاس والفحم الحجرى كثير غنى وكذلك قطران الارض وأنواع من الحجر والرخام الابيض ومنه الشفاف وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الطبع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد والرصاص كثيرة وبها حجر الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيشى وحمام برنى (وأما مراسيها) فكثيرة حربية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها ويقاس عليه ضخامة وحصانة باقيها (وأما سكانها) فاصلهم القديم من قبائل مختلفة وردت الى هنالك من المشرق فى أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكلتيين وقسم منهم عبر المحيط الى انكلتيرة وانضاف معهم فى فرانسا قبائل أتت من جنوب افريقيا يسمون الباسليك ولا زال الى الآن سكان جبال برنى يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة الافرنج الآتية من الشرق واستوطنت قبل ذلك فى البلجيك ثم تغلبت على قبائل فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد باسم الافرنج ثم حول الى الفرانسيس وصاروا الآن جنسا واحدا وهو الفرانساوى الا أهل نيس وساقويا وقرسكا فهم طليانيون وعدد الجميع ستة وثلاثون مليونا ونصف عدا ما فى مستعمراتها والديانة الغالبة هى النصرانية على المذهب الكاتوليكى وقد كان هو مذهب الدولة الرسمى لكن الآن لم يبق من الدولة

اعتبار لديانة أو مذهب خاص حتى انها أزالت سنة ١٨٨٠ علامات التمذهب الدانية من الاماكن الرسمية والمكاتب كما وجد فيهم المذهب البرتستانتي وديانة اليهود وتوجد الدهرية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام و يتبع فرانسا مستعمرات ففي افريقية قهرت الجزائر وادعت بالحماية على تونس واستولت على سانيغال و جزائر غوري وسانت ماري و بورون وعدد سكان هاته المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربعة ملايين والباقي على مذاهب وديانات شتى و يتبعها في قسم آسيا ارض بوندشيري وكاريكال وماهي ويناون وشاندرنغور كلها في شطوط الهند كما لها ايغون في كوشين الصين وعدد سكان الجميع نحو الثلاثمائة ألف ولها في أمريكا جزائر صان بيير وميكلون ومارتينيك وغوادلوب والغيان الفرانساوية وسكان جميعها نحو الثلاثمائة ألف أيضا ولها في الاقيانوس جزر مركيز وتابيتي وسكانها نحو المائة والخمسة وسبعين ألفا فجميع السكان والملحقات نحو اثنين وأربعين مليونا

الفصل الخامس

﴿في اجمال تاريخ فرانسا﴾

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته المملكة تسمى قديما غاليا أو غالة ويجهل الحال في تاريخها القديم أعني ماقبل تاريخ الميلاد بألف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها شجعانا حاربوا من جاورهم ولم يخضعوا لدولة الرومان الا بعد مشاق ثم استقلت فرانسا عنهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدة رؤساء متحدين ثم خضع الجميع للملك سنة ٤٢٠ مسيحية وأول عائلة معروفة من ملوكها تسمى الميروفنجيين وفي مبادي القرن السادس تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الاهالي لانتصارها على جميعهم ثم قلبت الكاف سينا وصارت فرانسا وذلك لقب أطلق عليهم مأخوذ من فرانكس أي شجعان ثم انقسمت الى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة الملوك ضعيفة فيهم والنفوذ الى جمعيات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين

السيرة فى الادارة حتى كان للاهالى حرية تامة بل قد تخرج عن الاعتدال الى التهور فقد ذكر وانهم كانوا يقتسمون الغنائم ويعطون الملك حصة كآحاد الجيش فلما انتصروا فى احدى الوقائع وقد انتهبوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها اناء من ذهب طلبه الملك من الجيش برضاهم فبينما هم بصدد اجابته واذا باحدهم تقدم وضرب الاناء ببلطته وقال له باعلى صوته ليس لك ادنى شئ سوى ما يخصك بالقرعة ولا نقر لك بامتياز وأول تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان فى أواخر المائة الخامسة مسيحية وفى أواخر هاته الدولة أعنى سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير من جنوب فرانسا حتى وصلوا الى اليون وخرجت تلك المستملكات واتحدت مع فرانسا وبقيت فرانسا على نحو ماذكر الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا بشارلمان المعاصر للرشيد العباسى وقد ضم الى فرانسا عدة ممالك من أوروبا حتى تسمى بامبراطور المغرب وانتقل تاجه الى فروع من العائلة الى ان بقى الآن فى المانيا التى كانت احدى ممالكه واستقل بها أحد احفاده عندما قسم ابنه ممالكه على أولاده فملك بكره على جرمانيا والثانى على فرانسا والثالث على ايطاليا وضعف ملوكهم باسنادهم الامور الى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم الى أعلى المناصب والالقاب بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وماتهم الامم وتناصروا الى ان خربت العائلة واستولت على فرانسا العائلة الكابيتيانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثانى الملقب أوغسطوس الذى اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة بحرب الصليب الثالثة لكنهما لما وصلا الى صقلية تنافرا وافترقا ثم بعد رجوعه من الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واستخلص منهم بعض ما كانوا ملكوه من فرانسا ومن هاته العائلة صان لويز الذى أسر بمحروسات تونس وله تذكار معروف قرب قرطاجنة وذلك فى حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذى حدد للاعيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضمحل ذلك بميل فليب الخامس الى الاعيان وأشرفت فرانسا على السقوط وتداخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائة سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز فى كثير من الوقائع وتملكوا كثيرا من الجهات حتى ذات باريس مع التناصر الداخلى فى فرانسا ثم ظهرت بنت لاحد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد الالهى لانقاذ فرانسا وساعدها الملك بتأميرها على الجيش وأظهرت شجاعة غريبة

وافتكت من الانكليز عدة جهات وفي حصارها المدينة كما ان أخذت أسيرة وحكم عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكليز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب ولم تخلص فرانسا الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك اذ ذاك كارلوس السابع الجيش المستمر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان المالكين للمملكة بأهاليهم الذين يقدمون العساكر للملك فكسر كارلوس شوكتهم واعتنى بترقية المملكة في المعارف حيث كان مطلعا عليها وقد نقلت صناعة الطبع الى باريس في أيامه وأنشأ مدرسة خاصة للطب وباستقامة سيرته نال من الفتوحات والترقي ما لم ينله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب به الكاثوليك وأغروا أمه به وقتلوا كل من ظفروا به في فرانسا من أهل مذهب البروتستنت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين ألفا وقتل الملك بيده عددا كثيرا وهو واقف متكئا في أحد رواشن قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانسا الصعود والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدا في أيام لويس الرابع عشر الملقب بالكبير المتولي سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة بحروب الثلاثين سنة وانتقل لفرانسا النفوذ الذي كان للنمسا في أروبا وظهر فيها عدة مشاهير بالمعارف وهو الذي أنشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ليزان فاليد لكنه في آخر أمره فقدت فرانسا ما نالته في الداخل والخارج بأسباب التعدي على الرعايا وضعفهم وبعده فقدت فرانسا المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا واللورين وكان ذلك باتباع لويس الخامس عشر لشهواته وتحكم النساء فيه والغائه للشورى مع مجالس نواب الامة وآخر الملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم من انكلاتيره باعانة أمريكا على استقلالها وحدثت في أيامه الثورة العامة التي قلبت حال التاريخ حيث كان يرجى منه اصلاح ما أفسده أبوه وجده لكنه كان ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

مطلب

﴿في تاريخ فرانسا الجديد﴾

اعلم ان الفرنساويين لما انتشرت فيهم المعارف وعلموا ما لهم وما عليهم ونالوا من بعض ملوكهم أحيانا انصافهم واشتهرت بينهم الصحف الخبرية المعلنة بالمحامد والمذام وحدثت

فيهم

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم انعقدت فيهم جمعيات سرية للتدبير والعمل فيما يمكن لهم به حفظ حقوقهم وممالكهم وتفطن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة يميل الى معاضدة الامة فيما تريده ومرة يجنح الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشي على نفسه وفر مع عائلته لكن الاهالي أرجعوه غصبا وخضدت شوكته فخاف بعض ملوك أوروبا من أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح أبصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذاك مستبدين فتعاضدوا على اركاس الفرنساويين لاسيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنساويين دافعوا عن حقوقهم بجد وانظم اليهم ملكهم ✽
المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ
١٧٩٣ م ثم بدا لهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطردوا ابنه الى جده امبراطور النمسا وذلك بحكم الحكومة الاجرائية التي حكمت بالغاء الملكية واثبات الجمهورية وأعانت لسائر الامم انها تساعدهم على خلع ملوكها وتسمت الحكومة جمعية اتفاق الامة وكان من أكبر زعمائها ولتير الذي لادين له وهو أحد الذين ثاروا وغيظ الامة بما ينشره من الاقاويل والكتابات ولما استتب أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعتدال بمضادة الاديان وقتل رؤساء الكنائس وابدال أغلب العادات حتى الايام والشهور فجعلوا الاسبوع عشرة أيام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهورية وكذلك أشهروا الحرب على جميع الدول وانتصر الفرانساويون سيما تحت راية نابليون الاول بونابارتي الذي كان أحد أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده القدر بالانتصار الذي نال به أعظم الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركتوار ✽
أي الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت في أيامها الحروب العظيمة مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورتب فيها حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء على الهند انتقاما من الانكليز ثم عاضدت انكلتيره الدولة العثمانية واسترجعوا مصر وما أخذ من الشام وهيجت انكلتيره دول أوروبا على الاتحاد على فرانسا فاستعدوا لحربها ✽
وحاربوها وكانت الحرب سجالا لكن نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد أن يكون أسيرا في رجوعه من مصر وجد حكومة الدركتوار على شفا وأوروبا منتصرة في أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنسلات مؤلفة ✽
من ثلاثة أشخاص يسمون قناسل وتبوأ هو رياستها وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تسمى قنسلا لمدة حياته وتسلم رياسة الجيش ورجع الانتصار المفقود والتفت عند ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فسماه مجلس الاعيان امبراطور سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيتا عظيما فى الدنيا بانتصاراته على أغلب أوربا فدخل فيينا وبرلين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمست ايطاليا وكثير من جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على الروسيا أيضا وعقد معها صلحا ومعاهدة سرية من شروطها اقتسام جميع أوروبا بين فرانسا والروسيا عدا الممالك العثمانية وان بلغها انها أيضا فى القسمة حتى اغتاظ السلطان لذلك كما سيأتى فى محله ومن المستثنى من القسمة أيضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم تأليف قانون الاحكام الشهير المعروف بكود نابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وهو عمدة أحكامهم ونسجت أوروبا فيما بعد على منواله وهو كتاب مقسم على أبواب المعاملات والجنايات وكل مسئلة من الباب يعقدها فصل يبين حكمها بعبارات بينة من غير بيان لدليل الحكم ولا لمحل استخراجه لسهولة التناول وكان عين لتأليفه جمعية علمية عولت فى تنظيمه على ما يليق بالعادات من أحكام الشرع الاسلامى وأحكام الرومان وسنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسيا لنكثها شروط الصلح المار ذكرها وانتصر عليها الى أن وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد أعد واله كيدا باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صفصفا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره بردا وجوعا وعاد هو متنكرا الى فرانسا وجهز نفسه لحرب الروسيا والمانيا وبروسيا والنمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انكساره فغلب أخيرا ودخلت العساكر المتحدة الى باريس وملكوا على فرانسا لويس الثامن عشر وأسكنوا نابليون بجزيرة الاب على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى فرانسا وتلقته الاهالى بالرحب لما نالوه من العظمة فى أيامه فهرب لويس الثامن عشر الى مقره أولا بانكلترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعهم انكلترة وقهروا نابليون فتنازل عن الملك لابنه بلقب نابليون الثانى سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه الدول وأعادت لويس الثامن عشر وأما نابليون فطلب الاقامة بانكلترة مستأمنا تحت أحكامها فقبلته وعند ارادة نزوله من السفينة الحربية الانكليزية الى البر اعلمته بانه أسير للدول فسجل على ذلك ولم ينفعه ونفى الى جزيرة هيلانة فى الاقيانوس الاتلانتيكى الى أن مات ونقلت جثته فيما بعد الى ليزانفاليد بباريس وانحصرت اذ ذاك فرانسا

فى

فى حدودها القديمة ثم تولى ملكها كارلوس العاشر اخو ملكها الذى أجلسته الدول وفى مدته استولى على الجزائر وأراد أن يحجر من حرية المطابع والقوانين فثاروا عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فاطلق الحرية وأحبوه ولكنهم أسقطوه أخيرا لامتناعه من اصطلاح قوانين الانتخاب وكانوا يميلون الى الجمهورية والى عائلة بونابارتى فاعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها لويس نابليون ابن أخى نابليون الاول وريث ملكه حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن أخيه مرسوما فى ولاية العهد وذلك بعد أن نفى مرة الى أمريكا وأخرى الى انكلترة وايطاليا وسجن مرة فى حصن وفر منه بتزييه بزى أحد عملة البناء بعد حاق شاربه وأشهر عدة تأليف تنوه بالحرية والفخر فسلموا له زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستمالة رؤساء الجيش اليه ما اقتدر به على الاعلان بامبراطوريته سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وانكلترة على حرب الروسيا سنة ١٢٧١ ١٨٥٤ م لتهاونها باعترافه امبراطورا فى مبدء أمره وللدواعى السياسية من الخوف من استيلاء الروسيا على الممالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التى أسسها وهى اتحاد الجنسية كما تقدم فى تاريخ ايطاليا الجديد حتى اتحدت ايطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب الصين مع انكلترة سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصرا عليه وافتتح المكسيك من أمريكا سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملك عليها مكسيمليان اخا امبراطور النمسا وكانت اذ ذاك دول أمريكا المتحدة فى حرب شديدة داخلية ولما فصلت حربهم حنقوا على فرانسا من تداخلها فى قارتهم فتسال نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من ملكه عليهم وذهب سعى نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده باطنا وتصرفه طبق شهواته فى السياسة بعد ان كان أوصل فرانسا الى ذرى المجد حتى نظرتها سائر الدول بعين الوقار وهرعت ملوك الدنيا الى باريس فى دعواته للمعرض وكانوا يفتخرون باستمالته نحوهم حتى فضله كثير من عقلائهم على عمه لكنه لما غره زيادة المجد استبد برأيه باطنا وأسرع الى التداخل فى أمر غيره فقلقت الاهالى من عمله ولما أحس بذلك أعلن بعمل الانتخاب العام له من سائر السكان بحيث لا يختص باصوات الاعالى بل حتى العامة لانهم لهم الحق فى ذلك من حيث ان التملك انما هو على الفرانسا و بين مطلقا ولما كانت العامة محبين له لعدم اطلاعهم على مخفياته أو عدم

تبصرهم مع أنه محسن اليهم بحيث يؤثر نفعهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند المحل ثم ان حزبه يغريهم بالمال عند الانتخاب اذ كان ينفق فى مثل ذلك من أموال الدولة مقادير ذريعة سرا وترسم فى ميزانية الدولة باسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك الوجه حصل أغلبية عظيمة فى ارتضاء الفرانسيس به مالكا عليهم وانشئ اذذاك قانون الامبراطورية المؤرخ فى سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبه (الحكم الاول) لمجلس الاعيان مزية وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب وله أيضا البداءة فى وضع المعروضات واللوائح الا أن الامور المتعلقة بالمالية ينبغى أن تقرر أولا فى مجلس النواب (الحكم الثانى) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته حتى يبلغ ثلثى عدد مجلس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحقاق وليس للامبراطور أن يعين فيه فى كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد تعين الغاء المزية التى خص بها المجلس من جهة التشريع المذكور فى الحكم الحادى والثلاثين من القانون الذى تقرر فى ١٤ كانون الثانى أى ينار سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٣ م (الحكم الرابع) التراتيب التى ألحقت بهذا القانون وهى المشمولة فى الاصول العمومية التى استقرت فى ١٤ وفى ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٣ م وفى ٢١ وفى ٢٢ من الشهر المذكور فى السنة التى بعدها هى أصول المملكة وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما يغيرها سكان المملكة بطلب الامبراطور (الحكم السادس) تعين الغاء الفقرة الثانية من حكم ٣٥ و١٧ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٥ و٤٠ و٥٢ و٥٧ من تلك القوانين وكذا الاحكام المخالفة لهذا القانون (الحكم السابع) يبقى ماتقرر فى قوانين ١٤ من كانون الثانى دجنبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٣ م وفيما بعد ذلك معمولا به اهـ ثم ألحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريبها

الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتتكفل بالاصول المعظمة التى شهرت فى سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهى أساس شرع الفرانسيس العمومى

الفصل الثانى

﴿فى مزايا الامبراطور وملكه الثانى﴾

المرتبة

المرتبة الامبراطورية التى خصت بلويس نابليون بونابارت وهو نابليون الثالث فوضت اليه بحسب قرار رأى جهور المملكة وفى ٢١ تشرين الثانى (نبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهى مزية متوارثة فى سلالة ذريته الذكور الاول فالاول وباقى منها الاناث وذريتهن الغاء دائما (الثالث) اذا لم يكن للامبراطور المشار اليه وارث فله أن يتخذ وارثا من سلالة اخوة نابليون الاول الذكور وهذا الاتخاذ لا يباح لخلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذا لم يوجد له وارث حقيقى أو متخذ يخلفه فى الملك البرنس نابوليون وورثته الحقيقيون من سلالة الذكور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث وذريتهن استثناء دائما (الخامس) اذا لم يوجد وارث شرعى أو متخذ لنابوليون الثالث ولخلفائه فلسكان المملكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعينوا من أهله الوارث من الذكور دون الاناث وفى مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب أكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابوليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا الا باذنه واذا تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا فى حرمانهم من حقوقهم فى الخلافة وفى حرمان ذريتهم أيضا ولكن اذا كان زواجهم عقيما فللبرنس الذى تزوج حق فى الخلافة وللامبراطور أن يعين القاب الباقى من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة (السابع) النيابة فى الملك مقررة فى القوانين التى نظمت فى ١٧ تموز (يوليه) من سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وفى الاحوال المشروحة فى الفقرة الثالثة من الحكم الخامس ينعقد كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقرر رأيهم على اقامة من ينوب فى الملك (الثامن) كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحق لهم الخلافة يسمى برنسا وأكبر أبناء الامبراطور يقال له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثمانى عشرة سنة تامة ولكن جلوسه فى المجلسين متوقف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

﴿فى نوع حكومة الامبراطور﴾

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس شورى الدولة (الحادى عشر) وضع الاحكام والقوانين يجرى بالاتفاق مع

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثانى عشر) البداءة فى القوانين منسوبة للامبراطور والمجلسين المذكورين ولكن كل تقرير يرسم فيه بوضع الضرائب ينبغى الاقتراع عليه فى مجلس النواب

الفصل الرابع

﴿فى أحوال الامبراطور﴾

(الثالث عشر) الامبراطور مسؤل لامة الفرانسيس وله الحق فى كل وقت لان يبلغها استدعاءه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب و يجرى معاهدات السلم والتجارة والاتفاق والمحالفة و يعين جميع الوظائف ويثبت التراتيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشرع (الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق فى منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفى ان يقر الاحكام ويشهرها (الثامن عشر) ما يراد بعد الآن من تعديل الاحكام وتعريفات الكمرك و جعل البوسطة على حسب الموافقة مع أمم أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقرر أى المجالس عليه (التاسع عشر) الوزراء مرتبطون بالامبراطور وحده وهم يتذاكرون فى مجلس يكون الامبراطور رئيسه وهم مسؤلون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس الاعيان أو مجلس النواب وان يحضروا فى أحدهما ان شاؤا وان ينصت اليهم حين يتكلمون (الحادى والعشرون) يجب على الوزراء واهل مجلس الاعيان ومجلس النواب وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذى المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهى انى أحلف بان أكون خاضعا للقوانين المملكة وامينا للامبراطور (الثانى والعشرون) الحكم الذى صدر فى ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفى ٢٣ من نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م مما يتعلق بالمرتب لمصروف الامبراطور يبقى معمولا به أما فى المستقبل فيكون مرتب صاحب التاج مدة ملكه مقررا برسم من لهم مزية وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

﴿فى مجلس الاعيان﴾

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يؤلف ممن هم فى مرتبة الكردينال والماريشال والاميرال ومن الاهالى الذين يرقيهم الامبراطور الى رتبة سيناتور (الرابع والعشرون) لا يتغيرون ووظيفتهم باقية مادموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عددهم مقدار ثلثى أهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه أكثر من عشرين فى العام (السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذى يعقد المجلس و يطيل مدة انعقاده و يكون الجلوس فيه علانية ولكن عند طلب خمسة اعضاء منه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على الشرط الاصلى الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان يتذاكر على التقارير المعروضة و يقترع على الضرائب

الفصل السادس

﴿فى مجلس النواب﴾

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تنقص على ثلاث سنين (الحادى والثلاثون) ولهم ان يتذاكروا على القوانين ويقترعوا على الضرائب (الثانى والثلاثون) وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور يعقد المجلس ويؤخره أو يطيل مدة انعقاده وان يحله لكنه عند حله يتعين عليه ان يعقد آخر فى مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولكن عند طلب خمسة أعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

﴿فى مجلس الدولة﴾

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المشاكل الناشئة من معاطاة الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة فى المعروضات واللوائح فى كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق فى حضور المجلس والاقتراع فيه اه فكان الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترضى عنه جميع الاهالى سيما بعد

رجحان انتخابه من الجمهور وقد كانت اذ ذاك المشاحنة بين فرانسا وبروسية فى ازدياد كما تقدمت الاشارة اليه فى اخبار ايطاليا فغيرة من فرانسا على ما نالته بروسية من الشهرة والانتصار على النمسا مع وعد بروسيا لامبراطور فرانسا بانها اذا تم قصدها فانها تساعدها على تعديل حدودها جهة نهر الرين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر فى لكزنبورغ وادخالها عضوا فى العصبة الجرمانية مع انها تحت تملك ملك هلانده ولما حصلت بروسية قصدها ماطلت تلك الوعود السرية التلويحية فهاجت لذلك فرانسا وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها النمسا عليها انتقاما مما حصل لها فى سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م وبينما الامر على ذلك واذا باهالى اسبانيا خلعوا ملكتهم وطلبوا ان يولى عليهم الامير دوهو هنزولرن احد قرابة ملك بروسيا فارعدت فرانسا لذلك وابرقت وتداخلت انكلاتيرة فى طلب ابقاء السلم لكن الامبراطور نابليون ابى الا الحرب والا فان الامير المطلوب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره فى برلين الى ملك بروسيا فى غير وقت وغير محل معتاد واغلظ عليه الكلام بان يتعهد هو بان لا يقبل الامير المذكور فى المستقبل الولاية فالان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهد وهاجت المانيا جميعا على ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانسا غلت بطلب اعلان الحرب ولم يخالف الا قليل من عقلائهم مثل تيرس فانتهزها نابليون فرصة لاشتغال فرانسا بالحرب عن الهيجان عليه اذ انه وان حصل على اكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب النفوذ كاره له ومنتقد عليه وكان وزير الحرب بفرانسا اعلن للمجلس بان العساكر مستعدة كلها وانها تجاوز المليون وان الحرب ولو دامت سنين فلا يحتاجون الى زرة لباس وابتدأت فرانسا باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العسكر بنفسه واناب زوجه فى الملك فاتحدت المانيا على الدفاع وبقيت الروسيا معاضدة لالمانيا بمعنى لاتفاقهما معها سرا فكانت بالمرصاد من النمسا لكى لا تعين بروسيا مع ما فى نفسها اى النمسا على فرانسا من اعانتها الايطاليا ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتداخل بشئ وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرا بيد عدوه اذ فى نفس الامر لم تكن فرانسا مستعدة وكانت الاموال المعينة لمصاريف الحرب تصرف فيما يراه الامبراطور حيث كانت الوزراء مسؤلون له لا لمجلس الامة فيتصرف بهم كيفما اراد وكان يظن انه بسرعة الهجوم يحصل على بهرجة الانتصار ويعجل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس

جواسيس من اعيانها فى جميع دواوين فرانسا وفى قصور رجالها على صورة خدمة وغيرهم مع كمال استعدادها وتمرن أهاليها على الحرب اذ هى دولة عسكرية من قديم وأهالى فرانسا غلب عليهم الميل الى التنعم فالتقى مركزا الجيشين فى سيدان من عمل فرانسا وجى الوطيس الى ان تيقن نابليون بالغلب وقوة قرنه عددا وعدة فكتب الى ملك بروسيا ما تعريبه يا أخى حيث انى لم يتيسر لى ان أموت فى مقدمة جيشى فها أنا أضع سيفى لدى قدميك اه ورفع من هنالك اسيرا وسبحان الدائم عزه وملكه وهربت زوج نابليون واستقرت مع زوجها بلندرة الى ان ماتت بها وأما العساكر التى معه فطلبت الاستسلام على وجه لا يحط بشرفها وحيث كانت المخاطبات الواقعة فى هذا الشأن واقعة بين الرؤساء بالسلك البرقى ولها أهمية رأينا اثباتها هنا نقلا عن كتاب ألف وطبع فى باريس وهى (من الجنرال) دوومبين الفرانساوى الى الجنرال ملتك رئيس عساكر جرمانيا اريد ان أعرف (ماهى) شروط التسليم التى يريد ملك بروسة ان يوجهها الينا (جواب) الجنرال ملتك شروطنا سهلة فان جميع جيشكم أسرى مع كل ما عندهم من الاسلحة والذخائر ولكن نترك للضباط سيوفهم علامة على اعتبارنا لهم وعلى بسالتهم ولكن يكونون أسرى أيضا كبقية الجيش (الجنرال) دوومبين هذه الشروط شديدة يا جنرال اذ الظاهر ان بسالة عساكر فرانسا تستوجب مراعاة أكثر من هذه أليس من الممكن لجيشى ان يتحصل على شروط على هذه الصورة الآتية وهى ان أسلم لكم سيدان بما فيها من المدافع (وأما) العسكر فتتركوه يخرج بما عنده من الاسلحة والاحمال والرايات بشرط ان لا يعود لمحاربة بروسية فى هذه الحرب والامبراطور يتعهد بنفسه بهذه الشروط بالمكاتبة وكذا أعيان ضباطه العسكرية ثم ينقل هذا الجيش الى احدى جهات فرانسا التى تعينها بروسية أو ان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بيننا الصلح (جواب) الجنرال دوملتك طلبكم هذا لا يقارن القبول (الجنرال) دوومبين انى وصلت الى هنا من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لى الى الآن شهرة عسكرية مرضية والآن فوض الى رئاسة جيش فى ميدان القتال فاصبحت مضطرا الى ان أقيد اسمى فى الاذعان لمصيبة مثل هذه حتى اضطررت أيضا الى تحمل جميع المسؤلية بدون ان أكون قد أحدثت هذه الوقائع الحربية التى هى سبب فى هذا التسليم وحيث انك جنرال مثلى يلزمك ان تشعر بحالى المحزنة ولكن يمكنك تخفيفها باشتراطك على شروطا أهون وأيسر والا فلا يمكننى قبول شروطكم وحينئذ ادعو جيشى الى شرفهم واخترق بهم

صفوفكم والا فابقى فى سيدان متوقعا (جواب) الجنرال ماتلك اعتبارى لكم عظيم وشرح حالكم فى محله ولكن أتأسف على انه لا يمكننى فعل شئ مما طلبتموه وأما خرق الصفوف وخروجكم من سيدان فمن المحال وكذلك تحفظكم فيها نعم ان عندكم عساكر عظيمة ولاسيما المشاة فانهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيتكم وقد أوقعوا بنا ضررا كبيرا غير ان جل عساكركم قد فسدت اطوارهم وعندنا اليوم من اسراهم ازيد من ٣٠ر٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندكم الآن أزيد من ٨٠ر٠٠٠ نفر فلا يمكنكم اذا خرق صفوف جيشى فيلزم ان تعلم ان من جيشى حولكم ٢٤٠ر٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار على سيدان والباقى اعنى ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد فى فجر الغد فان شئت تحقيق ذلك فارسل أحدا من ضباطكم الى والارسله الى المواقع المذكورة حتى يشاهد بنفسه ما قلته لكم أما تحفظكم داخل سيدان فمن المستحيل لان المؤنة التى عندكم لا تكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندكم شئ من الذخائر (جواب) الجنرال الفرانساوى الظاهر ان من مصلحتكم حتى من المصلحة السياسية أيضا ان شروط التسليم لا تكون مخلة بشرفنا الان جيشى يستوجب ذلك ومرادكم عقد الصلح وما أظن الا انكم تريدون عقده بسرعة وأمة فرانسا كريمة أكثر من غيرها ومستعدة للفداء وعلى هذا فهى تقدر مكارمكم التى تخصونها بها وتراعى الجميل فان امكنكم ان تشرطوا علينا شروطا من شأنها مداراة خاطر الجيش فان الامة تحسبه أيضا تملقا لها فيخفف عنها مرارة الانهزام وبت شروط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (أما) اذا عاملتمونا بالقساوة فلا شك انكم تثيرون الكراهة لكم والبغض فى قلب كل عسكرى وعزة نفس جميع الامة تعود وقد استاءت وبذلك توقظون الاحساس الذميم الذى انامه التمدن وتخاطرون بايقاد حرب لا نهاية لها بين فرانسا وبروسية فاجابه البرنس بسمارك قائلا برهانك يظهر بادى بدء انه على الجد وهو فى الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغى ان يعتقد اعتقادا راسخا بممنونية الانفراد فكذلك لا ينبغى ان نتوقع ممنونية أمة كاملة أو نركن الى ممنونية ملك ومراعاة الجميل معه وان شئت فقل مع أهله أيضا نعم انه فى بعض الاحيان يمكن الركون الى عهد ملك ولكن اكرر لكم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجميل من أمة ولو كانت أمة فرانسا مثل بقية الامم ولو كان عندها تنظيمات ومبادى راسخة ولو كانت مثل أمتى تحترم احكامها وتنظيماتها ولو كان عندها املاك جالس على سرير الملك على أصول راسخة

ثابتة

ثابتة لكنا نعتقد بمنونية الامبراطور وابنه أما فرانسا فقد مضى ثمانون سنة وحكومتها قد تغيرت نوعا وخمسا بصورة غير ثابتة فصار من الممكن ان يعتمد عليها فبناء آمالنا على مودة مثل فرانساوى يكون من قبيل بناء فى الهواء فاذا صدقنا ان فرانسا تسامحنا عن ظفرنا بها مع كونكم أمة سريعة الهياج ومجبولة على الحسد والكبر الى النهاية فذلك جنون فانها اعلنت بحرب بروسية منذ مائتى سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنتم الحرب معنا حسدا كعادتكم اذ لم يمكنكم ان تسامحونا عن ظفرنا فى واقعة سدوه فهل يمكنكم ان تسامحونا اليوم فى ظفرنا فى سيدان كلا ثم كلا فان عقدنا معكم الصلح الآن فبعد بضع سنين تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهى المكافات على الجميل التى ترقبناها (أما) نحن فاخلاقنا مخالفة لاخلاقكم فانا أمة صادقة ساكنة لا نحرص على الفتوحات وانما نحرص على ان نعيش بالسلم وقد كفى اليوم فيلزم ان تتأدب فرانسا على تجبرها ويلزمنا ان نطمئن على سلامة اولادنا ولذا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانسا حدود منيعة فلابد لنا من ارض وحصون وحدود لنكون دائما آمنين من هجومها (جواب) الجنرال الفرنساوى قد غلطت يا أيها الذات الموقر فى حكمك على أمة فرانسا فانك انما تتصور فرانسا فى سنة ١٨١٠ وتتصور حالها من ابيات بعض الشعرا ومن كلام بعض الجرنالات وهى اليوم على غير حال فان بهمة الامبراطور صارت افكار أهلها مشغولة بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسعى فى تكثير مكاسبه وينظر الى منافعه وكلهم يحبون الاخاء انظر الى انكلترة مثلا فاين اليوم تلك الكراهة التى طالما أبعدتنا عنها أليس ان الانكليز اليوم اعز أحبابنا وكذلك يكون أهل المانيا اذا أظهرتم المكارم معنا (البرنس) بسمارك قف هنا ياجنرال ان فرانسا لم تتغير فانها هى التى اكرهتنا على الحرب ولاجل خداع الامة حرصا على نفع آل الامبراطور نابليون الثالث أعلن بحربنا نعم انا ندرى ان كثيرا من أهل فرانسا وهم العقلاء لم يريدوا الحرب ولكن تلقوا فكر الامبراطور بالقبول والباقى هم الذين تحمسوا للحرب حتى اصحاب الجرنالات أيضا فهؤلاء القوم يلزم تأديبهم ولذلك يلزمنا ان نسير الى باريس ومن ذا الذى يدرى ماذا يقع بعده اذ من المحتمل انه ينشأ عندكم دولة من الذين لا يعفون عن شئ بل يحدثون أحكاما على حسب هواهم ولا يعترفون شروط تسليم جيشكم فربما الزموا الضباط نقض عهودهم نعم انا نروم الصلح ولكن الصلح الذى يكون على أساس الثبات والدوام وشروطه صارت معلومة لكم فيلزمنا ان نجعل فرانسا

بصورة بحيث لا يعود ممكنا لها ان تقاومنا فيما بعد وقد قدر الله ان تكون زهرة عساكركم أسرى عندنا فن الهوس ان نعيدهم اليكم ليعودوا الى محاربتنا وشأن ذلك دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه أيها الجنرال مهما يكن من المصالح المختصة بذاتك ومهما يكن من أفكارك عن جيشكم فلا يمكنني الاجابة الى مطلوبك أو تغيير شئ من الشروط التى أبلغتك اياها (الجنرال) الفرانساوى فلا يمكنني اذا ان أوقع شروط التسليم على هذا المنوال بل يلزمنا ادامة القتال (جواب) الجنرال كستلان من أعيان الامراء الفرانساوية الى البرنس المشار اليه عندى ان الوقت قد حان لابلاغ ما ذكرتم الى الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك انا سامعون لكم (الجنرال) كستلان قد كلفنى جناب الامبراطور ان أبلغ مسامع جناب ملك بروسية انه كان بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم نفسه له بلا شرط وانما فعل هكذا أملا فى ان الملك يشعر بما يوجبه هذا التسليم فيقع لديه وقع الاعتبار فيتساهل مع جيش فرانسا بتسليم أشرف لهم كما تستحقه بسالتهم (البرنس) بسمارك أهذا كلامكم كله (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ماهو السيف الذى سلمه الامبراطور هل هو سيف فرانسا أو سيفه الخاص به فاذا كان سيف فرانسا أمكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير ذا بال (الجنرال) كستلان السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) ملتك فعلى هذا لا يمكن تبديل شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دوومبسين اذا نستأنف الحرب (الجنرال) ملتك المهلة تنقضى فى فجر الغد وفى الساعة الرابعة أشرع فى اطلاق النار اليكم (البرنس) بسمارك نعم أيها الجنرال ان عندكم عساكر شجعانا فلا أشك انهم يظهرون غدا بسالة غريبة ويرزؤن منا ويوقعون بنا الضرر ولكن ما الفائدة من ذلك لانك فى مساء الغد لا تجد نفسك متقدما أكثر مما تقدمت اليوم ويبقى فى أعناقكم دم عساكركم بل عساكرنا أيضا الذين يسفكون دماءهم لغير فائدة فقد أخبركم الجنرال ملتك ان مقاومتكم انما هوس (الجنرال) ملتك انى أؤكد لك مرة أخرى ان خرق صفوف عساكرنا لا يمكن ولو كان عسكركم على أحسن أهبة لانه فضلا عن كون عسكرنا أكثر عددا من عسكركم فانى مستولى على مواقع تمكننى من احراق سيدان فى بعض ساعات وهذه المواقع متسلطة على جميع الجهات التى يمكنكم المرور منها وهى منيعة فلا يمكنكم حوزها (الجنرال) الفرانساوى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) ملتك أنت لا تدرى المواقع حول سيدان وانى أفيدك فائدة تبلغ من أمتكم المتكبرة وهى انكم عند

افتتاح

افتتاح الحرب بيننا وزعتم على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها فى المانيا فلم يمكن لكم حينئذ ان تطلعوا على مواقع بلادكم اذ لم يكن عندكم خرائط لها فأقول لكم الآن ان هذه المواقع فضلا عن كونها منيعة فالاستيلاء عليها اضرب من المحال (الجنرال) الفرانساوى انى اغتنم الفرصة لارسال أحد من ضباطى كما عرضتم على فى مبادى الامر حتى يرى مواقعكم المنيعة وعند رجوعه أجاوبكم (الجنرال) ملتك لا ترسل أحدا فان ذلك عبث اذ ليس لكم وقت طويل حتى تتداركوا ما يلزم فعله فالوقت الآن نصف الليل وبعد أربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى أن أمهلكم بعدها ولو دقيقة واحدة (الجنرال) الفرانساوى ولكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكننى بت الرأى على شئ وحدى فيلزم ان أشاور سائر رفقائى الضباط ولست أدرى أين أجدهم فى سيدان فى هذه الساعة فلا يمكننى أن أعطيكم جوابا فى الساعة الرابعة فمن الضرورة والحالة هذه اطالة المهلة فعند ذلك أسر البرنس بسمارك الى الجنرال ملتك فى اذنه وأشار اليه بتطويل المهلة الى الساعة التاسعة أعنى قبل الظهر بثلاث ساعات فلما حانت سلم الجنرال الفرانساوى جميع عساكر فرانسا الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال ملتك . وبذلك يتبين حالة قوة فرانسا اذ ذاك واستعدادها فلذلك انقلب رأى الامة الفرانساويه وحملوا الذنب على نابليون وخلعوه وأعادوا الدولة الجمهورية ثالثا وعاندوا المانيا الى ان حاصرت باريس وأخذت مئات آلاف من عساكر فرانسا أسرى منهم مائة وخمسون ألفا أو يزيدون سلموا من غير دفاع فى قلعة متس تحت رياسة المارشال بازين ثم عقدوا ✻ الصلح على نحو ما طلبت المانيا بأخذها ولاية الالجاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة خمسة آلاف مليون فرنك مقسطة على خمس سنين وتتوج ملك بروسيا امبراطورا على المانيا فى قصر فرساى وحضر له ملوك المانيا ودخلت عساكرهم الى باريس على وجه الانتصار بلا حرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الاروباوية وصارت المانيا هى معدلة الميزان لكن فرانسا استولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير تيرس ولم شعثها بعد حصول حرب أهلية هائلة من جمعية تعرف بالكومون أى الاشتراكيين الذين يريدون ان تكون الناس كلهم شركاء فى جميع ما يمكن ان ينسب الى انسان وأضروا بباريس أكثر من اضرار المانيا بها وقد أظهرت فرانسا من الغنى ما لم يكن فى الحسبان ودفعت الغرامة تماما قبل ابانها بأزيد من سنتين ولم يؤثر ذلك فى ماليتها أدنى خلل فان المقدر من ✻ خسائرها وغرامتها فى ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها عند ادارتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقية الغرامة هرعت لها أرباب المال من كل فج حتى من المانيا واحضروا لها ما ينيف عن الخمس ألف مليون وأقبلت على اصلاح داخليتها وعساكرها بما أرجعها الاعتبارها وأوحش غالبها منهم خيفة وقد أحدث الفرانساويون في حديقة الشانزي لزي محلا حيطانه مرايا مكبرة بحيث يحسبه الداخل بلا حيطان ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم وقت الحرب تذكارا منهم لاحياء أخذ الثار وقد رأيت ذلك المكان وله منظر هائل واستقرت الحكومة الى الآن جمهورية

مطلب

﴿في السياسة الداخلية في فرانسا﴾

قد تقررت الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون الاول ينايرالا أن يكون جمعهما قبلا لرئيس الجمهورية فالمجلسان ينبغي أن يعقد جلساتهما أقله في مدة خمسة أشهر كل سنة وجلستا كليهما تجتمعان وتنتهيان معا وتقام الادعية الجمهورية لله سبحانه في الكنائس والمعابد لالتماس المعونة منه تعالى في اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يختتم الجلسة وله حق أن يستدعي المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي أن يستدعيها اذا ماصار الطلب في اثناء الجلسة من أكثرية الاعضاء المؤلفة لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية له أن يؤجل اجتماع المجالس انما لايمكن أن يطول هذا التأجيل أكثر من شهر ولا يحدث أكثر من دفعتين في جلسة واحدة بعينها (البند الثالث) وقبل ماينتهي الاجل القانوني لسلطان رئيس الجمهورية أقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس الامة ليباشر وانتخاب الرئيس الجديد واذا لم يصر استدعاء المجالس للاجتماع فعلى المجالس ان تجتمع من تلقاء ذاتها قبل نهاية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا ماتوفي رئيس الجمهورية أو تنازل عن وظيفته يجتمع المجلسان حالا بسلطانهما الخاص واذا ماوقف مجلس النواب حين مايفرغ مسند الرئاسة الجمهورية تبعا للبند الخامس من قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ ﻫ ١٨٧٥ م تستدعي المجامع الانتخابية حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بطلاق سلطانها (البند الرابع) ان كلا من

مجلس

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع فى غير الوقت المعين للجلسة العمومية يكون باطلا ولغوا مطلقا ماعدا الحادث المنبه عليه فى البند السابق وماعدا ما اذا اجتمعت الاعيان للقضاء فى الدعاوى والعدلية وفى هذا الحادث لا يحق لها الا مباشرة الوظائف القضائية (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون مشتهرة على ان كل مجلس له أن يقيم جمعية سرية فى طلب عدد معلوم من أعضائه معين بالقوانين ثم تقضى بموجب رأى الاكثرية المطلقة اذا ما اقتضى اعادة الجلسة جهارا على نفس المشروع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخابر مع المجالس بواسطة رسائل يقرؤها أحد الوزراء ويحق للوزراء الدخول فى المجلسين والتكلم فيما اذا ما طلبوا الاصغاء لاقوالهم ولهم ان يستعينوا بمعتمدين معلومين للبحث فى انشاء قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية يبث السنة فى الشهر الذى يلى تسليم السنة المقررة نهائيا للحكومة وعليه أن يبث فى ثلاثة أيام السنن التى حكم كلا المجلسين بوجوب السرعة فى بثها على ان رئيس الجمهورية له فى المهلة المعينة لاذاعة السنن أن يطلب بواسطة رسالية محققة ولا يرفض طلبه اعادة المخابرة فى تقرير القانون والسنة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية أن يخابر فى المعاهدات ويقررها ويبلغها المجالس حالما تسمح له بذلك مصالح الدولة وأمنيتها اما المعاهدات المتعلقة بالصلح والتجارة والمعاهدات المرتبطة بمالية الدولة والمنوطة بحالة الاشخاص وبحق الملكية التبعية الدولة الفرنساوية فى الخارج فلا تجزم جزما نهائيا الا بتقرر المجلسين ولا يعطى ولا يبدل شئ من الاراضى الفرانساوية ولا يضاف اليها شئ الا بتقرير قانونى من المجالس (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية أن يشهر الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) ان كلا من المجلسين قاض فى انتخابية أعضائه وفى أحكام قانونية انتخابه وله وحده أن يقبل استعفاء من يستعفى من وظيفته (البند الحادى عشر) ان رؤساء كل من المجلسين ينتخبون كل عام لمدة الجلسة بتمامها ولكل جلسة فوق العادة تصير قبل الجلسة المألوفة فى السنة التالية ومتى اجتمع كلا المجلسين بجلسة مجلس الامة تتألف رؤساؤه من الرئيس ونائب الرئيس وكتبة أسرار الاعيان (البند الثانى عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحكم عليه الا الاعيان وتقبل الشكوى على الوزراء من مجلس النواب بجناية ارتكبوها أى مباشرة وظيفتهم فحينئذ تقام محاكمتهم فى الاعيان ولرئيس الجمهورية ان يقيم على الاعيان مجلس محاكمة بحكم يصدره فى مجلس الوزراء لمحاكمة كل من تقدم عليه شكوى بذنب

مخل بأمنية الدولة واذا ماشرع بالاستعلام فى محكمة العدلية المألوفة فيمكن أن يصدر الحكم باستدعاء الاعيان للاجتماع الى حين استئناف الدعوى اليها ويقام قانونا يعين كيفية سماع الدعوى والاستنطاق والحكم (البند الثالث عشر) لا تقام دعوى على أحد الاعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى فى شأن رأيه واقتراعه حال كونه فى مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تقام دعوى على عضو من كلا المجلسين بمادة جنائية أو تأديبية ولا يلقى القبض عليه فى مدة الجلسة الا باذن المجلس الذى هو عضو منه ما لم يؤخذ فى حال فعله ويتوقف ضبط أحد الاعضاء من كلا المجلسين ومحاكمته فى الجلسة وفى كامل مدتها بطلب المجلس اهـ فهذا القانون يبين لك أصول الادارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت له مدة الرياسة خمس سنين وهو الآن البرت اوريفى وأما بقية تفصيل الادارة فهى على نحو ما تقدم فى الكلام على سياسة ايطاليا من انفراد الادارة العامة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء وكون الوزراء مسؤلين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية حقيقة لا يصدر عنها الا ما يوافق عليه غالب الامة بواسطة وكلائهم يجرى ذلك فى حقير الاشياء وعظيمها والوزراء ينتخبون ممن تثق بهم اغلبية المجالس لكى يأمن المجالس بتصرفاتهم لان للمباشرة فى الاجراء دخل عظيم فى نجاح الافكار ولان بعض الامور تفوت بفوات وقتها فهب ان الوزير يسؤل ويجرى عليه العقاب باخلاله لكن منفعة الامة عموما تفوت بفوات الفرصة ولذلك كان انتخاب الوزراء ممن تعتمد المجالس عليهم زيادة على شروط الاهلية الذاتية وهكذا بقية الادارات على نحو ما مر فى ايطاليا غير ان فرانسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهى تعدهم مثل ولايات فرانسا واوطانها فى كيفية الادارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات كما تفعل الدول التى لها مثل ذلك فهى من هاته الجهة تعد مستعمراتها اجزاء منها لكنها تحرمهم مما تحوزه اهل فرانسا من الحقوق والمنح كالحرية وحق ادخال اعضاء فى مجلس النواب واعضاء فى مجلس الاعيان الى غير ذلك من الامتيازات المحصل عليها أهل فرانسا فلذلك كانت مستعمراتها أسوء حالا من غيرها لفقدانهم حريتهم الاصلية وعوائدهم واستقلالهم مع حرمانهم مما للمتسلطين عليهم من الخصائص (وأما) ادارة الاحكام فهى أيضا على نوع ما تقدم فى ايطاليا ومن أهم ما يذكر فيها وجود حكام الجورى وهم أعداد من مطلق الناس تنتخبهم العامة لمدة من الزمان لاجل مشاركة

مجلس

مجالس الجنايات الشخصية فى النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرهم ثم يسألهم رئيس المجلس عما يرون فى النازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أى نوع جريمته فيتفاوضون وما يستقر عليه رأيهم يعملون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حالا ان رأى الجورى براءته أو يعين العقوبة من القانون ان رأى ذنبه والسبب فى ايجاد الجورى هو زيادة الاحتراس فى الحكام عن ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان وظيفة الحكام وان كانت عمرية وهم منتخبون بشروط العفة والاهلية وو راءهم احتساب مجلس الاعيان ومجلس الامة ومن ثبت ارتشاؤه يعاقب أشد العقاب ولا تهمل العقوبة بعفو أوشفاعة لكن ربما أغرتهم مع ذلك الدواعى بالترقى الى الرتب العالية التى هى بيد الامراء والوزراء وبتعذر الاحتساب بما يرتب من الحيل فدفع هذا بمشاركة الجورى الذين هم ليسوا بموظفين ولا خوف ولا طمع لهم لكن فى ذلك مفسدة أيضا اذ هؤلاء الجورى كثيرا ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا بمواقعها ولا بالتحرى فيها فيخبطون خبط عشواء ويضيع الحق بسببهم اذ لا تعقب لما يرونه وبه يعلم مدرك الشرع الاسلامى فى أناطة الحكم بالعلماء أهل العدالة وما أدراك ما العدالة ومشاورة الحاكم للعلماء وكون حكمه جهريا ثم وراءه احتساب اهل الحل والعقد الداخل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن المفاسد الموجودة أيضا عندهم فى انتخاب أعضاء مجلس النواب أوغيرهم ممن تنتخبه الاهالى ان افرادا ممن يعدون أنفسهم للانتخاب يعقدون مواكب ويدعون اليها الاهالى فى أماكن فسيحة ويلقون عليهم خطبا يبينون فيها أفكارهم ومقاصدهم فى سياسة المملكة وجدارتهم للقيام بالمناضلة عنها ويغرونهم بالسامعين لان يكونوا من حزبهم حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون الرشا لمن له صوت فى الانتخاب لكى يحصلوا بذلك أكثرية المنتخبين فكثيرا ما ينجح سعيهم ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد أن تقع غوغاء وتشاتم وسباب بين أحزاب المنتخبين فيدخل بسبب ذلك فى الوظيفة من لا ترتضيه الاهالى حقيقة أومن ليس جديرا بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا جعلوا لها علاجا وهو انه بعد التمام المجلس المنتخب ينظر فى المنتخبين هل هم مستكملو الشروط أم لا ومن كان غير مستكمل يفصل عن المجلس ويعاد انتخاب غيره لكن ذلك لا يفيد فى أغلب الاحوال لان الذى انتخب بحيلته ورشائه قد يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يجد المجلس

سبيلا للقدح فيه لكنه غير مستكمل الشرط الاساسي وهو ارتضاء الامة حقيقة بسلكه السياسي فلذلك كان ينبغي أن يعتبر ان طالب الولاية والامانة يحرم منها فشرعنا الشريف ولله الحمد مزيح عنا مثل تلك المفسدة وطالب الولاية وان كان عدلا متوفرة فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها بحرصه عليها هذا وقد تضمن كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك تفصيل ادارة هاته الممالك بما يعز وجوده في غيره وينبئ عن باع صاحب التأليف وبصارته في السياسة فمن أراد تحقق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

مطلب

﴿في السياسة الخارجية في فرانسا﴾

(اعلم) ان فرانسا لما كانت من أعظم الدول الاوروباوية وفي طبيعة أهلها حب الفخر والوجاهة أكثر من غيرهم كانت تحب التداخل في أمر غيرها أشد من سواها ممن يقاربها وكما في ما ذكرناه في أحوال نابليون الاول والثالث وأسباب حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م شاهد على ما ذكر ولذلك كانت فرانسا لها ما لا يطاليا مما ذكرناه في سياستها الخارجية وتزيد بتطلب النفوذ في جميع الجهات اذ جعلت فيها مستعمرات كثيرة فكل مملكة جاورتها ولو في مستعمراتها تتطلب النفوذ لديها ولو بالاعتبار فيما اذا كان الجار ذا شوكة وشأن (أما) اذا كان ضعيفا في القوة والادارة فانها لا تفلته مهما سنحت لها الفرصة شأن طبيعة الدول القوية ودونك ما وقع في تونس هاته السنة وهي سنة ١٢٩١ هـ مما يوضح هذا المقصد وهو الذيل الذي نبهنا عليه في الباب الثاني عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

﴿في تسلط فرانسا على تونس﴾

قد مر في المطلب الثامن من أحوال الادارة الداخلية في تونس حالة وزارة وزيرها مصطفى ابن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في نازلة صانسي الفرانساوي التي كانت سببا في خوف هذا الوزير من القنصل ورام أن تبدله دولته وتقدم أيضا ما هي مقاصد فرانسا في تونس وانها تروم نيل الدرجة العليا فيها ولما رأت سيرة الوزير المذكور لم تأمن وقوع ارتباكات مغايرة لما كانت راضية بالبقاء عليه وخشيت ضياع الفرصة من

سهولة

سهولة التوصل على يد ذلك الوزير الى ما لم يمكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض والعقل فلذلك بينما كانت مساعى الوزير جارية فى ابدال القنسل واذا بالسعاية اليه قد غيرت مشربه حتى طمع فى ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد سيده الوالى الحالى الصادق باشا اذا أتم ادخال تونس طوعا تحت فرانسا فراكن حينئذ قنسلها واحكم معه المودة وصارت بطانة الوزير تأتى اليه معلمة بجميع اسرار الحكومة وسائر تصرفاتها واضمر ابن اسمعيل الشر لمن كان أوعز اليه بان يتشكى من القنسل الى دولته ثم تفطن بذلك التواطؤ السرى ونصحه بانه لا ينتج له شيأ وعلى فرض الوفاء له بالوعد فانه لا يلبث ان يناله ما نال الوزير العلقمى فى انقراض دولة بنى العباس من بغداد واتفق ذلك الوزير مع القنسل على شروط ادخال تونس تحت فرانسا غير ان الوالى لم يساعف على لائحة تلك الشروط التى قدمت اليه سرا بواسطة الوزير وخشى من الدول ومن الاهالى فى البغى منه على الدولة العثمانية وفى تغيير حالة السياسة وجعل الوالى يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعى فى احداث وجه لتداخل فرانسا وانفاذ أمرها فاكثر من الرسل السرية الى الاستانة متطلبا ان يدعى هو الى الباب رسميا أو يرسل بعض الاسطول العثمانى الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشيع الى الدولة العثمانية حتى لا يتفطن الى مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطلبه اذ لم يكن له من داع كما انه لم تقدر فى الدولة العثمانية الايقاظات الى دسائسه وعزمه حتى تسعى فى سعة لدفع الغوائل المتوقعة اذ من المعلوم ان الدغل السياسى هو كالمرض المزمن الذى لا ينجع فيه العلاج الا تدريجا عند أول حدوثه سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استمالة غيرها من الدول القوية الى معاضدتها على قرنها القوى ومع ذلك أيضا قد عكر الوزير ابن اسمعيل حالة الخلطة مع ايطاليا لعلها تعلن على تونس الحرب ومنح للفرانساويين منحا لم يطلبوها مما يزيد فى نفوذهم والشحناء معهم كما تقدم ذكره فى المطلب الثامن من أحوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعى التى كان يمكن لفرانسا الاستناد عليها فى وضع حمايتها على تونس أحدثوا اقاويل فى اهمال حقوق الفرانساويين بتونس وأظهر الوزير المذكور الاستخفاف بقنسل فرانسا ومال عنه كل الميل ظاهرا ورام ان يظهر التعطيل فى اجراء المنح التى أنالها الى الفرانسيس باوجه من الاعتذارات حتى اغريت رعايا فرانسا بتونس على ان تكتب تقريرا بالتشكى من ضياع حقوقهم وطلب دولتهم للانتصاف لهم فلم يرع الامم الا ان فرانسا جلبت بخيلها ورجالها على حدود تونس معلنة

بان قصدها انماهو حفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها واستندت فى عملها لما تضمنته لائحة وزير خارجيتها الى سفرائه وهذا نص تعريبها باريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ أيها السيد اتشرف بأن نرسل لكم جملة رسائل فى شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود اجمالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الآن وعن النتيجة التى نرجو اتمامها فكم من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدواعيها ومقاصدها وانتم تتذكرون ذلك خصوصا ما صرح به السيد رئيس الوزراء فى المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من جده وصدقه ومع هذا فانى اريد زيادة ايضاح لكم لتنفعكم لدى الدولة التى انتم عندها فنقول ان سياسة فرانسا فى تونس ليس لها الا مقصد واحد وهذا المقصد الذى يكفى لوضوح موضوع سيرتنا منذ خمسين سنة نحو المملكة هو الواجب علينا لحفظ راحة مستعمراتنا العظمى الجزائرية فمن سنة ١٨٣٠ لم تأت دولة من الدول المتتابعة وتركت هذه المهمة العظيمة وانا لنعمل الواجب علينا لحفظ مستعمراتنا الافريقية التى لا يوجد أحد من أوروبا انكر علينا ذلك فيها لحفظها من جار عدو كثير الاراجيف وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع قبائل وشتاتة والفراشيش وخمير ولا تعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم فلذلك التزمنا الآن ان نرسل من العساكر عشرين ألفا وهذا مما يدل على قوتهم أى الاعداء المتحصنين فى بلاد منيعة تقريبا وكان الداعى الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل حدودنا الشرقية ولكن لا فائدة فى تقرير الامن والراحة واعداؤنا لا زالوا يهددوننا ونحن لا نخاف من الهجوم الكبير المنسوب لباى تونس اذا كان منه وحده لكن النظر القليل فى العواقب الزمنا التحرى من اتحاد الباى مع غيره وهذه التشويشات يمكن ان يأتى لها وقت وتقلقنا كثيرا فى الجزائر وتصل حتى الى فرانسا فيلزمنا بناء على ما ذكر ان يكون لنا عند الباى محبة كبيرة واتفاق قلبى ويلزمنا جار يعوضنا المحبة التى لنا عليه ولا يسمع التشويشات الخارجية لضررنا واستحقار قوتنا الراسخة وقد وضحنا من نحو أربعين سنة بانه يلزمنا لحافظة فرانسا الجزائرية ان نحصل فى المملكة على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الاجانب وهم يقدرون ان يتوسعوا بثبات مع فوائدنا والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهتهم لا تتغير والى هاته المدة الاخيرة اتحادنا مع دولة الباى المفخم مستمر الا ما يحدث احيانا من الاختلاف فى دفع تعويضات لقبائلنا المضرورين ثم فى الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتا بعد هاته الاختلافات

الصغيرة

الصغيرة الاهانة المدة الاخيرة فانه باسباب يصعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة التونسية الينا دفعة واحدة وكانت اذ ذاك الحرب ساكنة ثم لازالت تزداد الى ان وضحت وتقوت ومبناها ضد كل الامتيازات التى حصلت للفرانساويين فى تونس مع شدة الارادة الرديئة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثانى لارسال العساكر الذى كنا نود التجنب منه ولكن بسبب السيرة الرديئة التى طالما صبرنا عليها التزمنا بما هو واقع ولواننا بهاضنا الباى فى المطالب الحقانية لاننا نعرف بتونس كمملكة مستقلة وأما الحالة فى الخلطة الا ن مع الباب العالى فهى مخالطة محبة وميل طبيعى وبودنا ان لو كنا رأينا ازلة تونس فى منظر آخر غير التى هى عليه الا ن ولكن قد بان ما يجب علينا مما ذكرناه سابقا وانناقدران نستفهم من الباب اذا كان باى تونس هو وال من قبلهم فلماذا لم يمنعوا سيرته التى فعلها نحو فرانسا منذ عامين ولماذا لم يفتشوا الجمع الكثير الموجود الا ن الذى نحن منذ زمن طويل كنا نسعى فى عدم ايقاعه ويلزم لهذا الكثير الذى نحن مجتهدون فى حصره ان ينتهى بشروط تؤمن حدودنا من الهرج المستمر والتشويش المغرى لمـا ردوا مامن غيره أو من نفسه فهذان هما المقصدان لارسال العساكر ولا نخفى عندما نقول ان لنا فى أوروبا الرضاء العام فى جميع الجهات عدا الجهات التى بها النظر الفارغ المطمس للعقول وهذه هى أبها السيد التى خيمت حول الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين فنحن مشغولون بالمحبة وجميع مانرجو من الباى هو ان لا يكون عدو النا ولو ان المملكة تنظر لفوائدها فنقدر ان تحصل من اتحادها معنا فوائد لا تحصى أكثرمما تحصله نحن منها ونقدر ان نأتى لها بكل خير من العمران الحاصل عندنا ففى سنة ١٨٤٧ فعلنا فيها البريد وفى ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١ فعلنا التلغراف وفى سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلنا الشمندفير الذى طوله ٥٠ فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفى هذا الزمان نفعل لها شمندفيرين جديدين أحدهما يربط تونس بابن زرت من جهة الشمال وطوله ٢٠ فرسخا والا خر يربط تونس بسوسة من جهة الجنوب وسنبتدئ عن قريب فى ابتداء عمل مرسى فى تونس نفسها لتدخل المراكب من الشط ومن حلق الوادى حتى الى ذات القاعدة ودين تونس وان كان رأس ماله مشتركا بين فرانساوى وانكليزى وطليانى لكنه اذا اعتبرت النسبة فيوجد ثلاثة اخماسه لفرانسا وان الحنايا الجميلة لادربان التى تأتى بالمياه العذبة لتونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرانساويين ولما ترجع الخلطة الطيبة فاننا لانزال

نفعل اشياء حسنة ومنارات على الشطوط وطرقا داخلية توصل بين البلدان العامرة الناجحة ونسقى الارض بالترع الكبيرة فى البلاد التى بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الانهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقاطع الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة فى الاراضى الحسنة التى للاجانب فى المملكة والتى للاهالى أيضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التى اكتشفها الرومانيون واستعملوها وبالجملة ان مملكة تونس خصبة وغنا قرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرانساوية يمكن ان تزال جميع الحجب عن المنافع الطبيعية فى هاته البلاد وتنتشر بقوة وبشدة الترتيب الجديد نقدر ان نزيد اشياء أخر وهى انه اذا كان الباى يعتمد علينا فى الترتيب الداخلى فى المملكة فانا نفعل تعديلا لازما قارا وهذا الخير الذى يسهل علينا عمله منه ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب الخروج وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستعمله نحن فى ماليتنا ومنه أيضا خير عظيم وهو ترتيب العدلية على الاصول التى فعلتها الدول فى ترتيب العدلية فى مصر وفائدة هاته التراتيب لا ترجع لفرانسا وحدها بل ان المملكة يرجع لها النفع وكذلك لجميع الدول المتمدنة التى نحن منها ومن غير فتح ولا حرب فلا شئ يمنعنا من عملنا فى تونس مثل الذى فعلناه فى جزائرنا والذى فعلته انكلاتيرة فى الهند اذا نحن جعلنا باى تونس متكفلا بمطالبنا الحقانية فهو دليل على ما نحسبه دائما من ان تونس مملكة مستقلة من غير ان نراعى بعض آثار للتبعية بالاسم فقط لبعض اسياد قد تركوها منذ مدة قرون وقد تظهر تلك التبعية نادرا ولو تحسب المدة التى هى فيها مستقلة لكانت أكثر من مدة التبعية ففى سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور ببار بوروس خير الدين أربع أو خمس مرات بانتصاره على الاسبانيول وفى العام الذى بعده أخذها شارل كين وكذلك فى سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داى الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم أخذها دون جوان الغساوى سنة ١٥٧٣ ثم فى طول القرن السابع عشر كانت تحت ظلم الانكشارية من غير حكم ورأساؤهم الموسومون بالدايات كانوا اذ ذاك أربعين فقسموها تقريبا كالمماليك الذين قسموا مصر ثم فى سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن على الذى اصله كريكى أو كرسكى صار مسلما وكان هو أحذقهم فعرف كيف يشدهم وقتل جميعهم واشتهر بالباى وبعصبيات العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية والآن ٢٠٠ سنة تقريبا وهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم

وبين

وبين الباب العالى هى رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة لانهم ليسوا تحت السلطان ومما يوضح هذا انهم لا يدفعون له اداء الا انه عند ولاية كل باى يرسل هدية غنية تعظيما لرئيس الديانة القاطن بالقسطنطينية وفى باقى مدة الولاية فلا مسئلة سياسية يمكن ان تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لامير المؤمنين حق آخر على باى تونس والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات ويكون لها قوة وذلك برضاء الباى فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرانسا فى سنة ١٧٤٢ وكذلك فى العام الثالث والعام العاشر وفى سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة المهمة فى ٨ اغستوس سنة ١٨٣٠ التى تمنع ملك العبيد والتلصص فى البحر ولا يلزم التكلم على المعاهدات الباقية كالتى فى حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية الا حكما وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه فى القرن الثامن عشر لم يقبل تشكى دول اروبا من التلصص البحرى والسبى البربرى وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التى فعلوها مخلة بتجارة البحر المتوسط وان دول أروبا عملوا الحروب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفى سنة ١٨١٩ كانت معاهدة اكس لاشبيل قد حكمت على تونس بمنع التلصص البحرى من غير ان تطلب من الباب التداخل على انه متسيد على تونس وفى سنة ١٨٣٣ فملكتا سردينيا ونابلى عملا الحرب مع تونس من غير علم مع الباب لانهم يرون مثل ما نرى ان تونس مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرانسا من وقت أخذها الجزائر على النحو السابق من غير واسطة تركيا ولما قدم الينا أحمد باى فى سنة ١٨٤٣ اقتبل بكل ما يلزم من التعظيم للملوك والباب العالى لم يتوجع اذ ذاك من عملنا التعظيم الملوكى المذكور وكذلك جميع أروبا لم تلم على ذلك لان رأيهما موافق لرأى اللورد آبردين الذى يقول فى تسجيله ضد أخذنا الجزائر المكتتب بتاريخ ٢٣ مارث سنة ١٨٣١ ان الدول الاروباوية من مدة طويلة يفعلون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانها لا تحسب نفسها الا حرة والدليل الواضح الحق الذى لا ينكره أحد هو عمل القوانين فى تونس المسماة بوبورلدى وحلف عليها الباى الموجود بتونس محمد الصادق لما جلس على الكرسى فى ٢٣ أيلول سنة ١٨٥٩ مثل ما حلف اسلافه فان قانونا واحدا منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملكة تونس قد احتوى على مائة وأربعة عشر مادة وانتشر بالعربى والفرانساوى فى تونس وفى بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

تقول السلطان ومما لا يقدران يشك أحد معه فى استقلال الباى ما نشر فى الصحيفة الرابعة من المقدمة فى ذلك القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف فى المملكة وفى ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة الحسينية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمة الوزراء وترتيب خدمتهم والمجلس الكبير بالمملكة والمداخيل والحساب ولا شك ان من يطلع عليها يقدران يجد ذلك البيان غريبا اذا اراد ان يقيس على رأينا الاوروباوى ومع هذا فهو دليل واضح على استقلال مملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع المعاهدات التى بين الدول الاوروباوية ومملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل ابدا الا مملكة تونس وملك تونس ومنها خمسة عشر او عشرون معاهدة امضيت بفرانسا فيها ذلك القول وفى سنة ١٨٦٨ المعاهدة التى وقعت مع ايطاليا مذكور فيها مملكة تونس وتونس أيضا لم تسم نفسها فى قانونها النظامى الا الاسم الذى أطلقته عليها جميع الدنيا وهى ارادت ان توضح المزية التى لها بالاستقلال والقدرة الموافقة له فبناء على ما سبق من الادلة القطعية والمتعددة فالباب العالى لا يقدران يتعجب من انكار فرانسا سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن ونحن نقر بان الباب شدد فى طلبه منذ خمسين سنة وفى سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته طرابلس بعد ما ضبط التحيير الهائل هناك وأراد ان يعمم سيادته على تونس الا ان قوة فرانسا المضادة له منعته من مقصده وبعد عشر سنين أى فى سنة ١٨٤٥ اتا مبعوث السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقلد الباى منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تجربة جديدة ولكن فى أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التخمينات القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هى التى طلبت التقليد ولكن هذا كان من الغريب اذ وقع من الامير الذى هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التى خوفت الباى من حالته امام الباب فارسل لذلك أمير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأتى بالفرمان وهاته المرة أيضا فرانسا عارضت فى ذلك وعوضا عن الفرمان السلطانى فالباى ومستشاريته التزموا بالرضاء بمكتوب وزيرى متضمن لما فى الفرمان ثم اغتنموا الفرصة وقت مصيبتنا فى سنة ١٨٧١ وتمموا ما كانوا ممنوعين منه سواء كان فى مدة الوى فليب

الذى

الذى كان غالبا اسطوله يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أوفى مدة الامبراطور الذى لم يقلل من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة ١٨٧١ الذى اتخذوه تحت ظل مصيبتنا اشتهر فى ١٧ تشرين ثانى فى باردو واعلن به خير الدين باسم السلطان وقبله الباى الذى كان طلبه له مع شئ من الغضب وفرانسا على كل حال سجلت بقوة وحسبت الفرمان باطلا أو كانه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيأ من عملها عندما يقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك فى اجراء حق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب استقلال مملكة تونس المتقادم وهذا الفرمان انتشر قليلا الا انه عند الغالب لا يعرف ماعدا بعض الدول الذين لهم فوائد نوا وفى ترتيب الفرمان المذكور ان تونس تكون جزء تحت الباب مع ان حكم باى تونس باق كما كان يعرف من منذ مائتى سنة غيران باى تونس صار واليا أى والياعاما على ايالة تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة فى الحقيقة لم تكن مستمرة فى العائلة الحسينية خلافا لما ذكره الفرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن أن يعرف الباى ضرر ضرر مملكته وحريته وحياته التى هى غلطة كبيرة حسبما أشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرانسا ولو مع ما عمل من الش‍ ‍‍ بها ومع هذا فهى ليست بضده لا لذريته ولا لذاته ولا لدولته وأما من جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت لائحة وزير فرانسا واذا تأملها المتبصر وتدبر معانيها يجدها مخالفة للواقع فى كثير من الامور سيما بعض الاحوال التاريخية كما يتبين من مقابلة كلامه بما ذكرناه فى تاريخ تونس وسياستها وصلتها مع الدولة مع المكاتيب الرسمية التى نقلناها حرفيا حتى من متوظفى فرانسا وكذلك ماتراه فى لوائح الباب العالى الآتى بيانها فان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود تظاهر والى تونس بان أرسل اذ ذاك الى الباب العالى مكاتيب فى التشكى من فعل فرانسا وأرسل الى نواب الدول تسجيلا على ذلك أيضا ولما تحقق الباب العالى الاحوال الرسمية أرسل عدة لوائح الى سفرائه مستنجدا بالدول لمحافظتهم على معاهدة باريس التى أشرنا اليها سابقا وعلى معاهدة برلين ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق اللائحة التى أرسلها وزير الخارجية بالدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريبها القسطنطينية ١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلاماتى المختلفة عرفت فطانتكم الوقائع التى صارت فى المسئلة التونسية وقد نسبت بهجوم بعض القبائل البدو بجهة الجزائر ولهذا الهجوم

فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنساوية حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية ولم يبعدوا عن المركز الابعض فراسخ فن غير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة الباشا في أخذ التدابير اللازمة لتمهيد الراحة في المواضع الثائرة فدولة الجمهورية لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقترانية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة جزأ منها للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادي معها لقطع الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرانسا في ذلك المحل وترتيب الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد في ايضاحها كما يلزم وهي سيادة السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تنكرها ولا دولة عموما وهذا الحق بقي الى الآن صحيحا ولم ينقطع من زمن فتحها وهو اذ ذاك سنة ١٥٣٤ بخير الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ تقليج علي باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت الى تلك المواضع قوة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التي فعلها الباب العالي هي ان جميع ولاة تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي الاول المسمى من السلطان ويتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى في خزنة الديوان وكذلك جميع المكاتيب التي تأتي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن مخالطتهم مع الدول الاروباوية وتارة تكون في شأن أحوالهم الداخلية والتي لهاته المدة الاخيرة فان الباب العالي من استحفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالي العام فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا وباش كاتب الولاية ولم يكن الا من ترحم الدولة العلية ان منحت الوالي ان يسمى هو بنفسه هذين الموظفين وأيضا فاتباعا للمذهب وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكر فيها اسم جلالته ويضرب على السكة أيضا وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتي الى القسطنطينية دائما أناس رسميون ليقدموا تعظيمات الوالي وخضوعه لاعتاب السلطنة وليقبلوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالي لامور عظيمة في الولاية ثم ان الباشا الموجود الآن والاهالي التونسيون طلبوا زيادة في التفضل واعطى ذلك لحضرته السامية بالفرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث الوالي بجهده سيادته الحق ليعينه على الحالة الرديئة التي وقعت فيها تونس الآن وهاته الاشياء التحقيقية لا ينكرها أحد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ وبالمكاتبات

و بالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن نقتصر على المهم منها لئلا يطول الكلام في هذا التلغراف ففي المعاهدات القديمة التي بين تركيا وفرانسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانيه ويكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلا) معاهدة ١٠ صفر سنة ١٠٨٤ ﻫ ١٦٦٨ م وفي هاته المعاهدات أيضا وجد بان كل المعاهدات التي بين الدولتين تجري أيضا في تونس وفي نصف القرن السابع عشر أي في ١٥ صفر سنة ١٦٦١ أرسل السلطان فرمانا للباي والحاكم الكبير بالولاية في رضاء الباب العالي بان قنسل فرانسا يجمع خدمات قناسل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب بالقسطنطينيه كالبرتقال وكتالوني واسبانيا وفينيسيا وفرنسا وغيرهم والقنسل وكالته هي حماية السفن تحت الراية الفرنساوية في المراسي المشهورة بالولاية والفرمان يمنع تداخل قناسل الانكليز والهولنديز وغيرهم من التداخل في خدمة نائب فرانسا وذلك سند منع التعدي بين الباب العالي والنمسا المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١١٩٧ ﻫ المتقرر بمعاهدة ستوفا في ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٠٥ فانه يأذن حكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا على اسم السلطان السفن المتجرية لسلطنة الرومان الفخيمة وأيضا فان الاتفاق الذي تقدم هذا السند وتم في ٥ شوال سنة ١١٦١ ﻫ بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة المذكورة فان الوالي العام بتونس وهو اذ ذاك في رتبة بكلار بيك ونال اسم علي باشا يذكر في مقدمة كل مكتوب مضى عليه منه هاته الكلمات بعينها وهي (مولانا السلطان الغازي محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان استطرد لكم الاذن الصادر من الباب العالي في ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٤٥ ﻫ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم أن لا يتداخلوا في الخلاف الواقع بين سلطنة النمسا ومملكة المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالي تونس في ١٤ صفر سنة ١٢٤٧ ﻫ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسكر النظامي بالولاية على نمط الترتيب العسكري النظامي العثماني وأيضا قد أتى مكتوب معين بالطاعة من الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان والياعاما وقد انتشر هذا المكتوب في جميع صحف أوروبا من غير أن يعارض ولا من جهة واحدة ونزيدكم شيأ آخر وهو انه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرض التونسي الذي وقع في باريس من غير رضاء الباب العالي كان رسيو دواروان دولويس وزير خارجية

الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو الصراف الذى يريد عقد القرض معه أن يطلب رضاء الباب العالى ليصح هذا القرض وللمدافعة عن حقوق الباب العالى فان الوزير الفرانساوى أرسل يقول هذا الكلام للصراف المشار اليه وها نحن نضع بقية الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذى للدول الممضين على معاهدة براين وانا لمتحققون بان فكر الدول محيط بدلائل كثيرة فى الواجبات العمومية التى يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم بر بدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذى قدمناه وانهم يحفظون على حقوق الباب العالى الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون الحال بين الدولتين فرانسا وتركيا فى علائقهما التى لهما فى هاته الولاية المرؤف بها التونسية المتممة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلم مع وزير الخارجية فى مضمون هذا التلغراف وتشرح له ماتراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا لجناب الوزير اذا طلبكم اه (الامضا مصطفى عاصم) ومن تأمل هذه اللائحة مع ماقررناه فى سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرانسا فيها لا يشك فى أن فرانسا لم تكن تنازع قط فى أن تونس من ممالك الدولة العثمانية واغا غاية دعواها وان تلك الايالة لها امتيازات جارية تحافظ هى عليها لاجل منافعها ويصدق ذلك تصريح وزير فرانسا دواروان دولويس فى مجمع فيينا اثر حرب القريم لما سأل وزير الروسيا عن تعيين الممالك العثمانية للجهل ببعضها ومثل بتونس وانه يتراءى فيها نزاع فأجابه الوزير الفرانساوى بان لا شك ولا نزاع فى كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرانسا وتونس حتى التى وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر بمدة طويلة يصرح فيها بان سائر المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجراء فى تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يفد استصراخ الدول لان فرانسا لم تعلن بعملها الا بعد ان لمست أفكار أغلب الدول الكبيرة فوجدتهم غير معارضين اليها الان دولة انكلترة متولى زمامها حزب الاطلاق الذى لا يرى نفع دولته فى المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان طال تجريبهم لها فى الحث على الجري على مقتضى نصائحهم ولكنهم لم يروا العمل ودونك مانشر فى الكتاب الازرق من المخاطبات التى وقعت من الحضرة السلطانية ورئيس وزرائها ومع سفير انكلترة بالاستانة حسبما

اخير

أخبرهما وزيره بعدة تلغرافات تنبئ بما تقدم فمنها تلغراف من موسيو غوشن (سفير انكلترة الى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ هاته ترجمته انى وجدت جلالته (أى السلطان) مشغول الفكر بهذه الافعال وبناء على ما عندى من الاذن أعلمت له بان الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة فى تونس والنائب الانكليزى بتونس له الاذن ليرشد الباى اذا استشاره بان يعين فرانسا فى تقرير راحة الحدود وانى أرجو ان جلالته يشير على الباى أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه الغضب وقال انه فهم من كلامى ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ماهى عليه فى تونس ولها نفع فى ذلك وفهم أيضا انا أشرنا على محمد الصادق بان يعين العساكر الفرنساوية فنبهت عظمته بانى ماقلت ان الدولة الانكليزية تنتفع ببقاء الحالة الموجودة ولكنها تظهر تمنى ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نتأسف كثيرا من فتح مسئلة جديدة فى الشرق وانا لا نفتكر انه توجد فوائد خصوصية لانكلترة مربوطة باى كيفية كانت فى أحوال تونس فعند هذا أجاب السلطان بانه لم ير كيف يجمع بين رجائنا فى ابقاء حالة تونس على ماهى عليه ومع ذلك نشير على الباى بان يعين العساكر الفرنساويه فهذان الشيئان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنساويه الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفى تلغراف آخر من موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان الجلسة التى وقعت بينى وبين باش وكيل كان يطلب فيها محبة انكلترة وقال ان الدولة الانكليزيه تقدر أن تعمل مع الدولة العثمانيه المعروف وان الباب العثمانى يكون ممنونا اذا كانت انكلترة تريد أن تفعل معه ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع والذى كنت تقوله دائما هو انه بأى زمن تكون فيه تركيا متذكرة بان محبة انكلترة لها لازمة وقد تكلم على الحاجة الاكيدة الآن وتكلم أيضا على رد مودة انكلترة فتبعته وقلت ماهو دليل المودة الذى أظهرته تركيا لانكلترة منذ بعض سنين وفى أى وقت اتبعتم اشاراتنا وفى أى وقت قبلت استشاراتنا النافعة للسلطنة التركية نعم ان الترك قد عملوا غاية جهدهم ليتركوا المودة التى فى راى العموم فى انكلترة ورجوعها الآن ليس بسهل فحضرته العلية أجابت بان جميع الاشياء الآن تتغير من غير ان يظهر على وجهه الغضب من الكلام الذى قلته له قصدا واستمر فى طلبه الاعانة وانا شرحت له بان نازلة تونس مثل النوازل الاخر الشرقية ولا تقدر انكلترة على اتمامها وحدها ومع هذا فليس لنا فائدة خصوصية وسياستنا متمسكة بالموافقة الاروباوية ولا دولة تريد قيام

عصر جديد قبل ان تتم الاعمار القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تفتش كل
واسطة لحصر النازلة التونسية فى حدود ضيقة أقل ما يمكن لئلا تقوم نازلة تدخل فيها
الدول برأى مختلف فجنابه العالى يقدر بفهم من جملة كلامى بان ليس لى اذن لتقرير
الرجاء بان تكون الدول العظام الاوروباويه يظهرون أنفسهم مختلفين على نازلة مخابطة
بين الباب العثمانى وتونس والطلب الخصوصى من انكلتره ليس بموافق لحالة الباب
العثمانى منذ بعض سنين مع الدولة المشار اليها فهذا الخطاب كاف فى بيان الحال مع
انكلتره وهى وان أظهر بعض أهل شوراها التنديد على سياستها وطلب المحافظة على
تونس وابقائها للدولة العثمانية وبين ما ينشأ لانكلتره من المضرة عند استيلاء
فرانسا على مرسى ابن زرت وعلى قربها من خليج السويس وبرجحان كفتها فى البحر
الابيض لكنه لم ينفذ كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذى هو مغلوب حينئذ
واحتجت عليه الوزارة بان حزبه هو الذى فتح الباب لفرانسا فان اللورد صالسبرى الذى
كان وزير الخارجيه عند عقد مؤتمر برلين لما شاحته وزير فرانسا على استيلاء انكلتره
على قبرص أجابه بانه لا يعارض فرانسا اذا أرادت الاستيلاء على تونس فاذا يكون
استيلاء فرانسا بوعد انكلتره وقد غفل المستند لذلك عن كون الوعد من صالسبرى
كان فى سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اغتيالا
ومع ذلك فلانكلتره مقاصد على تونس مخفية فى مصر فرأت ان مساعدة فرانسا على
تونس تلائمها فى مقصدها فى مصر عند الحاجة اذا ساعدتها فرانسا ولهذا
لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرانسا الاول اعلن فى
مجلس النواب بان انكلتره وافقت على معاهدة مابه استنادا منه لما دار بينهم
من الكلام فيها فاعلن وزير خارجية انكلتره حالا بتكذيب ذلك الادعاء وما ذلك
الا تحفظا على ما يريد لدولته حتى اذا لم تساعفه فرانسا فى مصر وآل بينهم الامر
الى المشاحنة الحقيقية كان لانكلتره وجه فى نقض ما حل بتونس وأما دولة الروسيا
فلا شك ان الانها يسرها كلما يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها فى مشاحنة
فرانسا ولذلك كان جوابها مثل محصول جواب سابقتها وأما دولة المانيا فاجابت
خصوصيا بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن هاته النازلة وانها هى لا تتعرض
لفرانسا بشئ والباعث لها على ذلك وجوه (أولها) اظهار عدم التجافى عن فرانسا
التى لها عليها حقد أخذ الثار (وثانيها) جذب أعداء ومضادين الى فرانسا كالدولة
العثمانية

العثمانية وايطاليا حتى اذا أعلنت الحرب يوما ما بين المانيا وفرانسا تجد المانيا الظهير على قهرها بما لذلك الظهير من الباعث الذاتي (وثالثها) اشغال فرانسا بفتوحات جديدة في أراضي فسيحة وخلق كثير في افريقيا ربما طال اشتغالها بهم حتى يبرد لهيب أخذ الثار (ورابعها) اضعاف قوة فرانسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التسلط عليهم وان لم يكونوا كفؤا لمحاربة فرانسا لخلوهم عن آلات الحرب والاستعداد لها لكنهم لما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة ومثاقفة للحرب لا يلبثون دائما أن يحدثوا عليها ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينها وبين أجنبي فتضطر فرانسا في وقت الحرب الى أن تبقي قسما عظيما من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يفيد المانيا بنقصان قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل لها فيما تريد المعاوضة به بينها وبين النمسا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الابيض وقد بقي من جنس الالمان تحت النمسا عدة ملايين حول الجهات التي بقرب مرسى ترست ولو أخذت المانيا ذلك الباقي من الالمان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية أمانيها ولكن ذلك لا يحصل الا بحرب مع النمسا وقهرها أو بمعاوضة ذلك لها بشئ يرضيها من ممالك الدولة العثمانية مثل أخذها ولايات مقدونية ومرسى سلانيك الموازي ذلك لما يؤخذ منها حسبما أشيع ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا أول من بادر لامرنائها في تونس باتباع سياسة فرانسا فيها وتبعتها على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لها مع المانيا عقد محالفة اتحاد على الذب والاقدام ثم انها لها مطامح في جهة بحر الجزر لتتمكن فيه بمواقع مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا حليفتها حيث لم يكن لها مرسى في البحر الابيض كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرانسا عند العمل وأما ايطاليا فانها تجرعت من ذلك الغصص وطوت على الضغائن التي لا تزال ولكنها لما كانت غير كفؤ بانفرادها لمعارضة فرانسا واتحادها مع الدولة العثمانية أيضا لا يجدي لاحتياج كل الى المال مع ما فيه الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبها الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتحمل عرق القربة مع عظم الضغينة في عموم الاهالي والدولة اذ هي حريصة على ابقاء ما كان على ما كان في تونس وكانت عند ملاحظتها مبادي الشرع رضت بالسعي السياسي مع الدولة العلية فلم يكن من المقدر قبول الانتباه لما أرادت حتى أنكر الوزير العثماني على المأمور الطلياني التكلم معه

في تونس وقال له انها تابعة لنا ولا دخل فيها لاحد وعند هجوم فرانسا صار يتلاقى الى ذلك المأمور لكي تعدا بطالبا اليد اليه فقال له مصداق المثل الصيف ضيعت اللبن وبما تعهد مرت عساكر فرانسا حدود تونس معلنة بانها تريد تأديب قبيلة خمير من أعراب الجبال الشمالية عند حدود الجزائر ولم يتعرض لها أحد بالمصادمة لان حكومة تونس قد تقدمت حالتها الباطنية من التوافق مع فرانسا ومع ذلك فليس عندها تحت السلاح ألف عسكري ولا اقتدار لها على معارضة فرانسا بالقوة واستندت ظاهرا الى أمر الدولة العلية بارتكابها سبيل الملاينة وأظهر الوزير التونسي اذ ذاك التزام العمل برأي مجلس الشورى حيث فات الابان مع ان جميع ما يتفاوض فيه يقرره الى تابعه على ابن الزي ليلا وهو يقرره الى نائب فرانسا كما عزل المجلس عزلا نقضه لهم من هو بالمرصاد منهم حتى تمهوا من اطلاعه على جميع أحوالهم وتمكنت عساكر فرانسا من بلدا الكاف وباجة وابن زرت وفي اثناء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لا تزال تمحل وتتشكى وانها مستعدة لتربية قبائلها الذين هم في نفس الامر انما اتخذوا وسيلة فقط ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة تابعه المشار اليه الى نائب فرانسا بان لا واسطة مفيدة في الدخول تحت فرانسا الا قدوم شرذمة من العساكر الى قصر الوالي والاحاطة به اذا القسوة لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالي الى الامضاء على الشروط و يجد العذر عند الاهالي ومع ذلك أرسل خبيرا بالسلك الكهربائي الى الباب العالي يقول انه قد علم ان فرانسا تطلب عقد شروط ولا يعلم ماهي فماذا يعمل فأجيب من الباب بان يحيل كلما يطلب منه على الباب العالي ولا يمضي شيأ وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار ان في عزم الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا في حسم النازلة لمعرفته بأحوالها وسياسة الاهالي والاجانب ولكي يكون عونا على ابقاء الحالة المعروفة فأرسل الوالي تلغرافا الى الباب يطلب أن يكون المرسل غير المشار اليه وتعجب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك الطلب اذ تلك الحالة لا تدع مجالا للشخصيات سيما وقد سبقت من خير الدين الى الوالي المشار اليه المجاملة وعدم الاكتراث بما فعل معه عند حلوله بالاستانة وترقيه فيها لكن المطلع على الباطن زاده ذلك تيقنا في التواطئ على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين في تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره ممن لم يشافه طبائع الشقين ومع مجاراة الباب العالي وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان لتأمين الوالي حيث أظهر الميل الى الدولة

فانه

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشروط مع فرانسا والحال ان مدد الخبر من الباب العالى بنهيه عن الامضاء لم يصل ولم يخبر الباب بعد ذلك بشئ حتى سأله عما شاع من امضائه فاجابه بانه مكره عليه وكلما ورد بعد ذلك من الباب سلمه الى نائب فرانسا مدعيا ان الشروط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسا ودولة باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة التكدير المخرب الذى وقع قريبا فى حدود الدولتين وفى شطوط تونس وأرادوا أن يربطوا مخالطتهم القديمة التى هى مخالطة مودة وجوار حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة فى نفع الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرانساوية سمى وكيله موسيو الجنرال بريار الذى يتفق مع حضرة الباى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرانساوية وحضرة الباى يتحتم تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل الى المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة الباى ترضى بان الحكم العسكرى الفرانساوى يضع العساكر فى المواضع التى يراها لازمة لتقرر وتقرر جميع الراحة والامان فى الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندما يتوافق الحكم العسكرى الفرانساوى والتونسى على ان الدولة التونسية تقدر على تقرر الراحة (ثالثا) دولة الجمهورية تتعهد لحضرة الباى بان يستند عليها دائما وهى تدافع عن جميع ما يتخوف منه لضرر ما اما فى نفسه أو فى عائلته أو فيما يكدر دولته (رابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية تضمن فى اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة الاوروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرانساوية تحضر نحو حضرة الباى وزيرا مقيما لينظر فى اجراء هاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرانساوية وذوى الامر والنهى التونسيين وفى كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان النواب السياسيين والقناصل الفرانساويين فى الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا أشغال تونس وأشغال رعيتها وفى مقابلة هذا فحضرة الباى تتعهد بان لا تعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بها دولة الجمهورية ومن غير أن يحصل على موافقتها من قبل (سابعا) دولة الجمهورية الفرانساوية ودولة حضرة الباى أبقوا لانفسهم الحق فى أن يؤسسوا ترتيبا فى المالية التونسية ليمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسى العام وهذا الترتيب

يضمن في حقوق أصحاب الدين التونسي (ثامنا) ان غرامة الحرب يغصب عليها القبائل العصاة بالحدود والشطوط وتفعل دولة الجمهورية مع حضرة الباي فيما بعد شروطا على كميتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا) للمدافعة على منع ادخال السلاح والآلات الحربية للملكة الجزائرية الفرانساوية فدولة باي تونس تتعهد بان تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى قابس وسائر المراسي الجنوبية في المملكة (عاشرا) ان هاته المعاهدة توضع لدى رضاء دولة الجمهورية الفرانساوية وترجع في أقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية حرر في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد الامضا محمد الصادق باي والجنرال بريارو والذي يؤكد صدق التواطئ من قبل ان الوالي طلب ظاهرا من نواب فرانسا وهما أمير العساكر والقنصل أن يمهلاه مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بانه لا داعي الى ذلك حيث ان الشروط عند وزيرك منذ مدة وتأملتها أنت وهو ولم يبق الا الامضاء ويؤيده أيضا ان رئيس المجلس البلدي السيد محمد العربي زروق أحد أعضاء مجلس الشورى أصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط وألح على الوالي بذلك عند جمعه للمجلس وأمير عسكر فرانسا منتظر لانبرامها ونصحه بان ما يخشى منه بعدم الامضاء سيقع لا محالة بعد الامضاء فالتمسك بالبراءة الاصلية أسلم وأشرف وعورض بانه قد علم ان الوالي اذا لم يمض يولي الفرانسيس عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم أكدوا ان له اتفاقا مع الفرانسيس فاجاب بان جميع الاهالي لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم يكون الوالي على شرفه وربما اضطرت الدول الى التداخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت لكلامه وعزل أثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره وحجر عليه مخالطة الناس وتحقق مزيد الاضرار به الى ان احتمى بقنسلاتو انكلاتره وسافر عن وطنه وأقام بالاستانة ويشهد صراحة للتواطئ ما صرح به البارون بيلنك الفرانساوي في تشرين أول سنة ١٨٨١ عما وقع في هاته المسئلة وانه كانت أرسلته دولته حيث كان أحد مأموري الوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك في كانون ثاني سنة ١٨٨١ وان الوالي أجاب اذ ذاك فرانسا بانه يقبل الشروط اذا كان الواسطة فيها هو فرديناند لسبس لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط أوفق له وان الشروط اذ ذاك كانت غير التي قررت الآن ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشيء وبه يعلم صدق

صدق الكلام فى اضمار الوزير التونسى الشر للوالى بالخصوص حيث دافعت عن
الحق ونصحته بما يقتضيه الدين والامانة ثم كانت فاتحة أعمال نائب فرانسا عند امضاء
المعاهدة أن طلب من الوالى نفى على ابن الزى حالا لكى لا يبيح بما وقع من الاسرار التى
اطلع عليها فنفى الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس فى سفينة
فرانساوية حربية شاكرا الانعام فرانسا بتلك المعاهدة ومعلنا لها بانه يصدق فى خدمتها
أزيد مما كان يبذله سابقا كذا فى عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية
المنشورة فى الصحيفة الرسمية فقلدته فرانسا بأكبر نيشان لها مع الشريط الكبير
ورجع الى تونس ولم يلبث بضع أشهر حتى ورد الامر على الوالى من وزير فرانسا بعزل
وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرانسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته
فيما يسلكونه فى تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية أعلنوا بان الوالى لما
بقى على الدولة العثمانية بدخوله تحت حماية فرانسا فهم لا يطيعونه لانهم بايعوا أمير
المؤمنين سلطان الدولة العثمانية قديما وحديثا فلا يحل لهم الخروج عليه وهرب
على الوالى جميع عساكره فاضطرت فرانسا التعمية الجيوش لتطويع الاعراب وكان
من جملة التدبير عزل ذلك الوزير الذى توقعوا منه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلاد التى
وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير ما ضرب من المثل بوزارة العلقمى وان
كان هذا أى ابن اسماعيل قد احتاز بجميع خزائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقى
للوالى من مفاخر الجواهر عقد لؤلؤ منظم سبحة بها مائة حبة مع حلية زمرد محاط بها
الياقوت الابيض فاعطاه اليه عند سفره لباريس بعد العزل المذكور ورام بسفره
ارضاء فرانسا عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن فى حيرة واضطراب
ودخلت العساكر الفرانساوية الى قصبة الحاضرة والى منازل العساكر فى المدينة وأمام
قنسلاتو فرانسا وسكن رئيس العساكر الفرانساوية بدار المملكة فى بطحاء القصبة
وصارت الحكومة لا تتصرف فى شئ الا بامر الوزير الفرانساوى سواء كان فى الداخلية
أو فى الخارجية وتفاقم الضرر بولايات غير الاهل فى الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم
الكرب على القبائل والبلدان بما حصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بالقيروان
وسوسة وهدموا صفاقس وخرجوا من قابس بعد دخولها وعادوا اليها ونسأل الله ان
يتداركنا بالطافه ويحسن العاقبة ومما ينبغى التنبه اليه هنا ان الاحوال السياسية التى
أشرنا اليها مع الدول سيما مقاصد المانيا لا يمكن ان تخفى على أمة عاقلة مثل

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تبوء تونس مع كون الفائدة التى تحصل لهم منها لا توازى ما ذكرنا سيما اذا كانت المعاهدة مع تونس التى ذكرناها تجرى حقيقة على ظاهرها فالجواب ان كثيرا من عقلاء الفرانسيس قد نددوا على دولتهم ولا زالوا فى الاعتراض عليها لكنها بعد الوقوع فى الامر المتسبب عن تهور من بيدهم مقاليد السياسة حتى اتهمهم مضادوهم من نفس الفرانسيس بان لهم فى ذلك أرباح ذاتية من التجارة فى الرقاع الدولية وموهوا على العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانسا فبعد ذلك صعب على الدولة اهمال سعيها مع ما خسرته من الاموال المتجاوزة مائة مليون ومن الرجال الذين ماتوا بالحرب مع الاعراب وبالامراض المتجاوزين خمسة وثلاثين الفا فرأت فرانسا التحفظ على ما وقع مع السعى فى حسن السلوك الذى يخفف أو يدفع عنها الغوائل المنتظرة ثم وراء ذلك أمر مهم جدا لفرانسا وهو طمعها فى احداث مملكة عظيمة فى أفريقية مثل ما للانكليز فى الهند فتريد ان تمتد من الجزائر الى ما جاورها شيأ فشيأ الى ان تصل الى دواخل أفريقية والسودان وتصل بين شاطئ افريقية الغربى فى سانيغال والشرقى فى الجزائر وتونس حتى رسمت جمعية فرانساوية رسم الخط الحديد فى ذلك ولو يتم هذا يكون لفرانسا شأن عظيم غير ان القياس على الهند الانكليزى هو قياس مع الفارق لا من جهة سياسة الفرانساويين فى مستعمراتهم من حيث قلبها الى عوائد الفرانسيس واناطتها الادارة فى الكليات والجزئيات بباريس ولا من حيث أخلاق الامم المستوطنين بافريقية والمستوطنين بالهند وان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر ما حررناه فى أحوال الجزائر وفى أحوال الهند وسياسة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة الحال وبما ذكرناه هنا يندفع الاعتراض على ما ذكرناه فى سياسة تونس الخارجية من كون فرانسا لا تريد الاستيلاء عليها مع كون أعمالها نافضت ذلك وشرح الدفع يؤل الى أن الحامل لدولة فرانسا على مخالفة ما سبق من مقاصدها فى تونس شيآن أحدهما سياسى ظاهرى والآخر خصوصى باطنى فالباطنى هو المشار اليه بما وقع من التهمة فى نفع الافراد الذى يأتى له مزيد شرح فى مبحث الاحكام والظاهرى هو أن الدول قد تغيرت أفكارهم بالنسبة لمحافظة الدولة العثمانية منذ عقد معاهدة برلين فدلت أعمالهم على ان من ناسبه شئ منها وكانت له قدرة على حوزه بادر اليه وغض عنه النظر بقيتهم اذا كان المحوز أكثر مناسبة بالحائز وقد علمت مقاصد فرانسا فى تونس ورأت ان ايطاليا لها من المقاصد والمناسبات ما يزاحمها ثم رأت سيرة ابن اسماعيل وانه غير أمين

أمس فلا يبعد ان يفعل مع ايطاليا أو غيرها من الدول ما فعل معها الخوف أو طمع مع تيسر اجراء الامور بواسطته فانتهزت الفرصة خوفا على درجة نفوذها فبادرت قبل ان تبادر ومن المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال الحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

﴿في عوائد أهالي فرانسا وصفاتهم﴾

(اعلم) ان الاهالي أصلهم القديم مجهول غير انهم لما هجمت القبائل الشمالية الشرقية من آسيا على أروبا تسلطت منهم قبيلة الافرنج على فرانسا بعد ان اناخت في البلجيك ولازالت تتقوى الى أن ملكت جميع فرانسا واتحدت القبائل الاخر معها بالنسل والاسم كما تقدمت الاشارة اليه في مبحث التاريخ وكان لهم اذ ذاك شهرة بالشجاعة والتقدم بالحرية حتى كانوا أول من كثرت خلطتهم من الاروباويين بالعرب وأهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الافرنج يطلق على جميع أهل أروبا عند جميع المشرقيين والعرب وذلك بابدال السين جيما لان أصل الاسم افرنك فقلبت الكاف سينا عند نفس الامة ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشتهار كاف فيما كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والتجارة ولازالوا على ذلك الى الآن لكنهم يؤثرون الاقامة في وطنهم عن الاقامة الدائمة بغيره ولهذا تراهم أقل أهالي أروبا استيطانا في سائر الممالك اذ امريكا التي هي ذات ثروة وأمن وقليلة السكان بالنسبة لاتساع الارض بها جاء اليها سنويا من الانكليز والالمان والطليان وغيرهم خلق كثير يتجاوز مئات الالوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرانساويون بل ان ذلك حاصل ولو في مستعمراتهم في الاقاليم اذ الجزائر الآن تحت سلطتهم نيفا وخمسين سنة ومع ذلك لا يوجد منهم فيها الا نحو مائتي ألف أو ينقصون وانما بلغوا ذلك العدد بعد استيلاء المانيا على الالزاس واللورين فرغبت دولة فرانسا أهالي ذينك الاقليمين للاتحاد بها بان تعطيهم جميع حاجتهم مع الاراضي الخصبة الوسيعة في الجزائر وحيث كان في ذينك الاقليمين كثير ممن لا يريد الانفصال عن فرانسا الى المانيا هاجروا الى الجزائر ومكنتهم الدولة بارزاق العرب الذين استأصلت أموالهم بدعوى الخروج عنها والعصيان عليها ومع هذا الترغيب فانما كان عددهم ما أشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان كانوا منتشرين في سائر الاقطار للتجارة والسياحة كما انهم لهم ولوع زائد بالتفاخر بمدينة

باريس التي يحق لها الفخر ويسر كل فرانساوى بمدحها وان لم يكن من أهلها وهذا الطبع وهو حب التفاخر وان كان طبيعيا فى البشر لكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما هو فى الافراد فالفرانساويون ذوو فخر ونشاط الى الاعمال وسرعة الى تبدل الاراء والافعال حتى أورث ذلك فيهم كثرة الانقسامات فى الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة الديبا عدد أحزابهم فى السياسة فاذا هى أربعة عشر حزبا أحد اطرافها حزب الاشتراكيين أى الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات السائمة مشتركين فى جميع ما بايديهم ولو النساء ولا يستأثر أحد عن أحد بشئ والطرف الثانى الاستعباد التام لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه فى الاثاث والمتاع ومابين ذلك درجات أقواها الآن حزب الجمهورية المضبوطة على نحو ما تقدم فى السياسة الداخلية ويليه حزب المالكية القانونية وان كان فى ذاته له عدة اقسام من اتباع عائلة بونابارتى واتباع عائلة أورليان أو البربون الى غير ذلك ولا تعتبر أسماء المطالع بكثرة أولئك الاحزاب فى ضعفهم مع من ناواهم من الخارج فانهم اذا رامهم أجنبى يكونون عليه يدا واحدة فاذا انفصلوا منه عادوا الى الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ونفوذا اذ طباعهم مهذبة ومعارفهم متزايدة وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة للغاية حتى أقر لهم بذلك اضدادهم وهم لينو الجانب بشوشون فى الملاقاة غيرانهم يتجبر قسم منهم على من تسلط الفرانساويون عليه وفيهم كثير من المؤتمنين الناصحين العقلاء مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا متوظفين وأحسنوا السيرة والانصاف والنصح الى وطننا ومن الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجميل فمن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فيليت الذى قدم الى تونس بصفة محتسب عام مالى عندما أنشئ الكومسيون المالى فابدى من نصح الوطن والوقوف على حقوقه ودفع الغوائل عنه ما لم يصله كثير من أعيان ابناء الوطن مع العفة والصدق وسعة المعرفة وعلى قدمه من أتى بعده بتلك الوظيفة وهو لابلان ومثله كابى الذين شهد لهم كل ابناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان قال ان دولة فرانسا انما تختار لوظيفة الاحتساب المالى من هو جدير بها ولا مطعن فيه اذ كل من الثلاثة هو من متوظفى دولة فرانسا فى الاحتساب العام المالى وعلى نحو من هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فالات الذى قدم الى تونس بوظيفة نائب سياسى سنة ١٢٩٠ فابدى من أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالى على حقوقهم ما لهجت به السن الثناء عليه من جميع أبناء الوطن وقلما يرد مثل هؤلاء الى وطننا لتحاميهم عن المقاصد السيئة

واتباعهم

واتباعهم للانصاف فدولتهم تقتصر بهم على وظائف داخليتها ومن مشاهير رجال سياستهم فى عصرنا ممن اجتمعت به وله صيت بين الامة الفرانساوية كنبيتا رئيس مجلس النواب وممن أدركناه أيضا زيادة على نابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة والمعارف تيرس وقلما تحدث أفراد مثله وان كانت المعارف والتقدم حاصلة الى العموم ومع ذلك فلا يزال فى فرانسا خلق كثير على السذاجة والجهل ودونك حكاية ظريفة تقيس عليها ما يقرب منها ففى سنة ١٢٩٧ ﻫ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل باليد مشتغلا جهة باريس وكان له ابن مشتغل جهة بردو فلم يوفر الابن من كسبه ما يشترى به حذاء أفأرسل الى أبيه يشتكى له الفقر ويطلب منه شراء حذاء له فاشتراه له وحمله فى الطريق وهو مفكر فى كيفية ايصاله اليه فبينما هو ماش اذ مر عماد بالسلك الكهربائى فقال هذا أسرع طريق انى أحمله الحذاء وهو يوصله لابنى فجاء الى عود السلك وعلق فيه الحذاء وأسر الى العود بقوله أوصل هذا لابنى فلان فى المكان الفلانى وذهب مسرورا باطلاعه على مسلك سهل بلا مصروف ثم مر من غد متفقدا ما فعل السلك بالحذاء فوجد فى ذلك المكان حذاء عتيقا افناه اللابس ففرح وقال ان ابنى لعاقل حيث أرسل لى الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر لهذه البلاهة التى لو صدرت من أحد المشرقيين لشنعوا بجميع الجنس بانه وحشى بعيد عن المعارف وتهذيب الاخلاق واعلم ان مثل ذلك الرجل كثير سيما فى القرى الصغيرة والجبال بل وفى أهل المدن كثير من يعتقد بالخرافات الباطلة ويعتقد التأثير لاحجار وجمادات ويتشاءم بالاوقات فقد رأيت فى كثير من بلدانهم وبلدان الطليان وكذلك الانكليز طاقات فى حيطان فيها منارات توقد ليلا بالزيت أو بالشمع العسلى تقربا الى بعض أوليائهم أو الجن معتقدين حلول المتقرب اليه بتلك الطاقة ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم ان شمع الشحم أو الغاز من البدع التى لا يتقرب بها وكذلك يطلبون البخت وقضاء الحاجات من جمادات أو أماكن اعتقاد حلول أرواح فيها وقد ذكر من هذا النوع فى كشف المخبا عن فنون أوروبا ما يتعجب منه السامع مما ترى الاوروباويين ومن تشكل بشكلهم وتباهى بتقليدهم يحملون عبثه على البلاد الاسلامية وحدها ويجعلونها مضرية وينزهون أوروبا عن مثلها مع انها حاوية لشبهها ولاشد منها بل ربما أسند ذلك الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا الله ان تؤدى أو ترشد لمثل ذلك بل انها هى المهذبة والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحاثة على العلم وفتح البصائر وقد

أوردنا لهذا تأليفا خاصا واعلم انا لا نقصد من ذكر ما مر نسبة الجهل بالمعارف الدنياوية الى عموم الفرانساويين أو ترجيح كفتنا على كفتهم كلا بل الحق ان الناس على ثلاثة طبقات فاهل الرفعة وأشراف القوم من ذوى البيوت العالية بالتوارث فى الوظائف أو كثرة المال والترف تجد أغلبهم مقتصرين على معرفة مبادى العلوم ومحبين الى انفاذ الاغراض وزيادة علو الصيت والرعاع من أهالى الجبال والقرى والبوادى أغلبهم أيضا جهلاء ولا فكر لهم الا فيما ينفع كل فرد فى خويصة نفسه والطبقة الوسطى هى مجال التمدن والمعارف والصنائع والتقدم وهم أيضا أصحاب الترجيح السياسى فى فرانسا وهاته الطبقة هى المتقدمة بالنسبة لمشابهتها فينا فهى فيهم أرجح ميزانا وأهلها كثيرون بالنسبة لاهلها عندنا وبالنسبة الى نفس أهاليهم أيضا فترى عدد أهل المعارف يزداد ويترقى يوميا وأهل هاته الطبقة عندنا مشاكلون فى الصفات لاهل الطبقتين الآخرتين كما ان أهل الطبقة العليا عندهم أوسع تبصرا ومعرفة منها عندنا (وأما بقية) عوائد الاهالى فهى على نحو من عوائد الطليانيين فى السلام والحياء والاجتماع والرماية والفروسية وغير ذلك وقد كانت فيهم تربية حسنة من التواضع بينهم ولين القول لكن منذ رجحت الحكومة الجمهورية تظاهر فيهم التهور شيأ فشيأ حتى انى أدركت ذلك ما بين سنة ١٢٩٢ وسنة ١٢٩٥ فقد رأيت من اخلاق الطبقة السفلى من الناس كالكرارسية والحمالين والسائلين ما لم نعرفه منهم فى السنة السابقة وقلة السائلين مع انهم يمنعون السؤال للفقراء لوجود أماكن المرحمة للعاجزين ومن يباح له السؤال تجعل له علامة تؤذن باباحته ولا يكون الا ناقص عضو أو حاسة وغيرهم يتحيلون على السؤال بعزف آلة طرب أو اهداء باقة زهر أو نحو ذلك من غير الحاف فى السؤال حتى اذا رأت الضابطية واحدا ألحّ منعته أو سجنته وفى السنة الثانية رأيت تغاضى الضابطية عن ذلك وعن سوء معاملة الكرارسية للركاب حتى يكون بعضهم سكرانا ويتكلم الكلام الفاحش ولا يتعرض له أحد كما رأيت فى هاته السنة عدة مواطن للتشاكم والتلاكم وبعضها وقع فيه الضرب بالحديد ومات فيه المضروب وفى بعض الاوقات يركض الكرارسى ركضا زائدا يمكن ان ينشأ منه الضرر بالمارة وكل هاته الاشياء ممنوع ولم نر منه شيأ فى المرة الاولى لكن الدعوى بمزيد الحرية التى تتبع الجمهورية أورثت ذلك الاهمال المفضى الى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا وأحد احزاب الجمهورية يطالب المصير لما عليه الحيوانات العجم من الاشتراك وقد ذكر لى انه كان وقع مثل ذلك

الحزب

الحزب في احدى مدن أروبا العظيمة وثار على الحكومة واقتحم منازل الناس وكان في تلك البلاد أحد الاغنياء المشهور بالثروة حاذقا فطنا فأخذ عدة اكياس بالسكة الفضة وجلس عند باب داره وكلما مر عليه انسان أعطاه فرنكا فجاءه جمع من الثائرين فقال لهم اني منكم وقد حسبت مالي فاذا هو كذا كذا مليونا وأهل المملكة مساوون الى هذا العدد فيصح لكل واحد فرنك فكل من أتى أعطيته حصته ولا يسوغ ان أعطي لاحد منابا غيره فلم يسعهم الا الرضا وتخلص من نهب أمواله وتشتيتها ومن قتله ببعض آلاف فرنك دفعها الاولئك الثائرين الى ان قهرتهم الحكومة واضمحل أمرهم ومن تفاخر الاهالي اتقان الاغنياء للكراريس وبعضهم يجر كروسته أربعة أو ثمانية من الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتجد بعض هاته الكراريس تركب اثني عشر راكبا فأربعة داخلها مثل المعتاد وأربعة على سطحها على كراسي لازمة كل اثنين على كرسي مثل الاسفل غير ان ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسي السائق واثنان على كرسي الخدمة من وراء وفي قعر الكروسة محل لرفع ما خف من المأكول واللوازم فيركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته وأحبابه وما يلزمهم لتنزه يوم ويذهبون لاحد المتنزهات خارج البلد ومن عاداتهم أيضا انهم يتأنقون في ظرافة اللبس والاثاث والبناء وتنظيمه وترتيبه وينشئون المتنزهات وأماكن الارتياح ليشترك في فائدتها الحقير والعظيم وان كان لكل جهة كالقهاوي فما كان منها للعظماء زاد في سعر ما يعطيه واتقن آلاته حتى لا يزاحم الفقير الغني لكثرة المصرف من غير تحجير حكمي بحيث يصح ان يقال ان الملاذ والنزهة عند الفرانسا وين ينال منها الحقير حظه وهي مشهورة يعرفها الوافد بادني مهولة مع كثرتها وتهيئها الى قبول كل أحد

مطلب

﴿في التجارة﴾

(اعلم) ان تجارة فرانسا لها الرتبة الاولى في سائر أقسام المسكونة ولهم براعة تامة في ادارة الاشغال ولكن الاصول في ذلك هي ما قررناه في ابطاليا غير انها هي في فرانسا أقوى وأروج وتسبب عنها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركات تجارتهم لا يخلو عنها اقليم من العالم وبواخر بريدهم تخترق سائر البحور ودونك أنموذجا على مال الفرانسا من الغنى فان دولتها اعدت المسكوكات الرائجة فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فكانت كما ترى

فرنكات	
٢١٠ر٩٤٧ر١٩٠	صرف قطع فضة بخمسة فرنكات
٩٦٥ر٠٥١ر٢٩٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرة فرنكات
٦ر٩٦٤ر٠٨٠ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة بعشرين فرنكا
٠ر٣٠٤ر٤٢٢ر٣٦٠	صرف قطع ذهب الواحدة باربعين فرنكا
٠ر٠٤٦ر٥٦٨ر٧٠٠	صرف قطع ذهب بخمسين فرنكا
٠ر٠٤٤ر٣٤٦ر٤٠٠	صرف قطع ذهب بمائة فرنك
٥ر٣٦٧ر٤٧٧ر١٩٠	صرف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور
١٣ر٨٠٣ر٨٩٣ر٤٩٠	

فذلك من عين السكة خاصة عدا آلاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضا عن السكة من بنك الدولة وهاته الاوراق لها اعتبار أحسن من السكة لخفة مؤنتها فتزيد في الصرف نصفا في الالف وتروج في سائر الاقطار مرغوبا فيها لدى الصرافين وفي خصوص فرانسا وايطاليا وسفيسرا والبلجيك يرغب فيها حتى غير الصرافين أما غير هاته من الممالك فانها تعتبر عند الصرافين فقط ويؤيد اعتبار غناها ما ذكرناه في غرامة حربها مع المانيا وكذلك سنة ١٢٩٨ ه‍ ١٨٨١ م طلبت دولة فرانسا استقراض ألف مليون فرنكا فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما اكتفت به عما تطلبه باخذها خمسة عشر فقط من كل مائة أحضرت لها وأساس ذلك الغنى هو الامن الذي سوغ للاهالي عقد الشركات باظهار أموالهم وترويجها والشركات هي الاساس الثاني مع حسن الادارة فاورث ذلك ما أشرنا اليه من أنموذج الغنى وتبعه ثروة الدولة التي هي بيت مال الاهالي بعد ان كانت منذ مدة ليست بطويلة في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية فذكر لي ان منذ نحو سبعين سنة كان لرجل منهم من أوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مليونا فرنكا واحتاج ان يفطر ولو بيضا وخبزا فلم يجد من يعامله ولو بالعشرين مليونا التي معه مع ان دين الدولة الآن الذي يدفع فائدة خمسة في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقدا فانظر عجيب الفرق بين الحالتين في المدة القريبة وأحوال البريد هي في أول درجة من الانتظام في هاته المملكة

برا

براً وبحراً ومواصلة الطرق الحديدية والصناعية مع عجلات حمل الاثقال المختلفة الاشكال مع المتانة والحسن زادت التجارة رواجاً بحيث ان السلع وغيرها لا تحمل الا على العجلات وفي المدن العظيمة لا تجرها الا الخيل السابقة او البغال بقلة وسفن البريد تصل الى أقصى ممالك المشرق والمغرب ومما يحسن ايراده عنوانا عما عندهم من الغنى ان الحكومة المصرية مدة ولاية خديويها اسمعيل باشا باعت سهامها من خليج السويس لدولة انكلاتيره بمائة مليون فرنكا فكثر في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفا من استيلاء انكلاتيره على الخليج المذكور واهتزت لذلك فرانسا أزيد مما سواها فذكرت احدى صحفهم يوما ان روشيلد أحد الصرافين الكبار المشهور بالغنى قد أعطى لصهره اذ ذاك مائة مليون فرنكا وخمسة وعشرين مليونا مهرا بنته ثم ذكرت على وجه التحمس والدعابة بان البائع لو خطب هاته البنت لولده وزوجها به لاخذ مائة مليون لحاجته وزاد بها خمسة وعشرين مليونا مع بقاء السهام على ملكه وراحة العالم من التشويش والاضطراب

مطلب

﴿في الاحكام﴾

(الاحكام) في فرانسا أصولها هي المذكورة في ايطاليا الان القانون الاصلي في ذلك هو قانون نابليون الاول امبراطور الفرانسيس وانما بينهم بعض خلافات مبنية على اختلاف العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية ولا ساطة لها ته عليها بالمرة ودونك مثلا لذلك وهو ان رستان الذي كان قنسلا لفرانسا وسعى في الانقلابات التي حدثت في تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرانسا كثير من رجالهم في المجامع العامة وكذلك تكلمت ضدهم جملة صحف خبرية فرانساوية وغيرها وأشد الصحف مضادة الى رستان وأعماله صحيفة لانترانسيجان التي يطبع منها يوميا ١٥٠٥٣١ نسخة وصاحبها هو الرجل الشهير رشفور الفرانساوي وقدح في عرض رستان في المال والسياسة وصار الكلام معه رنة عظيمة حيث جعل استيلاء فرانسا على تونس كان لفوائد خصوصية مالية لمن سعى في ذلك ولمن أعان وكان رستان أشد تهمة فاراد رستان تبرئة نفسه باقامة الدعوى على صاحب الصحيفة لدى مجلس الحكم وترافعوا وأدلى كل منهما بما توصل اليه من الحجج وكانت عدة رجال من الدولة الفرانساوية في الانتصار الى رستان حتى الوزراء السابقون

فى الخارجية شهدواله بانه منفذ لاوامرهم ولم يتحقق عندهم مايدعى به عليه ومثلهم المنتصبون فى الوزارة وحاولوا استطاعتهم فى نصرته لكن الحق بدا وغلب واعمل مجلس الحكم لاهواء أحد وحكم على رستان وألزمه بأدائه صارف التحاكم وبذلك صحت مقالات الصحيفة المشار اليها وخرج صاحبها اصادقا منصورا وقد ترجمت جميع جلسات مجلس الحكم المشار اليه وأفردت بالطبع حتى باللسان العربى وبالاطلاع على ذلك الكتاب يتأيد جميع ماذكرناه فى الاحوال التونسية وأسباب اختلالها ويتأيد ماذكرناه فى السياسة الخارجية لفرانسا وفى السياسة الخارجية لتونس وماذكرناه هنا من انفراد ادارة الاحكام عن ادارة السياسة سيما بعد ارجاع رستان المذكور لوظيفته فى تونس بعد تلك المحاكمة مما يشهد لما قلناه فى مباحث السياسة من أن سياستهم الخارجية ليست هى كانصافهم فيما بينهم فى داخليتهم وهو مما يحقق أن الرجال المنتخبين للاحكام انما يكونون من أعف الموجودين وأنصفهم لاتميل بهم الاهواء عن الاستقامة غيران هذا هو الاغلب لاسيما فى المدن العظيمة وفى المجالس الانتهائية (وأما) غيرهم فالارتشاء بينهم فاحش يكاد أن يكون مثل مايصفون هم به حكام المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم أيسر بما لهم من اباحة خلطة النساء فالمعطى للرشا يجعل الوسائل للتوصل الى احدى النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشيها فتبلغه قصده بنفوذها بسبب قرابة أو وداد أوغير ذلك لدى الحاكم وربما أوصلت اليه حصة من الرشا وعلى تقدير الاكتفاء بما أخذته هى فهو أيضا رشا للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التى انتفعت منها من يريد نفعها وبهاته الوسيلة تكون خصلة الرشاء عندهم مستورة نوعا مالان ظهورها يوجب العقاب الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشفاعة عندهم ومع ذلك يوجد فى هؤلاء أيضا كثير متعففين وقد حضرت يوما فى مجلس الحكم لرؤية هيئة الاحكام والحكام فى باريس فاذا هو بيت كبير مستطيل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للمتوظفين وباب للخصوم وفى صدره مصطبة عالية عليها ثلاث كراسى وأمامها مائدة مستطيلة عليها لكل كرسى دواة وأقلام وورق وعن يمين تلك الكراسى كرسى طويل يجلس عليه أزيد من عشرين شخصا وعن شمالها باب وأمامها فى نحو نصف البيت درابزين حائلة بين المتفرجين والخصوم وللمتفرجين كراسى يجلسون عليها وبقرب الكراسى التى فى الصدر كراسى سفلية أحدها لرئيس الكتاب والثانى لوكيل الحق العمومى الذى رتبته رتبة محتسب عام على الحقوق وله اعتبار كاعتبار رئيس المجلس وبعد هنيهة من دخول المتفرجين خرج من

الباب

الباب الذى على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لابس جبة طويلة بأكمام واسعة حمراء وعلى أكتافه منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعر أبيض عارية له ذنب معقود على قفاهم فوقف لهم الحاضرون وأومأ الرئيس بالسلام لهم ثم جلس الرئيس على الكرسى الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل الحقوق والكاتب على مرتبته ولكل منهم أيضا زى خاص يشبه زى الرئيس والاعضاء ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى ولكل منهم مثل ذلك الزى ثم دخل من باب خاص جمع من الناس باللباس المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسى الطويل وهم الجورى فتكلم الرئيس بالسؤال عن حضور شاهد فأحضر واقفا خلف أمامهم ثم أدى شهادته وبعد سكوته شاور الرئيس والاعضاء ثم خاطبه الرئيس لائما عن عدم حضوره فى اليوم المعين له ومعلما له بما يجب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بالوحدة فأعلمه بلزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال ان الشاهد مسكنه فى المحل الفلانى وهو غريب وفقير عاجز عن اكراء من يستعين به فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم الحكم عن مخالفة القانون ثم شاور العضو الذى عن يمينه ثم الذى عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف وانه ان عاد لمثلها أجرى عليه الحكم وانصرف ثم قام الرئيس والاعضاء ودخلوا من ذلك الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد نحو ربع ساعة خرجوا وأحضروا المحكوم عليه مع أحد أعوان الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجانى ثم التفت الى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم الجورى وسألهم عما ظهر لهم فوافقوه وانصرفوا جميعا وخرج المتفرجون اذ لم يكن ذلك اليوم الا تلك النازلة وقد أفهمنى وكيل الحق العام أن الحكم كان مهيأ من قبل لتمام النصاب بدون ذلك الشاهد غير أنه لما حضر تمم شهادته والمحكوم عليه جانى بتزوير السكة وكان جميع من حضر سكوتا بغاية التوقير للمجلس وذلك الشعر الذى يضعونه عارية على رؤسهم الاصل فيه ان الملك لويس الرابع عشر كان ردىء الشعر فاتخذ له عارية وكان اذ ذاك شيخا فاقتدت به أماثل البلاد وسرت منهم الى غيرهم من الامم وان قل استعمالها الآن الا فى المواكب الحافلة والقضاة ومن أهم ما يذكر فى أحوال الادارة الحكمية تنبيه الضابطية وهم الحارسون للبلدان وشدة تنقيرهم وبحثهم ومراقبتهم حتى يتمكنوا بسهولة على الجناة ومع هاتيك المراقبة والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البليغ من الجناة لكى يتوصلوا الى غاياتهم وكثيرا ما يبلغون المرام لكنهم أيضا كثيرا ما تنكشف أمرهم الضابطية وتتمكن منهم فقد ذكر ان

أحد الصيارفة الكبار فى باريس كان جالسا يوما فى محله واذا برئيس ضابطية باريس قد جاءه فاكرم مقدمه ورحب به فاخبره الرئيس انه محتاج لمبلغ وافر من المال لبعض المصالح غير انه لا يريد افشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليقرضه لمدة قصيرة اياما الضرورة المصلحة عاجلا مع رجوعها المتعلقات وظيفته فاقرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الاجل ولم يأت المال لصاحبه فبعد ثالث يوم ذهب الصيرفى بنفسه الى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انتظره الرئيس فيما يقول لانه من العادات المتأكدة عندهم ان الزائر لا يؤخر الكلام فى مقصد زيارته ولا يخوض فى الفضول سيما لاصحاب الوظائف لان الزمان مقسم كما انه لا يدخل عليهم اثنان معا الدس بينهما علاقة فى نازلة واحدة لكن الصيرفى اعتمد على علم الرئيس فيما هو مطلوب فيه ولم يذكر له شيأ فلما مضت بعض دقائق سأله الرئيس ما هى حاجتك فتعجب الصيرفى وقال انها ذلك المال الذى أتيت اليه بنفسك ولذا لم أرسل لك غيرى فاستغرب الرئيس فى سره وتلطف فى السؤال بقوله ذكرنى النازلة لانه علم أن الصيرفى من كبار الاغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه انه لم يذهب اليه فعلم أنه لا بد للامر من واقعة فبين له الصيرفى ما وقع منه الى أن قال له وكتبت خط يدك ففكر مليا وطلب منه التمهل بعض ايام أخر من غير كشف للسر الى أن يقع الخلاص نفرج الصيرفى أيضا مفكرا فيما رأى من الرئيس وفى نفس الجواب لان ذلك مخالف لعادة الاقراضات ثم ان الرئيس أعمل فكره بان النازلة لا بد انها وقع فيها احتيال على الرجل من انسان مشابه للرئيس ثم دعا ضابط مركز الضابطية الذى بقرب دار الصيرفى وسأله هل رأيتنى منذ كذا يوما قدمت الى ناحيتكم فقال نعم فقال فى أى وقت فبين له الوقت وهيئة الركوب بانها على الوجه الرسمى من الابهة والملابس والعجلة فازداد تحققا لارتكاب الحيلة ثم سأله والى اين ذهبت فاجابه بانه ذهب لدار الصيرفى الفلانى وبقى عنده حصة كذا ثم خرج من عنده متوجها الى الجهة الفلانية فدعا الرئيس ضابط الجهة التى عينها الضابط الاول وأخبره بمثل ذلك وانه ذهب الى جهة كذا فدعا ضابطها أيضا وهكذا تتبع الحال الى ان أخبره الاخير بانك دخلت الدار الفلانى ثم رجعت العجلة خاوية وبقيت أنت هنالك ولم تخرج باللباس الرسمى فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لان كل محل سكن فيه انسان لا بد وان يقيد اسمه عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل المسافرين واحضر الناس الذى سكنوا فى الوقت المعين فى تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه

يشبه الرئيس فى الذات والوجه فدعاه منفردا وقال له أين المال الذى أخذته باسمى وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك عن غير ارادتك كما أظهرتك أنت فلم يسعه الا الاقرار به ورجع الرئيس المال الى صاحبه معلما له بانه لم يستقرض منه وانه احتيل عليه فى ذلك ولهم من أمثال هاته الاحتيالات فى السرقات أمور كثيرة وساعدهم على ذلك تيسر احضار الوسائل مثل ما مر فى كون السارق تيسر له لبس مثل لبس رئيس الضابطية ووجد أيضا عجلة ذات أبهة وخدمة مثل عجلة الرئيس الى غير ذلك لان تلك الامور موجودة بسهولة كراء وشراء ولا منع من استعمالها الا ما كان منها من مشارات الحكومة العلية أو غيرها فانه اذا كشف على المزور يعاقب ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا بل وكثير من النساء يخرج بدون حمل سلاح صغير خفى كالحديد فى وسط عصا الاتكاء وكالطبانجة ذات الطلقات المتعددة موضوعة فى الجيب الى غير ذلك وهذا جار حتى فى نفس باريس وقد كنت مارا ليلة فى عجلة مع أحد الوجوه ومع زوجه ذاهبين لدعوة عند فرديناند لسبس فاتح خليج السويس فسألتنى المرأة عن نوع السلاح الذى معى فاجبتها متعجبا بانى ليس معى سلاح وما الحاجة اليه وانا فى وسط باريس فقالت هى وزوجها لا بد من حمل شئ فان الوقائع فى باريس تحير الافكار ولذلك لا يخلو أسبوع بل وأقل منه بدون وجود مقتولين سيما فى نهر السين فانهم يجدون فى الشباك الموضوع فى أسفل النهر خارج باريس كثيرا من جثث المقتولين اما بقتل غيرهم أو بقتل أنفسهم وذلك لان كثيرا من الاهالى من يقتل نفسه لتسخط من أمر دنيوى غير ان هذا التخوف فى باريس لا يقع فى الطرق الشهيرة كالشانزى لزى والبلفار لكثرة المارة بها ومن عوائد حكامهم اغضاء النظر عن الزنى بحيث ان المومسات يتبرجن جهرة بلا معارض ولهن ديار تجمع اعدادا وافرة ودبار لا بقاء الزنى الذين تلقيهم امهاتهم وأ كثر التجاهر به فى باريس ودونك شاهدا على تفاحشه فقد حرر عدد النفوس سنة ١٢٩٧ ﻫ ١٨٨٠ م فكان المتزايد فى سائر فرانسا ٩٢٠١١٧ مولودا منهم ابناء زنا ٦٨٢٢٠ مولودا .

مطلب

﴿فى المعارف﴾

(اعلم) أن المعارف الدنيوية فى فرانسا قد تناهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

وماتقدم فى أحوال باريس ومافيها من المكاتب والكتب وجمعيات الفنون والحث عليها كاف فى بيان ارتقاء تلك الفنون فى فرانسا حتى أقر لها بذلك سائر الامم فى أروبا وصار واعيالا عليها فى كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومقدماته فان المعالجة بالمعادن بمجرد اللمس التى ذكرنا طرفا منها فى الباب الاول عند ذكر معالجة مرضى كان اطلع عليها أحد الاطباء الكيمياويين من النمسا ولكنه لم تقبل منه حتى قدم الى باريس واطلع عليها الحكيم شاركو وبعد تجربته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر أمرها وتعاطتها الاطباء فى سائر الاقطار ومن أسباب الترقى فى المعارف عموما صناعة الطبع وقد تقدم فيها الفرانساويون الى الذروة القصوى وعندهم من الصحف الخبرية السياسية فقط مما يطبع فى مدينة باريس وحدها يوميا ستة وخمسون صحيفة يخرج من مجموعها يوميا ١٠ ١١ر١٩٤٣را نسخة وهى منقسمة الى أحزاب السياسة فمن صحيفة واحدة تسمى لبتى جرنال يطبع يوميا ٨٢٠ر٨٣ر٥ نسخة وماعداها أقل كل على قدر رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون ان تكون عنده صحيفة يومية يقرأها وقد أطنب الاطناب الحسن فى بيان تقسيم العلوم وترتيب اقرائها وافادتها العلامة رفاعة بك رحمه الله ونعمه فمن أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمراجعة رحلة المذكور الى أروبا

والحاصل ان الفرانساويين يحصلون على الدرجة العليا فى المعارف الدنياوية ولهم اعتناء بسائر الفنون فيترجمون الى لغتهم كل كتاب فى فن غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات الاجنبية واللغات القديمة التى لم يبق من يعرفها وتوصلوا الى معرفة خطوطها بوسائل جيدة لكن مما ينبغى علمه أن مدرسيهم فى الفنون التى يقصرون فيها يستعوضون قصورهم بسالهم براعة فيه فترى مدرس العربية مثلا يخرج بادنى مناسبة لفظية الى علم الجغرافية ثم الى علم الاقتصاد السياسى ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيميا ثم وثم الى أن ينقضى الزمان من غير ان يفيد حقيقة المقصود من بلاغة بيت شعر أو مثل مما هو موضوع البحث وتخرج تلامذته معجبين من براعة شيخهم وانه علامة العربية مع انه لا يعرف مزية تقديم المسند أو المسند اليه بل معادات الضمائر لا يحسنها فضلا عن الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغلط من العموم بظن تحصيلهم حقيقة للغة العربية وقل جدا من يحسنها مع أن فيهم المتفاخرين بعلم الترجمة بل والمدعين بالتاليف فيها ثم ان التعاليم لها مكاتب على طبقات ابتدائية ووسطى وانتهائية وعليا فالطبقة (الاولى) لا تكاد تجد قرية خالية عنها والثانية والثالثة انما توجد فى المدن الكبيرة

الكبيرة كمرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد الا في باريس واليها تأوي التلامذة بعد استكمال معارفهم على ان الاثرين يؤثرون التعليم من البداية في باريس بل ولا يختص هذا باهل فرانسا فان الكثير من ممالك المشرق وبعض غيرها يرسلون ابناءهم للتعلم بها وفضلا عن الفخر بالعلم يفتخر بالتعلم بها وهي جديرة بذلك لولا طيش في اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم عن الطور والادب الداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاعة والاطلاق والنفوس مائلة الى الخبائث نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترقي المعارف كثرة الكتب وسهولة التوصل اليها ففي فرانسا ٥٠٠ مكتبة تحتوي على ٤ر٥٩٨ر٠٠٠ كتابا من الكتب المطبوعة و ١٣٥ر٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامة في باريس هي أكبر الجميع ففيها ٣ر٠٧٨ر٠٠٠ مجلدا

مطلب

﴿في الصنائع﴾

(الصنائع) في فرانسا مضاهية لما فيها من المعارف والفلاحة فهي متقدمة للغاية علما وعملا بحيث ان لها مدارس عديدة تأوي اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علومها بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحوي من آلات العمل وآلات العلوم الآلية للفلاحة كالطبيعيات جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع بحيث أن مصنوعاتها متقنة ظريفة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار لظرفها وتحسينها ورونقها وان كانت بعض الاقطار أمتن صناعة وفرانسا جامعة لكل الصنائع المعروفة في العالم حتى الخزف الصيني والمنسوجات الكشميرية يقلدعلها في فرانسا ويؤتى بالمصنوع مشابها للاصل وقد برعوا في الآلات بانواعها سيما الكهربائية وقد خصوا لها معرضا سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م لامتحان ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م آلات غريبة كهربائية منها آلة يمكن بها رؤية ما في داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من الصطيك وطرفها زجاج وتدخل في الحلق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحلق مقابل المعدة مرآة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلها ثم يدخل في القناة سلك معدني لين الى ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج أسلاك الكهربائية المضيئة فيضيء السلك في المعدة من غير احراق ويرتسم خيال المعدة بما فيها في المرآة

العليا ويرتسم مثله منها فى المرآة التى على اللسان وينظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يريد وبمثل ذلك ينظر فى الرحم وداخل الاذن والحلق ورأيتهم بصدد تجربة نقل الاثقال بالكهربا وأرونى آلة صغيرة تغلب قوة الانسان الجيد اذا كان قابضا يديه تفتحهما والعكس باسرع وقت فلا يبعد ان تطال تلك الآلة على طريق مناسب وينقل بها الاشياء من مكان الى آخر وان بعد ام تدبير حفظ الجسم من خرق الهواء فى السرعة المحرقة وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سير رتل صغير للتجربة بالكهربا على وجه آخر كما ذكرنا فى أحوال ايطاليا ورأيت فى باريس أيضا مساسك مصورة باشكال حيوانات تحرك أعضاؤها وعيونها بالكهربا مع صغر جرمها حتى يوضع المساك من الذهب فى رأس المرأة والآلة الكهربائية تخفى فى الشعر ويرى الحيوان متحركا ومنه صورة فراش بالوانه البديعة من أحجار الزمرد والياقوت الاحمر والابيض وغير ذلك من الاحجار الكريمة المطابقة لالوان أجنحة الفراش وهو يخفق باجنحته الاربع فوق الرأس بالكهربا وهو غريب بديع جدا

مطلب

﴿فى هيئة المساكن والطرقات﴾

قد تقدم فى ايطاليا الهيئة العامة فى المساكن وهاتيك الهيئة بنفسها هى التى عليها العمل فى فرانسا غير أن باريس وحدها تزيد رونقا عما احتوت عليه من كثرة الطرقات المتسعة جدا وبكثرة التنظيف والتنوير فى الليل كما انها تختص بان بعض طرقها مستعوض عن تبليطه أو تحصيبه بطليه بنوع صمغى يسمى اسفالت بحيث يكون بعد الجفاف رخوا فاذا مرت عليه العجلات لا تسمع لها الا همسا وتسمع قرع حوافر الخيل على الارض كالتصفيق المغطوط مع مزيد الهدو للركاب حتى كأن العجلة لا تحرك فتلك الطرق مروحة جدا غير انها لم تعم لانها فى الصيف تفشو منها رائحة كريهة ولانها فى الطرق الكثيرة المرور تعطب فيها العجلات المارة بسبب عدم سماع حركتها وامكان الغفلة عن العجلة هذا (وأما) عموم البلاد والقرى فان لكل منها مجلسا بلديا دأبه التحسين والتنوير فى الليل بالبخار الغازى أو زيت النفط وهو قليل الاستعمال أو بالكهربا وهى أيضا لم يزل التنوير بها قليلا ولكنك لا تجد قرية غير منورة الطرق أو غير محسنتها على حسب اقتدار الاهالى فضلا عن المدن والامصار وكل طريق مسمى

باسم

باسمه مكتوب على مبدئه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طرق الحديد يوجد منها كثير
حتى صارت فرانسا مرتبطة جميع الاطراف والاواسط ببعضها وعلى حافتى الطريق
اخشاب شاخصة مربوط بها اسلاك حديدية علامة على حرم الطريق لكى لا يجتازه
الناس ولا حيواناتهم ولازالوا مجتهدين فى تكثير هاته الطرق الحديدية ثم ان مساكن
الجهات الشمالية أحكم استعدادا للبرد من الجهات الجنوبية وان كان لهاته أيضا نصيب
وافر منها بحيث لا تجد بيتا فى الجميع بدون موقد اما للحطب أو للفحم المعدنى أو البخار
الغازى بل وبعضهم يطبخون بهذا البخار وقد مر ان فى باريس اخترعوا التدفئة للديار من
مركز عام فى البلد ثم ان سائر الديار لا يبلط منها بالرخام أو غيره من الاحجار الا الدرج
والمجازات الخارجة (وأما) بقية البيوت والمقاصير فانها مبلطة بالخشب المتين وتحسينه
وزخرفته تتبع لحالة الدار وكل الطواقى التى هى مثل الأبواب فى الارتفاع والانتهاء
الى الارض لها أبواب من خشب منجور ولها أبواب نحو ثلثها الاسفل خشب وثلثيها
العلويين ذوى أطباق من الزجاج وأكثر الطواقى لها مع ذلك أيضا أبواب من أضلاع
الخشب المنجور مقصبة يحرك تقصيبها وكل تلك الابواب ذو دفتين ينفتحان يمينا وشمالا
(وأما الحمامات) فهى عبارة عن ديار ذات مجازات طويلة بها عدة مقاصير صغيرة
كل منها يحتوى على حوض من معدن أو حجر له منفذ من أسفل يخرج منه الماء الوسخ
وله أنبوبان للماء الحار والبارد وتحتوى على كرسى ومصطبة ومرآة ومشط وأرضها
مفروشة بزرابى والاغتسال انما هو فى الحوض وكل الاهالى يعتنى بتنظيم مفروشات بيته
على قدر سعته والاغنياء لهم ترف زائد فى الاثاث والتحف وفى المدن الكبيرة يقيمون
اسواقا فى يوم خاص من كل اسبوع فى الحارات المتطرفة وحوانيته من خشب أو كتان
تنصب فى الطرق الواسعة وترفع فى يومها يباع بها أنواع الاكل من لحم وبقول وفواكه
وبعض تحف وثياب يشترى منها أهل تلك الحارات كما يلزمهم للاسبوع

مطلب

﴿فى اللبس﴾

اللبس فى فرانسا وفى ايطاليا سواء عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمى والعسكرى
الا بعض شارات والوان فى الملبوسات تختلف بينهم (اما أصل) الهيئة فواحدة وحيث
كانت الرفاهية فى الفرانسا وين أزيد فتجد نساءهم أكثر تبدلا فى لون اللباس وشكله

ورفعته على الجملة كما انهن أزيد ايضا فى وضع دقيق أبيض وادهان أخرى على وجوههن قصد التزين وان كان ذلك يورث فسادا فى البشرة وأكثر ذلك العمل فى نساء باريس وتراهن يتفاخرن بالنحول واصفرار اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر أو العشق وكلاهما ممدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستدعى المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائط كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة البيوتات فى المحافل يذرون على رؤسهم غبارا أبيض والاصل فيه ان بعض المغنين كانوا يغنون فى موسم صان جرمان بخارج باريس وبهم قرع فبيضوا رؤسهم ليضحكوا الناس فتدرجت العادة شيأ فشيأ الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم فى سنة ١٧٩٠ جعلت عليه ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

مطلب

﴿فى الاكل﴾

هيئة الاكل فى فرانسا هى الموجودة فى ايطاليا على السواء وكذلك المأكولات سواء غير ان طعام الفرانسيس أكثر أشكالا وألذ طعما لجعلهم الابزرة فى الطبخ أحسن من الطاليان ولذلك تجد لطعامهم رائحة لذيذة مثل رائحة طعام العرب (وفى المدن) توجد انواع الخبز على مراتب شتى ولهم نوع يؤكل صباحا مع اللبن والزبدة جيد جدا صنعة وصفاء وطبخا وفى خصوص باريس جميع أنواع الاطعمة المتداولة بين الامم الشهيرة وان كانت بأثمان غالية فقد أخبرت فيها بوجود مطبخ خاص باطعمة الترك والعرب وأوتيت منه بصحن كبير مملوا كسكسوا بلحم الدجاج وصحن آخر بالبسامية المعروفة فى تونس بالقناوية وثمنهما مع أجرة الحمل اثنان وأربعون فرنكا وهما يكفيان لشبع ستة أنفس طبخهما الذين على نحو الاصل كما انك تجد فيها جميع الغلال من جميع الاقطار لاى وقت كان بل قد أتوا بعشوش نوع من الخطاف فى الهند والصين يصنع عشه بنبات بحرى ويطبخونه ويأكلونه أعنى ذات العش بما احتوى عليه من زرق افراخ الخطاف ويستلذونه ويمدحونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستلذونها ايضا بحيث يصح ان يقال انهم يأكلون كلما يؤكل ولا يكون قتالا أو مضرا عاجلا غير ان الاكل العام هو الدقيق من القمح ولحم البقر وللفقراء لحم الخيل أيضا والضان أقل استعمالا من البقر وفى القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقراء أكثر استعمالا للخنزير

من

من الاغنياء والاكل فى القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش باختلاط الاشياء المضرة كالقهوة مثلا لاتكاد تجد قهوة فى باريس مطبوخة غير مخلوطة بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخبز فى بيوتهم ولا يدخرون الاقوات وكل شئ يشترى من السوق يوميا الا قليلا من السكر ونحوه ويشترى اسبوعيا أوشهريا والسلحوم المشوية أو المقلية يجعلون فى نوع منها قطعا صغيرة من شحم الخنزير بحيث يشاهد عيانا كالمسامير فى اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها نحو رداء من الشحم المذكور كما يجعلونه أحيانا فى بعض أنواع المرق فى ألوان الطعام الذى يكون مع اللحم شئ من المرق وكيفية الذكاة فى أوروبا عموما حسبما علمت ان البقر بعد ان يربط من قرونه يمينا وشمالا ومن ارجله أيضا حتى لا يستطيع الحراك وهو واقف يضرب على جبهته بمطرقة عظيمة من الحديد ضربة أو اثنتين حتى يغمى عليه فيذبح ويجمع دمه ليعمل منه نوع من الاكل فى المصارين وبعضهم يكتفى بالقتل بالضرب على الرأس لكنه نادر وقد أبطل فى ايطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع غير المذبوح (وأما الغنم) وشبهها فتذبح ابتداء (وأما الطيور) فالاوز ودجاج الهند وأشباهها مما هو طويل العنق فيذبح ذبحا (وأما الدجاج) فيجذب عنقه الى ان ينقطع النخاع فيموت و ينحصر الدم نحو الدماغ فيجمد ويؤكل على حدة (وأما الحمام) فالاكثر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت واذا تقرر هذا فلنذكر حكم طعامهم شرعا فطعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات المحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أى التى هى حلال عندنا وانما يتوقف أكلها على التذكية واما ان يكون من غير ذلك من المأكولات كالنباتات والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لعادة كسائر المآكل المعتادة أو يتخذ لعبادة كالمتخذ لخصوص أعياد أو متخذ لخصوص هدية لمسلم فهذه تسع صور حاصلة من ضرب ثلاث فى ثلاث وكل منها اما ان يكون محققا العين أو مشكوكا فيه فتصير ثمانى عشرة صورة وها أنا أذكرها اجمالا مع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

١ الخنزير وشبهه محققا العادة حرام ١ هـ	٢ هو العبادة محققا حرام ٢ هـ	٣ هو الهدية محققا حرام ٣ هـ	٤ مشكوك فيه لعبادة مكروه ١ هـ
٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ هـ	٦ مشكوك فيه لعادة مباح ١ حـ	٧ المأكولات غير المذكاة محققة للعادة مباحة ٢ حـ	٨ هي محققة لهدية مباحة ٣ حـ
٩ هي محققة لعبادة مكروهة ٣ هـ	١٠ هي مشكوك فيها العادة مباحة ٤ حـ	١١ هي مشكوك فيها الهدية مباحة ٥ حـ	١٢ هي مشكوك فيها العبادة مكروهة ٤ هـ
١٣ اللحوم المذكاة محققة للعادة مباحة ٦ حـ	١٤ هي محققة لعبادة مكروهة ٥ هـ	١٥ هي محققة لهدية مكروهة ٦ هـ	١٦ هي مشكوكة للعادة مباحة ٧ حـ
١ — م	١٧ هي مشكوكة لعبادة مكروهة ٧ هـ	١٨ هي مشكوكة لهدية مكروهة ٨ هـ	١ — م

فاما

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الاول فهو واضح لحرمة تلك الاعيان بالنص ولا حاجة الى بسطه لمعلوميته للجميع ولما كانت أحكام الشرع كلها مناطة بحكمة فما ادركناه قلنا انه معقول وما لا قلنا انه تعبدى مع العلم بانه فيه مصلحة لما التنزه البارى تعالى عن الاحتياج وانما قصور عقولنا أوجب عدم الادراك ومهما بحثنا ودققنا النظر الازددنا خبرة وبصارة بحكم الشرع فمن ذلك القبيل ما اكتشف بالنظارات المكبرة والتحليلات الكيمياوية من ان فى لحم الخنزير حيوانات مضرة تورث أمراضا معضلة جدا وتلك الحيوانات منتشرة فى لحمه لا تموت بالطبخ ولا بغيره فاذا أكل لحم الخنزير سرت تلك الحيوانات فى دم آكله وأضرته وأهالى أوروبا اكتشفوا ذلك واحتمى كثير منهم عن أكله (فنحمد الله) على شرعنا القويم ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (واما دليل) مسائل الكراهة الثمانية وهى ٤ و ٥ و ٩ ❋
و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الحلية اما بأصل الاباحة فى غير المذكى أو باباحة طعامهم فى المذكى على ما سيأتى وانما أتت الكراهة من حيث الاشعار بالتعظيم لشعائر الكفر فى المتخذ للاعياد وكلما أشعر بذلك مكروه (أما) اذا قصد التعظيم فينتقل الحكم الى الكفر والعياذ بالله والمشكوك داخل فى ذلك كما سنوضحه والكراهة فى المذكى المتخذ للهدية جاءت من الخلاف فى حليتها حيث قال بعض العلماء ان النص دال على حلية طعامهم وما يتخذ للهدية لمسلم ليس بطعام لاهل الكتاب فلا يشمله النص وهذا القول وان لم يكن هو المعتمد عند غالب العلماء لكن مراعاته توجب كراهة التنزيه على ان لقائل ان يقول ان أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة التى أهدتها اليه يهودية دليل على الاباحة وشمول النص للهدية فتنتفى الكراهة وهو مقتضى اطلاق النصوص الفقهية عندنا كما يأتى (وأما دليل) الاباحة ❋
للمسائل السبعة وهى ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فما كان منها من غير ما يذكى فهو مباح بأصل الاباحة العامة لان كل ما لا تذكية له لا يتوقف على شئ مبيح سواء عدم المضرة والطهارة فهو من المسلم وغيره على السواء والاصل الطهارة حتى يتحقق النجاسة والشك فى كونهم لا يتحرون من النجاسة غير عامل كما كما صرح به شيخ الاسلام بيرم الرابع فى جواب سؤال عن جواز التيمم فى بلاد الحرب للشك فى مياههم وأوانيهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله مبنى على نجاسة مياه أولئك القوم وأوانيهم بذلك ومجرد احتمال عدم التوقى غير مقتض

الى الجزم بالنجاسة بل لابد من تحققها أو غلبة الظن بها ومن ثم جاز تناول طعام أهل الكتاب واستعمال أوانيهم ولبس الثياب المجلوبة من بلاد الكفر بل المشتراة منهم بعد لبسهم لها كل ذلك حملا على الاصل الذى هو الطهارة حتى يثبت ضدها الخ وفى حواشى الدر للسيد ابن عابدين (رضى الله عنه) من كتاب الذبائح مانصه أقول وفى بلاد الدروز كثير من النصارى فاذا جيء بالقريشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل مالم يعلم أنها معمولة بأنفحة ذبيحة درزى والا فقد تعمل بغير أنفحة وقد يذبح الذبيحة نصرانى تأمل الخ والاصل فى هذا ماصرح به فى قواعد الاشباه من قاعدة اليقين لا يزول بالشك والمتيقن فى أصل الاشياء الطهارة فلا تزول بالشك فى المطعومات التى ليست محل للتذكية ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضى الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذى يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يعمل بأنفحة الخنازير فقال أما أنا فلا أحرم حلالا (وأما) ان كرهه الانسان فى نفسه فلا أرى بذلك بأسا فأنت ترى تصريحه بالحلية وتبريه من التحريم وانما جعل اجتنابه من الورع وهذا فى المذكى فما بالك بغيره ولا يرد على هذا قاعدة اذا اختلط الحرام والحلال غلب الحرام الحلال المذكورة فى الاشتباه لان ذلك فيما اذا تيقن وجود الحرام كاختلاط أشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود غير أنه ليس معلوما بعينه واستويا أو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة للجميع أما اذا كان الطاهر أكثر فيتحرى ويستعمل ماغلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها كون الذات المعينة التى أصلها الطهارة وقع الشك فيها هل طرأت عليها النجاسة أم لا (وأما ما كان) من مسائل الاباحة مما لايحل أكله الا بالتذكية (فالدليل) على الحلية فيه ماذكر فى الدر فى كتاب الذبائح حيث قال وشرط كون الذابح مسلما حلالا خارج الحرم ان كان صيدا أو كتابيا ذميا أو حربيا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح الخ قال محشيه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع الخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به المسيح قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذى هو ثالث ثلاثة حاشا اه لله هندية وأفاد أنه يؤكل اذا جاء به مذبوحا عناية كما اذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله وحده والذى علمناه من حالهم الآن انهم لا يسمون شيأ بل واللحم يوجد فى بلاد أغلب أهلها متدينون بالنصرانية سيما فقرائهم كالقصابين وفى مثل ذلك يحمل على حالة الجواز لما قال فى الدر فى آخر الحظر والاباحة من قوله فعلم ان العلم بكون الذابح أهلا للذكاة ليس بشرط الخ ويؤيده تصريح محشيه فيما نقلناه سابقا فى مسئلة القريشة والجبن بل وسيأتى النقل

النقل بجواز ما لم يسم عليه أو سمى غير الله تعالى اذا كان الذابح كتابيا وفي تنقيح الحامدية أول الذبائح ما نصه سئل في ذبيحة الذمي الكتابي هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم في ذلك ولا فرق في الكتابي بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا أو حربيا أو عربيا أو تغلبيا لاطلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال البخاري رحمه الله) في صحيحه (قال ابن عباس) رضي الله عنهما طعامهم ذبائحهم ولان مطلق الطعام غير المذكى يحل من أي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى وهذا اذا لم يسمع من الكتابي أنه سمى غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى وما أهل به لغير الله وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودي أن يكون اسرائيليا وفي النصراني أن لا يعتقد ان المسيح اله مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرائيلي وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك وكذا في المبسوط فانه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب ان اعتقدوا أن المسيح اله أو أن عزيرا اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن في مبسوط شمس الائمة وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل واطلاق الاية الجواز كما ذكره التمرتاشي في فتاواه والاولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم الا لضرورة كما حققه الكمال قال العلامة قاسم في رسائله قال الامام من دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه (وقد حكى) عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كتب اليه فيهم أو في أحدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية فقد علمنا أن النصارى فرق فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم أن بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم الا بخبر يلزم ولا نعلم في هذا خبرا فمن جمعته اليهودية والنصرانية فحكمه حكم واحد اهـ وعلى هذا النحو ما ذكر في الهندية وغيرها والسند للفقهاء في هذا الحكم وهو قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والذي رأيته في الكشاف والبيضاوي وروح البيان وتفسير أبي السعود والرازي يفيد ما ذكر في تفسير فتح البيان لسلطان بهوبال مع زيادات مفيدة في هذا فلنقتصر على ما ذكر فيه قال والحاصل ان حل الذبيحة تابع لحل المناكحة والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبائح وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبائح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل.

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وان كانوا لايذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هاته الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهر هذا ان ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودى على ذبيحته اسم العزير واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة ابن الصامت وابن عباس والزهرى وربيعة والشعبى ومكحول وقال على وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابى يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضا وما أهل به لغير الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم وسئل الشعبى وعطاء عنه فقالا لا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الطبرى وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد فى السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة المصلية التى أهدتها اليه اليهودية وهو فى الصحيح وكذلك جراب الشحم الذى أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان قال وقال القرطبى وجمهور الائمة ان ذبيحة كل نصرانى حلال سواء كان من بنى تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان مالا يحتاج الى الذكاة كالطعام يجوز أكله الخ فتحصل مما مر حلية المسائل السبعة المذكورة من الطعام وان الشك غير مؤثر فيها فان قلت قد ذكرت ان بعض الطيور يخنقونها ويأكلونها بلا ذبح وان بعض الاطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف الحكم فى ذلك (فالجواب) أما الطعام الذى يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو حرام بالنص على نجاسة ذاته كما مر وطريق الوصول الى التحقق اما برؤية ذاته من الآكل فيما نتبين فيه أو بغلبة الظن فى الالوان التى جرت العادة بوضعه فيها أو باخبار الطابخ أو المناول بان يسأله الآكل هل فى هذا شئ من لحم الخنزير أو شحمه فان أخبره بالوجود امتنع والا حل لان خبره مقبول فى المعاملات وان كان كافرا كما نص على ذلك فى كتاب الحظر والاباحة من دواوين الفقه وصوروها بقول الكافر اشتريت اللحم من كتابى فيحل أو من مجوسى فيحرم ومرجحوا بانه وان آل خبره الى ديانة يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولا عن حكم دينى كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال أو حرام لجهله بذلك بخلاف المعاملات وهذا السؤال انما هو على وجه الورع والا فالاصل فيما لم يتحقق فيه شئ من النجاسة هو الطهارة كما مر وينبغى ان يعلم انهم لا يقصدون الآن غش المسلم بأكله المحرم عليه كما يتوهم بعض العامة اذ عندهم الاخبار

بذلك

بذلك كقولهم هو لحم دجاج أو لحم أوز ولا يعنيهم أمر الحرمة والحل عند المسلم بل جمهورهم لا يدرى شيأ من ذلك (وأما) مسئلة الخنق فان كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وان كان لتحقق فلم أر حكم المسئلة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله انها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل فى مسئلة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا آية وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم آية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما أهل به لغير الله وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة فى طعام أهل الكتاب اذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا أبيح الاول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثانى وقد كنت رأيت رسالة *
لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبه بما يثلج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما اخبر به كثير من علمائهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين فى ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مرية فى الحلية على هاته المذاهب فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفى لغير مذهبه قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر فى الادلة وقلد الحنفى عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال انه لا يسوغ له ذلك وأما اذا كان من أهل التقليد البحت كما هو فى أهل زماننا فقد نصوا على جميع الائمة بالنسبة اليه سواء والعامى لا مذهب له وانما مذهبه مذهب مفتيه وقوله انا حنفى أو مالكى كقول الجاهل انا نحوى لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأى العلماء اقتدى فهو ناج على ان الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل فى تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط فى ذلك فى كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود فى شرح الاربعين حديثا النووية وألف فى ذلك رسالة عبد الرحيم المكى فليراجعهما من اراد الوقوف على التفصيل فان قيل قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصصا بالحلية أيضا بهاته الآية أى آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخنقة ولماذا تقيسها على مسئلة التسمية ولا تقيسها على مسئلة الخنزير وأى مرجح لذلك (فالجواب) ان المأكولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها فى جميع أطوارها وحالاتها (وأما) متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فان التحريم أتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب وانه حلال فاخرج منه محرم العين ضرورة وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان احدهما مسئلة التسمية والثانية مسئلة المخنقة فبقيتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا احداهما وهي مسئلة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسئلة المخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسئلة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة (وأما قياسها) على مسئلة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة وانما اطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل

مطلب

﴿في المواكب﴾

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أوروبا وما تشابهها وقد تقدم ذكر حالتها في ايطاليا فلا داعي لاعادتها هنا غير انه ربما يشكل على القاري شيء وهو ان فرانسا ليس لها الآن ملك فمن هو مناط المواكب الرسمية فاعلم ان دعواهم في الجمهورية انها خالية عن الملك هو أمر وهمي لان وظيفة الملك كانها أمر ضروري لا مندوحة عنه حتى وقع الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو السمع فقط واحتج القائلون بانه واجب سمعا بانا نجد أمما يعيشون على وجه ما من الاستقامة بدون ملك وكل ذلك أمر وهمي ولا مجال للخلاف في المسئلة اذ اقامة الملك أمر طبيعي لا تمكن الاستقامة بدونه وما ذكره المحتج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لانه معترف بان تلك الامم أو القبائل تنقاد الى رؤسائها فالخلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الممالك الآن لان من يقيمونه رئيسا لها ما هو في الحقيقة الا ملك عليهم لمدة معينة وتصرفه مقيد بحدود معينة فلا مندوحة لهم حينئذ عن الاقرار بوجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة الابهة والعظمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكله موجود عندهم فرئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه الى الملك من مراسم المواكب وغيرها غير انه أقل أبهة وضخامة من الملوك في اللبس والاعوان وأما بقية المواكب الاعتيادية فهي

كما

كما مر ذكره فى ايطاليا وقد دعونى فى سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من الجنرالات ماتا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م فى حرب الكومون أى الاشتراكيين فى باريس وكانت جثتهما مصبرة فى صناديق بكنيسة ليزان فاليد المدفون بها بونابارتى الاول وأعدوا لهما موكبا حافلا باحضارجم غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبجية بمدافعهم وقوفا فى البطحاء الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والميادين بالخلائق المتفرجين وامتلأ داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوانيسها موقودة والشموع الكثيرة مسرجة وكبار القسوس حول المعبد يرطنون بالحان ونغمات تعديدية تميل الى الحزن يتغنون واحدا فواحدا ولهم سكتات فى الوسط يضج فيها قوم من صغار القسوس جالسين فى رواشن عالية محيطة بداخل الكنيسة ويلحنون ترطينهم بانغام أيضا شبيهة بالسابقين وهكذا الى ختام أدعيتهم ثم حملوا الجنازتين المكسوتابوتهما بلباس أصحابهما الرسمى ووضعتا فى عجلات معدة لذلك مزينة بالازهار وتقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر بمدافعهم فى المقدمة ومن ورائهم الجنازتان ومن ورائهما بقية المشيعين ركوبا فى كراريس سود وسرج الخيول أسود والخيل سود ولباس الركاب أسود وذهبوا الى المقبرة وكانت المدافع تطلق بعد كل خمس دقائق كل ذلك اظهار الاعتناية بمن نفع وطنه منهم ترغيبا لمن يسلك ذلك المسلك وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملك الهانوفر الذى أدخلت مملكته دولة البروسيا فى مملكتها وفر هو وسكن فى باريس وهو شيخ مسن ولما مات حضرت جنازته امراء و وزراء المانيا وجعلت له دولة فرانسا أبهة على نحو ما تقدم غيرانه أخرج من داره لا من الكنيسة ولقد تذكرت فى تلك الكنيسة عند ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول نبينا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر اوذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى يارسول الله قال ومن اهـ كما ورد ذلك فى الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلات فى الجوامع وتغنى المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالحان متناسبة وتلحين الخطباء والائمة فى القراءة والدعوات الى غير ذلك من البدع التى ما أنزل الله بها من سلطان وماهى الا ضلالة وافساد وزيادة ونقصان فى العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحيث كان أعظم المواكب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة نذكر ما وقع فى باريس فى رأس السنة الاعجمية الموافق لذى القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزاور عندهم

فيها الا انهم يكتفون عن اتعاب الزيارة بارسال أوراق الاسماء فيما بين المعارف وترسل بواسطة البريد أو حمالين معدين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحد قطعة من نحاس عليها عدد وساما من الحكومة بانه أمين مجازله في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وستون ألف ورقة عدا ما وزع بواسطة الحمالين وأرسلت الى أهالي باريس مكاتيب تهنئة من الخارج مليون وخمسمائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتيب المضمنة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبتها الغير المضمن نسبة واحد من مائة

مطلب

﴿في اللغة﴾

(اللغة) الفرانساوية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا لم يزالوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضها لمجرد مراعاة الاصل بدون فائدة أخرى ولا زالت في التهذيب والاعتناء بها ولها جمعيات علمية لتحسينها وضبطها وقد اشتهرت اشتهارا كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونابارتي الاول الى امبراطورية فرانسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الاروباوية على ان تكون هي اللغة المستعملة في المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة التكلم بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محررة مختصرة تحتاج في غيرها الى تطويل وابهام وذلك الاتفاق على اجرائها في الخطابات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان المانيا لما غلبت فرانسا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هاتيك المزية الى لسانها فلم توافقها انكلاتيره وقالت (اما) ان نبقى على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرانساوية (واما) ان كل دولة تخاطب بلسانها فابقي الوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة مالا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاستقرار على اللغة الفرانساوية التي مرماوقع فيهامن التحرير ومن اعتنائهم بلغتهم اعتناؤهم بالفصاحة فيها وارتجال الخطب المستطيلة أعني الخطب على النحو العربي الاصلي بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجامه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظهم لما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ منشآت غيرهم أو سردها من ورقة اذ هذا خلاف الاسلوب

العربي

العربي الاصلي وانما هو أي الاصلي استحضار معان مرتبة في فكرة الخطيب والقاؤها
عند الحاجة بالفاظ منسجمة فصيحة بليغة وذلك هو شأن كل أمة ترقت في سجايا الفخار
فالفرانساويون توجهوا لهذا المقصد أيضا وبلغوا فيه على حسب اصطلاح لغتهم الى
المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف أحدهم خطيبا يتكلم ساعتين وثلاثا بدون تلعثم
أو مراجعة سوى البطاقة أحيانا مكتوب بها رؤس النوازل التي يريد الخوض فيها وينتقل
من واحدة الى أخرى بربط المناسبات الى انتهاء مقصوده وقد يعترض له بعض اضداده
أفرادا ومجتمعين بالاستهزاء منه والسخرية من كلامه والرد عليه ولو بالضجيج وهو متثبت
في مسلكه ويجيب الراد عليه بالمناسبة لان أغلب ما تكون خطبهم في السياسة مع تنازع
الاحزاب فيها سيما في مجالس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المائدة أمام
منبره كاس بالماء والسكر والزهر لعله يجف لسانه من كثرة الكلام أو الغيظ هنا أصله
لكني رأيت من يتخذ الشرب منه آلة للتفكر ومهلة للتدبير فيما يقول حتى أكثر من
ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عيه والحاصل ان خطبهم الآن
تشبه خطب أسلافنا العرب في الصورة وتشبه الدروس المتقنة في اداتها من علمائنا
الفحول الآن مثلما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد النيفر الاكبر قدس الله
روحه اذ يستطيع الكاتب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيرة تأليفا جيدا وخطباء القوم
الآن يحضر مواطنهم كتاب عارفون باصطلاح مختصر في الكتابة حتى يحطوا بجميع
ما يقول الخطيب وأكثر الاسباب في طول خطبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها
سيما علم التاريخ فبأدنى مناسبة يذكر تاريخ أدنى شيء مبحوث عنه وما وقع فيه من قديم
الزمان وحديثه فلذلك كان فن التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعقول لان
الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علما بالتاريخ عرف الاسباب والدواعي
والنتايج والتخلصات والغلطات فيتبع في الحال الحسن ويجتنب المضر ويحترس بالتشاور
واجتماع الآراء وذلك هو مقدور البشر والله يفعل ما يريد وانما اجرى سبحانه عادته
بالصلاح اذا جرى العمل على حسب التدبير والامر الالهي باتخاذ الاسباب على مقتضى
حكمته لارب سواه ومن قواعدهم في اللغة ان يخاطبوا الانسان بدون تلقيبه بالسيادة
الا الزوجة مع زوجها أو العكس و المخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان المخاطب
ذا وظيفة الوزارة يزاد له لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خطة الامارة يزاد له لفظ بمعنى المعظم أو
كان ملكا يزاد له لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يقصرون في ذا الغاية ويكثرون من

اعادته فى الخطاب مرارا وليس هناك استعمالات أخرفى مزيد التملق والخضوع والدقة فى الخطاب والفاظ المكاتبات والتخاطب سواء وغاية الفرق هوالفرق الحاصل بين افراد المتكلمين فى البلاغة كما ان من عاداتهم تلقيب كل انسان بلقب عائلته ولايذكر اسمه الا فى المكاتبات أواذا كان أكبر العائلة موجودا فالصغار منها يذكر اسمهم للتمييز مع ذكر اللقب ولم تزل عندهم عناية بالقاب الشرف وهى (كونت) و (بارون) و (دوك) و (مركيز) و (ترنس) وغيرها لكنها قل استعمالها منذ استقرار الدولة الجمهورية وصاروا يكتفون بلفظ موسيو اى سيد لتسوية الناس فى نظر الجمهور

مطلب

فى القوة الحربية المالية والتجارية فى فرانسا سنة ١٨٨٠

فرنك	
	بلغ طول سكك الحديد فيها ميلا ١٣٨٧١
٦٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠	دخلها أى دخل السكك
٤٠ر٩٤٠ر٨٣٧ر٠٠٠	قيمة الداخل الى فرانسا من السلع سنة ١٨٧٩
٣٠ر١٦٣ر٠٩٠ر٠٠٠	قيمة الخارج منها فى تلك السنة
٢٠ر٧٥٢ر٧٩٤ر٨٣٠	دخل الدولة سنة ١٨٨١
٢٠ر٧٠٥ر٤٠٤ر٣٢٢ر٦٠٠	خرجها فيها
١٩ر٨٦٢ر٠٣٥ر٩٨٣	ماعلى الدولة من الدين
٥٤٠ر٠٠	عدد السفن المدرعة العاملة والاحتياطية
٢٢٥ر٠٠٠	حمولتها طونولاتو
١ر٥٠٠ر٠٠٠	عدد عساكرها وقت الحرب
١٨٠ر٠٠٠	عدد الفرسان

قد انتهى طبع هذا الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريخ أوائل صفر الخير سنة ثلاث وثلثمائة وألف فى المطبعة الاعلامية لمؤلفه الأمثل الاكرم الشيخ محمد أفندى بيرم وتحرر تصحيحه على يد الفقير الى الله تعالى مصطفى قشيشة الازهرى

ويليه الجزء الرابع أوله الباب الخامس فى قطر الجزائر

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من صفوة الاعتبار﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣)

















